مجلّة السَّلام الدَّوليّة

خاصّة في أدب الحوار

حوارات حول السَّلام العالمي
وحول الأدب والفن والفكر الخلّاق
ونصوص أدبية متنوِّعة



اسم الدَّوريّة: مجلَّة السَّلام الدَّوليّة **رئيس التَّحرير**
أدبيّة ثقافيّة فكريّة فنّيّة سنويّة مستقلّة **صبري يوسف**
العدد الثاني عشر – خاص بأدب الحوار
ستوكهولم 2024 **مستشارو التَّحرير**
الإخراج وتبويب المواد: المحرِّر **د. أسماء غريب**
غلاف العدد والتَّخطيطات الدَّاخليّة صبري يوسف **غريب ملَّا زلال**
تصميم الأغلفة السابقة: الفنّان التّشكيلي جان استيفو **جميل داري**
© حقوق الطَّبع والنَّشر محفوظة للمؤلِّف **دوريس خوري**

عنوان المجلّة:

Sabri Yousef
Storbyplan 27 BV
Spånga 16371
SWEDEN
0046704561180
sabriyousef56@hotmail.com
Facebook: Sabri Yousef
(محرر مجلة السلام الدوليّة)

لا يجوز اقتباس أو نشر أي مادّة من موادِّ المجلّة في أي موقع أو منبر ثقافي أو أدبي، إلّا بالإشارة إلى اسم المجلّة، واسم المؤلّف والصَّفحة المنشورة فيها المادّة.
كلُّ ما يُنشَر في المجلّة يعبِّر عن وجهات نظر الكتّاب والشُّعراء والبحاثة والمفكِّرين والفنّانين المساهمين، والمحرِّر غير مسؤول عمَّا ينشره بين دفّتي المجلّة.

المحرِّر

الإهداء

مرّةً أخرى

إلى كلِّ المبدعين والمبدعات

وكلِّ الّذين يرفعون عبر إبداعاتهم وأفكارهم ورؤاهم

لواء السَّلام والحبّ والفرح والوئام

بينَ البشر كلّ البشر

في جميع أنحاءِ العالم!





كلمة المحرّر

فشلَتْ سياسات الذُّكور في قيادةِ الكونِ إلى برِّ الأمان!





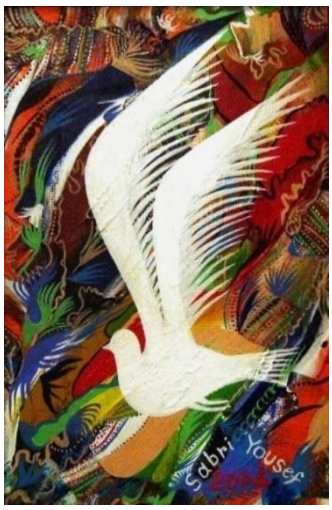

صبري يوسف – ستوكهولم،

إنَّ الأنثى هي رمز الخصوبة والتَّجلّي والفرح والحياة، هي موشورُ عِشقي وحَرفي وصديقة كينونتي قبل أن آتيَ على وجه الدُّنيا وستظلُّ إلى منتهى الدَّهر!

أشعر وكأنَّ المرأة هديّة من الآلهة للبشر لكلّ البشر، غالباً ما تراودني فكرة السُّلطة المسندة للرجل، هذا الرجّل الذي قاد الكون إلى حربين عالميتين وإلى حروب أخرى لا حصر لها!

أتساءل، لو حكمت المرأة الكونَ منذ البدء، وكان لديها سلطة قيادة هذا الكون الكبير، وأخذت دور الرَّجل، هل كان الكون سيمرّ بهذه المراحل المزرية؟!

المرأة حكيمة أكثرَ من الرُّجل، وهي كيان عاطفي دافئ وعاقل، تتوجّه نحو الخير والمحبّة والعطاء والفرح والحياة، بينما الرجّل يحمل بين أجنحته الغرور والغطرسة والتسلُّط الأحمق في الكثير من قراراته الغوغائية خاصَّة فيما يخصُّ الحروب، فكلُّ الحروب الَّتي ظهرتْ وحلّتْ وحدثتْ في أرجاء المعمورة من فعل الرَّجل وهي أي الحروب ضدّ الرِّجال والنِّساء والكون، ولا منتصرَ في الحروب، الجميع مهزومون، حتى المنتصر مهزوم طالما انتصاره يرتكز على جماجم الآخرين! فلماذا لا يتعقّل الرّجل ويأخذ من حكمة النِّساء ولو قليلاً، لعلَّه يقود أجنحة البلاد إلى برِّ الأمان والسَّلام؟!

يتحدَّث الرَّجل عن السَّلام ودوّخنا بسلامه الغريب والعجيب وفي كلِّ يوم أجدُ سلامه مخروماً بشكل مقزِّز إلى درجةٍ فيها أشعرُ بنوع من القرف من هكذا رؤى جوفاء تقود هذا الكون الجميل إلى الهاوية!

المرأة أنثى مخضّبة بيخضور الحياة، أنظر حولي فأجدُ الطّبيعة قد جاءت بصيغة التَّأنيث، والوردة مؤنّث، الشَّجرة مؤنّث، الحياة مؤنّث، السَّماء مؤنّث، النّجمة مؤنّث، الغيمة مؤنّث، الشَّمس مونّث، الرّيح مؤنّث، الزّهرة مؤنّث، القصيدة مؤنّث، الكتابة مؤنّث، الخصوبة مؤنّث، الأرض مؤنّث، الحديقة مؤنّث، الغابة مؤنّث، البرّية مؤنّث، كلّ أزاهير الكون مؤنَّثة، الكرة الأرضيّة مؤنّث، كلّ الكائنات جاءت من رحمِ المؤنّث، الجنّة مؤنّثةٌ، أبهى ملايين الكائنات والجمادات والأشياء في الحياة جاءت في صيغة المؤنَّث، فللأنثى حضور عميق في دنيا الوجود، لكن ما يزعجني أنّها قد مرّت على مرِّ التاريخ وماتزال في الكثير من بقاع الدُّنيا تعاني من سلطة الرَّجل القميئة! سلطة سقيمة لا طائل منها، لا نجني من سلطة هذا الرَّجل الضَّال عن دروب الخير والسَّلام، سوى البلاء والإبتلاء في حروب مميتة لكل الأطراف!

ويدهشني أن أسمع أحياناً أنَّ في بعض الدُّول الشَّرقية لا يسمح للمرأة بقيادة السِّيارة، ويدهشني أكثر عندما يقرُّ برلمان ما بالأغلبيّة بضرورة السَّماح للمرأة بالانتخاب، وكأنَّ هذه ميزة تعطى للمرأة من قبل الرَّجل، أصلاً من السَّماجة بمكان أن لا يسمح للمرأة بالانتخاب ومن الغرابة بمكان أن لا يسمح لها بقيادة سيارة، بينما تقود باخرة وطائرة في بلاد أخرى!

المرأة هي صديقتي الأوحد في الحياة، هي حبق شعري وروحي وحرفي وكينونتي، وقد تبيّن لي من خلال تجربتي في الحياة أنَّ المرأة أكثر إخلاصاً من الرّجل، من حيث الصَّداقة والتَّعامل والكثير من المقارنات، وبدأت أنفر من صداقات الكثير من الرِّجال، لأنّني لا ألمس منهم الفرح والرَّاحة والتَّوازن، فغالباً ما يطرح الرَّجل نفسه علي وكأنّه عبقري عصره وأنّه وأنّه، وغالباً ما يكون أمّياً أو متحرِّراً من أمّيته، وحتّى عندما يكون متعلِّماً، غالباً ما يصبُّ في عباءة الجهل والتَّحجُّر الفكري! يتعبني بغروره وتعاليه ولا يريّحني تواصلي معه فهو كثير النَّقد السّلبي وغيور ولا يحبُّ أن تكون منتعشاً مع عوالم التَّواصل مع الأنثى والحياة، فهو أي الرّجل نجده مُتعِباً لزوجته وأصدقائه وأولاده وبناته، وهو غير جدير بقيادة الأسرة والمجتمع والدَّولة كما هو مرهون له! وقد لاحظتُ أنّه يأخذ أكثر ممَّا يعطي بكثير، فهو بخيل في العطاء حتّى على صعيد علاقته مع زوجته، فمثلاً أن نسبة عالية وعالية جدّاً من رجالات الشَّرق يتحدَّثون حتّى ولو وصل عمرهم نصف قرن وما فوق على غرامياتهم ورجولاتهم وصولاتهم وجولاتهم وقدراتهم وطاقاتهم العجيبة مع كيان الأنثى، فهم غالباً ما يكونون مرائين مبالغين في عرض هذه الغراميات، ولا يعطون حقوق زوجاتهم وأمّهاتهم وأخواتهم، ويصبحون ذليلين أمام أنثى ما لنيل ودّها في رحلة بحرية عابرة وفي لقاء عابر، والغريب بالأمر أن هذا الرَّجل الشَّرقي الَّذي يطرح أفكاراً وتحفُّظاتٍ ورؤىً فيما يخصُّ الأخلاق والشَّرف والعادات والتَّقاليد هو أوَّل من يخترق ويكسر ويخالف هذه الرُّؤى، فهو مزدوج الشَّخصية، وأحياناً آراه مريضاً في طريقة تعامله، فليس من المعقول أن يحمل المرء وجهات نظر معيَّنة وأفكار معيَّنة ويتصرَّف على النَّقيض منها! ويتّهم الغرب والغربي بالإباحية والانحراف واتِّهامات غريبة وعجيبة وهو لو تمكَّن من أن يحقِّق معادلة ما فوق الإباحية بألف مرّة ومرّة بشكلٍ سرّي لحقَّقها، لهذا ونظراً لضعف تكوين شخصيَّته، نراه جائعاً بشكل دائم للحديث عن

غرامياته وغالباً ما تكون وهميّةً أو مبالغاً فيها، لكنّه يمنع أنثاه من أن تضحك بصوتٍ عالٍ، قائلاً لها هذا عيب، تضحكين بصوتٍ عالٍ، ماذا سيقولُ النَّاسُ عنّا؟! وهو حضرته ليس عيباً أن يطرح نفسه زيراً للنساء بين أصدقائه الذكور! ولو كان زيراً للنساء نصف المصيبة، لكنه في أغلب الأحيان هو ذليل أمام النَّساء! لا أريد أن يفهم منّي القارئ العزيز أنَّ المرأة ملاك وقدّيسة، لكنّها على الأقل لا تمارس قباحات الرَّجل، فهي لم تكُن متسبّبة لأيّة حرب من الحروب، ولو سألنا زوجات صانعي حروب الكون على مرِّ التَّاريخ لوجدنا أنهنَّ ربَّما بالاجماع كنَّ ضدّ الحروب قبل وبعد حصولها!

المرأة هي الأصل، وهي مغبونة أكثر ممَّا نتصوَّر بكثير، إلا أنَّها حقّقتْ في بلاد الغرب الكثير من حقوقها بينما في دنيا الشَّرق فإن الرَّجل نفسه يحتاج قروناً عديدة كي ينال حقوقه فكيف سيكون حال المرأة في سلطة الذكورة؟!

إنَّ ما جعلني واستفزّني أن أحمل القلم وأكتب نصوصاً شعريّة، قصصيَة، سرديّة، هو هذه التَّنافرات والتَّناقضات والمشاحنات والحروب والضّياع والتَّشرد والجوع والظُّلم والغبن والغباء المتفشّي في أرجاء الحياة في دنيا الشَّرق والغرب معاً. شيءٌ ما في داخلي يدفعني للبحث عن عالم لأتوازن فيه، فلا أجد هذا التَّوازن في الواقع فأحتال على الواقع باللّجوء إلى الكلمة والوقوف عند رؤى غارقة في التَّأمل والجُموح نحو المحبَّة والفرح والسَّلام، لعلّي أعيد ولو قليلاً من توازني مع كينوتي المترجرجة بالجراح والهموم الَّتي لا تحصى، حيث أنّني لم أفتح عيني على وجه الدُّنيا إلّا وقد وجدت من حولي الحروب تتنامى.

عجباً أرى، هل الإنسان، خاصَّة الرَّجل أحمق لهذه الغاية، كي لا يستطيع أن يحلَّ مشاكله مع جيرانه ومع خلانه ومع كائن حي آخر، عالمٌ في طريق الانزلاق نحو الهاوية السَّحيقة!

عندما أتمعّنُ في أشرس حيوان مفترس على وجهِ الدُّنيا، كالضَّبع والذِّئب والأسد والنّمر والخ من الحيوانات المفترسة، أجدها رحيمة مقارنةً ببعض الرِّجال، حيث أنَّ الحيوان المفترس أصبح مفترساً بسبب الجوع، وتشكَّلت طبيعة تكوينه أن يأكل حيواناً آخر أضعف منه كي يسدَّ رمقه من الجُوع ويستمر في الحياة، لكنّ أي حيوان مفترس لا يمكن أن ينهش ويقتل حيواناً مفترساً آخر من نفس الفصيل، فلم أرَ ولم أسمع في تاريخي ذئباً أكل ذئباً، أو ثعلباً أكل ثعلباً، بينما الإنسان يغتال يوميّاً آلاف بل ملايين البشر دون أن يرمش له جفن، مع أنَّه لا يقتل هؤلاء البشر من أجل أن يسدَّ رمقه من الجوع بل يقتله بدافع البطر وبدافع الاقتصاد السَّقيم وبدافع الغباء وبدافع التَّحجُّر الفكري وبدافع الرُّؤى الغوغائيّة الَّتي يحملها بين أجنحته، مع أنّه مطروح علينا من سدَّة القوم ومطروح قائد لهذا الكون، لهذا أراني متشائماً حتى النِّخاع من هذا القائد الفاشل للكون، ومن ممارسات سياسات رجال آخر زمن، وكأنّنا في العصر الحجري وما قبل الحجري بكثير!

يحتاج الرَّجل الآن أكثر من أي وقتٍ مضى، إلى الاستعانة برؤى المرأة وشفافية المرأة، ويضحكني أحياناً أن يتحدَّث الرَّجل وخاصة السِّياسي حول الشّفافية وما شابه ذلكَ من المصطلحات، فهو لا يمتُّ إلى عوالم

الشَّفافية بصلة على الإطلاق، لأنّه ذات طبيعة خشنة ولغة خشبيّة متصدِّعة بالعنف والدم والحروب والتَّحدِّي والعنف، فتهرب الشَّفافية منه هروباً مفضوحاً، ولهذا أجد أنَّ هكذا مصطلحات يضحك عليها الفنَّان والمبدع الخلاق كائناً مَن كان هذا الفنّان، رجلاً أم أنثى، والشَّفافيّة كصفة وممارسة فيما يتعلَّق بالسِّياسة والحروب، تناسب عوالم المرأة أكثر ممَّا تناسب السَّاسة الرّجال!

تتقاطع عوالم المبدع الحقيقي مع عالم المرأة الشّفاف، لأنّه يحاول دائماً أن يلج عوالم السَّلام الفسيحة، ولا أظنُّ أنَّ هناك مبدعاً حقيقيّاً في أيَّة بقعة على وجه الدُّنيا إلّا وفيه تقاطع مع العدالة والرّحمة والإنسانيّة لربّما أكثر حتّى من المرأة، لهذا فأنا أجنح نحو البحث في عوالمنا الخفيّة العميقة عن السَّلام والمحبّة والإنسانية بعيداً عن تحجُّرات الرُّؤى السَّقيمة الَّتي ينتهجها البعض أو الكثيرُ من سياسيي هذا الزَّمان، وبعيداً عن التَّعصبات الغريبة والعجيبة الَّتي ينتهجها هذا التّيار أو ذاك، فالمجتمع الكوني الآن بأمسِّ الحاجة إلى رفد الرُّؤى الإنسانيّة ولمِّ شمل الإنسان المعاصر لمزيد من التَّآخي والتَّواصل السّلمي وحل مشكلة فقراء هذا العالم، لا البحث عن المزيد من الحروب على حساب جماجم أطفال وفقراء هذا العالم!

نحن في بداية قرن جديد، ولا بدَّ أن يحصل هناك متغيّرات خلّاقة على وجه الدُّنيا، لأنَّنا بأمس الحاجة لرؤى خلاقة، شفّافة حضاريّة وراقية كي نعيد انحراف الكثير من توجُّهات سياسييّ هذا الزَّمان إلى جادة الصَّواب، من خلال تأسيس فكر تنويري وحضاري، يعيد حقوق البشر كلِّ البشر إلى نصابها، ويضع حدّاً للحروب، كي نحقِّقَ السلامَ والمحبّة والفرح والعدالة الحقيقيّة بين البشر كلِّ البشر على مدى جغرافيّة الكون!

صبري يوسف

أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم



بطاقة شكر وتقدير:

بطاقة شكر وتقدير لكلِّ الشّعراء والشّاعرات والأدباء والأديبات والكتّاب والكاتبات والنُّقّاد والنّاقدات والفنّانين والفنّانات الّذين شاركوا في العدد الحادي عشر من مجلّة السّلام الدّوليّة، متمنِّيَاً لكم جميعاً ولكلِّ المتابعين والمتابعات المزيد من العطاءات الخلّاقة والتّوفيق والهناء والسَّعادة المكلَّلة بأجنحة السّلام والوئام في كل مراميكم في الحياة.



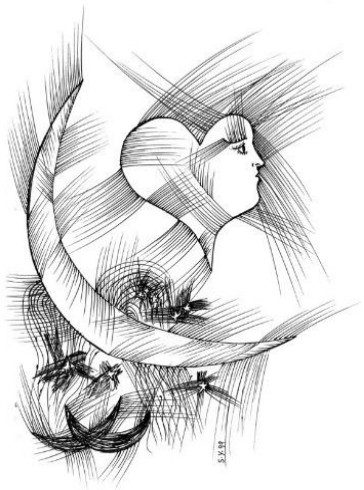

أقسام المجلّة

الحوار

ألفيّة القس جوزيف إيليَّا، صورٌ ومشاهدُ من حياتي

مقالات ودراسات وقصائد شعريّة مستوحاة من فضاءات تجربة

النّاقد والشّاعر الأردني الرَّاحل الدُّكتور عاطف الدرابسة

تجلِّيات الخيال، الجزء الخامس

الشّعر

القصّة

دراسات نقديّة ومقالات

تقاسيم تشكيلية، إيقاعات .. إضاءات (الجزء 14)

التَّشكيل الفردي



باب الحوار



حوار "مجلّة مدارات الثّقافيّة" مع الأديب والتَّشكيلي السُّوري صبري يوسف

1

1. كيف يرى المبدع صبري يوسف الكتابة بصفة عامة؟

الكتابةُ جنّتي المفتوحةُ على شهيقِ اللَّيلِ .. كيفَ أبدأُ، وكيفَ أنتهي مِنْ كتابةِ القصيدةِ؟!

كيفَ أبدأُ بكتابةِ القصيدةِ؟! لا أدري، وكيفَ أنتهي؟ لا أدري أيضاً، لأنَّني لا أنتهي مِنْ كتابةِ القصيدةِ أصلاً، لهذا نصوصي مفتوحةٌ، دائماً أتركُها مفتوحةً، نصٌّ مفتوح، وهذا ما قادَني إلى التَّفكيرِ بكتابةِ نصٍّ مفتوح، أنجزتُ منه قرابة ألف وثلاثمائة صفحة (حتَى تاريخ كتابة هذه السطور ستوكهولم: 7 . 3 . 2007)، وقد أنجزتُ الأجزاء الثَّمانية منه (800 صفحة) ونشرتُها عبر الشَّبكة لكن بقية الأجزاء أصوغُها وأبوّبها كي أدرجَها في سياقِ النَّصّ المفتوحِ، بحيثُ تأتي الأجزاءُ بشكلٍ انسيابي!

نَفَسي في الكتابةِ طويلٌ جدّاً، تتدفَّقُ رؤاي وأفكاري وصورُ القصيدةِ غالباً بشكلٍ غيرِ مدروسٍ وغيرِ مقصودٍ، فأحياناً أكتبُ نصّاً ما عَنْ موضوعٍ ما، لكنّي سُرعانَ ما أجنحُ بعيداً عمّا بدأتُ بِهِ وأتوهُ في عالمٍ جديدٍ لا رابطَ يربطُهُ بما بدأْتُ بِهِ وأتركُ العِنانَ مفتوحاً لمخيَّلتي، فأنا مِنْ طبعي أحبُّ الحرَّيّةَ في الكتابةِ، حرّيّةً مفتوحةً مِثلَ نصوصي المفتوحةِ، حيثُ أنَّني أثناءَ لحظةِ الكتابةِ لا أفكِّرُ بأيِّ عائقٍ أو رقيبٍ أو حسيبٍ، أكتبُ بشراهةٍ مُكتنزةٍ بالطَّيرانِ، خاصّةً بعدَ أنْ استخدمْتُ نظامَ الوورد، الكتابة عبرَ الكومبيوترِ، وأكثرُ مِنْ تسعينَ بالمائة مِنْ نُصوصي خلالَ السَّنواتِ الأربعةِ الأخيرةِ كتبتُها مباشرةً على الكومبيوترِ مِنْ دونِ أيَّةِ مسوداتٍ لها، وأعودُ وأصوغُها مِنْ جديدٍ فيما بعد! وأحياناً كثيرةً، تتغيَّرُ القصيدةُ أو النَّصُّ أو القصَّةُ أثناءَ صياغاتِها، وأحياناً أخرى تولدُ فكرةٌ مِنَ الفكرةِ الَّتي أكتبُها، فأكتبُ الفكرةَ الجديدةَ على قصاصةٍ جانبيّةٍ كي أعودَ إليها وأنسُجَ منها نصَّاً، قصَّةً كانَتْ أمْ قصيدةً.

الكتابةُ هي زادي الثَّمينُ في الحياةِ، أكتبُ أحياناً ساعاتٍ طويلةً، ساعاتٍ متواصلةً يتخلَّلُها استراحاتٌ خفيفةٌ جدّاً، لكنّي أعودُ قبلَ أنْ أستريحَ وأهجمَ على متابعةِ ما يغلي في داخلي، غليانٌ حقيقيٌّ، نزيفٌ شعريٌّ مهتاجٌ في كينونتي، أفرحُ فرحاً انتعاشيّاً عندما أنجزُ النَّصَّ الَّذي بينَ يديَّ، عندما أتفرَّغُ مِنْ كتابتِهِ أتركُهُ مفتوحاً لكنّي أُنْهيهِ عِندَ نُقطةٍ مُنتعِشةٍ، عِندَ جملةٍ مُتراقصةٍ بينَ أحضانِ القارئِ، وأرقصُ مِثلَ طفلٍ، كأنَّهُ شاهدَ فجأةً لعبةً ثمينةً! إنّي أرى أنَّ أيَّ عملٍ إبداعيٍّ على أيِّ صعيدٍ كانَ، يحتاجُ إلى نوعٍ مِنَ العِشقِ العميقِ، أشبهَ ما يكونُ بالتَّرهبُنِ! أنا لا أؤمنُ بمبدأ الرَّهبنةِ بمفهومِها التقليديِّ إطلاقاً، لكنَّ الرَّهبنةَ مِنْ حيثُ العطاءُ في مجالٍ إبداعيٍّ ما، تعجبُني إلى حدِّ النُّخاعِ! وهكذا تبدأُ نصوصي مِنُ حيث لا أدري وتنتهي مِنْ حيثُ لا أدري أيضاً، لكنْ الَّذي أدريهِ هو أنَّني أشعرُ وكأنِّي مختطفٌ إلى واحاتٍ فرحيَّةٍ عِشقيّةٍ أشبهَ ما تكونُ ببساتينِ جِنانِ النَّعيمِ، لا أشبعُ مِنَ الكتابةِ مثلما لا يشبعُ العابرُ إلى جنَّاتِ النَّعيمِ مِنَ النَّعيمِ، الكتابةُ جنّتي المفتوحةُ على شهيقِ اللَّيلِ، لهذا أراني سعيداً رَغمَ شظفِ العيشِ الَّذي عشتُهُ وأعيشُهُ، وأقولُها علناً ومِنْ دونِ أيَّةِ مواربةٍ، لولا الكتابةُ لَمَا تمكَّنْتُ مِنْ أنْ أصمدَ في وجهِ غربتي وفي وجهِ عذاباتي وفي وجهِ الظُّروفِ القاسيةِ

الَّتي مررْتُ بها وما أزالُ أمرُّ بها في سماءِ غربتي، وغربتي هي صديقتي الدَّافئةُ، لأنَّني عقدْتُ معَها معاهدةً ودّيَّةً فسيحةً، هي وهجي المفتوحُ على مرابعِ الحَرفِ، لا تقلقُني غُربتي ولا انكساراتي، ولا هزائمي، أراني قويّاً في ضعفي، أزدادُ شراهةً في العطاءِ، شراهتي لا يرافقُها شبعٌ مِنَ الكتابةِ.

همّي الوحيدُ وهدفي الوحيدُ في الحياةِ، هو التفرّغُ كُلّيّاً للكتابةِ والأدبِ والقراءَةِ والفنِّ والعطاءِ، أشعرُ أنَّ هناكَ طاقاتٍ كامنةً في أعماقي تحتاجُ إلى عواملَ دافئةٍ لإدلاقِها فوقَ وجنةِ القمرِ، كتبْتُ مؤخَّراً قصصاً وقصائدَ، كانَتْ أفكارُها تراودُني مِثلَ الغمامِ مُنذُ عقودٍ مِنَ الزَّمانِ.

ذاكرتي محفوفةٌ بعبقِ النَّرجسِ البرّيِّ، أكتبُ أحياناً نصوصاً في الحُلْمِ، وعندما أنهضُ، أنبُشُ خفايا الحُلمِ، يتراءَى لي الحُلمُ سديميّاً، ألتقطُ ما يُمكنُ التقاطُهُ ثُمَّ أغوصُ في حُلمِ اليقظةِ، أفرشُ خيالي فوقَ خيوطِ الحُلمِ، تتراقصُ أحلامُ اليقظةِ مَعَ أحلامِ النَّومِ العميقِ ثمَّ تسبحُ فوقَ رحابِ الخيالِ، أتركُ الحصادَ مَفتوحاً لتماوجاتِ قلمي وأقطفُ ما يتّسعُ لحفيفِ القلمِ، دائماً أجدُني غيرَ قادرٍ على لملمةِ جموحاتِ القصائدِ، الكتابةُ عاجزةٌ عَنْ ترجمةِ حالةِ الغليانِ، أقطفُ نصيبي مِنْ تواشيحِ الجُموحِ وأتركُ ما يتوارى في خفايا حُلمي، حُلمي غيرُ قابلٍ للإمساكِ، لأنَّهُ يتشظّى مِثلَ اندلاعِ شَرارةِ النَّيازكِ! آخذُ ما يتناغمُ مَعَ حفاوةِ حَرفي وأتركُ ما يتوارى لِما تبقّى مِنَ الزَّمنِ، ويراودُني دائماً، هَلْ سأستطيعُ عبرَ زمني الآتي، أنْ ألملمَ هذهِ الشَّظايا الهاربةَ، وأفرشَها بهدوءٍ حميمٍ فوقِ جفونِ اللَّيلِ؟!

الكتابةُ شهقةُ عِشقٍ مندلقةٌ مِنْ خيوطِ الشَّمسِ!

أخبّيءُ كلَّ يومٍ عشتُهُ في ربوعِ ديريكَ في حنايا غربتي وأنقشُ توهُّجاتِ الذَّاكرةِ البعيدةِ فوقَ حبقِ الشِّعرِ، زادي في الكتابةِ هو سهولُ القمحِ وبراري المالكيّة، وأزقَّتي الطِّينيةُ الَّتي غُصْتُ فيها حتّى مفاصلِ الرُّكبةِ، إلى أنِ امتزجَتْ تلكَ الأكوامُ الطّينيةُ في شهيقِ الشِّعرِ وفي رحابِ الحُلمِ !

أكتبُ كي أترجمَ بعضاً مِنْ موشورِ طفولتي وفتوّتي وشبابي وغضبي مِنِ اعوجاجاتِ هذا الزَّمانِ، لأنثرَ تواشيحَ حِبري فوقَ غيمةٍ ماطرةٍ، لعلَّها تَهطُلُ فوقَ بيادرِ العُمرِ زهوراً مِنْ نكهةِ الياسمينِ!

الحياةُ تغدو أحياناً وكأنَّها أفعى غليظةٌ ملتفّةٌ حولَ عُنقي، تبدو أقصرَ مِنْ جُموحي، مِمّا يراودُني، تحاصرُني في كلِّ حينٍ، تفجّرُ في أرخبيلاتِ الرُّوحِ طاقاتٍ هائجةً، وكأنَّ هذهِ الطَّاقاتِ متأتّيةٌ مِنْ زمنٍ سحيقٍ، طاقاتٌ عالقةٌ في اخضرارِ الخيالِ، الحياةُ غمامةٌ عابرةٌ، بسْمةُ طفلةٍ في صباحٍ نديٍّ، ضحكةُ الرَّبيعِ عندما يستقبلُ نسائمَ عليلةً مِنْ أعالي الجبالِ، لا نملُكُ في الحياةِ سوى رجرجاتِ هذا العُمرِ القصيرِ! كَمْ يغيظُني لأنَّني لا أعيشُ قروناً مِنَ الزَّمانِ. أشعرُ في أعماقِ الحُلمِ، حُلمِ اليقظةِ واليقينِ، أنَّ هناكَ براكينَ مِنَ الرُّؤى والأفكارِ والنّصوصِ والقصائدِ والألوانِ تتماوجُ في رحابِ المُخيّلةِ الهائجةِ مِثلَ شلّالاتٍ هاطلةٍ مِنْ خاصرةِ السَّماءِ، نعم يغيظُني أنْ لا أعيشَ قروناً مِنَ الزَّمانِ، لأنَّ عمرَنا القصيرَ الَّذي نعيشُهُ لا يكفي إلّا لترجمةِ بعضٍ مِنْ

زنابقِ عِشقي للحياةِ، لا يكفي أنْ نغوصَ عميقاً لنترجمَ ما يعترينا مِنَ الدَّهشةِ، دهشةِ الذُّهولِ مِنْ دورانِ الكونِ، مِنْ سُطوعِ بُرعمٍ فوقَ تكويرةِ النَّهدِ، مَتى سأكتبُ هذهِ الجبالَ الشَّامخةَ نحوَ أبراجِ الصُّعودِ، صعودِ الرُّوحِ نحوَ بَخورِ الصَّفاءِ!

وحدَها الكتابةُ تخفِّفُ مِنْ تخشُّباتِ ضجري، وحدَها الكتابةُ تمنحُني ألقَ العِشقِ، وحدَها الكتابةُ تبدِّدُ مِنْ صقيعِ غربتي، وحدَها الكتابةُ تمنحُني بهجةَ الهدوءِ وخصوبةَ الرُّوحِ، وتفتحُ شهيّتي على مِحرابِ العناقِ، وحدَها الكتابةُ تغمرُ صباحي شهقةَ السُّموِّ، وحدَها الكتابةُ تَنقُشُ فوقَ هِلالاتِ الحُلمِ حبقَ التَّجلّي، لا يهمُّني إنْ عشْتُ قروناً، أو بضعةَ شهورٍ، فالزَّمنُ مهما طالَ هو مجرَّدُ زمنٍ متناثرٍ فوقَ خميلةِ الحياةِ، وحدَها الكتابةُ تبقى ساطعةً فوقَ مفاصلِ البقاءِ، وحدَها الكتابةُ تمنحُني نكهةَ العِشقِ على امتدادِ الكونِ.

هَلْ كنْتُ يوماً يخضوراً فوقَ جبينِ الطَّبيعةِ ولا أدري، هَلْ سأتحوّلُ يوماً إلى نَجمةٍ متلألئةٍ في ظلمةِ اللَّيلِ، أو فَراشةٍ ملوَّنةٍ ببهجةِ الانتعاشِ؟ هَلْ كنْتُ يوماً ما وردةً متراقصةً على تُخومِ المحبَّةِ، أمْ أنَّني كنْتُ شهقةَ عِشقٍ مُندلقةٍ مِنْ خُيوطِ الشَّمْسِ؟! هَلْ يوجدُ على وجهِ الدُّنيا أحلى مِنْ بسمةِ الحرفِ وهو يتمايلُ فوقَ أغصانِ الخمائلِ، خمائلِ الكونِ هي باقاتُ فرحٍ إلى بني البشرِ. هَلْ نحنُ البشرُ حروفٌ متطايرةٌ مِنْ دِفءِ الشَّمْسِ أم أنَّنا خيوطُ نيازكٍ مُتدلّيةٌ مِنْ عيونِ السَّماءِ، ما هذا التوحُّدُ اللَّذيذُ مَعَ زخّاتِ المَطرِ؟ ربّما كنْتُ في غابرِ الأزمانِ غيمةً ماطرةً ولا أدري، وإلَّا فما هذا الشَّوقُ البهيجُ إلى حَبّاتِ المَطرِ؟! تساؤلاتٌ هائجةٌ تراودُني، أشبهَ ما تكونُ بتلاطماتِ أمواجِ البحرِ، تبتسمُ عروسُ البحرِ تحتَ اهتياجِ الأمواجِ، لماذا لا يعقدُ الإنسانُ صِلحاً مَعَ ذاتِهِ، مَعَ ضياءِ البدرِ لعلَّهُ يزدادُ سطوعاً أكثرَ مِنْ هَالةِ البدرِ؟! هَلْ نحنُ سنابلُ قمحٍ منثورةٌ فوقَ خصوبةِ الكونِ، أمْ أنّنا نغمةُ حنينٍ منبعثةٌ مِنْ تلألؤاتِ النُّجومِ؟!

لَمْ أجدْ على وجهِ الدُّنيا أجملَ مِنْ حبقِ الأنثى، مِن بهاءِ الأنثى، مِنْ شهقةِ الأنثى، مِنْ نكهةِ الأنثى، هديةً متهاطلةً مِنْ بياضِ غيمةٍ حُبلى بأريجِ النّعناعِ ويخضورِ الحياةِ! الأنثى شجرةٌ مزنّرةٌ بندى اللَّيلِ وشموخِ النَّهارِ، صديقةُ الرّيحِ ونسائمُ الصَّباحِ، وردةٌ تائهةٌ فوقَ موجاتِ البحرِ، الأنثى صديقةُ البرّ، تسترخي بينَ رحابِ الحُلمِ، فوقَ نداوةِ العمرِ، لغةٌ دافئةٌ مندلعةٌ مِنْ تلاوينِ الضّياءِ، تتراءَى أمامي الآنَ مِثلَ الغمامِ أمنياتٌ كثيرةٌ، كانَتْ تنتابُني فيما كنْتُ ألهو فوقَ أراجيحِ الطّفولةِ، أمنيةٌ رافقتْني طويلاً مُنذُ أنْ كُنتُ أركضُ حافي القدمينِ في أعماقِ الأزقّةِ، أمنيةٌ لا تخطرُ على شطحاتِ خيالِ الجنّ، هَلْ تقمَّصَني جنّيٌ يهوى العبورَ في صفاءِ السَّماءِ مُخلخلاً أشواكاً عالقةً بينَ مُويجاتِ الغمّ، وإلَّا فما هذهِ الأمنياتُ المفتوحةُ على اهتياجاتِ اليمّ، أمنيةٌ لا تنزاحُ مِنْ تجاعيدِ الذّاكرةِ المحفوفةِ بالغرائبِ، ذاكرةٍ متألّقةٍ بينَ أغصانِ الطُّفولةِ، ذاكرةٍ مُبرعمةٍ في نصاعةِ جُموحِ الخيالِ، أكبرُ فيكبرُ هَمّي وتتقلّصُ أغصانُ الأمنياتِ! ..

الكتابةُ نسائمُ بحرٍ مُنعشةٌ، تَهُبُّ عِندَ الغروبِ، تسطعُ عِندَ بزوغِ الفجرِ، صديقةُ البراري وهَمهماتُ اللَّيلِ، الكتابةُ عطشٌ مفتوحٌ نحوَ ينابيعِ السَّلامِ، حالةٌ متجلّيةٌ بحبورِ الانتشاءِ، نعبرُ جهةَ البحرِ وخلفَنا ذاكرةٌ محمومةٌ

معفّرةٌ بالرَّمادِ، مَنْ يستطيعُ أنْ يزرعَ فوقَ خُدودِ الشَّمْسِ شُموعَ المَحبّةِ ويسقي نبتةَ الحياةِ؟ زلازلُ مهتاجةٌ تنمو، تنفرشُ فوقَ مَعارجِ الحُلمِ، يهفو قلبي إلى بيادرِ ألعابِ الطُّفولةِ، إلى أريجِ سُهولِ القمحِ، إلى صحارى العُمرِ، ما هذهِ الخشونةُ المتشظِّيةُ فوقَ معارجِ العمرِ، لماذا لا يبني الإنسانُ محطاتِ فرحٍ عِندَ تخومِ الرُّوحِ، كيفَ تتحمَّلُ الرُّوحُ كلَّ هذهِ المُنغصَّاتِ؟ ثمّةَ تساؤلاتٌ تزدادُ نُمُوَّاً فوقَ تلألؤاتِ الحُلمِ، وحدَهُ قلمي ينقذُني مِنْ اندلاعِ الاشتعالِ، يخفِّفُ مِنْ ضجرِ اللَّيلِ وبكاءِ النَّهارِ، وحدَهُ حرفي صديقُ غُربتي وكلِّ الكائناتِ، موجةُ فرحٍ تَعبُرُ وجنةَ الشَّفقِ، فأضحكُ وإذْ بي أراني في أعماقِ الحُلمِ، متى سأعبرُ على مَتْنِ سفينةِ الحبِّ لُجينَ البحرِ، مُعانقاً زهرةً مُستنبتةً مِنْ زبدِ البحرِ، مُرشرشاً رذاذاتِ دِفئي فوقَ رعشةِ العِشقِ وأمواجِ الرَّحيلِ؟! غربةٌ مريرةٌ تغمرُ صَدرَ الكونِ، وحدَها الكتابةُ تُبدِّدُ جهامةَ النَّهارِ، تمنَحُني ألقَ الشَّوقِ إلى مرافئِ العُمرِ، إلى ربوعِ دِفءِ المساءِ، تفتحُ شهيَّتي على موسيقى متناغمةٍ مَعَ حفيفِ اللَّيلِ، فيروزُ تكحِّل حرفي طزاجةَ العسلِ البرّي، تمنحُني بهاءً مُكتنفاً بالتجلّي، فيروزُ أغنيةٌ منبعثةٌ مِنْ رَحِمِ البحرِ، موجةُ فرحٍ مُنسابةٌ فوقَ بَخورِ الرُّوحِ، صوتٌ مُدبّجٌ بأريجِ الزَّهرِ، تغريدةُ بلبلٍ في أوجِ الرَّبيعِ، فيروزُ صديقةُ وجعي وبهجةُ قلبي، تزرعُ في خيوطِ الصَّباحِ روعةَ الشَّوقِ واخضرارَ العِناقِ!

2. مِنْ أينَ استمدَّيتَ تجربةَ الكتابةِ؟ وكيفَ دخلْتَ تجربةَ الكتابةِ؟

استمدِّيتُ تجربتي في الكتابةِ مِنْ الحياةِ بكلِّ تفاصيلِها ومِنْ خِبراتي فيها وأحداثِها ومنعرجاتِ محطَّاتي فيها، شغفي في الكتابةِ كانَ منذُ باكورَةِ عُمري، وشيئاً فشيئاً دخلْتُ فضاءَاتِ الكتابةِ، ونضجَتْ تجربتي أكثرَ ما نضجَتْ في ربوعِ السُّويدِ، وفي ستوكهولم بشكلٍ خاص، بعدَ أنْ استقرَّتْ أموري، وبدأْتُ أكتبُ مُنذُ قدومي إلى السُّويدِ حتَّى الآنَ برغبةٍ عميقةٍ، وللطفولةِ وتجربتي الحياتيَّةِ في سوريا دورٌ كبيرٌ في تشكيليَ الإبداعيِّ في عالمِ الكتابةِ كما أنَّ للحرّيةِ المتاحةِ في السُّويدِ دورٌ كبيرٌ في انبعاثِ هذهِ الطَّاقاتِ المخزَّنةِ في أعماقي!

3. ما هو أوَّلُ نصٍّ كتبتَهُ؟ وفي أيّةِ سنةٍ؟!

أوّلُ نصٍّ كتبتُهُ قصّة قصيرة بعنوان "اللّص والقطّة" في ديريك/ المالكيّة "مسقط رأسي" عام 1986.

4. ما هو أوَّلُ نصٍّ نشرتَهُ؟ وفي أيَّةِ سنةٍ؟

أوّلُ نصٍّ نشرتُهُ قصّة قصيرة بعنوان "احتراق حافَّات الرُّوح"، نشرتُها في جريدةِ القدسِ العربي عام 1993.

وفيما يلي نص قصة **احتراق حافَّات الروح:**

تمعَّنْتُ فيهم واحداً .. واحداً، أطفالاً وشباباً وشيوخاً، وأمَّا النِّساءُ فما كنْتُ أستطيعُ التَّمعُّنَ فيهنَّ لأنَّهنَّ تحوَّلْنَ إلى كتلةٍ مِنَ الأنينِ.

توغَّلَ ألمُ الفراقِ في مساماتِ جلدي .. هذا القلمُ المتواضعُ لا يستطيعُ أنْ يعبّرَ عمَّا كانَ يراودُني يومَ الوداعِ. صوَرُ الأحبّةِ وهم يودِّعونَني لا أستطيعُ أنْ أنساها أبداً .. مشهدُ والديَّ العجوزَيْنِ وأنا أودِّعُهما، مشهدٌ لَهُ

علاقة بأبجدياتِ الموتِ قبلَ الأوانِ.. آنذاكَ شعرْتُ أنَّ حافّاتِ روحي تحترقُ بنارٍ ملتهبةٍ، تتصاعدُ ألسنتُها مِنْ مساماتِ قلبي .. هذا القلبُ الّذي تبرعمَتْ فيهِ خلاصةُ مراراتِ الحياةِ.

لا أصدِّقُ نفسي أبداً أنَّني مرَرْتُ بتلكَ اللَّحظاتِ الرَّهيبةِ .. عبرْتُ ضباباً كثيفاً، ثمَّ رحَّبَ بي سرابٌ بلا نهايةٍ .. وتلوَّنَتْ مشاعري بألوانٍ بنفسجيّةٍ مُضمَّخةٍ بعبيرِ الشَّوقِ. السَّراديبُ المُظلمةُ ابتلعتْني ولَمْ أعُدْ أميِّزُ أبجدياتِ السَّرابِ الَّذي كنْتُ أسبحُ فيهِ مِنْ دونِ مجاذيفَ .. والرِّياحُ العاتيةُ لطمَتْ خدَّيَّ الحزينَينِ، فبكَتْ عصافيرُ الدُّوري مِنْ جنونِ العاصفةِ!

عبَرْتُ البحارَ .. وأكلَني الشَّوقُ إلى أزقَّتي الضَّيِّقةِ. شجرةُ التُّوتِ الكبيرةِ تنهضُ أمامي وأراها ـ رغمَ المسافاتِ ـ تنحني معلنةً الحدادَ، فتغضَبُ (دجلتي) مرتِّلةً ترتيلةَ الرَّحيلِ .. الدَّهاليزُ المعتمةُ الطَّويلةُ عصرَتْ رحيقي وقمَّطتْني الغربةُ بثوبِ الحِدادِ، وجُنَّ جنوني إلى نجمةِ الصَّباحِ .. وكَمْ أتذكَّرُ السَّهراتِ المُمْتعةَ الَّتي كنْتُ أقضيها مَعَ أحبّائي على ضوءِ النُّجومِ، وهواءُ بلدتي العليلُ كانَ يبلسمُ جراحاتِنا!

مشاهدُ الوداعِ تتراقصُ أمامي الآنَ وأنا مُحاصرٌ وسطَ أخطبوطِ الغربةِ. أتذكَّرُ اللَّحظةَ الّتي فيها رجوْتُ أمِّي وطلبْتُ منها أنْ تُسامِحَني قُبَيْلَ وداعيَ الأخيرِ. اقترَبْتُ منها بقلبٍ مُدمى قائلاً:

أرجوكِ يا أمَّاهُ (اغفري) لي وسامحيني وادْعَي لي بالتَّوفيقِ .. ها أنذا راحلٌ خلفَ البحارِ. كانَتْ أمُّي غائصةً بأحزانِ الدُّنيا. ما كانَتْ تستطيعُ أنْ تُحرِّكَ شفتيها، كانَ وجهُها شاحباً للغايةِ، فجأةً ارتجفَتْ شفتاها بسرعةٍ قصيرةٍ ثمَّ توقَّفتا عَنِ الحركةِ. كانَ الإزرقاقُ بادياً على سيماءِ وجهِها وشفتيها. اقتربْتُ منها واحتضنْتُها .. أحْبَبْتُ آنذاكَ أنْ أُدْخِلَها في قلبي وروحي وأترُكَها هناكَ معلَّقةً بينَ ثنايا الرُّوحِ والقلبِ إلى الأبدِ. قبَّلْتُ يديها المعروقتَينِ وعينايَ زائغتانِ تهطلانِ بغزارةٍ واضحةٍ. حاوَلَتْ أُمِّي أنْ تُقبِّلَني لكنَّها لَمْ تستَطِعْ أنْ تفتَحَ فاها. تجمَّدَ الدَّمُ في شفتيها وتحوَّلَ جسدُها إلى (كتلةٍ يابسةٍ) وجفَّ ريقُها. آنذاكَ شعرْتُ بضآلةِ حجمي، وبضآلةِ الأهدافِ المرسومةِ في ذهني أمامَ الموقفِ الَّذي أنا فيهِ!

كانَتْ رغبتي الوحيدةُ في تلكَ اللَّحظةِ أنْ تقبِّلَني وتُعانقَني عِناقاً طويلاً بكلِّ أمومَتِها الحانيةِ، "ثلاثةُ أرباعِ" دمِها كانَ مُتجمِّداً في جسدِها الَّذي كانَ ينوءُ تحتَ خريفِ السِّنينَ. عيناها جاحظتانِ تحدِّقانِ في لا شيءَ. كانَتْ تشربُ مرارةَ الوداعِ بشراهةٍ.

وفيما كانَتْ تسبحُ مَعَ عذاباتِ الفراقِ أوشكَتْ أنْ تسقطَ على الأرضِ لولا أنَّ أخي وأختي تلقَّفاها على الفورِ! موعِدُ الإنطلاقِ وتوديعِ أزقَّتي قَدْ حَانَ وأمِّي لَمْ تقبِّلْني بعدُ، وضَعْتُ خدِّي على شفتيها اليابستَينِ وقلْتُ لها: أمَّاهُ أرجوكِ أنْ تقبّليني قُبلةَ الوداعِ الأخيرةَ. كانَتْ تُمعنُ النَّظرَ إليَّ ولَمْ تنطقْ بكلمةٍ.

ما كانَتْ تُصدِّقُ أنَّ فِلذَةَ كبدِها سيودِّعُها "إلى الأبدِ" بهذِهِ البساطةِ. كانَتْ تَبكي بُكاءً مُرّاً. الألمُ الَّذي توغَّلَ في شراييني، في تلكَ اللَّحظاتِ، تَعجزُ كلُّ اللُّغاتِ عَنِ الإفصاحِ عنهُ. توسَّلْتُ لآلهةِ الحبِّ والرَّحمةِ أنْ تبعثَ

الحياةَ والحركةَ في شفتيها .. ووضعْتُ راحةَ يدي على ثغرِهَا اليابسِ. فجأةً ارتعَشَتْ شفتاها، فقلْتُ لَها: أرجوكِ قبِّليني يا أمَّاهُ! .. وبصعوبةٍ بالغةٍ استطاعَتْ أنْ تقبِّلَني قبلةً يتيمةً واحدةً!

الجميعُ مِنْ حولي يغلِّفُهم البكاءُ والصُّراخُ. أحدُ المارَّةِ نظرَ إلينا مَشدوهاً .. تصوَّرَ أنَّ "كارثةً" ما قَدْ وقَعَتْ .. تمتمَ قليلاً ثمَّ تابعَ متعثِّراً في خطاهُ.

عبَرْتُ مطبخي المتواضعَ. شعورٌ عميقٌ بالألمِ كانَ يهيمنُ عليَّ. عينايَ حمراوانِ وحزينتانِ. استقبلتْني المرآةُ بعدَ أنْ غسلْتُ وجهي البائسَ.. لم أعرفْ نفسي .. كانَ وجهي شاحباً للغايةِ إلى درجةٍ فيها ما كنْتُ أصدِّقُ أنَّ ما أراهُ في المرآةِ هو وجهي. كانَتْ عيناي تلخِّصانِ مرارةَ الفراقِ وتهطلانِ دونَ استئذانِ الغيومِ. ارتجفَتْ يدايَ وازدادَ قلبي خفقاناً، وكأنَّ وحشاً مفترساً كانَ يطاردُني. غسلْتُ وجهي ثانيةً .. تذكَّرْتُ أحبّائي الّذينَ كانوا يرتادونَ بيتي. تلمَّسْتُ برّادي ثمَّ فتحتُهُ وشربْتُ قليلاً مِنَ الماءِ. تألَّمْتُ جدّاً عندما وقعَ بصري على أدويةٍ قديمةٍ لأمّي .. وبجانبِ الأدويةِ كانَ يوجدُ قليلٌ مِنَ اللَّبنِ وثلاثُ بيضاتٍ. إحداها كانَتْ مكسورةً مِنْ خاصرتِها، ولكنّي وضعتُها بهدوءٍ في الزَّاويةِ العليا مِنَ البرّادِ.

أحدُ المودِّعينَ كانَ يراقبُني دونما قصدٍ منهُ، تقدَّمَ نحوي ثمَّ حضنَني بكلِّ عفويَّتِهِ، هطلَتْ عيناي دموعاً غيرَ مرئيّةٍ، كانَتْ تخرُّ نحوَ القلبِ مباشرةً وتصبُّ أخيراً عندَ شواطئِ الرُّوحِ!

الآنَ! .. مِنْ خلفِ البحارِ، أتذكَّرُ العناقاتِ الطَّويلةَ، أتذكَّرُ كيفَ عبرْتُ غرفةَ والديَّ، أبحثُ عَنْ منديلٍ. كانَ والدي الَّذي خلّفَ وراءَهُ أكثرَ مِنْ ثمانيةِ عقودٍ مِنَ الزَّمنِ، يصرخُ ويبكي كالأطفالِ. تقدَّمْتُ نحوَهُ وحضنْتُه بحنانٍ عميقٍ، فازدادَ صراخاً وأنيناً .. قلْتُ لَهُ لماذا كلُّ هذا البكاءِ؟

أجابَني: سأموتُ ولَنْ أراهُ مرَّةً أخرى! قُشَعْريرةٌ حارقةٌ توغَّلَتْ في ظِلالِ الرُّوحِ .. ثمَّ قلْتُ لَهُ: بلى ستراهُ.
أجابَني باصرارٍ: لا .. سوفَ أموتُ ولنْ أراهُ مرَّةً ثانيةً.
فقلْتُ لَهُ: ها أنذا بينَ يديكَ.

فقالَ: ما شأني بِكَ طالما ودَّعني ولدي وأنا في خريفِ العمرِ الأخيرِ.. تركَني هنا أجترُّ همومي وجهي بوجهِ الحائطِ!

شعَرْتُ أنَّ ناراً ملتهبةً تشتعلُ تحتَ أقدامي عندما سمعتُهُ يقولُ: (تركَني هنا أجترُّ همومي وجهي بوجهِ الحائطِ!) .. ثمَّ قلْتُ لَهُ بحرقةٍ ابنُكَ لَمْ يودِّعْكَ بعدُ يا أبتاه .. وها أنذا أمامَكَ و ..

قاطعَني وهو يبكي بمرارةٍ قائلاً: قبلَ قليلٍ رحلَ ابني الَّذي كنْتُ أدلِّلُهُ، وكَمْ حملْتُهُ على كتفي في مواسمِ الحصادِ الأخيرةِ وأدخلْتُهُ المدارسَ وعندما أصبحَ شابّاً قرَّرَ أنْ يرحلَ بعيداً عنّي. رحلَ وتركَني ميّتاً بينَ الأحياءِ!

آهٍ .. آهٍ .. آهٍ! استوطنَتْ أحزانُ العالمِ في قلبي، ما كانَ والدي يعرفُ أنّي ابنهُ. لقَدْ ذبحَهُ ألمُ الفراقِ وتصوَّرَني أحدَ المودِّعينَ. ما كانَ قادراً على استيعابِ تلكَ اللَّحظاتِ القاسيةِ الَّتي حرقَتْ شيخوختَهُ الباقيةَ. أقسمْتُ لَهُ أنّي ابنَهُ فلَمْ يصدِّقْني، وكانَ يبكي ويقولُ ابني راح، مشى منذُ لحظات .. صرخْتُ بدونِ وعيٍ وأنا أبكي (بـــابـــــا!) أَنسيتَني فوراً؟! .. وأَيقظَتْ صرْخَتي غيبوبتَهُ المنسابةَ في عالمِ الألمِ .. ثمَّ فجأةً حضنَنِي وهو يقهقهُ دونَ أنْ يكونَ لديهِ استعدادٌ لهذهِ القهقهاتِ المفاجِئةِ .. كانَتْ دموعُهُ تنسابُ بغزارةٍ وهو يردِّدُ: أشكرُ اللهَ أنّي رأيتُكَ مرّةً أخرى وأنا حيٌّ!

المودِّعونَ كانوا مايزالونَ ململمينَ حولي. والدتي كانَتْ مرتميةً بينَ أحضانِ أختي وأخي. كانَتْ تظنُّ أنَّ أخي الّذي أخذَ دوري في احتضانِها هو أنا! .. اقتربْتُ منها ووالدي مايزالُ يعانقُني ثمَّ حضنْتُ والدتي ووالدي سويةً وأصبحْتُ في وسطِيهمَا تماماً. أحدُ المودِّعينَ التقطَ صورةً، مركِّزاً على غزارةِ الدُّموعِ. كانَتْ أمّي تضحكُ مِنْ شدّةِ الألمِ .. ووالدي كانَ يزدادُ صُراخاً.

طلبْتُ مِنْ أحدِ المودِّعينَ أنْ يقومَ بدوري حفاظاً على استمراريةِ الاحتضانِ .. فارتمى أحَدُهم بينَ أحضانِيهما وهما غائصانِ في بحرٍ مِنَ الدُّموعِ.

انسَلَلْتُ مِنْ بينِهِمَا بحزنٍ عميقٍ وألقيْتُ نظرةً وداعيّةً عليهما وعلى ساحةِ الدَّارِ .. وودَّعْتُ كلَّ الأحبّةِ الّذينَ تلملموا حولي واحداً .. واحداً. الطِّينُ الأحمرُ اللَّزجُ كانَ مكتظّاً حولَ منزلي. شَهِقتُ شهيقاً عميقاً .. وأمعنْتُ النَّظرَ بأكوامِ الطِّينِ الَّتي رافقَتْني ثلثَ قرنٍ مِنَ الزَّمانِ! .. انحنيتُ متناولاً حفنةً منهُ ثمَّ وضعتُهُ على صدري .. آنذاكَ وقعَ بصري على صفٍّ طويلٍ مِنَ الأطفالِ في عمرِ الزُّهورِ.

وقفْتُ أنظرُ إلى عيونِهِم البريئةِ. كانَتْ دموعُهم تنهمرُ كاللَّآلئِ على خدودِهِم الحزينةِ.. وبدأتُ أقبّلُهُم وأقبّلُهُم وكانوا يحتالونَ عليَّ ويصطفّونَ بالتّناوبِ مَرّاتٍ ومَرّاتٍ وعندما استدركْتُ اصطفافَهُم المتناوبَ، سألْتُ أحدَهُم: أظنُّ قبَّلْتُكَ منذُ قليلٍ، أَليسَ كذلك؟!

نظرَ إليَّ وعيناهُ تلمعانِ براءةً وحزناً ثمَّ قالَ: بلى قبَّلْتَني.
ولماذا اصطفَفْتَ مرّةً أخرى؟
لأنَّني ربَّما لا أراكَ بعدَ الآنَ .. لهذا أريدُ أنْ تقبّلَني كثيراً.

نظَرْتُ إلى عينيهِ الحزينتَينِ وشَعَرْتُ أنَّهُ فجَّرَ أحزانَ العالمِ في قلبي وشعرْتُ أيضاً أنَّ شيئاً ما أكثرَ مرارةً مِنَ العلقمِ بدأَ يخترقُ سماءَ حلقي .. تابعْتُ أقبّلُ الأطفالَ .. وعندما كنْتُ أقبّلُهُم، كانَتْ دموعُنا تلتقي فوقَ خدودِنا مشكِّلةً خطوطاً عديدةً تتسارعُ منسابةً نحوَ أعناقِنا .. وأتذكَّرُ جيّداً كيفَ كانوا يهجمونَ على يدي اليمنى ويزرعونَها قُبَلاً .. آنذاكَ شعرْتُ أنَّ رأسي يدورُ ويدورُ، وبعدَها لمْ أشْعُرْ بالزَّمنِ، ابتلعتْني غيبوبةٌ خانقةٌ! ...

انطلقَتِ الحافلةُ، أنظارُ المودِّعينَ كانَتْ مشدودةً نحوي، وعندما غابَتِ الحافلةُ عَنِ الأنظارِ، بدَؤُوا يتمتمونَ ويحدِّقونَ بحسرةٍ حارقةٍ في الفراغِ الَّذي خلَّفتْهُ الحافلة!

ستوكهولم: تشرين الثَّاني (نوفمبر) 1992

5. أيُّ صنفٍ مِنَ الكتابةِ تجدُ فيهِ ذاتَكَ حينَ تكتبُ؟ ولماذا؟!

أجدُ نفسي في كلِّ الأجناسِ الأدبيّةِ الَّتي أكتبُها، ابتداءً مِنِ الشِّعرِ، قصيدةِ النَّثرِ تحديداً، مروراً في القصّةِ القصيرةِ، والنَّصِّ الأدبيِّ، والرِّوايةِ، كما أجدُ نفسي في المقالِ، وفي الحوار، وأجريتُ العديدَ مِنَ الحواراتِ مَعَ مُبدعينَ ومبدعاتٍ حتَّى أنَّني أجريتُ حواراً مَعَ الذَّاتِ، ألف سؤال وسؤال وأجبْتُ عَنْ حواري مَعَ ذاتي على مدى أربعِ سنواتٍ متواصلةٍ، وينبثقُ كلُّ جنسٍ أدبيٍّ بطريقةٍ عفويَّةٍ سلسةٍ ومٌنسابةٍ. وقَدْ وصلْتُ إلى هذهِ المرحلةِ في إعطاءِ كلِّ جنسٍ أدبي حقَّهُ، بعدَ تجربةٍ طويلةٍ في رحابِ الكتابةِ بكلِّ هذهِ الفضاءَاتِ المتنوّعةِ!

6. كيفَ ترى تجربةَ الكتابةِ في العالمِ العربي؟

ليسَ لديَّ إطلاعٌ على واقعِ الكتابةِ في العالمِ العربيِّ، لكِنْ ما يقعُ تحتَ يدي وما أستطيعُ متابعتَهُ وما أقرأُ عنَهُ مِمّا يكتبُهُ الكتَّابُ والكاتباتُ يبشِّرُ بالخيرِ، لكنِّي أستطيعُ القولَ إنَّ الكتابةَ تتطلَّبُ بالدَّرجةِ الأولى الحُرِّيَّةَ، والظُّروفَ المتاحةَ للعمليَّةِ الإبداعيّةِ، وعندما تتوفَّرُ الحرِّيَّةُ للكاتبِ ونشرُ ثقافةِ التَّنويرِ والعطاءَاتِ الخلَّاقةِ، عِندَها سيكتبُ المبدعُ والمبدعةُ كتاباتهما بطريقةٍ راقيةٍ عميقةٍ وخلّاقةٍ، ولكِنْ عندما تكونُ أجنحةُ الكاتبِ والكاتبةِ مقصوصةً، تولدُ الكتابةُ ناقصةً وكأنَّها تولدُ ولادةً قيصريّةً مُخلخلةَ الأجنحةِ وغيرَ عميقةٍ!

7. مع تطوّر التّكنولوجيا، هل يمكن يوماً أن نستغني عَنِ الكتابةِ؟

أكتبُ نصوصي بمختلفِ الأجناسِ الأدبيَّةِ شعر، قصّة، مقال، دراسات نقدية تحليلية، نصوص أدبية، روايات، حوارات .. إلخ أكتبُها مباشرةً على الحاسوبِ مُنذُ أكثرَ مِنْ عقدين مِنَ الزَّمنِ، لسهولةِ الكتابةِ وسهولةِ مراجعةِ النُّصوصِ والكتاباتِ وتدقيقِها وتنقيحِها وتصحيحها وإضافةِ ما يمكنُ إضافته وأحياناً أعيدُ صياغةَ قصّةٍ ما أو نصٍّ شعريٍّ أو فصلٍ مِنْ روايةِ عشراتِ المرَّاتِ، لأنَّ سهولةَ الكتابةِ وسهولةَ التَّصحيحِ تمنحاني راحةً وسهولةً في تغييرِ وتطويرِ وتعميقِ الكتابةِ، وهذهِ السُّهولةُ في التعبيرِ عَنْ فكرتي وكتابتِها جعلَني أستغني كلّياً عَنِ الكتابةِ على الورقِ، لكنِّي أحياناً، خاصَّةً عندما أكونَ خارجَ المنزلِ أو بعيداً عَنِ الحاسوبِ، وتراودُني فكرةٌ ما تتعلَّقُ بنصوصي أو فكرةٌ تصلحُ لنصٍّ أو قصّةٍ أو قصيدةٍ أو فكرةٍ تتعلَّقُ بفضاءِ الرِّوايةِ سُرعان ما أكتبُ الفكرةَ على ورقةٍ وأنا في القطارِ أو في الباصِ أو في رحلةٍ ما أو في حفلةٍ أو في مقهى أو مكانٍ ما، حتى ولو كتبَ في حفلةٍ زفافٍ، وما عدا هذهِ المواقف، أكتبُ نصوصي على الحاسوبِ مباشرةً وأخزّنها وأعيدُ مراجعتها مرَّاتٍ ومرَّاتٍ، وهذا ما ساعدَني أنْ أكتبَ أكثرَ بكثيرٍ ممّا لو أكتبُ عبرَ القلمِ على

الورقِ، لأنَّني عبرَ القلمِ أضغطُ على القلمِ وهذا يجعلُني أتعبُ بسرعةٍ والوضعيَّةُ مُتعبةٌ بالكتابةِ عبرَ القلمِ بينما عبرَ الحاسوبِ أكتبُ بالأصابعِ العشرةِ وكأنّي أعزفُ أغنيةً ما على القانونِ بنقراتٍ خفيفةٍ والضَّغطُ يأتي على الأصابعِ العشرةِ وليسَ على الابهامِ والسّبابةِ وأشعرُ براحةٍ وكأنَّ خيالي مفتوحٌ على مِساحاتٍ الكونِ عندما أكونُ غائصاً في الكتابةِ على الحاسوبِ، وقبلَ أنْ أكتبَ بهذهِ الطَّريقةِ ما كنْتُ أصدِّقُ أنَّهُ مِنَ المُمكنِ أنْ يكتبَ الكاتبُ عبرَ الحاسوبِ، كنْتُ أتخيّلُ أنَّ الوحيَ أو الإلهامَ لا يُمكنُ أنْ يتمَّ إلّا عبرَ القلمِ، فكانَتْ توحي لي مفاتيح الآلةِ الكاتبةِ والحاسوبِ عائقاً ولا يمكنُ أنْ يتخيّلَ الكاتبُ فكرتَهُ ويكتبُها، ولكنْ بعدَ التّجربةِ الطَّويلةِ تبيَّنَ لي أنَّ كلَّ شيءٍ هو تعويدٌ، فكيفَ نعوّدُ خيالَنا يتلقَّى الفكرةَ ويستطيع عرضَها بسلاسةٍ عاليةٍ!

8. ماذا تضيفُ الجوائزُ الأدبيّةِ للكاتبِ؟

بالنّسبةِ لي لا تضيفُ لي إبداعيّاً شيئاً، فقط تحسِّنُ مِنْ مستوى الكاتبِ والكاتبةِ اقتصاديّا ومعنويَّاً، وتجلعُهُ متحمِّساً أكثرَ فهو يستفيدُ مِنَ النَّاحيةِ المعنويّةِ والمادّيّةِ، وإنّما مِنَ النّاحيةِ الإبداعيّةِ، فإنَّ المبدعَ الحقيقيَّ يبدعُ نصَّهُ بعيداً عَنْ أيّ تطلُّعاتٍ في فوزِهِ بالجوائزِ، والكاتبُ المبدعُ الخلّاقُ، تتقدَّمُ الجوائزُ نحوَهُ لأنَّ نصَّهُ الإبداعيّ والرَّصينَ هو الأساسُ وهو الَّذي يخوّلُهُ الفوزَ بالجوائزِ!

9. ما مشاريعك الأدبيّة المستقبليّة؟

مشاريعي المستقبليّة كثيرةٌ، دائماً عندي مشاريعُ لسنواتٍ قادمةٍ في فضاءِ الكتابةِ، ومنذُ قرابةِ عقدينِ مِنْ الزَّمنِ، أشتغلُ على كتابةِ كتبٍ حيثُ أضعُ فكرةَ كتابةِ كتابٍ، وأشتغلُ على كتابةِ الكتابِ في مجالِ القصَّةِ، والشِّعرِ والحوارِ والنَّقدِ والدِّراساتِ والرِّوايةِ، أدوّنُ الفكرةَ أو محاورَ الكتابِ وأشتغلُ على محاورِ الكتابِ، وأنفّذُ مشاريعي بدقّةٍ، وفي أوقاتٍ قياسيّةٍ. أحدُ مشاريعي القادمة هو أنْ أجري حواراً مَعَ الذَّاتِ ألف سؤال وسؤال، المجلّد الثَّاني حيثُ وضعْتُ قرابةَ 300 سؤالاً جديداً وأشتغلُ على هذا الحوارِ، وربَّما يأخذُ معي المشروعُ سنواتٍ، لكنّي أشتغلُ على أكثرِ مِنْ مشروعٍ في آنٍ واحدٍ أو في نفسِ السَّنةِ والشَّهرِ والأسبوعِ، وأحياناً تولدُ فكرةُ نصٍّ شعري قصصي أدبي إلخ وأكتبُها مباشرةً بنفسِ الدقيقةِ ثمَّ أشتغلُ على مراجعتِها وتدقيقِها وصياغتِها صياغةً نهائيّةً، إضافةً للمشاريعِ الَّتي أشتغلُ عليها ضِمنَ مُخطَّطٍ مُسبقٍ ولدي كتابٌ بعنوان: "تجلّيات الخيال"، أنجزْتُ الأجزاءَ الأربعة الأولى وأشتغلُ على الجزءِ الخامسِ، ولدي مشروعٌ أنْ أستكملَ الجزءَ السَّادسَ وهو عبارة عَنْ كتابةِ نصوصٍ أدبيّةٍ ومقالاتٍ مستوحاةٍ مِنْ عوالمِ وفضاءَاتِ مبدعينَ ومبدعاتٍ ويولدُ النَّصُّ كأنَّهُ قراءةٌ تحليليّةٌ نقديّةٌ واستلهاميّةٌ ونصٌّ أدبيٌّ منبثقٌ مِنْ عوالمِ المبدعينَ والمبدعاتِ الَّذينَ أختارَهم مِنَ الشَّرقِ والغربِ ومِنَ العديدِ مِنَ دولِ العالمِ منهم كتّابٌ شعراءُ روائيونَ وفنانونَ وفنانّات ومفكرونَ ومفكّرياتٌ.

10. كيفَ يرى الإنسانُ صبري يوسف المبدع صبري يوسف؟

أراهُ إنساناً بكلِّ ما تعني كلمةَ إنسانٍ من معنى، فأنا كمبدعٍ متطابقٌ مَعَ نفسي كإنسانٍ. وأريدُني إنساناً إنسانيَّاً عميقاً في إنسانيَّتي، والإبداعُ إذا نبعَ مِنْ إنسانٍ إنساني يكونُ عميقاً وخلّاقاً ومفتوحاً على فضاءِ الكونِ. وهذا ما أشتغلُ عليهِ في نشرِ ثقافةِ التَّنويرِ والتَّطويرِ عبرَ كتاباتي ومنصَّتي قناةِ ومجلّةِ السَّلامِ الدَّوليّةِ وعبرَ حواراتي أيضاً.

11. ما هو الكتابُ الَّذي حلمْتَ أنْ تكتبَهُ ولَمْ تُتَحِ الفرصةُ لكتابتِهِ بعدُ؟

لا أفكّرِ بالطَّريقةِ الَّتي صُغتَ بها سؤالَكَ، لأنّني لا أؤمنُ بهذهِ الصّيغةِ، لأنّي أرى الحُلمَ أو الطُّموحَ بمثابةِ واقعٍ قابلٍ للتحقيقِ، فعندما يكونُ لديَّ حُلمٌ بكتابةِ كتابٍ ما، سرعانَ ما تراني أبدأ بتنفيذِ الحُلمِ، لأنَّ أيَّ حُلمٍ يمكنُ تحقيقُهُ عندما نسعى إلى تحقيقِهِ بكلِّ ما هو مُتاحٌ لنا، شريطةَ أنْ يكونَ تنفيذُهُ قابلاً للتحقيقِ فأيَّةُ فكرةٍ حُلميّةٍ حَولَ كتابةِ كتابٍ ما قابلةٌ للتحقيقِ، أضعُ لها كلَّ الظُّروفِ الَّتي تساوي كتابةَ هذا الكتابِ!

12. مَن ترشّحُ أنْ يكونَ ضيفاً في عددٍ قادمٍ مِنْ مجلَّةِ مدارات الثقافية (لا ينشر في المجلّة)؟

أرشّحُ الشَّاعرَ السُّوريَّ المبدعَ القسَّ جوزيف إيليّا لِمَا لَهُ مِنْ تجربةٍ مُهمّةٍ في كتابةِ قصيدةِ الوزنِ والتَّفعيلةِ، ولِما في فضاءَاتَهِ مِنْ عُمقٍ فكريٍّ وأدبيٍّ وتنويريٍّ خلّاقٍ.

أجرى الحوار الشّاعر المغربي الحسن الكافَح

مع صبري يوسف

رئيس تحرير مجلّة السَّلام الدَّوليّة



حوار مع الفنَّانة التَّشكيليّة الكورديّة هيهات حاجو عبّاس

2

أجرى الحوار صبري يوسف



الفنّانة التَّشكيليّة هيهات حاجو عبّاس ابنةُ كردستان، وُلِدَتْ في قريةِ نصران المنسيّةِ على ضفافِ نهرِ سويلاخ، قبلَ أنْ تبدأَ رحلةَ التّرحالِ في هذا العالمِ. درسَتْ فترةً الهندسةَ في جامعةِ دمشقَ وتزوَّجَتْ هناكَ، قبلَ أنْ يهيمِنَ على عوالمِ المدينةِ شبحُ الأحزانِ المميتةِ. ثمَّ رحلَتْ إلى ربوعِ أميريكا ودرَسَتِ الرِّياضيَّات في جامعاتِ تكساس، قبلَ أنْ تنتقلَ إلى أريزونا وتبدأَ برسالةِ الماجستير لكنّها لم تستكملها. ودرَّسَتْ في مدارسِ أريزونا وهيوستن، كما درَّسَتْ فترةً في جامعة توسان، قبلَ أنْ تضطَّرَ إلى التّرحالِ عبرَ القارَّاتِ مرَّةً أخرى. تنقَّلَتْ بينَ ألمانيا وأريزونا، لتستقرَّ في النّهايةِ في ألمانيا، بَعدَ أنْ مُنِحَتْ فرصةَ الدِّفاعِ عَنِ الحقِّ في سوريا والعراق وكردستان مَعَ قوَّاتِ التَحالفِ لفترةٍ. فنّانةٌ كرديّةٌ أمريكيّةٌ تعلَّمَتْ وتمرَّسَتْ على أنْ تتقبَّلَ أنَّ هذهِ الأرضَ هي بيتُها وقوانينَ الإنسانيّةِ هي عاداتُها وتقاليدُها. تجنحُ نحوَ رحابِ الحرّيّةِ والسَّلامِ رغمَ الحروبِ والآلامِ والهجرةِ. تعشقُ الجمالَ والوئامَ بينَ البشرِ، وتقولُ رأيَها مِنْ دونِ قيودٍ وتصرخُ في وجهِ الظُّلمِ مِنْ خِلال ألوانِها ولوحاتِها. تعملُ حاليًّاً في تدريس الرِّياضيات في مدارس الإنترناشيونال، وتعتكفُ في عوالمِ الفنِّ والألوانِ خلالَ أوقاتِ فراغِها واستراحاتِها كي ترسمَ لوحاتٍ مِنْ وحي تجلّياتِ بوحِ الخيالِ.

1. ما الَّذي قادَكِ إلى فضاءَاتِ الرَّسمِ والفَّن واللَّونِ والتَّشكيلِ الفنّي؟!

منذ حوالي 15 عامًا، كسرت قدمي أثناء التزلج على الثلج. علقت على أثرها في المنزل، غير قادرة على التحرك والخروج، قررت أن أحضر الطبيعة إلى الداخل من خلال الرسم. رغم أنني عملت في مشاريع فنية من قبل، لكن هذه كانت المرة الأولى التي أبدأ فيها الرسم على القماش. والمثير للدهشة أن كسر قدمي أصبح نعمة. بمجرد أن بدأت الرسم، أدركت أنني لن أستطيع أن أترك هذه المتعة أن تطمر ثانية. اكتشافها كانت فرحة لا تزال تمدني براحة نفسية.

2. ماذا تعني لكِ الطُّفولةُ، هَلْ كانَ لها تأثيرٌ في عوالمِ الرَّسمِ، كيفَ تستوحينَ مِنها آفاقَكِ الفنّيّة؟!

نشأتي بين قامشلو وقريتي الصغيرة نصران، ومشاهد المساحات الواسعة للأراضي الجميلة والتي تعكس الفصول الأربعة المتميزة، لم يسعني إلا أن أقدر الطبيعة. الاستيقاظ في صباحات أيام الإجازة في نصران والنظر إلى الأراضي الشاسعة الفارغة الممتدة حتى جبال باكوك، أعطتني شعوراً بالحرية، رغم التحديات التي واجهتنا، ولا زلت أحمل هذا الشعور معي، كثيرا ما تطفو حتى عندما أرسم.

3. ماذا تعني لكِ المفرداتُ والمَفاهيم التَّالية: اللَّونُ، الرَّسمُ، القماشُ الأبيضُ، الخيالُ، الذِّكرياتُ؟!
عندما أقف أمام حامل اللوحة (ease) وأنظر إلى القماش الفارغ أمامي، أشعر بالحرية في خلق العالم الذي أرغب فيه – عالم ليس من الضروري أن يكون منطقيًا على الإطلاق ولا في أغلب الاحيان.

4. ما هي المشاعرُ الَّتي تنتابُكِ وأنتِ ترسُمينَ العملَ الفنِّي؟!
عندما أتراجع خطوات عن أعمالي لأتفحصهم، أشعر وكأنني أكتشف مشاعر مخفية. فأجده تحدٍ لمعرفة مدى قدرتي على نقل هذه المشاعر. نادرًا ما أشعر بالرضا التام، لكنني أنظر إلى كل قطعة على أنها محادثة مستمرة مع ذاتي الداخلية. لا أعتبر اللوحة منتهية أبدًا؛ أرى دائمًا أنه هناك شيء ما يمكن إعادة النظر فيه وتحسينه، تمامًا مثل حياتنا.

5. هَلْ ترسمينَ كروكيه مُعيّنة للوحةِ الَّتي ترسمينَها أمْ ترسمين أعمالك من خلال فكرة معشَّشة في الذهن؟!
أبدأ دائمًا بجزء من فكرة ما في رأسي، وعندما أرسم تتطور تلك الفكرة وتتوسع إلى أجزاء متعددة. كل قطعة تحمل معنى وبعض الأفكار بالنسبة لي، لكنها قد تعني شيئًا آخر تمامًا للآخرين.

6. كيفَ تبدأينَ برسمِ اللَّوحةِ، هَلْ ترسمينَها دُفعةً واحدةً أمْ على مَراحِلَ، كيفَ تولدُ عندَكِ اللَّوحةُ؟!
نادرًا ما أجد قطعة ما مطابقة تمامًا لما تصورته في المحاولة الأولى. أفضل أن أشاهد أعمالي من مسافة بعيدة عندما أنتهي منها ثم أعود إليها لاحقًا، قد تتغير تصوراتي ومشاعري مع الوقت وتتغير لوحتي معها. أحب أيضًا تصوير أعمالي، حيث إن رؤيتها على الشاشة توفر منظورًا مختلفًا. قد يتم أو لا يتم إجراء التغييرات بناءً على هذه الملاحظات.

7. مَنْ ينظرُ إلى لوحاتِكِ، يشعرُ أنَّ هناكَ غوصاً عميقاً في عوالمِ الطَّبيعةِ والزُّهورِ، كيفَ تستوحينَ فضاءَاتِ الطَّبيعةِ في أعمالِكِ الفنِّيّةِ؟!
نحن البشر جزء من هذا الكوكب، ولا يمكننا البقاء على قيد الحياة بدون الطبيعة. الطبيعة يمكنها أن تعيش بدوننا، لكننا لا نستطيع أن نعيش بدونها. أشعر بسلام داخلي عميق عندما أكون لوحدي في الطبيعة وأشهد نموها. إنه مصدر الإلهام والسلام بالنسبة لي.

8. لديكِ ترميزاتٌ في لوحاتِكِ، تقدِّمينَ عبرَها مَدلولاتٍ مُعيّنةً، كيفَ تولدُ لديكِ هذهِ التَّرميزاتُ؟!
لا أستطيع أن أرسم الحرية أو الألم أو العديد من القضايا الأخرى، بدون أن أقدم هذه الأفكار برمزا ما؛و يمكن الجميع تفسيره بنفس الطريقة. البومة تعني الذكاء في الغرب، لكنها تعني نذير شؤم في الشرق الأوسط،

ولكن القفص يعني السجن للجميع. لذا فإن رمزيتي هي انعكاس لأفكاري ومشاعري وخلفيتي الثقافية، ولكن اتمنى ان يفهمها الآخرين بطريقتهم ايضا.

9. لديكِ الكثيرُ مِنْ الأعمالِ الفنّيّةِ التَّجريديّةِ، وفيها توشيحاتٌ انطباعيّةٌ متعانقةٌ مَعَ الطَّبيعةِ. كيفَ تموسقينَ هذهِ التَّوليفةَ ما بينَ فضاءِ التّجريدِ والطّبيعةِ بتوشيحاتٍ انطباعيّةٍ رهيفةٍ؟!

الإبداع بالنسبة لي هو التفكير "خارج الصندوق". أسعى جاهداً لإنشاء قطع تعكس أفكارنا وآمالنا وأحلامنا دون التقيد بالواقع. فمثلاً امرأة تلبس البحر ثوباً غير ممكن في الواقع، لكن لماذا أقتصر عملي على الممكن؟ يمكن أن تكون الحياة قاسية، وفي بعض الأحيان يكون من الجيد الهروب من حدودها.

10. هناكَ حضورٌ في العديدِ مِنْ أعمالِكِ للإنسانِ، والمرأةُ لها حضورٌ كبيرٌ في أعمالِكِ، ماذا تُريدينَ أنْ تقولي مِنْ خلالِ تركيزِكِ على المرأةِ عَبرَ لوحاتِكِ؟!

كما ذكرت سابقًا، أرى أن المرأة تشبه الأرض (mother earth)، فهي تمنح الحياة والرعاية. تتمتع النساء، مثل الرجال، بالجمال، لكنهن يمتلكن حساسية ومرونة أكثر. تستكشف العديد من أعمالي هذه الصفات الثلاث: المرونة والحساسية، والجمال.

11. هناكَ أكثرُ مِنْ لوحةٍ، ترسُمينَ فيها المرأةَ وكأنَّها جزءٌ مِنَ الطَّبيعةِ، مُتعانقةً مَعَ عوالمِ الأزاهيرِ، ماذا تقصدينَ بهذا الدَّمجِ ما بينَ المرأةِ والطَّبيعةِ وتبدو في اللَّوحةِ كأنّها جزءٌ مُنبعثٌ مِنْ عوالمِ الطّبيعةِ؟!

رؤية برعم زهرة مفتوحاً يشبه رؤية ولادة طفل.الأرض، مثل المرأة التي تعطي الحياة للعديد من الأطفال، وترعاهم. ولهذا السبب تتشابك العديد من الشخصيات النسائية مع الطبيعة في عملي. ربما يجب أن أخصص بعضًا من وقتي لعرض قوة الرجال أيضًا. أعتقد أنني أنثوية(feminist) في القلب.

12. لديكِ لوحةٌ لامرأةٍ مُتعانقةٍ مَعَ اليابسةِ والبحرِ، فجاءَ رأسُها مِنْ فضاءِ اليابسةِ وجسمُها ممتدٌّ في عوالمِ البحرِ، ماذا تقصدينَ بهذا التَّعانقِ عبرَ هذهِ التَّرميزاتِ، فقد وُلدَتِ اللَّوحةُ بطريقةٍ مُعبِّرةٍ وجميلةٍ للغايةِ؟

أترك الأمر للمشاهدين لتفسيره.

13. تجنحُ لوحاتُكِ نحوَ فضاءِ السَّلامِ والوئامِ والصَّفاءِ، حيثُ نجدُ في فضاءَاتِها حمائمَ السَّلامِ وألوانَ الرَّبيعِ والزُّهورِ، ما مَردُّ هذا الجموحِ نحوَ هذهِ الفضاءَاتِ الوئاميّةِ بكلِّ هذا التَّناغمِ اللَّونيِّ البهيجِ؟!

ما الذي نبحث عنه جميعًا؟ أليس هو السلام؟ السلام الخارجي أو الداخلي! الحياة يمكن أن تكون قاسية، لذلك دعونا على الأقل نهرب إلى مساحةنحس فيه بعضا من السلام، حتى لو كان ذلك على القماش فقط.

14. تمتدُّ المُروجُ في إحدى لوحاتِكِ في فضاءٍ فسيحٍ، وفي مُقدّمةِ اللَّوحةِ تزهو الأزاهيرُ في جوٍّ ربيعيٍّ خلَّابٍ، وفي عُمقِ اللَّوحةِ مِنَ اليسارِ نجدُ بعضَ البيوتِ الطِّينيّةِ في فضاءِ الرِّيفِ، وشجرةً شامخةً، وبعدَها سلسلةً مِنَ الجبالِ، تومضُ السَّماءُ في أعلى اللّوحةِ بهاءً، كيفَ انبثقتْ هذهِ اللَّوحةُ بهذهِ الشَّاعريّةِ الرُّومانسيّةِ؟

عندما تعيش في مكان تشعر فيه أن قدميك تنموان كجذور في الأرض، وتتصل بفضائها وسماءها، فإنها تنمو بداخلك بشكل طبيعي كلما نمت. كان نصران مكاناً هادئاً تنام فيه العائلات وتستمع إلى صوت المياه المتدفقة القادمة من مكان ما خارج الحدود، مياه الجبال الشمالية التي تحدثك عن تاريخ عميق، وارضا كانت تفوح منها رائحة الحياة، أرضا يتكلم عن ماضي الأجداد. فعندما يفقد الشخص كل ذلك، يحاول أن يبقيه حيًا في أعماق وعيه. أميل إلى ترجمة هذه بضربات فرشاة قليلة على لوحة قماشية صغيرة.

15. ترقصُ مجموعةٌ مِنَ النِّساءِ بلباسِهم الكرديِّ الجميلِ حولَ ألسنةِ النِّيرانِ في عيدِ نيروز وعيدِ الحُبِّ والحرّيةِ ومواسمِ الحصادِ الوفيرةِ، ماذا تهدفينَ مِنْ رسمِ تناغُمِ ألسنةِ النِّيرانِ مَعَ الأزاهيرِ ومَعَ رقصِ النِّساءِ؟!

ماذا يمكن أن يكون الأجمل من نوروز، أول أيام الربيع؟ إنه اليوم الذي تبدأ الأرض الام فيه بدورة حياة جديدة. اليوم الذي ينسى فيه الناس الأيام السوداء وتظهر ابتساماتهم كزهور الربيع. إنه يوم للاحتفال بانتصار الخير على الشر، وهو اليوم الذي تصبح فيه الحرية التي طال انتظارها ممكنة. تمثل النار التي ترمز إلى انتصار الشمس على الظلام، إلى حب الشعب الكردي الدائم للموسيقى والرقص والألوان والحرية.

16. في إحدى لوحاتِكِ، حمامةٌ تحلّقُ فوقَ المروجِ والسَّواقي، وإلى يسارِ اللَّوحةِ قفصٌ فيهِ طائرٌ، ما هي الرُّموزُ الَّتي تقدّمينها عبرَ هذهِ اللَّوحةِ وسطَ طبيعةٍ خلّابةٍ؟!

هناك قصيدة أعجبتني كثيراً للشاعرة الأمريكية الأفريقية الشهيرة مايا أنجيلو، عن الطيور الحرة والطيور الحبيسة، هذه اللوحة إهداء لتلك القصيدة. عادةً ما أكتب قصائدي الخاصة لكل قطعة، لكن هذه القصيدة مستوحاة من كلمات شخص آخر.

17. ماذا تعني لكِ المشاركةُ في المعارضِ، وما هي المعارضُ الَّتي شاركْتِ فيها وأهمُّ هذهِ المعارضِ؟!

أريد أن يرى الناس اعمالي ويستمتعوا به، وأرحب بكل فرصة للمعارض. أعرض أعمالي في جميع أنحاء ألمانيا، وخاصة في ولاية هيسن. أتعاون مع مجموعتين ألمانيتين تقيمان معارض في مدن مختلفة. لقد شاركت في أكثر من 20 معرضًا جماعيًا.

18. درَسْتِ الرِّياضيَّاتَ في جامعةِ تكساس، وعملْتِ في مدارسَ أريزونا وهيوستن وفي جامعةِ توسان، ماذا قدّمَتْ لكِ هذهِ التَّجربةُ الدِّراسيَّةُ والتَّدريسيّةُ في مَجالِ الفنِّ والرَّسمِ والإبداعِ؟!

دراستي في العلوم وتحديداً الهندسة والرياضيات. ولكن إذا كان الشخص يستطيع استكشاف مجالات متعددة، فلماذا لا؟ أعتبر نفسي معلمة رياضيات ناجحة، حيث حصلت على العديد من الجوائز لعملي في هذا المجال، إلا أن الفن هو شغفي الشخصي. بينما أحب تدريس الرياضيات، فإنني أعتز أيضًا بالعودة إلى فني في نهاية اليوم.

19. متى بدأْتِ الرَّسمَ، وكيفَ كانَ أسلوبُكِ في بدايةِ مشوارِكِ الفنِّي، وكيفَ تطوَّرَتْ أساليبُكِ الفنِّيّةُ؟!

بدأت رحلتي الفنية في مرحلة لاحقة من حياتي، ولا أزال أكتشف وأتعلم أفكارًا جديدة. آمل أن أستمر في التعلم والتوصل إلى مفاهيم جديدة دون توقف.

20. تُدرّسينَ الرّياضياتَ في مدارسِ الإنترناشيونال في الوقتِ الرّاهنِ وترسُمينَ في أوقاتِ فَراغِكِ، هَلْ يَمْنَحُكِ الرَّسمُ في فترةِ استراحتِكِ وكأنَّكِ في حالةِ استجمامٍ ورحلةٍ ترفيهيّةٍ في عَالمِ الرَّاحةِ والمُتعةِ الفنّيةِ؟!

التدريس وتعلم الرياضيات أمرٌ صعب ويتطلب جهدًا عقليًا، لذلك الفن والرسم يساهمان في تسهيل مصاعب اليوم. على الرغم من أن فكرة أن الجانب الأيسر من الدماغ يتعامل مع المنطق والعلوم بينما الجانب الأيمن مخصص للفن والموسيقى هي فكرة خرافية، إلا أنني أحب أن أؤمن بها وأعتقد أنني أستطيع استخدام كلا الجانبين من عقلي.

21. لديكِ توجُّهاتٌ في رفعِ رايةِ السَّلامِ والوئامِ، كيفَ تعكسينَ هذهِ الرُّؤيةَ عبرَ أعمالِكِ الفنّيةِ؟!

كل واحد منا يشعر بالألم عندما يرى الألم في العالم. باستثناء القليل من الأشرار، نحن جميعًا نرغب في السلام. إن مشاهدة معاناة طفل يقتل الفرح في قلوبنا ويجلب الذنب إلى انفسنا. آمل أن يتمكن عملي من التغلب على هذا الألم وربما تنوير يوم شخص ما ولو للحظة قصيرة.

22. بِمَنْ تأثَّرْتِ مِنَ الفنَّانينِ أو الفنَّاناتِ، وهَلْ ما تزالينَ متأثرةً بأساليبِهم أمْ لديكِ أسلوبُكِ الخاصُّ بِكِ؟!

أتأثر بالعديد من الفنانين المحليين والعالميين. مونيه هو أحد المفضلين لدي، وضربات فرشاة فان جوخ ملهمة، ولكن أيضًا جمال الشخصيات الواقعية في الفن الكلاسيكي جذاب. لذلك، بينما أسعى للتعلم من الكثيرين، أعتقد أنني طورت أسلوبي الفريد.

23. لِمَنْ ترسُمينَ؟ هَلْ ترسُمين لمُتعةٍ خاصّة، للمتلقّي، أمْ لديكِ أهدافٌ أخرى، ما هوَ هَدفُكِ مِنْ الرَّسمِ؟!

أرسم لنفسي أولاً ثم للآخرين. إذا لم أتمكن من تحقيق الرضا لذاتي في عملي، فلن أتمكن من إسعاد الآخرين

به. إذا لم تجد القطعة صدى معي، فلن يكون لها صدى لدى الآخرين. ومع ذلك، فإنه لمن دواعي سروري أن أرى شخصًا يستمتع بعملي.

24. ما هي أدواتُ وموادُّ وألوانُ الرَّسمِ المفضلَّة لديكِ؟!

أستخدم في المقام الأول طلاء الأكريليك على القماش، ولكنني أرسم أيضًا على الزجاج وأستخدم الوسائط المختلطة، مثل الرمل. يعد صب الأكريليك أحد التقنيات المفضلة لدي، والتي أدمجها مع طرق الرسم التقليدية.

25. عِشتِ فترةً طويلةً ما بين أميريكا وألمانيا، وفي الوطنِ الأمِّ، هَلْ للمكانِ تأثيرٌ على اللَّوحاتِ؟!

يعلمنا السفر الثقافات الأخرى والمناظر الطبيعية المختلفة، ويعمق معرفتنا بأنفسنا. إن العيش في ثقافات مختلفة وتعلم لغات جديدة يغيرنا. لقد أثرت 42 عامًا من العيش في أماكن مختلفة خارج مسقط رأسي على حياتي، وآمل إنها جعلتني شخصًا أفضل وأكثر انفتاحًا.

26. هيهات حاجو عبّاس، هَلْ أنتِ مدرّسة رياضيات، أم باحثة، ناشطة في حقوقِ الإنسانِ، فنّانة تشكيليّة؟!كيفَ توائمينَ بينَ هذهِ النّشاطاتِ والأعمالِ الفنّيّةِ والتَّدريسيّةِ الَّتي تقومينَ فيها؟

كما ذكرنا سابقًا، أتمنى أن أجسد القليل من كل شيء، والأهم من ذلك أنني أطمح لأن أكون ناشطة في مجال حقوق الإنسان قبل كل شيء.

27. كيفَ ترينَ دورَ الكاتبِ والشَّاعرِ والمفكّرِ والباحثِ والفنَّانِ في ترويجِ ثقافةِ السَّلامِ والتَّنويرِ في العالمِ؟!

في دولة ديمقراطية، يقوم الكتاب والفلاسفة والعلماء بتشكيل وتحسين عقول الناس، ولسوء الحظ، فإن السلطات وقوانينها غالبا ما يشكلون تفكير الناس وحياتهم. إن الحكومات العنصرية تولد أفراداً عنصريين، وفي مثل تلك البيئة تفقد الكتب والفنون قيمتها.

28. ما رأيُكُ بالجوائزِ وشهاداتِ التَّقديرِ الَّتي تُمنحُ للفنَّانينَ والفنَّاناتِ مِنْ خلالِ تقديمِ معارضِهم الفنَّيةِ؟! وهَلْ أخذَ الفنَّانونَ والفنَّاناتِ حقوقَهم أمْ هناكَ تقصيرٌ كبيرٌ مِنْ جانبِ المؤسّساتِ المهتمّةِ بالفنِّ والثَّقافةِ؟!

كمدرسة، درست تأثير الجوائز على الطلاب والناس بشكل عام، واعرف اننا كلنا نستمتع بشكل طبيعي بالاستحسان. كثيرًا ما أستخدم الملصقات ذات الوجوه السعيدة أو غيرها من الصور اللطيفة لمكافأة الطلاب على برمزا. ومع ذلك، فإن منح الجوائز للأفراد غير المستحقين يخدعهم ويخدع الآخرين، لذلك يجب أن تحتفظ الجوائز بقيمتها من خلال منحها للشخص المناسب وللأسباب الصحيحة.

29. ما رأيُكِ لو تمَّ إلغاءُ وإغلاقُ معاملِ السِّلاحِ في العالمِ، والوقوفُ ضدَّ صُنَّاعِ الحروبِ والفكرِ القائمِ على الصِّراعاتِ، ومُعاقبةُ كلِّ مَنْ يقفُ ضدَّ السَّلامِ، لتحقيقِ السَّلامِ بقوّةِ القانونِ العالمي، وذلكَ بمحاسبةِ الجَانحينَ نحوَ الحُروبِ ودَمارِ الأوطانِ؟!

سيكون الحلم حقيقة. ولهذا السبب أهرب الآن إلى عالم القماش الخاص بي، حيث لا يوجد سوى السلام.

30. ما رأيُكِ لو تمَّ إعدادُ لجنةٍ فنّيّةٍ تختارُ ألفَ فنّانٍ وفنّانةٍ تشكيليَّةٍ مِنْ دُنيا الشَّرقِ والمُقيمينَ في الغربِ وكلَّ مُبدعٍ ومُبدعةٍ يشتركُ بعملٍ حولَ السَّلامِ، فنحصلُ على ألفِ عملٍ فنّيّ، ونقدّمُ مَعرِضاً متجوّلاً في عواصمِ الشَّرقِ والغربِ، ونقولُ للعالمِ نحنُ هنا نقدّمُ أرقى تجلّياتِ الإبداعِ الفنّي الَّذي يُعانقُ أجنحةَ السَّلامِ والوئامِ مَعَ البشرِ كلِّ البشرِ في كلِّ بقاعِ الدُّنيا؟!

إنها فكرة جميلة، وأود أن أكون جزءًا منها. يرجى إعلامي عند البدء.

ستوكهولم: نيسان (أبريل) 2024

صبري يوسف

أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم

بعض لوحات الفنَّانة التَّشكيليّة هيهات حاجو عبَّاس










Heyhat


Heyhat


Heyhat
12.21










Feyhal



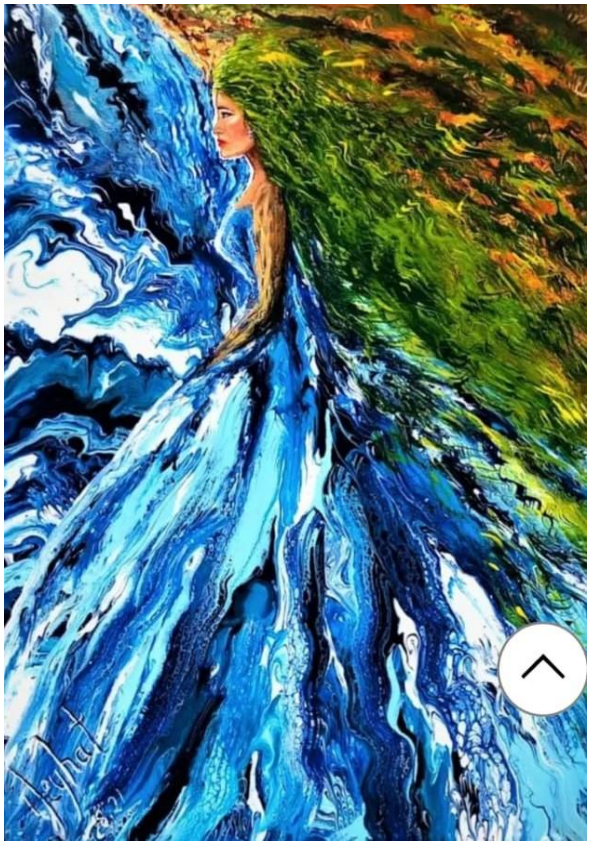





الكاتبة والشَّاعرة السُّوريّة وفاء الخطيب

رؤية أدبية مجنّحة في فضاء الشِّعر والقصّة وأدب الحوار

3

أجرى الحوار صبري يوسف – ستوكهولم،

وفاء الخطيب كاتبة وشاعرة سوريّة تُقيمُ في الإمارات، وقَدْ حصلَتْ على الإقامةِ الذَّهبيّةِ في دبي، خرّيجة كلّيّة الحقوق مِنْ جامعةِ دمشق. أصدرَتْ أربعةَ إصداراتٍ في الحوارِ والقصّةِ القصيرةِ والشِّعرِ، وإصداراً خامساً أصدرَتْهُ الكترونيّاً، ولديها العديدُ مِنَ المَقالاتِ والحواراتِ والتَّحقيقاتِ والنُّصوصِ الأدبيّةِ المُتعانقةِ مَعَ فضاءِ الخواطرِ.

فازَتْ بالمرتبةِ الأولى في جائزةِ المزرعةِ الأدبيّةِ، دورة حنّا مينة، لعام 2008. وعملَتْ في مجلَّةِ الرَّافدِ في دائرةِ الثَّقافةِ والإعلامِ في حكومةِ الشّارقةِ، دولةِ الإماراتِ العربيّة المتّحدة، بصفةِ مُحرّرةٍ ومدقّقةٍ لُغويّةٍ ثمَّ مراسلةٍ للمجلّةِ في سوريا، ولها اهتمامٌ كبيرٌ في أدبِ الحوارِ، وقَدْ حاورَتْ كلّاً مِنَ الدُّكتور طيّب تيزيني، والدُّكتور مُحمّد شحرور، والفنّانة فاديا خطّاب، نقيب الفنَّانين السُّوريّين، والأستاذ جهاد مفلح مدير فرقة إنانا، وحاورتْ أدونيس حواراً موسَّعاً وأصدرَتْ حوارَها معَهُ في كتابٍ خاص حملَ عنوان: "خطوة نحوَ أدونيس"، عَنْ دارِ رسلان للنشرِ في سوريا عام 2013.

تنشرُ كتاباتِها في المجلَّاتِ والصُّحفِ الإماراتيّةِ، "مجلّة الرَّافد، ومجلَّة كل الأسرة، وصحيفة الخليج، وفي ملحق الكتب في صحيفة البيان، وفي المجلَّات السُّوريّة، "مُجلّة المعرفة، والموقف الأدبي، والمعلّم العربي، وفي صحيفة الملحق الثَّقافي في جريدة الثَّورة، والأسبوع الأدبي، وفي مجلّةِ فكر في لبنان، وغيرها مِنَ الصُّحفِ والمجلَّاتِ. تواصلْتُ معها واطلعْتُ على تجربتِها الأدبيّةِ واقترحْتُ عليها إجراء هذا الحوار معَها فوافقَتْ برحابةِ صدرٍ وَوُلِدَ الحوارُ التَّالي:

1. حبذا لو تتحدّثينَ عَنِ البيئةِ الّتي ترعرعْتِ فيها، وما هو دورُها وتأثيرُها على آفاقِ الكتابةِ لديكِ؟!

عشت في بيئة وسطية كانت صدى لكثير من التّناقضات والتَّغيُّرات المتعاقبة، فلَمْ تكُنِ الحالة الثَّقافيّة المزدهرة نوعاً ما، الّتي نشأ عليها جيلنا عبر المدرسة والكتب والمجلّات المتداولة في الرّبع الأخير من القرن العشرين متطابقة مع الواقع المكبَّل بقيود الأعراف الاجتماعيّة، والتَّشريعات الجائرة، الّتي تعايشنا معها مُكرهين وخائفين من رفضها أو حتّى انتقادها، لا سيّما نحن النِّساء اللّاتي عانينَ من قهر ازدواجيّة المعايير الأسريّة والاجتماعيّة المكرّسة لذكوريّة ظالمة، لذا شكَّلت لي حواجز هذه الظَّواهر مادَّة مُثيرة للبحث والتَّعبير، وقد ساعدتني القراءة على تحصين ذاتي من تسلُّط الوصايا المكبِّلة، فاستطعت ما أمكن أن أحافظ على حرِّية واستقلاليّة أفكاري، ما ساعدني ولو بصعوبة على تحقيق بعض ما كنت أصبو إليه.

2. ما الَّذي قادَكِ إلى فضاءِ الكتابةِ إلى درجةِ الحرفيّةِ، وماذا تعني لكِ الكتابة مِنْ منظورِكِ الخاص؟!

لا أعتقد أنَّ الكاتب يقرّر إن كان سيحترف الكتابة أم لا، بل إنَّ جداول حاجته إلى الكتابة تنساب بطيئة مع اكتمال شروطها الذَّاتيّة والبيئيّة حتّى تصبح نهراً يبحث لنفسه عن مجرى وعن روافد تسعفه وتذكي شعوره.

بالنّسبة إليّ دفعني إدراكي بوطأة واقعي الصَّعب إلى ترجمة شعوري بما يجري حولي من وقائع أسريّة واجتماعيّة وسياسيّة، فرحتُ أستقصي وأربط بين أسبابها ونتائجها، وهكذا بدأت أعبّر بالأدب حيناً وبالحوار حيناً آخر، عن مواقفي من القضايا المجتمعيّة بخلفيَّاتها السِّياسيّة وعلاقتها بالتُّراثِ، وكانت مسألة المرأة هي القضيّة المحوريّة الّتي شغلتني نظراً لمعاناتنا الشَّديدةِ نحن النِّساء، لا سيّما بعدَ مظاهر التَّشدُّد القاهرة لنا.

3. ماذا تعني لكِ القصيدةُ، وأيُّهما أقربُ إليكِ: القصيدةُ أمِ القصّةُ، أمْ أنَّ لكلٍّ مِنهما انجذابَهُ الخاصُّ؟!

القصيدة هي نبض الوجدان وغيوم العواطف المنتشية حياة، تجلو في انهمارها عوالق القلوب، فيغدو العالم أكثر جمالاً وإشراقاً، قال الشَّاعر الكبير أدونيس على الشِّعر أن يقودَ العالم.

أمَّا القصّة فهي حكاية القلب الطّائرة بفضاءّاتها السَّرديّة الحالمة بالعدل والحبِّ والحرّيّة.

والمفاضلة ما بين القصيدة والقصّة باتت أقلَّ حِدَّةً مِمَّا كان عليه الأمر، إذ تداخلت الأجناس الأدبيّة فيما بينها، بل تعدَّى ذلك إلى مُمَاهاةٍ غيرِ مسبوقةٍ بين الأدب وبقيّة فروع العام.

4. كيفَ تكتبينَ عوالمَ القصّةِ، وما هي الدَّوافعُ الّتي تدفَعُكِ لكتابةِ القصّةِ؟!

تحتجب القصّة في الوجدان قمراً يعابث الغيم، تنير حدائق الذَّاكرة وكهوفها إلى أنْ تتولَّد طاقة الكتابة فيصبح القلم أو ال" الكيبورد" فضاءَها الأرحب.

5. الخاطرةِ مِنَ الأجناسِ الأدبيّة، الرّهيفةِ، تتقاطعُ فضاءَاتُها مَعَ إنسابيّةِ الشِّعرِ أحياناً، ومَعَ انبعاثاتِ بوحِ القصَّةِ، أحياناً أخرى، كيفَ تَنسُجينَ عوالمَ الخاطرةِ؟!

الخاطرة هي الطِّفلة الجميلة المشاكسة الَّتي علينا أن نلبّي طلبها متى وأنَّى وكيف شاءَت.

6. ما هو دورُ الخيالِ في الكتابةِ الأدبيّةِ، شعراً كانَ أو قصةً أو أي نوعٍ مِنَ الأنواعِ الأدبيَّةِ؟!

الخيال هو أجنحة الإبداع، به نسقي زهور أحلامنا، لنجني عسل تجاربنا. انفرد الإنسان بالخيال، فتخلَّدَتْ آدابه وفنونه بل وعلومه أيضاً.

7. أتوقَّفُ مَليَّاً عندَ أدبِ الحِوارِ، وقَدْ أجريتِ حواراً مُوسّعاً مَعَ أدونيس بعنوان: "خطوة نحو أدونيس"، وأصدرتِ الحوارَ عن دار رسلان للنشرِ في سوريا عام 2013، كيفَ سارَ الحوارُ مع أدونيس، وما هي أهمّ الآفاق الفكريّة والتَّنويريّة الّتي طرحَها عبرَ الحوارِ؟!

عملت مراسلة لمجلّة الرّافد الإماراتيّة في سوريا وقد حاورت عدداً من المثقَّفين فيها ومنهم أدونيس الَّذي قابلته عدَّة مرَّات في كلٍّ من دمشق واللَّاذقية وبيروت، إلى أن أنجزت كتاباً بحواراتي معه عام 2013 بعنوان " خطوة نحو أدونيس".

الّذي يميّز أدونيس هو تسامق الانسجام بين فكره وشعره، فهو يحلّق بشعلة حدسه وتهويماته الإبداعيّة فوق ضفاف المنطق، فتنبت للحكمة أجنحة، ويتشظَّى الشِّعر ويشرق ليضيء لنا ظلمة ذواتنا. شعر أدونيس الحصيف عزّز حضوره في كبريات المحافل الأدبيّة، وأنا سعيدة بأنَّني لازلت على تواصل معه.

8. أجريتِ حِواراً مَعَ المُفكّر طيّب تيزيني، ماذا استخلَصْتِ مِنْ خِلال حِوارِكِ مَعَ تيزيني كمفكّرٍ وفيلسوفٍ؟!

المرحوم طيّب تيزيني فيلسوف وأستاذ جامعي من الطِّراز الرَّفيع، أغنى المكتبة العربية بعشرات الكتب عبر مشروعه التَّنويري الَّذي ابتدأه بعنوان "من التُّراث إلى الثَّورة" لكن عينه الثاقبة وروحه الوطنية رصدتا مآلات التَّشدُّد الّتي شهدتها منطقتنا العربيّة، فكتب كتبه الأخيرة تحت عنوان جديد هو "من التراث إلى النَّهضة" وهكذا أهَّلته كتبه ومحاضراته لأن يتبوَّأ مركز الصَّدارة في المشهد الفكري السُّوري، سيَّما بين أوساط الطَّلبة الجامعيّين.

تم نشر حواري الأوَّل معه في مجلّة الرَّافد الإماراتيّة ، كما أجريتُ معه حواراً ثانياً قبيل وفاته في دمشق.

في بدايةِ الثَّورة السُّوريّة وعلى الرَّغم من تخالف موقفه حيالها مع الشَّاعر أدونيس، إلّا أنّه كتب بكلِّ حبٍّ مقدمة كتابي "خطوة نحو أدونيس"، وهذا يدلُّ على نبل وطنيّته وصدقها.

لا أنسى دموع التَّيزيني الّتي شاهدها الملايين حُزناً على جراح سوريا ومآلاتها ..

9. مِنْ خلالِ حوارِكِ مَعَ الدُّكتور والمفكّر محمَّد شحرور، أينَ تضعينَ مكانَتهُ بما يتعلَّقُ بالفكرِ التّنويري؟!

لو كان واقع منطقتنا العربيّة أكثر استقراراً في زمن محمَّد شحرور لازداد مريدوه وشكَّلوا ثقلاً فاعلاً في تجديد وإصلاح الخطاب الدِّيني، كما حصل في أوربا بزعامة "مارتن لوثر".

تكمن أهمّية شحرور في أنّه أحدث ثورة دينيّة ومعرفيّة غير مَسبوقة من داخل المؤسّسة الإسلاميّة، مبتعداً عن التَّأويل والتَّصنيف، إذ قرأ ودعى إلى قراءة معاصرة للنصّ الدِّيني تبعاً لمداركنا الحاليّة، وقال علينا أن نرتقي بقراءاتنا للكتب المقدّسة تبعاً لاتساع مداركنا الإنسانيّة، وقد صرَّح: "لا تقرؤوني بعدَ خمسين عاماً".

النُّقطة الهامّة الأخرى الَّتي تشجّعُ وبحث فيها شحرور هي مماهاتُهُ بين العلم وبين النَّصّ المقدَّس، لا سيّما بما يتعلَّق بروايات بداية الخلق، وقد استخدم لإثبات وجهة نظره أدوات مختلفة، إلى جانب غوصه الدَّؤوب

في جوهر اللُّغة والعودة إلى جذور كلماتها والبحث في استخدامها في كلٍّ من السَّرد البشري والكتب المقدّسة، فغيَّرَ بفطنةٍ عاليةٍ معاني كثير من الكلمات.
نُشِر حواري الأوّل مع شحرور في مجلّة فكر اللُّبنانية، وكنت قد التقيته في دمشق، لكن بعد انتقاله إلى دولة الإمارات حاورته عبر النِّت، وسوف يصدر كتاب ورقي في تلك الحوارات، مع أنَّ بعضاً منها نُشر عبر النَّت.

10. لِمَ لا تتبنّى التَّوجُّهاتُ الفكريّةُ والثَّقافيّةُ في العالمِ العربي والمشرقي أفكارَ المفكّرينَ أمثالَ أدونيس، طيّب تيزيني، محمّد شحرور، وغيرهم مِنَ المفكّرين والمفكّرات، لاستنهاضِ الواقعِ العربيّ نحوَ الأفضلِ والأمثلِ؟

للأسف لا تتبنى التَّوجُّهات الفكريّة والثَّقافيّة العربيّة أفكار المثقَّفين في معظم الدُّول العربيّة، على الرَّغم من حضورهم اللَّافت على السَّاحة الثَّقافيّة العالميّة، هؤلاء كان يمكن أن يساندوا الشُّعوب العربيّة في الخروج من عنق الزُّجاجة لو أنَّ السُّلطات وظَّفت مشاريعهم الفكريّة الهامّة في مراكز دراسات قادرة على قيادة دولنا إلى برّ الامان، لكن عوضاً عن ذلك لاحقت هؤلاء المثقَّفين ونكَّلت بهم اعتقالاً ونفياً، نظراً لما تتسبَّب فيه أفكارهم من زعزعة ولاء الشُّعوب الَّتي تمَّ تجهيلها من أجل الحفاظ على ولائها المطلق لها، بل وغضَّت السُّلطات الطَّرْف عن حملات التَّكفير الَّتي طالت بعض المفكّرين إلى درجة الاغتيال والتَّطليق بتطبيق الحسبة كما رأينا.

11. ما رأيُكِ في أدبِ الحوارِ، هَلْ توافقينني الرّأيَ أنَّ أدبَ الحوارِ مِنْ أهمِّ الآدابِ الّتي يجبُ التَّركيزُ عليها؟

الحوار هو بلسم الاختلاف، وحديقة الفكر، الَّتي يتدفَّق فيها السُّؤال ليروي زهور العقل وبذوره المتجدّدة، جامعاً شتات فروع المعرفة لإحراز هدف إنساني أسمى، ومرمّماً لتصدُّعات العلاقات الإنسانيّة ومفارقاتها. وفي الأدبِ يفيضُ الحوارُ بالعواطف والأحلام لترتقي الأرواح وتلتقي.

12. أصدرتِ مجموعتَكِ القصصيّةَ "قبّعةُ الإخفاء"، عن دار ليندا للنشر عام 2013، وكانَ للمرأةِ حضورٌ في مضامينِ ومتونِ هذهِ القصصِ، تحدَّثي عَن أهمِّ الأفكارِ الَّتي أحبَبتِ أنْ تطرحيها عبرَ هذهِ المجموعةِ؟

في مجموعتي القصصيّة "قبَّعة الإخفاء" حاولت أن أنير ما تخفيه مجتمعاتنا تحت قبّعات إخفائها من فرح محرّم لكنّه حاضر أبداً، ومن أفكار وعلاقات وأمراض تنكرها بعصبيّة وإصرار ذرَّاً للرماد في العيون.
في المجموعة حضر الوطن صديقاً جريحاً، وحضرت المرأة كنزاً محجَّباً، وحضر اليتيم والضّعيف جمراً تحت الرَّماد، كما رسم الحب في المجموعة أقواس قزح تأرجحت فيها أحلام طفوليّة.

13. وأصدرتِ في عامِ 2015 مجموعة شعريّة بعنوان: "لها" عن اتّحادِ الكتّابِ العربِ، ما هي أهمُّ المحاورِ والأفكارِ الّتي طرحتِها عبرَ فضاءَاتِ هذا الدّيوانِ؟!

القصائد النَّثريّة في ديوان "لها" تسبح في فضاءات أنثويّة شفيفة، عن حبٍّ وعطاءات وآمال موجعة في حيرتها ومآلاتها، عنيدة في منعتها لأنَّ الأنثى هي الأصل كما كتبت نوال السَّعداوي، لهذا حضرت في الدّيوان نساء رائدات ملأ الإحساس بالظُّلم قلوبهن الكبيرة، أمثال ليليت وزنوبيا وحتشبسوت وكيليوباترا وشجرة الدُّرّ، وكذلك حضرت مدن عريقة كدمشق وبيروت ومعلولا، وهي تلوح لنا باكية كي نعيد ألقها وأبناءها.

14. ثمَّ أصدرتِ ديواناً شعريَّاً بعنوان: عودة إنانا إلى أوروك"، وقد تمَّ نشرُهُ الكترونيَّاً على صفحاتِ مجلّةِ الرّافدِ الصَّادرة عَنْ مديريَةِ الثَّقافةِ والإعلامِ في الشّارقة، حبذا لو تتحدّثينَ عَن فضاءَاتِ هذا الدّيوان؟!

لقد انفرد الرّجل ببناء حضارتنا الإنسانيّة، لكنّه بالمقابل تسبب بكوارث وحروب شنيعة، لذا يبقى الإنسان متوجّساً من تكرار تلك المآسي كما يبقى قلقاً من تغوُّل العلم وفقدان السَّيطرة عليه.

تطرَّف الرَّجل هذا في الخير والشَّرّ تقابله وسطيّة أنثويّة غيَّبها الانقلاب الذّكوري الذي حرم المجتمعات من عطاء المرأة ومن توازنها أمام الصعاب بحكم عاطفتها تجاه أبنائها، لذا آثرت في كتابي "عودة إنانا إلى أوروك" إلقاء الضّوء على حقبة ناصعة من تاريخنا، حين كانت المرأة في مصافِ الآلهة، فقمت باستحضار إحدى آلهات الجمال والحكمة "إنانا" في مدينتها الحضاريّة "أوروك" على أمل خروج المرأة العربيّة من كهوف استعبادها، واستئنافها لأخذ دورها الطَّبيعي.

15. لديكِ تجربةُ الخوضِ في عوالمِ الرّوايةِ، وعوالمِ السَّردِ الرّوائي عالمٌ مفتوحٌ على الكثيرِ مِنَ المناحي والآفاقِ، ما الَّذي دفعَكِ كي تخوضي في فضاءِ السَّردِ الرّوائي؟!

الّذي حملني على تجربة الكتابة الرّوائيّة هو قدرة الرّواية على صهر جميع الأجناس الأدبيّة في سياق سردها ما يساعد الكاتب على الغوص في أعماق النَّفس البشريّة من جهة، ولقدرة الرّواية على خلق عالم موازٍ لعالمنا، من جهة أخرى. في الرّواية يحلّق الخيال بآمالنا ومظلوميتنا ولاوعينا، نحو عالم مشتهى أكثر ألفة وأمناً من عوالمنا الكالحة.

16. كيفَ تنسُجينَ عالمَكِ الرّوائي، مِمَّا تستوحينَ فضاءَاتِهِ، مِنَ الواقعِ أمْ مِنَ الخيالِ أمْ مِنْ كليهما معاً؟

عالمي الروائي أنسجه من واقعي، الَّذي سرعان ما تنبت له أجنحة، فيحلّق عالياً كي يرى ما لا أراه من الماضي والحاضر والمستقبل. البداية تكون إذاً من الواقع الَّذي نرفضه ونصبو إلى تغييره، وواقعنا يشكّل مادّة خصبة للأعمال الرّوائيّة لما نعيشه من مفارقات تنوس بين حياة ماورائية متخمة برموزها وتعليماتها الصَّارمة، وبين واقع يتجلَّى فيه العنف بأبشع صوره سيما تعنيف المستضعفين في ظلِّ قوانين عشائريّة جائرة وبغياب شبه تام لمفهوم المواطنة.

17. ما هي تقاطُعاتُ القصّةِ القصيرةِ مَعَ آفاقِ العملِ الرّوائي، وما الفرقُ بينهما، وهَلْ تُمهّدُ القصّةُ إلى بوّاباتِ العُبورِ في تداخُلاتِ الحِوارِ والسَّردِ الرّوائي؟!

القصّة القصيرة صورة ملتقطة بعناية فائقة لحدث ما عبر زمن محدَّد، أمّا الرّواية فهي نهر السَّرد العريض المرصَّع بروافد القصص، في حبكة فنّيّة تُشعر القارئ بضرورة مساهمته في حلِّ عقدة الرّواية، تمهيداً لحلّ ألغازِ الرّواية البشريّة.

18. ما رأيُكِ بالواقعِ الثّقافي العربي والمشرقي، هَلْ يواكبُ تطوُّراتِ العصرِ، أمْ أنَّهُ يُعاني مِنَ الكثيرِ مِنَ العثراتِ، كيفَ يمكنُنا استنهاضُ الواقعِ المشرقي والعربيّ مِمّا يعاني مِنهُ في هذهِ المساراتِ المتشابكةِ؟!

الواقع الثّقافي العربي والمشرقي مأزوم ومكبَّل بالتّابوهات الأيديولوجيّة والدّينيّة، الّتي تزداد حدَّةً وشراسةً في بعضِ البلادِ العربيّة والمشرقيّة الّتي كان بعضها منبراً للعلمانيّة كمصر وسوريا والعراق ولبنان وغيرها، حيث تراجعت البحوث المجتمعيّة وانكفأت الأسئلة على نفسها أمام أجوبة جاهزة ومبتورة للأسف، في غياب شبه تام للحرّيّة القادرة وحدها على منح السُّؤال المبدع جواز سفره.

في غياب الحرّيّة بقيت مشاريع المفكّرين الثّقافيّة تراوح بين نقد التُّراث، وبين تطويعه أولاً، دون أن تجرؤ على تجاوزه نحو عقل علمي كما في الغرب.

سيف الرّقابة هذا سُلّطَ أيضاً على الأدب الّذي لا يحلّق ولا يغتني إلّا بعوالم سحريّة وعجائبيّة حالمة منفلتة من جميع أشكال الإملاءات، وهذا ما لا توفّره بيئتنا العربيّة المشرقيّة، لذا تزايدت هجرة العقول المبدعة نحو الغرب، لا سيّما بعد ما عرف بالرّبيع العربي، لا بدَّ من تضافر جهود المثقّفين العرب مع المؤسَّسات الثّقافيّة الأهليّة بمساندة بعض المُموّلين من أجل استئناف الحياة الثّقافيّة الّتي ترقد حالياً في غرفة الإنعاش، وكلُّنا أملٌ في شعوب منطقتنا الّتي قدّمت للعالمِ أعظم الحضارات العالميّة.

19. هل يحقّقُ الإعلامُ العربي والمسموعُ والمقروءُ تطلُّعاتِ وطمُوحاتِ الإنسانِ العربي، أمْ أنَّهُ ما يزالُ يتخبّطُ تائهاً عَنِ الأهدافِ المنشودةِ، ولا يتمكّنُ مِن تقديمِ العمقِ الثّقافي والفكري والأدبي على الوجهِ الأكملِ، ما هي برأيكِ الحلولُ والطُّرقُ النّاجعةُ لتقديمِ أرقى ما يحتاجُهُ الإنسانُ المشرقي والعربي؟!

الإعلام الرّسمي العربي بعيد كلَّ البُعد عن الحاجة المعرفيّة للإنسان العربي، واذا استثنينا دولتي الإمارات والسُّعوديّة اللّتين قطعتا أشواطاً كبيرةً ورائدة في انفتاحهما واستقطابهما واحتوائهما للعقول المبدعة، نجد أنَّ معظم الدُّول العربيّة في حالة جمود وتراجع ثقافي خطير ينبئ بالأسوأ، أظنُّ أنَّ الحاجة باتت ملحّة إلى افتتاح أندية ثقافيّة، إلى جانب زيادة عدد المواقع الثّقافية عبر النّت، من قبل أسماء ثقافيّة تتطوَّع لنشر الفكر والأدب، تجنُّباً للأسوأ، وهذا ما ألاحظه في مصر وكذلك في المغرب، أرجو أن تُفعَّلَ هذه التّجارب وتُعمَّم.

20. لماذا يتراجعُ دورُ المُبدعينَ والمبدعاتِ مِنْ شتّى التَّخصُّصاتِ على السَّاحةِ العربيّةِ، كيفَ يمكنُنا أنْ نفعِّلَ دورَهم، بحيثُ يقدِّمون أرقى ما لديهم لاستنهاضِ البلادِ نحوَ أرقى ما يمكنُ الوصولُ إليه، في شتّى المَجالاتِ الفكريّةِ والثّقافيّةِ الخلّاقةِ؟!

لا أظنُّ أنَّ دور المثقَّفين والمثقَّفات قد تراجع، فهم وعلى الرَّغم من كبح نشاطهم من قبل السُّلطات السِّياسيّة والدِّينيّة، لا يزالون يؤدُّون مهامهم ولهم مريدون كثر، لكن الجرأة الَّتي منحتها وسائل التَّواصل الاجتماعي لكافّة المستويات الثّقافيّة بتقديم أفكارها بحرّيّة، أدَّى إلى خلط أوراق الجميع فازدادت صعوبة الفرز، لكنَّنا نعلم أنَّ هذه الفوضى تتجدَّد مع كلِّ ظاهرة جديدة.

أنا أرى أنَّ لكلِّ جمهوره الخاص، والزَّمن كفيلٌ بتصنيفِ الغثِّ من السَّمينِ.

ستوكهولم: 12. 8. 2024

صبري يوسف

أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم

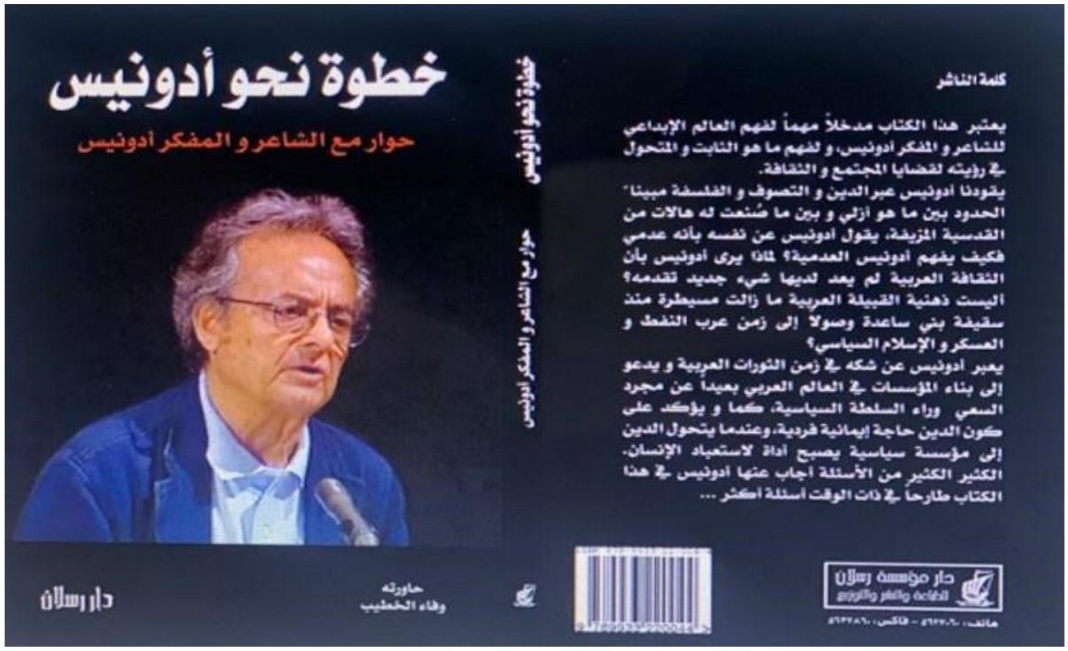

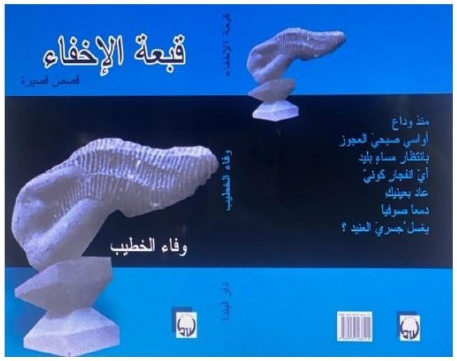

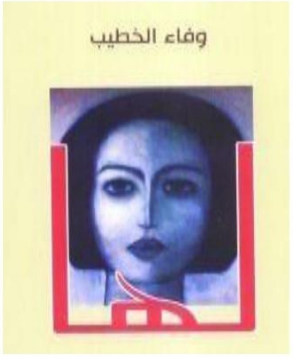







حرفُ الكاتبة السُّوريّة حوريّة الصَّفدي
موشومٌ بالسُّموّ وأصفى حبورِ التَّجلّي
4
حوار صبري يوسف – ستوكهولم،

الكاتبة السُّوريّة حوريّة الصَّفدي، كاتبةٌ مُرهِفةٌ في بناءِ حَرفٍ مَوشومٍ بالسُّموّ وأصفى حُبورِ التَّجلّي. تكتبُ كَمَنْ تشدو للجمالِ، للمشاعرِ الدَّفينةِ في أعماقِ الرُّوحِ، يهدهدُ حرفُها هُبوبَ نَسيمِ الصَّباحِ. تمتلكُ رؤيةً ساطعةً بالأملِ، هَلْ هذا الأملُ قادمٌ، هل سيتحقَّقُ أمْ أنَّهُ مجرَّدُ أملِ كاتبةٍ "محكومةٍ" بإشراقةِ الأملِ، في زمنِ الانكسارِ، وتفاقمِ لهيبِ النّارِ مِنْ أغلبِ الجهاتِ، فلا ترى أجدى مِنَ الحرفِ تناغيهِ كي تخفِّفَ عنها ضجرَ الحياةِ؟ أحبَبْتُ أنْ أُجريَ معَها هذا الحوار، فاستجابَتْ برحابةِ صدرٍ المشاركةَ في بوحِ هذا الحوارِ.

1. متى تكتبينَ، ماذا تعني لكِ الكتابة؟

الكتابةُ مرآةُ أرواحِنا عندما تتحجَّرُ الدَّمعةُ بالمقلِ، وشاحُ أرواحِنا عندما تحملُهُ النَّسماتُ الهاربةُ، وسادةُ نبضٍ اعتنقَ الصّراخَ صمتاً، استكانَ لمسافةِ الاستحالةِ بينَ الغيمةِ والثَّرى. أكتبُ عندما يغفو القمرُ على زندِ النَّجماتِ. أكتبُ أثناءَ صحوةِ الفجرِ على تراتيلِ الطُّيورِ فوقَ مُهودِ الأشجارِ. أكتبُ كلَّما حَنَّ السَّحابُ إلى حُضنِ السَّماءِ وعانقَ المَطرُ أزاهيرَ الصّباحِ. أكتبُ كلَّما طرقَتْ قطراتُ غيثٍ نافذةَ شجني، وعزفَتْ على إيقاعِ أجراسِ الكنائسِ. أكتبُ لحظةَ وداعِ الشَّمس عرينَ الأفُقِ وأرجوانِ المساءِ. أكتبُ كلَّما غفا حُلُمٌ على وجنةِ الألمِ، كُلَّما تهادَتْ أناملي على نصاعةِ صمْتِ الورقِ. كُلَّما هزَّني وجدٌ لعُرى السَّماءِ وقُبلةِ السَّلامِ.

2. أيُّهما أقربُ إليكِ في رِحابِ القراءَةِ، القصيدةُ أم القصّةُ، النَّصُّ الأدبي، أم فضاءَاتُ السَّردِ الرِّوائي؟!

في رحابِ القراءَة كلُّ حرفٍ إحساسٌ، وكلُّ سطرٍ فكرةٌ. عندما أقرأ أكونُ أسيرةَ الخيالِ، أسافرُ مَع أولى الحروفِ للبعيدِ .. للشعرِ وقعُهُ الجميلُ، وللقصَّةِ فضولُ المتابعةِ، واستخلاصُ المعنى والمرادِ، للنصِّ الأدبيِّ جماليَّةٌ تستحوذُ على اهتمامي .. أمَّا السَّردُ الرِّوائيُّ فيشغلُ حواسي بفضاءَاتِهِ الطَّليقةِ الَّتي تتقنُ العزفَ على أوتارِ الرُّوحِ والفكرِ والقلبِ بشغفٍ واهتمامٍ ودقَّةٍ ومتابعةٍ.

في رحابِ القراءَةِ، ينصهرُ الإنسانُ بصليلِ الحروفِ، ويختالُ بخيالِهِ، بالصُّورِ والتَّشابيهِ ومآثرِ الحكايا، يتقمَّصُ أفراحَها وأشجانَها، يبتسمُ تارةً ويتجهَّم تارةً أخرى، يلملمُ دمعَه تارةً، ويسامرُ عُرسَ القمرِ تارةً أخرى. كلُّ الفنونِ الأدبيَّةِ جديرةٌ بالاهتمامِ والمتابعةِ، ومَعَ غزارةِ ما نقرأُ يصعبُ علينا الاصطفاءُ، فندعُ المآقي والمشاعرَ تأخذُنا حيثُ تختارُ وتهمسُ الحواسُ لترسو على شواطىءِ قصيدةٍ أو قصَّةٍ أو روايةٍ .. أي تشدُّني الحروفُ العابقةُ بعطرِ المَشاعرِ وأهازيجِ الخَيالِ، وصُدقِ الواقعِ .. ونبضِ الإنسانِ بينَ السُّطورِ ..

3. هَلْ أدهشَكِ إبداعُ اللُّغةِ، كيفَ تنظرينَ إلى إبداعِ اللُّغاتِ، هَلْ تستطيعينَ أنْ تتخيَّلي واقعَ حالِ الإنسانِ مِنْ دونِ لُغاتٍ يتواصلُ عَبرَها مَعَ بني جنسِهِ في سائرِ أرجاءِ المَعمورةِ؟!

اللُّغةُ لسانُ الشُّعوبِ ووعاءُ فكرِها وحضاراتِها منذُ القديمِ، باللُّغةِ تتواصلُ الأفكارُ وتتوارثُ القيمُ. اللُّغةُ تشحذُ مَلكةَ النُّطقِ وتطرّزُها بألوانِ الوجودِ والأصقاعِ .. تزيّنُها بأزهارٍ تَصقُلُ حروفَها وتحملُها على جناحِ السُّرعةِ لعالمٍ آخرَ. باللُّغةِ تتواصلُ الشُّعوبُ والحضاراتُ وتستفيدُ مِنَ التَّجاربِ الإنسانيَّةِ بكلِّ المجالاتِ. اللُّغةُ إبداعٌ حضاريٌّ حرَّرَ الأرضَ مِنْ قيدِها وحدودِها العقيمةِ نحوَ فضاءِ العالمِ. اللُّغةُ حطَّمَتْ أقفاصَ البشرِ وأطلقَتْ العنانَ للأرواحِ والأفكارِ للانطلاقِ والتَّعبيرِ بحرّيَّةٍ وتمازجٍ مَعَ أبناءِ الأرضِ قاطبةً. اللُّغةُ وسيلةُ التَّواصلِ مُنذُ القديمِ ومَعَ أنَّها كانَتْ بدائيَّةً ومرتبطةً بالحاجاتِ البسيطةِ للإنسانِ القديمِ كي يتمكَّنَ مِنَ التَّعاملِ مَعَ جماعتِهِ ومحيطِهِ، وبدأَتْ تشقُّ عبابَ السَّماءِ وتحطِّمُ قيودَ الصَّمتِ مُعبّرةً عَنِ الآمالِ والآلامِ. باللُّغةِ تبارَتِ العقولُ والأقلامُ نحوَ الجمالِ، نحوَ القيمِ الإنسانيَّةِ، نحو الحرَّيَّةِ والتَّطورِ والحياةِ واحترامِ الفكرِ الإنسانيّ. إذاً اللُّغةُ دهشةُ الإبداعِ، وسرُّ الحضارةِ. لا يُمكنُ أنْ نتخيَّلَ الحياةَ مِنْ دونِ وسيلةِ تواصلٍ عبرَ اللُّغةِ، لأنَّ التَّواصلَ حاجةٌ ماسَّةٌ للبشرِ في أرجاءِ المعمورةِ وهي سبيلُ الحضارةِ وحجرُ الأساسِ في عمليَّةِ التَّطوُّرِ. وكُلما زادَ التَّواصلُ بينَ الشُّعوبِ، ضاقَتِ الفجوةُ بينَ أصقاعِها المتناحرةِ وانصهرَتِ الحدودُ والمسافاتُ وتخطَّتِ البحارَ والمحيطاتِ لتحقيقِ أهدافٍ ساميةٍ تُنصفُ البشرَ جميعاً وتوحّدُ تطلُّعاتِهم عَنْ طريقِ الاستفادةِ مِنْ خلاصةِ التَّجاربِ وتطوُّرِها، أي أنَّ الشُّعوبَ دوماً تتوقُ إلى التَّواصلِ السِّلميّ الحرّ فيما بينها. وهذا ما تحقّقُهُ اللُّغةُ، واليومَ نشهدُ سرعةً بالتَّواصلِ بفضلِ التَّطوُّرِ العلميّ وسهولةِ انتشارِ وانتشالِ اللُّغةِ مِنَ الجُمودِ والانكفاءِ، فحلَّقَتْ بالأرواحِ والعُقولِ بوسعِ المَدى وحقَّقَتْ ثورةً لُغويَّةً تخطَّتْ قوانينَ الطَّبيعةِ والبشرِ أي قوانينَ الجغرافيا والسِّياسةِ والمُجتمعاتِ وتخطَّتْ نظُمَ ودساتيرَ البلادِ قاطبةً، لتحقّقَ التَّواصلَ الثَّقافيّ والفكريّ والاجتماعيّ الَّذي منحَ البشرَ حصانةً وحرّيَّةً في عالمٍ أصبحَ روضةً لتبادلِ الأفكارِ وتمازجِ الحضاراتِ بغضِّ النَّظرِ عَنِ المذاهبِ والأديانِ والأعراقِ والاعتقاداتِ. أي أعطَتْ دافعاً للتنويرِ والحداثةِ بطريقةٍ غيرِ مباشرةٍ. واختصرَتْ أشواطاً إعلاميَّةً عَنْ طريقِ الثَّوراتِ الفكريَّةِ والتَّنويريّةِ للشعوبِ التَّائقةِ للعدالةِ والحرّيَّةِ والسَّلامِ. إنَّها اللُّغةُ، إنَّها الهواءُ، إنَّها الشَّمسُ والسَّماءُ الخاضنةُ لأهلِ الأرضِ. فلا يُمكنُ أنْ نتصوَّرَ الأرضَ مِنْ دونِ لُغةٍ. باللُّغةِ تسامرَ البشرُ وتناقشوا وتحابوا بكلِّ الأعرافِ والقوميَّاتِ. وحَّدَتْهم اللُّغةُ كبشرٍ، لغةُ الإنسانيَّةِ قاطبةً. سلاحُ البشرِ الَّذين حطَّموا جبابرةَ العصورِ، وحرَّروا قيدَ ألسنتِهم وخوفَ عقولِهم ووحَّدوا آلامَهم وآمالَهم. ركنُ الحياةِ والوجودِ والحضارةِ، سمةُ الإنسانيَّةِ وصوتُها وحلمُها وصدى أرواحِها في أصقاعِ المعمورةِ. هي كلمةُ سواءٍ يجتمعُ عليها أهلُ الأرضِ تحتَ سماءٍ واحدةٍ. اللُّغة مِنْ دونِ تواصلٍ كطيرٍ أبكمَ، أصمَّ عاجزٍ عَنِ التَّغريدِ. تعدَّدَتِ اللُّغاتُ والإنسانُ واحدٌ على وجهِ الأرضِ، جسدٌ وروحٌ وفكرٌ ومشاعرُ، يتوقُ لنزعِ وثاقِهِ ونيلِ حقوقِهِ ومساندةِ بني جنسِهِ، واللُّغةُ سلاحُهُ في تحقيقِ الإنسانيَّةِ. اللُّغةُ سلاحُ البشرِ لتتَّحدَ وتقفَ عِندَ حقوقِها وأحلامِها وتلجمَ سجّانَها وعربدةَ دساتيرِ الأرضِ وأعرافِها القديمةِ الَّتي تقفُ عائقاً في وجهِ التَّطوُّرِ والتَّجدُّدِ والإصلاحِ.

ترقى لحُلُمِ السَّلامِ والعيشِ المُشتركِ، تتقاسمُ نِعمَ الأرضِ كما تتقاسمُ الهواءَ. وترنو لعالمٍ مِنَ الأمانِ والحقِّ والخيرِ والعدالة. يولدُ الإنسانُ بصرخةٍ، فلتكُنْ صرختُهُ هي اللُّغةُ الَّتي تحملُهُ لرحابةِ العالمِ وتلمُّ شملَ إنسانيّتهِ.

4. تمتلكينَ لُغةً سلسةً، رهيفةً، فيها مِنَ الإنسيابيَّةِ والجموحِ البهيّ، مِمَّ تستوحينَ هذا الفضاءَ البديعَ؟!

استوحي فضاءَاتِ لغتي وحرفي مَنْ صفوِ السَّماءِ، مِنْ غفوةِ الغيماتِ، مِنْ شدوِ الطُّيورِ، مِنْ حفيفِ الشَّجرِ. تعجُّ الطَّبيعةُ الرِّيفيَّةُ بخوابي الجمالِ العذريّ الآسرِ. طبيعةٌ هادئةٌ، حالمةٌ، تصدحُ بنسماتِ الخيالِ وأنشودةِ الرُّوحِ، طبيعةٌ تنهلُ مِنَ المآقي وعذوبةِ الصُّورِ وخضرةِ الأملِ. الطَّبيعةُ مخدعُ جوارحي وصدى نبضي، بها أتنفَّسُ، بها أرنو لعشقِ الجمالِ. بها أتلمَّسُ مَعنى القيمِ الَّتي أودعَها الخالقُ بالبشرِ، مِنْ حبٍّ وعطاءٍ وخيرٍ ونقاءٍ. أخطُّ حروفي على أديمِ الثَّرى، أداعبُها بزهرِ الأقاحي وميسمِ الياسمينِ المتدِّلي على كتفِ الدَّوالي.
أستمدُّ فضاءَاتِ حرفي مِنْ ضحكاتِ الطُّفولةِ الَّتي تملأُ الحيَّ فرحاً .. مِنْ سهوةِ كهلٍ على حافَّةِ العُمرِ يتَّكىءُ على عصاهُ المنهكةِ. مِن غفوةِ أمٍّ حالمةٍ تلازمُ ساحةَ الدَّارِ وفيءِ الزَّيتونِ بانتظارِ مَنْ رحلوا. عيناها ترقبُ النَّجماتِ المسافرةَ ليلاً، والغيماتِ الصَّامتةَ نهاراً .. أمَّهاتُ وطنٍ، يتَّسعُ العالمُ ويضيقُ بأبنائِهِ، وطنٌ يُحتضرُ خلفَ متاهاتِ الزَّمنِ، وطنٌ استساغَ الموتَ والشَّوكَ والرَّحيلَ. أنهلُ نبضَ حروفي مِنْ أحلامي الموؤودةِ على حافَّةِ القَمرِ، مِنْ خُصلاتِ الشَّمسِ الباردةِ على مُحيَّا الصَّباحِ المُستكينِ، مِنْ همسِ وجدٍ يؤنسُ وحدتي مِن خلفِ المدى، ومِنْ عبيرِ نسمةٍ تُلاطفُ أجفانَ غفوتي وتدعوني لعُرسِ السَّهرِ.

5. هل لديكِ أهدافٌ مِنَ وراءِ الكتابةِ، وما هي المواضيعُ الَّتي تراودُكَ في الكتابةِ عنها، ولماذا؟!

مؤكَّد أنَّ للكتابةِ أهدافاً، أودُّ الكتابةَ للتعبيرِ عَنْ صرخةٍ للتعبيرِ عَنْ غصَّةٍ، للتعبيرِ عَنْ دمعةٍ تحجَّرَتْ في مآقي الزَّمنِ، عَنْ ظِلالٍ أقبعُ تحتَ ظلِّها الخافتِ. بالكتابةِ نسكبُ كأسَ أرواحِنا على سطحِ الورقِ، نفرِّغُ فيضَ جراحٍ تعجزُ العروقُ عَنْ حملِها على أديمِ السُّطورِ، بالكتابةِ نحلِّقُ بعُرى الخيالِ، نراقصُ السَّحابَ، نلثمُ النَّجماتِ، نزدانُ بأساورِ القمرِ، نحيا بذاكرةٍ جديدةٍ، لا تحملُ شوائبَ الزَّمنِ، ذاكرةٍ نتغنَّى بتلوينِها ورسمِ معالمِها، كما نرغبُ وبما يُرضي أرواحَنا الحالمةَ بالصَّفو وعناقِ السَّماءِ. أودُّ الكتابةَ لأطبعَ بسمةَ فرحٍ على شفاهٍ عَطشى لرحيقٍ مقدَّسٍ، رحيقٍ يبعثُ الحياةَ بالأماسي الحزينةِ. أودُّ الكتابةَ لبلسمةِ واقعٍ يجترُّ خيباتِهِ بعجزٍ وخوفٍ، واقعِ أُناسٍ ترقبُ الأملَ مِنْ طيَّاتِ القدرِ. أناسٌ تلوذُ بالصَّمتِ والقهرِ خلفَ أبوابِ الفاقةِ والصَّبرِ المريرِ، أودُّ الكتابةَ لرثاءِ أطلالٍ تندبُ مآلَها العاثرَ. تراودُني دائماً كتابةُ حكايا مبعثرةٍ على جدارِ التَّاريخِ، حكايا لَمْ تدوِّنْها الصَّفحاتُ المزيفةُ، حكايا لَمْ يُنصفْها التَّاريخُ ولا الأقلامُ. هنا وهناكَ بشرٌ .. شجرٌ .. حجرٌ يئِنُّ وجعاً، وجوعاً، وغربةً، وحزناً لا يطالُهُ الفرحُ، حكايا أُناسٍ بلا وطنٍ، يتجرَّعونَ الذِّلَّ موتاً كلَّ لحظةٍ، حكايا سلاسلَ طالَ احتمالُها. قيودٌ أحكمَتْ وثاقَها، طغاةٌ أسرفوا بغياً، تتوالى حكايا الأوطانِ النَّازفةِ، حكايا عالمٍ مجرَّدٍ مِنَ الحسِّ الإنسانيّ، حكايا عالمٍ يُسارعُ لمثواهِ لأنَّهُ غاصَ بالظُّلمِ حتَّى الثَّمالةِ، حكايا عالمٍ بحضارةٍ زائفةٍ وقودُها البشرُ، حلمُها الدَّنيءُ تكدُّسِ المالِ والجاهِ والسُّلطةِ على حسابِ البشرِ، عالمٍ بلا

قوانينَ، يسودُهُ الظَّلامُ والانحطاطُ. حضارةٌ زائلةٌ عاجلاً أمْ آجلاً، لأنَّها مجوَّفةٌ وخاليةٌ مِنَ القيمِ. مواضيعُ مزدحمةٌ أودُّ الكتابةَ عنها، لا يتَّسعُ العمرُ لكتابةِ أحزانِها، مَعَ أنَّ الكتابةَ شهقةُ النَّجاةِ. وواحةُ السَّلام، لكنَّ الواقعَ يخلو مِنْ بريقِ سلامٍ، أمنيتي الكتابةُ عَنْ مدينةٍ فاضلةٍ ترقى لاحترامِ البشرِ والطَّبيعةِ وتحتضنُ الوجودَ بأرجاءِ الأرضِ وتخلدُ للسلامِ.

6. أصبحَ واقعُ الحياةِ أشبهَ ما يكونُ خرافيَّاً، هَلْ نعيشُ في واقعٍ وهميٍّ خرافيٍّ، متى سينجلي هذا الواقعُ الخرافيُّ والوهميُّ، ونبني واقعاً إنسانيَّاً بديعاً يُسعدُ حياتَنا كبشرٍ جئنا لنعيشَ بكلّ هناءٍ وسعادةٍ وحرّيَّةٍ؟!

اصبحَ واقعُ الحياةِ خرافيَّاً حقَّاً. نحيا بوهمٍ نسلتذُّهُ لأنَّهُ أجدى مِنْ واقعِ حقيقةِ التَّعاسةِ. واقعٍ مُشرذمٍ عالميَّاً. تفاوتٌ طبقيٌّ وتصنيفٌ للبشرِ حسبَ ميزانِ القوَّةِ. البقاءُ للأقوى أصبحَ قانونُ الأرضِ للأسفِ، يتهافتُ أثرياءُ العالمِ على مَناجمِ الأرضِ وموارِدِ الثَّراءِ تحتَ رعايةِ منظَّماتٍ دوليَّةٍ تحميهم بكلِّ دناءَةٍ. وهنا يكمنُ الخطرُ الَّذي ضربَ عرضَ الحائطِ بالبشرِ وحطَّمَ ميزانَ الحقِّ والحقيقةِ تحتَ نيرِ الظُّلمِ والبغيِ والسِّباقِ غيرِ الأخلاقيِّ للهيمنة على مقدَّراتِ الشُّعوبِ ونهبِها وتركِها عرضةً للجوعِ والفقرِ والاحتلالِ. عالمٌ أخرقُ جُلُّ حماقاتِهِ المالُ والسِّلاحُ الَّذي يعتبرُهُ وسيلةَ تجارتِهِ الرَّابحةِ. سلاحٌ وضيعٌ يغذِّي النِّزاعاتِ الدَّنيئةَ في الأرضِ. قتالٌ ودمارٌ واحتلالاتٌ، غزوٌ و تهجيرٌ وحماقاتٌ تحكمُ عالمَ اليومِ. حتَّى العلمُ أصبحَ سلعةً بأيدي العابثينَ بالشُّعوبِ. يزرعونَ الأوبئةَ لتنهشَ الأبرياءَ، بكلِّ خسَّةٍ ودناءَةٍ خُلقَ عالمٌ وهميٌّ نظنُّهُ حياةً، هو موتٌ رحيمٌ، عالمٌ ينحدرُ للقاعِ المزدحمِ قباحةً وزيفاً. حقَّاً نعيشُ خرافةَ جهلٍ مُدقعٍ، خرافةً لا تمتُّ للعقلِ بشيءٍ، خرافةً تستبيحُ المجتمعاتِ وتزرعُ الفتنَ والموبقاتِ لتكرّسَ الجهلَ والفقرَ والاستغلالَ وتهيمنَ على كلِّ ما يأتي بمخطَّطِها الوضيعِ، ولكي ينجليَ هذا الواقعُ المريرُ لا بدَّ مِنْ ثورةٍ تنويريَّةٍ تقودُ دفَّةَ التَّغييرِ وتبدأُ إعلاميَّاً بنشرِ الوعي المجتمعي لأنَّ جهلَ الإنسانِ بحقوقِهِ يُساهِمُ باستغلالِهِ وتسخيرِها. نحتاجُ لسلاحِ الوعي والفكرِ والَّذي يجتثُّ الصَّمتَ والغباءَ ويحدثُ نقلةً فكريَّةً بالعالمِ وخاصَّةً العالمَ الثَّالثَ والمجتمعاتِ الَّتي ترزخُ تحتَ نيرِ التَّخلُّفِ والاحتلالِ. نحتاجُ ثورةً تذكي قيمَ الحقِّ والعدالةِ والحرّيَّةِ والسَّلامِ. كَما فعلَتِ الثَّورةُ الفرنسيَّةُ وأسقطَتِ الدَّولةَ والكهنةَ وأنارتِ العالمَ بقيمِ الحقِّ والعدالةِ، فكانت أنشودةَ حرّيَّةٍ لشعوبِ العالمِ ومثالاً يُحتذى بِهِ للوقوفِ في وجهِ الظُّلمِ والقهرِ وسلبِ الإنسانيَّةِ مِنَ البشرِ وجعلِها تلهثُ خلفَ قُوتِها اليوميِّ لتنصرفَ عَنْ إعمالِ فكرِها بقيمٍ أسمى ترنو لحياةٍ حرَّةٍ كريمةٍ، تتساوى فيها الحقوقُ والواجباتُ، وينالُ فيها الإنسانُ قسطاً مِنَ السَّلامِ والتَّعايشِ مَعَ نفسِهِ بسلامٍ وبالتَّالي مَعَ بني جنسِهِ بوئامٍ، أجل نحتاجُ ثورةً تقتلعُ جذورَ الشَّرِ وقوانينَ الغابِ الضَّالةِ وتعتمدُ على قوانينَ ودساتيرَ تُنصِفُ البشرَ، وتحترمُ حقوقَ الشُّعوبِ وحرّيتَها ودياناتِها. نحتاجُ ثورةً تقتلعُ حدودَ القوميَّاتِ والمذاهبِ والأعراقِ وتستبدلُها بدينِ الإنسانيَّةِ الَّذي لا يعرفُ حدَّاً للأرضِ ولا لوناً للبشرِ ولا نهجاً للديانةِ. كلُّ ما يعرفُهُ أن تحكمَ إنسانيةُ الإنسانِ جميعَ البشرِ، تحتَ سماءٍ واحدةٍ أودعَها الله للبشرِ لتحيا بظلِّها حياةً مشتركةً تتقاسمُ الهواءَ والماءَ والخيراتِ.

أرضٌ ملكٌ للجميعِ بتوزيعٍ عادلٍ يطالُ الجميعَ مِنْ دونِ استثناء. حينها تفيضُ الأرضُ خيراً وسلاماً وتتحقَّقُ عدالةُ توزيعِ الثَّرواتِ فوقَ الأرضِ، ويختالُ ميزانُ العدالةِ سمُوَّاً ورفعةً بالحقّ والعدلِ والصِّدقِ. خلقنا الله كبشرٍ لنحيا فوقَ الأرضِ لا تحتَها، نحيا حياةً كريمةً ونشعرُ بانسانيَّتِنا وكرامَتِنا وحقوقِنا، جئنا للحياةِ ورقةً بيضاءَ ناصعةً مِنْ لَدُنِ السَّماءِ، ورقةً تحلمُ بالعيشِ بالفرحِ، بالوئامِ، بالحرّيَّةِ، بالهواءِ الطَّلقِ يُنعِشُ الأرواحَ ويحلّقُ بِها لعالمِ الخيرِ والجمالِ. مِنْ حقِّنا كبشرٍ أنْ ننعمَ بعطاءِ الخالقِ. الأرضُ ملكُ الجميعِ. ليسَتْ منَّةً مِنْ أحدٍ مِنْ أكاسرتِها الجبابرةِ، إنَّها هبةُ اللهِ للجميع .. الكلُّ متساوونَ أمام الله، لا فضلَ لأحدٍ على الآخرِ. بقدرِ ما تعطي تأخذُ. الجميعُ خَلْقُ اللهِ وليسَ لأحدٍ سلطانٌ عليهم إلّا قانونُ الاخلاقِ والتَّسامحِ والمحبَّةِ. يرنو البشرُ لعالمٍ مِنَ السَّلامِ والزَّهرِ والحياةِ. ملَّتِ الأحداقُ مِنْ أشواكِهم، ملَّتِ القلوبُ مِنْ ضحاياهم، ملَّتِ الأرضُ مِنْ منظَّماتِهم، نحتاج لهيئةٍ عالميَّةٍ خالصةِ الأخلاقِ، صافيةِ الهدفِ، نبيلةِ الطُّرقِ، تُسهِمُ بنبذِ الموتِ وزرعِ الحياةِ بعالمٍ يحتضرُ و يأملُ السَّلام ليسَ إلّا.

7. ما رأيُكِ في الحياةِ، في العُمرِ، في الزَّمنِ، في الوجودِ، وفي إنسانِ هذا الزَّمانِ؟!

الحياة تبدأ بالوعي وتنتهي بانطفاءِ الرُّوح، فالولادةُ بدايةُ الوجودِ الطَّبيعيّ للإنسانِ، صرختُهُ الأولى الَّتي تعلنُ قدومَهُ للعالمِ، وبعدَ أنْ يبدأَ بالإدراكِ وتلمُّسِ مُحيطِهِ يبدأُ وعيُهُ بالتَّفتُّحِ، وتبدأُ رحلةُ الحياةِ.

الحياةُ قدرٌ وليسَتْ اختياراً، ما بأيدينا وُلِدْنا، ولَمْ نختَرْ اسماءَنا ولا أبوينا ولا مذاهبَنا أو طائفتَنا، حيثُ نولدُ تكونُ هويَّتُنا، وبالوعي نتبنَّى الاسمَ والنَّسبَ والأمَّ والأبَ ومكانَ الولادةِ، تصبحُ هذهِ الهويَّةُ نقطةَ انطلاقٍ في عالمٍ كبيرٍ، وتُصبِحُ هذهِ الهويَّةُ عنوانَنا الَّذي نذودُ عنَهُ ونبني آمالنَا تحتَ سقفِها، فالهويَّةُ هي الوطنُ الَّذي ينطلقُ مِنهُ المرءُ في طريقِ الحياةِ. تَصبَحُ حياتُنا رهنَ وجودِنا الجغرافيّ ليتحوَّلِ المكانُ الَّذي نترعرعُ فيهِ إلى جزءٍ مِن أرواحِنا، نعشقُهُ بكلِّ جوارِحنا، نعشقُ الأسرةَ ونبجّلُ الانتماءَ إليها. وبعدَ أنْ تكتملَ أساريرُ الفهمِ ونتمكَّنَ مِنَ الاختيارِ، تبدأُ رحلةُ التَّمعُّنِ والتفكيرِ بالواقعِ، فقَدْ نستسلمُ لَهُ بحذافيرِهِ ونمضي مَعَ القطيعِ الَّذي وجدْنا بينَهُ بكلِّ رضىً وتسليمٍ وتبنٍّ لكلِّ طرقِ الحياةِ كما الجميعُ وتبنّي الأهدافِ والقوانينِ كما الجميعُ تماماً بكلِّ إرادةٍ وقبولٍ وانصياعٍ وقناعةٍ لأيِّ تقليدٍ وتكرارِ الأمرِ. ولادةٌ فطفولةٌ فشبابُ وأسرةٌ وعملٌ وانتظارُ أجلٍ، وقَدْ يختارُ الإنسانُ طريقاً آخرَ غيرَ الَّذي نشأَ عليهِ، كأنْ يبدّلَ مكانَهُ ويرفضَ عقيدتَهُ، ويبحثَ عَنْ جغرافيا جديدةٍ تتَّسعُ لحلمِهِ. قَدْ يختارُ التَّغييرَ طوعاً بكلِّ طواعيةٍ، وقَدْ يُجبَرُ على تركِ مكانِهِ عنوةً، كما يحدثُ أثناءَ الحروبِ والتَّهجيرِ وسنواتِ القَحطِ والجدبِ الَّتي أجبرَتِ البشرَ مُنذُ القديمِ على الرَّحيلِ وتغييرِ مكانِ الإقامةِ طلباً لحياةٍ أفضلَ، بدءاً مِنَ البداوةِ المتنقّلةِ طلباً للماءِ والكلأ، مروراً بموجاتِ الهجرةِ الفرديَّةِ والجماعيَّةِ. فحياةُ البشرِ تتغيَّرُ كُلَّما نضجَ وعيُهم، أي كلَّما أدركَ الإنسانُ واقعَهُ بعمقٍ وتخيَّلَ مستقبلَهُ، حاولَ التَّغييرَ والتَّجديدَ نحو الأفضلِ. البشرُ نبضُ الحياةِ. تزهو بوعيِهم ومقدرتِهم على التَّأقلمِ والتَّطوّرِ وتضمرُ بسكونِهم وصمتِهم وتقليدِهم الأعمى وقلوبِهم لِما هم عليهِ. والحياةُ ديناميكيَّةٌ وحركةٌ وتقدُّمٌ، لا تستمرُّ مِنْ دونِ تجدُّدٍ

وفي حالِ الرُّكودِ تبدأ بالموتِ والضُّمورِ والوهنِ، كما حدثَ في عصورِ الانحطاطِ. ولكي تستمرَّ الحياةُ لا بدَّ مِنْ مواكبةِ التَّغييرِ، لأنَّ العقمَ سبيلُ الاندثارِ.

العمرُ فترةٌ زمنيَّةٌ يحياها الإنسانُ مِنْ ولادتِهِ حتَّى مماتِهِ، أعمارُنا أقدارٌ، نعيشها في الفترةِ الَّتي منحنا إيّاها الخالقُ، قد تمضي هباءً حينَ ترتدي ثوبَ القناعةِ والتَّسليمِ وتقبعُ ضحيَّةَ الجمودِ والانصياعِ، فلا أثرُ يذكرُ ولا لمسةٌ تطبعُ ولا حلُمٌ يتحقَّقُ. بينما يصبحُ للعمرِ معنىً، عندما نمتلكُ زمامَ القرارِ وعلى قدرٍ مِنَ المسؤوليَّةِ والحرِّيَّةِ لتبنّي ما نريدُ واصطفاءِ ما نرغبُ مِنْ دونِ خوفٍ مِنْ نظمٍ وعاداتٍ تُنهكُ الرُّوح وتُقيّدُ الفكرَ. فالإنسانُ سيّدُ حياتِهِ عندما يفكّرُ بتعقُّلٍ، ويتأمَّلُ ما حولَهُ ويضعُ هدفاً لانطلاقتِهِ، ويبدأُ رحلةَ العمرِ بإرادته واختيارِهِ ليدافعَ عَن قيمِهِ وحلمِهِ وما يصبو إليهِ.

الوجودُ نقطةُ البدايةِ، ركيزةُ الكونِ، وسرُّ الوجودِ البشري لا يكمنُ في البقاءِ على قيدِ الحياةِ، لكنَّهُ يتمركزُ في شيءٍ نعيشُ مِنْ أجلِهِ، أي أنَّ الوجودَ سعادةٌ عندما نتقبَّلُها كقدرٍ وبصمةِ خالقٍ. ويستمرُّ الوجودُ باستمرارِ الجنسِ البشري في ظلِّ طبيعةٍ حاضنةٍ، وكلُّ شيء في حالةٍ مستمرَّةٍ. ويحتاجُ البشرُ إلى الانسجامِ والتَّناغمِ مَعَ الوجودِ لرفعِ مستوى معرفتِهِ وتأقلمه، كتقبُّلِ الآخرِ والتَّعايشِ معهُ في رحابِ الكونِ بهدوءٍ وسلامٍ.

إنسانُ هذا الزَّمانِ أصبحَ رهناً لعالمٍ متغيِّرٍ بسرعةٍ لا يمكنُهُ مجاراتُها، وهو الضَّحيَّةُ معَ كلِّ ما وصلَتْ إليهِ الحضارةُ. إنسانُ اليومِ مستهلكٌ في عصرِ السُّرعةِ وعصرِ العولمةِ وعصرِ التَّباري في غزو الفضاءِ وامتلاكِ الأرضِ. إنسانُ اليومِ ضحيَّةُ التَّطورِ، في الوقتِ الَّذي يُفترَضُ أنْ يكونَ ثمرةَ التَّطورِ لأنَّهُ الغاية الأسمى في الحياةِ. إنسانُ اليوم امتطى ركبَ الحضارةِ بزيفها، واستهلكته الحضارة واستغنى عَنْ إنسانيّتِهِ وسارَ في التِّيَّارِ الجارفِ. وأما بالنسبة لإنسانِنا العربيِّ فقد فقدَ الثِّقةَ بالانتماءِ والقوميّةِ والرَّوابطِ الَّتي تربطُهُ بالعروبةِ كاللُّغةِ والتَّاريخ والجغرافيا وغيرِها، لهذا منهم مَنْ اتّجه إلى الدينِ كبديلٍ للانتماءِ التّائهِ في خضمِّ التَّغييرِ الجغرافي الحاصلِ بفعل الاحتلالاتِ والهجرةِ وغيرِها مِنَ المُتغيّراتِ. فبدأ الإنسانُ في رحلةِ بحثٍ عَنْ ملاذٍ آمنٍ، كي يعيشَ فيهِ بسلامٍ. وبدأَ الكثيرونَ يوجّهونَ أنظارهم نحوَ العالمِ المتحضّرِ الَّذي راودَ أحلامَهم، لأنَّ ظروفَ العيشِ هنا أصبحَتْ شبهَ مستحيلةٍ، بسببِ الحروبِ والفقرِ والموتِ المحيطِبالكثيرينَ مِنْ كلِّ الجهاتِ.

الهجرة تراود الجميع تقريباً، في بلادٍ تعجزُ عَنْ حمايةِ أفرادِها، بل تجعلُهم وقوداً لسياساتِها التَّعسفيَّةِ العنيدةِ، وتستبيح إنسانيَّتهم كلَّ لحظةٍ، بالظُّلمِ والقمعِ والابتزازِ. وكأنَّ الوطن منَّةٌ مِنْ ساداتِها، وليسَ حقَّاً للجميع. إنسانُ اليومِ في حالةِ ذهولٍ مُطلقٍ أمامَ جحيمٍ يحيطُ بِهِ وببني جنسه. ويبقى حُلمُ السَّلام معلَّقاً على جدران المساجد ودورِ العبادةِ. ومعاقلِ المنظَّماتِ الدّولية المراوغة، وسراديبِ النِّفاقِ والمساومةِ على دماءِ البشرِ.

8. ما الَّذي يُقلقُكِ في الشَّرقِ والغربِ، كيفَ يمكنُ أنْ نخفّفَ ممّا يُقلقُ الإنسانَ في هذا الزَّمنِ الأهوج؟

ما يُقلقُ بهذا العالمِ الصَّمتُ المدقعُ، الصَّمتُ الَّذي يزيدُ مِنْ بطشِ الثُّلَّةِ المُسيطرةِ بسطوةِ المالِ والسِّلاحِ صمتٌ يودي إلى الهاويةَ للحاضرِ والمستقبلِ. فأيُّ مستقبلٍ ينتظرُ الأجيالَ بظلِّ هذا التَّردّي والانحلالِ وقهرِ البشرِ، كأنْ تقولَ لكلِّ إنسانٍ أنْ يحلَّ مشاكلَهُ وحدَهُ، أمرُه لا يهمُّ أحداً. وهكذا أصبحَ الأمرُ اليومَ. كلٌّ يقتلعُ

شوكَهُ بيدِهِ. لا أحدٌ يستمعُ لصوتِ الإنسانِ، صوتِ الحقِّ، صوتِ الظُّلمِ، هذا يزيدُ الأمرُ سوءاً. ما يقلقُ هو تعنُّتَ الحاكمِ بغطرستِهِ، وتجاهلِهِ لأبسطِ حقوقِ البشرِ، حتَّى أنَّهُ لا يعترفُ بوجودِ بشرٍ على بعضِ بقاعِ الأرضِ يشيرُ بإصبعِهِ لتدميرِها، ويُهدِّدُ ويتوعَّدُ بإبادةِ الأرضِ وكأنَّهُ حاكمٌ على رِقابِ العِبادِ .. ما يقلقُ هو غفوةُ القطيعِ الَّذي يمثِّلُ الضَّحيَّةَ بكلِّ زمانٍ. غفوةٌ طالَتْ خُبزَهُ وكرامتَهُ وحوَّلتْهُ لمتسوِّلٍ على أعتابِ الدُّولِ. بالنِّسبةِ للشرقِ هو مكمنُ القلقِ وصاحبُ الجرحِ وصاحبُ الكارثةِ، للأسفِ نستطيعُ القولَ إنَّ الشَّرقَ انقسمَ لقسمَينِ أحدهُما طاغٍ مُشاركٍ بالجرائمِ والأهوالِ الَّتي تحصلُ وتخرقُ قوانينَ العدالةِ والإنسانيَّةِ وتلهثُ خلفَ مصالحِها وتجتازُ حدودَ جوارِها، حارقةً الأرضَ والبشرَ والشَّجرَ والقسمُ الثَّاني مغلوبٌ على أمرِهِ هو الضَّحيَّةُ كالدُّولِ الَّتي ترزخُ تحتَ الاحتلالِ وتتعرَّضُ شعوبُها للقتلِ والدَّمارِ والتَّهجيرِ والفاقةِ على مرأى العالمِ الَّذي يتظاهرُ بالتَّمدُّنِ ويتشدَّقُ بحقوقِ الإنسانِ.

هذا الشَّرقُ يلفظُ أنفاسَهُ الأخيرةَ يائساً في ظلِّ حكوماتِهِ العاجزةِ المستسلمةِ للهيمنةِ الخارجيَّةِ، المُساومةِ على حقِّ بلادِها بمقدَّراتِها، العابثةِ بمُستقبلِ شعوبِها مِنْ دونِ أدنى مسؤوليَّةٍ. ورَغمَ ما سبَّبوهُ مِنْ دمارٍ لبلدانِهم مازالوا متمسِّكينَ بعنتِ عقولِهم العقيمةِ، وأسرارِها وخِزيِها، ما يقلقُ بهذا العالمِ الأخرقِ، تجاوزُ كلِّ الخُطوطِ الحُمرِ. فلا حصانةٌ لبشرٍ، ولا وزنٌ للإنسانيَّةِ، ولا قيمةٌ لشعوبٍ أو حضاراتٍ، عالمٌ يقودُ الشَّرَّ والرَّذيلةَ لأنَّ القتلَ والدَّمارَ هو الرَّذيلةُ بحدِّ ذاتِها. عالمٌ يستبيحُ الدِّماءَ والآمالَ والأجيالَ بدمٍ باردٍ، لقَدْ تقلَّصَتِ الثَّرواتُ بالعالمِ لتصبحَ مَحصورةً بأيادي القلّةِ الحاكمةِ الَّتي تُهيمنُ بسطوتِها على القراراتِ الدَّوليَّةِ وتحكمُ بقبضةِ المالِ والسِّلاحِ لنيلِ المزيدِ مِنَ المُكتسباتِ حتَّى ضاقَتْ بهم الأرض وانتقلوا للإقامةِ بالفضاءِ. تقاسموا ثرواتِ الأرضِ، وانتقلوا للفضاءِ ليتقاسموا أرجاءَهُ حِصصاً مِنَ الدَّناءَةِ والخسَّةِ والجبروتِ. تبَّتْ عقولُهم وما كسبَت، تبَّتْ أياديهم وما دمَّرت ، تبَّتْ أحلامُهم وما حقَّقَتْ. عالمٌ وضيعٌ بصمتِهِ عَنِ الموتِ، عَنِ الانهيارِ والدَّمارِ. عالمٌ ينحدرُ نحوَ الظّلامِ، يقتاتُ الدِّماءَ بكلِّ ما تعنيهِ الكلمةُ، يقتاتُ الأفراحَ والأحلامَ ومسرَّاتِ الطُّفولةِ، يقتاتُ ربيعَ الأرضِ ومطرَ الحياةِ، يقتاتُ صفوَ الغيماتِ وهدوءَ السَّماءِ، يقتاتُ صوتَ الطُّيورِ المُرتعشةِ بأقفاصِها المُسبقةِ الصّنعِ. عالمٌ أذهلَنا بكمّيةِ الشَّرِّ الَّتي يحملُها. أينَ خبَّأَ كلَّ هذا الحقدِ، وكلَّ هذهِ البراكينِ والحِممِ المُنصهرةِ؟! ليسكبَها دفعةً واحدةً على سكينةِ الأرضِ ويحيلَ خضرتَها قَحطاً ورماداً يلتهم كلَّ شيءٍ. عالمٌ تسجدُ لَهُ الشَّياطينُ وتُرفعُ لَهُ القبَّعةُ .. زمنٌ أهوجُ حقَّاً! زمنٌ مِنَ الضَّياعِ لأنَّهُ أضاعَ بوصلةَ السَّلامِ وجوهرَ الحياةِ. أي أضاعَ الإنسانَ الَّذي يمثِّلُ جوهرَ الحياةِ وهدفَها السَّامي. زمنٌ مِنَ القُبحِ والتَّعصُّبِ والانحطاطِ طمى فيهِ الخطبُ حتَّى ازدحمَتِ الأرضُ بخطايا العصرِ وذلِّ الإنسانيَّةِ وعُقمِ الحلِّ والإصلاحِ.

9. كيفَ يمكنُنا أنْ نروِّجَ الفكرَ التَّنويريَّ في الشَّرقِ ولماذا لَمْ نتمكّنْ مِن إرساءِ الفكرِ التَّنويريِّ حتَّى الآنَ؟

نحتاجُ لفكرٍ تنويريٍّ في الشَّرقِ، لفكرٍ ضدَّ الجمودِ الفكري والعقائدي، فكرٍ يطلقُ حرّيّةَ العقلِ والتَّعبيرِ. فكرٍ ينسفُ كلَّ ما يُعيقُ مَسيرةَ الحداثةِ والتَّجدُّدِ. يؤمنُ بالبعثِ والتَّجدُّدِ والانطلاقِ بعلمانيّةٍ موضوعيَّةٍ تقودُ ركبَ

المجتمعاتِ نحوَ التَّطوُّرِ والازدهارِ بغضّ النَّظرِ عَنِ المذاهبِ والأديانِ والاعتقاداتِ، إنَّ حاجةَ التَّنويرِ أصبحَتْ حاجةً ملحَّةً بوجهِ حالةِ الانحدارِ الَّتي وصلَتْ إليها مُجتمعاتِنا. والتَّنويرُ لا يختلفُ مَعَ الدِّينِ. لأنَّهُ يحترمُ حُرّيَّةَ الأديانِ وحرّيَّةَ مُمارسةِ الشَّعائرِ الدِّينيَّةِ باعتدالٍ وواقعيَّةٍ، بحيثُ لا يؤثّرُ الدِّينُ على مسيرةِ التَّطوُّرِ والتَّقدُّمِ وعلى حرّيَّةِ الجميعِ وأفكارِهم ومُثُلِهم. نحتاجُ لفلسفةٍ عقلانيَّةٍ وفكرٍ ثوريٍّ نهضويٍّ حُرٍّ يساندُ ثوراتِ التَّحرُّرِ والتَّقدُّمِ وينظِّمُ أهدافَها بعيداً عَنِ التَّخبُّطِ والفشلِ.

التَّنويرُ وحركةُ الإصلاحِ الَّتي شهدَها العالمُ. الإصلاحُ الدِّيني الَّذي نادى بفصلِ الدِّينِ عَنِ الدَّولةِ هذا النِّداءُ لا يقمعُ الدِّينَ إنَّما يساهمُ باستقرارِ المجتمعاتِ واستقلالِ الدِّينِ ليختصَّ بذاتِهِ ويمارسَ شعائرَهُ بهدوءٍ واستقلالٍ. ففي المجتمعِ العربيّ مثلاً لَمْ يتمَّ التَّرويجُ للتنويرِ بشكلٍ جيّدٍ. فقَدْ أصبحَ مُصطلحاً مُشوَّهَ المَعنى بعيدٌ عَنِ المَعنى الحقيقيّ للتنويرِ. لأنَّ الإصلاحَ يحتاجُ وسائلَ إعلامٍ تلامسُ الجميعَ أي العامَّةَ الَّتي تقنعُ بالخطابِ الغوغائي بلغتِهِ البسيطةِ مِمَّا يستحوذُ على اهتمامِ الأكثريَّةِ عكسَ خطابِ التَّنويرِ المعقَّدِ لفظيَّاً، الَّذي يفهمُ على أنَّهُ عداءٌ للدينِ. في مُجتمعِنا لَمْ نَمُرَّ بتجربةِ أوروبا بالإصلاحِ، تجربتُها المُكلفةُ جدَّاً. هنا بقيَتِ التَّجربةُ بمستوياتِ النُّخبةِ تقريباً. لَمْ تلامسِ الواقعَ بشموليَّةٍ وخطواتٍ عمليَّةٍ أي ظلَّتْ فكراً فقط. بعمليّةِ إصلاحِ الفكرِ لا يكفي للتبشيرِ مِنْ دونِ تعليمٍ وإعلامٍ ومساعدةِ الأنظمةِ والسُّلطةِ ونظامٍ تربويٍّ نقديٍّ. يغذّي الفكرَ وليسَ نظامَ التَّلقينِ والاستماعِ فقط. نظامٌ يحثُّ على النِّقاشِ والتَّفكيرِ والجرأةِ وحرّيَّةِ الطَّرحِ والرَّأيِ. وهناكَ حاجةٌ للتكاملِ بينَ الثَّقافةِ والتَّربيةِ والإعلامِ والسُّلطةِ لمواكبةِ التَّنويرِ بالعالمِ الإسلاميّ، تأثَّرَ الإصلاحُ بأفكارِ الثَّورةِ الفرنسيَّةِ حولَ الحرّيةِ والعدالةِ والدّيمقراطيَّةِ، الثَّورةِ الَّتي أنارَتِ العالمَ بقيمِ العدالةِ والإنسانيَّةِ.

واليومَ أصبحَ التَّنويرُ حاجةً مُلحَّةً للمجتمعاتِ ضدَّ الجمُودِ الفكريّ الَّذي تعيشُهُ بعيداً عَنِ التَّقليدِ الببغاويّ الأعمى السَّائدِ الَّذي حطَّمَ المجتمعَ. أعتقدُ أنَّ الاعتدالَ مطلوبٌ بمرحلةِ الانتقالِ، للتخفيفِ مِنْ حِدَّةِ الصِّراعِ، أي مراعاةُ الدِّينِ للحفاظِ على الاستقرارِ والهدوءِ نوعاً ما، أي انتقالٌ سلميٌّ متدرّجٌ مُنظّمٌ يستوعبُ التَّحجُّرَ الدِّيني وتتمسَّكُ العقولُ بِهِ لأنَّهُ ذريعتَهم وسلطتَهم الَّتي يدافعونَ عنها.

فالسُّرعةُ بالانتقالِ الثَّوريّ والتَّغييرِ هنا قَدْ يكونُ عُرضةً للفشلِ كما حصلَ بثوراتِ الرَّبيعِ العربيّ الأخيرةِ الَّتي قامَتْ ضدَّ الظُّلمِ والقهرِ، والفقرِ والاستبدادِ والهيمنةِ والتَّهميشِ، فدخلَتْ بمتاهةٍ أجهضَتْ حُلُمَها بسببِ أعداءِ التَّطوُّرِ المتربّصينَ وتعنُّتِ الجَهلِ وضُعفِ الإعلامِ المرافقِ للوعي الثَّوريّ أي يحتاجُ الأمرُ لمساندةٍ إعلاميَّةٍ موضوعيَّةٍ متجرّدةٍ وغيرِ منحازةٍ، تساهمُ بانطلاقِ الفكرِ والثَّورةِ.

الحداثةُ أصبحَتْ حاجةً ملحَّةً لا يمكنُ تأجيلُها للنهوضِ الفكريّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ والسِّياسيّ وبناءِ مؤسَّساتٍ حضاريَّةٍ ديمقراطيَّةٍ تقودُ المجتمعاتِ نحوَ التَّقدُّمِ والازدهارِ واللِّحاقِ بركبِ الحضارةِ العالميَّةِ المتسارعةِ، للأسفِ لا يحدثُ أيُّ تغييرٍ على أرضِ الواقعِ ونسيرُ للأسوأ بسببِ غيابِ الرُّؤيةِ الخلَّاقةِ التَّنويريَّةِ وطُغيانِ أفكارٍ مُتصارعةٍ تؤدّي إلى الحروبِ المُميتةِ وتؤدّي بالبلادِ إلى الجحيم كما نرى. لعبورِ

آمنٍ نحتاجُ إلى مفكّرينَ مختصّينَ ببناءِ الدَّولةِ الحديثةِ وعلاجِ الصّراعاتِ الهدّامةِ. فلا تكفي شطحاتُ القلمِ الفكريَّةِ والثَّوريَّةِ للتعبيرِ عمَّا نتوخَّاهُ، إنَّما نحتاجُ لأسسٍ منطقيَّةٍ وجملةِ إصلاحاتٍ وطريقةِ عملٍ، وأولى المَهامِ فصلُ الدِّينِ عَنِ الدَّولةِ لإقامةِ مجتمعٍ مدنيٍّ وتعميقِ الرُّؤيةِ التَّنويريَّةِ بكلّ المجالاتِ. إنَّ علاقةَ الإنسانِ بالدِّينِ هي علاقتُهُ بالسَّماءِ، باللهِ، بالغيبِ، أمَّا علاقته بالأرضِ والواقعِ هي علاقةُ إنسانٍ ومواطنٍ بقانونٍ ونظامٍ ودساتيرَ ومؤسَّساتٍ تضمنُ حقوقَ الجميعِ بغضّ النَّظرِ عَنْ أديانِهم ومذاهبِهم وطوائفِهم.

10. لديكِ قراءَاتٌ للوحاتٍ فنّيَّةٍ، تُعبّرينَ عَنِ انطباعاتِكِ حَولَ اللَّوحَةِ، هَلْ توافقينَني الرَّأيَ أنَّ لكُلّ قارئٍ أو ناقدٍ للوحةِ التَّشكيليّةِ انطباعاتُهُ الخاصَّة، قَدْ يختلفُ غيرُهُ عنهُ في الانطباعِ؟! كيفَ تقدّمينَ انطباعاتِكِ؟!

نعم، لكلّ قارىءٍ انطباعاتٌ خاصةٌ عَنِ اللَّوحةِ الفنّيَّةِ، بالفنّ لا يمكنُنا التَّعميمُ، أو وضعُ شروطٍ لنجاحِ العملِ الفنّي، الفنُّ هواءٌ طليقٌ .. يبتعدُ كلَّ البُعدِ عَنِ القيودِ والتَّحجيمِ. فلكلّ متلقٍ أو ناقدٍ رؤاهُ الَّتي تنقلُ الإحساسَ باللَّونِ للفكرِ والرُّوحِ والمشاعرِ .. فيرى المتلقّي العملَ بتمازجٍ موحَّدٍ بينَ فكرِهِ وحسّهِ وروحِهِ ليستطيعَ تذوُّقَ العملِ بكلّ وجدانِهِ .. فلكلٍّ منَّا انطباعُهُ الخاص بِهِ، الَّذي يعكسُ صدى داخلِهِ ويجدُ بالعملِ تعبيراً ملامِساً لهُ، تعبيراً خدشَ إحساسَهُ بوخزةِ نبضٍ يُفضي إلى التَّحليقِ بعالمِهِ الجماليّ الخاصّ بِهِ.

وهذا التَّلامسُ الحاصلُ بينَ العملِ والمتلقّي هو خلاصةُ النَّجاحِ للعملِ هذا التَّلامسُ المختلفُ بينَ إنسانٍ وآخرَ. بالنّسبةِ لي أقدّمُ انطباعاتي حسبَ إحساسي باللَّونِ والخطوطِ والأبعادِ الَّتي تخفيها اللَّوحةُ أي ما ترمي إليهِ مِنْ تدفُّقاتٍ خياليَّةٍ تسافرُ بفكري للبعيدِ، وتستبيحُ مشاعري وحواسي، وتتمكَّنُ مِنْ سياجِ مُخيّلتي لتحدثَ فيها نوافذُ مِنْ تأمُّلٍ ونيازكُ مِنْ عرينِ فضاءٍ يدعوني للصمتِ تارةً، والذهولِ تارةً، والصُّراخِ تارةً، ويدعوني للبكاءِ أحياناً، كما يدعوني للرحيلِ خارجَ حدودِ الكونِ، حيثُ عذريَّةُ الحُلُمِ المُسافرِ مَعَ عبيرِ اللَّونِ.

11. لماذا لا تهتمُّ المؤسَّساتُ الشَّرقيّةُ والعربيّةُ بالفنَّانينَ والفنّاناتِ والأدباءِ والمفكّرينَ كما يستحقُّونَهُ؟!

نعم، نلاحظُ تهميشاً للفنّ والفنَّانينَ مِنْ مؤسَّساتِ المجتمعاتِ الشَّرقيَّةِ والعربيَّةِ حصراً، تهميشاً كسائرِ التَّهميشِ الَّذي يَطالُ البشرَ والشَّجرَ والكائناتِ الحيَّةَ، تهميشاً معتاداً للأسفِ. لأسبابٍ عدَّةٍ منها الجهلُ التَّامّ بأهمّيةِ الفنّ في حياةِ الشُّعوبِ ودورِهِ الثَّقافيّ والإنسانيّ والرُّوحيّ والجماليّ، الَّذي يهذّبُ النَّفسَ الإنسانيَّةَ بالجمالِ والتَّذوُّقِ والإحساسِ والرّقَّةِ والخيالِ، ومِنَ الأسبابِ الَّتي تكونُ متعمدةً غالباً الخوفُ مِنَ الفنّ أي الخوفُ مِنْ زرعِ قيمِ التَّفكيرِ والتَّنويرِ بنفوسِ النَّاسِ لتبقى رهنَ خوفِها وعزلتِها وتبعيَّتِها. فما حاجةُ الرَّعيةِ والقطيعِ للتذوُّقِ وإعمالِ الفكرِ وقراءَةِ رسائلِ الفنّ الَّتي قَدْ تكونُ تحريضاً على حقّ الحياةِ، وحقّ الحرّيَّةِ وتحطيمِ القيدِ، وهذا ما يتعارضُ مَعَ سياساتِ القمعِ والعبوديَّةِ ليبقى الإنسانُ تحتَ نيرِ الظُّلمِ والظَّلامِ والصَّمتِ والقُبحِ والخوفِ والعزلةِ، يرضى بما يُقدَّمُ إليهِ مِنْ ثقافةٍ كاذبةٍ تخدمُ مصالحَ مؤسَّساتٍ فاشلةٍ، جُلُّ مُنجزاتِها كرسيٌّ وإذاعةٌ وإعلامٌ يخدمُ رياءَها، ومِنَ الأسبابِ الَّتي تجعلُ المؤسَّساتِ تهمّشُ الفنَّ والفنَّانينَ، ثورةُ الفنّ وصحوةُ الفنَّانينَ

الَّتي تحرّضُ على التَّغييرِ وتنتقدُ الواقعَ وتحثُّ على رفضِهِ كما أسلفَتْ، مؤسَّساتٌ عقيمةٌ، مادامَتْ تقمعُ الفنَّ إنْ كانَ حُرَّاً. وتشجّعُهُ إنْ كانَ موجَّهاً، للأسفِ هذا ما يحدثُ في عالمِنا العربيّ، ليصبحَ الفنَّانُ عرضةً للفقرِ والحاجةِ وعجزِهِ عَنْ شراءِ موادِّ إبداعِهِ أو شراءِ إطارٍ لعرضِ أعمالِهم في ظلِّ نقابةٍ عاجزةٍ عَنِ المساعدةِ. وتاريخُ الفنِّ يشهدُ على دخولِ بعضِ الفنَّانينَ في حالاتٍ نفسيَّةٍ وانعزالِهم، نتيجةَ سوءِ أحوالِهم المادّيَّةِ أو محاربتِهم ومحاولةِ تدجينِهم. كيفَ للخيالِ أنْ يُسجنَ أو يدَجَّنَ؟ كيفَ للونِ والفكرة أن تُسخَّرَ؟ نهاياتٌ تعيسةٌ كانَتْ مآلَ الكثيرينَ، أمثال المبدع السُّوري لؤي كيالي الَّذي ماتَ وحيداً بعزلتِهِ، وكانَ أحدَ أعلامِ الفنِّ السُّوري الَّذي جسَّدَ مآسي الشَّعب وحياةَ الفقراءِ، لتنتهي مسيرتُهُ الفنّيَّةُ بينَ جدرانِ الكآبةِ والحزنِ وتبقى أعمالُهُ خالدةً بتاريخِ الفنِّ. نعم إنَّها المؤسَّساتُ ذاتُها الَّتي تحاربُ التَّنويرَ والتَّفكيرَ والتَّجدُّدَ، وتهمّشُ الفنَّ والفنَّانينَ وتقتلُ الإبداعَ إرضاءً لسطوةِ أهدافِها بالهيمنةِ ودوامِ التَّخلُّفِ وموتِ الأحلامِ، ووأدِ الخيالِ، لله في مؤسَّساتِنا شؤونٌ؟!.

12. الإبداعُ بمختلفِ صنوفِهِ هو الواجهةُ الحضاريّةُ لأي بلدٍ في العالمِ، الإبداعُ والثَّقافةُ العربيَّةُ إلى أين؟

نعم، يُعدُّ الابداعُ الواجهةُ الحضاريَّةُ للمجتمعاتِ، ومقياسُ تطوُّرِها واحترامِها للحياةِ ولقيمِ الجمالِ، لأنَّ الفنَّ هو جمالٌ مُطلقٌ كالقيمِ المطلقةِ، كالحقِّ، والخيرِ، والعدالةِ، والسَّلامِ، أرى بالفنِّ مُدُناً فاضلةً تنبذُ الرَّذيلةَ وتقمعُ الشَّرَّ، وتسمو بالحقِّ والجمالِ والسَّعادةِ والسَّلامِ. مُدهشٌ ما نراهُ مِنْ فنَّانينَ عربٍ في الغربِ، أبدعوا وأدهشوا العالمَ، تهجَّروا مِنْ أرضِهم حاملينَ همومَ وطنٍ مُضرَّجٍ بالموتِ والجوعِ والضّياعِ ومَعَ هذا بقي الوطنُ هاجسَهم الأوَّلَ، وحلُمَهم الأسمى، يرسمونَهُ وجعاً، وأملاً، وحُلُمَ عودةٍ وسلامٍ. لقد أثبتوا أنَّ الإنسانَ فوقَ هذهِ الأرضِ هو نفسُهُ في العالمِ .. ولكنَّ المحيطَ يَسهَمُ ببناءِ الإنسانِ أو هدمِهِ. كما يفعلُ محيطُنا المتشرذمُ العاجزُ، المهيمنُ. الفنُّ أحدُ دعائمِ الثَّقافةِ والحضارةِ، لأنَّهُ يرقى لأرفعِ مُستوياتِ الجمالِ والسَّلامِ والحياةِ، يزرعُ بذورَ الحقيقةِ والحرّيّةِ بثنايا اللَّونِ، ويزرعُ ملَكةَ الإحساسِ والتَّذوُّقِ في ثنايا البشرِ، ليسهمَ بإنتاجِ ثقافةٍ مسالمةٍ، متعايشةٍ مَعَ العَالمِ الَّذي يوحّدُهُ اللَّونُ كما يوحّدُهُ اللَّحنُ، كلاهما لغةٌ عالميَّةٌ، تجتازُ الحدودَ والمَسافاتِ والعلاقاتِ العالميَّةَ مِنْ دونِ استئذانٍ، وتبلسمُ الأرواحَ وتلوّنُ السَّماءَ، وتكسو الحياةَ ربيعاً حالماً بالحبِّ، بالمطرِ، بالوطنِ، بالصَّفاءِ، بالخيرِ والسَّلامِ. الثَّقافةُ العربيَّةُ قاصرةٌ جدَّاً عَنْ مُجاراةِ عالمِ الفَنِّ والحضارةِ والرُّقيِّ والسُّموِّ بالبشرِ، ثقافةٌ مقصّرةٌ أيضاً تجاهَ شعوبِها وتطلُّعاتِهم الجماليّةِ .. قامعةٌ لدورِهم في التَّغييرِ والتَّعبيرِ والمشاركةِ ببناءِ الأوطانِ والحضارةِ العربيَّةِ والعالميَّةِ، ثقافةٌ تنهشُ الجمالَ، وتغذّي القُبحَ. مادامت بجمودِها ومحاربتِها للآراءِ وحُرّيَّةِ التَّعبيرِ إنْ كانَ بالحرفِ أو بالرَّسمِ أو بالحُلُمِ.

ستوكهولم: 8. 7. 2024

صبري يوسف

أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم



تكتبُ الشّاعرة المصريّة شروق لطيف
على إيقاعِ دندناتِ الشعرِ وانبعاثِ بهجةِ السَّردِ

5

حوار صبري يوسف – ستوكهولم،

ترعرَعَتِ الشَّاعرة المصريّة شروق لطيف، في بلدِ الحضارةِ، والفنّ، والإبداعِ. وتشرَّبَتْ بماءِ النِّيلِ العذبِ، وانبعثَتْ مِنْ حضارةِ مصرَ العريقةِ، شاعرةٌ شغوفةٌ ببوحِ الشِّعرِ، تكتبُ برهافةٍ وشَغفٍ عميقَينِ، تعشقُ فضاءَاتِ بوحِ القصيدةِ، وجموحاتِ الكتابةِ، دعوتُها لإجراءِ هذا الحوارِ معَها حولَ تجربتِها الشِّعريّةِ والأدبيّةِ، فلبَّتْ دعوتي، فوُلِدَ الحوارُ التَّالي عبرَ دَندناتِ الشِّعرِ وحنينِ انبعاثِ الحَرفِ في فضاءِ السَّردِ:

1. كيفَ تولدُ عِندَكِ القصيدةُ؟!

القصيدةُ هي تجربةٌ شعوريَّة فريدةٌ، يعيشُ بداخلِ فضائها الشَّاعرُ ويحلّقُ بين أبياتِها بجناحَيّ العاطفةِ والخيالِ، تتكوَّنُ في الفكرِ وتناجي الشُّعورَ وتهمسُ في أذنِ الشَّاعرِ كي يبوحَ بها.

2. هَلْ تكتبينَ القصيدةَ، دُفعةً واحدةً أَمْ على مراحلَ؟!

لكلِّ قصيدةٍ فكرةٌ تلتمعُ فجأةً في المخيَّلاتِ فيريدُ الشَّاعرُ البوحَ بمكنونِ صدرِهِ والتَّعبيرَ عَنْ مشاعرِهِ وبالفعلِ يمكنُ أنْ تتوالى الأفكارُ في القريحةِ مِثلَ تدافعِ الأطيارِ، مُحلّقةً في عِنانِ السَّماءِ فتتزاحمُ حتَّى يتمَّ بثُّها دُفعةً واحدةً مَخافةَ أن تتلاشى في طيِّ النِّسيانِ فأقومُ بتسجيلِها ثمَّ أُعيدُ تنسيقَ ترتيبِ أفكارِها حتَى تخرجَ أنيقةً كبستانٍ تُشذِّبُهُ ساقيةٌ ويزيّنُهُ بكلِّ الزُّهورِ العاطرةِ.

3. مَتى تكتبينَ، هَلْ لديكِ ثمّةَ طقوسٌ مُعيّنةٌ في فضاءِ الكتابةِ؟

الكتابةُ هي وحيٌ إبداعيٌّ يراودُني في أيِّ لحظةٍ وفي أيِّ مكانٍ مِنْ دونِ سابقِ ترتيبٍ، حتَّى أنَّهُ يُمكنُ أنْ يقضَّ مَضجعي فأهبُّ لتدوينِهِ مهما ثقُلَ النَّومُ في عينيَّ، فأكثرُ لحظةٍ تسعدُني هي عندما تلوحُ لي خاطرةٌ جديدةٌ، أعملُ على تطويرِها وأشعرُ بأنَّها ستروقُ للقرَّاءِ. الهدوءُ النَّفسي والانعزالُ عَنِ الضَّوضاءِ يهيئانِ الجوَّ الملائمَ للكتابةِ.

4. ماذا تعني لكِ الكتابةُ، لماذا تكتبينَ، ما هي الدَّوافعُ الَّتي تدفعُكِ للكتابةِ؟!

الكتابةُ هي هبةٌ مِنَ الله تعالى للإنسانِ، ميَّزَهُ بها دونَ سائرِ المخلوقاتِ، ووسيلةٌ لترقيتِهِ الى منازلَ رفيعةٍ في الفكرِ والنُّضوجِ العقلي، ولَمْ أجدْ أوفى مِنَ القلمِ رفيقاً لدربي للتعبيرِ عَنْ كلِّ ما يعتلجُ في نفسي مِنْ مشاعرَ وما يختمرُ في قلبي مِن انفعالاتٍ. دافعُ الكتابةِ هو البوحُ بأُسلوبٍ متفرّدٍ، ولكلِّ أديبٍ أُسلوبُهُ المتفرّدُ لأنَّ الكتابةَ هي رحيقُ الفكرِ المختلفِ مِنْ شخصٍ لآخرَ.

5. ماذا ينتابُكِ وأنتِ غائصةٌ في كتابةِ القصيدةِ؟!

يُخالطُني شعورٌ بالتَّوتُّرِ في البدايةِ فهي نوعٌ مِنَ المَخاضِ الفكريّ يصاحبُهُ ألمٌ دفينٌ حتَّى تتدافعَ الأفكارُ وتُنسَّقَ في مسارِها السَّليمِ وبعدَ التَّعبِ النَّفسيّ والإجهادِ العقليّ، تأتي البشائرُ تلوحُ بالفرحِ مَعَ إتمامِ العملِ وتكليلِ الجهودِ بالخاتمةِ المُلائمةِ مَعَ ضَرورةِ الاقتناعِ كلّيةً بالمصداقيَّةِ في كلِّ حرفٍ، وإلَّا لنْ يكونَ للحروفِ التَّأثيرُ المطلوبُ ولَنْ تَمُسَّ وجدانَ القارئِ ولَنْ يتشوَّقَ لتكملةِ القراءَةِ.

6. مِمَّ تستوحينَ الصُّورةَ الشِّعريّةَ، وكيفَ تَصوغينَ فضاءَاتِها في جموحاتِ التَّجلّي؟!

مِنَ المُمْكنِ أنْ تستثيرَ عواطفي مواقفُ تبدو بسيطةً إلَّا أنَّهُ عِندَ التَّأمُّلِ العميقِ فيها يمكنُ أنْ تشكِّلَ نواةً لعملٍ مؤثّرٍ. أحبُّ القصيدةَ الحواريَّةَ الَّتي تُنشئُ حديثاً مُتبادِلاً بينَ النَّفسِ وصداها أو بينَ الشَّاعرِ وقلمِهِ أو الشَّاعرِ مُحدِّثاً عناصرَ الطَّبيعةِ، فتَرِدُ عليهِ تساؤلاتُهُ لتهدأَ ثائرتُهُ ونفسُهُ الهائمةُ الباحثةُ عَنِ الجمالِ بينَ عناصرِها.

7. تُبنى القصيدةُ على اللُّغةِ والفكرةِ والخيالِ. كيفَ تشتغلينَ على اللُّغةِ، واستنباطِ الفكرةِ، وانبعاثِ الخيالِ؟!

بالحقِّ لخَّصْتَ بهذا المثلَّثِ الَّذي هو أضلاعُ القصيدةِ. القاعدةُ هي اللُّغةُ وما أوسعَ بحرَ اللُّغةِ العربيّةِ، شاسعُ الأرجاءِ، وجوفُهُ المُمْتلئُ بالدُّرَرِ الثَّمينةِ، وما أسعدَ هذا الشَّاعرَ الَّذي يُشبِهُ الغوَّاصَ الماهرَ، باحثاً عنها كي يرقى خطابُهُ بهذهِ الألفاظِ الرَّصينةِ والتَّعبيراتِ البليغةِ، أمَّا الفكرةُ فلحظةُ إيجادِها تماثلُ عندي لحظةَ اكتشافِ لؤلؤةٍ ثمينةٍ مِنْ بينِ المَحارِ، وهنا يكمنُ سرُّ التَّفرُّدِ إذا كانَ للشاعرِ قصبُ السَّبقِ في إيجادِ فكرةٍ لَمْ يكتشفْها أحدٌ مِنْ قبلِهِ، فهو مبدعٌ بحقٍّ. أمَّا التَّناصُّ وتطويرُ أفكارِ الأسبقينَ فينكشفُ بسهولةٍ ويتمُّ انتقادُهُ إذا ما حاولَ نسبِها لنفسِهِ، أمَّا الخيالُ فهو هبةٌ إلهيَّةٌ وهنا تختلفُ القرائحُ في درجةِ اتِّساعِ وخصوبةِ الخيالِ، فهو التَّحليقُ بحقٍّ بعقليَّةِ القارئِ لتجعلَهُ مُندهِشاً وهو يدخلُ عوالمَ جديدةً مُنبهراً بها.

8. هَلْ تَشعرينَ أحياناً وأنتِ غائصةٌ في كتابةِ قصيدةٍ ما، أنَّكَ غيرُ قادرةٍ على استكمالِها، كيفَ تتصرَّفينَ؟!

أكيد كثيراً ما يتأرجحُ الشَّاعرُ بينَ النَّجاحِ والفشلِ، والإجادةِ حيناً وعدمِ إصابةِ الهدفِ المَنشودِ تارةً أخرى، وأكثرُ ما أهتمُّ بِهِ هو تطويرُ ذاتي وعدمُ الجمودِ في نطاقِ نقطةٍ فكريَّةٍ مُعيَّنةٍ، بَلْ تكونُ بمثابةِ الانطلاقِ

لبدايةٍ جديدةٍ كلَّ مرَّةٍ، مواكِبةً للتطويرِ والتَّحديثِ، وكَمْ بالفعلِ بدأتُ في كتابةِ بعضِ الخَواطرِ ومزَّقتُ الأوراقَ بعدَها لعدمِ اقتناعي بجودةِ أسلوبِها، وينتابُني بعدَها حزنٌ على إضاعةِ جهدي ثمَّ يعوِّضُني تعالى بأخرى تكونُ أكثرَ طلاوةٍ وبأسلوبٍ أكثرَ عذوبةً فتُنسيني سابقتَها.

9. عندما تكتبينَ قصيدةً معيّنةً، وتنتهينَ مِنْ كتابتِها، هَلْ تراجعينَها، تُضيفينَ إليها أو تحذفينَ منها؟!

أجلْ وهذهِ المرحلةُ، ما بعدَ الكتابةِ، تُسمَّى التَّنقيحُ والمراجعةُ اللُّغويَّةُ والنَّحويَّةُ فأقومُ بتغييرِ بعضِ المفرداتِ أو ضبطِ بعضِ الأوزانِ، ولكِنْ هذهِ المرحلةُ تغمرُني بسعادةٍ وأنا أشعرُ أنّي أضعُ اللَّمساتِ الفنّيَّةَ الأخيرةَ للعملِ مثلَ الصَّائغِ الَّذي يقومُ بتلميعِ قطعتِهِ الذَّهبيّةِ بعدما أخذتُ منهُ مِنْ شديدِ جهدٍ لتظهرَ برَّاقةً تخطفُ العيونَ وتأسِرُ الألبابَ.

10. ماذا تعني لكِ القصيدةُ، هَلْ تشعرينَ أنَّها صديقتُكِ، صديقُكِ، أنَّها رؤاكِ المُتعانقةُ مَعَ المتلقّي؟!

القصيدةُ هي مقصدي وملاذي وحِصني الحصينُ، ألوذُ بالهربِ مِنْ أيّ ضيقٍ أو اكتئابٍ أو حُزنٍ على ذكرياتٍ أو هروبٍ مِنْ واقعٍ خانقٍ بالحروبِ والويلاتِ، فألجأُ اليها أستفيءُ تحتَ ظلالِها وأدخلُ عوالمَ الخيالِ، أُعبّرُ بها ليسَ عَنْ أحزاني أو رؤيتي الشَّخصيَّةِ فحسبُ، بَلْ أغوصُ في أعماقِ النَّفسِ البشريَّةِ، أعبّرُ عَنْ مُعاناةِ البشريَّةِ ككلٍّ وأعبّرُ عَنْ مُختلفِ المشاعرِ والأحاسيسِ المُتضاربةِ الَّتي تعصفُ بها كرياحٍ هوجاءَ.

11. هَلْ تستطيعينَ أنْ تترجمي ما يراودُكِ مِنْ مشاعرَ عَبرَ القصيدةِ أمْ أنّكِ غيرُ قادرةٍ على ترجمةِ مشاعرِكِ؟!

إنْ لَمْ يستطِعِ الشَّاعرُ ع التَّعبيرَ وترجمةَ مشاعرِهِ، فكيفَ لَهُ أنْ يعبّرَ عَنْ مشاعرِ الآخرينَ، فالخيالُ الخصبُ الَّذي خصَّتْهُ بِهِ العنايةُ الإلهيَّةُ دونَ غيرِهِ إنَّما يتيحُ لَهُ الفرصةَ لتحويلِ الأحلامِ إلى واقعٍ. إنَّهُ يُترجمُ الأمنياتِ إلى حقائقَ في حقلِ الخيالِ الخصيبِ، وما أسعدَني حينما يقولُ لي أحدُ القرَّاءِ. لقَدْ استطعْتِ أنْ تعبّري بما في نفسي فيما عجزْتُ عَنِ التَّعبيرِ عنْهُ.

12. هَلْ تُحقّقُ لكِ الكتابةُ، نوعاً مِنَ التَّوازنِ مَعَ المحيطِ الّذي تعيشينَ فيهِ، وتمنَحُكِ مُتعةً وتفاؤلاً في الحياةِ؟!

الكتابةُ تعبّرُ عَنْ واقعِ الشَّاعرِ وما يرصدُهُ حولَهُ مِنْ مظاهرَ حياتيَّةٍ وأساليبَ معيشيَّةٍ تؤثّرُ عليهِ وعلى أُسلوبِهِ، فالبيئةُ هي أحدُ عواملِ تشكيلِ حرفِهِ، بدليلِ شاعرِ الصَّحراءِ في وصفِهِ للبيداءِ وإبلِها والحادي وغنائِهُ في توديعِ القافلةِ، وشاعرٌ آخرُ في وصفِهِ للأنهارِ والمَراعي والجبالِ، وأنا ابنةُ بحرِ الإسكندريةِ، فأحبُّ دائماً مناجاةَ البحرِ وإسقاطَ حالتي النَّفسيَّةِ بينَ أمواهِهِ وتتقلَّبُ النَّفسُ كتقلُّبِ أمواجِهِ بينَ الاهتياجِ والهدوءِ.

13. متى تُناديكِ القصيدةُ، وهَلْ تستجيبينَ لمناداتِها بسلاسةٍ وبكلِّ انسيابيّةٍ واندفاعٍ؟!

لا أكتبُ إلَّا بعدَ انفعالٍ وتأثُّرٍ حقيقيٍّ حتَّى أنَّهُ حينَ التَّعبيرِ عَنِ الحُزنِ والألمِ تنسكبُ العبراتُ على الأوراقِ فيحترقُ الحرفُ في مَحرقةِ الصِّدقِ، فيخرجُ نقيَّاً خالصاً مِنْ أيَّةِ شوائبَ كالذَّهبِ النَّقيِّ، فأجدُ قلمي يُناديني للتعبيرِ ناقداً تارةً، وثائراً تارةً أخرى، أو تأثُّراً بجمالٍ طبيعيٍّ أخَّاذٍ، فتخرجُ الكلماتُ بسلاسةٍ وتلقائيَّةٍ، وأحياناً تَعصيني الكلماتُ وتفرُّ منِّي كالظِّباءِ النَّافرةِ على الجبالِ فأجدُ نفسي أعاتبها في قصيدةٍ وأشعرُ أنَّها ترجعُ إليَّ كالصديقِ الَّذي يؤوب إلى صديقِهِ مُعتذراً عَنْ جفائِهِ أو طولِ غيابِهِ.

14. أنتِ ابنةُ مصرَ، ابنةُ النِّيلِ وسليلةُ حضارةٍ شامخةٍ، هَلْ تنعكسُ حضارةُ النِّيلِ على فضاءِ القصائدِ؟!

الشَّاعرُ هو سفيرُ الوطنِ والمعبِّرُ عَنْ آمالِ وآلامِ الأمَّةِ وقصائدِ الفخرِ، بالانتسابِ لمصرَ والحديثِ عَنْ حضارتِها مُدعاةُ للفخرِ لكلِّ شاعرٍ ارتوى بقطراتِ نيلها الرَّيَّانِ، وأحاولُ كذلكَ إعادةَ ذكرى الشُّعراءِ العُظماءِ الَّذينَ تركوا آثاراً خالدةً تزهو بها مصرُ عَبرَ الدُّهورِ.

15. ما الَّذي قادَكِ إلى فضاءَاتِ بَوحِ القَصيدةِ، وتجلّياتِ انبعاثِ الحَرفِ؟!

يؤمنُ اليونانيُّونَ القدامى أنَّ هناكَ ربَّةً للشعرِ تعزفُ على قيثارِها وتهمسُ في أذنِ الشَّاعرِ بالإلهامِ، وأنا أؤمنُ بقوَّةِ الحُروفِ وقدرتِها على الارتقاءِ بالأذهانِ وتقويمِ الأخلاقِ ورفعةِ الأقوامِ، فالحروفُ مثلُ الزُّهورِ إذا تمَّ تنسيقُها في باقاتٍ، أصبحَتْ مُبهرةً للعيونِ ومُشرِحةً للصدورِ.

16. كيفَ انتقلَتِ مِنْ فضاءِ الشِّعرِ إلى عوالمِ السَّردِ الرِّوائيِّ، هَلْ مهّدَ الشِّعرُ لهذا الانتقالِ، أمْ أنَّ فضاءَ الرِّوايةِ يختلفُ جذريَّاً عَنِ انبعاثِ بوحِ القصيدةِ؟!

فعلاً كانَ الشِّعرُ هو النَّواةُ للإنطلاقِ في اتجاهٍ تجريبيٍّ لكلِّ أنواعِ الأدبِ، ليسَ كلُّ كاتبٍ روائيٍّ شاعراً والعكس كذلك صحيح، ولكنْ إنطلاقاً مِنْ إيماني بسرديَّةِ القصيدةِ واحتوائِها على قصَّةٍ تعبّرُ عنها بالأوزانِ والقوافي. هكذا كانَتِ النَّواةُ للوصفِ المطَّردِ والتَّوسعِ الانشائيِّ، فراقَتْ لي فكرةُ أنَّ الرِّوايةَ كذلك هي قصيدةٌ طويلةٌ تعتمدُ على الموسيقى الدَّاخليّةِ ويتَّسعُ فيها استخدامُ مُختلفِ الأساليبِ البيانيَّةِ المتنوّعةِ، وكذلكَ آثرتُ على دمجِ بعضِ القصائدِ الموزونةِ في داخلِ الرِّوايةِ لتزدادَ ثراءً وقيمةً لغويَّةً وأدبيَّةً متفرّدةً.

17. كيفَ تعبّرينَ عَنْ حَالاتِ الأسى والأنينِ، وعَنِ الفرحِ والوئامِ، وعَنِ الحُبِّ والحَنينِ في فَضاءِ الشِّعرِ؟!

تبوحُ النَّفسُ بالأشعارِ عَنْ كلِّ المشاعرِ المتناقضةِ، وبالشِّعرِ تعزفُ أعذبَ اللُّحونِ، فتشجي النَّفسَ في ألمِها فتتعزى وتتيهُ فرحاً بالترنُّم مَعَ أحلى الكلماتِ، وكذلكَ أكتبُ للحبِّ فهو أسمى المشاعرِ الإنسانيَّةِ وهو الطَّاقةُ السِّحريَّةُ الخافقةُ للقلوبِ، والحبُّ في معناهُ الأسمى يبدأ بحبِّ الإنسانِ للخالقِ الأعظمِ، فيمجِّدُهُ ويشكرُ فضلَهُ

تعالى في جميلِ خلقِهِ وسموِّ إبداعِهِ في الطَّبيعةِ السَّاحرةِ، وكذلكَ شعرُ الغزلِ عَنْ لسانِهِ وعَنْ لسانِها وحبِّ الوطنِ وحبِّ الطَّبيعةِ كذلكَ.

18. ماذا تعني لكِ الطُّفولةُ، هَلْ تستوحينَ مِنْ عوالمِ الطُّفولةِ بهاءً وبوحاً شِعريَّاً، وسرديَّاً؟!

الطُّفولةُ هي حجرُ الأساسِ الَّذي إذا تمَّ الاهتمامُ بِهِ وتلقينُهُ الأسسَ السَّليمةَ للغةِ والقواعدِ النَّحويَّةِ والبيانيَّةِ سيشبُّ الطِّفلُ على حبِّ الأدبِ وعلى شغفِ المعرفةِ فيستطيعُ بدورِهِ حَمْلَ الشُّعلةِ لاستكمالِ المسيرةِ، ربَّما تُعتبرُ مجموعتي الأدبيّة مِنْ قصصِ ألفِ ليلة مُناسِبةً لتوجيهِها للأطفالِ بما تحويهِ مِنْ قصصٍ شيِّقةٍ وأساطيرَ مِنْ مُختلفِ البلدانِ.

19. ما هو هدفُكِ مِنْ كتابةِ الشِّعرِ، ما الَّذي يجذِبُكِ إلى فضاءَاتِ رِحابِ الشِّعرِ؟!

هدفي الأوَّلُ هو التَّرنُّمُ مِثلَ البُلبلِ في الحقولِ ولذلكَ اخترتُ لنفسي لقبَ "كروانةُ النِّيل" تشبُّها بصوتِ الكروانِ المصري الرَّخيمِ وهو يرفرفُ صادحاً على شاطئِ النِّيلِ فيعذبُ صوتُهُ للأسماعِ، فالهدفُ هو إسعادُ النَّاسِ وإطرابُهم ويكفي أنْ يذكِّروني بجميلِ الدُّعاءِ إنْ استلذُّوا بحروفي.

20. إلى أينَ تُريدينَ أنْ تصلي في مِحرابِ انبعاثِ بوحِ الشَّعرِ، وفي تجلّياتِ بوحِ السَّردِ؟!

يعتقدُ البعضُ أنَّ الشِّعرَ ساحةٌ للمنافسةِ فيتفاخرُ بعضُ الشُّعراءِ ويختالونَ عجباً بحروفِهم ويعتقدونَ بتفرُّدِهم لا سواهم ولكن مِنْ وجهةِ نظري وعَنْ قناعةٍ تامَّةٍ، أنَّ الشَّاعرَ الحقيقيَّ هو الَّذي إذا قرأْتَ لَهُ ولو للمرةِ الألفِ، تشعرُ بأنَّكَ كأنَّما تقرأُ لَهُ للمرَّةِ الأولى، وأنَّهُ في كلِّ مرَّةٍ يقدِّمُ لكَ سلافاً جديداً مِنْ زقِّهِ العتيقِ بروحِ الأصالةِ والحنكةِ الَّتي اكتسبَها مِنْ طولِ دربةٍ مَعَ الحروفِ.

ستوكهولم: تمُّوز، (يوليو) 2024

صبري يوسف

أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم





حوار صبري يوسف

مع الفنّانة التَّشكيليّة السُّوريّة نضال سوّاس

6



ترسمُ الفنَّانةُ التَّشكيليّةُ السُّوريّةُ نضال سوّاس اللَّوحةَ كأنَّها في حالةِ فرحٍ وحبٍّ وحنينٍ، تستوحي مِنْ معالمِ حياتِها أزهى ما في أريجِ العمرِ، وترسمُ لوحتَها بكلِّ ما يعتلجُ في مخيالِها ومُنعرجاتِ عُمرِها مِنْ تناغمٍ وتآلفٍ في الألوانِ، جذبَتْها الأزاهيرُ بكلِّ ما فيها مِنْ انبهارٍ في تدرُّجاتِ الألوانِ، وشعرَتْ وكأنَّ الأزاهيرَ كائناتٌ حيّةٌ تُعانقُ بعضُها بعضاً لما فيها مِنْ توهُّجاتٍ لونيّةٍ خصبةٍ خصوبةَ الرُّوحِ الخلّاقةِ في أوجِ ابتهالاتِ الرَّبيعِ.

إضافةً إلى أنَّها فنّانةٌ تشكيليّةٌ فهي كاتبةٌ مُحتبكةٌ في فضاءِ الكتابةِ، تكتبُ الشِّعرَ، والقصّةَ، والخواطرَ، كما تكتبُ النّصَّ المسرحيَّ والمقالَ، ولديها دراساتٌ عديدةٌ حولَ الأدبِ وقَدْ اشتغلَتْ في الصّحافةِ والتّرجمةِ أيضاً، وقَدْ درسَتِ الأدبَ الفرنسي واطلعَتْ بعمقٍ على اللُّغةِ الإنكليزيّةِ مِمّا خوَّلَها أنْ تدرِّسَ اللُّغةَ الفرنسيّةَ لطلّابِ المرحلةِ الإعداديّةِ والثّانويّةِ عندما كانَتْ في الوطنِ الأمِّ سوريا!

ترسمُ أعمالَها بعدّةِ أساليبَ، مُستخدمةً التّرميزَ تارةً والتّشكيلَ اللَّوني المُنساب بتجريدٍ بديعٍ في تداخلاتِ الألوانِ، كأنَّها تُناغي الغمامَ وزرقةَ السَّماءِ. وقَدْ قدَّمَتْ عِدّةَ معارضَ في الوطنِ الأمِّ وفي الأردنِ وفي دُنيا الاغترابِ وقدَّمَتْ معارضَ فرديّةً في السُّويدِ وشارَكَتْ في عِدّةِ معارضَ جماعيّة في السُّويدِ وألمانيا واسبانيا! التقيتُها مؤخَّراً في معرضِها الفردي في صالةِ هوسبي غورد في ستوكهولم، وأُجريَتْ مَعَها الحوارَ التَّالي:

1. ما هي المواقفُ والمشاهدُ والذّكرياتُ الَّتي ساهَمَتْ في تعميقِ شغفِكِ بالرَّسمِ خلالَ مَرحلةِ الطُّفولةِ؟

رُبَّما كانَ سحرُ الخيالِ الأوَّلِ الَّذي دفعَني للرسمِ هو كلُّ ما كانَ يحيطُ بي بالوجودِ كطفلةٍ تكتشفُ العالمَ بعين فضوليَّة شغفة ..عشقْتُ شكلَ الغيومِ ورحلاتِها عبرَ انسحابِها البطيءِ كوشاحٍ يلفُّ زُرقةَ السَّماءِ وهي تشكّلُ غنجَها بأشكال حلوة، سحرتْني ألوانُ الطَّبيعةِ وسحرتْني أكثرَ دهشَتي بالألوانِ لقطراتِ المطرِ والبخارِ.

2. كيفَ بدأْتِ الرَّسمَ، وتنامى لديكِ شغفُ الرَّسمِ إلى درجةٍ أصبحَ هاجسَكِ ولا تستطيعينَ الاستغناءَ عنهُ؟!

بدأْتُ الرَّسمَ بشكل طفوليّ عابث عَبرَ العبثِ برمادِ سجائرِ والدي وفنجانِ قهوةِ أُمّي .. كانت موادّي الأولى هي الرَّمادُ وما تبقّى مِنْ رشفاتِ الشَّغفِ بالقهوةِ وما أسدلتْهُ الأنفاسُ مِنْ بُخار على زجاجِ النَّوافذِ .. هذا الولهُ بتشكيلات تتمكَّنُ مِنْ فعلِها أصابعي الطِّفلة. حركةُ أصابع على أسطحِ مِساحات أتمكَّنُ مِنْ إغنائِها بأشكالِ الخيالِ. أصبحَتْ حركاتُ أصابعي المشكِّلةَ لعالَمي الخيالي إدماناً على الخلقِ كما وأصابعُ عازف على بيانو لا يستطيعُ تركَهُ حتَّى يسمعَ الألحانَ.

3. بمَنْ مِنَ الفنّانينَ تأثَّرتِ ومَنْ كانَ ساعدَكِ الأيمنَ وما هي الدَّورات الّتي خِضتِها وعَمّقَتْ تقنيَّاتِكِ الفنيّةَ؟

تأثرت بالأستاذِ الكبيرِ فاتح المدرّس الَّذي أشرفَ بنفسِهِ على رعايةِ موهبتي مُنذُ الصِّغرِ وطبعا تأثَّرْتُ بكلِّ العَوالمِ الجماليّةِ الغنيَّةِ لمختلفِ المدارسِ الفنِّيَّةِ كنْتُ متابعةً لكلِّ الفنون .. كانَتْ مكتبتُنا الغنيَّةُ بالعديدِ مِنَ الكتالوغاتِ الفنِّيّةِ الَّتي كانَ والدي شغوفاً باقتنائِها في كلِّ سفراتِهِ لأوروبا جعلتْني أَنشدُ بقوَّةٍ إلى ماتحويهِ مِنْ عوالمَ ساحرةٍ.

4. ما الَّذي قادَكِ إلى فضاءَاتِ الشِّعرِ والكتابةِ في مرحلةِ البداياتِ، وكيفَ تنامى هذا الشّغفُ عندَكِ؟!

كانَ لوعي الأهلِ بتوجيهي ثقافيَّاً، أثرُهُ الكبيرُ في جعلي أعشقُ عالمَ الفنِّ والفكرِ والأدبِ والفلسفةِ ربَّما كانَتْ مكتبتُنا المنزليَّةُ مِنْ أضخمِ المكتباتِ وأهَمِّها لِما كانَتْ تحتويهِ مِنْ كنوزِ الكتبِ بعدَّةِ لُغات لكبارِ الكتَّابِ والمفكّرينَ ودواوينِ الشُّعراءِ عَبرَ مُختلفِ العُصورِ، كلُّ هذا يساعدُ في أنْ يُصبِحَ الإنسانُ مَعَ الوقتِ جزءاً مِنْ هذا العالمِ ولا يريدُ الانفكاكَ عنهُ. وكانَ هذا الشَّغفُ يتنامى مَعَ الوقتِ بازديادِ الوعي والاهتمامِ بمعرفةِ وتقديرِ قيمةِ ما أقرَؤهُ لهؤلاءِ المُبدعينَ.

5. كيفَ تلتقطينَ الوهْجَ الفنِّيَّ وأنتِ ترسمينَ، هَلْ ترسمينَ ضمنَ مُخطّطٍ معيَّنٍ أمْ تُولدُ اللَّوحةُ بكلِّ عفويّتِها؟!

لا أعلمُ كيفَ ألتقطُ الوهْجَ الفنِّي أعتقدُ أنَّ الفنَّ هو تلكَ الهيولى الَّتي تُحيطُ بالفنِّ متُداخلةً معَهُ بكلِّ خلاياهُ وساحبةً إيَّاهُ إلى عالمِها الجنونيّ البديعِ، عالمٍ مِنَ الفانتازيا، رُبَّما هو تلكَ العربةُ الَّتي أمتطي خيولَها لأمخرَ بها عبابَ السَّكينةِ فأُحيلُها عالماً متوقِّداً مِنَ الحدثِ اللَّونيّ ومِنْ ضجيجِ الحركةِ فألقي بها بسياطِ ريشتي لأفسحَ بها المجالَ لافتراسِ الواقعِ بفانتازيا رؤيةٍ غيرِ مسبوقة حيثُ يكونُ الإبداعُ.

6. ما الَّذي دفعَكِ لدراسةِ الأدبِ الفرنسي، وكيفَ تعلّمْتِ اللّغةَ الإنكليزيّةَ، ودرَّستِها فترةً مِنَ الزّمنِ؟!

درسْتُ الأدبَ الفرنسي لأنَّهُ الأقربُ إلى روحي وثقافتي، سُحِرْتُ قبلَ اختياري هذا بما كنْتُ اقرؤُهُ لسيمون دي بوفوار وسارتر وفرانسواز ساغان وفيكتور هيغو ومولبير وراسين، فأحبَبْتُ الأدبَ الفرنسي مِنْ خلالِ ما سبقَ لي قراءَتهُ لهم وتعلَّمْتُ الإنكليزيَّةَ مِنْ خلالِ سفري إلى انكلترا مَعَ أهلي وإقامتِنا هناك لفترة ودراستي للغةِ كانَتْ بدافعِ حُبّي للُّغاتِ.

7. كيفَ تُترجمينَ أفكارَكِ عبرَ اللّونِ وكيفَ تَنسُجينَ رؤاكِ عبرَ الحرفِ، تَحدّثي عَنِ انْبعاثِ اللَّونِ والحَرفِ؟

بعيداً عَنْ عالمِ الكلمةِ يكونُ الإنزواءُ

الحرفُ .. الكلمةُ .. الكتابُ .. الفكرُ .. العلمُ ..

فقط دوران في متاهةِ الواقعِ حيثُ تلكَ المُسنَّنات الَّتي تلاطمُنا في تجوالِنا .. أشياءُ لها وخزُ الصَّدمةِ في كلِّ ما يحدثُ .. لذا كانَ لا بدَّ مِنَ الكلمةِ .. مِنَ الفكرةِ الَّتي تعبّرُ عَنْ إنسانيَّتي وفكري ومواقفي كأديبة وكفنّانة .. إنَّهُ دوري في تفعيلِ الكلمةِ لتكونَ أداةً إيجابيَّةً في عالم ينضحُ بالتَّخبُّطِ والعشوائيَّةِ العبثيَّةِ .. لأكونَ جزءاً فاعلاً في عالمِ التَّنويرِ كانَ لابدَّ لي مِنْ أنْ أغوصَ في عُمقِ الفكرِ لأشذِّبَ عبرَ كتاباتي ما سبقَ ترسيخُهُ مِنْ جهل وترَّهات. الحرفُ عندي دعوةٌ لأشاركَ بدور في انتفاضة فكريَّة ترفضُ الجهلَ.
اللَّونُ هو حضورٌ بصريٌّ وثقلُ وجودي يرسّخُ ضمنَ دائرةِ ذاكرتِنا البصريّةِ أرى فيهِ ايقاعات موسيقيَّةً تتلاعبُ وتتراقصُ على سطحِ اللَّوحةِ لتؤلِّفَ نوعاً مِنَ الهارموني السَّاحر بما فيها مِنْ مَسارات لونيّة مُتداخلة، شغبٌ لا متناهٍ وحوارٌ وجدلٌ قَدْ يعلو فيهِ لونٌ على آخرَ .. بالحقيقةِ اللَّونُ عالمٌ فَذٌّ يرفلُ بالدَّهشةِ .. لطالما أسعدَني السَّفرُ فيهِ وإليهِ .. فيه رموزي وأسراري.

8. بجُملةٍ واحدةٍ أو جملتَينِ، ماذا يعني لكِ الإبداعُ، الفنُّ، الكتابةُ، الموسيقى، الغناءُ، الفكرُ الخلّاقُ؟!
الإبداعُ ؟ لا أستطيعُ تعريفه كل ما أعرفُهُ أنَّني مازلتُ تلكَ المسافرةَ في رحلتِهِ عبرَ فضاءَات غيرِ مُدركةٍ فانتازيا وعالم مِنَ الدَّهشةِ والذُّهولِ .. الفنُّ وطني أو لعلَّهُ ضمنَ نسيج روحي .. قَدْ تستغربُ لا يمكنُ للروحِ أنْ تكونَ مادِّيَّةً أجدُ أنَّ الفنَّ تجسيدٌ حيٌّ للروحِ يجعلُها تتجسَّدُ حقيقة. الكتابةُ فكرٌ وعقلٌ وروحٌ وموقفٌ .. تجسيدٌ حقيقيٌّ لكينونة صادقة إنْ كانَ يعبّرُ بصدق. الموسيقى؟ هي تلكَ العذوبةُ والإبداعُ الحيُّ الصَّعبُ جدا أعتبرُها أجملَ وأصعبَ أنواعِ الفنونِ تحتاجُ إلى رهافة مُطلقة وإحساسٍ لا مُتناهٍ، والغناءُ هو التَّوأمُ الحنونُ للموسيقى توأمٌ سياميٌّ حقيقيٌّ لا غناءَ مِنْ دونِ موسيقى الغناءُ بحدِّ ذاتِهِ موسيقى وعالمٌ إبداعيٌّ الحنجرة والحبالُ الصَّوتيّةُ التَّرنيم والتَّرتيل والصَّدح بالصوت وتلوينه وتطويعه أمر بالغ الحساسية ويحتاج إلى ذكاء ودقة أما بالنسبة للفكر الخلاق فهو الفكر الجامح الجامع لكل الملكات التي وهبت للكائنِ المبدعِ.

9. اشتغلْتِ في الصّحافةِ والتّرجمةِ، تحدَّثي عَنْ هذهِ المرحلةِ وهَلْ أفادتْكِ في الكتابةِ الإبداعيّةِ؟!
عملْتُ بالصَّحافةِ وكنْتُ أكتبُ في مجالِ النَّقدِ المسرحي والدِّراساتِ الثَّقافية وأقدم التَّرجمات المتعلِّقةَ بالفنِّ التَّشكيلي وكانَتْ تجربةً مُمْتعةً قرَّبتني أكثرَ إلى المسرح والتَّرجمة حاليَّاً أقومُ بترجمةِ أعمالي الأدبيّةِ والفكريّةِ إلى اللُّغتَينِ الفرنسيَّةِ والإنكليزيَّةِ وأعملُ على ترجمتِها بنفسي ومؤخّراً أنهيتُ ترجمةَ خمس مسرحيات لي إلى اللُّغةِ الفرنسيّةِ وأعملُ حاليَّاً على ترجمتِها إلى الإنكليزيَّةِ.

10. أيُّهما أقربُ إلى نفسِكِ الرَّسمُ أمِ الكتابةُ الإبداعيّةُ بمختلفِ أجناسِها الأدبيّةِ؟!
لا أستطيع أن أحدد أيها الأقرب إلى نفسي أشعر أنني جزءمن ضفيرة ثلاثية روحي تسرح بين الفن وبين الأدب لا أستطيع أن أميل إلى واحد دون الآخر، صعب حينها لا أعود أنا، فهذه هي تركيبتي النفسية والفكرية.

11. لديكِ اهتماماتٌ أدبيّةٌ متنوّعةٌ، تكتبينَ الشِّعرَ والمَقالَ الفكريّ ولديكَ جموحٌ نحوَ فضاءِ الفلسفةِ، إضافةً إلى اهتمامِكَ بالنّقدِ الأدبيّ، كيفَ تخلقينَ توازناً بينَ هذهِ الكتاباتِ وأنتِ تشكيليّةٌ وغزيرةٌ بالانتاجِ الفنّي؟!

لا أعلمُ كيفَ استطيعُ الموازنةَ بينَ كلِّ هذهِ العوالمِ مِنْ مَسرح وشعر وبحوث ودراسات نقديّة وفكر وفنّ .. صدقاً لا أعلمُ .. هو أمرٌ منهكٌ بلا شكّ لكن ربّما دافعي هو شغفي وصدقي مَعَ ذاتي وأخذي للأمور بجدّيَّةٍ مُطلقةٍ فكانَ لا بدَّ مِنْ أنْ أمنحَ كلّاً منها وافر طاقتي .. أومن بما أقدمه وأسعى إلى تقديم الأفضل.

12. كيفَ ترسمينَ اللَّوحةَ، هَلْ تُخطِّطينَ مُسبقاً لرسمِها، أمْ تلتقطينَ فكرةً ما وترسمينَها بعفويّةٍ خالصةٍ؟!

لا أخطِّطُ للوحتي بَلْ أعيشُها وأقدّمُها بصدقِ اللَّحظةِ الَّتي أكونُ فيها .. أعيشُها بشكلٍ مَحمومٍ فأنهالُ عليها بعشقي .. أرتكبُ فيها إثمَ الشّغفِ الَّذي يعزلُني عَنْ كلِّ شيءٍ عداها .. تلاحمٌ جريءٌ بيني وبينَ اللَّونِ والخطِّ والفكرةِ لأنَّها أنا، فهي تعلمُ كيفَ تستدرجُني تراقصُ روحي وتغازلُ عقلي أنهمرُ معها وإليها بكلِّ ذرَّاتي وكل أفكاري ..أهمسُ أصرخُ أتساءَلُ أتمرَّدُ أختبىءُ أتوارى .. أنهضُ أعيشُ اللَّونَ والرَّمزَ والفكرةَ أحرّكُ الأشخاصَ على سطحِها كما لو كانوا شخصيَّاتٍ لمسرحيَّاتي أجعلُهم يبوحونَ ويعلنونَ عَنْ تساؤلاتِهم الوجوديَّةِ أو قَدْ يكونُ لألواني ساحتُها فتتراقصُ عبرَ سيمفونيَّاتٍ خاصَّةٍ بها .. المهمُّ الفنُّ عِشقي.

13. كيفَ تنظرينَ إلى الزَّمنِ، العُمرِ، الوقتِ، ماذا يعني لكِ الزَّمنُ، وماذا تعني لكِ الحياةُ على الأرضِ؟!

الزَّمنُ هو مداي وامتدادي الأقصى، أعيشُ الزَّمنَ بطريقتي ويأسرُني بطريقتِهِ. كلانا عاشقٌ عنيدٌ وأحمقُ .. يراقصُني كما يراقصُ تانغو ماهر إلَّا أنَّهُ يشاغبُ أحياناً فيقومُ بالدَّوسِ على قدَمي يجعلُني أتعثَّرُ إذْ أمرضُ، فأتوقَّفُ مُرغِمةً وأعودُ إليهِ شامخةً بجرأةِ التَّحدّي وأرمي إليهِ بما أنتجُهُ .. أحبُّ إغاظةَ الزَّمنِ .. فيلوّح إليَّ بالعمرِ، يريدُ إغاظتي .. أضحكُ ولا آبَهُ .. وأهمسُ للزمن، دعني فقط أنهي رقصةَ إبداعي على مسرحِ الحياةِ .. أمهلني قليلاً رجاءً، فكَمْ وكَمْ مِنَ الكتبِ والأعمالِ الفنِّيَّةِ أريدُ إنجازَها. هكذا نحنُ، أنا والزَّمنُ وذاكَ الشَّقيُّ العمرُ. الحياة على الأرض؟ لا أعلمُ هَلْ هنالك أرضٌ؟ ربَّما فقط تلكَ الَّتي بها أحبَّتي أهلي أولادي ووطني وماعدا ذلك .. ربَّما أنا بعيدةٌ أنأى بنفسي عَنْ شرورِها وعبثِها وتفاهتِها ألقي إليها بنفسي حينَ يحتاجُني الآخرون وما عدا هذا .. زاهدةٌ أنا، محلِّقةٌ بعالمي، كتبي وفنّي وأفكاري.

14. أنتِ تُقيمينَ في السُّويدِ ولديكِ الكثير مِنَ النّشاطاتِ الفنِّيّةِ والأدبيّةِ، ما رأيُكِ بما تقدّمُهُ السُّويدُ للمهاجرينَ؟

السُّويد بلدٌ أكثرُ مِنْ رائعٍ بالنّسبةِ للمهاجرينَ تدعمُ المهاجرينَ .. مَعَ الوقتِ بدأتُ أشعرُ بمواطنتي هنا. أصبحتُ جزءاً منها وهي جزءٌ منّي .

15. تحدَّثي عَنِ المعارضِ الّتي قدّمتِها في السُّويدِ وخارجَ السُّويدِ، وما رأيُكِ بالتَّعاونِ بينَ الفنّانينَ والفنّاناتِ؟

بالنّسبةِ للمعارضِ أنا قدَّمْتُ بالسُّويدِ الكثيرَ مِنَ المعارضِ الفرديَّةِ، معرضي الأخيرُ كانَ معرضي الثَّاني عشر، هذا عدا مشاركاتي بالمعارضِ الجماعيّةِ مَعَ الفنَّانينَ وعدا قيامي بمعارضي الفرديّةِ في الدُّولِ الأوربيّةِ من هولندا المانيا واسبانيا وتركيا. وبالنّسبةِ للتعاونِ بينَ الفنَّانينَ أنا منذُ بدايةِ قدومي إلى السُّويدِ تعرَّفْتُ إلى فنَّانينَ وفنَّاناتٍ سويديَّاتٍ كانوا رائعينَ ومتعاونينَ معي وأشكرُ لهم مواقفهم مَعي الَّتي أشعرتْني بصداقتِهم ولطفِهم وطبعاً لا ننسى الفنَّانينَ السُّوريّينَ والعراقيّينَ الَّذينَ يشكّلونَ لُحمةً جميلةً ويقدّمونَ فنَّاً جميلاً.

16. ماذا أضافَتْ تجربتُكِ الاغترابيّة إلى عوالمِكِ الإبداعيّةِ، فنّيَّاً وأدبيَّاً؟!

بالنّسبةِ إلى تجربتي الاغترابيةِ الفنّيَّةِ لا شكَّ بأنَّ الاطلاعَ على الفنونِ الغربيَّةِ كانَ لَهُ تأثيرُهُ ربَّما على أفكاري ولكنْ ليسَ أسلوبي ربَّما تجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ الفنَّ التَّشكيليَّ في بلادِنا الشَّرقيَّةِ فنٌّ جادٌ وقويٌّ وراقٍ وبالنّسبة للفكرِ والأدبِ أصبحْتُ أكثرَ انجذاباً للغوصِ في هذهِ العوالمِ نحنُ بحاجةٍ إلى هذا التَّعويضِ الفكريّ والرُّوحيّ بعيداً عَنْ مادّيةِ وديناميكيَّةِ العالمِ الغربيّ اللَّاهثِ المُنغمسِ في الحياةِ العمليّةِ الرَّتيبةِ.

17. ماالّذي قادَكِ إلى فضاءَاتِ المَسرحِ ودفعَكِ إلى كتابةِ نصوصٍ مَسرحيّةٍ، هَلْ للمسرحِ علاقةٌ بالتَّشكيلِ؟

لطالما كانَ المسرحُ فاتِني الأوَّلَ في عالمي الإبداعيّ أجدُ أنَّهُ الجامعُ لكلِّ الفنونِ، أستطيعُ مِنْ خلالِهِ أنْ أنفذَ إلى تحقيقِ أحلامي حتّى في الإخراجِ المسرحي وهذا ما أنا بصددِهِ حاليَّاً وكنْتُ قَدْ بدأْتُ بتجربةٍ لتنفيذِ إحدى مسرحيَّاتي مَعَ أهمِّ ممثّلي المسرحِ هنا في ستوكهولم قبلَ أنْ نتوقَّفَ بسببِ انتشارِ فيروس كورونا قبلَ عامينِ. الفنُّ في المسرحِ ليسَ مُحدَّداً فقط بعناصرَ بشريّةٍ وفكريّةٍ مِنْ نص وأشخاص إنَّما هو كلٌّ متكاملٌ وعالمٌ ابداعيٌّ ساحرٌ يضمُّ مشهديَّةً متكاملةً تخلقُها لوحةٌ إبداعيَّةٌ في مشهدٍ تصويريّ أوبراليّ أو مسرحيٍّ تكونُ الموسيقى والدِّيكورُ والإنارةُ والصُّوتُ بعضَ أجزائهِ، إنَّهُ تلكَ البوَّابةُ السِّحريَّةُ للدخولِ إلى عالمِ الدَّهشةِ.

18. ما هو دورُ الخيالِ، والثّقافةِ الفنّيّةِ والتَّدريبِ والمُمارسةِ الفنّيّةِ في تعميقِ تقنيّاتِ التَّشكيلِ الفنّيّ؟!

الفنُّ والجمالُ صنوانِ لا يفترقانِ، ارتباطهُما كاملُ استراحةٍ للعينِ وانشداهٌ للفكرِ، لا بدَّ للفنّ مِنْ أنْ ينهلَ ويتزوَّدَ مِنَ الخيالِ هذا العالمُ المستقلُّ بذاتِهِ يبزغ في الواقعِ أداتُهُ الخيالُ سلاحُهُ الدَّهشةُ وجمهورُهُ الذَّائقةُ البصريَّةُ. وإثارةُ الانفعالِ الجمالي موقفٌ مثارٌ مِنْ قبلِ شكلٍ ذي دلالةٍ عبرَ ما هو قائمٌ وموجودٌ مِنْ عناصرَ يقومُ عملُ الفنَّانِ على إغناءِ عالمِ التَّشكيلِ بها ضمنَ بوتقةٍ يُجازُ فيها استخدامُ الشَّكلِ واللَّونِ لإخراجِ انفعالٍ ما إلى حيّزِ الموضوعِ وهذا بفضلِ غنى الخيالِ. والثَّقافةِ الفنّيةِ لا غنى عنها لتحقيقِ معادلةٍ صعبةٍ ألَا وهي تقديمُ فنٍّ جادٍّ ومُمْتعٍ والفوزُ باستحسانِ الذَّائقةِ البصريَّةِ للجمهورِ عبرَ احترامِ وعيهِ بعيداً عَنِ المَفهومِ السَّائدِ بالإرضاءِ. والَّذي يساعدُ في هذا هو الممارسةُ الفنّيَّةُ بإتقانٍ عبرَ تجدُّدٍ في الأدواتِ وسبلِ التَّكنيكِ.

19. متى ترسمينَ، لماذا ترسمينَ، لمَنْ ترسمينَ، اشرحي لنا شغفَكِ في الرَّسمِ لحظاتِ ولادةِ اللّوحةِ؟!

أرسمُ لي لنفسي ولكلِّ إنسانٍ مُتعطِّشٍ للفنِّ والجمالِ والعمقِ الإنسانيِّ لكلِّ مُتسائلٍ عَنْ فكرةِ الكينونةِ والوجودِ فالفنُّ فضاءٌ واسعٌ تنطلقُ فيهِ آلافُ إشاراتِ الاستفهامِ وللدهشةِ مفاتيحُ تحلُّ رموزَ الاستغرابِ فنجدُ أجوبةً عَنْ كلِّ تساؤلاتِنا عبرَ تأمُّلاتِنا .. الفنُّ هو لِقاءُ الإنسانِ مَعَ ذاتِهِ بمواجهةٍ صريحةٍ هو الَّذي يردُّ على نفسِهِ فالمتلّقي مانحٌ للفكرِ وللحقيقةِ في إجاباتِهِ لنفسِهِ عبرَ تردُّدِ الأسئلةِ بداخلِهِ وإيجادِ أجوبتِها بصمتِهِ الدَّاخليِّ بتعمقِهِ في التَّأمُّلِ.

أرسمُ لأنَّني خُلِقْتُ لهذا .. ببساطةٍ .. خُلِقْتُ لأَخلقَ عالمي الخاصّ الَّذي أدعو المتلقّي إليهِ. لا تسألُني عَنْ شغفي .. فأنا أعيشُهُ ولا أستطيعُ أنْ أفسّرُهُ . مَعَ كلِّ ولادةٍ للوحةٍ مِنْ لوحاتي ولادةٌ جديدةٌ لي .. أُخلَقُ مِنْ جديدٍ .. هي الصرخةُ الأولى .. صرخةُ المولودِ .. وما أحلاها مِنْ صرخةٍ!

20. ما هي الحالاتُ والمشاعرُ الّتي تراودُكَ عندما تكونينَ مُنغمسةً في حالةٍ إبداعيّةٍ سواءً في حالاتِ الرَّسمِ أو أوقاتِ الانغماسِ في الكتابةِ؟!

تسألُني عَنِ الحالاتِ الَّتي أكون فيها؟ ما أدراني، هي ربَّما غيبوبةٌ أو حالةٌ مِنَ النَّشوةِ تعزلُني عَنِ العالمِ تماماً. وفي الكتابةِ أكونُ متيقظةً تماماً .. هي العقلُ اليقظُ الواعي .. هي مسؤوليتي والتزامي.

ستوكهولم: آب (أغسطس) 2024

صبري يوسف

أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم





الفنّانة التَّشكيليّة العراقيّة ازدهار أسامة
الفنُّ هو رسالةٌ إنسانيّةٌ وجماليَّةٌ، والفنَّانُ مرآةُ مجتمعِهِ
7
حوار صبري يوسف – ستوكهولم،

أتابع تجربة الفنَّانة التَّشكيليّة العراقيّة ازدهار أسامة منذُ سنوات، وقَدْ حضرْتُ لها عدَّةَ معارضَ مشتركة في العاصمة السُّويديّة، ستوكهولم، وساهمَتْ في نشرِ أعمالِها في مجلَّةِ السَّلام الدَّوليّة بعدّةِ أعدادٍ، وهي خرّيجة معهد الفنون الجميلة في بغداد، وشاركَتْ بعد تخرُّجِها مِنَ المعهدِ في عدَّةِ معارض في العراق، وبعدَ أنْ استقرَّتْ بها الأحوال في السُّويد، بدأَتْ ترسمُ لوحاتِها بكلِّ هُدوءٍ ومُثابرةٍ، وتساهمُ في معارضَ مشتركةٍ مَعَ العديدِ مِنَ الفنّانينَ والفنَّاناتِ في السُّويدِ وفي بعضِ الدُّولِ الأوربيّةِ والعربيّةِ. تُركِّزُ في لوحاتِها على رسمِ لوحةٍ تتضمَّنُ مَوضوعاً مُعيَّناً بترميزاتٍ مُتعدَّدَةٍ. تميلُ الفنّانةُ إلى رسمِ عوالمِ الطُّيورِ والشُّخوصِ والحيواناتِ والطَّبيعةِ، وترمزُ لها برموزٍ ومدلولاتٍ عميقةٍ. التقيتُها مُؤخَّراً في معرضٍ مُشتركٍ أقامتْهُ جمعيّةُ الفنَّانينَ التَّشكيليّينَ العراقيّينَ في ستوكهولم، حملَ عنوان: "وسام معنا"، احتفاءً بالفنّانِ التَّشكيليِّ الرَّاحلِ وسام النَّاشي، واقترحْتُ عليها إجراءَ هذا الحوارِ حولَ تجربتِها الفنّيّةِ، فوافقَتْ على اقتراحي برحابةِ صدرٍ وَوُلِدَ هذا الحوار:

1. ما الّذي جذبَكِ إلى عوالمِ الرَّسمِ، وهَلْ كانَ لديكِ اهتمامٌ وشغفٌ في فضاءِ الرَّسمِ في مرحلةِ الطُّفولةِ؟

نعم كانَ لديَّ شغفٌ واهتمامٌ في عالمِ الفنِّ والرَّسمِ، وأكثرُ ما جذبَني إلى الفنِّ هو أنَّني مِنْ عائلةٍ فنّيّةٍ. عمّي رسامٌ وخطّاطٌ وابن عمي وابن خال أبي، وابن عم أبي كاتبُ مسلسلاتٍ وأفلامٍ، فهو معروف في الوسط الفنّي معاذ يوسف، فقَدْ تأثَّرْتُ بهذِهِ الأجواءِ الفنّيّةِ مُنذُ كنْتُ طفلةً، وتذوَّقْتُ الفنَّ، وحينَ كبرْتُ كنْتُ أرسُمُ بينَ الحينِ والآخرِ، وأناقشُ أحياناً أعمالَ الكاتبِ معاذ يوسف في كتاباتِهِ، كما كنْتُ أناقشُهُ حولَ الموسيقى وأنواعِ السِّيمفونيَّاتِ، والفرقُ بينها وبينَ الموسيقى الشَّرقيّةِ. كلُّ هذهِ الأجواءِ والنِّقاشاتِ غذَّتْ مِيولي للفنِّ والرَّسمِ، وبدأْتُ أرسمُ بشغَفٍ، وفي هذهِ الأجواءِ المُشجَّعةِ تَنامَتْ مِيولي للرَّسمِ والفنِّ.

2. متى شعرْتِ أنَّ لديكِ الرَّغبةَ في الرَّسمِ، وكيفَ بدأْتِ الرَّسمَ، وكيفَ تنامَى عِندَكِ شغَفُ الرَّسمِ؟!

ترعرَعْتُ في وسطِ عائلةٍ فنّيّةٍ، وكنْتُ أتذوَّقُ الرَّسمَ، وأعطي رأيي في الكثيرِ مِنَ الرُّسومِ والقضايا الفنّيَّةِ، وكنْتُ أحاولُ تقليدَ بعضَ لوحاتِهم، لكِنْ بدايةُ شغفي الكبيرِ كانَتْ في إيطاليا، مِنَ الفاتيكانِ، مَعقلِ الفُنونِ، فقَدْ ذهبْتُ مَعَ العائلةِ ضمنَ رحلةٍ سياحيّةٍ إلى إيطاليا، وهناكَ التقيتُ مَعَ فنَّانينَ، كانوا يرسُمون الأعمدةَ الكبيرةَ والتَّماثيلَ في ساحةِ الفاتيكانِ، وقَدْ استهوَتني الأجواءُ الفنّيَّةُ، استهوتني الأجواءُ كثيراً، جلَسْتُ بكلِّ فرحٍ وشغَفٍ بالقربِ مِنهم، لاحظَ أحدُ الفنّانينَ اهتمامي بهم، فتقدَّمَ نحوي وأعطاني قلماً وورقةً، وقالَ لي

ارسمي، وحاوَلْتُ أنْ أرسمَ وكنْتُ أقولُ لَهُ، أنا لسْتُ رسَّامةً، لكنِّي أُحِبُّ الرَّسمَ، لكنَّهُ قالَ لي أنتِ لديكِ حسٌّ فنّيٌّ، ويمكنُ أنْ تصبحي رسَّامةً. سرَّتْني هذه الأجواءُ، والحواراتُ، ولَمْ آخذْ كلامَهم بجدّيّةٍ، وبدأْتُ أرسُمُ بكلِّ عفويَّتي، ثمَّ ذهبْتُ مَعَ أبي إلى متجرٍ فيهِ تحفٌ ولوحاتٌ فنّيّةٌ، لشراءِ بعضِ اللَّوحاتِ والتُّحفِ الفنّيَّةِ، اخترْتُ لوحةَ خيولٍ وأصرَرْت على شرائِها، قالَ صاحبُ المتجرِ لأبي ابنتُك ستكونُ رسَّامةً في المُستقبلِ. كنْتُ آنذاكَ أدرسُ تجارة، وأثناءَ عودتي إلى العراقِ غيَّرْتُ تخصُّصي مِنَ التِّجارةِ إلى معهدِ الفنونِ الجميلةِ.

3. ماذا كنْتِ ترسُمينَ عندما بدأْتِ بالرَّسمِ، تحدَّثي عَنْ تجربةِ البداياتِ والمواضيعِ الَّتي كُنْتِ ترسمينَها؟
كنْتُ أرسمُ أيَّ شيءٍ يُعجبُني، ويجذبُني، استهواني الرَّسمُ كثيراً، لِما كانَ فيهِ مِنْ مُتعةٍ أثناءَ لحظاتِ الرَّسمِ، غالباً ما كنْتُ أرسمُ أشكالَ الشُّخوصِ، وأرسمُ الطَّبيعةَ، الأشجارَ والوردَ وبعضَ أشكالِ الحيواناتِ، كَما كنْتُ أقلِّدُ لوحاتِ بعضِ الفنّانينَ كنوعٍ مِنَ التَّدريبِ على الرَّسمِ.

4. متى قرَّرْتِ الالتحاقَ بمعهدِ الفنونِ الجميلةِ في بغدادَ، تحدَّثي عَنْ هذهِ المرحلةِ الدِّراسيّةِ في المَعهدِ؟!
كنُتُ أدرسُ التِّجارةَ، وبعدَ عودتي مِنْ زيارتِنا لإيطاليا تغيّرَ مَسار دراساتي، لأنّي بدأْتُ أرسمُ كثيراً، ولَمْ أهتمَّ بشرحِ المدرِّسةِ في الصَّفِّ، وحالما استمَعْتُ خبرَ افتتاحِ القبولِ بمعهدِ الفنونِ الجميلةِ، توقَّفْتُ عَنْ دراسةِ التِّجارةِ، والتحقْتُ بمعهدِ الفنونِ الجميلةِ، وخضْتُ اختبارَ القبولِ، وحصَلْتُ على درجةٍ عاليةٍ، وتمَّ قبولي في المعهدِ، وسُرِرْتُ كثيراً بالتحاقي بالمَعهدِ، وانطلقْتُ برحلتي الفنِّيّةِ الّتي كنْتُ أهواها كثيراً.

5. كيفَ انطلقْتِ في فضاءِ الرَّسمِ بعدَ تخرُّجِكِ مِنْ معهدِ الفُنونِ، وما هوَ الأسلوبُ الّذي اتبعتِهِ في الرَّسمِ؟
انطلقْتُ بهمَّةٍ ونشاطٍ وأنا طالبةٌ في السّنةِ الثّالثةِ مِنْ دراستي في المعهد، وساهمْتُ في معرضٍ مشتركٍ مَعَ الفنَّانةِ التَّشكيليّةِ غادة حبيب في أكبرِ "هوتيل" في العراق، وكانَ وقتَها مهرجانُ المربدِ واجتماعُ الوزراءِ العربِ. نجحَ المعرضُ نجاحاً كبيراً، وبيعَ أكثرُ مِنْ نصفِ الأعمالِ، أمَّا مشاركاتي بعدَ المعهدِ، فقَدْ شاركْتُ بمعارضَ فنِّيَّةٍ كبيرةٍ وكثيرةٍ مَعَ كبارِ الفَّنانينَ العراقيّينَ والعربِ والأجانبِ في مركزِ الفنونِ في بغداد، وحصلْتُ على شهاداتِ تقديرٍ، وكُرِّمْتُ مِنْ قِبلِ وزيرِ الثَّقافةِ والفنونِ. وقدَّمْتُ معارضَ شخصيّةً، وكذلكَ شارَكْتُ بعدَّةِ معارضَ فنِّيّةٍ مشتركةٍ في العراقِ، في قاعةِ التَّحريرِ وقاعةِ النَّصرِ، ورسمْتُ أعمالاً جداريّةً كثيرةً في ساحاتِ بغدادَ، وعملْتُ في مجالِ فنِّ وتركيبِ السُّقوفِ الثَّانويّةِ. لَمْ أؤطِّرْ نفسي بأسلوبٍ مُحدَّدٍ، حيثُ أرسمُ كلَّ شيءٍ يجذِبُني ويستهويني، وتميَّزَتْ أعمالي بإدخالِ الحيواناتِ والطُّيورِ والشُّخوصِ لفضاءَاتِها لأنَّ عوالمَها رائعةٌ.

6. متى وكيفَ ترسُمينَ، هَلْ ترسُمينَ اللَّوحةَ دُفعةً واحدةً أمْ على مراحلَ، ومتى تكتملُ عندَكِ اللَّوحةُ؟!
متى أرسمُ؟ هذا لا يحدِّدُهُ وقتٌ مُعيَّنٌ، لأنَّ الفنَّانَ مزاجيٌّ، وعندما تستهويهُ فكرةً ما، فجأةً يبدأُ برسمِها، بعدَ أنْ يجهِّزَ أدواتِ الرَّسمِ، يضعُ اللَّوحةَ البيضاءَ على "الستاند"، وحولَهُ الألوانُ والفراشي في الانتظارِ، ثمَّ يبدأُ

بالرَّسمِ وهو يستمعُ إلى الموسيقى المفضَّلةِ لديهِ، لكِنْ كَمْ تأخذُ اللَّوحةُ وقتاً لرسمِها؟ هذا ما لا يستطيعُ الفنَّانُ أنْ يقدِّرَهُ، لأنَّ لكلِّ لوحةٍ فضاؤها الخاص، ويتوقَّفُ الأمرُ بحسبِ موضوعِ اللَّوحةِ ومزاجِ الفنّانِ أيضاً.

7. عندما ترسمينَ لوحةً ما، هَلْ لديكِ فكرةٌ ما عنها، كروكيه، تخطيطٌ ما، أمْ ترسمينَها مِنْ وحي الخيالِ؟!
نعم، قبلَ أنْ أرسمَ لوحةً ما، لديَّ فكرةٌ عَنِ اللَّوحةِ الَّتي سأرسمُها، ربَّما هذهِ الفكرةُ راودَتْني مِنْ خِلالِ حدثٍ مُعيّنٍ أو موقفٍ مُعيَّنٍ، أو موضوعٍ شخصيٍّ مُعيّنٍ، ظلَّ مُخزَّناً في ذهني، فأبدأُ برسمِ كروكيه على الورقِ، أو أرسمُ تخطيطاً يتضمَّنُ الفكرةَ الَّتي أنا بصددِ رسمِها، ونطلقُ على التَّخطيطِ الأوّلي مُصطلحَ "السكيج" وهنا نستطيعُ أنْ نبنيَ أساسَ الفكرةِ ومضمونَها، وخلالَ تنفيذِ اللَّوحةِ نقومُ بتطويرِها، ويُمكنُ أنْ نضيفَ بعضَ التَّفاصيلِ، كما يُمكنُ أنْ نختزلَ بعضَها، وهذا يتوقَّفُ بحسبِ ما يريدُ الفنّانُ أنْ يوصلَهُ للمشاهدين.

8. ترسمينَ أشكالَ الطُّيورِ، الحيواناتِ، الطَّبيعةَ وشكلَ الإنسان، ولديكِ ترميزاتٌ للشكلِ الَّذي ترسمينَهُ، كيفَ تُسقطينَ ترميزاتِكِ ورؤاكِ على اللَّوحةِ الَّتي تتضمَّنُ شكلاً ما، طيراً كانَ أو حيواناً، إنساناً أو طبيعةً؟
أنا أحبُّ عوالمَ الحيوانِ وأخذني الفضول لأبحثَ عن عالمِهم حين سمعتُ قول الله، كلهم أممٌ أمثالكم. بالفعل لو ندرسُ ونتعمَّقُ بتفاصيلِ حياةِ كلِّ حيوانٍ، سنرى عالماً رائعاً وجميلاً. الغرابُ هو مَنْ علَّم الإنسانَ كيفَ يتصرَّفُ عندَ موتِ أخيهِ، وكذلكَ الذِّئابُ تبرُّ بوالديها عندما يكبرانِ، وأمورٌ كثيرة عَنْ مملكةِ الحيوانِ مِثلَ وفاءِ الكلابِ. أقولُها بكلِّ صراحةٍ، لو درسَ كلُّ شخصٍ عالمَ الحيواناتِ لاستفادَ منها فائدةً كبيرةً، لهذا أنا أُحِبُّ أنْ يكونَ لعوالمِ الحيواناتِ والطُّيورِ نصيباً وافراً في فضاءِ لوحاتي.

9. ما هي الألوانُ الَّتي ترسمينَ فيها: الأكريل، الزَّيتي، المائي، الشّمعي/ الباستيل؟ ولماذا تختارينَ لوناً مِنْ هذهِ الألوانِ دونَ غيرِهِ؟!
أختارُ الألوانَ الزَّيتيَّةَ، فهي الأفضلُ عندي، لأنّها تُعطي حرّيةَ الإبداعِ، وانسيابيّةً في رسمِ اللَّوحةِ. الألوانُ المائيّةُ يجبُ أنْ يكونَ الفنّانُ دقيقاً وحَذِراً برسمِ الموضوعِ ،لأنَّ الألوانَ المائيّةَ لا تتقبَّلُ الأخطاءَ، وأيُّ خطأ غالباً ما يؤثِّرُ على اللَّوحةِ، وأمّا الأكريليك، فهذا اللَّونُ يجفُّ بسرعةٍ على اللّوحةِ، لهذا لا أحبّذُهُ، لأنَّهُ يُقيّدُ الفنّانَ بحركةِ الفرشاةِ ومُناغمةِ الموضوعِ، لهذا أفضّلُ الألوانَ الزّيتيّةَ وأبدعُ فيها أكثرَ مِنْ بقيّةِ الألوانِ.

10. شارَكْتِ في عدّةِ مَعارضَ في العراقِ، وفي السُّويدِ، كما شارَكْتِ في معارضَ دوليّةٍ، تحدَّثي عَنْ مشاركاتِكِ في هذهِ المعارضِ، وما هي الفائدةُ الّتي جنيتِها مِنْ هذهِ المَعارضِ الَّتي شاركْتِ فيها؟
شاركْتُ بمعرضٍ في مَركزِ الفنونِ في بغدادَ، وهو أكبرُ تجمُّعٍ فنّي دولي. وحصَلْتُ على جوائزَ وشهاداتٍ تقديريّةٍ. وشارَكْتُ في مَعرضِ القاهرةِ وحَصَلْتُ على تكريمٍ، كما شاركْتُ في معارضَ في تركيا ولندن وإيطاليا وهنكاريا ودولٍ أخرى، وبالإضافةِ إلى الجوائزِ والتَّكريماتِ، حصَلْتُ على صداقاتٍ لفنَّانينَ وفنَّاناتٍ مِنْ دُولٍ

عديدةٍ، وقَدْ أضافَتْ هذهِ المعارضُ والمشاركاتُ لتجربتي الفنّيةِ رؤيةً عميقةً وخبرةً جديدةً.

11. ما هي المعارضُ الفرديّة الّتي قدَّمتِها سواءً في العراقِ أو خارجَ العراقِ وكيفَ كانَ انطباعُ المُشاهدينَ؟
قدَّمْتَ عدَّةَ معارضَ وتمَّ اقتناءُ أكثرَ مِنْ نصفِ لوحاتي، ودعاني رئيسُ مجلّةِ الرّسالةِ الكويتيّةِ. الله يذكرُهُ بالخيرِ الأستاذ جاسم المبارك لإقامةِ معرضٍ بالكويتِ الشَّقيقِ، لكنَّ الحروبَ والحِصارَ آنذاكَ حالَتا دونَ ذلك.

12. ما هو دورُ الفنّ في رسمِ البُعدِ الجمالي والتَّنويري في المجتمعِ وهَلْ حقَّقَ الفنُّ هذا الدَّورَ كما يجب؟
الفنُّ هو رسالةٌ إنسانيّةٌ وجماليَّةٌ، ونرى الفنَّانَ يُبدعُ بالسِّلمِ وفي الحربِ، نَستطيعُ القولَ: إنَّ الرَّسامَ هو المرآةُ العاكسةُ لكلِّ ما هو جميلٌ وبشعٌ، وربَّما في بعضِ الأحيانِ نلاحظُ الرَّسامينَ يجمِّلون الواقعَ البشِعَ لكي يخفِّفَ مِنْ حَجمِ بشاعةِ الحَدثِ على المجتمعِ، نرى رسَّاماً يرسمُ حُطامَ مدينةٍ، لكِنْ يضعُ أموراً مِثلَ زهورِ الحمامِ الأبيضِ، بهذا يعطي للمشاهدِ أنَّهُ رغمَ الشَّرِّ لكنْ هناكَ خيرٌ وإعادةُ إعمارٍ، الرَّسامُ دورُهُ مهمٌّ جدَّاً بخلقِ أشياءَ مِنْ خِلالِ لوحاتِهِ مِنْ لا شيءَ، لهذا تأثيرُ الفنِّ على المُجتمعِ تأثيرٌ إيجابيٌّ.

13. ماذا يعني لكِ الرَّسمُ، الفنُّ، الإبداعُ، والعطاءُ الخلّاقُ في أيِّ مَجالٍ فنّي أو أدبيٍّ أو فكريٍّ؟!
الرَّسمُ وجميعُ الفنونِ مِثلُ الموسيقى والتَّمثيلِ والشِّعرِ والرّقصِ، تعني لي الكثيرَ، فجميعُ هؤلاءِ هم رسائلُ إنسانيَّةٌ، ومرآةٌ عاكسةٌ في حالةِ السِّلمِ أو الحربِ، وهذهِ المَجالاتُ الفنّيّةُ والأدبيّةُ والفكريّةُ هي الباقيةُ طويلاً.

14. ما هي المدارسُ الفنّيّةُ الّتي تستهويكِ في الرَّسمِ، وكيفَ تَدمُجينَ في أعمالِك أكثر من تيّار فنّي؟!
المدارسُ الواقعيّةُ والسّرياليّةُ تستهويني، وكذلك الانطباعيّةُ، وعِندَما أُنفِّذُ عملاً ما أو فكرةً ما، تتداخلُ هذهِ المدارسُ مَعَ بعضٍ وأخرجُ بأفكارٍ فنّيةٍ، أنفِّذُهَا على اللَّوحةِ، ويُعجبُ بها الزُّوارُ أثناءَ عرضِها في المعارضِ.

15. هَلْ رسمتِ لوحاتٍ تجريديّةً، أمْ لديكِ توشيحاتٌ تجريديّةٌ في فضاءِ اللَّوحةِ؟!
نعم رسمْت لوحاتٍ تجريديَّةً، أنا مِنْ طبعي لا أحبُّ التَّقيدَ بأسلوبٍ مُحدَّدٍ، حتَّى على صعيدِ حياتي اليوميّةِ أُحِبُّ التَّنويعَ في الأساليبِ الفنّيّةِ، خصوصاً في الرَّسمِ، لا أتقيَّدُ بمدرسةٍ معيَّنةٍ، كلُّ شيءٍ جميلٍ يستهويني، ويلفُتُ نظري بشكلٍ لا إراديٍّ، وتراني أتوجَّهُ صوبَ الجمالِ كي أترجمَهُ عبرَ تناغماتِ الألوانِ، وأنفِّذَ الموضوعَ بشوقٍ عميقٍ.

16. مِنْ خلالِ تجربتِكِ ومتابعتِكِ للفنِّ التَّشكيلي العراقي والمشرقي، واطلاعِكِ على الفَنِّ الغَربيِّ والسُّويديِّ بشكلٍ خاص، أينَ تضعينَ مستوى التّشكيلِ العراقيِّ مقارنةً بالفنِّ المشرقي والعربي والغربي؟!
يوجدُ فنَّانونَ عِراقيّونَ مُبدعونَ جدَّاً، سبقَ وقلْتُ كانَ العراقُ قِبلةَ الفنَّانينَ والشُّعراءِ ومنارةَ جميعِ الفُنونِ. كانَ

العربُ والغربُ يأتونَ للمشاركةِ مِنْ أجلِ حُبِّ الاندماجِ الفنّيّ والثَّقافيّ مَعَ الفنَّانِ العراقي. الفنَّانُ العراقيُّ والفنانونَ العربُ يركّزُونَ على الواقعيّةِ والانطباعيّةِ. أمَّا الفنَّانونَ الغربيّونَ عامةً والسُّويديون أيضاً، فقَدْ طغى على أسلوبِهم فضاءُ التَّجريدِ.

17. ما هي طُموحاتُكِ المستقبليّةُ بما يتعلّقُ بالرَّسمِ، هَلْ لديكِ برنامجٌ فنّيٌّ مُعيَّن لآفاقِ رؤاكِ الفنّيّةِ المُستقبليّةِ؟

أهدفُ إلى تطويرِ تجربتي الفنّيَّةِ، وإلى رسمِ أجملِ اللَّوحاتِ. وأنا أشتغلُ كمنسّقةٍ لمعارضَ خارجَ السُّويدِ، وأطمحُ أنْ أُؤَسِّسَ منتدى فنّيّاً وأدبيًّا خاصّاً بتقديمِ وعرضِ الفُنونِ الإبداعيّة كالرَّسمِ والشِّعرِ والأدبِ.

18. كيفَ يمكنُ للفنّانِ والفنّانةِ مِنْ أنْ يرفعا مِنْ مُستوى الفنّ مِنْ جهةٍ، وكيفَ يمكنُ للأدباءِ والكتّابِ مِنْ أنْ يرفعوا مِنْ مستوى الأدبِ والفكرِ مِنْ جهةٍ أخرى، وما هي أفضلُ الطُّرقِ لرفعِ مستوى الفنونِ الإبداعيّةِ مِنْ تشكيلٍ وأدبٍ وفكرٍ ضمنَ الظُّروفِ الرَّاهنةِ؟!

يستطيعُ الكتّابُ والشُّعراءُ والفنَّانونَ أنْ يرفعوا مِنْ مُستوى الفنونِ الإبداعيّةِ، مِنْ خلالِ المُثابرةِ والتَّواصلِ والإبداعِ، وأشرْتُ مُسبقاً أنَّ كلَّ هؤلاءِ هُمُ المرآةُ العاكسةُ لكلِّ ما يطرأُ على المُجتمعاتِ، مِنْ سِلْمٍ وحَربٍ وفَرحٍ وحُزنٍ في الوقتِ الرَّاهنِ. تراهم ينهضونَ بكلِّ ما لديهِم مِنْ قوّةٍ وطُموحٍ مِنْ أجلِ الوثوبِ والارتكازِ على صخرةِ التَّحدّي الَّذي يوصلُنا إلى أرقى حالاتِ الإبداعِ.

ستوكهولم: آب (أغسطس) 2024

لوحات الفنّانة التَّشكيليّة ازدهار أسامة







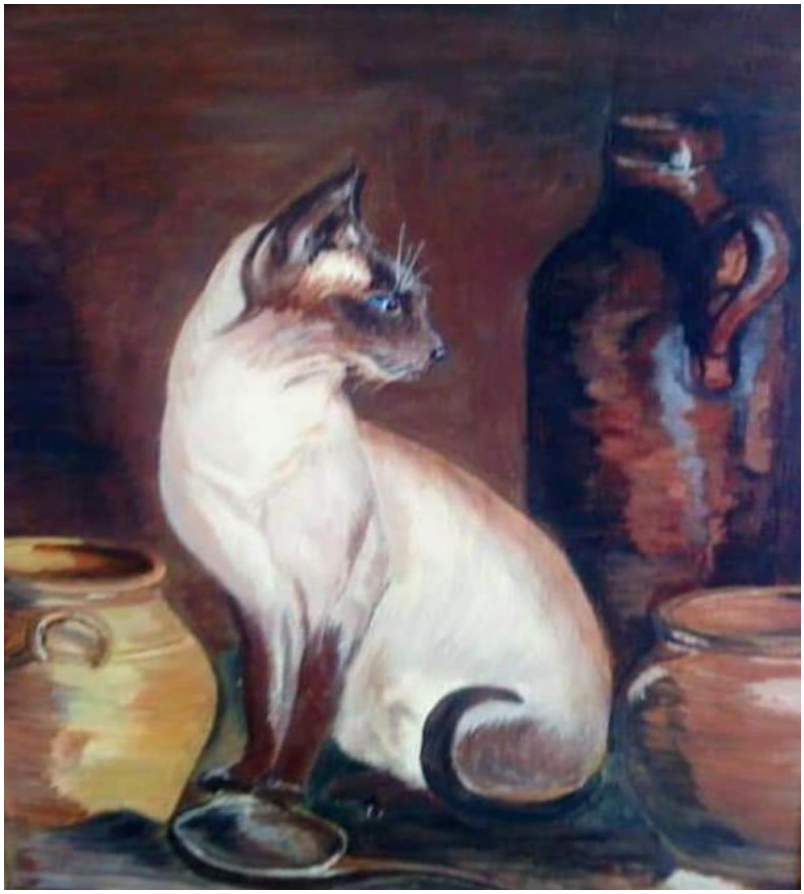



حوار مع الشّاعرة السُّوريّة مديحة باراوي

8

أجرى الحوار صبري يوسف

الشَّاعرةُ السُّوريّةُ مديحة باراوي، ابنةُ الطَّبيعةِ بكلّ بهائِها وحبورِها، وهي مكتنزةٌ بأشجارِ التِّينِ ودالياتِ العِنبِ وعرائشِ الياسمينِ، فوُلِدَتْ قصائدُها بمذاقِ الطَّبيعةِ الرَّهيفةِ، وتجربتِها العميقةِ في الحياةِ. تكتبُ حرفَها بسلاسةٍ ولغةٍ سهلةٍ ومعبّرةٍ، ومتناغمةٍ بصورِها وانبعاثِ بوحِها.

عاشَتْ في عدّةِ بلدانٍ، وأثَّرَ سفرُها وتنقُّلُها على عوالمِ شِعرِها وكتاباتِها. ثمَّ استقرَّتْ بها الأحوالُ في ربوعِ ألمانيا، فشدَّها الحنينُ إلى البيتِ الأوَّلِ، ومسقطِ الرَّأسِ، وبقي الوطنُ مُعشَّشاً في خيالِها وذاكرتِها فكتبَتْ قصائدَ عَنِ لواعجِ الحنينِ والغربةِ، وراحَتْ تتوغَّلُ في فضاءَاتِ بوحِ الشِّعرِ، إلى أنْ غدا هدفَها الأبهى في الحياةِ، فانسابَ حرفُها فوقَ مرامي القصيدةِ وهي في ذروةِ تجلّياتِها الرَّهيفةِ، فيما يلي حوارٌ معها:

تأثيرُ الطَّبيعةِ والطُّفولةِ على انبعاثِ بوحِ القصيدةِ

1. ترعْرَعْتِ بينَ دوالي العِنبِ وأشجارِ التِّينِ وعرائشِ الياسمينِ، كيفَ انعكسَتْ هذهِ العوالمُ الخلّابةُ على فضاءَاتِ الكتابةِ ثمَّ تجلَّتْ في آفاقِ القصائدِ؟!

أولا في الطُّفولة كان شغفي جليّاً بمادّةِ التَّعبيرِ، مُنذُ نعومةِ أظفاري وهذهِ المادَّةُ الوحيدةُ الَّتي يظهرُ فيها شغفُ التَّلميذِ بالكتابةِ في بواكيرِ العُمرِ على مَقاعدِ الدِّراسةِ، وقَدْ كانَ ذاكَ الاهتمامُ. أمَّا عَنْ سحرِ الطَّبيعةِ وجمالِها فقَدْ تركَتْ بصماتِها جليَّةً واضحةً في الكثيرِ مِنَ الموضوعاتِ الوصفيَّةِ الَّتي زيَّنَتْ كتاباتي التَّعبيريّةَ في الطُّفولةِ، ثُمَّ أضفَتْ شاعريةً رومانسيَّةً مُحلّقةً في بعضِ القصائدِ والمقطوعاتِ في دواويني الشِّعريّةِ.

2- ما الَّذي استهواكِ في كتابةِ التّعبيرِ والإنشاءِ؟!

- استهواني وتملَّكَ مشاعري الغضَّةَ مُنذُ باكورةِ طفولتي ذاكَ التَّحفيزُ والتَّعزيزُ المستمرُّ مِنْ والدي في المنزلِ ومِنْ أساتذتي الَّذينَ كنْتُ ألمحُ في عيونِهم ومُحيَّاهم دائماً علامات الرِّضى وإشاراتِ الاستحسانِ إلى جانبِ ما كانَ يحيطُني مِنْ نظراتِ الإعجابِ مِنْ زملائي وأصدقائي وأنا ألقي موضوعاتي بمُنتهى الحماسِ، كل ذلكَ تركَ في نفسي آثاراً وذكرياتٍ لا تُمحى ولا تُنسى.

3. هَلْ ترينَ الطُّفولةَ كأنَّها قصيدةٌ مفتوحةٌ على شهقاتِ الحَنينِ؟ كيفَ توغَّلَتِ الطُّفولةُ في عوالمِ شِعرِكِ؟!
براءَةُ وصخبُ الطُّفولةِ أغنى مِنَ القصيدةِ ومِنْ كُلِّ مَلموسٍ. إنَّها نُسْغُ الوجودِ ونبضُ الحياةِ المُتدفِّقُ صخباً وشغباً وفرحاً وحيويَّةً، وطفولتي أدخلَتْني عوالمَ الشَّاعريَّةِ بكلِّ ما يحتويهِ الشِّعرُ مِنْ صُورٍ فنِّيَّةٍ وتراكيبَ بلاغيَّةٍ عَبرَ موضوعاتٍ أدبيَّةٍ إنشائيَّةٍ تعبيريَّةٍ جميلةٍ ومتنوّعةٍ، أمَّا الموزونُ فقَدْ تأخَّرَ لديَّ لمرحلةِ الشَّبابِ.

ماهيَّةُ الشِّعرِ وجموحاتُ بوحِ الخيالِ

4. ماذا يعني لكِ الشِّعرُ، وكيفَ تنبثقُ خيوطُ القصيدةِ بينَ يديكِ وتحلّقُ في جُموحاتِ الخيالِ؟!
ينبثقُ الشِّعرُ مِنَ الشُّعورِ المُرهِفِ والإحساسِ الوجدانيِّ العميقِ الرَّهيفِ، إنَّهُ الحسُّ الدَّاخليُّ الشَّفيفُ الخَالي مِنْ كلِّ الشَّوَائِبِ هو الحُبُّ السَّامي النَّبيلُ المَزرُوعُ فِي القلبِ وهو الوجدُ المتشبّثُ المتغلغلُ في الأعماقِ إلى اللَّحدِ .. لا زمانَ ولا مكانَ ينظِّمُ انبثاقَ الشِّعرِ هو وحيٌ يهبطُ فيندلعُ الوميضُ ويسرِقُكَ مِنْ عالمِكَ لتسرحَ داخلَ ذاتِكَ مَعَ بناتِ الخيالِ في أجملِ رحلةٍ يسّاقطُ فيها رُطبُ المقالِ.

كيفيةُ ولادةِ القصيدةِ

5. ما الَّذي قادَكِ إلى تجلّياتِ بوحِ القصيدةِ، وجعلَكِ مُستغرقةً في مُناغاةِ مَذاقِها بكلِّ ابتهالٍ؟!
هي مَلَكةٌ تتنامى مَعَ الأيَّامِ وتثقلُها الثَّقافةُ والمعرفةُ وخوضُ غمارِ تجاربِ الحياةِ بحلوِها ومُرِّها. وخاصَّةً في مرحلةِ الغُربةِ الَّتي أضافَتْ لشخصيَّتي ملامحَ متشعِّبةً وخطوطاً لصيقةً وندوباً عميقةً. ومُنذُ صباي وأنا أهوى كتابةَ الخواطرِ والأبياتِ الشِّعريَّةِ القصيرةِ قبلَ أنَ تكتملَ موهبتي الشِّعريَّةُ في مَرحلةِ النُّضجِ.

6. كيفَ تولدُ القصيدةُ، هَلْ تنبثقُ مِنْ خلالِ ومضةٍ ما أو حدثٍ ما، ثمَّ تتنامى رويداً رويداً؟!
مَعَ مرحلةِ النُّضجِ بدأتُ أكثِّفُ قراءَاتي للكتبِ الشِّعريَّةِ والقصصِ والرِّواياتِ ولكلِّ ما يقعُ تحتَ يدي ومَعَ الوقتِ بدأَ مخزوني الأدبي يطفحُ في مخيَّلتي فبدأَتُ كتابةَ الموزونِ وبدأْت برصفِ الأبياتِ وصياغتِها كما ألظمُ عِقداً مِنَ اللؤلؤِ والأحجارِ الكريمةِ.

7. هَلْ تكتبينَ القصيدةَ دُفعةً واحدةً، أم تصوغينَها على مراحلَ؟!
أحياناً عندما يكونُ هناكَ حدثٌ ما قَدْ اخترقَ وجداني وتغلغلَ في ذاتي وروحي والمخيّلة أو عندما أعيشُ حالةً شعوريّةً قويَّةً دافقةً معيَّنةً أكتبُ حولَها دفعةً واحدةً تقريباً ومِنْ دونِ أنْ أعي أحياناً ذلكَ، فزادُ حروفي يعايشُني ويترعرعُ في داخلِ خلجاتِ روحي ونبضِ الوتينِ، حيثُ أحكمُ قبضَتي على اليراعِ، أتنسَّمُ عطرَهُ المطواعَ، أداعبُهُ أناجيه، فيسلسُ لي القيادَ هنيَّاً رضيَّاً مطواعاً .. يسكبُه مدادي فيخرجُ إلى النُّورِ بألوانِ قوسِ

قزحٍ ونكهاتِ الحزنِ والفرحِ ودمٍ نابضٍ يبعثُ الحياةَ في ركودِ السُباتِ بإمتاعٍ .. لتتفتَّحَ في الآفاقِ براعمُ الدَّلالاتِ، تتأبطُ صهيلَ الخيالِ على مسارحِ الجمالِ، ناشرةً شذاها بمفارقاتِ زخمٍ شعريٍّ ثوريٍّ مِنْ رحمِ الإبداعِ. ولكنْ عندما أرغبُ بالمشاركةِ بحدثٍ كواجبٍ أو عندما يُطلبُ منّي المشاركةُ بمناسبةٍ ما، فإنّي أكتبُ على مراحلَ مَعَ صعوبةِ وثقلِ ذلكَ على نفسي، حتّى أنَّني كنْتُ أشعرُ أحياناً أنّي أنحتُ في الصَّخرِ ..

تأثيرُ الأمكنةِ الجديدةِ، وانعكاسُ الاغترابِ على خصوبةِ القصيدةِ

8. ماذا يُصاحبُكِ مِنْ مشاعرَ وأنتِ في أوجِ انغماسِكِ في تدفُّقاتِ بوحِ القصيدةِ؟!
بحسبِ حماسي للموضوعِ، فإذا كانَ كبيراً، سيطرَتْ رغبةٌ جامحةٌ واندفاعٌ يتملَّكَني وأنا أكتبُ ترافقُهُ أجملُ وأنقى وأعلى مشاعرِ السَّعادةِ بعدَ مخاضِ الولادةِ.

9. انتقلْتِ إلى أكثرَ مِنْ مكانٍ، ثمَّ هاجرْتِ إلى ربوعِ ألمانيا، ما دورُ الأمكنةِ في إشراقةِ بهاءِ الحرفِ؟!
نعم حمّلتْني الغربةُ غُصصاً لا تعدُّ ولا تُحصى، مشبَّعةً بلوعةِ البُعدِ والشَّوقِ الحارقِ والحنينِ وقَدْ انعكسَتْ على شاعريَّتي ووشَّتْها بغيومٍ داكنةٍ، ولولا غلبةُ طبيعتي المتقبِّلةِ المتفائلةِ، لَمَا وجدْتُ دواويني ترفلُ بالحبِّ والدِّمقسِ .. وتنعمُ بجمالِ ودفءِ الهمسِ .. وتبحرُ في شفيفِ ذواكرِ الحسِّ والأُنسِ.
10. تؤجّجُ الغربةُ مشاعرَ الحنينِ إلى البيتِ الأوَّلِ، كيفَ تجلَّتْ مشاعرُكِ الحنينيةُ في حنايا القصيدةِ؟!
كرجعِ صدى يملأُ المدى بشجونٍ راعفةٍ تنزفُ الوجعَ. تسربلُ الرُّوحَ والسَّطرَ، وتحطُّ الرِّحالَ غُصصاً تملأُ الصَّدرَ، تتزاحمُ عبرَ بوَّاباتِ الانبلاجِ ببوحِ جريحٍ نازفِ الشَّوقِ والحنينِ ونبضٍ وتينٍ مقصوصِ الجناحِ ذبيحٍ.

التَّواصلُ عبرَ الفضاءِ الأزرقِ الرَّحبِ والمنصّاتِ الأدبيّةِ

11. ما رأيُكِ بالتَّواصلِ الاجتماعي مِنْ خلالِ الفضاءِ الأزرقِ المفتوحِ على فضاءِ الكونِ؟!
رغمَ عيوبِهِ والمآخذِ عليهِ خاصَّةً لدينا في المشرقِ، فهو مِنْ أكبرِ النِّعمِ أيضاً في المشرقِ .. لأنَّهُ جعلَ العَالمَ قريةً صغيرةً، نفتحُ نوافذَنا لنطلَّ عليها ونرى ونتعرَّفَ على كلِّ ما فيها.

12. لديكِ تفاعلٌ عبرَ المنصّاتِ الأدبيّةِ على الأون لاينَ، كيفَ استقبلْتِ هذهِ المَنابرَ عبرَ فضاءِ الأدبِ؟!
بكلِّ الفرحِ والحبِّ والودِّ والتَّقبُّلِ واحترامِ الآخرِ، وكلُّ ذلكَ ضمنَ الحدودِ الَّتي تتناسبُ مَعَ شخصيَّتي وثقافتي وطبيعةِ تفكيري.

مُغرمةٌ في فضاءِ الكتابةِ إلى درجةِ الهُيامِ والعِشق العَميقِ

13. تَنامى شغفُكِ في فضاءِ الكتابةِ إلى درجةٍ غامرةٍ، كيفَ وصلْتِ إلى حالةِ الانبهارِ في بوحِ الكتابةِ؟!
إنَّها حالةٌ شعوريّةٌ وجدانيّةٌ من النَّشوة الرُّوحيّة ترتقي فيها الرُّوح لحالةِ امتدادٍ لامتناهيةٍ، تشحذُ الإحساسَ بشفافيّةٍ ودراية] عمقيةٍ في التقاطِ ذبذباتِ التَّماهي مَعَ الطَّبيعةِ الكونيَّةِ بحسّ نابضٍ تنسابُ إيقاعاتُهُ الحركيّةُ بتكثيفِ نوابضَ حدسيّةٍ تثمرُ تماوجاً وتمازجاً بينَ الخيالِ والواقعِ والوقائعِ.

14. ما هي الأسبابُ الّتي تجعلُ الشَّاعرةَ والكاتبةَ تصلُ إلى حَالةِ الهُيامِ والعِشقِ في فضاءِ الحرفِ؟
أنا مَعَ مقولةِ أنَّ الألَمَ العميقَ ينتجُ الفنَّ العميقَ إنْ توافرَتِ الموهبةُ والاستعدادُ والظُّروفُ المناسبةُ لذلكَ، كذلكَ حالةُ العِشقِ والهُيامِ الكبيرِ سواءَ للحبيبِ أو للوطنِ يُنتجُ هذا الاستغراقَ الشَّفيفَ في فضاءَاتِ الحرفِ والكلمةِ.

ديوان "أنتَ لي" معبَّقٌ بأزهى الأحاسيسِ، ومندَّى بلغةٍ رهيفةٍ

15. تحكمينَ قبضتَكِ على شَهوةِ الحَرفِ وأنتِ تتنسَّمينَ بَوحاً شهيَّاً، كيفَ انبعثَ ديوانُ "أنتَ لي"؟!
هو أوَّلُ ديوانٍ شعريٍّ لي يضمُّ مجموعةً مِنْ قصائدي فتحْتُ فيها أبوابَ الشَّجنِ بنسائمِ انعتاقٍ على مهدِ الأبجديَّةِ وترياقِ بوحٍ طالَ السَّماءَ آناً وتوسَّدَ الوهادَ حيناً، ليُخرجَ دُرَرَها مِنْ محارِ الكتمانِ إلى شواطئَ سحريّةٍ ترسو على مراكبِ الزَّمان مُطلقةً شارةَ الدَّهشةِ مِنْ غِمدِها .. إلى مشارفِ الذُّهولِ عَبرَ قصائدَ تنوَّعَتْ بينَ وجدانيَّةٍ وغزليَّةٍ وعاطفيَّةٍ ووطنيّةٍ تبثُّ أجملَ رسائلِ الحنينِ .. ولواعجَ غربةٍ أضنَتِ الوتينَ .. بفسيفساءِ نَظْمٍ جمعَ العديدَ مِنَ البحورِ الخليليَّةِ .. بينَ جُنحَي غلافٍ استلقَتْ على واجهتِهِ عناوينُ شاعريّةٌ قزحيّةٌ ..

16. ماذا يعني لكِ إصدارُ ديوانٍ شعريٍّ، كيفَ تختارينَ القصائدَ الّتي تبوّبينها في ديوانٍ معيَّنٍ؟!
الدِّيوانُ الشِّعريُّ يعني مولوداً جديداً بعدَ مخاضٍ طويلٍ عسيرِ القضيَّةِ، أغنى وأشملَ مِنِ اختيارٍ وتنسيقٍ وتبويبٍ هي أشبهُ بباقةٍ مِنَ الوردِ المتنوّعةِ الأشكالِ والألوانِ والرَّائحةِ والنَّوعِ والسِّمةِ مهما وجدَ بينها صفاتٍ مشتركةً.

"رسائلُ النَّخلِ والياسمين" ديوانٌ مضمّخٌ بتدفُّقاتٍ وجدانيّةٍ، رومانسيَّةٍ ووهجِ الحنينِ ..

17. تستخدمينَ الرُّموزَ والتَّشبيهاتِ في فضاءَاتِ قصائدِكِ، ما أهمّيةُ الرُّموزِ في مُتونِ حبورِ القصائدِ؟!

الرَّمزُ بناءٌ صوريٌّ انزياحيٌّ إيحائيٌّ مركَّبٌ كلمعانِ البرقِ الَّذي يُتيحُ للوعي أنْ يستشفَّ عالماً لا مرئيًّاً لامتناهياً، إنَّهُ إضاءَةٌ للوجودِ المُعتمِ والخفي خلفَهُ هو القصيدةُ الَّتي تتكوَّنُ في الوعي واللُّغةِ الَّتي يبدأُ تفسيرُها حينَ تنتهي لغةُ القصيدةِ.

18. متى تكتبينَ القصيدةَ، ومِمَّ تستوحينَ عوالِمَكِ الشِّعريَّةَ، وأنتِ غائصةٌ في دُنيا الاغترابِ ؟!

لا وقتَ محدَّدٌ بشكلٍ مُسبقٍ لديَّ لكتابةِ القصيدةِ إنَّهُ الوحيُ الَّذي يسيطرُ على الإحساسِ والشُّعورِ والخيالِ أو يُستدعى مِنْ قبلِهم فالعلاقةُ جدليَّةٌ بينهم. المهم أنْ يُستثاروا ويتوافقوا ويجتمعوا في رحلةِ الكتابةِ بعيداً عَنْ معرفةٍ وتحديدٍ مسبقٍ للزمانِ والمكانِ. أمَّا مَجالاتُ وعواملُ الاستيحاءِ لديَّ فهي كلُّ ما أمرُّ بِهِ ويمرُّ بي في غربتي مِنْ محسوسٍ يذكِّرُني بوطني وما ينتابُني مِنْ مشاعرِ الشَّوقِ والحنينِ ولوعةِ الفراقِ والبعدِ والظَّمأِ والكثيرِ مِنَ المشاعرِ الجيَّاشةِ والشُّجونِ الَّتي لا تهدأُ .

ديوانُ "صمْتُ الظِّلِ"، مفعمٌ بالمشاعرِ المتلظّية، والمحبوكة بالتَّساؤلات

19. ما هي فضاءَاتُ ديوان: "صَمْتُ الظِّلِ"، ما هو هذا الصَّمتُ الَّذي بُحْتِ بِهِ في رِحابِ الظِّلِّ؟!

جلُّ أدبياتِنا قدَّسَتِ الصَّمتَ الإيجابيَّ الفعَّالَ وألبسْتُهُ أثوابَ الذَّهبِ والحكمةِ .. لأنَّهُ أقوى سلاحٍ يمنحُنا طاقةً للتفكيرِ بعمقٍ وهدوءٍ والتَّركيزِ بعقلانيَّةٍ، فسعيدٌ مَنْ يتمتَّعُ بحكمةِ الصَّمتِ ومَنْ يدرِّبُ نفسَهُ عليهِ لتسمو مشاعرُهُ وترتقي إلى أقانيمِ النَّواميسِ فتبدو لَهُ المواقفُ أكثرَ رسوخاً ووضوحاً متجلِّيةً بنظرةٍ ثاقبةٍ أعمقَ ورؤيةٍ شموليَّةٍ أوثقَ وقَدْ تجسَّدَتْ لي أبجديةُ الصَّمْتِ برؤى جعلَتْ بوحي يتمتَّعُ بالارتقاءِ إلى عوالمَ ليسَتْ على الأرضِ إنَّما أحلِّق إليها على صهوةِ بُراقٍ.

20. ماذا أحبَبْتِ أنْ تقولي للقرّاءِ عبرَ هذا الدِّيوانِ، ولِم اخترْتِ الصَّمْتَ عنواناً في زمنِ الصَّخبِ؟!

اخترْتُ الصَّمْتَ لأنَّهُ كما أسلفْتُ أقوى سلاحٍ عندما يكونُ فعَّالاً ويأتي البوحُ بعدَهُ أبلغَ وأعمقَ وأشملَ وأكثرَ تركيزاً ودقَّةً وارتقاءً إلى عوالمَ سحريَّةٍ أخَّاذةٍ .

سجالاتٌ وحواراتٌ ومقالاتُ وخواطرُ بمواضيعَ عديدةٍ

21. متى تقدِّمينَ سجالاتِكِ الشَّعريّةَ، في فضاءِ انبعاثِ القصيدةِ، وما رأيُكِ في المحاوراتِ الشِّعريّة؟!

السِّجالاتُ والمحاوراتُ الشِّعريّةُ نوعٌ راقٍ جدَّاً مِنْ أنواعِ الكتابةِ الأدبيَّةِ الشِّعريَّةِ وقَدْ خضْتُ تجربةً في هذا المضمارِ بمشاركةٍ مباركةٍ مِنَ الصَّديقِ الأديبِ الشَّاعرِ المخضرمِ الدُّكتور فاضل الكعبي. حيثُ سنطلقُ معاً تجربةً شعريَّةً إنسانيَّةً مشتركةً في ديوانٍ يضمُّ مجموعةً مِنْ سجالاتِنا ومحاوراتِنا الشِّعريّةِ المتبادلةِ والَّتي

جمعناها وسنطلقُها قريباً مِنْ خلالِ ديوانٍ شعريٍّ مُشتركٍ يرفلُ بألوانِ قوسِ قُزحٍ وشطحاتِ الأملِ المتخَّنةِ بالحزنِ والفرحِ ونكهاتِ الودِّ والحبِّ بدمٍ جديدٍ نابضٍ في شريانِ الحرفِ يبعثُ نُسغَ الحياةِ .. يتفتَّقُ براعمَ دلالاتٍ في مُقتبلِ التَّفتُّحِ والانبعاثِ وولادةِ مشاهدَ ومقطوعاتٍ أطلقَتْ عنانَ الخيالِ على مسارحِ الجمالِ .. ونأملُ أنْ يرى النُّورَ قريباً بإذنِ اللهِ.

22. متى تكتبينَ المقالَ، ولماذا تكتبينَهُ، وما الفرقُ بينَ كتابةِ المقالِ والقصيدةِ أو النَّصِّ الأدبيِّ؟!

المقالُ كفنٍّ مِنَ الفنونِ الأدبيَّةِ أثَّرَ وتأثَّرَ بالصَّحافةِ مِنْ جميعِ النَّواحي وهنا لا بدَّ لي مِنَ الإشارةِ إلى التَّأثيرِ اللُّغوي بالدَّرجةِ الأولى فقَدْ استطاعَتِ الصَّحافةُ أنْ تجعلَ مِنْ لُغةِ المقالِ لغةً سهلةً واضحةً بعيدةً عَنِ التَّقعُّرِ اللُّغويِّ قريبةً مِنْ لُغةِ الحياةِ اليوميَّةِ وذلكَ لأنَّها تستهدفُ العامّةَ وليسَ النُّخبةَ فحسب والجميلُ في المقالِ تسلسلُ وتراتبيَّةُ عرضِ الأفكارِ فيهِ، بحيثُ تكونُ الفكرةُ مُمهَّدةً لتاليتِها، وهذا ما ألجأ إليهِ عندما أكتبُ حولَ قضايا اجتماعيّةٍ ملحَّةٍ حولَ المرأةِ والطِّفلِ وقضايا التَّخلُّفِ والحداثةِ وغيرِها.

23. تتراوحُ فضاءَاتُ الخاطرةِ ما بينَ القصيدةِ والتَّدفُّقاتِ السَّرديّةِ القصصيّةِ، كيفَ تُولدُ عندَكَ الخاطرةُ؟

كونُ الخاطرةِ كفنٍّ أدبيٍّ ومقالةٍ قصيرةٍ تعتمدُ على العرضِ اللَّمحي والانفعالِ الوجدانيِّ والتَّدفُّقِ العاطفيِّ الجاذبِ والإيجازِ، لذلك قلَّما أعتمدها إلَّا في حالِ التَّطرُّقِ لأفكارٍ تحتضنُ رؤىً ومطامحَ افتراضيَّةً ومستقبليَّةً غالباً.

24. ما رأيُكِ بأدبِ الحوارِ، هَلْ تجدينَ في فضاءَاتِهِ ومحاورِهِ دوراً مُهمَّاً في نشرِ آفاقِ رؤانا وتوجُّهاتِنا في فضاءِ التّنويرِ والتَّطويرِ والسَّلامِ والوئامِ بينِ البشرِ؟!

مِنْ خلالِ رؤيةٍ نقديَّةٍ بناءَةٍ مُعاصرةٍ نأملُ مِنَ النُّخبةِ المثقَّفةِ اليومَ التَّعاطي مَعَ الحوارِ بِما يعتمدُ الاختلافَ التَّوافقيَّ لا التَّناحريَّ وبعقليّةٍ منفتحةٍ تتقبَّلُ الآخرَ لثقتِها بضرورةِ التَّكاملِ معَهُ عبرَ تعدُّديةٍ توافقيَّةٍ تعرضُ الأفكارَ عرضاً حياديَّاً، يؤمنُ بالاختلافِ والتَّعدديَّةِ باعتبارِ النَّاتجِ الوسطي لمجموعِ الآراءِ المطروحةِ أغنى وأرقى مِنْ أيّ رأيٍ تمَّ طرحُهُ والحقيقةُ تكمنُ في المستقبلِ ولا يملكُها أيُّ رأيٍ مِنَ الآراءِ المطروحةِ، فالحوارُ النَّاجحُ عرضٌ لا فرضٌ وإقناعٌ والقناعةُ وليدةُ المستقبلِ عبرَ التَّأثُّرِ والتَّأثيرِ الإيجابي بأساليبِ التَّعاطي الموضوعي المرنِ والهادئِ الَّذي يعطي أفضلَ الثِّمارِ.

ستوكهولم: أيلول (سبتمبر) 2024

صبري يوسف

أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم



حوار صبري يوسف

مَعَ الشَّاعر والكاتب السُّوري باسم سليمان

9

يتميّزُ الشَّاعرُ والكاتبُ السُّوري باسم سليمان بلغة رهيفة شفيفة، يكتبُ شعراً مُجنَّحاً، مَوشوماً بصورٍ جميلةٍ، وهو مُتعدِّدُ الكتابةِ في الأجناسِ الأدبيّةِ، يكتبُ الشِّعرَ والقصّةَ والرِّوايةَ والمقالَ والدِّراساتِ، غزيرُ الانتاجِ ومُتميّزٌ في كتاباتِهِ المتنوّعةِ، يكتبُ حرفاً طافحاً بالتَّجلّي، سامقاً، مُتجدِّداً في آفاقِ رؤاهُ، يلتقطُ جموحاتِهِ مِنْ مَذاقِ الحياةِ، بكلِّ أفراحِها وأحزانِها ومَراراتِها، يُحلّقُ عالياً في انبعاثِ حَرفِهِ، مُرهفٌ في بنائِهِ الفنّيِّ، يمتلكُ لغةً مُتماسِكةً، مُكثَّفةً، وخيالاً باهراً. كاتبٌ عميقُ الرُّؤيةِ، شامخُ العُمرانِ في رِحابِ مُهجةِ الحَرفِ. ينسابُ بوحُهُ مِثلَ انسيابِ شلّالٍ رقراقٍ، فهو يمتلِكُ طاقةً إبداعيَّةً ناقدةً فيما يرى مِنْ اعوجاجٍ، أتابِعُهُ عبرَ الشَّبكةِ، اقترحْتُ عليهِ إجراءَ هذا الحوارِ معَهُ، فوافَقَ برحابةِ صدرٍ ووُلِدَ هذا الحوارُ:

مرحلةُ الطُّفولةِ وفضاءَاتُها، وبداياتُ عبورِكَ في عوالمِ الكتابةِ

1. ماذا يقفزُ إلى الذَّاكرةِ مِنْ عوالمِ الطُّفولةِ، وما دورُها في فضاءِ الكتابةِ؟

هناكَ علاقةٌ جوهريةٌ بينَ الكتابةِ واللّعبِ، وكاتبٌ لا ينظرُ إلى الإبداعِ، بأنَّهُ لعبٌ ككرةِ القدمِ على سبيلِ المثالِ، سينتجُ نصَّاً سياسيَّاً أو دينيَّاً أو اقتصاديَّاً، لكنْ ليسَ أدباً. وإذا استحضَرْنا أفلاطون الَّذي قالَ بأنَّنا: "دُمى الإله، ويجبُ أنْ نلعبَ حياتنا بطريقةٍ جيدةٍ" نفهمُ لماذا كانَ منبعُ الرَّقابةِ على الفنونِ والآدابِ مِنَ فلسفةِ أفلاطون وكمثالٍ على رقابتِهِ طردُهُ الشُّعراءَ مِنْ مدينتِهِ الفاضلةِ، فأفلاطون يريدُ مِنَ الكتابةِ/ اللَّعبِ أنْ تخدمَ مشروعَهُ في المدينةِ الفاضلةِ الَّتي كانَتْ أساساً لكلِّ الدِّيكتاتوريّاتِ والدِّيستوبيّاتِ على الرَّغمِ مِنْ نواياهُ الطَّيّبةِ! لقَدْ تنبَّهُ أفلاطون إلى جوهرِ الأدبِ، بأنَّهُ لعبٌ حرٌّ، لكنَّهُ أرادَ مأسستَهُ وبهذهِ الطَّريقةِ خلقَ الرَّقابةَ على الإبداعِ. إنّ حرمانَ الإنسانِ مِنَ اللَّعبِ يُحوِّلُهُ إلى جمادٍ، فالحيواناتُ تلعبُ وبلعبِها تختبرُ مخاطرَ الطَّبيعةِ مِنْ دونِ خوضِها، فأشبالُ الأسودِ تتدرَّبُ على الصَّيدِ عَبرَ اللَّعبِ، لهذا يقولُ الفيلسوفُ والشَّاعرُ فريدريك شيلر بأنَّ: "الإنسان لا يكونُ إنساناً إلّا عندما يلعب". ومثله فعلَ هايدغر بالقولِ: "ليس في اللَّعب: لأن أو لا أو لماذا. إنّ اللعب هو لعب حين يجري، فاللّعبُ هو وحده الّذي يبقى، إنّهُ أسمى وأعمق ما يوجد" إنّ اللَّعبَ يأتي مِنْ عالمِ الطُّفولةِ، فالطِّفلُ عندما يلعبُ يتجاوزُ الحدودَ، فالعصا تصبحُ حصاناً والسَّريرُ أرضاً للجنّياتِ. وأنا عندما أكتبُ ألعبُ بكلِّ معنى الكلمة، فيغدو القمرُ قطعةَ نقدٍ في الشِّعرِ، وفي القصَّةِ يصبحُ الصّرصارُ سبارتاكوس، وفي الرِّوايةِ يصبحُ مسرحُ القباني مَسرحاً للجريمةِ؛ وهكذا عندما أكتبُ أعود إلى لُعَبِ الطُّفولةِ، فاللّاعبُ على طاولةِ الحياةِ والخيالِ ليسِ سقطَ متاعٍ أبداً. إنَّ الكتابةَ هي لعبٌ، لأنَّها تجاوزٌ

للخطوطِ الثَّابتةِ والقارَّةِ، فأن يجري لاعبُ كرةِ القدمِ خلفَ كرةٍ لهو أشبهُ بالحماقةِ، لكنَّها الحماقة الخلّاقة الّتي تبثُّ فرحاً لا يوصف في نفوسِ الجماهيرِ، وكأنّ الكاثريس/ التّطهير الأرسطي قَدْ تحقّقَ فيهم. والكاتبُ كالأحمقِ عندما يعتقدُ بأنّ قصيدةً ستغيّرُ العالمَ، لكن ربّما يحدثُ ذلكَ! ولولا ذلكَ لما طاردَتِ الرَّقابةُ الكاتبَ والإبداعَ، فهو يخلخلُ أسسَ القيودِ والسُّجونِ الفكريّةِ والمادّيّةِ ويطلقُ الإنسانَ في سماءِ الحرّيّةِ، فالحرّيّةُ أصلُها في اللّعبِ، كما أومأ هايدغر، فكاتبٌ لا يلعبُ، هو كاتبٌ ليسَ حرّاً، فما أستحضرُهُ مِنْ طفولتي هو اللّعبُ والحرّيّةُ!

2. ما الّذي قادَكَ إلى عوالمِ الكتابةِ؟

حقيقةً لا أعرفُ بالضَّبطِ، وأشعرُ أنَّ الكتابةَ جاءتني كضربةِ حظٍّ، ولكنّني أحاولُ دوماً أنْ أجيبَ على هذا السُّؤالِ، هَلْ كانَ السَّببُ هو مكتبةُ أبي الّذي أطلقني أعيثُ فيها فساداً بعدَ أنْ أُحبطَ مِمَّا آلَتْ إليهِ سورية في الثّمانينات، فدفعَ بكتبِهِ إلى المرحاضِ لتصبحَ مناديل للتنظيفِ، لربّما هذا هو السَّببُ، لأنّني ذكرتُهُ في روايتي (جريمة في مسرح القبّاني)، ففي المرحاضِ وأنا أقضي حاجتي بدأتُ بتلمُّسِ أولى محاولاتِ القراءةِ بعيداً عَنْ كتبِ المدرسةِ، فقرأتُ بعضَاً مِنْ ليالي ألف ليلة وليلة، وشيئاً مِنْ محاورات أفلاطون، وكتباً أخرى، حتَّى أنّني كنتُ أسرقُ أجزاءَ مِنَ الكتبِ الموضوعةِ في المرحاضِ، أقرَؤُها، ثمَّ أحوّلُ ورقَها إلى طائراتٍ ورقيَّةٍ وزوارقَ ألعبُ بهما في دروب قريتي وينابيعها. مِنَ المرحاضِ بدأتُ بالقراءةِ والكتابةِ!

3. ما هو أوَّلُ نصّ كتبتَهُ؟

عن ذبابة تشفي طفلاً من التَّوحُّدِ!

انبعاثُ الشِّعرِ

4. كيفَ تولدُ عندكَ القصيدةُ، هَلْ تلتقطُ الومضةَ الأولى أو الشَّرارةَ الأولى مِنْ حالة ما، حدث ما؟

تولدُ القصيدةُ لدي مِنَ النَّزقِ والغضبِ والحيرةِ والشَّكِّ الوجوديّ في كلِّ شيءٍ، فتأتي الكلمةُ الأولى أو الجملةُ الأولى كلعنةٍ تطاردُني، فأظلُّ واقعاً تحتَ سطوتِها حتَّى أتقيَّأَ النَّصَّ كاملاً. أنّني أُشبِهُ النَّسرَ في ذلكَ، فهو يأكلُ الطَّريدةَ/ الوجودَ، الَّتي يصطادُها كلِّيةً حتَّى لا يكادَ يقدرُ على الطَّيرانِ، فيتقيَّأُ بعضاً مِنْ لحمِها وعظمِها، حتَّى يقدرَ على مُعاودةِ الطَّيرانِ وشاعرٌ لا يتقيأُ قصائدَهُ، لَنْ يكونَ قادراً على الطَّيرانِ في سماءِ الشِّعرِ.

5. ماذا يعني لكَ الشِّعرُ، ماذا يُشبِهُ الشِّعرُ؟

لا يعني شيئاً، وكلَّ شيءٍ في الوقتِ نفسِهِ!

6. أيُّهما أقربُ إليكَ انبعاثُ وهجِ الشِّعرِ أو تدفُّقاتُ القصّةِ، أمْ أنَّ لكلٍّ منهما مذاقُهُ الخاص؟

هناكَ أفكارٌ وأحاسيسُ إنْ قلتَها شِعراً فقدَتْ تألُّقَها كذلكَ القصَّةُ، فالموضوعُ هو الَّذي يحدّدُ الشَّكلَ المناسبَ لقولِهِ.

فضاءاتُ القصّةِ القصيرةِ

7. ما الَّذي يجذبُكَ إلى فضاءَاتِ القصّةِ القصيرةِ؟

بالنِّسبةِ لي القصَّةُ، على عكسِ التَّعريفِ الشّائعِ لها، بأنَّها تكثيفٌ واقتناصُ حدثٍ مُهملٍ مِنَ الحياةِ وسردُهُ. القصَّة لديَّ هي مدٌّ وتوسيعُ نقطةٍ ما في الحياةِ غيرُ مرئيَّةٍ، وهامشيَّةٍ وتافهةٍ ومِنْ ثمَّ جعلُها منظورةً ومشاهَدةً، كما يفعلُ الرَّسّامُ عندما يأخذُ لوناً ما ويمنحُهُ شكلاً وحياةً في اللَّوحةِ.

8. ما الَّذي يستهويكَ في كتابةِ القصَّةِ القصيرةِ، وما هي المواضيعُ الَّتي تثيرُ اهتمامَكَ في القصَّةِ؟

أحبُّ بالقصَّةِ قدرتَها على النَّبشِ في زبالةِ الوجودِ، فعلى سبيلِ المثالِ، هناكَ قصَّةُ حبٍّ منسيّةٍ، هكذا ألتقطُها وأعيدُ نبضَها، كمَنْ يعيدُ ترقيعَ ذاكرةٍ مُصابةٍ بالزهايمرِ، أو يجدُ فانوسًا صدئًا، فيلمّعُهُ وبينما يفعلُ ذلكَ يخرجُ الماردُ صارخًا: شبّيك لبّيك!

9. ماهي طقوسُ الكتابةِ لديكَ؟

أحياناً أحتاجُ الصَّمْتَ، وأحياناً أخرى أتوقُ إلى الضَّجةِ، لكنَّ المهمَّ أنْ أكونَ وحدي، فأنا أكرهُ الكتابةَ أمامَ الآخرينَ، لأنّني أشعرُ بالعري، ولا أحبُّ أنْ أبديَ عوراتي للآخرينَ.

عوالمُ الرِّوايةِ الرَّحب

10. ما رأيُكَ في عالمِ الرّوايةِ؟

الرِّوايةُ مماثلةٌ لعالمِ الإنترنت، مَعَ أنَّ ولادةَ الرِّوايةِ جاءَتْ سابقةً على الشَّبكةِ العنكبوتيَّةِ بزمنٍ كبيرٍ، لكنَّها تُشبهُها، فهي تستوعبُ كلَّ شيءٍ. لذلكَ تجدُ في الرِّوايةِ كلَّ الفنونِ مِنَ المسرحِ إلى شعرِ الومضةِ، لكنَّ المهمّ كيفَ تُدمِجُ هذهِ العناصرَ المختلفةَ في الطَّرحِ والمضمونِ ضمنَ السَّردِ. وإنْ لَمْ ينجحِ الرِّوائيُّ في ذلكَ تُصبحُ قراءَةُ الرِّوايةِ كتصفُّحِ النّت عندما يكونُ الاتصالُ ضعيفًا، فلَنْ تُفتحَ الصَّفحاتُ. كذلكَ في الرِّوايةِ عندما يفشلُ الرِّوائيُّ في هندسةِ هيكلِ الرِّوايةِ فلَنْ يكونَ إكساؤهُ جيدًا بَلْ قميئًا وينفرُ القارئُ منها.

11. كيفَ تبني فضاءَاتِ العَملِ الرِّوائي، ابتداءً مِنَ الأفكارِ الّتي تراها مناسبةً لبناءِ عملٍ روائيٍّ فوقَ رحابِها، مروراً بفصولِها، وصولاً إلى إقفالِها النِّهائي؟! كيف تهندسُ هذا الصَّرحَ السَّرديَّ؟!

أفضّلُ أنْ أقلّدَ الطَّبيعةَ، هنا جبلٌ وهناكَ وادٍ، وفيما بعدُ غابةٌ أو بحرٌ أو صحراءُ وأتركُ للشخصيَّاتِ صُنْعَ دروبِها ومِنْ ثمَّ أضعُها على الخريطةِ وأراقبُ مسيرَهم في تلكِ الطَّبيعةِ المُتخيَّلةِ والواقعيَّةِ في الوقتِ نفسِهِ.

12. ما الفرقُ بينَ كتابةِ قصَّةٍ قصيرةٍ، وكتابةِ روايةٍ، مِنْ حيثُ البناءُ الفنِّيُّ والسَّردُ والحوارُ؟!

القصَّةُ تُشبهُ سيف السَّاموراي، ضربةٌ واحدةٌ تكفي، أمَّا الرّوايةُ فهي كأدواتُ الطَّعامِ على الطَّاولةِ تحتاجُ إلى كلِّ شيءٍ مِنَ المَمْلحةِ إلى عودِ تنظيفِ الأسنانِ بعدَ الطَّعامِ.

13. أصدرْتَ روايةَ نوكيا في عام 2014 عَنْ دارِ ليليت في مصرَ، ودارِ سين في دمشقَ 2018، مِمَّ استوحيْتَ الرّوايةَ، مِنْ نوكيا: الموبايل، أمْ مِنْ فكرةٍ أو حدثٍ ما يتعلّقُ بنوكيا؟!

قبلَ العالمِ الافتراضي، كانَ الوجودُ ينقسمُ إلى واقعي ومُتخيّل. ولكِنْ مَعَ العالمِ الافتراضيِّ الَّذي أوجدَتْهُ السُّوشيال ميديا ووسائلُ الاتصالِ الحديثةِ، أصبحنا نقضي الكثيرَ مِنْ حياتِنا في هذا العالمِ الافتراضي. وفي روايةِ نوكيا هناكَ ثلاثُ شخصيَّاتٍ رئيسيَّةٍ: باسم – محمود – داني يقابلُهم: الافتراضي– الخيالي– الواقعي، حيثُ تدورُ الأحداثُ قبلَ الحربِ السُّوريَّةِ بزمنٍ قليلٍ. يعيشُ باسمُ مِنْ خلالِ موبايل النُّوكيا حياتَهُ مِنَ الحبِّ إلى الفلسفةِ، أمّا محمود فهو يحيا حياتَهُ في متخيّلِ الكتبِ، بينما يعيشُ داني في الواقعِ. وعندما تعصفُ بهمُ الحياةُ لا تكونَ النَّجاةُ إلَّا بحيازةِ أنواعِ الواقعِ الثَّلاثةِ: الافتراضي والخيالي والواقعي.

14. وأصدرْتَ روايَتَكَ الثَّانيةَ "جريمة في مسرح القبَّاني/ الحد والشّبهة" عَنْ دارِ ميم" في الجزائر 2020، ما هي هذهِ الجريمةُ الّتي تتمحورُ الرّوايةُ حولَها، كيفَ استوحيْتَ عوالمَ هذهِ الرّوايةِ؟!

أتَتِ الرّوايةُ كمحاولةٍ للإجابةِ على سؤالِ: مِنْ أينَ يولدُ العنفُ؟ بعدَ أنْ عصفَتِ الحربُ بكلِّ شيءٍ في سورية. وإذا عُدنا إلى رأي رينيه جيرار في كتابِهِ (العنف المقدس) الّذي يفترضُ بأنَّ المسرحَ وُجِدَ مِنْ أجلِ إعادةِ تمثيلِ العنفِ واستخلاصِ التِّرياقِ مِنْ سُمِّهِ. مِنْ هنا جاءَتْ فكرةُ الرّوايةِ بأنْ تحدثَ جريمةٌ على مسرحِ القبَّاني المعبّرِ عَنْ بدءِ حركةِ الحداثةِ في سورية في القرنِ التَاسعِ عشرَ ومِنْ خلالِ هذهِ الجريمةِ يتمُّ التَّعالقُ بينَ الجريمةِ والحربِ السُّوريّةِ والبحثِ عَنِ السَّلامِ.

فضاءُ المقالاتِ

15. متى تكتبُ المَقالَ، ما الَّذي يستهويكَ في فضاءَاتِ المَقالِ، ولماذا تكتبُ المقالَ؟!

بالنِّسبةِ لي المقالُ هو استكمالٌ لعملي الشِّعري والسَّرديّ، لكِنْ مُتخفِّفًا مِنَ الخيالِ، ففي المقالِ أذهبُ إلى المختبرِ وهناكَ أُجري اختباراتي الفكريّةَ مُتأمِّلًا في الفشلِ أو النَّجاحِ وعندما أجدُ أنَّ السَّردَ يستحملُ طبيعةَ المقالِ أدمجُهُ في المُتخيَّلِ السَّرديّ، كما فعلتُ في روايةِ (جريمة في مسرح القباني) وأحياناً في الشِّعرِ؛ عندما استخدمُ القياسَ الصُّوري لأوجدَ تهكمًا مِنَ الفلسفةِ عَبرَ الشِّعرِ. المقالُ بالنِّسبةِ لي طريقةٌ براغماتيّةٌ لأفضَّ عَنِ الكلمةِ قدسيَّتَها وتقديسَها مِنْ كلمةٍ خالقةٍ إلى مخلوقةٍ خاضعةٍ للتحليلِ والتَّفكيكِ والنَّقدِ.

صبري يوسف

أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم

حوار مع روجين حاج حسين...

إيقاع متناغم في عناق اللوحة واللون

10

أجرى الحوار نصر محمد / المانيا

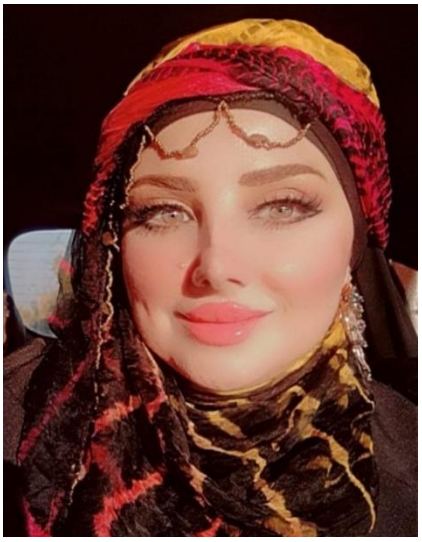

الفنانة التشكيلية روجين حاج حسين



الكاتب نصر محمَّد

وكأنما ولدَتْ من بطن الفن، أو كأنها سليلة الريشة واللون، فنانة بالفطرة، تعتمد على عالمها الداخلي وشعورها الباطني، فتترجم ما يختلج دواخلها إلى لوحات تتكلم فصاحة عن روح حالمة متمردة معطاءة في آن، هي ابنة قامشلو، والمقيمة حاليا في هولير، الفنانة التشكيلية الكردية "روجين حاج حسين" Rojin Haj Hussein وهذا حوارنا معها لإلقاء بعض الضوء على تجربتها الفنية:

1. روجين الإنسانة والفنانة كيف تعرفينها، ومتى عانقت ريشتها اللوحة؟

روجين الإنسانة هي نفسها الفنانة، ربما امتزجت روحي بالفن على غفلة مني، ربما خلقنا معا بروح واحدة وكبرنا معا، الشيء الذي أدركه تماما تلك الروح الصغيرة، التي جبلت بالكثير من الفن والإنسانية المرهفة، والفن الوسيلة الوحيدة للتعبير عنها.

2. تختبئ داخل كل مبدع روحه الطفولية، التي تظل تلازمه، وتمثل مصدر الدهشة، التي لا تنتهي، ماذا تبقى من الطفلة داخل روجين؟

الطفلة التي كانت تحمل الواناً صغيرة بسيطة لواقعٍ كبير، الآن تحمل ألواناً كبيرة لواقع صغير ومعاناة أكبر، تأثرت بالطبيعة، وأشكال البيوت، والشوارع، ومعاناة الأرواح، التي كانت تصادفني منذ طفولتي، يا للهول كيف لي أن أصنع رغيف خبز لجائع، ومعطفاً لفقيرٍ يرتجف من البرد، كيف لي أن أرسم ابتسامة لأم فقدت

فلذة كبدها، وعكازة لأبٍ أنهكه الدهر ولقمة العيش، كنت أشتاق دوما لمزج الألوان بشكل عشوائي دون معرفة، وكيف للخطوط أن تتشابك، تتعارك، تنسجم، حتى تجسد الخيال الصاخب، الصامت في رأسي على الورقة البيضاء الصغيرة، والتي تبث فيها الروح.

3. ما الذي يثير اهتمام روجين حاج حسين بالرسم؟ وما المغريات التي تفرضها عليك مساحة اللوحة وبياضها؟

طبعاً ما يثير اهتمامي أني أستطيع أن أخلق عالماً جميلاً أكثر عدلاً وسعادة وحرية، أنا هنا لا أتكلم عن روجين، بل أتكلم عن معاناة شعبٍ كامل وأرواح تمثلني، أتكلم بصوت أعلى عن آلامهم، وأحلامهم، ورغباتهم، وحريتهم المفقودة، مرسمي هو الفضاء، الذي أحلق فيه بألواني، التي تكسر قيودي وتشرع لي أبواب الحرية، إني أرى الألوان بشكل مختلف تماماً، إنها أرواح تعيش معي، نضحك، نتخاصم، تارة تغلبني وتارة أغلبها، إلى أن تكتمل اللوحة وتنتهي بنشوة الإنجاز، علاقتي بالفن هي علاقة عاشق ومعشوق، إنها علاقة عشق سرمدي بيني وبين ألوان لوحاتي وفني.

4. وأنتِ في مرسمكِ، ما الذي يحفزكِ ويدعوكِ للإبداع؟ وما المساحة واللون التي تفضلينهما؟

أرى مرسمي غرفة عمليات لروحي، ولأرواح أراها في الواقع أو أشعر بها، أستطيع من خلاله أن أنجز عملاً هادفاً جميلاً، يستطيع المشاهد أن يلمسه بقلبه وعقله قبل عينيه، يرى نفسه بروح كاملة افتقد أجزاء منها في ساحات كبيرة من الواقع، وعثر عليها في المساحة الصغيرة للوحاتي، هذا الشيء يدعو للتأمل والإثارة، أستخدم طبعاً في لوحاتي أدوات متنوعة مختلفة من الطبيعة وأيضاً الأسمنت، والجبصين، وأفضل ألوان الأكريليك والزيتي والباستيل، هدفي هو أن أحصل على ما هو ملائم وأكثر جمالية للشكل، الذي أريده، وأحياناً أستخدم في لوحة واحدة أنواعاً متعددة من الألوان والأدوات حتى أحصل على المراد، بالنهاية الفكرة وجمالية المنظر هي الأهم من نوع المادة.

5 . ما رأي الفنانة التشكيلية روجين حاج حسين بالثقافة الذكورية المنتشرة في المجتمعات الشرقية، والتي تمعن في الحط من قيمة المرأة، ومكانتها وبممارسات وأقوال لا حصر لها؟

المرأة مخلوق جميل، والفن جمال، لا نستطيع أن نفرق بين المرأة والفن، كل امرأة قادرة على أن تكون لوحة تتفرد بلونها وشكلها عن الأخرى وتميزها عن غيرها، هي قادرة أن تكون المحور والأساس، وأن تصل إلى أبعد الأمكنة بجمالها، وأنوثتها، وفكرها، وطموحها، ليس لها حدود في العطاء، هي منبع الحب، فأنا لست مع فكرة أن المرأة هي كل المجتمع، لأن المجتمع هو رجل وامرأة، لا يكتمل أحدهما دون الآخر، مهمة المرأة أن تمنح الجمال والخصب، أما مهمة الرجل هو الحفاظ على هذا الجمال والاهتمام به، علاقة الرجل والمرأة هي علاقة اللوحة واللون، والنهار والليل، والورد والمطر، والمطر لا فائدة له دون أن تزهر الأرض

بقطراته؟ أعتقد بأنهما نصفان مكملان للعشق، العشق لا يكتمل بواحد دون الآخر، والحياة لا تكون حياة دون حب وعشق.

6 . لكل مبدع ومبدعة قضية يحاول الوصول بها إلى وجدان وعقل القارئ، ما قضية روجين حاج حسين الأولى؟

قضية روجين الأولى طبعاً الإنسانية، والعدالة الإلهية، والحقوق، التي تجعل هذه الحياة جديرة بأن تعاش، ما رأيناه ونراه في هذا العالم، يترك فينا ندوباً موجعة كالظلم، والفقر، والتشرد، والحرب، هذا هو وجعي الأكبر، هنا طبعاً لا أتكلم عن نفسي وشعبي حسب، إنما أتكلم عن شعوب العالم أجمع.

7. هل يجب على الفنان التشكيلي أن يكون مطلعا على الأعمال العالمية بشكل مستمر؟ وهل يؤثر ذلك على إبداعه؟

التأثر بمن حولي هو جزء مهم من الإبداع، جزء مهم من الفنان بالتأثر بكل ما حوله، هذه الرؤية تكوّن لها احتمالات وأفكار جديدة يستطيع من خلالها تكوين مادة مبدعة تحل مشكلة ما، يستطيع من خلالها أن يوصل فكرة ما صعب عليه أن يوصلها، وتكون أكثر وقعاً من الكتابة والكلام.

8. هناك مدارس للفن التشكيلي مثل الكلاسيكية، والتكعيبية، والواقعية، والتجريدية، والسريالية، فإلى أي المدارس الفنية تنتمي روجين حاج حسين؟

كل فن له جماليته، وتأثيره، وإبداعه، اعتقد أن الفن هو يختار الفنان حسب تأثره بالواقع والحاضر الذي عاشه، وهذا ضروري جداً في المجتمعات، التي تحاكيها بزمنها، وبماضيها.

يغلب على لوحاتي الطابع السريالي الواقعي، فأرى روحي كثيراً في التجريدية، التي هي تكوينة جديدة وبناء أفضل للمجتمع والفرد بشكل خاص، هي تعبر عن عمق الإنسان، وجنونه، وعقلانيته، إنها مساحة أو أرض لا حدود لها من الحرية والإبداع والابتكار، الفن يكسر القيود والتقاليد، التي تحجم جمالية الفكر والروح، أعتقد إن لم تكن حراَ في الفن فلن تكون حراَ أبداً.

9. يقول النحات والرسام الإسباني بابلو بيكاسو الرسم طريقة أخرى لكتابة المذكرات، هل تعارضين أم توافقين هذا المعتقد ولماذا؟

الرسم هو طريقة لكتابة المذكرات، هذه ليست الإجابة كاملة، أعتقد أن الرسم هي طريقة لتحسين الماضي، الحاضر والمستقبل أيضا، ربما أرسم ما في مخيلتي، وما وقع، نعم إنما أنظر للمستقبل من خلال الواقع الذي أعيشه، ربما كانت خطة فعالة للتغيير، وللبناء؟ وللإصلاح، الفن ليس ما وقع وحصل فقط، بل هو

ما سيحصل أيضا، وما أتوق إليه وأرغب في المستقبل القريب أو البعيد، هي حياة مشروع فني، لا ينتهي بزمان ومكان معين.

10. بعض الناس تعدُّ الفن التشكيلي خربشات، ليس لها معنى، ما مَرَد ذلك؟

تلك الخربشات التي يراها البعض ما هي إلا انعكاس للروح، هي أنفاس نواتج روحية تعبر ما بداخلها، هي دلالات نفسية تكشف جوانب معينة تحاول الوصول لعمقها أو إلى الآخر، هذه الخربشات تحتاج إلى ذكاء العمل، تحتاج إلى لون معين وفراغ معين وخط، لكل منها دلالة معينة، تلك الخربشات التي يراها البعض، ما هي إلا شيفرة روحية تعبر عن ذات الإنسان وما يجول في داخله، من العاطفة والخيال، لا يستطيع قراءتها إلا الفنان ذاته، أو القارئ والمشاهد الذي يملك ثقافة فنية عالية، هذه الخربشات هي ولادة روح جديدة تحررت من قيودها بكل جرأة وقوة.

11. القارئ للوحات روجين حاج حسين، كيف يقرؤها؟ هل هناك صعوبة في القراءة؟ هل ترسم روجين للنخبة؟

ما يجمل اللوحة أعتقد بساطتها الغامضة، أنا أغوص داخل الإنسان، وداخل الطبيعة، لأخرج ما في الأعماق بصورة جذابة جميلة قابلة للرؤية والقراءة، أعتقد أن اللوحة تقرؤني وأقرأها، لكن عندما أغوص في أعماقها، أكتشف الكثير غير المرئي من خلال اللون والخط، كلما غصنا في البحر، والإنسان، والسماء، نكتشف الكثير والأروع، نعم أرسم للأرواح، التي تتلمس حريتها، وسعادتها، وألمها، ورغباتها المكبوتة، دائماً أترك لهم مكاناً دافئاً يأويهم بكل حب دون خوف أو قيود، أتركهم يغنون، ويرقصون، ويبكون، ويعشقون، ويرممون أرواحهم ويمنحوها ما كان ينقصها في الواقع على لوحاتي.

12. ما مساحة الوطن، والمرأة، والبيئة، في لوحات روجين حاج حسين؟

أرى المرأة والطبيعة وجهان لعملة واحدة، إنهما رمز العطاء، الحب، الجمال، الربيع، أما الوطن فهو الأب الأكبر أو بيتي الكبير الذي أنتمي إليه، نحن مجبولون على حب الوطن، هو طفولتنا، اكتشافنا الأول، خطواتنا الأولى التي مهما بعدنا عنها، ستظل قلوبنا عالقة به.

13. لو تحدثينا عن معرضك، الذي أقيم مؤخرا في هولير؟ وما مشاريعكِ المستقبلية؟

كان أول معرض لي في هولير، طبعاً تبنته وزارة الثقافة، مشكورة، وكرمت أعمالي من مدير الثقافة فرهنك مصطفى، وأشكرهم على التكريم، عُرضت خمس وأربعون لوحة كانت ذات مواضيع مختلفة متنوعة عن المرأة، والوطن، والمعاناة، والغربة، والحب، لاقت حضوراً وصدى في الإعلام والصحافة، ولدى رواد المعرض، وأغلب الحضور كان من أساتذة الفن التشكيلي وطلاب الفنون والطبقة المثقفة المتذوقة للفن،

سعدت بآرائهم ومدى قربهم من جوهر لوحاتي، طبعاً هناك جمل من الثناء ترسخت في ذاكرتي، وعبارات حلقت بي في السماء، وحملتني المزيد من المسؤولية، كنت سعيدة بهم، وأنا فخورة جدا، أنهم من كبار الفنانين، وأنا لست سوى تلميذة صغيرة مقارنة بهم، فأنا لست إلا روجين.

فيما يخص القادم من المشاريع إذا سنحت لي الفرصة ان أعمل معارض فردية أخرى في مدن ومناطق أخرى في كردستان، وأرغب أيضا في المشاركة وإقامة معرض فردي في الدول الأوروبية المتذوقة للفن، لأرى ثقافاتهم وفنهم وأيضا ليشاهدوا ثقافة بلدي من خلال لوحاتي.

14. روجين حاج حسين كفنانة تشكيلية كردية كيف تساهمين في إبراز الهوية الثقافية الخاصة بالشعب الكردي؟ نعم، أغلب لوحاتي تحمل الطابع الكردي سواء كان رمزاً أو شكلاً أو مجسماً، أو حتى عن طريق الألوان، فاللون الكردي أعدُّه لون الربيع، ولون الفرح والسعادة، و أن ألواني الكردية ترقص وتغني على لوحاتي، وأنا سعيدة حقاً بأن أوصل ثقافة شعبي وبلدي إلى العالم، الفن لغة مقدسة نتداولها فيما بيننا لنعبر عن حضارتنا، وثقافتنا، وتاريخنا، بأجمل وجه.

أجرى الحوار نصر محمد / المانيا

لوحات الفنانة روجين حاج حسين










Rojîn



حوارات متنوّعة مع شعراء وكتّاب وقاصّين وروائيّين وفنّانين وفنّانات

11

حوار صفاء الصالح مع جلال زنكابادي



جلال زنكابادي



صفاء الصالحي

جلال زنگابادي : إن ثالوث القراءة والحب والكتابة هو بمثابة أوكسجين حياتي منذ الصبا..
جلال زنگابادي: أحسب نفسي (شاعراً تصويرياً) التحمت مبكراً موهبتاي في الرسم والشعر، ومن هنا جاء اهتمامي المبكر بطبوغرافيا القصيدة على وجه الورقة..

مناضل اختار النضال الثقافي منذ فتوته كديمقراطي راديكالي مستقل، وأديب مبدع غزير العطاء، وشاعر تجريبيّ وطليعيّ مزج الهمّين القومي والإنساني، وهو مترجم وباحث وموسوعي الثقافة متنوّع الاهتمامات، قدم قرابينه على دكة الثقافة العربية والكردية، ولد (جلال حسين محمد أمين البالاني) في منطقة زنكَاباد القريبة من ناحية جلولاء في محافظة ديالى عام 1951، ونشأ فيها إسبارطيّاً فولاذي الإرادة عصامي في مواجهة الحياة، استرجله تيتّمه فانزلق مبكّراً في أتون عالم الطين والجص والسمنت والعتالة والديديتي(مكافحة البعوض). شغف منذ صباه بالحكاية والشعر والرسم، وأصيب بسعار القراءة بوقت مبكر جدًا من حياته، فبدأ القراءة والتثقيف الذاتي، وراح يلتهم بنهم قصص الأطفال والصحف والمجلات. أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في جلولاء(1961–1966)؛ قبل حدوث النقلة الحاسمة في مسيرته الأدبية بالتحاقه طالباً بدار المعلمين في كركوك (1966– 1969) والتعرف إلى كوكبة من جماعة كركوك الأدبية لا سيما الأديب جليل القيسي الذي لعب دور بارزاً في مسيرة تثقيفه الذاتي وممارسة الكتابة الإبداعية؛ بدأ في النصف الأول من ستينات القرن الماضي الكتابة الشعرية والنشر بإسميه (جلال وردة) و(جلال زنگابادي) وبضعة أسماء أُخَرى مستعارة كان يتخبأ خلفها؛ فتناثرت المئات من مساهماته في الجرائد والمجلات في العراق وخارجه.

وبالإضافة إلى ممارسته التعليم حتى عام 1992، مارس العمل الصحفي منذ1977 محرراً ومشرفاً ثقافياً ولغوياً، في الأقسام والملفات الأدبية والفنية والثقافية، وسكرتيراً للتحرير، ونائباً لرئيس التحرير لبضع مجلات في إقليم كردستان العراق؛ ولعل انضجها كانت تجربته في (مجلة الثقافة) بصحبة الدكتور صلاح خالص وزوجته الدكتورة سعاد محمد خضر، إذ نال بها على عضوية نقابة الصحفيين العراقيين. وتنطوي جزءاً من تجربة زنگابادي الشعرية على خطابات زاخرة بشطحاته المتمرّدة الضاجّة بالملحمية في توشجها مع الزمن الماضي والحاضر واستكناه المستقبل التراجيدي؛ مستحضرة صرخات ومأساته الإنسانية والهم والقومي والوجودي. كما تنطوي في جزءاً أخر منها على رموز وإشارات ودلالات سياسية مفخخة ضد الفاشية والدكتاتورية، فضلاً إلى سلوكها مسارات إنسانية يمكن أن تلمس فيها النفس العرفاني والصوفي خصوصاً في مجال الحس الرومانسي الإيروتيكيّ الذي يمزج ثيمة الحب بالهموم والشجون الإنسانيّة؛ لا سيما في مجموعته (ها هي معجزتي!) التي أهداها إلى حبيبته الأزلية (زوجته خولة) رفيقة دربه وشريكة همومه وشجونه؛ والتي يلتمس حضورها بأكثر من مناسبة سواء باسمها الصريح أو بترميز حروفيّ كحرف الـ(خ).
من يتحرى المسار الإبداعي والفني والجمالي لتجربته الشعرية لا بد من أن يقف عند ميزة متفردة على صعيد التشكيل والتعبير تميزها تمت عبر أرخبيلات لغوية طافحة على طبوغرافيا الورقة بوصفها دلالات بصرية تخاطب بصر المتلقي وكأنه لا يقف فقط أمام تمسردات لغوية مجردة وإنما أمام نص بحاجة إلى قارئ نوعي قادر على فك طلاسمها وتأويل اللغة والتشكيل البصري المصوّر للنص. بالإضافة إلى الجوانب الجماليّة والفنيّة الأخرى النابعة من أفكاره الإبداعية الخلاّقة وروحه الإنسانية الحرّة النبيلة وعصارة ثقافته الموسوعية (كبنى الصور الشعريّة، الموسيقى والإيقاع، التناص، والنزعة الاستشرافية الاستباقية؛ ناهيك عن هوامش وحواشي قصائده المكمّلة لمتونها).

الترجمة عند الزنگابادي علم و فن وإبداع وليست بممارسة مزاجيّة أو عشوائيّة، وما ففتئ يتمرّس ويتثقّف ذاتيّاً؛ ويطور قدراته في الغوص عميقا في أعماق كلتا اللغتين (العربية والكردية) لبلوغ مستوى القراءة الجادة والكتابة بهما والترجمة عنهما، بالإضافة إلى تعلم اللغات: (الهندية، الفارسية، التركية، الإسبانية، والإنكليزية) حتّى أمتلك ناصية الترجمة، ثم راح يجسّد به عالمه الرحيب؛ ولعل تحقيقه وترجمته المنثومة(المازجة بين النظم والنثر المسجوع) لرباعيات الخيام وخصوصية لغة الخيام وصوره الشعرية وأسلوبه، بل حتى أفكاره الفلسفية إلى حد ما؛ قد شكلت العلامة الفارقة في هذا المسلك الصعب والمجهد، الذي لم يتوقف فيه عند حدود ترجمة الشعر فيه؛ بل ألحق بها ترجمة نصوص أدبية وغيرها متعلقة بتغطية شتى جوانب الثقافة الكردستانية عبر خطّ اختطه لنفسه منذ يفاعته مندرج تحت يافطة النضال الثقافي (للأدب والفكر والفن)؛ حيث كرس اشتغاله في العقود الأخيرة للمشروع القومي في محاولة الارتقاء بالوعي الثقافي والقومي للشعب الكردي والإنسانية جمعاء، حتى صار موسوعياً في كردلوجيته إذ توسع وتشعب باشتماله كل أجناس الكتابة التي تناولت كل ما يتعلق بالكرد وكردستان من: (جغرافيا، تاريخ، لغة، فلكلور، أدب، فنون، ديانة، عادات

وتقاليد، عمارة، آثار، سياسة، اقتصاد، في الماضي والحاضر). وقد بلغ ما كتبه باللغة الكردية وما ترجمه إليها أكثر من خمسة عشر كتاباً، وكذلك بلغ ما ترجمه من نصوص أدبية وغيرها عن اللغة الكردية إلى اللغة العربية وما كتبه بالعربية في شؤون الثقافة والقضية الكردستانية أكثر من خمسة عشر كتاباً أيضا، ناهيك عن أكثر من مائة مساهمة في شؤون الثقافات: التركمانية والكلدوآشورية والأرمنية، وهي تبلغ أكثر من عشرة كتب. لم ينازع جلال زنگابادي أحد من مجايليّه بمستوى غزارة وتعددية وتنوع مساهماته في مجال تغطية الثقافة الكردستانية. لقد اغنى المكتبات العربية والكردية بالعديد من المؤلفات التي تُعد مراجع مهمة وأرضيّة صلبة للباحثين والدارسين في مجال الهويّة الثقافية الكردية. لكن للأسف لم تنصفه الحركة النقدية لا العربية ولا الكردية ولمْ يلتفت لعطائه (الشعري والترجمي والبحثي) إلاّ القليل من الأدباء والنقاد والإعلاميين المنصفين. وكان الراحل يستعد لإصدار موسوعيته غير المسبوقة (معجم الكُرد العربفونيين) الذي يضمّ كتاب ومبدعون من الأرومة الكرديّة في العراق، بالإضافة إلى الكثير من المخطوطات التي تضاف إلى رصيده الإبداعي لكن للقدر قوله في الرحيل الأبدي في الخامس من سبتمبر 2023 بجلطة دماغية مفاجئة في أحد مستشفيات أربيل.

رحل جلال زنگابادي جسداً بعدما نحت اسمه بثبات وتميز في الحياة الفكرية والأدبية والثقافية العربية والكردية ، ولعل احتفاؤنا هذا يندرج ضمن الوفاء والعرفان لهذه المظلة المعرفية والعلم البارز من أعلام الريادة الثقافية في العراق.

الحوار

◙ تشهد كلّ حياة أدبية أو إبداعية تغيرات وتطورات متلاحقة بدءًا من التحصيل المعرفي والمرجعيات الفكرية حتى مراحل أيجاد الذات واتخاذ الهوية الإبداعية لنبدأ من العتبة الأولى قبل أن تهتدي إلى الخطوط العريضة في مسيرتك الموسوعية ؟

لقد تربيت منذ صغري تربية إسبارطيّة؛ فقد عودني والدي منذ الثالثة من عمري على السهر، وكنت أرافقه رحلات الصيد والمشي ليلاً وسط الأدغال والأحراش، في منطقة (زنگاباد) الواقعة شمال مدينة جلولاء، غير مكترثين بالسحالي والضواري والجن والشياطين، كما علّمني السباحة، والإستماتة من أجل الحق والحقيقة؛ وعليه نشأت قويّاً عنيفاً غير هيّاب وجلداً صبوراً لا ينال من عزيمتي الجوع والتعب والسهر والوعيد والتهديد، بل فقدت حتى (لذة الخوف) إلى حدّ بعيد. وكانت والدتي تنعتني بالمجنون لتفوقي في شتى المجالات، وكان المتوقع أن أصير عالماً مخترعاً؛ لتفوّقي الدراسي المشهود وشغفي الهائل بالاختراعات، لكن استرجلني تيتّمي المبكّر وأنا في التاسعة من عمري (إثر اغتيال والدي) فقذفني في أتون عالم الطين والجص والسمنت والعتالة والديديتي (لكوني أكبر أخواتي وإخوتي الخمسة) فقُصّت أجنحة طموحي في إكمال دراستي؛ وضحّيت بتفوقي مكتفياً بإكمال دار المعلمين الابتدائية؛ لبلوغ أقرب وأسرع مورد لإعالة إخوتي ورعايتهم دراسياً. وفنياً

كنت قد بدأت بالرسم قبل دخولي إلى المدرسة، وكانت موهبتي ممتازة فيه، كما شغفت مبكراً بالحكاية والشعر، وأصبت بـ (سعار القراءة) منذ نهاية الصف الأول الابتدائي (صيف1958) ورحت ألتهم كلّ ما يقع تحت يدي من قصص الأطفال والجرائد والمجلات وكتب الصفوف المتقدّمة؛ فمثلاً : كنت أقرا كتب الصفين الخامس والسادس وأنا في الصف الثالث، وبرزت في درس الإنشاء بروزاً مشهوداً، ثمّ راحت دائرة قراءاتي تتوسّع وتتنوّع، بقراءة كتب المنفلوطي ودواوين الزهاوي والرصافي وشعراء المهجر، وجبران خليل جبران، وسلامة موسى. كما شغفت جداً في مرحلة الدراسة المتوسّطة بتعلم اللغات : الهندية، الفارسية، التركية، الروسية، الألمانية والإنكَليزية اعتمادا على كراريس (كيف تتعلم ... في أسبوع بدون معلّم)، مع الإنصات إلى محطات الإذاعات، وأن قوة ذاكرتي أعانتني على حفظ هاتيك الكراريس عن ظهر قلب، ورحت أتصيّد السيّاح الأجانب هنا وهناك؛ لأستدرجهم وأتحدث معهم، بالإضافة إلى غنائي باللغات : الهندية، الفارسية والتركية، فضلاً عن العربية والكردية.

كما دشّنت في نفس المرحلة الدراسية قراءة الأدب والفكر العالميين بما فيهما روايات كبار الكتّاب الروس والفرنسيين والإنكليز... والفلسفتين الماركسية التي أفدت منها لاحقاً الموضوعية وتحليل وفهم الواقع، والوجودية التي علمتني المسؤولية الذاتية وشجاعة الضمير في المواجهة، وحتى الفلسفة الصوفيّة التي تعلمت منها الرؤيا الغنوصيّة والتسامح الديني والتآخي البشري والزهد.

وكنت مشتركاً في أهم المجلّات اللبنانية والمصرية والعراقية، بالإضافة إلى قراءة العديد من الكتب الأخرى، التي أثرت في لغتي وتوجهاتي الأدبية والفكرية مثل : القرآن الكريم، رباعيّات الخيّام، ألف ليلة وليلة، تاريخ الكرد وكردستان لمحمد أمين زكي بكَ بترجمة : محمد علي عوني، مختار الصحاح، مقامات الحريري، نهج البلاغة وميزان الذهب في صناعة شعر العرب، الذي دفعني إلى نظم الشعر الموزون والمقفى منذ مطلع 1963 طبعاً مشفوعاً بتفجّر مشاعر المراهقة وتحسس بؤس وتعاسة اليتم والظلم القومي والطبقي، وبلغ رصيد قراءاتي نحو 1500 كتاب جيّد في حين لم يتجاوز عمري 15 سنة، ربّما تستغرب إن قلت لك قلّما مرّ عليّ يوم منذ 1961 لم أقرأ فيه (100صفحة) على الأقل. كما تأثرت بأعمال المئات من المبدعين (من أدباء وفنانين وفلاسفة) وقلائل من الساسة، فموضوع قراءاتي وتأثراتي يحتاج في حدّ ذاته إلى حوار طويل. لقد وعيت ذاتي واكتشفت نفسي مبكّراً جدّاً بصفتي إنساناً لابدّ له من أن يخلّف أثراً لماهيّة وجوده في الوجود حاضراً ومستقبلاً. وهكذا أثر ينطوي على موقفي من الوجود في الوقت نفسه، وطبعاً يعبّر الإنسان عن وجوده بشتى الأفعال: الحب، والكره، وممارسة الجنس، والغناء والرقص، والغضب والتمرد والثورة؛ غير أن ثالوث القراءة والحب والكتابة هو بمثابة أوكسجين حياتي منذ الصبا؛ لكنما يظل فعل الكتابة الإبداعيّة أخلد ممّا عداه، وقد تجلّى هذا منذ اجتراح الكتابة قبل آلاف السّنين لحد الآن، وعليه يمكنك تصوّر تطوّراتي اللاحقة.

◙ طيب لنسترسل أكثر ونغوص في عمق مسارب تصريف هذا المخزون القرائي المتراكم في التجربة الشعرية والترجمية والبحثية؟

ولئن انزلقت مبكّراً في بحر الآداب والفنون والعلوم بعد إكمالي مرحلة الدراسة المتوسطة في جلولاء تحديداً (1961–1966) ما أسميه مرحلتي الجلولائية، حدثت النقلة الحاسمة في مسيرتي الأدبية، حيث بدأت مرحلتي الكركوكية (1966– 1969) بالتحاقي طالباً بدار المعلمين في كركوك، وبدأت التعرف إلى كوكبة من الأدباء الكرد والعرب والتركمان والآثوريين، ثمّ بدأت نشر قصائدي في النشرات الجداريّة منذ 1966 في دار المعلمين ومعهد المعلمين بكركوك، وفي جريدة كركوك وملحق جريدة الجمهوريّة، وألف باء، وطريق الشعب، لا سيما قصائد مجموعتي الشعرية (شظايا من نفير البحر) التي أحسبها باكورة نضجي الشعري الذي يتسم باستقلالية ملحوظة، وقد كتبتها خلال الفترة (1967– 1969) وكانت مخطوطاتها جاهزة للنشر في دار الفارابي ببيروت لكنها احترقت أو ضاعت إبان الحرب الأهلية اللبنانية. كما حالت ظروفي اللامواتية (بأسبابها الذاتيّة والموضوعيّة) دون نشر أيّ مجموعة شعريّة عربيّة أو كرديّة في كتاب مستقل حتى سنة 2009 ، أي تأخرّت أكثر من (40 سنة) ! بل لم يُنشَر لي أيّ كتاب في عهد الرايخ العفلقي، وكذلك بعد انتصار انتفاضة 1991 في كردستان حتى 2004، وظللت أكتب الشعر؛ كلّما هلّ عليّ، بصفته محور حراكي الثقافي، وأنشر قصائدي هنا وهناك، حتى إنجازي المجاميع الشعرية: (قصائد تأبى أيَّ عنوان 2009، ها هي معجزتي2009، وهكذا شطح الكائن مستقبلئذ 2013) وثمّة أكثر من عشر مجموعات أخرى باللغتين الكرديّة والعربيّة في انتظار غودو النور!. ومنذ 1969بدأت متابعة وقراءة الشعر باللغة الإنكَليزيّة، ثمّ الترجمة عنها وفي خريف 1971 تعلّمت قراءة اللغة الكرديّة (الأدبيّة) وكتابتها والترجمة عنها في أقل من ثلاثة أشهر، والحق كان لكركوك أبلغ الأثر في مسيرة تثقيفي الذاتي وممارستي الكتابة الإبداعية وتطوير قابلياتي وقدراتي في كلتا اللغتين لبلوغ مستوى القراءة الجادة والكتابة بهما والترجمة عنهما، ويعود ذلك بالفضل إلى صديقي وأستاذي الراحل المبدع الكبير جليل القيسي إذ وبّخني ذات يوم في 1968 توبيخاً أبكاني حين خاطبني: " جنابك تريد أن تحقق فتوحات جديدة في عالم الإبداع، ولا تجيد اللغة الإنكَليزية ؟!" كما لا أنسى توبيخه الآخر المثمر: " أليس عيباً عليك تجيد العربية كل هذه الإجادة؛ ولا تجيد لغتك القومية ؟!" فهو الذي حرّضني أيضا على التهام المئات من أفضل الكتب (الأدبية، الفلسفية والنفسية) في مكتبة كركوك المركزية. ثمّ تعلّمت اللهجات الكرديّة الرئيسة خلال سنة، ولابدّ من التأكيد على إن تعلمي للغة الأدبية الكردية بكلتا اللهجتين الرائجتين قد فتح لي باب تعلم اللغتين الفارسية والتركية العثمانية على مصراعيه؛ غير أني أخفقت في تعلّم الأرمنيّة والألمانيّة والروسيّة والسريانيّة، لكنني تعلمت الإسبانيّة في (خريف 1995– صيف 1996) علماً باني علّمت نفسي بنفسي اللغات المذكورة وبضعاً أخرى (حدّ القراءة والفهم والاستفادة المعرفيّة دون التمكّن من الترجمة الدقيقة) ولأنني كنت أركز على دراسة قواعد اللغات المذكورة وطرق إملائها، بل قراءة عشرات القواميس (كما لو إنني أقرأ روايات !)؛ فصرت مترجمة، بل وخبير لغويّاً كتحصيل حاصل.. إن ما كتبته باللغة الكردية وما ترجمته إليها منذ قرابة الثلاثين عاماً يبلغ

على الأقل (بعد تصنيفه) أكثر من خمسة عشر كتاباً متوسط الحجم، بالإضافة إلى ترجمة النصوص الأدبية وغيرها عن اللغة الكردية إلى اللغة العربية وما كتبته بالعربية في شؤون الثقافة والقضية الكرديتين، منذ قرابة الأربعين عاماً، فيبلغ على الأقل (بعد تصنيفه) أكثر من خمسة عشر كتاباً متوسط الحجم أيضا، ناهيكم عن أكثر من مائة مساهمة في شؤون الثقافات: التركمانية والكلد وآشورية والأرمنية، وهي تبلغ أكثر من عشرة كتب. أمّا ممارسات كتابة المقالات والدراسات؛ فقد جاءت نتيجة لتراكم قراءاتي الموسوعيّة من أقصى العلوم الإنسانيّة مروراً بالآداب والفنون حتى السحر والشعوذة، وهذا يعني أن التراكم الثقافي (الكمّي) يتحوّل ديالكتيكيّاً إلى حال الكيفيّة، أي يتحوّل القارئ إلى باحث. وقد أنجزت العديد من الدراسات عن ثقافات الشعوب : الأرمن، البلوج، التاجيك، التركمان والباسك... بالإضافة إلى ما يتعلق بثقافات الشعوب الإيرانية والتركية الأخرى... فمثلاً: من المقرر أن تبلغ عدد كتبي عن الخيّام وأعماله (وحده) نحو (15 كتاباً) باللغتين العربيّة والكرديّة. وهكذا لم أغد أديباً موسوعيّاً فحسب؛ بلْ مريضاً موسوعيّاً!

◙ وماذا عن الصحافة؛ على ما يبدو لم يكن لها نصيب من استرسالك في الإجابة عن السؤال الذي سبق؟

فعلاً. بصفتي قارئاً كنت متتبعاً باحتراز (بتأثير إشاعات الشيوعيين وغيرهم ضدها) لمجلة (الثقافة) لصاحبها د. صلاح خالص منذ صدورها في 1971، ولم أنشر على صفحاتها شيئاً حتى 1973، ومن ثم عملت محرراً متطوّعاً (بلا راتب) فيها خلال السنوات(1977–1988) حيث حصلت على عضوية نقابة الصحافيين العراقيين؛ لعملي فيها (وأُنهِيت عضويتي النقابية فور احتجاب المجلة) وهو العمل الصحافي الوحيد، الذي مارسته منذ انخراطي في عالم الثقافة حتى انتفاضة1991 المجيدة. أمّا تواصلي الحميم مع المجلّة فيعود إلى الدعوات المتكررة من أستاذيّ الأجيال الدكتور صلاح خالص والدكتورة سعاد محمد خضر، اللذين تعرّفا إليّ عن طريق مواضيع صديقي وقريبي الكاتب والمترجم والروائي شاكر نوري، والتي كانت أغلبيّتها تصل المجلّة ليس فقط بعد مراجعتي وتنقيحي لها، بل حتى بخطّي الحسن! منذ أوّل موضوع له منشور فيها حتى خريف1977 ومنها ما يتعلّق بالأدب السوفياتي والفكر الماركسي. وقد حظيت بعشرات اللقاءات والحوارات الحميمية الصميمية مع الأفاضل: الدكتور صلاح خالص، والدكتورة سعاد (أمّي التي لمْ تلدني)، فأصبحت منذ تدشين التواصل معهم بمثابة ابن عزيز موثوق به لعائلتهم المثقفة الكريمة ولقد اضطررت؛ لتعددية مساهماتي وتنوعها في بعض الأعداد، إلى النشر بهذه الأسماء المستعارة: ديوجينوس/ أبو أورفيوس/ أبو وضاح/ (الثقافة) / وحتى بلا اسم/ بالإضافة إلى أسمائي الاعتيادية: جلال حسين ورده/ جلال ورده/ وجلال زنگابادي. كما عملت سكرتيراً تحريراً لمجلة(القافلة) الفصلية الصادرة عن وزارة ثقافة إقليم كردستان، لكني تعرّضت لمساءلة الشاعر شيركو بيكس، وزير الثقافة و(رئيس تحرير المجلة) آنذاك؛ بعد نشري لمقال (القافلة تقرع أجراس الخطر) في افتتاحية العدد الثاني من مجلة(القافلة) الفصلية الصادرة عن وزارة ثقافة إقليم كردستان، في صيف 1993؛ حيث استشرفت فيه الإحتراب الكردستاني البغيض قبل

قرابة سنة من وقوعه؛ حيث استعداه عليّ نفر من أعضاء برلمان الإقليم وفلول العفالقة! لكنه سرعان ما سبقني باستقالته؛ قبل أن يقيلوه من منصبه لأدائه الفاشل! أما أنا فقد تركت المجلة مستقيلاً من سكرتارية تحريرها، بعد صدور عددها المزدوج (3و4) خريف وشتاء 1993. وفي الحقيقة أنا لست صحافيّاً بالمفهوم الحرفيّ للصحافة، وإنما أديب ومترجم اضطرته الظروف إلى العمل الصحافي (الثقافي).

◙ لنتوقف قليلاً أستاذي الفاضل عند التجربة الشعرية التي هي محور اهتمامك منذ 1963؛ فقد تتجلى فيها نزوعًا إلى التمايز عبر مغامرات تجريبية جادة على مستوى التشكيل البصري للقصيدة كرسم الكلمات على هيئة شكل كما في قصيدتي(شواهد، ويدُكِ..؟!)، بالإضافة إلى تكبير حجم المفردة، والتنقيط الفراغي، كما في قصيدتي (وا...بغداداه!، ولربما هي الخاتمة بعد الصفر) وغيرهما من التمظهرات المرئية فهل تكتب القصيدة بناءً على رؤية فنية تشكيلية، وهل السريالية خلفيتك الفلسفية في تبني الدلالات غير اللغوية؟

كما ذكرت لك في إجابة سابقة كنت قد بدأت بالرسم قبل دخولي إلى المدرسة، وكانت موهبتي ممتازة فيه، وقد مارسته حتى تخرجي معلماً، ولعلها كانت هي أوّل مرتكزاتي؛ بل أساس (شعريّة قصائدي الحرة)، بالإضافة إلى الروافد الأخرى ككتابة وترجمة المقالات والدراسات والبحوث في المجالات الثقافيّة الأخرى لا سيما في مجال الفنون التشكيليّة التي تصب في مصب شعري أيضاً. وعلى ذكر قصيدة (شواهد إلى أرواح نخيل خانقين) كما أوردت في سؤالك فقد استثمرت فن الرّسم؛ حيث وزّعت عباراتها وجملها بصورة نخلة وامرأة في آن واحد، وفي بدايتها عين وشمس، وكذلك قصيدة (ولربما هي الخاتمة بعد الصفر) التي أبدع صديقي الفنان والكاتب الألمعي صباح الأنباري في نبش وتفكيك وتقييم النص بعمق وشمول. ثمّ إنني استفدت مبكراً من منجزات الشعراء التصويرين النصّية والتنظيرية بريادة العبقري (المغدور) إزرا باوند؛ وعليه أحسب نفسي (شاعراً تصويرياً) حيث التحمت مبكراً موهبتاي في الرسم والشعر، ومن هنا جاء اهتمامي المبكر بطبوغرافيا القصيدة على وجه الورق؛ كما لي العديد من القصائد بصفتي شاعراً تجريبيّاً– طليعيّاً. وبالطبع كانت لمتابعة وقراءة الشعر العالمي باللغة الإنكَليزية (البريطاني والأمريكي) منذ التحاقي طالباً بدار المعلمين في كركوك لها من الأثر في تجربتي النابعة أيضا من مجمل معطيات المعارف والعلوم الإنسانية من آداب وفنون وأديان وفلسفات حتى السحر والشعوذة.. ومردها هو تثقيفي الذاتي الموسوعي الحر منذ يفاعتي، فضلاً إلى التربية الصوفية التي تلقيتها مبكراً على يد والدي المريد الصوفي. ناهيك إلى المزيد من القراءات والتنظيرات التي كان لها الدور المؤثر في نزوعي الراسخ هذا. لكنّ النقّاد لم يتناولوا ابتكاراتي المبكّرة في مجال الشعر المرئي، إلا من بضع مقاربات أوليّة، من لدن بعض الكتاب ذوي الضمائر الحيّة (وبالعربية حصراً) حيث تناولوا عموماً مضامين شعري، ولم يتصدّوا للجوانب الجماليّة والفنيّة : (بنى الصور الشعريّة، طبوغرافيا القصائد، الابتكارات اللغويّة، التناص، الموسيقى والإيقاع، والنزعة الاستشرافية الاستباقية).

◙ عجباً! مِن ضعف المواكبة النقدية لتجربتك الشعرية؛ وإبراز الظواهر الفنية والجمالية التي تميزها؛ فهل يعزى ذلك إلى أن نقد الشعر لا يتأتى لكل مستطرق وطارئ على النقد أو عدم القدرة على الخوض في تفاصيل العملية الشعرية واستنباط جمالياته، أم غير ذلك؟

ولا عجب في ذلك؛ ها نحن نشهد شعارير وشعرورات لا ترقى مستوياتهم ومستوياتهنّ إلى مستويات قرّاء وقارئات ستينات وسبعينات القرن الماضي، يتكاثرون كالفطر، في بحبوحة استسهال الكتابة والنشر الورقي والإلكتروني، يساندهم هراء (النفاق النقدي) بما فيه من المحاباة الإخوانيّة والمقايضاتيّة والمحسوبيّة الأيديولوجية... ناهيكم عن تهاليل (النقد المأجور) وأضاليله...؛ والتهاليل المجاملاتيّة (اللايكيّة/ الفيسيّة) والتي تطغى عليها المجاملات النفاقيّة المقايضاتيّة؛ فتسكرهم خمرة (العظمة الزائفة) غير مدركين أن مصير هكذا (شعر بعروري!) وهكذا (نقد صرصوري!) إنما هو مصير القرب المثقوبة عاجلاً أو آجلاً؛ مهما تعاظم النفخ فيهما، ناهيك عن أن أحزاب العراق الشوهاء التي لعبت ومازالت تلعب دوراً مشيناً في تشويه القيم الإبداعيّة وتقييم المبدعين والمبدعات، ولمافياتها العرضحالجيّة الأدوار الجليّة في صناعة الأسماء الأدبية والترويج لها، وتسويق بضائعها الرديئة؛ فهنا وهناك شعراء وكتّاب حازوا على اهتمامات وشهرة نجوميّة لا يستحقّ أهمّهم وأبرزهم ربعها، بالإضافة إلى إنني لم أكن ذات يوم شعروراً روبوتاً (مدّاحاً/ نبّاحاً) لحزب أو كشك سياسي؛ حتى يقوم بتسويق نتاجاتي، ويفبرك لي شخصيّة كاريزميّة، حسب لعبة المقايضة " صفّق لي؛ أصفق لك". أو مثلما كان الحال مع شعارير شيوعيين، ويعربيين عفالقة وغيرهم، وعفلقزادات كرد. ومن الجليّ أن (تسليع الجمالي) أي تحويل النتاج الأدبي والفني إلى سلعة (عاديّة أو أيديولوجية) لمقايضتها التجاريّة بالمال والجاه والشهرة في كل زمكان، حتى في ظل الأنظمة الشيوعيّة والاشتراكية، التي كانت تلصق هذا الداء بالأنظمة الرأسماليّة؛ قد أدّى (أي التسليع) إلى تسييد (اللافن) أي إلى تدني المستوى الفني تدنيّاً هائلاً هنا وهناك إثر تغليب العدد والكم ؛ بغية الاستهلاك، على حساب النوع والكيف...ومن ثمّ أهان وأذلّ كبرياء الفن الحقيقيّ.

وإن ما سلف لا يعني أن ليس ثمة صدى لنصوصي لكن لم يحظ شعري لحد الآن بغير بضع مقاربات أوليّة (بالعربية حصراً) من لدن بعض الكتاب ذوي الضمائر الحيّة، وحتى في اللغة الكردية، نادر وخفيض جداً. ولذا لابدّ من القول: أي ليس في مقدور أيّ ناقد مفتقر إلى كلتا الثقافتين الكونيتين: التراثية(لاسيما الصوفية) والحداثية المعاصرة أن يتصدّى لدراسة قصائدي ويقيّمها بإنصاف، ناهيك عن قدرته على قراءتها أصلاً. لكن أديباً مثلي غزير العطاء ومتنوّع الاهتمامات بأمسّ الحاجة لإيصال مساهماته إلى أكبر عدد من القرّاء والقارئات، فلذا صار الإنترنيت موئل تفاؤلي لكسر أطواق الغيتو والتجهيل والاستبعاد والتحجيم والتعتيم والتهميش والتهشيم، التي ضربتها ومازالت تضربها الدكتاتوريات والمافيات الثقافية السائدة حواليّ المبدعين المستقلين سياسياً وفكرياً... وإن كان هنالك بصيص من التفاؤل لديّ؛ فهو كامن في ضمير المستقبل.

◙ على حد ذكرك الثقافة التراثية ولا سيما الصوفية؛ فمن خلال معاينتي تجربتك الشعرية استنبطت مواطن تلاقي مع التجربة الشعرية لجلال الدين الرومي في تسربلها بالفلسفة الصوفية، ونداءاتها الصارخة في وجه الظلم والطغيان، فهل هي من ملامح التأثر ؟

لقد تلقيت التربية الصوفية مبكرا على يد المريد الصوفي (والدي رحمه الله) الذي كان شاعراً وراوياً مستظهراً للشاهنامة الكردية وملاحم العشق والبطولة وألف ليلة وليلة.....، بل حتى تسميتي جاءت تيمّناً بالشاعر والمتصوف العظيم مولانا جلال الدين، فعليه أنا ذو منبت ومسلك صوفيين أصلاً، طبعاً بعيداً عن التمظهرات الدينية الزائفة. ومن الفلسفة الصوفية تعلمت الرؤيا الغنوصيّة والتسامح الديني والتآخي البشري والزهد في الدنيا كما ذكرت لك سابقاً. كما انكببت على دراسة التراثين الصوفيين العربي والفارسي وكذلك الكردي والتركي والهندي والغربي. وكلّما كنت قد تعمّقت في سبر أغوار النصوص الصوفية؛ اكتشفت قوتها وقدرتها على التعالي على شروطها الزمنية. إن تراث المتصوفة العرب والفرس والكرد والترك والهنادكة... ينتمي بجدارة إلى المستقبل؛ فهو معاصر أكثر ممّا يكتبه شعراؤنا الآن! بل انه يتحداهم بقدرته على اختراق المستقبل واستشرافه برؤيا روحية عالية؛ حيث يمكنك أن تجد فيه طروحات التآخي الأممية والطروحات السوريالية والباراسايكولوجية والحداثوية؛ فقد سبق الشاعر الهندي بيدل دهلوي(1644–1720) شعراء الغرب أجمع بريادته الحداثية، بل وتطالعنا حتى الطروحات البنيوية والتفكيكية والتأويلية لدى شعراء الحروفيّة ووحدة الوجود؛ فأبن عربي في رأيي يعد رائد البنيويين والتفكيكيين والتأويليين حتى في تفكيك و تأويل الحرف الواحد! فبكل تأكيد يمكن اعتبار التراث الصوفي أحد أبرز مرجعيّات تكويني الشعري.

◙ وكأنك تحاول أن تشير لي إلى النزعة الاستشرافية الاستباقية والتي تعد واحدة من أهم الظواهر المميزة في عالمك الشعري، سأقف معك عند صورة الاستشراف المحمل بروح التشاؤم والنظرة السوداء للمستقبل كما في قصيدتي (لا وطن لك سوى آفيفان، والجيفة)، فهل أن هذا التشاؤم طبيعة ملازمة لك، أم تشاؤم عرضي مرده عذابات شخصية، وتراجيديا النكبات والمآسي؟

هذه القصيدة (لا وطن لك سوى آفيفان) التي ذكرت هي مهداة إلى الشاعر والمترجم العزيز بدل رفو مزوري، و(آفيفان) هي ابنته، والنص (منشور في 1993) وهو تدشين لتجنيس جديد مبنى ومحتوى (ملحمة مضادّة)، ولديّ نص آخر منشور (تَالبحرِ لأشطحنَّ) في 1994، وبضعة نصوص أخرى مخطوطة بالكردية والعربية، ويعود تدشيني لهكذا نص مفتوح إلى سنة 1970 وهناك نص (إيّاكِ أيّتها الطفلة اليساريّة أنتظر) منشور في مجلة (مواقف) عدد مزدوج (17 و18) في 1971، وحينها تلقيت رسالة إعجاب من الشاعر أدونيس، الذي كان يتصوّرني كهلاً تجاوز الأربعين، وليس فتىً كرديّاً في العشرين من عمره!.

وقصيدة (جيفة) السّالفة هي بكائيّتي للعلاّمة الفقيد المغفور له عبدالغفار مكّاوي (11/ك1930/2–24/ك2012/1) ولنفسي ولأمثالنا هنا وهناك .. وهي إحدى قصائدي الكثيرة، الاستباقية المستشرقة لآفاق المستقبل القريب والبعيد.

لقد تطوّرت الأجناس الأدبيّة والفنيّة عبر عمليّة جدليّة متواصلة بصفتها انعكاساً جماليّاً للمتغيّرات التاريخيّة، وهو انعكاس ينطوي في الوقت نفسه على استشراف المستقبل؛ أي أن الخلق الفني الإبداعي يكون تقدّميّاً بطبيعته فيتجاوز زمكانه و يتجذر فيه في آن واحد، وهنا تكمن مصداقيّته التاريخيّة مع استشرافيته المستقبلية، ولاريب في أن الفن السامي يقدم جوهر حركة الحياة التوّاقة إلى الأسمى، وليس إلى الأجمل حصراً فالشاعر ليس بمؤرخ، ولكنه يمتلك حسا أكثر حدة من حس المؤرخ، الشاعر يتغلغل بعمق داخل التاريخ لكشف آفاقه، لأنه كائن مشروط بسير التطور التاريخي التي تخلفه مع أفاق المستقبل. إن رؤية الشاعر ليست أمرا عارضا أو عابرا أو طارئا إنها تجسيد لسيطرة الإنسان على معاناته ونزوعاته وأسفاره عبر الأزمنة. والشعراء ذوو الإحساس النافذ بحركة التاريخ هم الذين يكونون في مستوى الأحداث الجسيمة وبالتالي ويكون الشعر في صيرورته الثورية استكشافا للمصير التاريخي. وأنا أعتقد مع ساراماكَو " أن التفاؤل شكل من أشكال الغباء" في هكذا وضع، بل أن "التفاؤل أفيون الشعوب " (من الجمل التي أرسلها تلميذ يافع مداعباً صديقته الستالينية، في رواية المزحة لكونديرا) بينما للتشاؤم فاعلية إيجابيّة؛ حيث يحرّضنا على انتقاد الأوضاع السيئة، والانتفاض ضدها وإصلاحها.

بمعنى آخر بعيداً عن التشاؤم والتفاؤل فأن مرد كل ما أشرت إليه بسؤالك؛ تشخيصنا الشامل والمعمّق لراهن الجذام الحضاري وقرعاً لناقوس الخطر المحدق بمستقبل كوكبنا ببشره ومخلوقاته وأجوائه.... في زمن انحراف العلم عن أهدافه النبيلة، وزمن الرعب النووي، وزمن الدمار البيئي والإيدز والإدمان على المخدرات والانفلات الجنسي وزمن الساسة الحرامية بلا حدود والإرهاب العشوائي.

◙ لنعرج إلى الترجمة؛ بعد أكثر من أربعة عقود قد ترجمت مئات القصائد من (الفارسيّة، الإنكَليزيّة، الإسبانيّة والتركيّة) إلى اللغتين العربية والكرديّة، برأيك أي النصوص ممكن أن تبقى حيّة؛ وإيها تفنى أو تزول؟

تظلّ النصوص الأدبية الإبداعية العميقة حيّة تثير العديد من التفاسير والتآويل؛ مهما تقادمت، حيث تظلّ قابلة لتعددية القراءة تلقّياً ونقداً، بل قابلة أيضاً لتعددية الترجمة حتى إلى اللغة الواحدة، وفي مختلف الأزمنة؛ ومن أدلّتنا الساطعة: (القرآن الكريم، ملحمة كَلكَامش، الأوذيسه، لهوميروس، الكوميديا الإلهيّة لدانتي، دونكيخوتيه لسرفانتس، بعض مسرحيات شيكسبير وبعض روايات دستويفسكي)، ومصداقية رأينا هو شعر الخيام الأصيل، الذي تصدى كاتب هذه السطور لترجمته إلى كلتا اللغتين الكردية والعربية، ويحضرنا بشأن هكذا نصوص راقية تشخيص الفيلسوف جاك دريدا : " لا يحيا النص إلاّ إذا بقي ودام. وهو لا يبقى ويتفوّق؛ إلاّ إذا كان في الوقت ذاته قابلاً للترجمة وغير قابل. فإذا كان قابلاً للترجمة قبولاً تامّاً؛ فإنه يختفي كنص وكتابة وجسم للغة. أمّا إذا كان غير قابل للترجمة كلّيّة، حتى داخل ما نعتقد انه لغة واحدة؛ فإنه سرعان ما يفنى ويزول". وأعتقد أن أفضل وأعمق قراءة للشعر هو الترجمة التي تنطوي على عمليّتيّ التفكيك

والتركيب اللتين تكشفان عن معدنه الحقيقي، فالمترجم تأسيساً على هذا " مبدع في لغة أخرى، أو على الأصحّ مبدع في اللغة " حسب استرسال المفكّر المغربي عبدالسّلام بن عبد العالي في تفسيره لقولة دريدا السّالفة، ثمّ استطراده مضيئاً إشكاليّة الترجمة والتباساتها المتشابكة؛ حتى استنتاجه " تغدو الترجمة لعنة ورحمة في الوقت ذاته".

◙ عفواً أستاذي؛ لعنة، ورحمة! هل من استرسال توضيحي للقصد؟

الترجمة لعنة؛ لوصمة (الخيانة) الملاحقة لها دوماً؛ حيث يستحيل استنساخ المتن الموجود في لغة المصدر، أو محاكاته محاكاة تامّة في لغة الهدف؛ لاختلاف اللغتين في خصوصيّاتهما المعجميّة والنحويّة واللفظيّة وغير ذلك كثير، حتى لو كانتا من أرومة واحدة؛ ورحمة في الوقت نفسه؛ لتخفيفها الكثير من وطأة (بلبلة الألسنة) على البشريّة، بجسور الحوار التي تشيّدها، حتى لو لمْ تبلغ غاية الكمال.

◙ وإلى ماذا توصّل جلال زنگابادي بعد هذه العقود من ترجمة القصائد؟

توصّلت إلى قناعة أن الشعر الجيّد الحافل بالصور المجسّدة للأحاسيس والأفكار العميقة، هو القابل للترجمة، بل هو عين الشعر الحقيقي، والذي معياره الصمود أمام الترجمة، في حين لا يفلح القريض أو النص الرديء القائم على الألعاب اللغوية البهلوانية في اجتياز امتحان الترجمة؛ حيث لا يبقى منه غير كلام عادي جداً، ويستحيل بعد الترجمة طاووساً منتوف الريش! وهذا الرأي طبعاً بالضد من رأي الشاعر روبرت فروست القائل بضياع الشعر بعد الترجمة! بالعكس من النصوص الضحلة التي تنفق بعد أول قراءة.

◙ أفهم منك أن هذا هو معيار انتقاءك للقصائد قبل ترجمتها؛ لكن ماذا عن طريقتك بالترجمة لا سيما في ترجمة الشعر المنظوم في رباعيات الخيام ومرثية خورخيه مانريكي لأبيه، فقد امتازت في تحقيق معادل موضوعي لمضمون المتن وجرسه الموسيقي دونما تضحية نافرة بأيّ منهما، فما هي أبرز سمات وخصائص هذه الطريقة، وهل من مشروع ترجمة على نفس الطريقة ؟

من الجليّ أنّ القريض (الشعر المنظوم) يشتمل على ثلاثة عناصر أصليّة (المبنى والمعنى والموسيقى المتواشجة مع المبنى) والتي تتعذّر ترجمتها (أي العناصر الثلاثة) معاً إلى اللغة المستقبلة في كلتا الترجمتين المنظومة واللامنظومة؛ ولذا على المترجم أن يكون وفيّاً في نقل المحتوى (المعنى/ المضمون) بدقّة، وإلاّ لن تتحقّق ترجمة مرضيّة، مادامت اللغات ذات خصوصيّات بنيويّة وثقافيّة مختلفة. وهذا يعني أنّ على المترجم ألاّ يتعسّف في فرض الوزن والقافية على الشعر المترجم، بل يتركه حرّا. ومع ذلك ربّما تتحقّق ترجمات منظومة أو مسجوعه في حالات استثنائيّة بصورة تلقائيّة وعفويّة؛ ففي الترجمة المنظومة، لا مناص من وقوع محتوى المتن الشعري(للغة المرسلة) تحت وطأة فرض مبنى القريض (الوزن والقافية) في اللغة

المستقبلة؛ وعندها يتضرّر المضمون، ولا يمنح تصوّراً صائباً جليّاً عمّا في المتن الأصلي من مضمون، حتى لو تحقّق نظم جميل مموسق في اللغة المستقبلة. وفي حالات استثنائيّة نادرة جدّاً قد تفلح الترجمة المنظومة بين اللغات ذات القرابة (المنحدرة من عائلة لغويّة واحدة) والجيرة الثقافية والحضارية الطويلة، كما هو الحال بين: الفارسية والكرديّة / الإسبانيّة والبرتغالية / و البنجابية والأوردية، بشرط أن يكون المترجم ضليعاً في إتقان كلتا اللغتين ومتعمّقاً في تفاصيل ثقافتيهما؛ وخصوصاً إذا كان شاعرٌ؛ فالحدس الشعري خير معين للمترجم الشاعر أو الشاعر المترجم؛ وإلاّ لن يفلح في نقل المحتوى(المعنى) من (لغة المصدر/ الإرسال) بأقصى دقّة وأمانة ممكنتين، مع مراعاة جرس وإيقاع المبنى الجديد في (لغة الهدف / الاستقبال)، ولا يُستَبعَد أن يبتكر(أحياناً) شعراً مترجماً يضاهي متنه الأصلي. ولأن الترجمة علم وفن وإبداع وليست بممارسة مزاجيّة أو عشوائيّة؛ فإن الاستعانة بالقواميس والدراسات عن الشعر وشروحه ضرورية جداً، إنّما ينبغي الانتباه إلى أن القواميس تقترح معان ودلالات متعدّدة للفظة الواحدة، بينما ينبغي حسمها كمجازات وكنايات، ناهيكم عن الإنزياحات الدلاليّة... في سياق المتن وعدم الإذعان للقواميس بصورة مطلقة، وان من أهم المشكلات، بل المعضلات التي تواجه المترجم عند ترجمة الشعر، في نظري، هي مشكلة نقل (الجناسات) على صعيديّ اللفظ والمعنى المتواشجين، و نقل الإيديومات (الكنايات) ناهيكم عن المفردات ذات القرابة الاشتقاقية والاهتزازات والإزاحات الدلاليّة في لغة الشعر نفسها المتواشجة مع مستوى ثقافة الشاعر، بل وخصوصيّة لغة كلّ شاعر على انفراد؛ بحيث يجد المترجم نفسه أمام تحدّيات لغويّة تتطلّب التسوية الناجعة في (لغة الاستقبال – الهدف).

إن هذه المعضلة ليست قائمة بين اللغات المتباعدة عن بعضها البعض فحسب، بل حتى بين لغتين متجاورتين ثقافياً وحضارياً كالفارسية والعربية، وحتى بين اللغات من الأرومة اللغوية الواحدة نفسها والمتجاورة مثلما بين الفارسيّة والكرديّة، وبين التركيّة والتركمانيّة. وغالباً ما لا تتذلل هذه المعضلة المرتبطة بخصوصيّات اللغات إلاّ بتصرف إبداعي من قبل المترجم ؛ أيّ أنْ يؤلّف المترجم في لغة الهدف ما يعادل موضوعيّاً ما في لغة المصدر (المتن).

فعند ترجمتي للقريض (الشعر المنظوم) كمثل (رباعيّات الخيّام) واجهتني إشكالية الترجمة عن الفارسيّة إلى العربيّة (وهما غير متقاربتين عائليّاً، لكنّهما متجاورتان ثقافيّاً – حضاريّاً)؛ فقد اضطررت إلى اختيار طريق يتوسّط (القريض الصّارم) و(النثر الفضفاض) وهو الذي استدرجني إلى المزج بين البحور الثلاثة (المتدارك/ الخبب، الرجز والمتقارب) حتى أقصى الأوجه (الجوازات / الزحافات) الممكنة، ولكوني قد أوليت الاهتمام بترجيح أولويّة نقل المعنى على الانصياع لجمال المبنى؛ فقد اضطررت إلى ابتكار طريقة (النثم = نظم + نثر مسجوع) في ترجمتي العربيّة وهي طريق تتوسّط (القريض الصّارم) و(النثر اللاموسيقي) مازجاً بين تفاعيل البحور الثلاثة (الخبب، الرجز والمتقارب) حتى أقصى الأوجه الممكنة (جواز الزحافات) وسمّيت بحري المبتكر بـ (أوقيانوس المخر= الأحرف الأولى من : متقارب ، خبب و رجز) ولقد بذلت قصارى

جهدي؛ من أجل التوفيق بين روحيّة متون الرباعيّات وحرفيّتها وإقامة التوازن والانسجام بين المعنى والجرس دونما تضحية نافرة بأيّ منهما ، وأينما اضطررت إلى إضافة (غير موجودة في المتن الفارسي)؛ لجلو معنى حيناً، وحيناً لاستكمال مبنى (تقفية أو تسجيع) وحيناً لكليهما، وضعت الكلمة بين قوسين مقرونين [ ] ولكوني شاعراً باللغتين الكرديّة والعربيّة ومترجماً للشعر إليهما عن بضع لغات شرقيّة وغربيّة ولكوني موسوعيّ التثقيف الذاتي؛ أعتقد بأني قد أفلحت في تحقيق قسط كبير من طموحي، ألا وهو أن يتميّز صنيعي الترجمي عن أغلب الترجمات العربيّة والكرديّة السابقة بالابتكار (إلى حدّ مشهود)، محققاً بعض ما توخيته وليس أقصاه، وهذا ما فعلته أيضاً في ترجمة (مرثية خورخيه مانريكي لأبيه) عن الإسبانية إلى العربيّة. ومن المؤمّل إنجاز ترجمة منثومة لـ (حيدر بابا سلاماً) للشاعر الأذربيجاني شهريار إلى العربيّة.

◙ ما دمنا قد دخلنا في المضمار الخيّاملوجي الذي استهلك جهداً ووقتاً كبيراً من اشتغالاتك؛ أود أن أسالك عن بداية الاهتمام بهذا المضمار، ولماذا عمر الخيّام تحديداً؟

أنصب اهتمامي على الشأن الخيّامي وتوسّع وتركّز اشتغالي عليه، خلال فترة نقاهتي وعودتي من نزهة الموت(بعد عمليّة فتح قلبي في حزيران 2009)؛ حيث وجدت ما يعزّيني ويسلو قلبي في رباعيّات الخيّام الأصيلة بطروحاتها الأثيرة عن الحياة والموت، والتي لولا دقات أجراسها المنذرة بخطر رحيلي الأبدي؛ لما انعكفت على إنقاذ تأليفي وترجماتي التي يربو عددها على عدد سنيّ عمري، باستكمالها وإعدادها للنشر، وبالفعل أفلحت رغم ظروفي اللامؤاتية في نشر (21 كتاباً) خلال الفترة (2010– 2012). علماً كنت أغنيها في شتى المناسبات بأسلوب المقامات العراقيّة والشرقيّة وأحفظ العديد منها بمتونها الفارسيّة وترجمتيها بالعربيّة (للصافي النجفي) والكرديّة (لشيخ سلام عازباني) منذ 1963، وقد كتبت أول دراسة مضغوطة عنها بعنوان (الخيّام ينبوع لا ينضب) نشرتها مجلّة (ينابيع) الأربيليّة في 2004، وبالطبع يتواشج هذا السبب (الذاتي) مع السبب الموضوعي، ألا وهو كون الخيّام بضعة أعلام في إنسان واحد، فهو: عالم في بضعة علوم، وفيلسوف وأديب... ومحسوب على كلتا الثقافتين العربيّة والفارسيّة.. وعبر اطلاعي ببضع لغات شرقيّة وغربيّة على مئات الكتب والمقالات والدراسات المتعلّقة به وبأعماله العلميّة والفلسفيّة والأدبيّة؛ بالإضافة إلى اكتشافي العديد من الأغاليط والأضاليل والأوهام، التي تستوجب التفنيد والتصويب، لاسيّما فيما يتعلّق بعدد رباعيّاته الحقيقيّة ومستويات ترجماتها المتعددة (في اللغتين الكرديّة والعربيّة بالأخص)... ولا غرو في كلِّ ما أسلفناه؛ فقد أحدث الخيّام تأثيره الكبير في الثقافة العالمية، لاسيما في حركة التجديد الشعري بأوروبا، بل وشمل أيضاً تأثيره الشرق الذي أنتبه إلى عبقريته الشعرية والفلسفية بعد الاكتشاف الأوربي لهما(1021–1123م) أي بعد وفاته بنحو (700 سنة) ما برح الخيّام مالئ الدنيا وشاغل المترجمين والباحثين والفنّانين... فقد تناولته آلاف الكتب والدراسات والمقالات بعشرات اللغات الغربيّة والشرقيّة. ونادراً ما حظي شاعر آخر في العالم مثل الخيّام بترجمة أشعاره إلى اللغات الأخرى (لاسيّما الحيّة) حيث ترجمت رباعيّاته إلى قرابة مائة لغة ولهجة حتى الإسبرانتو، بل طبعها بخط بريل للعميان! فلا عجب ولا غلو في

قول جنيه كَوردون أستاذ الأدب في جامعة فالونت باليونان : " لكلّ بلد شكسبيره وشكسبير إيران هو عمر الخيّام". لقد وجدت نفسي مؤهّلاً وقادراً على خوض غمار البحث والتحقيق والترجمة في مضمار الخيّاملوجيا شأني شأن أيّ خيّاملوجي إيراني (أي ليس أجنبيّاً) خصوصاً وان اللغة الفارسيّة هي بمثابة لغتي الأم الثالثة (من حيث الإتقان والاطلاع الثقافي) بعد اللغتين الكرديّة والعربيّة، فضلاً عن تماسي مع بضع لغات أخرى تعينني كثيراً لتحقيق مبتغاي.

◙ وكناقد ما ابرز ما استخلصته من السمات الشعرية لرباعيات الخيام، وماهي أهم عناصر بنية الرباعي من حيث المبنى والمحتوى ؟

إن تمحيص رباعيّات الخيّام الأصيلة ومقطوعاته الشعريّة العربيّة والفارسيّة يُجَلّي ويثبت أن الخيّام ليس أبا نؤاس ولا عمر بن أبي ربيعة، بل ولا حتى المعرّي، فليس الخيّام بشاعر غزل ولا غرام ولا إباحة، ولا مجون ولا داعية للامبالاة وإدمان الخمر والمخدّرات، وحتى تشاؤمه ليس بمطلق. ولقد ثبت لحد الآن بطلان نسبة مئات الرباعيّات الخمريّة والكفريّة والإباحيّة إليه. ولكون أكثر المترجمين الذين ترجموا رباعيّات الخيّام نظماً (قريضيّاً) جهلة بحقيقة بنية الرباعي المتلاحمة مع محتواها؛ فقد دمّروا بنى الكثير من الرباعيّات قالبين عاليها سافلها وبالعكس؛ ممّا أدّى إلى تشويهها حتى مضمونيّاً!. والمؤشر أن الرباعيّات تدور في مدار التذكير بالموت المحتم وقِصَر الحياة مهما تطلْ وعوادي الزمن ونفاق البشر ولؤمهم وعسف القدر والعيش بإباء ومحبّة وانتشاء بلا خوف ولا وجل من الموت المقدور العاجل أو الآجل... أيّ الإصرار على أن يحيا الإنسان رغم أنف الموت المتربّص وجور السّلاطين ووعاظهم المتفيقهين المنافقين المستحوذين على كلّ نّعم الحياة، التي ينعتونها بـ (الجيفة والفانية). كما أن الخيام لمْ ينظم القصائد الطوال، وإنّما انشغل بتصعيد معاناة الإنسان الوجوديّة في حيرته المؤبّدة، وطرح أسئلته وتساؤلاته الكونيّة الجوهريّة والمصيريّة، في قالب الرباعي، وهي الأسئلة التي طرحتها آداب البشريّة وفنونها منذ ملحمة كَلكَامش الخالدة، ببساطة لا تصنّع فيها ولا تزويق ولا محسّنات بديعيّة، وفي غاية الإيجاز والإحكام والبلاغة... بل لمْ يحاكِ الخيّام أيّ شاعر من قبله (رغم تأثره مضمونيّاً ببعضهم) فقد استخدم لغة بسيطة وسلسة ومركّزة؛ للتعبير عن أحاسيسه وأفكاره. ولقد حاكاه لاحقاً شعراء كثيرون، لكنّهم لمْ يفلحوا في تحقيق ما حققه الخيّام من بساطة آسرة في تبيان الأحاسيس والأفكار الإنسانيّة الجوهريّة، فضلاً عن قدرته الفذّة، التي قلّما تجارى، في اختيار الألفاظ المناسبة جرساً، للتعبير عن أحاسيسه وأفكاره بانسيابيّة لا تكلّف فيها، ناهيكم عن بساطة تشبيهاته واستعاراته. ومن هنا ندرك علّة خلود هذه الرباعيّات؛ فهي تكمن في أنّ الخيّام لمْ يتغيَّ التشاعر بنظمها، وإنّما كان يتغيّا توصيل محتواها الفكري العميق والرحيب والجريء، بخطاب فصيح وبليغ جدّاً، يتحاشى استخدام اللغة المعقدة، العسيرة الفهم، والتي يسودها التصنّع والتكلّف والتبهرج.

أما بنية الرباعي مبنىً ومحتوىً سأوجز تحليل الدكتور لطف الله يار محمّدي الذي تناول منظومة فيتزجيرالد بهذا الخصوص تناولاً تطبيقيّاً، وتوصّل إلى القول بفهم فيتزجيرالد لبنية الرباعي، بغض النظر عن نسبة هذه الرباعيّة أو تلك للخيّام أو غير الخيّام؛ فالرباعي مبنىً ومحتوىً كقاعدة تتكوّن من ثلاثة عناصر هي: (التوصيف، التوصية والتعليل) ففي التوصيف: يصف الشاعر عادة مشهداً طبيعيّاً أو واقعة أو حالة حياتيّة ما. وفي التعليل: يوصي الشاعرُ المتلقّي (المخاطب) بالقيام بفعل ما، أو اتخاذ موقف ما، باستخدام (فعل أمر) على الأغلب. وفي التعليل : يعلّل الشاعر توصيته ببرهان أو دليل ما. وإليكم الرباعيّة الآتية على سبيل المثال:

ها قدْ لاحَ السحرُ فانهضْ ياذا الدّلالْ
واعزف على الجنكَ واشرب الهوينى
فلــنْ يدومَ بقـاءُ امريءٍ ممّنْ ههنا
ولـنْ يعـودَ أيٌّ راحلٍ ؛ فهذا محـالْ

ويحتوي شعر الخيّام على استعارات مألوفة شائعة، وهي منبثقة من منظور الخيّام الفلسفي إلى الأشياء، ألا وهو منظور الأنسنة؛ فليس ثمّة شيء في نظره مجرّد شيء، وإنّما هو في قلبه إنسان استحال في صورة شيء. وهنا تكمن طبيعة فن الاستعارة في شعره على حدّ تشخيص (مارتن نك) وبطبيعة الحال تنبثق أغلبيّة عناصر تشبيهات الخيّام واستعاراته وكناياته الشعريّة من ثقافته العلميّة (الهندسيّة والفيزيائيّة والكيميائيّة والفلكيّة...) والمثيولوجيّة والدينيّة؛ فثملاً : يستعير (الدائرة) رمزاً للحياة، ويوظف عناصر الطبيعة الفيزيقيّة والنجوم والكواكب وغيرها؛ لتجسيد أحاسيسه وأفكاره... ومن السمات الأخرى لشعريّة رباعيّاته طغيان الحسّ المرهف والذوق اللطيف في استحضار وتجسيد مشاهد الطبيعة الخلاّبة بشتّى عناصرها : الشمس، القمر، الغيم، المطر، الماء، الريح، النسيم، النّار، السّماء، النجم، الليل، السَّحَر، الخضراء، الطير، الورود وشذاها ، والألوان... وكذلك الطبيعة المصنّعة وغيرها : القصر، القبر، الخان، اللبنات، الحان، الكوز، الكأس، الشراب، الجنك وأنغامه... فأفلح الخيّام بمعجمه الشعري الصغير ودونما حذلقة واستطرادات مملّة، في رسم مشاهد خلاّبة وآسرة زاخرة بحبّ الحياة، مع التذكير بقصرها وبالموت المترصّد والمحتّم في أيّ لحظة ؛ من أجل إدراك آلاء الحياة والتمتّع بكلّ لحظة فيها ؛ وهنا تتجلّى أيضاً سمة المتانة والرصانة والجدّ.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى نقطة لمْ ينتبه إليها أغلب مترجمي رباعيّات الخيّام، ألا وهي استخدام الخيّام لمفردات تنمّ عن الطابع الإيراني، بل عن إيرانيّته (نزوعه الوطني) رغم تشبّعه بالثقافة العربيّة / الإسلاميّة، وهي المفردات التي تجسّد خصوصيّة تضاريس رباعيّاته، وتستوجب مراعاة الدقة عند الترجمة؛ وإلاّ فإنّ شعره يفقد خصوصيّته الخيّاميّة / الإيرانيّة، بل ينمسخ! ومن تلك المفردات مثلاً: مفردة (نوروز) اليوم الأوّل من كلّ سنة جديدة، والعيد القومي للإيرانيين، في حين ترجمها الكثيرون بمفردة عامّة (الربيع) وهي فاقدة

لأيّ خصوصيّة، وكذلك مفردة (فلك) التي غالباً ما ترجموها بـ (السّماء) وكذلك (الكوز الكاشي/ الكاشاني)، ومفردة مفردة (بام) التي تجمع بين معنيين (السطح) و (الصبح) فكلّها ذات أبعاد ودلالات خاصّة تضرب جذورها في التاريخ الأسطوري وغير الأسطوري لإيران، وفي الميثولوجيا الإيرانيّة...وباستبدالها أو حذفها تفقد الرباعيّات خصوصيّتها المضمونيّة الأصيلة.

◙ من البديهي أن من مآلات التحول من النزعة الأممية إلى النزعة القومية؛ التنازل عن الثقافة ذات الفضاء الشاسع والمتقدم وامتثال لدائرة الثقافة الضيّقة؛ هل لك أن تضعنا في أسباب هذا التحول المهم والكبير في المسيرة الإبداعية والحراك الثقافي؟

إنها أسباب ذاتية وموضوعية متواشجة، فالذاتية؛ لعلها تأتت من بواكير الوعي ضد الإقطاع والاستعمار التي كانت في الخامسة من عمري، إذ كلفني والدي بتوزيع صورة المناضلة البطلة (جميلة بوحيرد)، كما أذكر مناصرته لمصر ضد العدوان الثلاثي حدّ الذهاب إلى بغداد؛ للتطوّع مجاهداً، وكذلك مناصرته للثورة الجزائريّة، ومن هنا وجدتني إثر ثورة تموز1958 ذا ميول شيوعية وقومية كردية. ولقد آزر صعود حزب البعث الشوفيني الفاشي بانقلابه في 17 تموز 1968 توجّهي هذا، ثم انهيار جناح القيادة المركزية من (حشع) وانخراط جناح اللجنة المركزية لها في جبهة مع حزب البعث، هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى نجاح الحركة القومية التحررية الكردية في فرض وجودها، وخاصة في إبرام اتفاقية 11آذار 1970 ممّا أدى إلى بث الروح القومية والأمل في نفوس الشبيبة الكردية. لكن رغم حماسي الجارف ومؤازرتي الحميمة لـ (حشع) لم أنتظم في صفوفه؛ بسبب تكويني الفكري والأدبي (ماركسي/ تروتسكوي+ قومي كردي + سوريالي + مؤمن صوفي/ يا لها من هريسة عجيبة!). ومنذ مطلع السبعينات من القرن الماضي انخرطت في شأن قضيّتي القومية، في المجال الثقافي بالأخص؛ ممّا أدى ذلك إلى ابتعادي عن الأجواء الرحيبة للثقافة العربية المتطورة والمتقدمة حسب ما ذكرت.

لكن للأسف الشديد أن النزعة الشوفينية للثقافة العربية هي السائدة منذ القدم؛ فإمّا أن يذوب غير العربي ويستعرب نهائياً كأبي تمّام وابن الرومي مثلاً، أو يظل مشبوه الولاء ومخوّناً منعوتاً بالشعوبية والزندقة كابن المقفع وبشار بن برد وأبي نؤاس. فلمْ أشأ أن أكون أديباً عربياً منغمساً في قضايا القوميّة العربية والشأن الصرف للثقافة العربية كمثل السّابقين وما أكثرهم! أمثال : (محمد كرد علي، خيرالدين الزركَلي، جميل صدقي الزهاوي، معروف الرصافي، عبدالمجيد لطفي، بلند الحيدري و حسين مردان...). فمن المستحيل أن يجد شعب ما جذوره وهويّته القوميّة في لغة أخرى غير لغته، ولا توجد لغات كبيرة وأخرى صغيرة وإنما يوجد مبدعون متباينو المستوى (كبار أو صغار) في هذه اللغة أو تلك؛ ولنا المثال السّاطع في (رسول حمزاتوف) الذي لا يتجاوز عدد نفوس شعبه المليون نسمة.

ولطالما رافق الاحتلالات المتعاقبة لكردستان، التي تعرضت منذ قرون مديدة للتعريب والتتريك والتفريس.. ومازال متواصلاً مستهدفاً هويتنا القومية بالتشويه والمحو... وعيت مبكّراً حقيقة ضرورة استثمار المثقفين الكرد للغات الأخرى : العربية والتركية والفارسية بالأخص؛ بغية أن يتفهّمنا الآخرون كأمّة مغدورة مناضلة منذ قرون؛ لإثبات كينونتها وتحقيق طموحاتها المشروعة؛ لذا فقد قررت المعطيات التاريخية المتواشجة مع مفردات من سيرتي الذاتية مصيري أن أغدو أديباً ومترجماً من ذوات الفلقتين، أي بكلتا اللغتين العربيّة والكرديّة. ومن هنا ابتدأ تحوّلي من النزعة الأممية إلى النزعة القومية الديموقراطية، فضاعفت مساعيّ، التي دشنتها لتعلم اللغة الكردية في أواخر الستينيات، منكباً على قراءة ودراسة كل ما يتعلق بالثقافة والقضية الكرديتين، وسرعان ما دشنت نشر بواكير ترجماتي عن الكردية إلى العربية في 1971 حاسباً ذلك بعضاً من أداء المهمة القومية...وعليه؛ فقد حوصرتْ واختنقت تطلعاتي وطموحاتي الكبيرة امتثالا لدائرة الثقافة الكردية الضيّقة. إن ما سلف لا يعني مناهضة اللغة العربيّة ، وإنما مناهضة التعريب؛ وإن مساهماتي العربيّة خارج الشأن الكردي؛ فهي تعبير عن الحد الأدنى للعرفان بجميل لغة الضاد العظيمة وأفضالها التراثية والمعاصرة على ثقافتنا الكردية وعليّ بالذات من قبل ومن بعد. فضلاً عن العلاقات والروابط التاريخية وأواصر المصير المشترك بين شعبينا الشقيقين الكردي والعربي، فضلاً عن آصرة التصاهر التي تربط عائلتنا بالعرب.

◙ وماذا عن رصيدك من هذا النضال والتحول اللافت؟

يعلم القاصي والداني وفي مقدمتهم أصدقائي وأعدائي إنني أديب مستقل سياسياً (بكل ما تعنيه الاستقلالية) ولست بكاتب سياسي محترف، وإنّما مع كل ما هو إيجابي (أحتفي به) وضد كل ما هو سلبي أنقده، بلْ أنتقده؛ بغية الإصلاح؛ وأن حياتي كلّها منذورة للنضال الثقافي (للأدب والفكر والفن) وهو اختياري منذ يفاعتي، ولم أدّعِ بطولات النضال السياسي قطعاً، لكنني ظللت في (خندق النضال الثقافي) ولمْ أختبئ يوماً ما؛ وبلغ عطائي الغزير والمتنوّع (شبه الموسوعي) عشرات الكتب ومئات المقالات والدراسات باللغتين العربية والكردية والترجمة إليهما عن بضع لغات شرقية وغربية، وثمّة العشرات الأخرى من الكتب والمساهمات الأخرى في انتظار النشر.

فلولا هذا الاختيار؛ لما كنت بهذا الوعي العميق والشمولي ولا بهذا التوجّه التعددي، كما توسّعت وتعمقت رؤيتي ورؤياي، وتعددت مواضيعي واكتز معجمي الشعري، أي اغتنت لغتي الشعرية (بالكردية والعربية) قاموسياً، ناهيك عن الابتكارات الجديدة ؛ فالمقارنات والمقاربات اللغوية تشحذ ملكة الابتكار والاشتقاقات الجديدة ، كما ترهفّت لغتي واكتنزت أيضاً بالإيجاز مع ثرائها، وتعمّقت مضامينها المتجسّدة في الصور، ورحت أعامل(عند الكتابة والترجمة) حتى الحرف الواحد من كل لفظة ككائن حي... فبمجرّد أن يكون أيّ أديب أو فنان كردياً (بشرط أن يكون حسّاساً وواعياً)؛ فهو امتياز مضاعف في التراجيديا والتحدّيّات والأحلام

والطموحات! ثمّ هل كان في مقدوري أن أتعلّم وأتقن اللغة الفارسية (الغنية تراثياً ومعاصرة) بدون تعلمي وإجادتي للهجات الكردية الرئيسة ؟ ثمّ أن التراث الثقافي الكردي رغم تواضعه كمّاً يحتوي على كنوز ثمينة. ويجب ألاّ يغيب عن البال أن اللغة الأجنبية، لا بل حتى اللغة الأم (المحرّفة مضمونياً لخدمة الأجنبيّ) طالما تساهم في بسط هيمنة الغزاة والمحتلين على روح شعب ونفي ذاته الحقيقية، أي في تشويه حقيقته ودفعه إلى الاغتراب عن نفسه نحو التمسخ والذوبان في نهاية المطاف. وهنا أتذكر ما قلته للشاعر بلند الحيدري في اللقاء المذكور: " مهما يكن مصيري مستقبلاً، فأنا أفضل أن أكون أديباً من الدرجة العاشرة بلغتي القومية، على أن أكون أديباً عربياً من الدرجة الأولى؛ لأن الاغتراب الروحي قاس جدّاً ولا يطاق "! وأيضا فلولا هذا الاختيار؛ لما بلغ ما كتبته باللغة الكردية وما ترجمته إليها منذ قرابة الثلاثين عاماً أكثر من خمسة عشر كتاباً، وكذلك ما بلغ ما ترجمته من نصوص أدبية وغيرها عن اللغة الكردية إلى اللغة العربية وما كتبته بالعربية في شؤون الثقافة والقضية الكرديتين أكثر من خمسة عشر كتاباً أيضا، ناهيكم عن أكثر من مائة مساهمة في شؤون الثقافات: التركمانية والكلد وآشورية والأرمنية، وهي تبلغ أكثر من عشرة كتب! ثمّ يا ترى هل ثمة من مجاليّ من ينازعني في مجال تغطية الثقافة الكردستانية باللغة العربية بمستوى غزارة وتعددية وتنوع مساهماتي؟!

منجزاته الإبداعية:

- أوتار التنائي.../ فرهاد شاكلي / ترجمة عن الكرديّة / دار الحصاد – دمشق/ سوريا 2004.
- ظلّ الصّوت و قصص أخرى/ حمه كريم عارف ، ترجمة وتقديم عن الكرديَة/ كركوك – كردستان العراق 2005.
- قصائد تأبى أيَّ عنوان و...../ جلال زنگابادي/ ط1مؤسّسة الرعد – كركوك / 2009/ط2 دار صافي– أمريكا 2014.
- ها هي معجزتي (قصائد حب)/ جلال زنگابادي/ دار الجمل– بيروت/ بغداد 2009.
- سنة في الجحيم / مذكّرات : مهاباد قرَداغي/ ترجمة عن الكرديّة / وزارة الثقافة والشباب/إقليم كردستان العراق– أربيل /2010.
- ديوان عمر الخيّام / دراسة وترجمة منثومة عن الفارسيّة / منشورات الجمل ، بيروت/ بغداد،2010.
- الثقافة الكرديّة ، مشكلات ، معضلات وآفاق.../ منشورات مؤسسة سردم /السليمانية، 2010.
- الخادمة (رواية) گلاويژ / (ترجمة، مؤسسة المدى 2012.
- أسطورة كَلي ناوكَردان (رواية للفتيان) گلاويژ / (ترجمة) مؤسسة المدى، 2012.
- ثلاث قصص للفتيان / گلاويژ / (ترجمة (مؤسسة المدى، 2012.
- خورخيه مانريكي شاعر عصره، دراسة وترجمة عن الإسبانية /الدار العربيّة للعلوم ناشرون / بيروت، 2012.

- (الرحيل الدّامي (رواية) / حمه كريم عارف (ترجمة)/ أربيل، 2012.
- قصيدة مختارة لسرگون پولس / ترجمة إلى الكردية / السليمانيّة ،2012.
- رباعيّات الخيّام / ترجمة : عوني / تحقيق ودراسة بالكرديّة / أربيل ،2012.
- محنة زرادشت وقصائد أخرى لبرهان شاوي / ترجمة إلى الكرديّة / بيروت،2013.
- هكذا شطح الكائن مستقبلئذ ، ملحمة مضادّة ، جلال زنگابادي/ أربيل،2013.
- لنعرف الخيّام جيّداً / بالعربيّة : جلال زنگابادي/ ترجمة : حمه كريم عارف إلى الكرديّة / أربيل، 2013.
- موسوعة الخيّام ، رسائله العلميّة ، الفلسفيّة والأدبيّة/ تحقيق وتقديم : د. رحيم رضا زاده ملك / ترجمة ، تحشية وتقديم : جلال زنگابادي / دار التكوين، 2013.
- عبر شبّاك تاج محل/ شعر: محمود كيانوش / ترجمة وتقديم : جلال زنگابادي/ السليمانية ،2013.
- الكرد لوجيا ، موسوعة موجزة / جلال زنگابادي/ اربيل2014.
- فرسان السّرد العراقيّون من الأرومة الكرديّة / جلال زنگابادي/ قامشلو- 2015.

شارك في ترجمة الكتب الآتية:

- عشرون قصّة كرديّة / لعشرين كاتباً كرديّاً/ ترجمة مشتركة: (7 منها لجلال زنگابادي، والبقيّة لفيصل مصطفى حاجي وعبدالغني علي يحيى ومحمّد صابر مولود) مع دراستين للأستاذ : حسين عارف و د. عزالدين مصطفى رسول) (210 صفحات /قطع كبير)/ الأمانة العامّة للثقافة والشباب لمنطقة كردستان- أربيل 1985.
- ساعات من قصب / 60 قصيدة مختارة لشيركو بيكَس/ ترجمة مشتركة: (56 قصيدة منها لجلال زنگابادي، والبقيّة لمحمّد موكري و كريم دشتي) تقديم : سعدي يوسف/(140 صفحة / قطع متوسّط) مؤسسة المدى- دمشق/ بيروت 1994.
- تأبى المنفى أينما رحلت/ 10 قصص: فاضل كريم احمد / ترجمة مشتركة (5 قصص من ترجمة : ج.ز) 2009 السليمانية.
- كتاب (نينيتي / المهرجان الثالث للأدب العالمي) 2014 أربيل (ثلث الكتاب من ترجمته).

نشر أيضاً أكثر من عشرة كتب مؤلّفة ومترجمة على صفحات المجلاّت بمثابة (كتاب العدد) وعلى صفحات المواقع النتية.

- له قيد الإنجاز أكثر من (10 كتب) منها : ديوان الخيّام /تحقيق وترجمة كرديّة، تالبحر لأشطحنّ وقصائد أخرى، الخيّام مالئ الدنيا وشاغل المترجمين، ترجمتا : جميل صدقي الزهاوي / تحقيق ونقد، معجم الكرد الساردين العربفونين في العراق، جينوساید الإنتلجنسيا والثقافة والحضارة الأرمنية/ التركمان تاريخاً وثقافةً...

- راجع ونقّح المئات من النصوص الأدبية والبحثية والكتب المؤلفة والمترجمة لأدباء وباحثين كرد وعراقيين ومنهم أساتذة جامعيون.
- ساهم في الهيئات التأسيسية التالية:
- جمعية مترجمي كردستان 1992
- الحركة الشعبية الكردستانية 1996
- المركز الثقافي والاجتماعي لكركوك 1998
- مجلّتيّ (نَوشَفَق = الفجر الجديد) و(مندالانى باباكَركَر = أطفال بابا كَركَر) 2003 في كركوك.
- شارك بدور شاهد رئيس في الفيلم التسجيلي (الأراضي الضائعة) عن سياسة الأرض المحروقة (تدمير البيئتين الطبيعية والبشرية في كردستان العراق) 2000.

المصادر التي استقينا منها الحوار:

1- حوار أجراه الصحفي والروائي العراقي عبد الزهرة علي منشور في جريدة (طريق الشعب) الغرّاء في 2009/4/8.

2- حوار أجراه الصحفي والروائي اللبناني محمد الحجيري منشور في جريدة (الجريدة) الكويتية في حلقتين بالعنوانين(جلال زنگابادي: لو عاد الخيّام لعجز عن فرز رباعيّاته، جلال زنگابادي : الخيام لم يكن صوفياً).

3- حوار أجرته سوزان سامي جميل منشور في موقع سطور الإلكتروني والموقع الإلكتروني للأديب جلال زنگابادي.

4- حوار أجراه الشعراء: احمد عبدالحسين ، إبراهيم اليوسف و ياسين عدنان، منشور في مجلة كلاويش الأدبية والثقافية، العدد20، 2008، ص95.

5- حوار أجراه (؟!)، منشور في الموقع الإلكتروني للأديب جلال زنگابادي وقد ذكر في هامشه: (لأسف الشديد خذلني المتحاورون معي؛ حيث لم ينشروا غير نحو ثلث الحوار بانتقائية شوهاء بل باسم مستعار؛ لربّما خشية العقبى الوخيمة؛ ولذا وجدت ألاّ مناص من تثبيت أسمائهم بصيغة (؟!) لذا وجب التنويه). http://jhm0051.blogspot.com/p/blog-page_1737.html

6- مذكرات ومخطوطات غير منشورة للأديب جلال زنگابادي أستحصلنا عليها عن طريق زوجته.

7- مسرد من إعداد الأديب جلال زنگابادي عن كتابه (لنعرف الخيّام جيّداً) منشور في الصفحة الشخصية بتأريخ 12 ديسمبر 2021. http://www.facebook.com/jzangabady1

8- إطلالة على معجزة جلال زنگابادي، د. توفيق رفيق التونجي منشور في صحيفة التآخي 6سبتمبر،2023.

9- كتاب موسوعة الخيام رسائله العلمية والفلسفية والأدبية، منشورات أرجوان- دبي، ودار التكوين- دمشق، 2013، تحقيق وتقديم الباحث الإيراني الراحل الدكتور رحيم رضا زاده ملك، وترجمة وتقديم الكاتب والشاعر والباحث المتبحر الأستاذ زنگابادي .
10- قراءة في ديوان عمر الخيام، چنار باشي، الموقع الإلكتروني للأديب جلال زنگابادي. http://jhm0051.blogspot.com/p/blog-page_1737.html
11- قراءة في(قطوف من جلالستان)، يوسف الحيدري، منشورة في مجلّة (الثقافة) ع(5) ت1/ 1987.
12- مانيفستو الحياة، قراءة في تجربة الشاعر زنگابادي آخر متصوفة العالم، شاكر مجيد سيفو، الموقع الإلكتروني للأديب جلال زنگابادي.-http://jhm0051.blogspot.com/p/blog-page_1737.html
13_ تعليقات وردود الأديب جلال زنگابادي في الصحفة الشخصية (الفيس بوك). http://www.facebook.com/jzangabady1
14- جلال زنگابادي والمثقف اللامسمى، إبراهيم محمود، موضوع سيمينار مقرَّر في مركز بيشكجي للدراسات الإنسانية- جامعة دهوك، اليوم، الثلاثاء، 19-9/ 2023، الساعة 11 صباحاً).
15- جلال زنگابادي، شهادة، منشورة في مجلّة (بيت الشعر) الإماراتية (ع8) يناير 2013.
16- هوامش وإشارات، للأديب جلال زنگابادي ذيلت لرسائل أرسلت له، دراسات كتبها وترجمها.
17- صلاح خالص والثقافة الكردية، جلال زنگابادي، ملاحق صحيفة المدى 2013/05/01 م.
18- كتاب (الثقافة الكرديّة: مشكلات، معضلات وآفاق...)، جلال زنگابادي، منشور في 2010.
19- ديوان عمر الخيام، جلال زنگابادي، منشورات الجمل،2010.
20- الكردلوجيا موسوعة موجزة، جلال زنگابادي، مطبعة جامعة صلاح الدين، أربيل 2014.
21- جلال زنگابادي و بحثه عن فرسان السرد العراقيين من الأرومة الكردية، المحرر الثقافي، صحيفة صباح كردستان العدد30، 29 أيار 2018.
22- ضد (اللافن) والاستسهال والتسليع، جلال زنگابادي، منشور في الصفحة الشخصية في 6مينايير /2022، http://www.facebook.com/jzangabady1

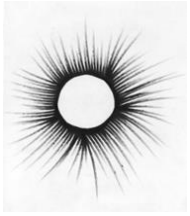





حوار مع الشّاعر والقاص السُّوري جان يونان حول السَّلام العالمي

أجرى الحوار صبري يوسف

أتابعُ تجربةَ الشَّاعرِ والقاصّ السُّوريّ جان يونان، فهو الآتي مِنْ عوالمِ الهندسة والعلوم، لكنَّهُ يمتلكُ حرفاً شفيفاً في وهج الشِّعرِ والقصّ والسَّردِ، ولَهُ باعٌ رحبٌ في فضاءِ المسرحِ والأدبِ ورؤى نحوَ الحداثةِ والتَّنويرِ، أحبَبْتُ أنْ أجريَ معَهُ هذا الحوارَ حولَ السَّلامِ العالمي، فوافقَ برحابةِ صدرٍ، فوُلِدَ الحوارُ التّالي:

1. ما هي برأيكَ أهمُّ أسبابِ تراجعِ السَّلامِ العالمي بينَ البشرِ؟

تراجعَ السَّلامُ العالمي، لأنَّ هذا السَّلامَ غالباً لا يتحكَّمُ بِهِ البشرُ، وإنَّما الحكوماتُ وقادةُ هذهِ الحكوماتِ، فالبشرُ لا حولَ ولا قوَّةَ لديهم، وبالنِّسبةِ لقادةِ الحكوماتِ، فلكلِّ واحدٍ منهم مصالحُهُ الخاصَّةُ.

2. لماذا ابتعدَ الإنسانُ عَنِ السَّلامِ والوئامِ بينَ بني جنسِهِ، سائراً نحوَ حقولِ الألغامِ الَّتي تنسفُ حيثيَّاتِ السَّلامِ مِن جذورِهِ؟

ابتعدَ الإنسانُ عَنِ السَّلامِ لأنَّ السَّلامَ لَمْ يعُدِ الأهمَّ في سلَّمِ الأولويَّاتِ، فحالياً وفي هذهِ الظُّروفِ الأوضاعُ الاقتصاديّةُ هي الهاجسُ الأهمُّ.

3. ما هي أسبابُ انكفاءِ الحسِّ الأخلاقيِّ والمعاييرِ الرَّاقيةِ عندَ الكثيرِ مِنَ البشرِ في الوقتِ الرَّاهنِ؟

انكفاءُ الحسِّ الأخلاقيِّ عندَ الكثيرِ مِنَ البشرِ بسببِ الفَسادِ، وخاصَّةً ما يتعلَّقُ بالمالِ، وانكفاءُ الشُّعورِ بالإنتماءِ للعائلةِ، وللوطن، وتحوَّلَ الإنسانُ إلى كائنٍ فرديٍّ، يعملُ على مصلحتِهِ الخاصَّةِ فقط، وهذا يتفاوتُ بالطبعِ بينَ المجتمعاتِ.

4. يركّزُ الإنسانُ على العلاقاتِ المادّيّةِ، وغالباً ما تكونُ على حسابِ إنسانيّةِ الإنسانِ، لماذا يتراجعُ الإنسانُ نحوَ الأسوأ في علاقاتِهِ مَعَ بني جنسِهِ: البشرِ؟!

إنَّ تركيزَ الإنسانِ على العلاقاتِ المادّيَّةِ، هو بسببِ الظُّروفِ الحاليَّةِ، ونتيجةَ توجيهِهِ مِنْ قِبلِ أصحابِ القرارِ مِنْ رجالِ السِّياسةِ أو الإعلامِ على السَّعي نحوَ المصالحِ الشَّخصيَّةِ والجري وراءَ لقمةِ العيشِ أو للبعضِ الأقلِّ عدداً نحوَ المزيدِ مِنَ الإستغلالِ للبعضِ الأكثرِ عدداً.

5. هناكَ تطوُّرٌ كبيرٌ في تقنياتِ وتكنولوجيا العصرِ، يسيرُ عصرُنا نحوَ فتوحاتٍ كبرى في عالمِ التّقانةِ والتَّحديثِ، لكنَّهُ فقدَ الكثيرَ مِنَ الحميميّاتِ، كيفَ يمكنُ إعادةُ العلاقاتِ الحميمةِ الرَّاقيةِ بينَ البشرِ؟!

هنا تكمنُ المُصيبةُ في تطوُّرِ تقنياتِ العصرِ، فقَدْ أصبحَ الإنسانُ يشعرُ بنفسِهِ كجزءٍ مِنْ هذهِ التّقنياتِ أي أصبحَ يُدارُ مِثلَ أيّ جهازٍ كهربائيٍّ آخرَ بالرّيموت كونترول، واخترعوا لنا وسائلَ التَّواصل الاجتماعي، لكي نتخلَّى عَنْ أي تواصل اجتماعي حقيقي، وأصبحَ العالمُ الإفتراضيُّ بديلاً عن العالمِ الواقعيّ. أنا برأيي العلاقاتُ الحميمةُ بينَ البشرِ لنْ تعودَ كما كانَتْ مِنْ قبلُ، بَلْ نحنُ نسيرُ نحوَ الاسوأ.

6. لا يتمُّ تأسيسُ الكثيرِ مِنَ الدُّولِ الشَّرقيّةِ/ العربيّةِ وما يجاورُها على أسسٍ ديمقراطيّةٍ، غالباً ما تجنحُ نحوَ الحروبِ والدَّمارِ، متى ستتعلَّمُ هذهِ الدُّولُ أنَّ بناءَ الدَّولةِ يقومُ على بناءِ المؤسَّساتِ الدّيمقراطيّةِ وتطبّقُ هكذا مؤسَّساتٍ؟

بالنِّسبةِ لبلدانِ العالمِ الثَّالثِ، القرارُ ليسَ بيدِها، كانَ قديماً ما يعرفُ بالاستعمارِ الاستيطاني، الآنَ تحوَّلَ عَمَلُ هذا الإستعمارِ مِنْ خلالِ الريموت كونترول، وهناكَ حدودٌ لكلِّ دولةٍ يجبُ عدمُ تجاوزِها، ويتمُّ رسمُ أماكنِ الحُروبِ مِنْ قِبلِ الدُّولِ العُظمى لإبقاءِ النِّيرانِ متَّقدةً، لكي تبقى عجلةُ الصِّناعةِ العسكريَّةِ مستمرَّةً، وبالتَّالي تكسبُ المزيدَ مِنْ خيراتِ الشُّعوبِ، ببيعِ الأسلحةِ والمعدَّاتِ الحربيَّةِ، وهنا يخطرُني قولُ نائبٍ أميركيٍّ سابقٍ عندما سألَ: لماذا لا يحدثُ انقلاباتٌ في أميريكا، فكان جوابه: (لأنَّ أميريكا هي البلدُ الوحيدُ في العالمِ الَّذي لا يوجدُ فيه سفارة أمريكيّة).

وبالنِّسبةِ لسؤالِكَ: متى ستتعلَّمُ الدُّولُ أنَّ بناءَ الدُّولِ يقومُ على المؤسَّساتِ، فإنَّ هذهِ الدُّولَ تعلمُ ذلكَ، ولكنْ لا تستطيعُ تطبيقَ ذلكَ، فحكَّامُ هذهِ الدُّولِ نوعان، النَّوعُ الأوَّلُ تمَّ شراؤهُ وبالتَّالي توجيهُهُ، والنَّوعُ الآخرُ لا يستطيعُ نتيجةَ الضُّغوطاتِ الدَّوليَّةِ عليهِ، وبالتَّالي لا يوجدُ استقلاليةٌ لديهم في صنعِ القرارِ.

7. جاءَتِ الأديانُ كلُّ الأديانِ، لتقويمِ سلوكِ وأخلاقِ البشرِ، ولإرساءِ أُسُسِ العدالةِ والمساواةِ بينِ البشرِ، لكنْ واقعُ الحالِ نجدُ انشراخاً عميقاً بينَ المذاهبِ عبرَ الدِّينِ الواحدِ، وصراعاتٍ مميتةً بينَ الأديانِ، إلى متى سيبقى هذا الصِّراعُ والتَّناحرُ مفتوحاً بينَ المذاهبِ والأديانِ؟

مجيءُ الأديانِ لتقويمِ أخلاقِ البشرِ، ربَّما كانَ في مرحلةِ بدءِ نشوئها، جيّداً، ولكنْ بعدَ فترةٍ مِنَ الزَّمنِ، أصبحَ رجالُ الدِّينِ هم القيّمونَ على الدِّينِ، فصارَتِ الأغلبيَّةُ العظمى مِنْ رجالِ الدِّينِ باعتبارِهم بشراً أولّاً وأخيراً لا يختلفونَ عَنِ الحُكَّامِ بشيءٍ، صارَ الإنجرارُ وراءَ مصالحِهم سبباً في إشعالِ الحروبِ، والتَّاريخُ يشهدُ بذلكَ ولا مجالَ لذكرِ الأمثلةِ، وطبعاً اختلافُ المذاهبِ والطَّوائفِ سببُهُ أيضاً المصالحُ الشَّخصيَّةُ لرجالِ الدِّينِ ورجالِ الحكمِ وهذا هو السَّببُ أيضاً في عدمِ تطَوُّرِ بعضِ الأديانِ حيثُ أصبحَتْ حبيسةَ التَّفاسيرِ والاجتهاداتِ مِنَ القرونِ الماضيةِ، مِمَّا لا يسمحُ بتطويرِ المجتمع، بَلْ الأنكى مِنْ ذلكَ يجعلُها في تخلُّفٍ دائمٍ.

8. سُمّيَ القرنُ التّاسعِ عشر بعصرِ القوميّاتِ، نحنُ في بدايةِ القرنِ الحاديِ والعشرينِ، ومانزالُ نتخبّطُ بالحقوقِ القوميّةِ وحقوقِ الأقلّياتِ، إلى متى سنظلُّ نتصارعُ كأنّنا في غابةٍ متوحّشةٍ، لماذا لا نركّزُ على بناءِ الإنسانِ وتأمينِ حقوقِ المواطنِ القوميّةِ والمذهبيّةِ والدّينيّةِ بعيداً عَنْ لغةِ العنفِ والعنفِ المضادِّ؟!

لكلّ عصرٍ أسبابُهُ الخاصَّةُ، فقَدْ كانَ القرنُ التاسعُ عشرَ يتطلَّبُ نشوءَ القوميَّاتِ، ولكنْ هذا لا يعني أنْ تظلَّ الشُّعوبُ حبيسةَ مفاهيمَ معلَّبةٍ، فهناكَ شعوبٌ تجاوزَتْ مفهومَ القوميَّةِ بتأثيرٍ مِنْ أفكارِ ماركس، ولكنْ عادَتْ إلى تبنّي مفهومِ القوميَّةِ، كمثالٍ على ذلكَ يوغسلافيا الَّتي كانَتْ دولةً واحدةً أصبحَتِ الآنَ سبعَ دولٍ، نتيجةَ تدخُّلِ عواملَ خارجيَّةٍ بالإضافةِ إلى العواملِ الدَّاخليَّةِ كالطَّائفيَّةِ والنَّعراتِ الدّينيَّةِ والصّراعاتِ السّياسيَّةِ، أمَّا ما يتعلَّقُ بوجودِ ظلمٍ لأقلّياتِ بعضِ الدُّولِ مِنَ الأكثريَّةِ فهو يعودُ أيضاً للصراعاتِ السّياسيَّةِ والطَّائفيَّةِ المقيتةِ، وإذا لَمْ يتمَّ التَّعاملُ مَعَ الأقلّياتِ بمفهومٍ حضاريٍّ ونبذِ كلّ أشكالِ العنصريَّةِ الاجتماعيّة والدّينيَّةِ، لَنْ تتطوَّرَ المجتمعاتُ، والحلُّ هو العلمانيَّةُ لكي تقودَنا إلى الدّيمقراطيّةِ، وأستطيعُ أنْ أعطي مِثالاً على ذلكَ دولةَ الهندِ، حيثُ الأكثريَّةُ مِنَ الهندوسِ، ولكنْ وجودُ أقلّيَّةٍ مسلمةٍ لَمْ يمنعْ ثلاثةُ أفرادُ مسلمينَ مِنْ تبوُّءِ رئاسةِ الجمهوريَّةِ، وذلكَ لوجودِ نوعٍ مِنَ الدّيمقراطيَّةِ في هذهِ الدَّولةِ.

9. تحاولُ الدُّولُ العظمى أنْ تُنشِبَ حروباً في الدُّولِ النَّاميةِ كي تصنعَ حروباً، فتعيشَ الدُّولُ المتقدّمةُ على حسابِ المزيدِ مِنَ التّعاسةِ في الدُّولِ النَّاميةِ، إلى متى ستبقى هذهِ المعادلةُ المخرومةُ قائمةً في أبجدياتِ سياساتِ بعضِ الدُّولِ الكبرى؟

لقَدْ أجبْتُ عَنْ هذا السُّؤالِ سابقاً، ولنعلم أنَّ الدُّولَ العظمى حالياً، لَمْ تكُنْ عُظمى سابقاً، والإمبراطوريَّاتِ العُظمى عبرَ التَّاريخِ تلاشَتْ وجاءَتْ أخرى، فأينَ هي الآنَ؟.

عندما تنضجُ الظُّروفُ لجعلِ دولةٍ ما عُظمى أو شبهَ عُظمى، فإنَّها تتمسَّكُ بهذا المكسبِ بأيديها وأرجلِها، ولكِنْ يقولُ المثلُ (لو دامَتْ لغيرِكَ ما آلَتْ إليكَ) وأنا برأيي أنَّ طبيعةَ البشرِ هي التَّمسُّكُ بالمكاسبِ، خوفاً مِنْ فقدانِها، وهذا ينطبقُ على الدُّولِ، لأنَّ البشرَ هم مِنْ صنعِ الدُّولِ.

10. الإنسانُ هو المهمُّ، هو جوهرُ الحياةِ، وهوَ العقلُ المدبّرُ لقيادةِ الكونِ، مَعَ هذا لا أراهُ مُهمَّاً في برامجِ الكثيرِ مِنْ دولِ العالمِ، لماذا لا يتمُّ التَّركيزُ على بناءِ إنسانٍ خيّرٍ وحكيمٍ ومحبٍّ للسلامِ والعدالةِ وبناءِ الأوطانِ؟

طبعاً الإنسانُ هو الأهمُّ وهو محورُ الكونِ، ولكِنْ ظلمُ الإنسانِ يأتي مِنَ الإنسانِ نفسِهِ، والظُّروفُ هي الَّتي صنعَتِ الحاكمَ والمحكومَ، الغنيَّ والفقيرَ، الظَّالمَ والمظلومَ.

ونحنُ نقرأُ نظريَّاً أنَّ بناءَ الإنسانِ أهمُّ شيءٍ ولكِنْ مَنْ يطبّقُ ذلك، هناك القليلُ مِنَ الدُّولِ تبنَّتْ هذا المفهومَ الحضاريَّ، ولكِنْ بقيَتِ الأكثريَّةُ بعيدةً عنهُ، ولنا في حكايةِ سورِ الصّينِ العظيمِ الَّتي تُروى أكبرُ مثالٍ على ذلكَ حيثُ أنَّ الأمبراطوريَّةَ الصّينيَّةَ في الماضي بنَتْ سورَ الصّينِ العظيمِ بحيثُ يستعصي على أيٍّ كانَ

أنْ يخترقَهُ، ولكنَّهُ سقطَ بعدَ ذلكَ برشوةِ أحدِ الحرَّاسِ، فدخلتْهُ قواتُ العدوِّ بكلِّ سهولةٍ، وبدونِ أيِّ تكلفةٍ، لأنَّهم (نعم)، فقد بنوا أكبرَ سورٍ في العالمِ ولكنَّهم تجاهلوا بناءَ الإنسانِ.

11. عجباً أرى، كيفَ لا يفهمُ المتصارعونَ والمتحاربونَ أنَّ لا منتصرَ في الحروبِ، حتَّى المنتصرُ هو منتصرٌ على حسابِ جماجمِ الآخرينَ؟ نحنُ بحاجةٍ أنْ ننصرَ قيمَ الخيرِ والعدالةِ ونحقِّقَ الدِّيمقراطيّةَ والمساواةَ للجميعِ مِنْ دونِ هدرِ الدِّماءِ!

طبعاً لا منتصرٌ في الحربِ، ولكنْ الكلُّ خاسرٌ، هذا مِنْ جهةٍ ومِنْ جهةٍ أخرى، قَدْ تمتدُّ انتصاراتُ فريقٍ ما العديدَ مِنَ السِّنينَ، ولكِنْ في النِّهايةِ قَدْ يخسرُ. نعم، يجبُ أنْ ننصرَ قيمِ الحقِّ والخيرِ ولكنْ بشكلٍ جماعيٍّ منظَّمٍ.

12. أبحثُ عَنْ إنسانٍ حكيمٍ، عاقلٍ، جانحٍ نحوَ السَّلامِ، خيِّرٍ يقودُ البلادَ إلى دِفءِ الوئامِ، متى سنرى قائداً بهذهِ الحيثيّاتِ، يقودُ البلادَ إلى أبهى واحاتِ الأمانِ والسَّلامِ؟!

عزيزي، هذا الحكيمُ الإنسانُ الَّذي تبحثُ عنهُ، بحثَ عنهُ أفلاطونُ في القرنِ الخامسِ قبلَ الميلادِ ولَمْ يجدْهُ، ثَمَّ أتى توماس مور في القرنِ الخامسِ عشرِ ولَمْ يجدْهُ، وجيلُنا الحالي لَنْ يجدَهُ على الأقلِّ في المستقبلِ المنظورِ.

13. الحيوانُ المفترِسُ يفترسُ الكائناتِ والحيواناتِ الضَّعيفةَ مِنْ بني غيرِ جنسِهِ، مِنْ أجلِ البقاءِ، بينما الإنسانُ، هذا الكائنُ (السَّامي)، يفترسُ بني جنسِهِ ليسَ مِنْ أجلِ البقاءِ، بلْ بسببِ البطرِ والنُّزوعِ الحيوانيِّ، كأنَّهُ ينافسُ الحيوانَ المفترِسَ افتراساً، إلى متى سيفترسُ الإنسانُ بني جنسِهِ؟!

الإنسانُ ضمنَ الأحياءِ هو أكبرُ مُفترِسٍ مَوجودٍ في الطَّبيعةِ، لأنَّهُ يستخدمُ عقلَهُ بالإضافةِ لمخالبِهِ، أمَّا إلى متى، فعلمُه عندَ ربِّي.

14. الإنسانُ حيوانٌ اجتماعيٌّ بالطَّبعِ، أنا لا أرى فيهِ هذهِ الرُّوحَ الاجتماعيّةَ، بَلْ أرى فيهِ جنوحاً نحوَ البوهيميّةِ والغرائزيّةِ، كيفَ يُمكنُ أنْ ننقِّيَ هذا النُّزوعَ البوهيميَّ وننمّيَ فيهِ إنسانيّةَ الإنسانِ؟!

مِنَ المُمْكنِ أنْ نُنَمّي في الإنسانِ كلَّ عواملِ الخيرِ والإنسانيَّةِ، بالعلمِ والتَّربيةِ السَّويَّةِ، وهذا يبدأُ بالعائلةِ بعدَ أنْ تكونَ قَدْ تدرَّبَتْ مُسبقاً على ذلكَ، وهذا يحتاجُ أيضاً إلى عملٍ جماعيٍّ وسياسيٍّ يتبنَّى هذهِ الأفكارَ ويجعلُ مِنها مَنهجاً لحياةٍ أفضلَ.

15. كيفَ تنسجُ خيوطَ بحوثِكَ ونصوصِكَ، وتُترجمُ أفكارَكَ الإبداعيّةِ وأنتَ غائصٌ في لجَّةِ الأحزانِ المتفاقمةِ في هذا الزَّمنِ المفخَّخِ بالتَّوهانِ عَنِ الهدفِ، أمْ أنَّكَ تزدادُ ألقاً وعمقاً في صياغةِ أفكارِكَ رغمَ انشراخاتِ هذا الزّمانِ؟!

إنَّ ما يكتبُهُ المرءُ يدلُّ على أفكارِهِ وتطلُّعاتِهِ نحوَ مستقبلٍ أفضلَ للأجيالِ القادمةِ وكلٌّ بحسبِ موقعِهِ وإمكاناتِهِ، وأحاولُ أنْ أنقلَ تجاربي الشَّخصيَّةَ والحياتيَّةَ بما يفيدُ القارىءَ والمستمعَ، لأنَّ معاناةَ الإنسانِ تُؤتى مِنْ نوعَينِ مختلفَينِ، أولّاً المعاناةُ الشَّخصيَّةُ المُعاشةُ، وثانياً مِنَ الإطِّلاعِ على تجاربِ الغيرِ مِنَ الكتبِ ووسائلِ المعرفةِ الأخرى، وأنا أعتقدُ أنَّ الأحزانَ والمصائبَ والنَّكساتِ هي متأصِّلةٌ في دورةِ الزَّمنِ الَّذي مرَّتْ بها الإنسانيَّةُ مُنذُ الأزلِ، ولكِنْ ما يميِّزُ مرحلةٌ عَنْ أخرى هو التَّواترُ والشِّدّةُ، فبالنِّسبةِ لجيلِنا نحنُ لا نستطيعُ مقارنةَ أحزانِنا ومعاناتِنا بجيلِ أجدادِنا الَّذينَ عانوا مِنَ السَّيفو والسَّفر برلك وأساليبِ الإضطهادِ أكثرَ مِنّا بكثيرٍ.

16. لا أرى أهدافاً عظيمةً ممَّا يهدفُ إليها إنسانُ اليومِ، غالباً ما تكونُ أهدافاً عقيمةً مِنْ حيثُ فائدتُها للمجتمعِ البشري، إلى متى سيغوصُ في تزّهاتِ الحياةِ، تاركاً أسمى الأهدافِ بعيدةً عَنْ نُصْبِ عينيهِ؟!

بالنِّسبةِ للأهدافِ فهي نسبيَّةٌ، قَدْ يكونُ هدفٌ ما لمجتمعٍ ما عظيماً وليسَ عظيماً لمجتمعٍ آخرَ، فالإنسانُ محكومٌ بأولويَّاتٍ تبدأُ مِنْ بقائه على قيدِ الحياةِ، إلى تحسينِ مستوى عيشِهِ، إلى الكماليَّاتِ، وبالتَّالي إلى تحسينِ المجتمعِ ككل، وطالما هناكَ نظامٌ عالميٌّ يحدِّدُ مَنْ هو فوقَ ومَنْ هو تحتَ، مَنْ يحقُّ لَهُ أنْ يظلمَ ومَنْ كتبَ لَهُ أنْ يُظلمَ، سنبقى أسرى هذا النِّظامَ حتَّى تحدثَ الأعجوبةُ.

17. ما هوَ دورُكَ مبدعاً، مثقَّفاً، مفكّراً عندما ترى الإنسانَ يقتلُ بني جنسِهِ بقلبٍ باردٍ، مِنْ دونِ أنْ يرمشَ لَهُ جفنٌ؟

أنا أرفضُ القتلَ بكلِّ أنواعِهِ، وطالما أنَّ الإنسانَ وُلِدَ حُرَّاً وتغلغلَ في كنفِ الحياةِ، فمِنْ حقِّهِ أنْ يعيشَ هذهِ الحياةَ، وفي المستطاعِ أنبذُ هذا العنفَ والقتلَ خلال تواصلي مَعَ الآخرينَ، ضمن إمكاناتي المحدودةِ.

18. كيفَ يمكنُ أنْ ننقذَ فقراءَ وأطفالَ هذا العالمِ مِنَ الخرابِ والفقرِ والقحطِ الَّذي بدأَ يستفحلُ في الكثيرِ مِنْ دولِ العالمِ؟!

يتمُّ القضاءُ (النِّسبي) على الفقرِ، (لأنَّ القضاءَ المطلقَ، أنا برأيي يبقى مستحيلاً)، بتحسينِ ظروفِ الفقراءِ، وتأمينِ متطلَّباتِ الإنسانِ ومِنْ ضمنِها العملُ، والتَّعليمُ لأنَّ المثلَ يقولُ: بدلاً مِنْ إعطاءِ الفردِ سمكةً، علِّمْهُ كيفَ يصطادُ.

19. ما هي أفضلُ الطُّرقِ والأُسُسِ الَّتي تقودُنا إلى تحقيقِ السَّلامِ العالمي بينَ البشرِ كلِّ البشرِ؟

إنَّ أفضلَ الطُّرقِ لتفعيلِ السَّلامِ العالمي، تأتي مِنَ المنظَّماتِ الدَّوليَّةِ، بشرطِ أنْ تتحلَّى هذهِ المنظماتُ بالحياديَّةِ وعدمِ الإنحيازِ، وذلكَ بعدَ القضاءِ على القطبِ الواحدِ، وتكوينِ نوعٍ مِنَ التَّوازنِ الدَّوليّ لهذهِ المنظَّماتِ، مِنْ حيثُ صنعُ القرارِ.

20. لو قامَ كلُّ إنسانٍ بأعمالِ الخيرِ والسَّلامِ والمحبّةِ لتحقَّقَ السَّلامُ كتحصيلِ حاصلٍ، ما هوَ دورُكَ في تحقيقِ هذهِ الفكرةِ؟

لو قامَ كلُّ فردٍ بعملِ الخيرِ والسَّلامِ والمحبَّةِ، فهذا عملٌ جيِّدٌ، وهو قائمٌ الآنَ، فهناكَ الكثيرُ مِنَ النَّاسِ يعملونَ ذلكَ، وأنا برأيي لا تُحلُّ المشكلةُ بهذهِ الطَّريقةِ، يجبُ إيجادُ صيغٍ لكيفيَّةِ القيامِ بذلكَ، لتجنُّبِ الفسادِ والمحسوبيَّاتِ، ونحنُ نعلمُ أنَّ الكثيرَ مِنَ المُساعداتِ وخاصَّةً في العالمِ الثَّالثِ يتمُّ قنصُها مِنْ بعضِ ضِعافِ النُّفوسِ، وهنا نعودُ للقولِ بضرورةِ بناءِ الإنسانِ النَّزيهِ المتفاني الَّذي سيقومُ بتنفيذِ كلِّ ما هو لخيرِ أخيهِ الإنسانِ.

21. كيفَ يمكنُ أنْ نسخِّرَ أقلامَ مفكّري ومبدعي ومبدعاتِ هذا العالمِ مِنْ أجلِ تحقيقِ السَّلامِ والكرامةِ الإنسانيّةِ؟

المفكّرونَ والكتابُ هم أنفسُهم مَنْ سيقومُ بتسخيرِ أفكارِهم لخدمةِ السَّلامِ، ولكِنْ رَغمَ الدَّورِ الَّذي لا يُستهانُ بِهِ مِنْ قبلِهم، تبقى القوَّةُ في المجتمعِ للسلطةِ السِّيَّاسيَّةِ، (والسُّلطةُ الدِّينيَّةُ نوعاً ما في المجتمعاتِ المتخلِّفةِ).

22. ما رأيُكَ بتأسيسِ تيَّارٍ وفكرٍ إنسانيٍّ على مستوى العالمِ، لإرساءِ قواعدِ السَّلامِ وتحقيقِ إنسانيّةِ الإنسانِ، بإشرافِ هيئاتٍ ومنظَّماتٍ دوليّةٍ تمثِّلُ كلَّ دولِ العالمِ، كي يكونَ لكلِّ دولةٍ مِنْ دولِ العالمِ دورٌ في تحقيقِ السَّلامِ؟

سيكون عملاً جيداً، نأملُ أنْ يتحقَّقَ ذلك.

23. ما هي أفضلُ الطُّرقِ لخلقِ رؤى تنويريّةٍ، ديمقراطيّةٍ، تقدميّةٍ في العالمِ العربيِّ والدُّولِ النَّاميةِ في العالمِ، لتحقيقِ السَّلامِ والاستقرارِ، بعيداً عَنْ لغةِ الحروبِ المميتةِ الَّتي دمَّرَتْ وتدمّرُ كلَّ الأطرافِ المتصارعةِ؟

أولاً أنْ تكونَ هذهِ الدُّولُ هي صاحبةُ القرارِ بمعزلٍ عَنْ كلِّ التَّأثيراتِ الخارجيَّةِ، وأنْ تَتحقَّقَ الدِّيمقراطيّةُ لهذهِ الشُّعوبِ، بذلكَ تكونُ قَدْ خطَتِ الخطوةُ الأولى، بهذا المشوارِ.

24. ما رأيُكَ بإلغاءِ وإغلاقِ معاملِ السِّلاحِ في العالمِ، والوقوفِ ضدَّ صنَّاعِ الحروبِ والفكرِ القائمِ على الصِّراعاتِ، ومعاقبةِ كلِّ مَنْ يقفُ ضدَّ السَّلامِ، لتحقيقِ السَّلامِ بقوّةِ القانونِ العالمي، وذلكَ بمحاسبةِ الجانحينَ نحوَ الحروبِ ودمارِ الأوطانِ؟!

نتمنَّى ذلكَ، بإلغاءِ معاملِ السِّلاحِ، ولكن يبقى ضمنَ دائرةِ التَّمنِّياتِ، فالدولُ العظمى لَنْ تتخلَّى عَنِ النَّبعِ الَّذي يرفدُ اقتصادَها بالأموالِ الكثيرةِ، حيثُ تعتبرُ صناعةَ السِّلاحِ الرَّافدَ الأكبرَ للدولِ الكبيرةِ، وكذلكَ تجارةُ السِّلاحِ بشقَّيها الشَّرعي وغير الشَّرعي، أمَّا معاقبةُ مَنْ يقفُ ضدَّ السَّلامِ، مِنْ أينَ سنأتي بمَنْ سينفِّذُ هذا العقابَ، (فيكَ الخصامُ وأنتَ الخصمُ والحكمُ).

25. ألَا ترى أنَّهُ آنَ الأوانُ لتأسيسِ "جبهةِ" سلامٍ عالميّةٍ مِنْ خلالِ تواصلِ المبدعينَ والمفكّرينَ مِنْ شتّى الاختصاصاتِ، والدَّعوةِ لتأسيسِ دستورٍ عالميٍّ عبرَ مؤسَّساتٍ وهيئاتٍ عالميّةٍ جديدةٍ، لتطبيقِ السَّلامِ عبرَ هذهِ التَّطلُّعاتِ على أرضِ الواقعِ؟

أنا برأيي لَمْ يَأنِ الآوانُ، قبلَ أنْ نزيلَ سيطرةَ القُطبِ الواحدِ أو حتَّى عدَّةَ أقطابٍ إذا كانَتْ حاصلةٌ على ميّزاتٍ ليسَ لغيرِها، كحقِّ الفيتو مثلاً الَّذي هو حكرٌ على خمسِ دولٍ فقط، في هيئةِ الأممِ المتَّحدةِ، (والَّتي أنا برأيي ليست متَّحدةً ولا مَنْ يحزنون)، والَّتي حصلَتْ على امتيازاتِها بعدَ انتصارِها في الحربِ العالميّةِ الثّانيةِ، أي أنَّ المكاسبَ تأتي بسببِ الحروبِ.

نأملُ أنْ يتحقَّقَ ذلكَ، ولكِنْ في الحقيقةِ سيحتاجُ ذلكَ إلى وقتٍ طويلٍ، بالتَّأكيدِ نحنُ لَنْ نعايشَهُ.

ستوكهولم: أيلول (سبتمبر) 2024







حوار مع الأديبة والصحفية الجزائريّة سليمة ملّيزي

حول السَّلام العالمي

أجرى الحوار صبري يوسف

أتابع تجربة الأديبة الجزائرية سليمة ملّيزي منذ سنوات، وهي تكتب في مجلة السلام الدولية، أحببت ان أجري معها هذتا الحوار حول السلام العالمي فأبدت استعدادها فولد هذا الحوار:

1). ما هي برأيِكِ أهمُّ أسبابِ تراجعِ السَّلامِ العالمي بينَ البشرِ؟

السلام هو طلب مشروع من الإنسانية، أتى بعدما عمَّتِ الحروب هذه الأرض منذ الأزمنة الغابرة، فإذا راجعنا تاريخ البشرية؛ لم يكن هناك سلام على وجه الأرض، بقدر ما كانت الحروب الدامية تفتك بالإنسان، خاصة بعد ما أرسل الله عز وجل الديانات السماوية لكي يعدل بين البشر، فازدادت الحروب حدّة، وتوسعت رقعة التفرقة بينهم.

ما شهده كوكب الأرض من حروب دامية، خاصة الحرب العالمية الأولى (28 يوليو 1914 إلى 11 نوفمبر 1919) والثانية (1سبتمبر 1939 إلى 2 سبتمبر 1945) ، جعل الإنسان يفكر في حلّ لزرع السلم والسلام بين الشعوب، إلا أنّنا نحن الذين ننتمي إلى العالم الثالث والعالم العربي والإسلامي، اكتشفنا مؤخرا من لعبة السلام التي صنعها الغرب على مقاسهم، وكل حقوق الإنسان والسلام، تأسست من أجلهم، وليس من أجلنا، لذلك أرى أنّ السلام والسلم يختلف من شعب إلى آخر، والكلّ يصنع السلام حسب مصالحه، لذلك أعتقد وهذا رأيي الخاص، أنّ كلمة السلام والسلم لم تُطبّق على الشعوب الكادحة التي لا تزال إلى اليوم، تعاني من الظلم والاضطهاد، بطريقة غير مباشرة، خاصة الحروب التي شنت على زعماء العرب، والإطاحة بهم.

3). ما هي أسبابُ انكفاءِ الحسّ الأخلاقيّ والمعاييرِ الرَّاقيةِ عندَ الكثيرِ مِنَ البشرِ في الوقتِ الرَّاهنِ؟

هناك عوامل كثيرة، تركت الأسر والمجتمعات تتفكك، وتتراجع عن التآزر والتعاون فيما بينها، هي صراعات كبيرة، رغم القفزة الّتي قفزها الإنسان في مجال التطوّر والعيش الكريم، والرفاهية التي يعيشها بعض البشر، عن غيرهم ، إلّا عند دول التصنيع، كأمريكا وأوروبا وكندا، لا يريدون أنّ يكون العالم متساوياً في التطوّر وطلب العلم، وخاصة الصناعة والعلم، الحديث الذي وصلوا إليه، يريدون إبقاء دول العالم الثالث تحت رحمتهم، رغم أنّ بعض الحضارات ، كانت تفوقهم بالعمل والتطوّر والعيش الكريم ، بسنوات ، ورغم الخيرات من الموارد الطبيعية التي ينهبونها من إفريقيا وآسيا، إلّا أنّهم، يصنعون الحروب، ويقيّدون هذه الشعوب بأبشع الطرق الخبيثة، حتى لا ينهضون بالاقتصاد والعلم والتطوّر. حتى تبقى أمريكا وحلفاؤها، يتحكمون

في العالم. من هنا بدأ يتشكَّل الانحلال وانكفاءِ الحسّ الأخلاقيّ، وأصبح العالم في الصراعات الأخلاقية، وخاصة بعد النهضة التكنولوجيّة، وعصر السرعة، التي سلبت عقل الإنسان، وأبعدته عن الدِّفء والالتحام العائلي، وأصبح الطفل يفضل أن يبقى ساعات في حضن الهاتف، ويتغلغل في عمق النت، وما تطلقه من سموم، وحرب لتدمير عقل وفكر الطفل، الذي هو بحاجة إلى التوعية الأخلاقية، والفكرية، وترسيخ في ذهنه حب العائلة، وصلة الرحم، والحس الإنساني بين البشر، كل هذه العوامل، تركت الإنسان يعيش في حالة جفاء.

4). يركّزُ الإنسانُ على العلاقاتِ المادّيّةِ، وغالباً ما تكونُ على حسابِ إنسانيّةِ الإنسانِ، لماذا يتراجعُ الإنسانُ نحوَ الأسوأ في علاقاتِهِ معَ بني، جنسِهِ: البشرِ؟!

اعتقد أن ما ترك الإنسان يركز على العلاقات المادية هو التفكك العائلي وعصر السرعة حيث أصبح الإنسان يجري وراء لقمة العيش، ونسي التكافؤ العائلي وصلة الرحم والتآزر العائلي الذي كان زمان، حيث كانت العائلة الكبيرة متماسكة فيما بينها، وكان الوالد أي رجل البيت هو الذي يحكم في العائلة الكبيرة التي كانت متكوّنة من الجد والجدة والأعمام والعمات والخالات، وكانت العائلة تجمعها في الليل خاصة في ليالي الشتاء الطويلة والباردة، كانت تجمع على حكايات الجدات التي كانت كل ليلة تجتمع العائلة للاستمتاع بالحكايات الشعبية والخرافية، زمان حتى سابع جار كان له الحق أن يحمي جاره، وله حقُّ التدخّل في تربية أبنائه، هذا التفكك الأسري راجع لعصر التكنولوجيات الحديثة منها التلفزيون، في الستينيات القرن الماضي، الذي جعل الإنسان لا يذهب للسهر عند جاره أو أخيه ويفضل متابعة البرامج التلفزيون، رغم أنّه عندما كانت قناة واحدة، كان فيلم السهر يجمع العائلة، بعدها اخترعت الهوائيات الفضائية التي أصبح الإنسان له عدّة قنوات، وأصبح كلّ واحد في العائلة يشتري تلفزيون له وحده في غرفته، وأتت التكنولوجيات الحديثة وشبكة التواصل الاجتماعي، رغم أنّها قرَّبت العالم وجعلته قرية صغيرة الكلّ يعرف عن أخبار البلد المجاور وحتى في الجهة الأخرى من الكرة الأرضية، زادت الطين بله، كلّ هذه العوامل كانت السبب في تراجع الإنسان عن إنسانيته.

5). هناكَ تطوُّرٌ كبيرٌ في تقنياتِ وتكنولوجيا العصرِ، يسيرُ عصرُنا نحوَ فتوحاتٍ كبرى في عالمِ التّقانةِ والتَّحديثِ، لكنَّهُ فقدَ الكثيرَ مِنَ الحميميّاتِ، كيفَ يمكنُ إعادةُ العلاقاتِ الحميمةِ الرَّاقيةِ بينَ البشرِ؟!

دخلت التكنولوجيا في معظم تفاصيل حياتنا، وبدرجة فاقت كلّ التصورات، وتطوّرت بتسارع كبير، ولا بد من مواكبة التطورات التقنية الحديثة، ومواكبة عواصم العالم، والتي قدَّمت العديد من التسهيلات في شتّى مجالات الحياة، وعادت بالأثر الإيجابي على حياة الإنسان، من حيث مواكبة العصر والعلوم وإلَّا أصبح الإنسان متخلفاً، لذلك أرى أنّه لا بدّ لنا أن نمشي مع عصر السرعة، وإلّا وجدنا أنفسنا في أواخر الطوابير من حيث التطوّر التكنولوجي، رغم أنّ بعض الدول العربية، لا تزال متخلفة خاصة في مجال المال والبنوك

مقارنة مع أوروبا وأمريكا، في الحقيقة أنّ الإنسان بإمكانه أن ينظم حياته بين التطور التكنولوجي وممارسة حياته العادية وإعادة العلاقات الحميمية وخاصة الحبّ الذي غاب بين الأفراد في السنوات الأخيرة، الكلّ يعرف أنّ العالم الذي اخترع الفيس بوك **مارك زوكربيرغ Mark Elliot Zuckerberg** ، يعيش حياته مع زوجته وابنته بعيدا عن هذه التكنولوجيات ويمارس كل ما هو جميل في حياة الإنسان، منها ممارسة الرياضة وقراءة الكتب، وقضاء أكبر وقت ممكن في الطبيعة الساحرة بعيدا عن صخب وضجيج المدن التي لم تعُدْ تُطاق، رغم أنّه مقسم وقته لإدارة هذا العالم الافتراضي الذي ملك قلوب البشر عبر الأرض، اعتقد أنّنا بإمكاننا أنْ نعيد لحياتنا ذلك الجمال الروحي بين العائلة، وترسيخ في أذهان أطفالنا حبّ الحوار والحديث مع الأولياء وتعليمهم منذ نعومة أظافرهم المطالعة وممارسة الرياضة واكتشاف الطبيعة عبر جولات إلى الغابات والحدائق، فكلّ هذا راجع للتربية الحسنة للأطفال.

س6) .لا يتمُّ تأسيسُ الكثيرِ مِنَ الدُّولِ الشَّرقيّةِ/ العربيّةِ وما يجاورُها على أسسٍ ديمقراطيّةٍ، غالباً ما تجنحُ نحوَ الحروبِ والدَّمارِ، متى ستتعلَّمُ هذهِ الدُّولُ أنَّ بناءَ الدَّولةِ يقومُ على بناءِ المؤسَّساتِ الدِّيمقراطيّةِ وتطبّقُ هكذا مؤسَّساتٍ؟

فعلا وللأسف ما وصلت إليه الدول العربية من ضياع رغم أنّ العالم العربي والإسلامي كان متماسكاً ومتطوّراً في أوج الحضارة الإسلامية في الأندلس، التي تعتبر أكبر حضارة عرفت تطوّر في العلوم والطب والفلسفة والأدب والعمران، حيث ذكر العالم الكبير العربي مؤسس علم الاجتماع عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه الضخم المقدمة، (أنّه أعطى اهتماماً كبيراً للدولة وجعلها من المواضيع التي اعتنى بها ابن خلدون ببحثها اعتناءً كبيرًا، لقد خصَّص ما يقرب من ثلث المقدمة لهذا البحث؛ فإن مباحث الباب الثالث كلّها تحوم حول «الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يَعْرِض في ذلك كلّه من الأحوال»، ومن المعلوم أن هذا الباب من أطول أبواب المقدمة؛ لأنّه يتألَّف من ثلاثة وخمسين فصلًا، تقع في ثمانية وثمانين ومائة صفحة، زِدْ على ذلك أن إثنا عشر فصلًا من فصول الباب الثاني أيضًا تمت بصلة قوية إلى أمور الدَّولة؛ لأنّها تبحث في منشأ الحكم وأُسس الملك.

ابن خلدون يعرض ويشرح في هذه الفصول الكثيرة آراءَه عن كيفيةِ تأسُّس الدولة، وتوسُّعها وتقلُّصها، وانقسامها، وانقراضها، وتطوُّرها، ويستقصي أحوالها من كلّ دور من أدوارها وكل طور من أطوارها، ويتحرَّى العوامل التي تؤثر في كلّ ذلك؛ بتفصيل وافٍ وتعمُّق كبير..) في اعتقادي هذا الخلل الذي حدث لحكام العرب هو راجع لانقسام العالم العربي إلى دويلات من طرف بريطانيا وأمريكا وفرنسا والحلفاء الّتي قسَّمت المغرب العربي الكبير، وجعلت العالم العربي يتناحر على المناصب ونهب خيرات هذه الدول التي كانت في الأمس البعيد حضارة واحدة من الشرق حتى أقصى المغرب العربي والأندلس.

ستعلمُ هذهِ الدُّولُ على أنَّ بناءَ الدَّولةِ يقومُ على بناءِ المؤسَّساتِ الدِّيمقراطيّةِ وتطبّقُ هكذا مؤسَّساتٍ، عندما يتَّحدون العرب، ويضعون اليد في اليد وتصبح لهم عملة واحدة وفتح الحدود والتكافؤ من أجل بناء وطن عربي موحد، حينها يمكنهم الاستقلال المعنوي والمادي وإنشاء المؤسسات وبناء المجتمع بناءً سليماً، من خلال هذا الاتِّحاد يمكنهم أن يتحرَّروا من السيطرة والهيمنة الغربية على حياتهم، واقتصادهم الّذي لا يريدونه أن ينهض.

7) جاءَتِ الأديانُ كلُّ الأديانِ، لتقويمِ سلوكِ وأخلاقِ البشرِ، ولإرساءِ أُسُسِ العدالةِ والمساواةِ بينِ البشرِ، لكنْ واقعُ الحالِ نجدُ انشراخاً عميقاً بينَ المذاهبِ عبرَ الدِّينِ الواحدِ، وصراعاتٍ مميتةً بينَ الأديانِ، إلى متى سيبقى هذا الصِّراعُ والتَّناحرُ مفتوحاً بينَ المذاهبِ والأديانِ؟

للأسف هذه الصِّراعات تزداد حدّة بين الديانات والأكثر تعقيدا بين الدين الواحد وهو الإسلام، الذي أتى منذ 1446هـ، رغم ما نزله الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، على النبي محمد عليه السلام، فيه الكثير من العلم والحكم والعدالة بين النّاس والسلام والأمن والمساواة، إلَّا أنّ بعض علماء الإسلام للأسف كانوا يفسرون القرآن حسب أهوائهم، لذلك تجدهم يفسروا الآيات كما يتناسب مع حياتهم، ولم يتطرقون إلى قيمة العلم الذي أتى به القرآن الكريم للإنسانية، خاصة حقوق المرأة التي كرمها القرآن، رغم ذلك تعرضت طيلة هذه القرون إلى أبشع المعاملات السيئة من طرف بعض الرجال العربية المسلمين، فقد قال أبو بكر الصديق، أول الخلفاء الراشدين، في وصيته الشهيرة لأسامة بن زيد قائد جيوشه: "يا أيّها النّاس، قفوا أوصيكم بعشر فحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نحلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تغلل (على سبيل المثال لا اختلاس لغنائم الحرب)، ولا تجبن وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له."

8). سُمِّيَ القرنُ التّاسعِ عشر بعصرِ القوميّاتِ، نحنُ في بدايةِ القرنِ الحاديِ والعشرينِ، ومانزالُ نتخبّطُ بالحقوقِ القوميّةِ وحقوقِ الأقلّياتِ، إلى متى سنظلُّ نتصارعُ كأنَّنا في غابةٍ متوحِّشةٍ، لماذا لا نركّزُ على بناءِ الإنسانِ وتأمينِ حقوقِ المواطنِ القوميّةِ والمذهبيّةِ والدِّينيّةِ بعيداً عَنْ لغةِ العنفِ والعنفِ المضادِّ؟!

للأسف الشديد غُيِّبَتْ فعالية الحوار المسالم بين الأمم والشعوب والحضارات، بحيث تجد كلٌّ يسعى إلى بسط هيمنته ونفوذه وإيديولوجيته ومذهبه وعقيدته على الآخرين دون أدنى احترام لفكر وثقافة الطرف الآخر، ونجد هذا كأبسط مثال داخل أفراد الأسرة الواحدة، فما بالك بين الدول التي تسعى أغلبها إلى تفعيل إيديولوجياتها باحتكار ذهني شديد للغاية، للأسف لم نعد قادرين على استيعاب الأقليات أو القوميات العرقية والمذهبية والطائفية والدينية لا لشيء سوى أنّ مقاييس الرأي ومعاييره مختلفة، فكلٌّ واحد يريد أن يدير العالم والمجتمعات حسب توجيهاته الشخصية تحت شعار "أنا ومن ورائي الطوفان"، على ما يبدو أنّ الزمن كلما

تسارع وتسابق، زادت حدّة الجدال، فلا دخل للقرن التاسع عشر أو العشرين أو الواحد والعشرين، قد تغيّرت الذهنيات واتجهت لتنصبَّ حول المصلحة لا غير، ونستدلّ بقول المناضل التحرري الهندي ماهاتما غاندي عندما قال: "قد لا نكون أبدا أقوياء بما يكفي لنكون غير عنيفين تماما في الفكر والكلام والفعل, ولكن يجب أن نبقي اللاعنف هدفنا وأن نحرز تقدّماً قويا نحوه.".

9). تحاولُ الدُّولُ العظمى أنْ تنشبَ حروباً في الدُّولِ النَّاميةِ كي تصنعَ حروباً، فتعيشَ الدُّولُ المتقدِّمةُ على حسابِ المزيدِ مِنَ التّعاسةِ في الدُّولِ النَّاميةِ، إلى متى ستبقى هذهِ المعادلةُ المخرومةُ قائمةً في أبجدياتِ سياساتِ بعضِ الدُّولِ الكبرى؟

ممَا لا شك فيه أنّ السيطرة الحالية في زمن العولمة والحروب، هي السيطرة تحت شعار" القوي يأكل الضعيف" كما أنّ معايير الجبروت والتحكّم هي معايير ليست إنسانية أو ثقافية أو دينية بل معايير برغماتية عسكرية أو دعنا نقول نووية بالدرجة الأولى، فالدول المنتجة والمصنعة للعتاد العسكري والأسلحة على حداثتها هي الدول الفاعلة و قوانينها الطاغية تسري على الجميع دون وجه حق؛ حيث تسعى الدول المتقدّمة بسطَ كافة نفوذها على الدول الفقيرة وتركها تتخبط في أزمات أقل ما يقال عنها أنّها صنيعة الدول المتقدمة وذلك لتسهيل تنفيذ مخطَّطاتها داخل الحيّز الجغرافي لهذه الدول دون معارض ودون حسيب أو رقيب، على ما يبدو ستبقى هذه المعادلة الجهنَّمية قائمة وسارية المفعول مادامت الدول الفقيرة تقبع في دوامة السعي إلى الاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي لا غير، والجدير بالذكر أنّ الدول المتقدمة تزرع فكرها السلبي على الدول النامية الضعيفة لتبقى تحت رداء قوانينها وإيديولوجياتها وثقافاتها التي لا تمتُّ بأية صلة للدول الأخرى خاصة الإسلامية، فبالتالي إن أرادت الدول النامية قطع هيمنة الدول المتقدمة عليها أن تدركَ بأنّ القوة تبدأ بجعل المجتمع الداخلي يقرّر مصيره بنفسه، متحرر لا تفرقه ولا تفككه ولا تغريه السيطرة الغربية المزيّفة، بحيث "تبقى الحرب تجسيد للكراهية وانتصار لثقافة الموت والنهب والإبادة الجماعية."

10. الإنسانُ هو المهمُّ، هو جوهرُ الحياةِ، وهوَ العقلُ المدبّرُ لقيادةِ الكونِ، مَعَ هذا لا أراهُ مُهمَّاً في برامجِ الكثيرِ مِنْ دولِ العالمِ، لماذا لا يتمُّ التَّركيزُ على بناءِ إنسانٍ خيّرٍ وحكيمٍ ومحبٍّ للسلامِ والعدالةِ وبناءِ الأوطانِ؟

الإنسان المسالم يقلقُ أصحاب الشأن والمناصب، لأنّه ببساطة يُخفق مخططاتهم وقراراتهم التعسفية والتي تنصبُّ من منظور ذاتي لا غير، كما أنّ الإنسان المسالم يسعى إلى تحقيق العدل والمساواة بين الجميع بحكمة وبدون أية ضغوطات أو وصايا من أحد أو من أجل أحد؛ فمن الملاحظ أنّ البرامج المسيطرة على العالم وشعوبه برامج تخدم جهة على حساب الأخرى، بحيث نجد أنّ المنظمات والمؤسسات والمجالس والجمعيات العالمية تدعو في منظورها الظاهري إلى رسخ مبادئ الإنسانية والعدل والديمقراطية ولكن اتضح إلى الجميع أنّ مبدأ المصلحة والسيطرة والحفاظ على البقاء في أعلى الهرم هي التركيبة الفعلية لهذه

المؤسّسات العالمية الفاعلة، كما أنّ لحداثة التكنولوجيا دور كبير في دحض مجهودات الإنسان بحيث نجد وكأبسط مثال الشركات العمالية تسعى إلى توظيف الذكاء الاصطناعي والروبوتات أي الإنسان الآلي، والآلات بدل الإنسان الذي غُيّب دوره في أبسط ميادين الحياة وعن السلام قيل"عندما يكون مجتمعنا في سلام، يمكنه مشاركة هذا السلام مع المجتمعات المجاورة، وهكذا".

11). عجباً أرى، كيفَ لا يفهمُ المتصارعونَ والمتحاربونَ أنَّ لا منتصرَ في الحروبِ، حتَّى المنتصرُ هو منتصرٌ على حسابِ جماجمِ الآخرينَ؟ نحنُ بحاجةٍ أنْ ننصرَ قيمَ الخيرِ والعدالةِ ونحقّقَ الدّيمقراطيّةَ والمساواةَ للجميعِ مِنْ دونِ هدرِ الدّماء؟

على ما يبدو أنّ الثنائية الضدية بين الخير والشر قائمة منذ أن خلقت البشرية، فأنانية قابيل وصراعه الوجودي بالنسبة له قد كلفه قتل أخيه هابيل بجمجمة حيوان بهيمي، لا لشيء سوى الرغبة الجامحة في الانتصار وإعلاء سلطته أمام أقرب الناس إليه، ومنذ ذلك الحين أصبح موت الأجسام وانصهارها إلى جثث أمر يسهل على الأغلبية كشربة ماء تسللت إلى العروق وأحدثت مخلفات سيكولوجية لم يعر لها اهتمام البتة، كما أنّ هيستيريا السلطة والانتصار حتى على حساب خسارة الجميع أصبحت موضة هذا العصر، المهم والأهم أنّ الأنا يعلو مهما كلّف الأمر، كما أنّ من يصدح بقيم الخير والعدالة وتحقيق الديمقراطية والمساواة للجميع تجده يطبق هذه المفاهيم الكلاسيكية بعيداً عن بوتقة منصبه وحيزه النفسي، فلجوؤه المتسلّط للحفاظ على بقائه الحياتي في مكانه المسيّج والمكهرب على أي دخيل كان يدفعه لارتكاب الجرائم وسفك المزيد والمزيد من الدماء، فقط من أجل ضمان بقائه في ذلك المكان الوجاهي.

وقال الله عز وجل في كتابه العزيز في سورة الإسراء الآية (11) (خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولًا) صدق الله العظيم، أي يدير الحياة بين يديه، وكلّ شيء سهل، وكل ما حقَّق حلم، يسعى لتحقيق حلم أو عمل آخر حتى على حساب أخيه الإنسان، لذلك منذ خلق الإنسان وهو في صراع مع أخيه الإنسان، الحروب التي شهدتها الأرض عبر العصور، كانت من أجل السلطة والمال وبسط القوة على الأرض، وقامت حضارات على حساب حضارات أخرى وسقطت حضارات وصعدت حضارات أخرى، الخاسر الوحيد هي الروح البشرية، حيث شهدت القرون الوسطى أبشع الحروب والقتل، خاصة الحروب الدينية، كالحروب الصليبية في أوروبا، التي وصلت إلى جرائم لا يتصوّرها العقل.

12). أبحثُ عَنْ إنسانٍ حكيمٍ، عاقلٍ، جانحٍ نحوَ السَّلامِ، خيّرٍ يقودُ البلادَ إلى دِفءِ الوئامِ، متى سنرى قائداً بهذهِ الحيثيّاتِ، يقودُ البلادَ إلى أبهى واحاتِ الأمانِ والسَّلامِ؟

لا اعتقد أنّ هناك قائد عاقل يقود الإنسانية نحو السلام، وإن وُجد يحارب من طرف الغرب، لأنهّم ويا للأسف بعد هذه الأكاذيب الوهمية التي عشناها من حيل الأمم المتحدة التي تسعى لزرع السلام ووضعت

قوانين تحمي الإنسان والإنسانية، وقد اكتشفنا أكذوبة كبيرة خيّبوا لنا أمالنا، بأنّ تلك القرارات الأمميّة، لحماية الإنسان وضعت لهم وعلى مقاسهم، ولا يطبّقونها إلّا عليهم، ولا تعنينا نحن دول العالم الثالث الذي هم من صنعوه بالحروب الدامية التي تركتنا نتخلف، وهم من استفادوا من ثروات إفريقيا وآسيا، وجعلونا نتخبّط في التخلّف، والقيود التي تطبقها الأمم المتّحدة باسم السّلم والسَّلام، الّذي ليس له وجود، إلّا في الشّعارات الّتي يضحكون بها علينا.

لكي نرى قائداً بحيثيات السَّلام والحنكة والقوَّة، لا بدَّ أنْ نقطعَ كلَّ ما يتعلّقُ بأمريكا وأوروبا، هذه التَّبعيّة الّتي شلّت أفكارنا وتركتنا نتخلّف، وننتظر في أوامرهم الّتي تُطبّق علينا، ونعتمد على الاقتصاد الذّاتي للوطن، ونعرف قيمة هذا الوطن العربي الذي موقعه استراتيجي وفي باطن أرضه خيرات لا تعد ولا تحصى، يجب أن نتخذ نهج الصين التي تطوّرت بشكل رهيب بدون الحاجة إلى التبعية الأمريكية وحلفائها.

14). الإنسانُ حيوانٌ اجتماعيٌّ بالطَّبعِ، أنا لا أرى فيهِ هذهِ الرُّوحَ الاجتماعيّةَ، بَلْ أرى فيهِ جنوحاً نحوَ البوهيميّةِ والغرائزيّةِ، كيفَ يمكنُ أنْ ننقّيَ هذا النُّزوعَ البوهيميَّ وننمّيَ فيهِ إنسانيّةَ الإنسانِ؟!

أبسط ما يمكن قوله هو أنّ الإنسان أصبح نسخة مقلدة وتابع نكر لسيّده حتى وإن كان على خطأ جسيم، وللأسف بما أنّ الراعي أصبح ذو توجّه غرائزي بهيمي تجد أنّ الرعية تقلّد وتجسّد هذه القدوة في كلّ تصرفاتها وتوجُّهاتها فداءُ البهيميّة ينتقل إلى القطيع لا محالة .

15). كيفَ تنسُجينَ خيوطَ بحوثِكِ ونصوصِكِ، وتُترجمي أفكارَكِ الإبداعيّةِ وأنتِ غائصةٌ في لجَّةِ الأحزانِ المتفاقمةِ في هذا الزَّمنِ المفخَّخِ بالتَّوهانِ عَنِ الهدفِ، أمْ أنَّكِ تزدادينَ ألقاً وعمقاً في صياغةِ أفكارِكِ رغمَ انشراخاتِ هذا الزّمانِ؟

لا بدّ لنا نحن الأدباء والمذيعين والصحفيين أن نواصل الكفاح بالقلم والأفكار، والكتابة، لأنّه عبء ثقيل جداً علينا أنّنا نبقى مكتوفي الأيدي ونتفرّج على هذه الأحداث الأليمة التي مرّ بها العالم العربي، من انفكاك شرخ في البنية التحتية وهي العروبة التي كانت في وقت مضى يخشاها الغرب لأنّها كانت متحدّة وقوية، عندما كانوا يقودونها رجال زعماء، اعتقد أنّ الشيء الذي يتركني أقوم وابحث وأكتب هو أصلي وانتمائي للجزائر العظيمة بلد الشهداء والنضال، ولأنّني ابنة شهيد وحفيدة عالم من علماء الفقه والعلوم والعدالة حيث جدّي العالم والفقيه ورجل الإصلاح المنور مليزي كان قاضياً أيضاً يطبّق القانون والعدالة على الشعب الجزائري، هذا الافتخار يتركني أواصل هذا المشوار الصَّعب رغم الوجع الذي ينخر الأمة العربية، حتى لا يقولون عنا الأجيال القادمة لم نكتب عن أصعب مرحلة كان فيها الانحطاط العربي متفشّياً.

16). لا أرى أهدافاً عظيمةً ممَّا يهدفُ إليها إنسانُ اليومِ، غالباً ما تكونُ أهدافاً عقيمةً مِنْ حيثُ فائدتُها للمجتمعِ البشري، إلى متى سيغوصُ في ترّهاتِ الحياةِ، تاركاً أسمى الأهدافِ بعيدةً عَنْ نُصْبِ عينيهِ؟

حقيقة واقعنا المرير، سببه عزل العقول عن الأهداف التي خُلقت من أجلها، الارتقاء والعلو والسمو أصبح في امتلاك قارورة غاز بوتان، أو شراء عدد كبير من أرغفة الخبز، شراء ما يزيد عن خمس رتل من الحليب المقنن، أمّا معجزة الارتقاء وتحقيق الأهداف هي كسب سيارة مستوردة طبعا، امتلاك مفتاح شقة ذات الثلاث غرف، تأسيس أسرة تنجب أكبر عدد ممكن من الأطفال، هذا واقعنا وأُجبرنا على الرّضوخ لقواعده، كما أنّ الإنسان ذو العقل المدبّر والراجح الساعي للتخطيط والتنفيذ أصبح مقزماً لا يسلّطون الضوء لا على خططه ولا على انجازاته ولا على تحدّياته ولكن عندما يموت ينظِّمون له موكباً جنائزيّاً عالميَّاً.

17). ما هوَ دورُكِ مبدعةً، مثقَّفةً، مفكّرةً عندما ترينَ الإنسانَ يقتلُ بني جنسِهِ بقلبٍ باردٍ، مِنْ دونِ أنْ يرمشَ لَهُ جفنٌ؟

اعتقد أنّ الأديب والمبدع والصحفي هو إنسان حساس جدّا لهذه الجرائم التي ترتكب في حق أشخاص أبرياء لا ذنب لهم سوى أنّهم يريدون الاستقلال، وتحرير أوطانهم، من ظلم وبشع المستعمر الغاشم الذي اغتصب أرضهم وحريتهم، أعتقد أنّ الأديب يتألَّم أكثر لأنّه ليس له أيَّةُ حيلة للدفاع عن هذه الشعوب سوى الكتابة والإبداع ورفض هذه الحرب عن طريق مقالاته وقصائده الجريحة التي تكتب أحيانا بالدم، لأنّ الكلمة قوية كالرصاص تغيّر الذهنيات وتقلق أفكار المستعمر، بدون أن تهدم البنية التحتية للمجتمع، لذلك واجب علينا أن نكتب ونكتب الآلام والجراح التي تؤلمنا في صمت رهيب أمام صمت العرب الذين خذلونا، وقد اكتشفنا وتأكدنا أن قوانين الأمم المتحدة من أجل زرع السلم والسلام في العالم صنعت من أجلهم فقط، ولم تكن تطبق سلميَّاً على شعوب العالم الثَّالث والعالم العربي، لذلك لا بدّ للعالمِ العربي أنْ يتّحدَ ويشكِّلَ قوانينه الخاصّة تدافع عن حقوقه بنفسه.

18). كيفَ يمكنُ أنْ ننقذَ فقراءَ وأطفالَ هذا العالمِ مِنَ الخرابِ والفقرِ والقحطِ الَّذي بدأَ يستفحلُ في الكثيرِ مِنْ دولِ العالمِ؟!

اعتقد أنّ سبب الفقر الذي عمّ بعض القارات الغنيّة بالمواد الطبيعة التي تخرج من باطن أرضها، نتحدّث بالخصوص عن القارة الإفريقية، سببه الحروب وخاصة الحرب والمستعمرات التي قسمت غنيمتها بريطانيا وفرنسا والبرتغال هؤلاء الدول الأكثر من استفادوا من هذه الدولة التي هي اليوم تعيش في الفقر والتخلّف والحرمان، حيث إذا رجعنا إلى التاريخ نجد أنّ بريطانيا وفرنسا قسموا إفريقيا إلى شطرين، واحتلوا مدنها التي تنبت ذهباً، الشطر الغربي احتلته فرنسا ومن بينها الجزائر التي بنت بخيراتها باريس، والشطر الشرقي احتلَّته بريطانيا، وهكذا زرعوا التخلّف والفقر وقيدوا هذه الدول من التطوّر، حتَّى بعدما منحوها الاستقلال بقيت تحت سيطرتهم وتأخذ المعادن الثمينة وتبني بها دولها وتطوّرها بخيرات إفريقيا وآسيا، وتركت هذه

الدُّول فقيرة، تتخبَّط في مشاكل عويصة وأمراض وأوبئة. لأجل إنقاذ هذه الدول وجبَ عليها التحرّر الكلّي من الهيمنة الَّتي تسيطر عليها الدول الأوروبية، والتَّعاون فيما بينها من أجل خلق حقوق تخص هذه الدول كما يقال عنها دول العالم الثالث أو دول العالم في طريق النمو، هذه التسمية الَّتي تركتنا ننتظر متى ننهض بالتَّنمية في هذه البلدان خاصة إفريقيا والشرق الأوسط، ونبقى نحلم متى نصل إلى النمو الكامل، بينما هذه الدول تملك المفاتح السحرية من أجل التطوّر وأفضل بكثير من دول العالم المتطوّر، حيث وجب عليها الاستقلال الذاتي في كلّ المجالات، واستغلال ثرواتها بنفسها، والنهوض بقطاع الصناعة والزراعة من أجل الاكتفاء الذاتي لشعوبها، مثلما فعلت بعض الدول الإفريقية التي تطوّرت وتقدّمت بشكل كبير واعتمدت على ثرواتها، كما تفعل اليوم الجزائر التي ضربت فرنسا بصفعة قوية في مجال منع استيراد المواد الفرنسية، واستطاعت هي التي تصدّر إنتاجها إلى فرنسا والدول الأوروبية وحتَّى إلى أمريكا.

20). لو قامَ كلُّ إنسانٍ بأعمالِ الخيرِ والسَّلامِ والمحبّةِ لتحقَّقَ السَّلامُ كتحصيلِ حاصلٍ، ما هوَ دورُكِ في تحقيقِ هذهِ الفكرةِ؟

لو ينهض العالم كلّه ويتفرغ من أجل فعل الخير ونشر المحبّة والسَّلام على وجه الأرض، سيعم التعادل بين الشعوب، وتنتعش الأرض بالسلم والمحبة، أكيد سيكون دوري قوي من أجل نشر المحبة والسلام وتوعية الناس من أجل مساعدة الفقراء ونشر بينهم المحبّة والسَّلام.

23). ما هي أفضلُ الطُّرقِ لخلقِ رؤى تنويريّةٍ، ديمقراطيّةٍ، تقدميّةٍ في العالمِ العربيّ والدُّولِ النَّاميةِ في العالمِ، لتحقيقِ السَّلامِ والاستقرارِ، بعيداً عَنْ لغةِ الحروبِ المميتةِ الَّتي دمَّرَتْ وتدمِّرُ كلَّ الأطرافِ المتصارعةِ؟

لتحقيق السَّلام داخل حدود الدُّول العربية خاصة وعند الدُّول النامية بصفة عامة وجب علينا توحيد الصفوف والرؤى، وذلك باجتناب التفرقة والصراع والتخاصم، بين الحاكم والمحكوم، وبين الطبقات العاملة الكادحة والطبقات المسؤولة عليها، ويتم هذا بتسخير هيئات فاعلة لتنوير الرأي العام وتوجيهه والعمل على حلحلةِ مشاكله الاجتماعيّة والنَّفسيّة والاقتصاديةِ على اختلاف الأصعدة، وتحطيم كل أشكال العطالة والجمود الذهني، وهذا ما وضَّحه المناضل التحرّري ورئيس دولة جنوب إفريقيا سابقاً الزعيم **(نيلسون مانديلَّا)** عندما قال: "من السهل أن تكسّر وتدمّر ولكن الأبطال هم أولئك الذين يبنون ويصنعون السلام".

24). ما رأيُكِ بإلغاءِ وإغلاقِ معاملِ السِّلاحِ في العالمِ، والوقوفِ ضدَّ صنَّاعِ الحروبِ والفكرِ القائمِ على الصِّراعاتِ، ومعاقبةِ كلِّ مَنْ يقفُ ضدَّ السَّلامِ، لتحقيقِ السَّلامِ بقوّةِ القانونِ العالمي، وذلكَ بمحاسبةِ الجانحينَ نحوَ الحروبِ ودمارِ الأوطانِ؟

من المعلوم أنّ القانون الدَّولي قد فرض منذ عهود من الزّمن قوانين وقواعد صارمة ضد من شنَّ الحروب ومن خرق اتفاقيات السّلام الدَّولي، وقنّن ملاحقة المسؤولين عن الانتهاكات اللانسانية التي خلّفت آثاراً

جسيمة على الإنسان والممتلكات والطبيعة ووصف الفاعلين بالمجرمين وتندرج هذه المخالفات باسم "جرائم حرب"، ولكن للأسف الشديد تطبيق هذا القانون على أرض الواقع ضرب من ضروب الخيال، لأنّ المسبِّب في هذه الجرائم إن تمَّت معاقبته ستنقطع مصالح جلّ الدول، وتنتهي بذلك ارتباطاتها الاقتصادية مع حلفائه، الذي نشبَ حروبا خاصة داخل الدول النامية، فإغلاق معامل السلاح في العالم ضرب للمصالح الاقتصادية للدول الفاعلة فبالتالي تكتل الدول المسيطرة تعاقب، لا بل تحارب كل من يريد خرق اتفاقيات سلامتها الاقتصادية لا غير، ولكن إذا سرى القانون الدولي على الجميع دون محاباة أو استثناءات فمن المؤكد أن تجارة السلاح واستخدامه بدون أي وجه حق ستتناقص حدّته بين الدول، فقد جاء في كتاب "فن الحرب" للمؤلفة صن تزو قولها بخصوص هذا الموضوع أنّ "النصر الأعظم هو ذلك الذي لا يتطلب قتالاً".

25). أَلَا ترينَ أَنَّهُ آنَ الأوانُ لتأسيسِ "جبهةِ" سلامٍ عالميّةٍ مِنْ خلالِ تواصلِ المبدعينَ والمفكّرينَ مِنْ شتّى الاختصاصاتِ، والدَّعوةِ لتأسيسِ دستورٍ عالميٍّ عبرَ مؤسَّساتٍ وهيئاتٍ عالميّةٍ جديدةٍ، لتطبيقِ السَّلامِ عبرَ هذهِ التَّطلُّعاتِ على أرضِ الواقعِ؟

فعلا هذه الفكرة كانت تراودني منذ زمان، أن نؤسس جبهة سلام من طرف الأدباء والمبدعين، والصحفيين، والحقوقيين في مجال الدفاع عن حرية الإنسان وسلامته، حتى نتمكّن من الدفاع عن حقوقنا وحقوق الإنسان المهضومة وحريته المغتصبة من طرف الغرب، خاصة ما نعانيه نحن في العالم العربي، من تشتت وتشرذم، وتفكيك للعواطف ومصلحة العروبة التي كانت تجمعنا، وهذه الحرب كانت مقصود من أجل شرخ الأمة العربية، والتفرقة بينها كمثيلتها في الحرب العالمية الثانية شعار (فرق تسد)، وقسَّموا العرب إلى دويلات، كالمغرب العربي الكبير الذي كان القوى الخارقة في البحر الأبيض المتوسط، خاصة من حيث قوة الأسطول البحري الجزائري الذي كان أقوى أسطول بحري في العالم، والقوَّة التي كانت تحمي العرب والكلّ يهابه، وأيضا من حيث الجامعات والعلم في بجاية وتلمسان بالنسبة للجزائر، وجامع الزيتونة والقيروان في تونس وفاس بالمغرب، قامت فرنسا بتقسيم هذا المغرب العربي الكبير إلى دويلات وخلق فيما بينهم عداوة كبيرة، لا ننسى أن بريطانيا هي التي قسمت الخليج العربي أو شبه الجزيرة العربية إلى دويلات، حتى تتمكَّن من التحكّم فيها كما تريد. أعود إلى سؤالك، اعتقد نحن الأدباء والمبدعين العرب استطعنا أن نتحدّ ولو بالكتابة والإبداع، من خلال التعاون فيما بيننا في طبع كتب جماعية تعبر عن هويتنا العربيّة وأفكارنا التي هي ضد هذا التَّخلف الذي سبَّبته لنا أمريكا وحلفاؤها، أكيد نستطيع أن نتَّحد ونؤسِّس هيئات عالميّة من أجل حقوق الإنسان العربي ومن أجل نشر السلام والسلم في هذا العالم، لو تتحد حكومات العالم العربي أيضاً.

الجزائر: أكتوبر/ تشرين الثاني 2024 م

سليمة الملّيزي

كاتبة وقاصة جزائريّة

ألفيّة القس جوزيف إيليّا

صورٌ ومشاهدُ من حياتي



القس جوزيف إيليّا

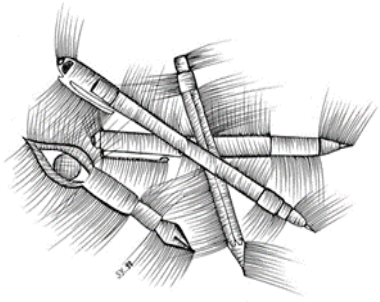

استهلال

مدخل إلى ألفيّة الشّاعر القس جوزيف إيليا

يكتبُ الشَّاعر القس "جوزيف إيليّا" نصّاً شعريّاً خلّاقاً، يتمحورُ حول السّلام والمحبّة وإنسانيَة الإنسان، والعديد من مواضيعِ الحياةِ المتجدّدةِ بمختلفِ تنوّعاتها ومراميها الرّحبة، لما في بنائِهِ الفنّي من تحليقات تنويريّة ولغة حداثويّة بديعة، تكادُ تضاهي الكثير من قصائد النّثر في حداثتِها من حيثُ الرُّؤية والبناء الفنّي أيضاً، لأنّ فضاءات قصيدة الشّاعر جوزيف إيليّا تتميّزُ بالتَّجدُّدِ والسّلاسةِ والسُّهولةِ والعمقِ والصّورِ المبتكرةِ برشاقةٍ مبهرةٍ في صياغةِ إيقاعاتها الفنّيَة الرّهيفة. وآخر قصيدة كتبها تضمّنتْ ألفَ بيتٍ وبيتٍ شعريٍّ، أطلقَ عليها: "ألفيّة القس جوزيف إيليّا"، كتبَ قوافيها بحسب تسلسل الحروف الأبجديّة، من الألف إلى الياء وكذلك الهمزة، وتناولَ عبر هذه الألفيّة مئات المواضيع والأفكار والمناسبات، وتعتبرُ هذه الألفيّة من أبرعِ ما كتبه شعراء قصيدة الوزن في الوقت الرّاهن وربّما في أوقاتٍ سابقة أيضاً، من حيث فرادة طرحها وكيفية تبويبها وتنسيقها وعرضها عبر ايقاع متسلسل، لما في هذا النَّص من فضاءاتٍ فسيحة، حلَّقَ عبرَها الشّاعر عالياً، وكأنّهُ يريدُ معانقةَ صفاءِ السَّماءِ وحبورِ إشراقةِ الشَّمسِ، لما في عوالمِهِ من تجلّياتٍ رهيفةٍ وخلّاقة.

تُشبه هذه القصيدة البانوراميّة خميلة معبَّقة بالكثير من الأفكار المتعانقة مع عبيرِ الأزاهير، وكأنّه في حالة ابتهال مفتوح مع جموحات خياله وذكرياته وحياته وعالمه وبوحه الممتد منذ عوالم الطّفولة حتّى الوقت الرّاهن، حيث جاءت هذه التّجربة زاخرة بتجارب حياتيّة عديدة مرّت في منعرجات محطّات حياة الشّاعر، فترجم الكثير من المواقف والأحداث عبر صياغات شعريّة برؤية وجدانيّة عاطفيّة حنينية إنسانيّة راقية، فلم يترك شيئاً إلّا وكتب عنه، إلى درجة نشعر وكأنّه لخّص لنا سيرته الذّاتيّة، وتطلعات آفاقه الإبداعيّة عبر مماحكات شعريّة وخياليّة وحنينيّة وحلميّة باذخة، فقد أدخل فضاءاته الحياتيّة عبر اشراقاته الشّعريّة بانبعاثات حلميّة منسابة بتدفّقات في غاية البهجة والابتهال!

الشَّاعر القس جوزيف إيليا شاعر مسكون بالطّفولة والحبِّ والسّلام ومجنّح نحوَ أزهى ما في إنسانيّة الإنسان من إشراقاتٍ شفيفة، فهو شاعر إنساني بامتياز، تحمل رؤاه آفاقاً رائدة في تجسيد الحداثة الشّعريّة والفكر التّنويري عبر كافّة الأحداث والمواقف والمناسبات الّتي تولد عنده على مدى انبعاث مسارات بوح القصيدة.

ستوكهولم: 2024

صبري يوسف



تمهيد

ما إنْ خطرت لي فكرة كتابة قصيدةٍ طويلةٍ يتجاوز عدد أبياتها الألف حتّى وجدتني أسيرًا لها ومحلِّقًا في أجوائها مسرعًا لاستيلادها على الورق، وما انقضى شهرٌ على بروز الفكرة حتّى كانت مكتملةً منتهيةً، ورحت بعدها أبحث عن عنوانٍ يناسبها فكان:

"ألفيّة القس جوزيف إيليا

صورٌ ومشاهدُ من حياته"

ولقد نظمتها على بحرٍ شِعريٍّ واحدٍ هو "الرّجَز التّامّ" منوّعًا في قوافيها وفق تسلسل حروف اللّغة العربيّة مبتدئًا بالألف ومختتمًا بالياء ولم أغفل الهمزة.

وقد حاولت من خلالها الوقوف عند بعض الأحداث الاجتماعيّة والسّياسيّة والشّخصيّة الّتي قُيّض لي أن أعاصرها وأراها رؤية العين، لأخذ العبرة منها وتقديم ما يلزم من النّصح والإرشاد آملًا على محدوديّتي وشدّة ضعفي أن أكون قد أفلحت فيما سعيت إليه مقدِّماً مع من قدّم ومن سيقدّم للأجيال الآتية ما يجعلها أكثر وعيًا وأعظم قوّةً وأشدّ التصاقًا بما ينفعها في الدّارين.

١ – المقدّمة

(قافية الألف)

١– للرّبِّ شكري أوّلًا بما أتى إذ صاغني مِنْ عدَمٍ وقد سخا
٢– لستُ الوحيدَ عندهُ وإنّما أنا كغيري مِنْ ملايينِ الورى

٣– هناكَ مَنْ قَبْلي أتى الدّنيا ولا أعرفُهُ عاشَ بها ثمّ انتهى
٤– ومَنْ أتاها عائشًا معي وَمَنْ يأتي غدًا ممّا نهِلنا يُستقى

٥– مضى الّذي مضى ويأتي آخَرٌ والدّهرُ يبقى ثابتًا مهما جرى
٦– عاشوا كما عشنا وكانوا مثْلَنا في سعيهم للعيشِ مسرِعيْ الخُطى

٧– شادوا قصورًا شاهقاتٍ وبنوا مصانعًا وامتلكوا ما يُشتهى
٨– ومثْلَنا جاعوا وصانوا خبزَهم وصارعوا وفي أياديهم مُدى
٩– تناسلوا وعزَّزوا بقاءَهم لكنْ بسوءِ فعلِهم نالوا أذى
١٠– للحُبِّ غنَّوا ورعوا أحقادَهم جاؤوا بفكْرٍ ثمّ أهلكوا الرّؤى

١١- توحّدوا تفرّقوا تجمّعوا تشتّتوا لبعضِهم صاروا عِدى
١٢- وجمَّلوا وشوَّهوا ونوَّروا ظلماءَهم لكنّهم صانوا الدُّجى

١٣- وخيَّطوا ومزَّقوا وجرَّحوا وضمَّدوا كانوا سقامًا ودوا
١٤- تعفّفوا تنجّسوا تصبّروا تململوا مِنْ كلِّ شيءٍ قد بدا

١٥- ومثْلَنا في البحرِ قادوا سفنًا لكنَّ صيدَهم بجوفِهِ اختفى
١٦- لمجدِهم جيشَ الزّوالِ حاربوا وفي الأخيرِ أصبحوا تحت الثّرى

١٧- ماذا أقولُ؟ إنّني في خَشيةٍ مِنْ أنَّ قوليْ ذا بهِ قد يُزدرى
١٨- ولا أرى لِما شدوتُ سامعًا يصغي بأذْنِ روحِهِ لِما حوى

١٩- أعرفُ عجزيْ وجفافَ غيمتي وأنّني في السّردِ دون المستوى
٢٠- وأنّني لستُ ملاكًا طاهرًا أنوارُهُ تملأُ أرجاءَ الدُّنى

٢١- ولستُ فارسًا هُمامًا باسلًا يُسعى إليهِ في ميادينِ الوغى
٢٢- ولا أنا قاضٍ أدينُ مخطئًا ولا أرى ما ليس غيريَ رأى

٢٣- بل أنا إنسانٌ كغيري يرتجي في شهوةٍ مِنْ دهرِهِ ما يُرتجى
٢٤- أطلقتُ صوتيْ صارخًا أريدُهُ حيًّا إذا ما القبرُ جثمانيْ طوى

٢٥- أصونُهُ حُرًّا وأسعى جاهدًا كي فيهِ أدعو للنّهوضِ مَنْ غفا
٢٦- أسقي كما سُقيتُ لا أبخلُ في قولٍ وفعلٍ فيهما زرعُ النُّهى

٢٧- مصلّيًا أرجو إلهيْ طالبًا عونًا يديمُ صرختيْ للمنتهى
٢٨- ربّاهُ كنْ إذا أسأتُ غافرًا لا ترمِني قشًّا إلى جوفِ اللّظى
٢٩- هذي حياتي ها هنا سردتُها شِعرًا فسانِدْ مَنْ بشِعرِهِ روى
٣٠- مبارِكًا أجواءَ قارئٍ لها وَمَنْ إلى سماعِها قومًا دعا

٢- لا بإرادتي

(قافية الباء)

ليس جديدًا أن أقول : ما كان ولن يكون لأحدٍ أيّة إرادةٍ في توقيت ساعة ظهوره في العالم ولا في اختيار موقع مولده ولا نسبه ولا جنسه ولا عرقه ولا دينه لهذا فقد كان من الطبيعيّ وعلى غير مشيئةٍ منّي أن أولد في يومٍ معينٍ وهو الثالث عشر وفي شهرٍ محدَّدٍ وهو الثالث وفي عامٍ ما وهو الرّابع والسّتون بعد الألف والتّسعمائة وفي قريةٍ صغيرةٍ تدعى (الكاظميّة – كاني مطرب) تابعةٍ لمدينة (المالكيّة – ديريك) بمحافظة الحسكة في سوريا وأن أكون سليل عائلةٍ كبيرةٍ معروفةٍ في محيطها فجدّي لأبي هو القس "حنّا إيليا" الّذي كان شخصيّةً مرموقةً ووجيهًا معروفًا في الوسط الّذي ولد ونشأ فيه وخطيبًا مفوَّهًا وشاعرًا موهوبًا نظم الكثير من الأناشيد الدّينيّة باللّغة الكرديّة أمّا جدّي لأمّي فهو "موسى أدّه" وقد كان هو أيضًا وجيهًا معروفًا وسيّدًا مسموع الكلمة في قومه.

٣١- ولِدتُ لا برغبتي وإنّما أمّي أرادت وأرادها أبي
٣٢- في قريةٍ نائيةٍ صغيرةٍ بيوتُها طينٌ بسقفٍ خشبيْ

٣٣- وفي محيطِ أسرةٍ كبيرةٍ معروفةٍ زهتْ بطِيبِ النّسبِ
٣٤- جدّي قسيسٌ ذاعَ صِيتُهُ وقد كان حكيمًا عالِمًا بالكتبِ

٣٥- هدى إلى الإيمانِ قومًا أُثقِلوا بالشّكِّ والرّفضِ وصخرِ التّعبِ
٣٦- على لسانِ الدّهرِ ترنيماتُهُ تُتلى بلحنٍ مستساغٍ عذِبِ

٣٧- وكانَ حُرًّا لا يلينُ عزمُهُ "لا" قالها كالرّعدِ للمغتصِبِ
٣٨- وقالها: نعم لكلِّ صادقٍ ومخلصٍ مزيَّنٍ بالأدبِ

٣٩- غابَ كغيرِهِ وظلَّ مجدُهُ يلمعُ في تاريخِنا كالذّهبِ
٤٠- إذْ مَنْ سعى للخيرِ يبقى حاضرًا ليس يُزيلُهُ مرورُ الحِقَبِ

٤١- طوباكَ – جدّاهُ – وأنتَ ساكنٌ قصرَ العُلى تمشي بهِ في طربِ
٤٢- وجدّيَ الآخرُ "موسى" سيّدٌ يعرفُهُ مَنْ جاءَهُ في طلبِ

٤٣- ما ردَّ محتاجًا وكانَ حازمًا يخشاهُ مَنْ سارَ طريقَ الكذبِ
٤٤- حامى عن الأخلاقِ صدَّ فاسدًا وألقمَ الحمقى سهامَ الغضبِ

٤٥- لمْ يرتعبْ مِنْ أحدٍ وسيفُهُ كانَ على قاسٍ طغى مِنْ لهبِ
٤٦- وحقلُهُ نما لنا تلقاهُ في أمّي وأخواليْ الكرامِ النُّجُبِ

٤٧- سقيًا لهُ كم كانَ يسقي شعبَهُ خمرًا نقيًّا مِنْ دماءِ لعنبِ
٤٨- تذكرُهُ الأجيالُ فذًّا رائعًا في صحفٍ وفي كلامِ الخُطَبِ

٤٩- ماتَ صغيرًا لمْ تطُلْ أيّامُهُ وهْو يقولُ: في الأعالي لَعِبي



٣ – أراه قائمًا

(قافية الباء)

سألت مرّةً والدي "موسى إيليا ١٩١٤–٢٠٠٥" –عطّر الله قبره وأزهره ونوّره– وهو على فراش مرضه الأخير:

– أتجزع من الموت يا أبي؟

فأجابني واثقًا وظلّ ابتسامةٍ خفيفةٍ على شفتيه:

– لا يا ابني ما كنت خائفًا منه يومًا حتّى أرهبه اليوم لأنّني موقنٌ بأنّه ليس إلّا بابًا ندخل من خلاله إلى رحاب حياةٍ أبديّةٍ لطالما تقت إليها حيث لا مرض فيها ولا مشقّة ولا نهاية.

فليأتِ وينازلْني فلن يظفر منّي بغير هذا الجسد المنهَك المتهالك أمّا روح الحياة الرّاقصة فيّ فهو أعجز من أنْ يتمكّن من خنقها بيديه الغليظتين.

طبتَ مقامًا يا أبي.

فلكم كنت شجاعًا بطلًا وأنت مغادرٌ هذا العالم، ولكم لن نراك إلّا قائمًا حاضرًا كأنّك لم ترحل بعد.

٥٠– وعن أبي ماذا أقولُ؟ قد سقتْ أنهارُهُ أفواهَ حقلٍ مُجدِبِ
٥١– كان بسيطًا هادئًا مستسلمًا لواقعٍ أدخلَهُ في كُرَبِ

٥٢– أعطى لجائعٍ رغيفَهُ وعنْ معذَّبِ الفؤادِ لمْ ينحجبِ
٥٣– ما كان يملكُ الثّراءَ إنّما في خُلْقِهِ كان مثارَ العجَبِ

٥٤– مع الجميعِ كان يمشي صادقًا يسعى لإصلاحِ شقوقِ العطَبِ
٥٥– فمدَّ صحبُهُ أياديْهم لهُ غيرَ كرامِ قومِهِ لمْ يصحبِ

٥٦– ما مدَّ كفًّا لغنيٍّ جائرٍ لحقِّ مَنْ جاورَهُ منتهِبِ
٥٧– في قيظِ صحراءٍ غزتْ سهولَنا رطّبَها بظلّهِ المُرطِّبِ

٥٨– أراهُ قائمًا أمام بيتِهِ مبتسمًا كأنّهُ لمْ يغِبِ
٥٩– بلطفِهِ المعهودِ يأتي أهلَهُ مرتّلًا ترتيلةَ المُرحِّبِ
٦٠– أقوالُهُ باقيةٌ أحفظُها كأنّها مزمورُ حمدٍ لنبيْ
٦١– عاش أبيًّا لسوى إلهِهِ ما سارَ مكسورَ الخُطى والرُّكَبِ

٦٢- ولمْ يمزَّقْ ثوبُهُ مِنْ أحدٍ ومِنْ رعودِ أرعنٍ لمْ يهَبِ

٦٣- ربّاهُ جمِّلْ بيتَهُ في جنّةٍ وهبْهُ ما لمْ يرَهُ مِنْ رُتَبِ

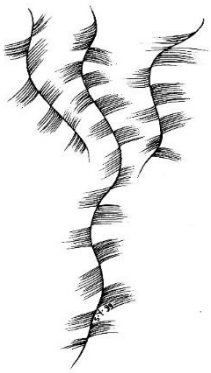

٤ – لا تبكِ أنا سأبكي عنكَ

(قافية الباء)

– إنّني واثقةٌ – يا بنيّ – بإلهي العظيم الحنّان أنّه ما دام قد أبقاني حيّةً أُصلّي من أجلكم فلن تصابوا بما تكرهون وأكره ولن يقترب أذًى من تخومكم.
هذا ما قالته لي يومًا أمّي (سارة موسى أدّه ١٩٢٧–٢٠١٨)–جعلها الرّبّ من خير ما اختار من عباده–.
آهِ يا أمّاه كم أنا بشوقٍ إليك وليتك علمت بأنّني قد كتبت هذا الجزء الخاصّ بك من ألفيّتي وأنا أتطلّع إلى صورتك والدّمع لا يفارق عينيّ حتّى أنّني ما كنت أرى ما يكتبه قلمي.

٦٤– أمّي كلامي فيكِ ليس ينتهي يا همسةَ النّهرِ بلحنٍ عجَبِ
٦٥– قلتُ وأبقى قائلًا حتّى الرّدى : ما زلتِ غيثًا هاجعًا في سُحُبي

٦٦– ولمْ أزلْ أذكرُ كيف كنتِ لي عونًا بأوطاني وفي مغتربي
٦٧– وكيف كنتِ شمعةً لظلمتي إليكِ كنتُ دائمًا في هربِ

٦٨– عندكِ ألقى كلَّ ما أضعتُهُ وليس يُغْني عنكِ بنتٌ أو صبيْ
٦٩– وكيف كنتِ صرختي إذا اختفى صوتي تقولينَ : بُنيَّ اصطخِبِ

٧٠– كنْ كالرّعودِ هاتفًا ولا تقفْ ومِنْ حدودِ ما تريدُ اقترِبِ
٧١– لا تبتئسْ واجرِ إلى ملاعبٍ تتقنُ ما ترى بها مِنْ لُعَبِ
٧٢– جئتَ لتحيا مثمرًا فعشْ كما أرجو تسيرُ أوّلًا في الموكبِ
٧٣– أنا سأبكي عنكَ لا تبكِ وقمْ مبتهجًا جدِّدْ جدارَ الخِرَبِ

٧٤– واسمعْ صلاتيْ زلزلتْ هياكلًا أملؤها دمعًا إذا لمْ تُجِبِ
٧٥– أمّاهُ بعدَكِ الحياةُ لمْ تَلِنْ ليْ وسعتْ تريدُ صفعَ مركبي

٧٦– إنّي ببيداءٍ أقيمُ خيمتيْ ونارُها تحرقُ حرقًا عُشُبي
٧٧– أحنُّ للصّدرِ الّذي كان هنا متّكأيْ يا هل تُرى يشعرُ بيْ؟

٧٨- وقد أشاحَ وجهَهُ عنّي غدي وصرتُ للّذي مضى في سَغَبِ
٧٩- أسألُ نفْسيْ: أين رقْصُ بسمتي وكيف شمسي قُيِّدتْ في المغربِ

٨٠- وكيف ثعبانُ القبورِ شلَّني فبتُّ أمشي مرهَقًا للأصعبِ؟
٨١- يخنقُني ليلي وقد كان معي يومًا يدًا تقودُني للأرحبِ

٨٢- أمّاهُ أنهكتْ خيوليْ حربُها ورملُ ما أخشى ارتمى في هُدُبي
٨٣- يديْ أمدُّها إليكِ طالبًا: مِنْ عالميْ المطحونِ لا تنسحبي

٨٤- ولْتسْكني منازلًا ضوئيّةً تنسيكِ أكواخًا بأرضِ الرّيَبِ

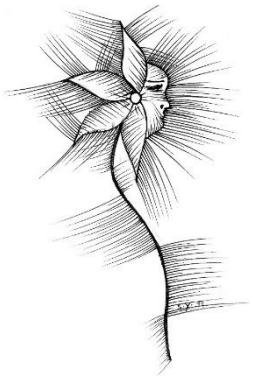

٥- ما أجمل الأخوّة

(قافية التّاء)

أن يكون لديك إخوةٌ متحابّون متعاونون متعاضدون لا يتشاحنون فهذه نعمةٌ لا تعادلها نعمةٌ وبركةٌ تفوق في غناها كلّ بركةٍ أخرى. وإنّني لأغبط نفسي كثيرًا بأنّ لي مثل هذا النوع من الإخوة الرّائعين المتميّزين وهم من الأكبر إلى الأصغر : " بهيّة وبهيج ونعيم وأديب وأندريه وزهير وأنا وأنديرا ونوال وفلنتينا"

٨٥- ما أجملَ الأُخوّةَ الّتي بها تُعطى الحياةُ نغمةً لا تصمتُ
٨٦- فننتشي بلحنِها يملؤنا روحًا بها كلَّ الهمومِ نكبِتُ

٨٧- وحقلُنا يغدو نضيرًا مثمرًا فيهِ زهورٌ مِنْ نقاءٍ تنبُتُ
٨٨- بالضّوءِ ترسمُ الوجوهَ لوحةً جميلةً ألوانُها لا تبهَتُ

٨٩- ديارُنا مِنْ دونِها قاحلةٌ وكلُّ ما فيها سقيمٌ ميّتُ
٩٠- وريحُنا مِنْ غيرِها مشلولةٌ ومِنْ أيادينا الأمورُ تُفلِتُ

٩١- وتهتري أثوابُنا فلا نرى عند اشتدادِ البرْدِ ما يثبّتُ
٩٢- أكرِمْ بها مِنْ صلةٍ تُدخِلُنا لعالَمٍ فيهِ الحروبَ نمقُتُ

٩٣- وفيهِ يصبحُ الهناءُ خبزَنا ودربُنا بالقُبْحِ لا يُزَفَّتُ
٩٤- نسبحُ في أنهارِ جنّاتٍ ومِنْ صخورِ حُبٍّ ما يفيدُ ننحتُ

٩٥- ربّاهُ صُنْ ليْ إخوتي مِنَ البِلى واجعلْ بهم غناءهم لا يخفُتُ
٩٦- فإنّهم ليْ سنَدٌ إذا قسا عليَّ دهرٌ عن خلاصي يسكتُ

٦- عنكَ ثغرُها يحدِّثُ

(قافية الثاء)

إنّ أولى العبارات الشِّعريّة الّتي عرفتها البشريّة هي تلك الّتي أنشدها أبونا "آدم" لزوجته أمّنا "حوّاء" إذ يذكر الكتاب المقدّس في تكوين٢: ٢١ – ٢٣ أنّه حينما "أوقع الرّبُّ الإله سباتًا على آدم فنام فأخذ واحدةً من أضلاعه وملأ مكانها لحمًا وبنى الرّبُّ الإله الضّلع الّتي أخذها من آدم امرأةً وأحضرها إلى آدم فقال آدم: هذه الآن عظمٌ من عظامي ولحمٌ من لحمي هذه تدعى امرأةً لأنّها من امرءٍ أُخذتْ".
في الثّالث والعشرين من شهر نيسان لعام ألفٍ وتسعمائةٍ وثلاثةٍ وتسعين تمّ عقد قراني على السّيّدة" فريال عبّود إيليا"

٩٧- إنّ الوجودَ قاحلٌ ملوَّثُ إنْ لمْ تجدْ مَنْ بكَ قد يكترثُ
٩٨- أعطاكَ ربُّكَ الودودُ زوجةً معْها بظلِّ ما تحبُّ تلبثُ

٩٩- تلقى سلامًا لا يجِفُّ نبعُه وكلَّ ما تراهُ سمًّا تنفُثُ
١٠٠- عند الصّعابِ يحتويكَ قلبُها مسرعةً في العونِ حين تلهثُ

١٠١- تجري وليست تتوانى أبدًا عمّا ينمّيكَ بصدقٍ تبحثُ
١٠٢- وإنّها لنعمةٌ مِنَ العُلى لأرضِ ما ترجو وتبغي تحرُثُ

١٠٣- إذا مرِضتَ لا تنامُ عينُها بالقربِ منكَ للصّباحِ تمكثُ
١٠٤- تعطيكَ أبناءً تميلُ نحوهم بهم نعيمًا هانئًا تؤثّثُ

١٠٥- وإنْ أتاكَ الموتُ كاتمًا فمًا عنكَ الجميعَ ثغرُها يُحدِّثُ



٧- دهرُهم لهم

(قافية الجيم)

قد قالها مرّةً "جبران" الخالد وقد صدق فيما قال :
"أولادكم ليسوا لكم إنّهم أبناء الحياة"
لهذا فإنّي أضع أولادي "سوداس ١٩٩٤" و "دوركاس ١٩٩٨" و "سارة ٢٠٠٤" بين يدي الحياة لتصنعهم ويصنعوها.

١٠٦- نفْسي بما أُعطيتُهُ تبتهجُ مِنْ ذكْرِ أبنائي هنا لا حرَجُ
١٠٧- "سوداسُ" "دوركاسُ" و"سارةٌ" بهم ينبتُ فوق أسطري بنفسجُ

١٠٨- في لهوهِم أرى انبعاثَ صَبْوتي وفي شراييني السّقامُ يُبعَجُ
١٠٩- ومِنْ ضياءِ وجهِهم كواكبي لبعد انحسارِ نورِها تنبلجُ

١١٠- وفي ابتسامِهم أرى ابتسامتي عادت وكلَّ ضيقةٍ تنفرجُ
١١١- يسعدُني إثمارُ حقلِهم وإنْ فازوا فصدري كلَّهُ قد أثلجوا

١١٢- وإنْ هوى حصانُهم في جريهِم صرتُ بأرضٍ فوق شوكٍ أعرُجُ
١١٣- أغفو إذا غفوا وأصحو إنْ صحوا ثوبًا لهم مِنَ الحنانِ أنسُجُ

١١٤- وإنْ أتى جيشٌ لقهرِ عزمِهم إليهِ في جندي ورمحي أخرجُ
١١٥- عاصفةً هوجاءَ أغدو فائرًا إذا دنا للنَّيلِ منهم أهوجُ

١١٦- أقودُهم لِما بهِ بنيانُهم يقوى وأعنابُ رؤاهم تنضَجُ
١١٧- أسعى لإيقاظِ ذواتِهم بهم وعن طيورِهم بسجني أُفرِجُ

١١٨- كي لا يصيروا نسخةً عنّي ولا يردّدوا ما فيهِ كنتُ ألهَجُ
١١٩- لا خيرَ في بنينَ لا نتركُهم يسعون للإصلاحِ إنْ هم عوَّجوا

١٢٠– فدهرُهم لهم وكان دهرُنا لنا كفى لدهرِهم نؤدلِجُ
١٢١– فلو تُرِكنا برُبى أجدادِنا لماتَ زهرُنا وسادَ عوسَجُ

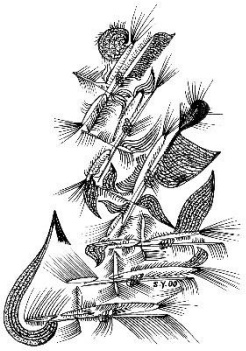

٨ – هكذا كانت طفولتي

(قافية الحاء)

حينما أرجع بذاكرتي إلى أيّام الطّفولة الّتي قضيت معظمها في قرية "الكاظميّة – كاني مطرب" وأرى كم كانت طيّبةً بهيجةً بالرّغم من افتقارها إلى أبسط الأشياء الّتي تجعل الطّفل سعيدًا أتذكّر قول رجل الهند العظيم "طاغور" :
"بعضهم يعبر الحياة كالطّفل الّذي يقلب صفحات كتابٍ مقتنعًا أنّه يقرأ فيه"

١٢٢– في قريتي ظَلِلتُ فيها أسرحُ طفلًا بما يرى ويُعطى يفرحُ
١٢٣– ما كنتُ كالأطفالِ أعدو واثبًا فقد غزا رِجليَّ سُقْمٌ يكبحُ

١٢٤– لكنّني سرتُ بما أملِكُ مِنْ عزمٍ ونيرانُ صمودي تقدحُ
١٢٥– كانت تقوّي خطوتي أمّي وفي إسنادِها كنتُ بسيري أُفلِحُ

١٢٦– أوجعتُ قلبَها كثيرًا فلكَم كانت بسيفِ ما أعاني تُجرَحُ
١٢٧– وكنتُ ألقاها تصدُّ هازئًا عنّي وليْ بابَ النّضالِ تفتحُ

١٢٨– آهٍ وآهٍ قلتُها في حسرةٍ في داخلي أكتمُها لا أُفصِحُ
١٢٩– وهكذا رحتُ أقيمُ حائطي ليلًا وفي الظُّهْرِ وحين أُصبِحُ

١٣٠– حتّى بنيتُ منزلًا مسوَّرًا فيهِ طيورُ ما أحبُّ تصدحُ
١٣١– وصرتُ أوّلًا على صحبي وفي كلِّ الأمورِ كنتُ دومًا أنجحُ

١٣٢– أقودُ قاربيْ ببحرِ عزّةٍ لغيرِ ما يرفعُني لا أجنحُ
١٣٣– لمْ أكُ طفلًا نالَ كلَّ ما بغى فطفلُنا ما كان شيئًا يُمنَحُ

١٣٤– ألعابُنا يصنعُها إبداعُنا وفي مياهِ ما يطيبُ نسبحُ
١٣٥– كان بصفٍّ واحدٍ تدريسُنا أستاذُنا شخصٌ وحيدٌ يُصلِحُ

١٣٦- ننتظرُ العطّارَ كي يأتيْ لنا في الشّهرِ مرّةً بشيءٍ يُمرِحُ
١٣٧- لا ثوبَ نهواهُ جديدًا ناعمًا إلّا بعيدٍ جاءنا يلوّحُ

١٣٨- لمْ نلقَ عطفًا مِنْ كبيرٍ حولنا فذاكَ عيبٌ وقتَها لا يُمدَحُ
١٣٩- كنّا نعاني ألمًا مِنْ جهلِهم ولمْ نكن عن غيظِنا نصرّحُ

١٤٠- ما كان أقساهُ علينا فعلُهم وما درَوا أنّا بهِ نُذبَّحُ
١٤١- بصمتِنا كنّا نلوذُ دائمًا وجرحُنا فيما نرى يُملَّحُ

١٤٢- إنّ الطّفولةَ الّتي نريدُها زيدوا هناءَها وفيها أصلِحوا
١٤٣- فلن يقامَ صرحُنا إلّا إذا قمنا وبثْنا ثوبَ جهلٍ نشلحُ

١٤٤- أطفالُنا غنًى يميتُ فقرَنا فابنُوا قُوى عقولِهم وسلِّحوا
١٤٥- حتّى نصيرَ أمّةً قويّةً مِنْ تحتِها لا يتهاوى المسرحُ

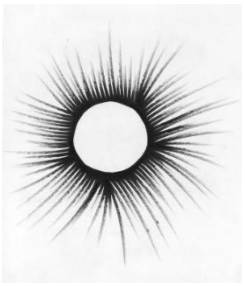

٩ – عشتُ في أجوائها

(قافية الخاء)

لو كنت حينها على درايةٍ بما قاله المفكّر المغربيّ الكبير "محمد عابد الجابري" عن المدينة :
"المدينة هي الفضاء الطّبيعيّ لإنتاج المعرفة" لما كنت قد حزنت الحزن الكثير الّذي حزنتُه عند انتقال أسرتي من القرية إلى المدينة في سبعينيّات القرن العشرين والعيش فيها.

١٤٦– تركتُ قريتي مع الأهلِ ولمْ أفهمْ وقد كنتُ كمثْلِ الدّائخِ
١٤٧– لا أعرفُ المصيرَ أين ينتهي كعاجزٍ لِما أتاهُ راضخِ

١٤٨– وجدتُ نفْسيْ قاطنًا مدينةً بوجهِها المُشرقِ غيرِ الشّائخِ
١٤٩– أحببتُها وعشتُ في أجوائها مهلّلًا لكلّ بوقٍ نافخِ

١٥٠– منبهرًا بكلّ ما سمعتُهُ منها بصوتِها الجميلِ الصّارخِ
١٥١– لكنْ لقريتي بقيتُ تائقًا فما لشيءٍ عشقُها بناسخِ

١٥٢– يا قريتي في البالِ أنتِ حيّةٌ دمتِ كما كنتِ كطودٍ شامخِ
١٥٣– إذْ بيتُنا الأوّلُ يبقى حاضرًا مهما سكنّا في مكانٍ باذخِ

١٥٤– للآنَ أشتاقُ سخاءَ دفئِهِ أجمِلْ بشوقٍ في كِياني راسخِ



١٠ – ليس بصخرٍ مجده

(قافية الدّال)

في بيت أبي من الذّكريات ما لا تمحوه السّنون ولا تنسيه الأيّام، فهو وإن كان قد ابتدأ طينيًّا صغيرًا إلّا أنّه صار يكبر ويتّسع ويعمر بقاطنيه وزوّاره وقاصديه ثمّ مالبث أن فرغ شيئًا فشيئًا بعد رحيل معظمنا عنه إلى بيوتٍ جديدةٍ وبقي فيه الوالدان إلى أن غيّب الموت الوالد وأبعدت الهجرة الوالدة عنه فساده الصّمت غير أنّه ما زال كلّ ما فيه ينطق بلسان تاريخه ولعلّ هذا ما عناه الشّاعر "أمل دنقل" بقوله:

" إنْ متَّ
للبيت ربٌّ وللطّفل أبْ" .

١٥٥– بيتي هناكَ لمْ يعُدْ فيهِ أحدْ بالرّغمِ من هذا بناؤهُ صمَدْ
١٥٦– لأنّهُ ليسَ بصخرٍ مجدُهُ وإنّما بما أتى وما ولَدْ

١٥٧– فيهِ شربنا كأسَ لذّاتٍ بها طابت حياتُنا بأحضانِ البلدْ
١٥٨– وفيهِ ودّعنا الّذي أتعبنا وكلَّ شيءٍ منهُ يأتينا الكمدْ

١٥٩– كان فقيرًا إنّما فيمن حوى كان ثريَّ الرّوحِ يغني مَنْ قصَدْ
١٦٠– زوّارُهُ أحبّةٌ لا يُنتسى حضورُهم وإنْ توارى يُفتقَدْ

١٦١– في كلِّ يومٍ قصّةٌ جديدةٌ تُتلى وراويها بما حكى اجتهَدْ

١٦٢– شايٌ بلذّةٍ بهِ مشروبةٌ وقهوةٌ إحضارُها بلا عددْ
١٦٣– موائدٌ عامرةٌ يُطلَبُ ما فيها بحُبٍّ نحوها تُمدُّ يدْ

١٦٤– أمّي على التّنّورِ تطهو خبزَنا وجسمُها مِنْ حَرِّ نارٍ ما ارتعدْ
١٦٥– سعيدةً كانت بطالبٍ أتى يريدُ أكلَهُ وبعدُ ما برَدْ

١٦٦- أذكرُها تغسلُ أثوابًا ولا تشكو ولو طالَ بها ذاكَ لغدْ
١٦٧- وهكذا أبي على محراثِهِ أذكرُهُ قد عاشَ مِنْ زرعٍ حصدْ

١٦٨- وإخوتي في درسِهم ولهوهِم على اجتهادِهم بيومٍ يُعتمَدْ
١٦٩- ماتَ أبي على فراشِ سُقْمِهِ إلى رحابِ ربّهِ الرّحالَ شدْ

١٧٠- وجاهدتْ أمّي تديرُ عيشَها لبيتِها تسعى إلى نَيلِ الرّغَدْ
١٧١- وكنتُ لا أتركُها أزورُها في كلِّ يومٍ وتجيئُنيْ الأحدْ

١٧٢- في البِيعةِ الّتي أنا خادمُها ترجو مِن القديرِ نعمةَ المددْ
١٧٣- يصغي إليَّ قلبُها وروحُها تدعو لصونِ أهلِها مِن الحسدْ

١٧٤- يا بيتَنا الجميلَ لن تُنسى ولن روحُكَ تبلى بالّذي يُبليْ الجسدْ
١٧٥- فالبيتُ إنْ كانَ مؤسَّسًا على صخرِ نقاءٍ دامَ حيًّا وخلَدْ

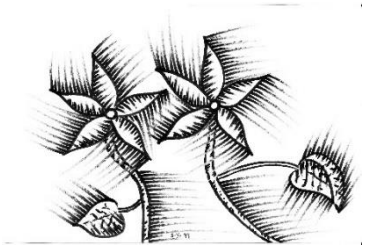

١١ – ليتني بقيتُ فيها ولدًا

(قافية الدّال)

لم تكن المدارس في أيّام دراستنا الأولى كمدارس اليوم فقد كانت في نظرنا ونحن صغارٌ أشبه ما تكون بمقرّ عقابٍ وتعذيبٍ يُصاب مرتادها بالرّعب والخوف وهو يرى العصا في يد معلّمه الّتي يمكن أن تنهال على كفّيه لأقلّ هفوةٍ وأصغر خطأٍ
ومع هذا ما كانت تخلو من جمالٍ ومتعةٍ ما زلنا نحنّ إليهما .

١٧٦– مدرستي كنتُ بها مجتهِدا وطائرًا في دوحِها مغرِّدا
١٧٧– أسعى لنَيلِ ما يُنالُ فاتحًا أمام مسعايَ طريقًا موصَدا

١٧٨– أحببتُ كلَّ ما بها ورمتُهُ وعشقُها في داخلي تمدّدا
١٧٩– لكلِّ حرفٍ أشتهي إيقاعَهُ في بهجةٍ أُنشدُهُ مردِّدا

١٨٠– والرّسمُ كان سلوتي في وحدتي باللّونِ أبني عالَمًا ما قُيِّدا
١٨١– يصحو خيالي فيَّ ناظرًا غدًا يأخذُني ممّا أراهُ أبعَدا

١٨٢– وكنتُ أهوى لغةَ الضادِ لها خصّصتُ في قلبي وذهني معبدا
١٨٣– ولمْ أمِلْ إلى العلومِ كلِّها وكنتُ فيها خائبًا مهدَّدا

١٨٤– أحبُّ أستاذيْ وأرجو نصحَهُ أُسَرُّ إنْ مدَّ لعونيَ اليدا
١٨٥– وكنتُ أبغضُ العصا في يدِهِ تهوي على كفوفِ مَنْ تبلّدا

١٨٦– ولستُ أنسى مَنْ درستُ بينهم مَنْ كان فاشلًا ومَنْ فذًّا بدا
١٨٧– كإخوةٍ كنّا معًا في صحبةٍ "ريمونُ" فيها لا يجافي "أحمدا"

١٨٨– نسعدُ في مسيرةٍ نُدعى لها فيها بإنشادٍ نجوبُ البلدا
١٨٩– وحينما كنّا لنزهةٍ لها نُدعى يصيرُ وجهُنا مورَّدا

١٩٠– نلهو ونجعلُ المكانَ ملعبًا ونشتهي البقاءَ فيهِ أبدا
١٩١– ولا نريدُ عودةً لبيتِنا ولا إلى درسٍ نراهُ مجهِدا

١٩٢– يا لحياةِ اللّهوِ ما أجملَها توقِدُ في أعماقِنا ما خمَدا
١٩٣– مدرستي يا ليتها باقيةٌ وليتني بقيتُ فيها ولدا



١٢ – أيّها المعلِّمون

(قافية الذّال)

لو كان أستاذ الموسيقى للصّفّ الأوّل الاعداديّ قد انتبه لوصيّة القدّيس "بولس" القائلة:
" شجِّعوا صغار النّفوس أسندوا الضّعفاء تأنّوا على الجميع" لما فعل ما فعله معي وأنا بعد غضٌّ في مطلع صباي فقد أُخبرَ بأنّي أكتب الشِّعر فجاءني وأنا على مقعد الدّراسة متصفّحًا دفتري فقرأ قليلًا ثمّ أغلقه بشيءٍ من الفظاظة والاستخفاف ممّا أثار في نفسي الكثير من المرارة والخيبة والحزن والغضب فكرهتُ هذا التّصرف منه ولم أحضر فيما بعد أيّ درسٍ من دروسه ولولا عشقي الكبير للشِّعر وتعلّقي به لهجرته كلّ الهجران بعد تصرّف معلّمي هذا سامحه الله وغفر من ذنبه ما تقدّم وما تأخّر .

١٩٤– يا سوءَ حظِّ طالبٍ أستاذُهُ مِنْ كرْمِهِ لمْ يستسِغْ نبيذَهُ
١٩٥– ولمْ يمدَّ كفَّهُ مشجِّعًا ولا استطابَ مطلَقًا لذيذَهُ

١٩٦– فإنّهُ بخيبةٍ يصابُ مِنْ معلّمٍ لمْ يحتضِنْ تلميذَهُ
١٩٧– يا أيّها المعلِّمونَ قدِّموا دعمًا ولا تؤجِّلوا تنفيذَهُ

١٩٨– فإنَّ ذا يُنهِضُ عاجزًا لكي يُشهِرَ خنجرًا رعى تشحيذَهُ

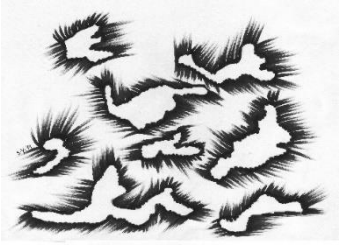

١٣ – ما أجمل الأحلام

(قافية الرّاء)

من غير أن أطّلع حينها على ما قاله العبقريّ "إينشتاين" بخصوص الخيال إذ قال :
"إنّ الخيال أكثر أهميّةً من المعرفة" جنحت من صغري إلى الخيال ودخلت إلى عوالمه فوجدتها واسعةً رحبةً رائعةً فاستمرأتها وعشت فيها أكثر ممّا عشت في الواقع جاعلًا لأخيلتي وأحلامي أجنحةً تطير بي نحو آفاق وفضاءاتٍ لا حدود لها مقتنعًا بضرورة الأحلام فلولاها لانعدم خلود الواقع ولاهتزّ بقاؤه.

١٩٩– مِنْ صغَري كانت رغيفيْ الفِكَرُ في بحرِها مركبُ ذاتي يُبحِرُ
٢٠٠– ولمْ أكن كمثْلِ صحبي مولَعًا بما لهُ هم كلَّ حُبٍّ أظهروا

٢٠١– يلهُونَ يلعبونَ لا مَيْلَ لهم لِما أنا كنتُ بهِ أنسحرُ
٢٠٢– عوالمي مِن الخيالِ صغتُها تجذبُني ألوانُها والصُّوَرُ

٢٠٣– لحقلِها الوسيعِ رحتُ حاملًا قمحيْ بهِ في كلِّ شِقٍّ أبذُرُ
٢٠٤– وأرقُبُ السّنابلَ الّتي لها رعيتُ علَّها كثيرًا تثمِرُ

٢٠٥– مرتحِلًا في عمقِ ذاتي سائلًا: هل غيمتي يومًا أراها تمطرُ
٢٠٦– وهل أنالُ ما أحبُّ طامعًا بخمرةِ الإبداعِ فيها أسكرُ؟

٢٠٧– عيني إلى الجبالِ كنتُ رافعًا نحو فضاءاتِ البعيدِ أنظرُ
٢٠٨ – ما أجملَ الأحلامَ لا أمَلُّها فيها أرى إليَّ يأتيْ القمرُ

٢٠٩– وآكلُ الحلوى وأحضُنُ المدى وغصنُ روحي فيَّ لا ينكسرُ
٢١٠– ونغمتي تصيرُ أحلى في فمي وعُودُ ذهني فيهِ يشدو الوترُ

٢١١– محلِّقًا أطيرُ أغزو أنجمًا أمام سوري جَحفلٌ يندحِرُ
٢١٢– في داخلي بركانُ عزمٍ فائرٌ بنارِهِ ما شلَّني ينغمرُ

٢١٣- لا أحدٌ يصفعُني لا أحدٌ يصلِبُني إنّي أنا المنتصِرُ
٢١٤- أجري إلى مستقبلٍ أصنعُهُ أنا ولا تُخفي خطايَ الحُفَرُ

٢١٥- حيًّا أسيرُ موضِحًا خرائطي وتحت رملِ الهُزْءِ لا أنقبِرُ
٢١٦- ترسمُ لوحاتِ وجودي ريشةٌ ساحرةٌ منها الخلودُ يقطُرُ

٢١٧- ما أجملَ الأحلامَ والرّؤى بها يُخلَقُ عالَمٌ كحقلٍ يزهرُ
٢١٨- ما زلتُ حالمًا كما كنتُ ولن يُطفِئَ حلْميْ واقعٌ مزمجِرُ

٢١٩- بالحُلْمِ تخصِبُ الدُّنى وتنتشي فلا تُميتوهُ ومنهُ أَكثِروا

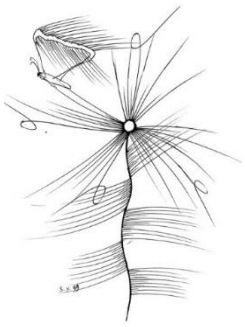

١٤ – هديّةٌ لا تُنسى

(قافية الرّاء)

عرف والدي – عطّر الله قبره – بعشقي للمذياع وميلي إلى الاستماع له من خلال ذهابي إلى بيت أحد أعمامي لهذا الغرض ولم يكن التّلفاز معروفًا حينها عندنا ففاجأني يومًا مفاجأةً سارّةً بأن أهداني واحدًا صغيرًا فصار رفيقًا لي لا أتركه لا نهارًا ولا ليلًا حتّى أنّني ما كنت أنام إلّا وهو فوق صدري وقد لازمتني هذه العادة إلى الآن فلا أراني أغفو إلّا على صوته.

٢٢٠– حضنتُ مذياعًا أتاني مِنْ أبي هديّةً ورحتُ فيهِ أفخرُ
٢٢١– أسمعُهُ مستمتِعًا بصوتِهِ ونحوَهُ منّي يطيبُ النّظرُ

٢٢٢– مُقبِّلًا أجزاءَهُ أحملُهُ وفي فراشي معْهُ ليلًا أسهرُ
٢٢٣– يَبهرُني ما فيهِ مِنْ برامجٍ : ألحانُهُ وسَردُهُ والخبرُ

٢٢٤– وأينما ذهبتُ كان ذاهبًا في جوّهِ عنّي يزولُ الضّجرُ
٢٢٥– وجدتُ فيهِ سلوتي ومتعتي في كلِّ ما يُذيعُهُ أفتكرُ

٢٢٦– كم رائعًا كنتَ أبي أهديتني ما فيهِ فاضت لخيالي أنهُرُ
٢٢٧– علّمَني أشياءَ أثرتْ معجمي وباتَ نبعُ الفهمِ بي ينفجرُ

٢٢٨– مِنْ وقتِها على لساني لفظةٌ أُعيدُها : شكرًا وأبقى أشكرُ
٢٢٩– فلْنُهْدِ مَنْ نحبُّ ما ينفعُهُ فربّما بذا عَماهُ يُقهَرُ



١٥ – اقرأْ ولا تهمل كتابًا

(قافية الرّاء)

" وباستثناء القراءة ما كان لي من مهربٍ أستطيع اللّجوء إليه".
هذا ما قاله "دستويفسكي" أعظم الرّوائيّين العالميّين وأحبّهم إليّ وأقربهم إلى نفسي وهذا ما حصل معي تمامًا فمنذ طفولتي وإلى الآن مازالت القراءة حصني وملجأي وهي الّتي أنقذتني من مخاطر الفراغ واللّامعنى وفتحت أمامي أبواب المعرفة والوعي واللّذّة الذّهنيّة.

٢٣٠– قرأتُ ما لستُ لهُ أستذكِرُ في كتبٍ شتّى شذاها عَطِرُ
٢٣١– مقالةٌ شِعرٌ وأيضًا قصصٌ في عمقِها ليْ كان يحلو السَّفَرُ

٢٣٢– قد أطعمَتْني ما يلَذُّ طعمُهُ كأنّهُ فوق اللّسانِ سُكّرُ
٢٣٣– وأدخلَتْني لعوالمٍ بها رأيتُ ما بالعينِ ليس يُبصَرُ

٢٣٤– أجملُ ما حُزتُ كتابٌ راقني فحواهُ جدرانَ ضلالي ينخُرُ
٢٣٥– كمْ فيهِ هذّبتُ اعوجاجَ فكرتي وكم أتيتُ صوبَهُ أستفسرُ

٢٣٦– سافرتُ للتّاريخِ في أوراقِهِ تجذِبُني أشخاصُهُ والسِّيَرُ
٢٣٧– وما حوى مِن العلومِ شدَّني وما لإخصابِ الدُّنى يُبتكَرُ

٢٣٨– والفلسفاتُ جُلُّها درستُها ما بانَ منها وخَفتْهُ أسطُرُ
٢٣٩– والنّحوُ والعَروضُ واللّاهوتُ مِنْ أمطارِهم عنّي مضى التّصحُّرُ

٢٤٠– قرأتُ للأفذاذِ ممّن كتبوا وكان فيما أبدعوا التّحضُّرُ
٢٤١– فاقرأْ ولا تهملْ كتابًا نافعًا في تركِهِ كنزًا ثمينًا تخسرُ

٢٤٢– لولا القراءةُ الّتي عشقتُها لمْ ينفتحْ ليْ في الوجودِ معبرُ
٢٤٣– واعلَمْ بأنَّ ما يقيمُ صرحَنا أقلامُنا وعقلُنا والدّفترُ
٢٤٤– وأنّكَ الفاني إذا أهملتَها وكلُّ ما بنيتَهُ لا يعمُرُ



١٦ – أجمِلْ بها من لغةٍ

(قافية الرّاء)

لم يكن ولعي بالموسيقى أقلّ من ولعي بالأدب والشِّعر والفلسفة والّلاهوت فقد همت بها منذ طفولتي وملت إليها وكشفت بعضًا من أسرارها حينما تعلّمت العزف على آلة العود ثمّ هجرته لصالح الشِّعر بعد تيقّني بأنّني لن أكون بارعًا فيه.
وقد بقي عشقي للموسيقى مستمرًّا متّقدًا وتقديري لصنّاعها عظيمًا فأنا ممّن يتّفقون مع "شكسبير" في قوله: "الّذي لا تكمن فيه الموسيقى ولا تحرّكه النّغمات الجميلة لا يمكن الوثوق به".

٢٤٥– أجمِلْ بها من لغةٍ لا تضمُرُ حروفُها بها يبوحُ الوترُ
٢٤٦– في كلِّ صوتٍ لحنُها منسكِبٌ فالطّيرُ تشدوهُ لنا والشّجرُ

٢٤٧– والبحرُ والنّسيمُ والشِّعرُ ولا شيءَ بغيرِ سحرِها يُعتبَرُ
٢٤٨– يجفُّ نهرُ الدّهرِ إنْ تجفّفتْ والقُبْحُ فيهِ شوكُهُ ينتشِرُ

٢٤٩– لا حُبَّ يبقى والصّفاءُ ينتهي والّليلُ يبلى أُنْسُهُ والسَّمَرُ
٢٥٠– وإنْ هوى بناؤها صرنا بلا سَقْفٍ وفوقنا تهاوى الحجَرُ

٢٥١– وتأكلُ الصّحراءُ عشبَ حقلِنا وعيشُنا بسيفِ عنفٍ يُنحَرُ

٢٥٢– مِنْ غيرِ ثوبِها الوجودُ شائِهٌ لا طلّةٌ بهيّةٌ لا منظرُ
٢٥٣– إذْ ثغرُ فجرِنا بها مبتسمٌ وعن غدٍ زاهٍ جميلٍ نُخبَرُ

٢٥٤– وإنْ تداعى سورُها وهوجمَتْ صارَ ربيعُ روحِنا يندثرُ
٢٥٥– فهْيَ نشيدٌ لملائكِ الدُّنى أمّا الأباليسُ فأُسْدٌ تزأرُ
٢٥٦– جودوا بموسيقًى تُميتُ وحشَكم في ذاتِكم غنّوا ولا تكشّروا

١٧ – الحُبّ الأوّل

(قافية الرّاء)

لعلّ ما قاله واحدٌ من أهمّ الشّعراء الفرنسيّين وهو "بول جيرالدي" عن الحُبّ الأوّل بأنّه ابن الرّوح قد قصد به بأنّه يبقى حيًّا لا يموت كما أنّ الرّوح في تركيبها هي أبعد ما تكون عن النّهاية والزّوال وربّما كان اختبار الكثيرين بهذا الشّأن هو البرهان الأصدق على صواب هذا القول.

٢٥٧– لأوّلِ الحُبِّ حياةٌ أنضرُ لهيبُهُ يبقى بنا يستعِرُ
٢٥٨– حتّى ولو بهِ ذوى جناحُهُ بنفخةٍ مِنْ أهلِهِ يُطيَّرُ

٢٥٩– يوقظُ فينا ما غفا مِن المنى ويُنبِتُ الّذي اختفى ويُظهِرُ
٢٦٠– وكلُّ ما يخيفُنا يطردُهُ ووجهَ مَنْ يلومُنا نغبِّرُ

٢٦١– يعدو بساحِ وهمِنا حصانُنا لغيرِ ما نريدُهُ لا ننظرُ
٢٦٢– وفي دهاليزِ الجنونِ نختفي وأبحرًا مِن الخيالِ نمخُرُ

٢٦٣– نشربُ خمرةَ الضّياعِ لا نعي في أيِّ دربٍ خطوُنا يُسيَّرُ
٢٦٤– وهل ستقطفُ الورودَ كفُّنا أمْ في أيادينا تُغَزُّ الإبَرُ

٢٦٥– وهل سنحيا كالعصافيرِ لنا أجنحةٌ إلى العلاءِ نهجرُ؟
٢٦٦– فهذه الدّنيا تقيّدُ الخُطى ومِنْ محِبٍّ إنْ تمادى تسخرُ

٢٦٧– وهل ستعطينا الأراضي تبرَها أمْ لرغيفِ عيشِنا نفتقرُ؟
٢٦٨– لسنا نبالي بالّذي يأتي غدًا أو بالّذي لنا خفاهُ القدَرُ

٢٦٩– نريدُ أنْ نحيا بأرضٍ لا نرى فيها غبارًا نبْعَنا يعكِّرُ

٢٧٠– ونطلبُ الآتيْ نناديهِ وما فيهِ مِن الأسى لهُ ندمّرُ
٢٧١– وفوقَ صدرِهِ نريحُ رأسَنا مِنْ تعبٍ أضلاعَنا يكسّرُ

٢٧٢- ونشتهي عمرًا يزولُ قحطُهُ وفيهِ لا يدمي حشانا خنجرُ

٢٧٣- لأوّلِ الحُبِّ مذاقٌ ساحرٌ لا ينتسى عند الحديثِ يُذكَرُ

٢٧٤- يظلُّ ناعمَ الرّداءِ مشرِقًا وربّما في الموتِ معْنا يُحشَرُ

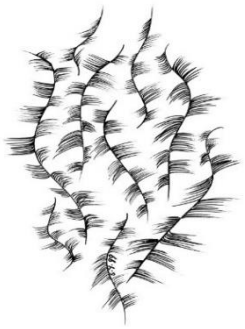

١٨ – من الشّكّ والإلحاد إلى اليقين والإيمان

(قافية الرّاء)

" كلّ مفكّرٍ هو ملحِدٌ لا محالة"
هذا ما قاله الرّوائيّ الأمريكيّ "أرنست همنغواي"

وهذا ما ردّدتُه بيني وبين نفسي وأمام أصدقائي ظانًّا أنّ في هذا القول كلّ الصّواب والحقّ، ومع كثرة ما كنت أقرأ من الكتب في أوّل صباي وجدتني أسقط في مستنقع الشّكوك ملحدًا ولكنّ هذه المرحلة لم يطل بي عهدها واستطعت الخروج منها والعودة إلى رحاب الإيمان وبقي احترامي لجميع الأفكار – باستثناء العنفيّة منها – قائمًا.

٢٧٥– صرتُ لأمرِ اللهِ يومًا أُنكِرُ أقولُ : أين عرشُهُ ذا الأكبرُ
٢٧٦– ما لي أراهُ جالسًا مختبئًا وليسَ يأتي صوبَنا ويحضُرُ

٢٧٧– وكيفَ أجرى خلْقَنا مِنْ عدَمٍ وكيفَ نفْسًا صارَ طينٌ أحمرُ
٢٧٨– وَمَنْ تُراهُ خالقٌ لشخصِهِ كيفَ أتى إنْ لمْ يكنْ مبتكِرُ

٢٧٩– وهل يرى جميعَ ما نفعلُهُ وكيفَ عينُهُ خُطانا تبصرُ
٢٨٠– هو الّذي أثارَ فينا شهوةً فكيفَ منّا إنْ أتتن ا يثأرُ

٢٨١– وما لهُ أرادنا خليقةً تحيا إذا كنّا بموتٍ نؤسَرُ
٢٨٢– وما الخلودُ هل حقيقةً لنا خُلْدٌ وفي جنّاتِ مجدٍ نخطُرُ

٢٨٣– والخَلْقُ بالّذي بهِ مِنْ عجَبٍ هل صُنْعُهُ أمْ صدفةٌ تُستَحضَرُ؟
٢٨٤– أسئلةٌ شتّى نمَتْ في داخلي وأصبحتْ في عُمْقِ عقلي تهدِرُ

٢٨٥- وأينما وُجِدتُ كنتُ سائلًا بكلِّ ما حفظتُهُ أثرثرُ
٢٨٦- حتّى غزا ذاتيْ سؤالٌ هزَّني : ما لكَ أيّها الفتى تنتحرُ؟
٢٨٧- فرُحتُ للإنجيلِ أنوي درسَهُ فهالني حرفٌ بهِ منوّرُ

٢٨٨- قلتُ : الحياةُ ها هنا كاشفةٌ عن وجهِها مَنْ جاءها سيُبهَرُ
٢٨٩- وفيهِ تسري قوّةٌ خارقةٌ بها جدارُ وهمِهِ يكسَّرُ

٢٩٠- فيفتحُ الوجودُ بابَهُ لهُ مرحّبًا مهلِّلًا فيعبُرُ
٢٩١- أمامهُ جندٌ تسيرُ خيلُهُ كقائدٍ يغزو العِدى فيُنصَرُ

٢٩٢- تلقاهُ بعدَها أميرًا جالسًا متوَّجًا عن غيرِهِ يقرّرُ
٢٩٣- وهكذا تبتُ إلى اللهِ ولا أريدُ للماضي رجوعًا يُفقِرُ

٢٩٤- فاقبلْ إلهي توبتيْ صادقةً قدّمتُها فإنّكَ المحرّرُ
٢٩٥- تخرجُني مِنْ سجنِ أهوائي وما شُوّهَ في نفْسي لهُ تُغيّرُ

٢٩٦- لأصبحَ اليومَ نقيًّا قادرًا كلَّ نداءٍ باطلٍ أنتهِرُ
٢٩٧- ربّاهُ لا تَدِنْ وكن مسترفِقًا بنا وراحمًا فإنّا بشَرُ



١٩ – الصّداقة الحقيقيّة

(قافية الزّاي)

عبر رحلتي في الحياة سواءً على أرض الواقع أم في العالم الافتراضيّ قُيِّضَ لي أن ألتقي بأشخاصٍ رائعين صاروا لي أصدقاء مخلصين وصرت لهم كذلك صديقًا أعتزّ بصداقتهم وأسعد إذ رأيت فيها مصدرًا مهمًّا من مصادر الغنى الرّوحيّ والاجتماعيّ والفكريّ وإنّني هنا أتّفق مع ما قاله "ألبير كامو" :

" لا تسر أمامي فقد لا أتبعك
ولا تسر خلفي فقد لا أقودك
بل سر بجانبي وكن صديقي"

٢٩٨– إنّ الصّداقةَ الّتي أجواؤها نقيّةٌ لن ينحنيْ عكّازُها
٢٩٩– أرغفةً شهيّةً تبقى لنا إنْ كانَ مُتقِنًا لها خبّازُها

٣٠٠– بالحُبِّ والصّدقِ يفورُ نبعُها وفي الصّقيعِ يُرتجى قفّازُها
٣٠١– تجِفُّ إنْ رافقَها غشٌّ وإنْ كانَ لأمطارِ الرُّؤى إعوازُها

٣٠٢– فازرعْ ثراها وردَ غفرانٍ لكي يكونَ فوق ما سما ارتكازُها
٣٠٣– فما زهتْ صداقةٌ عتابُها مُرٌّ وقاسٍ في الأذى مهمازُها

٣٠٤– خبَرتُها وكنتُ فيها صادقًا وكان مطمحي لها إعزازُها
٣٠٥– يشهدُ ليْ طلّابُها مَنْ صافحوا يديَّ ما عشّشَ بيْ نَشازُها

٣٠٦– وكنتُ عاشقًا لها أصونُها وكلُّ زلّةٍ بها أجتازُها
٣٠٧– فكن صديقًا لا يزولُ عهدُهُ بحكمةٍ أنتَ لها كنّازُها

٣٠٨ – هذيْ الصّداقةُ الّتي تسعدُنا عِشْها وقد طابَ هنا إبرازُها

٢٠ – يا بقعة الأقداس

(قافية السّين)

بعد خدمةٍ غير قصيرةٍ لكنيستي في "المالكيّة – ديريك" فيها تجلّت موهبتي في الخطابة والوعظ ارتأى شعبها ومجلسها أن أكرَّس لها فأُرسِلتُ في عام ١٩٨٩ إلى القاهرة لدراسة العلوم الّلاهوتيّة في كليّة الّلاهوت الإنجيليّة موفدًا من السّينودس الإنجيليّ لسوريا ولبنان وبعد إتمام الدّراسة عدتُ حيث عُيّنتُ واعظًا ثمّ قسًّا ورئيسًا روحيًّا للطّائفة في عام ١٩٩٣ وبقيت أخدمها وأرعاها حتّى نزوحي عنها بسبب الحرب إلى ألمانيا في عام ٢٠١٤ .

٣٠٩– ما أجملَ الإيمانَ فيهِ الأنفُسُ مِنْ كلِّ ما يُفني هناها تُحرَسُ
٣١٠– إلى العلاءِ تشتهي صعودَها على مقاعدِ الضّياءِ تجلِسُ

٣١١– تنسى شقاءَها وما أرّقَها إذْ لمْ تكن مِن الصّراعِ تنعسُ
٣١٢– يقلقُها الشّكُّ ويُدمي قلبَها ومِنْ وحوشِ سُؤْلِها تُفترَسُ

٣١٣– ما أعظمَ الإيمانَ كم أراحني فبتُّ في أجوائِهِ أُقدَّسُ
٣١٤– أدخَلني إلى حمى كنيستي يجذِبُني قدّاسُها والجرَسُ

٣١٥– وصرتُ تلميذًا على مقعدِها أبحثُ في إنجيلِها وأدرسُ
٣١٦– متابعًا كلَّ نشاطِ أهلِها وفي مسامعي دُعاهم سلِسُ

٣١٧– فانفتحتْ مداركي وازدهرتْ وصارَ فيَّ نهرُها ينبجِسُ
٣١٨– حتّى غدوتُ نافعًا معلِّمًا وواعظًا عظاتُهُ لا تُبخَسُ

٣١٩– خدمتُها ورحتُ فيها أعتلي منابرًا مِنْ فوقِها أُدرِّسُ

٣٢٠- فاختارني الشَّعبُ لأمضيْ دارسًا لاهوتَها وما تراخى المجلسُ
٣٢١- ووجهتي "مصرُ" دخلتُها وبي شوقٌ لثوبِ ما ابتغيتُ ألبَسُ

٣٢٢- جميلةٌ "مصرٌ" بكلِّ ما بها كأنّها فيما رأيتُ نرجِسُ
٣٢٣- أهرامُها ونِيلُها ورملُها وشَعبُها ولَيلُها والأُسُسُ

٣٢٤- لوحاتُ لونٍ ساحرٍ يأسرُني بهاؤها بحُسْنِها أنحبِسُ
٣٢٥- أمُّ الدُّنى تاريخُها يُنطِقُها أمامها كلُّ لسانٍ يخرسُ

٣٢٦- ويومُها كأمسِها مؤتلِقٌ والغدُ فيها ناعمٌ وأملَسُ
٣٢٧- لا تسألوا ما سِرُّها فإنّها كجنّةٍ أشجارُها لا تيبسُ

٣٢٨- أحببتُها وأصبحتْ ليْ وطنًا فيهِ انكساري وشقائي أرفُسُ
٣٢٩- فقمتُ للدّرسِ أعيدُ حفظَهُ حتّى بجوّهِ غدوتُ آنَسُ

٣٣٠- وبعدَها حُزتُ النّجاحَ حاصدًا ما كنتُ يومًا باجتهادٍ أغرِسُ
٣٣١- وعدتُ للبلادِ حاملًا معي شهادتيْ لخدمتي أؤسِّسُ

٣٣٢- استقبلتْني بِيعتي فخورةً لا أحدٌ إذا رآني يعبِسُ
٣٣٣- وألبستْني ثوبَ قسٍّ كفُّها وصفّقَ الجمهورُ ليْ والقُسُسُ

٣٣٤- خدَمتُها لربعِ قرنٍ لمْ أنمْ عن حاجةٍ لها ومنها أقبِسُ
٣٣٥- بنَيتُها صخرًا فصخرًا فزهتْ وأصبحتْ شَهْدَ الجَمالِ تلحسُ

٣٣٦- وهْي بَنَتْني لستُ أنسى فضلَها إنّي بها صرتُ الرّجاءَ ألمُسُ
٣٣٧- مراكبي أطلقتُها منصورةً لها ملائكٌ لربّي حرَسُ

٣٣٨-أمشي ولا شيءَ يعيقُ خطوتي على عقاربِ الرّزايا أدعسُ
٣٣٩- رسالتيْ الحقُّ أبثُّ صوتَها والحُبُّ راياتي ولا تُنكَّسُ

٣٤٠- كنيستي يا بُقْعةَ الأقداسِ في أرضٍ بطينِ قُبْحِها تتجَّسُ
٣٤١- ما زلتِ في قلبي وخاطري ولمْ أزلْ غنيًّا فيكِ لستُ أُفلِسُ

٣٤٢- عذرًا فما هجرتُ طوعًا إنّما هُجِّرتُ والسّيفُ بصدري يُكبَسُ
٣٤٣- لا تقلقي فأنتِ لن تُقتَلعي فمَن بناها اللهُ لا تتخفِسُ



٢١ – كاسمك كنت حانيًا

(قافية السّين)

من الأشخاص الرّائعين الّذين كان لهم فضلٌ كبيرٌ في استمرار دراستي الّلاهوتيّة في القاهرة بعد اصطدامها بعقبةٍ كأداء كادت أن تودي بها لولا تدخّله بعد لجوئي إليه وكان حينها وكيلًا للكليّة فأزال العقبة ومضيت في دراستي متفوّقًا.
إنّه الّلواء الدكتور " رؤوف وهبة" طيّب الله ثراه وسقاه.

٣٤٤– حُيّيتَ يا من ذِكرُهُ لا يُنتسى ... ويا الّذي على حريرٍ جلسا
٣٤٥– أراكَ في النّعيمِ نلتَ حُظوةً ... مِنْ خمرةِ المجدِ تعُبُّ أكؤسا

٣٤٦– مزيَّنًا بالنّورِ تمشي هانئًا ... وقد خلا قلبُكَ مِنْ عَتْمٍ قسا
٣٤٧– فمَن أراحَ متعَبًا مشتكيًا ... أراحَهُ إلهُهُ مِن الأسى

٣٤٨– كاسمِكَ كنتَ حانيًا مبتسمًا ... وجهُكَ عند مطلبي ما عبَسا
٣٤٩– جئتُكَ أبغي حاجةً فنلتُها ... بورِكَ مَنْ عزّى وقوّى أنفُسا

٣٥٠– أمسيتُ بعدَها قويَّ العزمِ في ... سَيري وقلتُ هاتفًا: لن أيأسا
٣٥١– أرنو إلى ما فيهِ مجدي راكبًا ... وقتَ النّضالِ في حروبي فرَسا

٣٥٢– لولاكَ ما نلتُ مُنايَ فائزًا ... وفي الّذي شئتُ لكنتُ مفلِسا
٣٥٣– "رؤوفُ" عشتَ مثلما الرّبُّ بغى ... وكنتَ خيرَ مَنْ لقومٍ رأسَا

٣٥٤– لكَ الخلودُ والسّلامُ عِشْهما ... مجدًا لمن بماءِ طُهْرٍ غطَسَا



٢٢ – معركتي اللّفظيّة

(قافية السّين)

لم يكن المنبر غريبًا عنّي ولا أنا كنت غريبًا عنه فلقد صاحبته وصاحبني منذ عهدٍ بعيدٍ، لكن أن أعتليه هذه المرّة أمام جميع أساتذتي وزملائي وزميلاتي في كليّة اللّاهوت لاختبار قدرتي الخطابيّة فهذا ممّا لا يخلو من الرّهبة والقلق، ومع هذا بفضل الله تعالى استطعت تجاوز هذه اللّحظة بنجاحٍ ونلت من الاستحسان والقبول ما أسعدني وأنساني رهبتها.

٣٥٥– وقفتُ واعظًا على مِنبرِها يرمُقُني بعينِ حُبٍّ ناسُها
٣٥٦– كليّةُ اللّاهوتِ أسقتْ فكْرَنا مِنْ كتبٍ تنوّعتْ أجناسُها

٣٥٧– ومِنْ معلّمينَ أعطَوا عِلْمَهم فيها وهم بوعيهم حرّاسُها
٣٥٨– وقمتُ في محضرِهم محدِّثًا وفي يديْ مِنْ تربتي أغراسُها

٣٥٩– لعلّها تلقى قَبولًا عندَهم ويُشتهى في سمْعِهم إحساسُها
٣٦٠– قدّمتُ ما عُلّمْتُهُ موعظتي مِنْ ساحِ ثغري أُطلِقتْ أفراسُها

٣٦١– كنتُ أرى ولا أرى معركتي تُقرَعُ باللّفظِ هنا أجراسُها
٣٦٢– وكم فرحتُ حينما لمْ أنهزمْ وقد حمتْني مِنْ ردًى أتراسُها

٣٦٣– فأطلقتْ روحي نشيدَ نصرِها وبعدَها تكرّرتْ أعراسُها

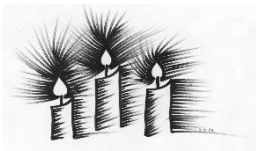

٢٣ – هل سيعود أمسنا ؟

(قافية السّين)

لقد ربطتني أثناء دراستي اللّاهوتيّة في القاهرة ١٩٨٨ – ١٩٩١
علاقات صداقةٍ وأخوّةٍ بالعديد من زملاء الدّراسة أثروا حياتي كثيرًا وأغنوها تاركين في نفسي أطيب الأثر وأجمله وفي مقدّمة هؤلاء كان الأستاذ المهندس والقسّ فيما بعد "أمين شمعون".

٣٦٤– "أمينُ" صاحبٌ وفيٌّ فارسُ رداءَ صدقٍ ونقاءٍ لابسُ
٣٦٥– عرفتُهُ نهرًا يفيضُ ماؤهُ يحيا بلمسِهِ نباتٌ يابسُ

٣٦٦– ونارَ موقدٍ علا لهيبُهُ مِنْ لفْحِها فرَّ شتاءٌ قارسُ
٣٦٧– ما زلتُ ذاكرًا صفا ضحْكتِهِ أمامها يبسِمُ وجهٌ عابسُ

٣٦٨– نسمعُ موسيقًى يطيبُ لحنُها وصوتُ شدوِنا رقيقٌ هامسُ
٣٦٩– مِن العلومِ عشقُهُ فلسفةٌ وكانَ فيها غيرَهُ يشاكسُ

٣٧٠– كنتُ أراهُ قارئًا مستفسِرًا يشدُّهُ مِن الصِّحابِ الدّارسُ
٣٧١– مجتهدًا يخوضُ في أبحاثِهِ يقْرَبُها كأنّها نفائسُ

٣٧٢– ما كانَ يستهينُ بل جادًّا يُرى يسعى ويرجو أنْ يُقوّى يائسُ
٣٧٣– حلوَ الطِّباعِ كانَ مثمرًا وقد مَدّتْ لهُ أكفَّها عرائسُ

٣٧٤– "أمينُ" يا أخي وقد فرّقَنا دهرٌ على عشبِ رؤانا دائسُ
٣٧٥– هل سيعودُ أمسُنا الّذي مضى وتنتشي في حقلِنا غرائسُ؟

٣٧٦– يا ليتهُ عادَ ليُحييْ حاضرًا مسترخيًا عيونُهُ نواعسُ

٢٤ – بالرّغم من هذا أبقى أحبّها

(قافية السّين)

في صيف ١٩٩١ وأنا في طريق عودتي من مصر بعد انتهاء دراستي اللّاهوتيّة فيها وبرفقتي كعادته أخي الحبيب "أندريه" الّذي له معي تعب محبّةٍ لا يُنسى تعرّض الباص الّذي ركبناه من حلب قاصدين مدينتنا "المالكيّة – ديريك" لحادثٍ مروريٍّ فظيعٍ كاد أن يودي بحياتي وحياة أخي لولا رعاية الله ولطفه كما أودى بحياة بعض من كانوا معنا.

٣٧٧– هي الحياةُ كلُّها نعيشُها في حلوِها ومُرِّها وبؤسِها
٣٧٨– ولا نمَلُّ وجهَها وإنْ قسا يحيا الّذي شاخَ بنا بلمسِها

٣٧٩– فمرّةً تصفعُنا بكفِّها ومرّةً تُدخِلُنا لعرسِها
٣٨٠– ومرّةً تبني قلاعَ مجدِنا ومرّةً تهدمُها مِنْ أُسِّها

٣٨١– ومرّةً تبخلُ في عطائِها ومرّةً تعطي رغيفَ نفْسِها
٣٨٢– ومرّةً تملؤنا نجاسةً ومرّةً تُطعمُنا مِنْ قُدْسِها

٣٨٣– أوجعَني منها شديدُ بطشِها ومُرُّ ما أُسقيتُهُ مِنْ كأسِها
٣٨٤– حوادثٌ كُثْرٌ أسالت مدمعي لمستُ فيها هيَجانَ بأسِها

٣٨٥– أسقامُها غيابُ أحبابٍ بها طغيانُ سوطِها وعنفُ دعسِها
٣٨٦– للآنَ ما زالت تقِضُّ مضجعي ببثِّ رعبِها وفتحِ رمْسِها

٣٨٧– لكنّني أحبُّ فيها يومَها والغدَ فيها وجَمالَ أمسِها
٣٨٨– أحبُّها في صحوِها وغيمِها ولا أريدُ غيبةً لشمسِها

٢٥ – يومٌ لا يُنسى

(قافية الشّين)

بعد انتهائي من دراستي اللّاهوتيّة واعتمادي واعظًا ثمّ سيامتي قسًّا وتعييني رئيس طائفةٍ ابتدأت خدمتي الحقيقيّة من ممارسة طقوس العبادة والوعظ والدّرس وافتقاد البيوت وعيادة المرضى ومباركة الزّيجات والمعموديّات وتجنيز الموتى وقد كانت أولى خدماتي هي عقد قرانٍ ولهذه الخدمة عندي نكهةٌ خاصّةٌ لهذا أراني أذكرها هنا .

٣٨٩– يومُ بتفصيلاتِهِ أذكرُهُ وكلُّ لحظةٍ بهِ أعيشُها
٣٩٠– فيهِ ابتدأتُ خدمةً أحببتُها وقلتُ: مهما صارَ لا أغُشُّها

٣٩١– فإنّها دربي إلى ما شئتُهُ ولي يطيبُ في الحياةِ حوشُها
٣٩٢– زيارةُ المرضى وجبْرُ خاطرٍ أزهارُ حُبٍّ تحتهم أفرُشُها

٣٩٣– عِمادُ طفلٍ وافتقادُ متعَبٍ مياهُ نعمةٍ لهم أرُشُّها
٣٩٤– تزويجُ عازبٍ ودفنُ مائتٍ وخُطبةٌ لسامعٍ أُنعِشُها

٣٩٥– وإنّها سعادتي وعزّتي بأحرفٍ مِنْ ذهبٍ أنقُشُها

٣٩٦– راعيتُها وصنتُها نقيّةً وإنّني للموتِ لا أخدِشُها
٣٩٧– بالحقِّ إنّها حياتي ودمي أموتُ لو في القبرِ غابَ نعشُها



٢٦ – الصّراع الإنسانيّ

(قافية الصّاد)

كثيرةٌ ومتنوّعةٌ هي المشاكل الّتي وُضعت ملفّاتها على مكتبي بغية النّظر فيها وإيجاد الحلول المناسبة لها ولقد نجحت في حلّ بعضها وفشلت في بعضها الآخر.

وتيقّنت بعد رؤيتي لِما لا حصر له من أنواع الصّراع واستمراره بين النّاس على أرض الواقع بصحّة مقولة "كارل ماركس" الّتي اتّفقَ فيها مع "هيجل" من أنّ التّناقض والصّراع هما المحرّكان الأساسيّان للتّطور .

٣٩٨– مِنْ "آدمٍ" وهذه الدّنيا على شوكٍ تسيرُ رِجْلُها وترقصُ
٣٩٩– أخٌ على أخيهِ هزَّ رمحَهُ وصارَ في لحمِ هناهُ يقرُصُ

٤٠٠– وزوجةٌ تهجرُ دفءَ زوجِها والزّوجُ مِنْ زوجتِهِ ينتقِصُ
٤٠١– والأبُ عن أولادِهِ مبتعِدٌ في قسوةٍ حياتَهم ينغِّصُ

٤٠٢– والابنُ عاقٌّ لأبيهِ مهمِلٌ على رضاهُ لا تراهُ يحرِصُ
٤٠٣– والخِلُّ لا يرعى ودادَ خِلِّهِ ومِنْ مدى سلامِهِ يقلِّصُ

٤٠٤– ما أبشعَ الحالَ يزيدُ سوءُها والكلُّ باتَ ضائعًا يخبِّصُ
٤٠٥– فمِنْ خَسارةٍ إلى أخرى وما أفلحَ في إنقاذِهم مخلِّصُ

٤٠٦– لا عالِمٌ بعلْمِهِ أنمى ولا دِينٌ هدى ولا أعانت قصصُ
٤٠٧– ولا سقتْ فلسفةٌ أذهانَهم وسادَ أجسادَ رؤاهم برَصُ

٤٠٨– فالظّلمُ طوفانٌ طغتْ أمواجُهُ والقُبْحُ صارَ كلَّ حُسْنٍ يقنِصُ
٤٠٩–لا حُبَّ في الأرضِ يعيدُ خصبَها وأصبحتْ في طينِهم تُغَوَّصُ

٤١٠– حربٌ وفقرٌ وظلامٌ وردًى وكلُّ غالٍ سعرُهُ يُرَخَّصُ
٤١١– نحتاجُ ثورةً تعيدُ رسمَنا فنرتقي ونحو مجدٍ نشخَصُ

٤١٢- وصحوةً تنهضُنا مِنْ قبرِنا وصوبَ ما أماتَنا لا ننكُصُ
٤١٣- حاولتُ لمْ أَفلحْ فإنّي مثْلُكم أزيدُ مرّةً وأخرى أنقُصُ

٤١٤- جميعُنا نحتاجُ مَنْ يَسندُنا للرّوحِ فيها الرّيشُ لا يُقصَّصُ
٤١٥- بالرّوحِ نسمو ويلَذُّ عيشُنا بعينِها عمقَ الوجودِ نفحصُ

٤١٦- نحنُ مِنَ الأشياءِ أسمى فلْندُمْ أسمى بحربِنا عليها نُخلِصُ



٢٧ – ابحث ولا تكن كسولًا

(قافية الصّاد)

ليس غريبًا على "سقراط" وهو من هو أن يدعو إلى ضرورة التّمسّك بعمليّة البحث والاستقصاء وسبر أغوار ما لا يُعرف، وقد ألمح إلى أنّنا "سنكون أفضل النّاس وأكثر شجاعةً وأقلّ كسلًا لو اعتقدنا أنّه يجب على المرء البحث عن الأشياء الّتي لا يعرفها".
وقد شجّعت أنا في كثيرٍ من محاضراتي وعظاتي على إيلاء الجانب المعرفيّ البحثيّ الأولويّة في الاهتمام وجعله أمرًا أساسيًّا في مسيرة الحياة ومعاركها .

٤١٧– ما فازَ مَنْ في البحثِ كان ناقصا ولا رأى عونًا يفيدُ حائصا
٤١٨– يظلُّ فارغًا يجفُّ ذهنُهُ ولا يكونُ مِنْ خداعٍ خالصا

٤١٩– في سجنِ غيرِهِ يُقضّي عمرَهُ مقيَّدًا في وحلِ عَتْمٍ غائصا
٤٢٠– يضيعُ لا يلقى طريقًا هاديًا ولا بعرسِهِ حبيبًا راقصا

٤٢١– يزدادُ حزنُهُ وينمو يأسُهُ ويُرعِدُ الآتي لهُ فرائصا
٤٢٢– فابحثْ ولا تكن كسولًا نائمًا فإنّ مَنْ سعى محا نقائصا

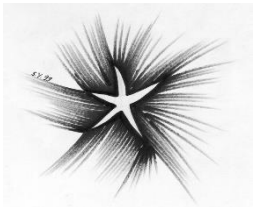

٢٨ – سحقًا

(قافية الضّاد)

لقد اتُّهم بقتل أحد الأشخاص ومع أنّ القضاء قد برّأه إلّا أنّ بعض أقارب القتيل وبعد أكثر من أربعين عامًا على المشكلة قد قاموا باغتيال ولد المتّهم الوحيد انطلاقًا من فكرة الأخذ بالثّأر المسمومة معكّرين صفو السّلم الأهليّ.

إنّ هذه الحادثة المفجعة الأليمة كانت من أسوأ الحوادث الّتي عصفت بكنيستي أثناء رعايتي لها والّتي هزّت المنطقة بأسرها.

٤٢١– سحقًا لفكْرٍ عفِنٍ ينتفضُ يسري كما في الجسمِ يسري المرضُ
٤٢٢– يُدخلُنا إلى كهوفِ ظلمةٍ وكلَّ بيتٍ للضّياءِ ينقُضُ

٤٢٣– وفي مراعٍ أجدبتْ تربتُها نمشي بلا أحذيةٍ ونربِضُ
٤٢٤– أقلامُنا يكسرُها جهّالُنا وصوتُ عقلِنا القويُّ يُرفَضُ

٤٢٥– وساحُنا فرسانُها متعَبةٌ وخيلُنا هزيلةٌ لا تركضُ
٤٢٦– وما يجمِّلُ الحياةَ غائبٌ مهشَّمٌ وقلبُهُ لا ينبُضُ

٤٢٧– وعاقرًا تغدو ويبلى خصبُها كلُّ أجنّةِ الجديدِ تُجهَضُ
٤٢٨– فيها الوضيعُ رافعٌ راياتِهِ ورايةُ الكريمِ فيها تُخفَضُ

٤٢٩– والرّعبُ سيفُهُ على رقابِنا والسّمُّ في أحشائِنا يقوّضُ
٤٣٠– تحرقُنا نيرانُ قُبْحٍ أُجّجتْ فلمْ نعُدْ على الجَمالِ نقبِضُ

٤٣١– أحلامُنا مبتورةٌ أذرعُها في وجهِنا غبارُ يأسٍ يُنفَضُ
٤٣٢– ونجمُنا مصباحُهُ منطفئٌ وزهرُنا مِن الحقولِ يُقرَضُ

٤٣٣- ما أبشعَ الدّنيا إذا تلوّثتْ بعُصْبةٍ لوحاتِ جهلٍ تعرِضُ
٤٣٤- وتكسرُ الكأسَ الّتي نحبُّها وشدوَ عصفورِ الصّباحِ تبغضُ

٤٣٥- تجتاحُنا زوابعُ الموتِ فلا ننجو وأجفانَ العيونِ نغمضُ
٤٣٦- وسوف يُمحى كالدّخانِ ظلُّنا إنْ لمْ نُفِقْ فهل تُرانا ننهضُ؟



٢٩ – مع المرض وضحاياه

(قافية الضّاد)

لا يمكنني تذكّر جميع من عدتهم في مرضهم ووقفت إلى جانبهم عاضدًا مشجّعًا مصلّيًا لأنّهم كثرٌ جدًّا ولكن ثمّة صورةٌ رائعةٌ مازالت عالقةً بذهني إلى اليوم وهي صورة زوجةٍ فاضلةٍ أصيلةٍ رأيت في رفقها بزوجها السّقيم وعطفها الكبير عليه في ضعفه وحرصها الشّديد على توفير جميع أسباب الرّاحة له في تعبه ما يجعلها نموذجًا وقدوةً ومثالًا.

٤٣٧– أجسادُنا لن تنتهيْ أمراضُها في وجهِنا باديةٌ أعراضُها
٤٣٨– ينهشُ فيها نابُها يعضُّها لا عاشَ منها نائلًا عضّاضُها

٤٣٩– مِنْ بدءِ دنيانا غزتْ سكّانَها فاحترقتْ في نارِها رياضُها
٤٤٠– فلا نبيًّا تركتْ مِنْ شرّها ولا عن العاصي اختفى مخاضُها

٤٤١– يميتُنا ضربُ عصاها وعلى أفواهِنا سيّالةٌ أحماضُها
٤٤٢– يا لهناءِ مَنْ إلى جانبِهِ لاحَ لكفِّ عاضدٍ بياضُها

٤٤٣– فإنّهُ يخرجُ مِنْ عالَمِهِ ونفْسُهُ عنها مضى انقباضُها
٤٤٤– يقولُ: ربّاهُ لكَ النّفْسُ إلى ما فيهِ راحةٌ لها ارتكاضُها

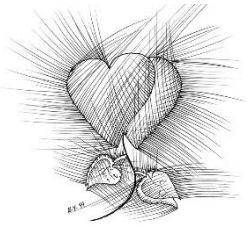

٣٠ – مع أسرار النّاس

(قافية الضّاد)

بحكم خدمتي ومن موقع مسؤوليّتي قُيّض لي الاطّلاع على كثيرٍ من الأسرار بعد كشفها لي من قبل أصحابها فحرصت على كتمانها كحرصي على كتمان أسراري، فإنّي ممّن يتّفقون مع ما قاله "موليير":
"إنّ كشف سرّ الآخرين خيانةٌ"
لهذا فأنا مرتاح الضّمير إذ لم أخن أحدًا بكشف سرّه ولا أظنّني فاعلها يومًا.

٤٤٥– كنْ لذيوعِ السّرِّ دومًا رافضا ومِنْ ضجيجِ صوتِهِ كنْ خافضا
٤٤٦– أتاكَ مَنْ ضاقت به الدّنيا فكنْ عونًا لهُ حتّى يقومَ ناهضا

٤٤٧– وكي تعودَ روحُهُ أقوى لهُ وكي يصيرَ للهمومِ ناقضا
٤٤٨– يسعى إلى أهدافِهِ مسلَّحًا بالعزمِ والقوّةِ وثْبًا راكضا

٤٤٩– فافتحْ لهُ أبوابَ فوزٍ أُغلِقتْ ومعْهُ في حروبِهِ سِرْ خائضا
٤٥٠– إنّكَ صخرةٌ عليها مُسنَدٌ فلا تصِرْ لِما نوى مُعارِضا

٤٥١– قُلْ: مرحبًا بمن أتاني شاكيًا أمامهُ سأكشفُ الغوامضا
٤٥٢– بي جاءَ واثقًا فلن أخذُلَهُ ولن أذيقَهُ رغيفًا حامضا

٤٥٣– ولن أثيرَ حولهُ فضيحةً ونهرَ حُبٍّ سأكونُ فائضا
٤٥٤– أحضنُهُ ولا أقصُّ غصنَهُ وفي حقولِهِ أظلُّ رابضا

٤٥٥– توجعُني آلامُهُ وإنْ طغى دجًى أصِرْ لهُ سراجًا وامضا

٣١ – سكّين السّخط

(قافية الطّاء)

ما رأيتُه إلّا ساخطًا متذمّرًا غاضبًا، ومع شدّة التزامه الدّينيّ لم يستطع أن يطيع وصيّة القدّيس "بولس" القائلة:

"ليُرفَع من بينكم كلُّ مرارةٍ وسخطٍ وغضبٍ وصياحٍ"
وظلّ طاعنًا نفسه والمحيطين به بسكّين السّخط فعاش لا كما ينبغي العيش فلا أراح ولا استراح .

٤٥٦– تدمي حياةَ المرءِ سكّينُ السّخَطْ منِ اعتلى جبالَهُ عنها سقطْ
٤٥٧– يغدو جريحًا جرحُهُ مُفتَّحٌ دماؤه تسيلُ في الأرضِ نُقَطْ

٤٥٨– ومنهُ تَفلِتُ الأمورُ كلُّها وتختفي عنهُ عناوينُ الخُططْ
٤٥٩– فمِن سقوطٍ لسقوطٍ وعيُهُ ومِن جنوحٍ أهوجٍ إلى شطَطْ

٤٦٠– فيهِ يُدمَّرُ السّلامُ هائجًا يجري كسيحَ الرِّجْلِ يشقيهِ الغلَطْ
٤٦١– تلقاهُ مسجونًا بسجنِ حمْقِهِ وقلبَهُ بحبلِ ظلمةٍ رَبطْ

٤٦٢– يكرهُهُ أصحابُهُ وأهلُهُ وعنهُ تنأى خِيفةً حتّى القططْ
٤٦٣– والسّاخطُ الأحمقُ دنياهُ أسًى وكربةٌ بكلِّ ما ساءَ ارتبَطْ

٤٦٤– وصارَ كالوحشِ يخيفُ صوتُهُ كأنّهُ مِنْ نهرِ نيرانٍ شفَطْ
٤٦٥– كنْ هادئًا لا ترمِ ذاتًا لكَ في حفرةِ غيظٍ ضاعَ مَنْ فيها هبطْ

٤٦٦– يريدُكَ الوجودُ شخصًا رائعًا مَنْ جاءَهُ نالَ سلامًا واغتبَطْ

٣٢ – جمال الخطّ

(قافية الطّاء)

في مدرسة الأطفال الأحديّة التّابعة للكنيسة كنت أحرص على ملاحظة ما يكتبه التّلاميذ فيها فأثني على الخطوط الأنيقة الجميلة وأشجّع من تعوزه الأناقة والدّقة فيما يكتب على الاجتهاد والمثابرة ليكتب لاحقًا بخطٍّ أجمل وأكثر تنسيقًا وروعةً، وليس عبثًا ما ذكره ابن خلدون في مقدّمته عن الخطّ:

"إنّه صناعةٌ شريفةٌ يتميّز بها الإنسان عن غيره وبها تتأدّى الأغراض لأنّها المرتبة الثّانية من الدّلالة اللّغويّة".

٤٦٧– هذِّبْ إذا كتبتَ شيئًا خطَّكا واهربْ مِنَ القُبْحِ إذا حوَّطَكا
٤٦٨– فهكذا القارئُ يهوى أسطرًا منكَ فيأتيكَ محِبًّا شطَّكا

٤٦٩– ولن ترى إلّا مصفِّقًا لِما صغتَ وما أفلحَ مَنْ غلّطَكا
٤٧٠– حاولْ ولا تفشلْ فأنتَ قادرٌ إذا أردتَ راسمًا خُططَكا

٤٧١– فاجعلْهُ ناعمًا أنيقًا وعلى القبيحِ سدِّدْ دائمًا مِشْرطَكا



٣٣ – الاستظهار والحفظ

(قافية الظّاء)

ربّما كانت مشكلتي الكبيرة مع الحفظ والاستظهار هي الّتي كانت تدفعني للتّركيز عليهما مع سامعيّ وتشجيعهم ولا سيّما الأطفال والشّباب منهم على محاولة حفظ الرّائع من الأقوال الّتي من شأنها تهذيب ألسنتهم وبناء عقولهم وتطوير شخصيّاتهم.

٤٧٢– لكلِّ قولٍ رائعٍ كنْ حافظا فليس يُنسى ما تعيدُ لافظا
٤٧٣– مدقِّقًا فيما قرأتَ مُمعِنًا لِما بهِ نفْعُكَ كنْ مُلاحِظا

٤٧٤– واختَرْ عظيمَ القولِ ردِّدْهُ ولا تكنْ لغيرِهِ محبًّا قارِظا
٤٧٥– وسوفَ تنمو وتنالُ المُبتغى ذهنُكَ تبنيهِ وتغدو واعظا

٤٧٦– ويُقبِلُ الرّبيعُ فاتحًا يدًا بها تزيلُ عنكَ جوًّا قائظا

القس جوزيف إيليا
٢٤ – ٣ – ٢٠٢١

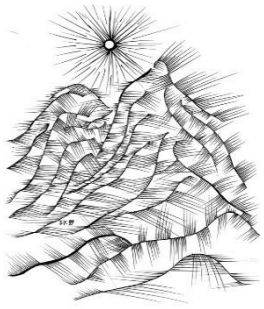

٣٤ – الرّسم

(قافية العين)

من الفنون الّتي كنت وما زلت أشجّع عليها النّاشئة فنّ الرّسم لأنّي أرى فيه مظهرًا من مظاهر الرّقيّ والتحضّر والجمال وفيه إنعاشٌ للحسّ وتنشيطٌ للخيال وفيه من الكلام ما يعجز عن قوله أحيانًا أعظم المفوّهين، وإنّني أردّد هنا قول الرّسّام الاسبانيّ الشّهير "سلفادور دالي" مخاطبًا من يرسم:
" أيّها الرّسّام أنت خطيبٌ، لذا ارسم ولا تتكلّم".

٤٧٧– الرّيشةُ الّتي برسمٍ تبدعُ لها الوجودُ بامتنانٍ يخشعُ
٤٧٨– فإنّها تخلُقُ ما تحبُّهُ عينٌ وفي ساحِ مَداهُ تركعُ

٤٧٩– فالرّسمُ يجعلُ الفراغَ لوحةً فيها يضِجُّ بالحياةِ الأروعُ
٤٨٠– ويرفعُ الكأسَ لنا نقيّةً حلاوةَ الأعنابِ منها نجرعُ

٤٨١– ونحنُ عطشى نطلبُ المزيدَ إذْ نفوسُنا مِنْ طعمِها لا تشبعُ
٤٨٢– والرّسمُ لحنٌ مِنْ فمِ اللّونِ أتى عذبًا لهُ بكلِّ شوقٍ نسمعُ

٤٨٣– طوباهُ مَنْ للرّسمِ كان متقِنًا أجراسُ أمجادٍ لهُ ستُقرَعُ
٤٨٤– وتفتحُ الأرضُ كبيرَ بابِها وما يحِبُّ في ثراهُ يُزرَعُ

٤٨٥– يقولُ: لوّنتُ البياضَ فانتشى وصار مثْلَ ضوءِ نجمٍ يلمعُ
٤٨٦– لن تكتمَ الأشباحُ بوحَ ريشتي فالرّسمُ أقوى مِنْ سيوفٍ تَقمعُ
٤٨٧– والرّسمُ باقٍ لا يزولُ نقشُهُ كالشّمسِ بعد كلِّ ليلٍ يطلُعُ

القس جوزيف إيليا
٢٦ – ٣ – ٢٠٢١

٣٥ – الإنشاد

(قافية العين)

كنت ولم أزل معجبًا بالإنشاد معطيًا لسماعه أذنًا صاغيةً وقلبًا محبًّا وكثيرًا من وقتي وداعيًا إلى الاهتمام به وتشجيعه والحرص على إحيائه وتنميته لدى الجميع ولا سيّما في أوساط الأطفال والشّبّان.

٤٨٨– مِلْ للأناشيدِ وردِّدْ لحنَها واملأْ به في نشوةٍ أسماعَنا
٤٨٩– نغمةُ ما يطيبُ تأتي نحوَنا ننسى بها في جرحِنا أوجاعَنا

٤٩٠– وتجعلُ القلوبَ تهوى نبضَها مِنَ السّرورِ تبتغي إشباعَنا
٤٩١– نحتاجُها في حزنِنا تزيلُهُ نرجو بما تحملُهُ إمتاعَنا

٤٩٢– مبهِجةٌ هي الأناشيدُ ولا لمن أرادَ للأسى إرجاعَنا
٤٩٣– ونفعُها نراهُ واضحًا ولن نُنهيْ لأجلِ نصرِها صراعَنا

٤٩٤– نموتُ إنْ صارَ النّشيدُ مائتًا لا عاشَ مَنْ يومًا بغى إهجاعَنا
٤٩٥– قمْ بالنّشيدِ هاتفًا وقائلًا : قد تاهَ في الأبحُرِ مَنْ أضاعَنا

٤٩٦– نبني الأناشيدَ كسورِ قلعةٍ ولن يلاشيْ أحدٌ قِلاعَنا



٣٦ – من أعطاك عرشًا وعصًا؟

(قافية العين)

كلّمتني عبر الهاتف بصوتٍ منكسرٍ مختنقٍ محطَّمٍ داعيةً إيّاي إلى بيتها لأرى رؤية العين ما قد حدث لها فذهبت ورأيت ما أوجعني كثيرًا فقد كان وجهها متورّمًا مجروحًا نتيجة ما لحق به من ضربٍ، وما أن رأتني حتّى سارعت قائلةً وهي تبكي :

– انظر يا أبتِ انظر بعينيك إلى سوء حالي فلقد أشبعني زوجي صفعًا ورفسًا وخرج مسرعًا كأنّه ما فعل شيئًا.

٤٩٧– إنّ الحياةَ روحُها أنثى فدَعْ عنكَ غرورًا مَنْ بغاهُ ما انتفَعْ
٤٩٨– زوجتُكَ الّتي سقتْكَ كأسَها وذقتَ مِنْ كفوفِها أشهى المُتَعْ

٤٩٩– ليست أسيرةً ولا أجيرةً ترجو مِن السّجّانِ لقمةَ الشِّبَعْ
٥٠٠– ولمْ تكن في أهلِها مهدومةً حتّى جدارُها ببيتِكَ يقعْ

٥٠١– ولا قسا أبٌ عليها ضاربًا حتّى لديكَ تمتلي مِن الفزعْ
٥٠٢– بل إنّها عصفورةٌ مِنْ جنّةٍ في ثغرِها الرّبُّ تلاحينًا وضَعْ

٥٠٣– كي تُشتهى أنغامُها وتُرتجى ويرقصَ الّذي لمغناها استمَعْ

٥٠٤– فكيف أنتَ لا تصونُ ودَّها وكيف منكَ مِنْ هناها تُقتَلَعْ
٥٠٥– وكيف تلقي فوقها أتربةً وكيف تخفي قمرًا فيها سطَعْ

٥٠٦– بأيّ حقٍّ أنتَ تُفني زرعَها وربُّكَ الحاني هو الّذي زرَعْ
٥٠٧– وَمَنْ تُرى أعطاكَ عرشًا وعصًا وعن نساءِ الأرضِ تيجانًا منَعْ؟

٥٠٨– لا يا أخي ما أنتَ سلطانٌ على عرشٍ ولا أنثاكَ ثوبٌ يُنتزَعْ
٥٠٩– بل إنّها عظمُكَ مِنْ لحمِكَ لا تصفعْ لها وجهًا ضياؤه التمَعْ
٥١٠– فمَنْ أذلَّ زوجةً وهدَّها ضاعَ وفي الدّارينِ ذلَّ واتّضَعْ

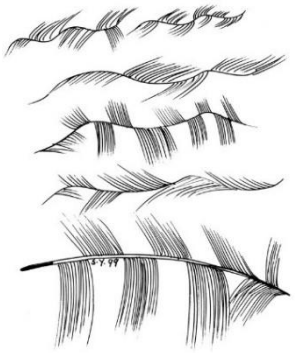

٣٧ – إلى جواره قفي

(قافية العين)

دخل عليّ مكتبي في حالةٍ يرثى لها من التوتّر والغضب والأسى وقبل أن يجلس أمامي بادرني بالقول :
– أرجوك يا حضرة القسيس أنقذني من هذا الجحيم الّذي أنا فيه ومثلما ربطتني بها حلَّني منها ما عدت أحتمل ما تفعله بي.
لقد كان يتحدّث عن زوجته بمرارةٍ قاسيةٍ شاكيًا سوء حاله معها فهي تحقّره وتعمد إلى تصغيره والتقليل من شأنه أمام النّاس وإهانته ولا تتورّع عن الصّياح في وجهه وشتمه ناهيك عن عدم قيامها بواجباتها الزّوجيّة معه وتأليب أولاده ضدّه .

٥١١– لا تُتلفي بستانَ وردٍ زرعَهْ ولا جدارَ بهجةٍ قد رفعَهْ
٥١٢– ولا تقطّعي غصونَ عزمِهِ ولا تمزّقي جَمالًا أبدعَهْ

٥١٣– واشدِي على أوتارِهِ لحنَ هوًى إيقاعُهُ يطربُهُ لو سمعَهْ
٥١٤– فإنّكِ البهاءُ إنْ قُبْحٌ غزا عالَمَهُ فشلَّهُ وبشّعَهْ

٥١٥– والبلسمُ الشّافي لجرحٍ غائرٍ في صدرِهِ أتعبَهُ وأوجعَهْ
٥١٦– خُلقتِ مِنْ أضلاعِهِ معينةً فلا تهزّي بجفاكِ أضلعَهْ

٥١٧– تكسرُهُ دموعُهُ إذا همَتْ فحاذري ولا تسيلي أدمعَهْ
٥١٨– وأظهري لهُ احترامًا واجبًا وحاربي طاردةً ما زعزعَهْ

٥١٩– ثمّ انهضي ناسفةً خيباتِهِ وأنبتي في كلِّ حينٍ مَربعَهْ
٥٢٠– إلى جوارِهِ قفي باسمةً وقدِّمي لهُ كؤوسًا مترَعهْ
٥٢١– وأكملي الطّريقَ لا تنخدعي فلن تري سلامةً إلّا معَهْ

٣٨ – ما أبشعك

(قافية العين)

أظنّها المرّة الأولى في حياتي الّتي فيها اجتاحتني عاصفةٌ قويّةٌ من الغضب هزّت كياني كلّه وذلك حينما جاءني أحد الآباء المسنّين يشكو عقوق أحد أبنائه له والاعتداء عليه بالضّرب فاستدعيت الولد وبعد لومه وتقريعه وتأنيبه بشدّةٍ قمت بنصحه وإرشاده واستتابته فارعوى وتاب وندم على فعله الشّائن الأخرق فأخذته بعدها إلى والده لينحني أمامه مقبّلًا يديه طالبًا صفحه وغفرانه ورضاه فكان له من أبيه ما أراد.

٥٢٢– لا سلِمتْ منكَ يدٌ ما أبشعَكْ تضرِبُ والدًا أسالَ منبعَكْ
٥٢٣– وجاءَ بالّذي تحبُّهُ ولمْ يبخلْ وعن ما شئتَهُ ما منعَكْ

٥٢٤– قاسى وعانى ورأى مذلّةً وظَهْرُهُ أحناهُ حتّى يرفعَكْ
٥٢٥– عن فمِهِ كان يردُّ لقمةً شهيّةً وما بيومٍ جوَّعَكْ

٥٢٦– فوق حصيرٍ نامَ غيرَ مشتكٍ يسعدُ إنْ رأى حريرًا مضجعَكْ
٥٢٧– كم حبسَ الدّمعَ وأبدى فرحةً كي لا بمنظرِ الدّموعِ يوجعَكْ

٥٢٨– كالّليثِ يغدو هائجًا وواثبًا يريدُ نهْشَ مَنْ أرادَ مصرعَكْ
٥٢٩– تضربُهُ؟ كيف ستلقى نعمةً وكيف بعدَها تمدُّ أذرعَكْ؟

٥٣٠– ما كان يرجو مِنْ بقائِهِ سوى أنْ ترتقيْ وأنْ تعلّيْ موقعَكْ
٥٣١– قبِّلْ يديهِ تائبًا مستغفرًا عسى الإلهُ أنْ ينيرَ موضعَكْ

٣٩ – أمّك هذه

(قافية العين)

لم يكن من الطّائفة الّتي كنت رئيسًا لها ولا حتّى من الدِّين الّذي أنا عليه ومع هذا فوجئت به بعد أن دخل عليّ قد انحنى وقبّل يدي ثمّ جلس أمامي وأجهش ببكاءٍ مرٍّ وسمعته يقول :
– ضميري يعذّبني وينهشني ونيرانٌ في داخلي ملتهبةٌ تأكلني فلا نومي نومٌ ولا طعامي طعامٌ.
أنا أقذر ممّا تتصوّر يا حضرة القس ولا أستحقّ أن أدعى إنسانًا ولا أن أعيش وياليت كلّ من يراني يبصق في وجهي. وطال الحديث وعرفت من خلاله أنّه قد فعل فعلًا فظيعًا تهتزّ له السّماء وتضطّرب الأرض إذ قام بقتل أمّه بكتم أنفاسها لشكّه بسلوكها ولا أحد علم بجريمته تلك. ولم يمضِ من الأيّام على اعترافه هذا إلّا قليلها حتّى علمت بأنّه قد عاف الحياة وتركها منتحرًا .

٥٣٢– نارُكُ شبّتْ فنهتْ أيّامَها ولمْ يصِرْ حليبُها شفيعَها
٥٣٣– بكفِّ خائنٍ صحتْ مِنْ نومِها فكشّرتْ وأظهرتْ فظيعَها

٥٣٤– أمُّكَ هذه الّتي لاشيتَها وبالرّخيصِ شئتَ أنْ تبيعَها
٥٣٥– كمْ أسرعتْ إليكَ تنسى ذاتَها حاضنةً في رأفةٍ رضيعَها

٥٣٦– وكمْ بكتْ عليكَ عند محنةٍ ترجو بسيفِ غيظِها تقطيعَها
٥٣٧– هاجمةً كالسّيلِ إنْ منكَ دنا شرٌّ وتزهو إنْ غدا صريعَها

٥٣٨– أمُّكَ هذه الّتي حُبًّا بلا عَدِّ إليكَ قدّمتْ صنيعَها
٥٣٩– ضحّتْ وصارعتْ وعاركتْ وما استطاعَ وحشٌ هائجٌ ترويعَها

٥٤٠– كانت لكَ العينَ ترى بنورِها وأنتَ جئتَ مكثرًا تدميعَها
٥٤١– وكانتِ اليدَ الّتي تعطي وها أنتَ أبحتَ ظالمًا تقطيعَها
٥٤٢– الأمُّ قدّيسةُ دهرِها وإنْ أتى الخَطا ملوّثًا ربيعَها
٥٤٣– مَنْ سبَّها أو نالَ منها سيفُهُ أو راحَ ينوي عامدًا تركيعَها

٥٤٤– في الأرضِ حازَ خيبةً تهدُّهُ ولن يرى مِن السّما بديعَها

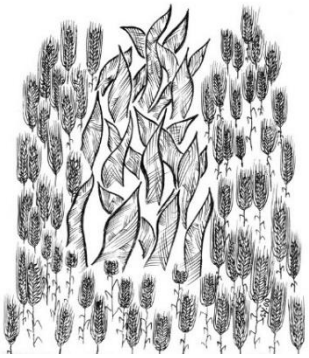

٤٠ – ابنك سيفك

(قافية العين)

– أعلم أنّه يحبّني ولست أشكّ أبدًا في صدق محبّته ولا في عظمتها ولا في شدّة حرصه على نجاحي وسعادتي ولكنّ الحبّ وحده لا يكفي فهو لم يحسن التعامل معي لهذا فقد كان وراء كلّ ما منيت به من الفشل الدّائم والخيبات المتكرّرة. هكذا تحدّث أمامي عن والده الّذي اتّهمه بأنّه هو المسؤول عن ضعف شخصيّته وخنق أنفاس مواهبه وتقييد طموحه بقسوته الشّديدة وسطوته وإغاظته والحدّ من حرّيته.

٥٤٥– يا أيّها الأبُ أأنتَ سامعُ فإنّني لبابِ فكْرٍ قارعُ
٥٤٦– ما جئتُ هائجًا ولكنْ هادئًا عقلي مفتَّحٌ وصدري واسعُ

٥٤٧– أقولُ ما أقولُهُ منفعةً فليس ينميْ العيشَ إلّا النّافعُ
٥٤٨– أُعطيتَ نعمةَ البنينَ لا تكن منكِرَها وأنتَ فيها راتعُ

٥٤٩– ابنُكَ بذرةٌ يعيشُ نبْتُها إنْ لمْ تمرَّ فوقهُ زوابعُ
٥٥٠– وإنْ حَماهُ مطرٌ مِنْ عطشٍ وحولهُ أُقيمَ سورٌ مانعُ

٥٥١– تراهُ مزهرًا يفوحُ عطرُهُ تغارُ مِنْ بهائِهِ البدائعُ
٥٥٢– ابنُكَ سيفُكَ الصّقيلُ قاطعًا تلقاهُ إنْ زارَكَ شرٌّ لاذعُ

٥٥٣– ونهرُكُ الّذي سيبقى جاريًا إنْ لكَ جفّتْ وفنتْ منابعُ
٥٥٤– وإنّهُ صوتُكَ يبقى هادرًا إنْ هدَّ صوتَكَ القويَّ قامعُ

٥٥٥– فإنْ كبا وانهزمتْ رياحُهُ فأنتَ في ضياعِهِ لضائعُ
٥٥٦– فكن لطيفًا ناصحًا في رأفةٍ فإنّهُ بالرّفقِ إبنٌ خاضعُ
٥٥٧– لا تقسُ فالقسوةُ سمٌّ قاتلٌ تزدادُ في أجوائِها الفواجعُ

٤١ – ابنتك الّتي تحبّ

(قافية العين)

من المعروف أنّ البنت هي حبيبة أبيها والأقرب إليه من حبل وريده وأنّها به مباهيةٌ معجبةٌ فخورةٌ إلّا أنّ بطلة قصيدتنا هذه رأت من أبيها ما كرهت وما جعلها تعيسةً شقيّةً كئيبةً طوال حياتها وما تركها غاضبةً منه وغير راضيةٍ عنه لأنّه حال دون زواجها ممّن تهوى وأجبرها على الاقتران بشخصٍ لا تطيقه ولا ترغب فيه وتأنف من عشرته .

٥٥٨– لها فؤادُها فكيف يُقلَعُ مِنْ صدرِها وفي جحيمٍ يوضعُ؟
٥٥٩– تحبُّ ما الضّيرُ بهذا ؟ عندها عينٌ بها ترى وأذْنٌ تسمعُ

٥٦٠– ليست نحاسًا قاسيًا أو حجَرًا فلا تحسُّ إنْ أتاها وجعُ
٥٦١– ولا مَتاعًا لتُباعَ بَخْسةً ونحو شاريها خُطاها تسرعُ

٥٦٢– دعها وما تريدُ ليست عبدةً ولستَ سيّدًا لها فتخضعُ
٥٦٣– بل إنّها كغيرِها باحثةً تسعى بكلِّ ما تحبُّ تطمعُ

٥٦٤– حياتُها مُلْكٌ لها تصوغُها كما تشا فكيف عنها تُمنَعُ
٥٦٥– وكيف تُسقى ماءَها معكَّرًا وفوق خدِّها بعنفٍ تُصفَعُ

٥٦٦– وكيف تُعطى لقمةً تكرهُها وكيف خَلًّا فاسدًا تُجرَّعُ؟
٥٦٧– فلا تلُمْها إنْ شكتْ مِنْ عيشِها وأصبحتْ في بئرِ طيشٍ تقعُ

٥٦٨– وأقفرتْ جنّاتُها واتّسختْ لوحاتُها وطبلُها لا يقرعُ
٥٦٩– ونهرُها جفّتْ مياهُهُ وما عادَ لشيءٍ نبتغيهِ ينفعُ

٥٧٠– كنْ لائمًا نفْسَكَ إنْ تهلهلتْ أثوابُها ولمْ تعُدْ تُرقَّعُ
٥٧١– فأنتَ مَن أذاقَها مرارةً وأنتَ مَن لحالِها ستدمعُ

٥٧٢– ونادمًا تبقى وفيكَ غصّةٌ نارُكَ لا تخبو ومنها تُلسَعُ
٥٧٣– أضعتَها مَن لكَ كانت غيمةً هاطلةً واليومَ أنتَ بَلْقعُ

٥٧٤– ابنتُكَ الّتي تحِبُّ دُمِّرتْ وهُشِّمتْ لها يدٌ وأضلعُ
٥٧٥– ستشتكيكَ عند ربِّكَ الّذي يغضبُ ممّن في كهوفٍ يقبعُ

٥٧٦– يقولُ : إنّني خلقتُكَ بلا قيدٍ وما أنتَ تشاءُ تصنعُ
٥٧٧– فكيف تسجنُ سواكَ عَنْوةً ورايةً لفوزِهِ لا ترفعُ؟

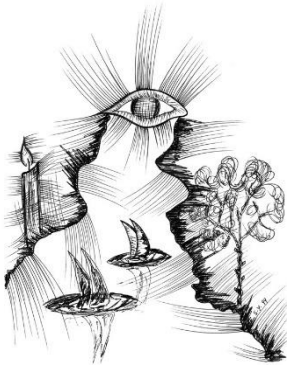

٤٢ – لا تنخدع

(قافية الغين)

أكثر ما كان يؤلمني من القضايا الّتي تعرض لي وعليّ هي القضايا الخلافيّة حول المال ولا سيّما تلك الّتي تقع بين إخوةٍ متباغضين فرّقهم ميراث أبيهم.

٥٧٨– مهما حوى عالَمُنا مِنْ ثروةٍ فإنّهُ قَبْضُ الرّياحِ فارغُ
٥٧٩– لا تنخدعْ بخبزِهِ فإنّهُ جافٌّ وإنْ هفا إليهِ ماضغُ

٥٨٠– وتِبرُهُ لا يشتهيهِ عاقلٌ مهما لهُ جمّلَ وجهًا صائغُ
٥٨١– وماؤهُ ليس يُروّي عطِشًا ثعبانُهُ لكلِّ ثغرٍ لادغُ

٥٨٢– وحقلُهُ أشجارُهُ عقيمةٌ لا يرتجي منها ثمارًا بالغُ
٥٨٣– ووجهُهُ لا لونَ فيهِ واضحٌ وأنّهُ إنْ رُمتَهُ مراوغُ

٥٨٤– حصانُهُ في حربِهِ منهزمٌ عن كلِّ دربٍ للمعالي زائغُ
٥٨٥– تبقى فقيرَالحالِ مُعْوِزًا وإنْ تراكمتْ في جيبِكَ المبالغُ

٥٨٦– عشْهُ محبًّا عاقلًا وقانعًا فلن يحوزَ المجدَ إلّا النّابغُ

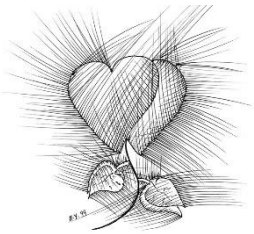

٤٣ – بئس الذّكاء هذا

(قافية الغين)

لقد عرفته عن قربٍ داهيةً ماكرًا مخادعًا محتالًا ولكم نصحته باستثمار دهائه هذا بما ينفع ويفيد وبما فيه الخير لكنّه أبى النّصح فلم يرتدع واستمرّ مراوغًا حتّى رأيت ما رأيت من نهايته الوخيمة.

٥٨٧– بكلِّ لونٍ وجهُهُ يصطبغُ وقلبُهُ مِنْ كلِّ طُهْرٍ مُفرَغُ
٥٨٨– يحتالُ كالثّعلبِ يبغي صَيدَهُ والذّهنُ فيهِ بالضّلالِ يُدمَغُ

٥٨٩– لا يستحي مِنْ فعلِهِ بل إنّهُ عليهِ مِنْ نعتِ الذّكاءِ يُسبِغُ
٥٩٠– بئسَ ذكاءً قد خلا مِنْ خُلُقٍ بظُفْرِهِ أدمغةً يدغدِغُ

٥٩١– لن يظفِرَ المكّارُ حتّى إنْ غزا أرضًا ولا لِما يريدُ يبلُغُ
٥٩٢– فلا تكن منتصرًا في حيلةٍ فإنَّ ذا طينٌ بهِ تُمرَّغُ



٤٤ – سنختفي إنْ لمْ

(قافية الفاء)

لقد سمعته كثيرًا، وكثيرًا ما أشفقت عليه من شياطين الجهل الّتي أحاط بها نفسه محاولًا نقل سمومها إلى غيره، وكم رثيث لحال سامعيه ومؤيّديه المنخدعين بفكره الرّجعيّ السّقيم المنافي لطبيعة العصر ومتطلّباته والمعادي لأساليب الحضارة الحديثة ومستلزماتها .

٥٩٣– يقودُ للفراغِ فكْرٌ أجوفُ وسيلُهُ عشبَ الخلودِ يجرُفُ
٥٩٤– مهدّمًا ما فيهِ يزهو غدُنا وحائطَ الجَمالِ فينا ينسِفُ

٥٩٥– يطرحُنا عطشى على شواطئٍ مِنْ جدولِ الوهمِ سمومًا نغرِفُ
٥٩٦– في مركبِ الماضي إلى مزبلةٍ يحملُنا في جوفِها تخلُّفُ

٥٩٧– حاضرُنا فحواهُ لا ندركُهُ وما بهِ يأتي غدٌ لا نعرِفُ
٥٩٨– بسيفِ جهلِنا تُدمّى روحُنا ونحو أعماقِ الهباءِ نُخطَفُ

٥٩٩– لا شيءَ ينمو ويزيدُ قحطُنا وغيرَ شوكٍ جارحٍ لا نقطفُ
٦٠٠– هذي الخرافاتُ طبولٌ يبستْ ولمْ تعُدْ سوى الضّجيجِ تعزِفُ

٦٠١– منها بلادُنا تدمّرتْ ولمْ تزلْ جراحُها دماءً تنزِفُ
٦٠٢– تبكي على أبنائِها وحالِها وليس مَن لدمعِها يكفكفُ

٦٠٣– سحقًا لفكْرٍ فاسدٍ ملوَّثٍ بهِ أتانا جاهلٌ مخرّفُ
٦٠٤– فاتّسختْ وجوهُنا وانطفأتْ شموعُنا وسَيرُنا منحرفُ

٦٠٥– بالوعيِ يُبنى مجدُنا لا بفمٍ ممّا يقولُهُ الحياةُ تقرَفُ
٦٠٦– إلى العلومِ والصّوابِ فلنعُدْ إذْ منهما يا قومُ لا تخوّفُ
٦٠٧– سنختفي وننتهي إنْ لمْ نعُدْ وعن تخومِ دهرِنا سنُصرَفُ
٦٠٨– تغضبُ مِنْ جنونِنا سماؤنا والأرضُ مِنْ تحتِ خُطانا تخسُفُ



٤٥ – ما أتعسها

(قافية الفاء)

كلّما كنت أقوم بزيارتها كانت تبكي قائلةً :
– انظرْ كيف بقيت وحدي لقد مضى الجميع وتركوني وحيدةً بين هذه الجدران الخرساء الصّمّاء، فليكن المهمّ أنّهم بخيرٍ لكنّ الشّوق إليهم يعذّبني كثيرًا يا أبانا.
صلِّ من أجلي لا تنسني من دعائك، وكم أشكر لك افتقادك لي بين الحين والحين.
كانت قد وصلت إلى أرذل العمر تعيش في عزلةٍ قاسيةٍ صعبةٍ بعد أن تركها بنوها وأحفادها وانطلقوا في طول الأرض وعرضها.

٦٠٩– مكشِّرًا يجلِدُها خريفُها ومُقلِقًا يأتي إليها طيفُها
٦١٠– أوراقُ غصنِها ذوى أخضرُها ومائلٌ مهتزئٌ رصيفُها

٦١١– لا نارَ في منزلِها تدفئُها وأسودٌ محترقٌ رغيفُها
٦١٢– تبكي ولا ثمّةَ مَنْ يؤنسُها وفي اللّيالي صمتُها يخيفُها

٦١٣– على الجدارِ صورةٌ لمن مضى يحوي سوادًا قاتمًا تجويفُها
٦١٤– تسألُها: أين اختفى صاحبُها؟ ويبتدي هنا لها تعنيفُها

٦١٥– شاكيةً إلى الإلهِ قهرَها في طِلْبةٍ لسمْعِهِ تضيفُها
٦١٦– لاطفتُها وقلتُ : يا سيّدتي طُوّبَ مِنْ شعوبِهِ ضعيفُها

٦١٧– إنّكِ أمٌّ والقديرُ قالَها: الأمُّ في الجِنانِ أستضيفُها
٦١٨–بكت وقالت: لوّثوا ليْ صفحتي متى وكيف يُرتجى تنظيفُها؟

٦١٩– حضنتُها وقلتُ: ما أتعسَها إذْ مِنْ يديها قد أُزيلَ سيفُها
٦٢٠– وبعد أيّامٍ أتاني نعيُها قلتُ: استراحت وانتهى نزيفُها

٤٦ – إنّك أقوى

(قافية الفاء)

قبل أن يطرق بابي لم أكن أعرفه عن قربٍ معرفةً كافيةً تجعلني أرسم لشخصيّته صورةً واضحة المعالم ولكن ما أن جاءني مضّطربًا مرتعشًا خائفًا حتّى عرفت أنّه أسير عقدة الخوف وحينما طلب منّي أن أكون له عونًا على طرد مخاوفه أمسكت بيديه بقوّةٍ وقلت له مبتسمًا:

– إنّ الّذي فيك أقوى من الّذي عليك لذلك لن أراك إلّا أقوى.

وفعلًا أثبت بعد أكثر من لقاءٍ معه بأنّه أقوى.

٦٢١– ما لي أراكَ غائمًا وخائفا كأنَّ ثعبانًا أتاكَ زاحفا
٦٢٢– ممَّ تخافُ قلْ وكيف لا ترى بالرّوحِ قربكَ ملاكًا واقفا؟

٦٢٣– يبثُّ فيكَ قوّةً تحتاجُها ولحنَ عزمٍ للحياةِ عازفا
٦٢٤– خُلقتَ لا للخوفِ تُسقى مُرَّهُ مِنْ كأسِ سمِّهِ تظلُّ راشفا

٦٢٥– قمْ لا تكن فوق لهيبٍ جالسًا وعن رسومِ الرّعبِ فيكَ كاشفا
٦٢٦– إنّكَ أقوى لا تُضعِّفْ وثبةً فيكَ وهيّا كن لآهٍ ناسفا

٦٢٧– إنَّ الوجودَ واهبٌ ما تبتغي ولن ترى فيهِ سرابًا زائفا
٦٢٨– الخوفُ سجنٌ للنّفوسِ مظلمٌ يصبحُ فيهِ كلُّ شيءٍ تالفا

٦٢٩– حطّمْهُ واهربْ منهُ فيهِ لا تعِشْ وسِرْ قويَّ النّبضِ حُرًّا هاتفا :
٦٣٠– إنّي سأطعنُ المخاوفَ الّتي طغتْ وأبقى لخُطاها حاذفا

٤٧ – ربّي تلطّفْ شافيًا

(قافية الفاء)

بالرّغم من طول مرضه وشدّة قسوته عليه ظلّ قويّ البأس عالي الهمّة كما كان فلم يكفّ عن مقاومته وإصراره على العيش كما يشتهي إلى آخر لحظةٍ من عمره.

وكنت كلمّا زرته أزداد عشقًا للحياة وأتعلّم منه أنّ المرض مهما اشتدّ لن يستطيع خنق لذّة الوجود وعشقه فينا.

٦٣١– مدَّ إلى وجهِ السّماءِ كفَّهُ وقد غزاهُ سُقْمُهُ وشفَّهُ
٦٣٢– مصلّيًا ملتمِسًا معونةً مرتجيًا مِنَ الإلهِ وقْفَهُ

٦٣٣– فإنّهُ كالعصْفِ مسَّ قلبَهُ فهدَّهُ هدًّا وأنمى خوفَهُ
٦٣٤– توجعُهُ الحُمّى فيصحو لاهثًا ونارُها أمامَهُ وخلْفَهُ

٦٣٥– وآهُهُ لا تختفي مِنْ فمِهِ كأنّما حبلُ حديدٍ لفَّهُ
٦٣٦– عيناهُ لا ضياءَ فيهما كمن ألفُ دجًى بسهمِهِ أتلفَهُ

٦٣٧– ووجهُهُ منكسرٌ وأصفرٌ كأنَّ سيفًا صدئًا قد حفَّهُ
٦٣٨– على فراشِهِ ضعيفٌ جسمُهُ مِنْ تعبٍ ليسَ يجيدُ وصفَهُ

٦٣٩– لا يشتهي طعامَهُ أو ماءَهُ وملَّ ما عادَ يطيقُ ضعفَهُ
٦٤٠– كم كان في صحّتِهِ مبتهجًا يُنطِقُ باللّحنِ الجميلِ دُفَّهُ

٦٤١– ولمْ يكن يدري بأنَّ جيشَهُ داءٌ سينهيهِ مزيلًا صفَّهُ
٦٤٢– لا تنسَ لن تبقى قويًّا فارتدِعْ ولا تزِدْ في مستكينٍ نزْفَهُ

٦٤٣– ضمِّدْ جراحَ نفْسِهِ وقوِّهِ وكالعروسِ في ابتهاجٍ زُفَّهُ
٦٤٤– مع الّذي بلواهُ أشقتْهُ يدًا كن كي تؤخِّرَ قليلًا حتْفَهُ
٦٤٥– ربّي تلطّفْ شافيًا أمراضَنا وابنِ لكلٍّ مَنْ تهاوى سقْفَهُ



٤٨ – ما كنت أريدها

(قافية القاف)

فتاةٌ صغيرةٌ يُغرَّر بها فتحمل سِفاحًا وبعد افتضاح أمرها يتمّ قتلها شرَّ قتلةٍ على يد أقرب النّاس إليها وما أكثر الحوادث الشّبيهة الّتي شهدتها وسجّلت موقفًا معارضًا من طريقة معالجتها، فليس من العدل ولا من الحكمة في شيءٍ اللّجوء إلى القتل بذريعة غسل العار فهناك طرقٌ أخرى لن يعدم الوصول إليها من يريد حلًّا لهكذا مشاكل غير إزهاق روح من أخطأت، ومن كان منّا بلا خطيّةٍ فليرمها أوّلًا بحجرٍ.

٦٤٦– وكيف تغفو هانئًا لا تقلقُو ودمُها على يديكَ مُهرَقُ
٦٤٧– وكيف تحيا في سلامٍ هادئًا وهْي على بابِكَ دومًا تطرُقُ؟

٦٤٨– ما زالَ صوتُها كبوقٍ صارخًا : إنّي بموجِ مَنْ أحبُّ أغرقُ
٦٤٩– يا وجعي قد صرتُ قشًّا مهمَلًا وجسدي كخِرقةٍ يُمزَّقُ

٦٥٠– حولي وحوشٌ أبرزتْ أنيابَها وهجمتْ ناهشةً لا تشفقُ
٦٥١– سكّينُ أهلي قطّعتْ أصابعي عليَّ كلُّ مَنْ يراني يبصُقُ

٦٥٢– كأنّني لمْ أكُ بنتَهم ولا في نهرِهم يومًا جرى لي زورقُ
٦٥٣– ولمْ أنمْ بالقربِ منهم مرّةً ولا بهم كانت غصوني تورِقُ

٦٥٤– ولا أُذِقتُ لقمةً مِنْ خبزِهم ولا بأشياءَ عليَّ أغدقوا
٦٥٥– ولا كأنّي كنتُ يومًا بينهم ألهو ولا لرقصتي قد صفَّقوا

٦٥٦– ولا تذكَّروا حقولَهم بها كنتُ عطورَ وردِهم أستنشقُ
٦٥٧– إذا بكوا يؤلمُني بكاؤهم وبالبكاءِ والنّحيبِ أشهقُ

٦٥٨– وإنْ أنتهم فرحةٌ راقصتُها وصرتُ مثْلَ طائرٍ أُحلِّقُ
٦٥٩–واحسرتي ممّا أنا فيهِ هنا نارٌ بأعماقي لظاها يحرِقُ

٦٦٠- لا لمْ أكن أريدُها لكنّني خُدِعتُ ممّن كان وجهيْ يعشقُ
٦٦١- قالَ كلامًا مغريًا وناعمًا قلبيْ الصّغيرُ صارَ منهُ يخفقُ

٦٦٢- فلترحموا بريئةً ليست تعي وعقلُها مغيَّبٌ ومغلَقُ
٦٦٣- أما لخاطئٍ أساءَ توبةٌ وكيف يُلغى عفوُهُ ويُشنَقُ؟

٦٦٤- يا ذابحَ النّعجةِ ليتكَ ترى دموعَها وأنتَ فيها تخنُقُ
٦٦٥- لكنتَ تأبى ذبحَها في قسوةٍ وكنتَ قلبًا فيكَ صخرًا تسحقُ

٦٦٦-يعفو الإلهُ عن ذنوبِ شعبِهِ وشعبُهُ بمن هوى لا يرفقُ
٦٦٧- يا راجمًا غيرَكَ هلّا عادلًا كنتَ ونفْسًا لكَ رحتَ ترشُقُ

٦٦٨- إذْ كلُّنا أثَمةٌ أخطاؤنا مكتومةٌ نحكي ولسنا نصدُقُ
٦٦٩- ربُّكَ يغفرُ الخطايا كلَّها فاعفُوا ووسِّعوا ولا تضيّقوا



٤٩ – لمَ دستَ زنبقك؟

(قافية القاف)

عرفتُه طفلًا لا يتوقّف عن اللّعب والحركة والصّخب وعاشرتُه فتًى يافعًا يضجّ بالحياة، ولكنّي لم أره شابًّا ولا صحبته رجلًا لأنّه آثر الرّحيل عن الدّنيا منتحرًا ولم يعرف سبب ذلك.

٦٧٠– بَرُّ الحياةِ يا تُرى قد أرهقَكْ أم بحرُها الّذي ركِبتَ أقلقَكْ؟
٦٧١– كنتَ صغيرًا مسرِعَ الخُطى بها فمن أتاكَ كابحًا وعوَّقَكْ؟

٦٧٢– وكيف في موجٍ يثورُ صدرُهُ أَلقيتَ حينما دعاكَ زورقَكْ؟
٦٧٣– وملْتَ عن دربِ الوضوحِ تائهًا وسرتَ في رملٍ بلغزٍ أغرقَكْ

٦٧٤– وقد هربتَ مِنْ نهارٍ باسمٍ لحضنِ ليلٍ بعماهُ طوَّقَكْ
٦٧٥– مَنْ ذا الّذي ألقى عليكَ سهمَهُ فشلَّ ما فيكَ نما وأزهقَكْ

٦٧٦– ولمْ تعُدْ تحبُّ ما تحبُّهُ وصرتَ لاعنًا ربيعًا أورقَكْ
٦٧٧– يا ليتني عرفتُهُ لكنتُ قد شنقتُهُ كما بحبْلٍ شنقَكْ

٦٧٨– وجئتُهُ كالسّيلِ أغزو حقلَهُ كما غزاكَ سيلُهُ فمزّقَكْ
٦٧٩– مالَكَ ضقتَ بالحياةِ كارهًا غدًا سيأتي فيهِ تعطي عبقَكْ

٦٨٠– وفيهِ تنسى ما رأيتَهُ بها مِنْ وسَخٍ شوّهَ فيها ورقَكْ
٦٨١– وتشتهي فتنتَها وترتمي في حضنِها تنهي حصارًا خنقَكْ

٦٨٢– وفي ملاعبَ لها تجري ولا تمَلُّ طاردًا لجارٍ سبقَكْ
٦٨٣–يا أيّها الفتى الّذي عنّا مضى مستعجلًا مَنْ للغيابِ شوَّقَكْ؟

٦٨٤– أمامكَ العمرُ لماذا لمْ تزُرْ رياضَهُ ولِمَ دستَ زنبقَكْ؟
٦٨٥– لكَمْ سكبنا أدمعًا عليكَ يا مَنْ فوق أشجارٍ أساكَ علّقَكْ

٦٨٦- تركتَ حزنًا حارقًا في مُهَجٍ كحزنِكَ الّذي لظاهُ أحرقَكْ

٦٨٧- فادخلْ بموتِكَ الأليمِ عالَمًا فيهِ ترى بعدَ انحسارٍ مشرِقَكْ

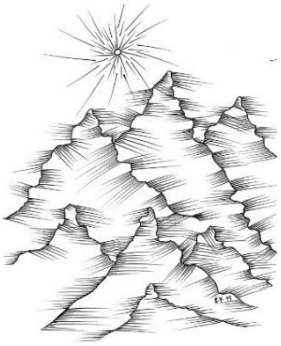

٥٠ – لا تنهزمْ

(قافية القاف)

أعجبني منه عزمه الثّابت الأكيد وأكبرت فيه ثقته العالية الكبيرة بمواهبه وقدراته حينما قصدني طامعًا في تشجيعي ومساندتي له بما قد عزم عليه. وبعد حديثٍ طويلٍ معه أمسكت بيديه وضغطت عليهما بقوّةٍ وحرارةٍ وموّدةٍ وقلت له :

– سيكون لك ما أردته إن سعيت إليه بخطوةٍ شجاعةٍ متأنّيةٍ غير متقلقلةٍ،

وصدق حدسي إذ صار لاحقًا كما أراد وشاء أن يصير.

٦٨٨– هضابُ ما تسعى إليهِ شاهقهْ ونارُها إنْ لمْ تُزِلْها حارقهْ

٦٨٩– لا تنهزمْ أمامها مستسلمًا وامضِ لها جريًا برِجْلٍ واثقهْ

٦٩٠– عزمتَ لا تقفْ وهيّا ثائرًا حطِّمْ قيودًا وسجونًا خانقهْ

٦٩١– فالفوزُ لا يأتي اعتباطًا إنّما بالعزمِ إنْ سارَ بروحٍ شارقهْ

٦٩٢– وإنْ أردتَ صادقًا نَوالَهُ بشهوةٍ على الجمودِ حانقهْ

٦٩٣– مِنَ العِظامِ خذْ صفاتِهم وإنْ هزَّكَ يأسٌ ناصبًا مشانقَهْ

٦٩٤– قمْ لا تهَبْ شيئًا وشكِّلْ لوحةً ألوانُها بما نويتَ ناطقهْ

٦٩٥– ما صارتِ الدّنيا كما نحبُّها إلّا بأيدٍ للجَمالِ خالقهْ

٦٩٦– ولن تدومَ مثلما نرجو إذا لمْ ننتفضْ ونغذُ مثْلَ الصّاعقهْ

٦٩٧– عاصفةً صِرْ واكسرِ الفوضى ولا تمِلْ إلى أصواتِ عجزٍ ناعقهْ

٦٩٨– إنّكَ قائمٌ فلا تجلسْ وسِرْ لمبتغاكَ بثيابٍ لائقهْ

٦٩٩– منوّرًا ما اسودَّ مِنْ مسالكٍ وحاملًا معْكَ ورودًا عابقهْ

٧٠٠– يا مرحبًا بمن أتاني راكبًا على خيولِ صحوِهِ المسابِقهْ

٧٠١– سوف تفوزُ نائلًا ما ترتجي مبتهِجًا كعاشقٍ بعاشقهْ

٥١ – لا ما رحلتَ

(قافية القاف)

مع بدء اندلاع الحرب المجنونة في سوريا اضطّر لخوضها مكرهًا مرغمًا وهو في ذروة شبابه ثمّ انقطعت عن أهله أخباره فيها ولم يُعرف إلى اليوم إن كان حيًّا بعد أم لا وما زال والداه وأحبابه ينتظرون عودته ويتلهّفون لها.
آه لو أدرك صنّاع الحروب وتجّارها ما تفعل الحروب بالنّاس وما تخلّفه من المآسي والكوارث لخجلوا من أنفسهم وتوقّفوا عن ضخّ الدّماء في عروقها وتركوها لتيبس وتموت.

٧٠٢– صوتُكَ كالأنغامِ لا يفارِقُ سمْعي وأذْنَ عالَمي يعانقُ
٧٠٣– مَنْ قالَ صرتَ غائبًا عنّي وها إنّكَ في حقولِ روحي عابقُ

٧٠٤– أراكَ واقفًا بقربي باسمًا ثغرُكَ بالّذي أحبُّ ناطقُ
٧٠٥– ترسمُ لي مشاهدًا أعشقُها وليس يشبعُ أبوكَ العاشقُ

٧٠٦– ما زلتَ في البيتِ تسيرُ هادئًا خطوكَ حُرٌّ وجميلٌ واثقُ
٧٠٧– وحين تمضي للصِّحابِ ساهرًا أبقى وحيدًا أرَقيْ أصادقُ

٧٠٨– أرنو إلى البابِ لعلّهُ أتى أقولُ في نفْسي: عساهُ الطّارقُ
٧٠٩– عشتَ وكنتَ لا تهابُ عاصفًا كالطّودِ لا تهزُّكَ الصّواعقُ

٧١٠– مَنْ قالَ أنتَ غائبٌ يا ولدي ونبضُ قلبِكَ بحُبٍّ خافقُ
٧١١– هذي حبيبتي أحبُّها أبي وإنّني في الحُبِّ هذا صادقُ

٧١٢– كم قلتَها لي شاكيًا دلالَها وأنتَ في شوكِ هواها عالقُ
٧١٣– أبسِمُ في وجهِكَ باسطًا يديْ مردّدًا: إنّي لكَ المُرافقُ

٧١٤- لا ما رحلتَ عن حياتي مطلَقًا قَصرُ حكاياتِكَ عندي شاهقُ

٧١٥- لو يئسَ النّاسُ جميعًا فأنا لا ولعَوْدِكَ إليَّ رامقُ

٧١٦- إنّي وأمُّكَ سنبقى نرتجي ربًّا وسوفَ لن يضِنَّ الخالقُ

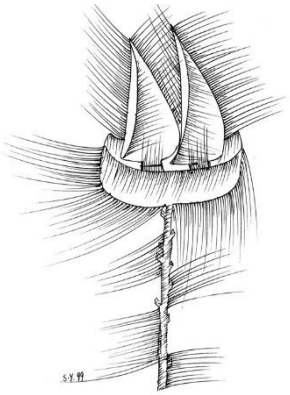

٥٢ – أريد أن أنجو

(قافية القاف)

– أرجوك يا حضرة القسيس دلّني على طريقٍ أسلكه لأنسى فيه أوجاعي الّتي سبّبتها لنفسي، أنا أعلم أنّني موغلةٌ في الخطأ ولكنّني ما زلت عاجزةً عن الهروب منه. فلقد ابتليتُ بقلبٍ أحمق أهوج لا يريد أن يهدأ في صدري وهو دائم اليقظة فلا يريح ولا يرتاح .

بهذا أجابتني إحداهنّ وقد انغمستْ بحبّ شخصٍ لم يبادلها الحبّ حينما سألتها :
– أما يكفي؟!
وإلى أيّ شاطئٍ تريدين أن تصلي في بحرٍ مصطخبٍ وقاربك مثقوبٌ؟

٧١٧– ثوبُ هنائي قِطَعًا قد مزّقَهْ مذْ قلبيَ المسكينُ هذا عشِقَهْ
٧١٨– أعطيتُهُ كوبَ غرامي مترَعًا وهْو على الأرضِ بغيظٍ دفقَهْ

٧١٩– وجئتُهُ وبسمتي على فمي فشلَّهُ برودُهُ وأغلقَهْ
٧٢٠– وروضتي لهُ وهبتُ زهرَها فلمْ يشمَّ عطرَهُ وأحرقَهْ

٧٢١– وما اشتهى قصائديْ نظمتُها فيهِ ولا جُمَليَ المُنمَّقهْ
٧٢٢– وكم رقصتُ رقصةً يحبُّها وكم سكبتُ خمرتيْ المعتَّقهْ

٧٢٣– وكم شدوتُ بالنّشيدِ علّهُ يصغي ولكنْ باحتقارٍ خنَقَهْ
٧٢٤– شَعري لهُ لوّنتُهُ وأعيني كحّلتُها بُغيةَ أنْ أشوّقَهْ

٧٢٥– وما رأى كأنّهُ مِنْ حجرٍ صيغَ فيا للُغزِهِ ما أعمقَهْ
٧٢٦– فكيف أنتهي مِن الجحيمِ ذا إذْ لمْ أزلْ في جوفِهِ محترِقهْ؟

٧٢٧– يا لفؤاديْ الغِرّ كمْ أذاقني مرارةً وقادني للمَشنقهْ
٧٢٨– أريدُ أنْ أنجوْ بنفسي وكفى ضربًا على أجنحتي بمِطرقهْ

٧٢٩- أحبُّهُ ولستُ أدري لمتى أبقى لهُ أسيرةً مطوَّقهْ

٧٣٠- عفوكَ يا أبي إذا وجدتَني منهارةً مكسورةً أو قلِقهْ

٧٣١- سحقًا لهذا الحُبِّ كم أذلّني فقَوِّني حتّى ترانيْ مُعْتَقَهْ

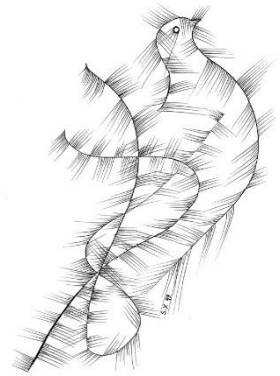

٥٣ – أجائعًا كنتَ؟

(قافية الكاف)

– نارٌ يزداد لهيبها في صدري اشتعالًا مع كلّ يومٍ أعيشه، فكيف يمكن إطفاؤها، ومن تراه يجعلها بردًا وسلامًا، وإلى متى عساني أحتمل جحيمها؟ هكذا كانت تقول لي سيّدةٌ مفجوعةٌ كلّما زرتها معزّيًا مواسيًا فلقد لطمها دهرها بكفٍّ من شوكٍ حينما ابتلع لها نهر دجلة زوجها وابنين من أبنائها في ساعةٍ واحدةٍ.

٧٣٢– نهرٌ يثورُ هائجًا ويُهلِكُ كالوحشِ قلبًا طيّبًا لا يملِكُ
٧٣٣– أمواجُهُ قد زمجرتْ هادرةً تخيفُ مَنْ عاركَها وتُربِكُ

٧٣٤– مَنْ ذا الّذي علّمَهُ حمْلَ المُدى يطعنُ طعنًا مَنْ أتاهُ يضحكُ
٧٣٥– يا نهرُ أيُّ جاحدٍ أنتَ فلا تحمي مصافحًا بودٍّ يسلُكُ

٧٣٦– قربَكَ كان يبتغي هناءَهُ لكنّهُ منكَ غدا يشوَّكُ
٧٣٧– لطمتَهُ على خدودِهِ ولمْ تشفقْ فآهٍ مِنْ يدٍ تَنتهكُ

٧٣٨– ثلاثةٌ بلعتَهم أجائعًا كنتَ ومِنْ جوعِكِ أنتَ منهَكُ؟
٧٣٩– يالكَ مِنْ أعمَى فلمْ تنظرْ إلى أمٍّ بها سكّينُ رعبٍ تفتِكُ

٧٤٠– مصدومةً تجري يسيلُ دمعُها معْ جيشِ سلطانِ الرّدى تشتبكُ
٧٤١– صراخُها يعلو وتشقى روحُها وجسمُها مضعضَعٌ مفكَّكُ

٧٤٢– تسألُ: ربّاهُ ألا تسمعُنا ولِمَ هذا الشّرَّ لستَ تُمسكُ
٧٤٣– أمْ لا ترانا في رمالٍ تختفي أقدامُنا وللضّياعِ نُترَكُ؟

٧٤٤– أنتَ إلهُنا وأنتَ نورُنا معبودُنا وفيكَ لسنا نشرِكُ
٧٤٥–ألا تلطّفْ ولشعبِكَ استمعْ حاشا بقدرتِكَ لا نشكّكُ
٧٤٦–لكنّنا في الفهمِ أطفالٌ هنا فهل لنا غدٌ بهِ سندرِكُ؟

٥٤ – اصغِ له

(قافية الكاف)

– إنّني محبَطٌ أشعر بأنّ الّذين يلتقونني ينفرون منّي ويضيقون بي وبحديثي، وأنا هنا لا أطمع منك بشيءٍ يا سيّدي سوى أن تصغي إليّ بكلّ جوارحك ففي جعبتي الكثير لأقوله ولكن لا أحد يحبّ الاستماع إليّ فهل تفعلها أنت وتستمع إليّ؟

أجبته :

– بالتّأكيد سأفعلها وكلّي لما ستقوله آذانٌ صاغيةٌ فهات ما لديك.

وتحدّث كثيرًا وبقيت أسمعه من غير أن أقاطعه وحينما انتهى رأيت الارتياح باديًا على وجهه وخرج من عندي مبتسمًا سعيدًا بعد أن شدّ على يديّ بحبٍّ وحرارةٍ وامتنانٍ.

٧٤٧– اصغِ إليهِ باهتمامٍ إنْ شكا ... ولا تلمْهُ إنْ تهاوى أو بكى

٧٤٨– فإنّهُ يزدادُ راحةً إذا ... عن همّهِ وسوءِ حالِهِ حكى

٧٤٩– جراحُهُ غائرةٌ توخزُهُ ... وقلبُهُ ممّا رأى توعَّكا

٧٥٠– نحوكَ فرَّ طالبًا معونةً ... ومتعَبًا يحتاجُ منكَ مُنّكا

٧٥١– وسائلًا مرتجيًا أنْ يهتديْ ... بعد الضياعِ ناظرًا ما عندكا

٧٥٢– ربّتْ على أكتافِهِ ملاطِفًا ... ولا تكن في صدقِهِ مشكّكا

٧٥٣– واسمعِهُ مِنْ كلامِكِ الجميلِ ما ... يبهجُهُ ولا تكن مرتبكا

٧٥٤– يريحُهُ مِنْ سامعٍ ثباتُهُ ... فلا يرى في لفظةٍ تفكُّكا

٧٥٥– لو كنتَ هشًّا ما أتاكَ واثقًا ... فكن قويًّا ليرى نورًا بِكا

٧٥٦– وقلْ لهُ: إنّي أخوكَ فاستنِدْ ... عليَّ ناسيًا دمارًا مُهلِكا

٧٥٧– فالأخُ للشّدّةِ مولودٌ بهِ ... تحظى بحصنٍ وتزيلُ شوكَكا

٧٥٨– إذا فقدتَهُ فقدتَ عاضدًا ... وناصحًا يريكَ حقًّا مسلكا

٧٥٩– يا مرحبًا أتيتني في ثقةٍ ... وإنّني في الرّدِّ لن أخذُلكا

٧٦٠- قد جئتني اليومَ ضعيفًا شاكيًا وربّما غدًا أصيرُ مثْلَكا

٧٦١- آتيكَ محبَطًا أريدُ قوّةً إذْ أنتَ لي وإنّني أيضًا لكا

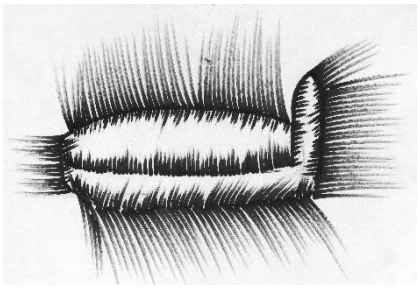

٥٥ – خضها بكلّ جرأةٍ

(قافية الكاف)

بعد حديثٍ طال وقته عن الحياة وقضاياها وسرائرها وبأنّه يمكن اختصار توصيفها بعد خوضها بأنّها ليست لعبةً وإنّما هي معركةٌ حقيقيّةٌ لا يخرج من غبارها منتصرًا إلّا الفارس البطل الهمام سألني :
– كيف أكسبها وأنتزع فوزي منها محتفظًا بفروسيّتي؟

٧٦٢– تسهُلُ إنْ نقيّتَها المسالكُ وكلُّ ما يُدمي خُطاكَ هالكُ
٧٦٣– دقِّقْ ولا تتركْ بها شوائبًا إنّكَ تشقى لو ثراها شائكُ

٧٦٤– إلى الوراءِ لا تسِرْ ملتفِتًا أمامكَ اليومَ تُرى معاركُ
٧٦٥– خضها بكلِّ جرأةٍ وحيلةٍ فالحربُ خدعةٌ بها تشارِكُ

٧٦٦– وهذه الحياةُ ملعبٌ بهِ إبليسُ يسعى وكذا ملائكُ
٧٦٧– يفوزُ فيها مَنْ صفتْ أشواقُهُ ومَنْ بدَفّةِ الصّراعِ ماسكُ

٧٦٨– بالخيرِ يبني بيتَهُ مسوَّرًا وهْو لكلِّ ما يريدُ مالكُ
٧٦٩– وهكذا يُعطى بهاءً يُشتهى وتفتحُ البابَ لهُ ممالكُ

٧٧٠– فدُمْ محلِّقًا فلا تخزى هنا وفي الخلودِ إنّكَ المبارَكُ

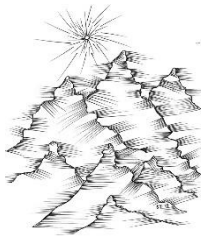

٥٦ – كيف لا تخجل؟

(قافية اللّام)

جاءني يومًا رجلٌ هرِمٌ أنهكته رحلة السّنين المضنية الطّويلة وهو بالكاد يمشي على عصاه مشتكيًا في أسًى تقاعس ابنه الشّاب عن العمل وانصرافه عنه إلى اللّهو والعبث منتظرًا من أبيه المتهالك هذا أن يوفّر له ما استطاع من أسباب العيش ومتطلّباته.

٧٧١– مَنْ لمْ يخُضْ في ذي الحياةِ عملا خابَ وما أمّلَ منها قُبَلا
٧٧٢– ولا رأى يومًا تباشيرَ غدٍ ليس يحبُّ مَنْ يحبُّ الكسلا

٧٧٣– مِنْ بدءِ كونِنا وُهبنا نعمةً ألّا نهابَ حفرةً أو جبلا
٧٧٤ – وأنْ نحوّلَ البَوارَ جنّةً ومِنْ بطونِ المُرِّ نجني عسلا

٧٧٥– ومِنْ غيومٍ يبستْ أثداؤها نأتي بأمطارٍ تروّي الظَّللا
٧٧٦– لا نشتكي عجزًا يهُدُّ خطوَنا ومِنْ ترابِ اليأسِ نبني أملا

٧٧٧– وكلُّ مَنْ ماتَ يضمُّ فأسَهُ في كفّهِ ماتَ شهيدًا بطلا
٧٧٨– يخبرُنا التّاريخُ عن أجدادِنا كيف بنوا بعد مهاوٍ سُبُلا

٧٧٩– لمْ يهربوا مِنْ عملٍ أنهكهم بل ثابروا وفتّحوا ما انقفلا
٧٨٠– وعاركوا ونوّروا حتّى لنا مرتَّبًا هذا البناءُ وصلا

٧٨١– فكيف لا تخجلُ مِنْ أنوارِهم وأنتَ تجري للعمى مرتحِلا؟
٧٨٢– مِنْ سكرةٍ قمْ لا تنم مغيَّبًا يأبى الوجودُ أنْ تكونَ ثمِلا

٧٨٣– ما للفراغِ جئتَ عالَمًا بهِ مِنْ غيرِ جهدٍ لن تصيرَ رجُلا

٥٧ – ليتك عشت

(قافية اللّام)

– صدّقني يا أبانا لو أنّه كان ذا عوزٍ وفاقةٍ ولم يكن يملك من الثّروة الشّيء الكثير لما جئتك شاكيةً متضجّرةً من شدّة شحّه وبشاعة بخله لكنّه غنيٌّ جدًّا غير أنّه لا يتمتّع بغناه هذا وهو يمنعه عنّي وعن أولاده وقد مرمر حياتنا وجعلها جحيمًا حقيقيًّا لا تهدأ ناره ولا تموت دوده فأرجوك قل لي :
ما الحلّ وماذا يمكنني فعله معه؟

٧٨٤– ما أبشعَ المرءَ بمالٍ يبخلُ وحاجةً عند ذويهِ يهملُ
٧٨٥– سينتهي منكسرًا مقيَّدًا عن حَملهِ تعجَزُ يومًا أرجلُ

٧٨٦– ومثلما لمْ يلتفتْ لأحدٍ لا أحدٌ عنهُ بحُبٍّ يسألُ
٧٨٧– أموالُهُ تجرُّهُ لحفرةٍ في جوفِها كلَّ نهارٍ يدخلُ

٧٨٨– ديدانُها تنهشُهُ ويكتوي بنارِ أوجاعٍ إليهِ تُقبِلُ
٧٨٩– ذلًّا ينالُ مِنْ عمومِ قومِهِ وفي مجالسِ الكرامِ يُرذَلُ

٧٩٠– ما نفعُ ما جمّعَهُ مِنْ ذهبٍ وطيّباتِ ما لَهُ لا يأكلُ
٧٩١– ولا يذوقُ رشفةً مِنْ كأسِهِ ولا يزينُهُ رداءٌ مُخملُ

٧٩٢– وفي الشّتاءِ مطفَأٌ موقدُهُ وبابُهُ خوفَ الضّيوفِ مقفَلُ
٧٩٣–لا زرْعَ في بستانِه مزدهرٌ وكلُّ شيءٍ عندهُ معطَّلُ

٧٩٤– أيُّ حياةٍ مُرّةٍ يعيشُها وهْو بحبلِ مالِهِ مكبَّلُ
٧٩٥– زوجتُهُ تكرهُهُ ولا يرى عطفَ بنيهِ وشذاهُ يُقتَلُ

٧٩٦- يا بؤسَهُ فإنّهُ معذَّبٌ ليس يجيئُهُ بشدوٍ بلبلُ
٧٩٧- يضيعُ عمرُهُ بلا مباهجٍ ونحو قبرِهِ قريبًا يرحلُ

٧٩٨- يا أيّها الشّقيُّ تِبْرُكَ الّذي عبدتَهُ وكنتَ فيهِ تَصقُلُ
٧٩٩- لمن تركتَهُ وأنتَ راحلٌ أما علمتَ أنّهُ سيبطُلُ؟

٨٠٠- ليتكَ عشتَ هانئًا في دَعةٍ بما لديكَ دائمًا تُدلَّلُ
٨٠١- ها أنتَ قد مضيتَ عنه مكرَهًا والآنَ يا مسكينُ ماذا تفعلُ؟

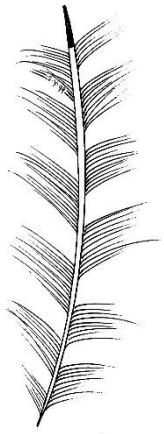

٥٨ – لا كلامٌ ولا رسائلُ

(قافية اللّام)

أنا في مشكلةٍ حقيقيّةٍ ولأنّني لم أهتدِ لحلٍّ لها فقد جئتكَ طالبةً عونك ونصحك، والمشكلة هي مع زوجي الّذي أحبّني وأحببته وعشنا معًا من السّنوات أجملها وأسعدها إلى أن قُيّض له السّفر إلى بلادٍ بعيدةٍ ومن وقتها اضطّربت علاقتنا وخفتت حرارتها وشيئًا فشيئًا انقطعت عنّي رسائله وقد تناهى لسمعي أنّه قد مال لسواي هناك وضرب بعشقي له عرض الحائط لقد دمّرني بفعله هذا ولا أعرف ماذا أفعل علمًا أنّني ما زلت كما كنت أحبّه.

٨٠٢– ولا كلامٌ منهُ لا رسائلُ فكيف عندي تَخصِبُ الخمائلُ
٨٠٣– وكيف والماءُ شحيحٌ نبعُهُ راقصةً تصفّقُ الجداولُ

٨٠٤– وكيف والنّورُ ضئيلٌ باهتٌ في حجرتي تبتهجُ المشاعلُ
٨٠٥– إنّي كرهتُ البعدَ أنمى خيبتي خنجرُهُ المسمومُ فيَّ قاتلُ

٨٠٦– أين تُراهُ الآنَ يقضي يومَهُ وهل غزت أوقاتَهُ المشاغلُ
٨٠٧– كيف ينامُ كيف يصحو وحدهُ أمام عينيَّ دوامًا ماثلُ

٨٠٨– أراهُ جائعًا يريدُ لقمةً فمَنْ لهُ الّذي اشتهى يناولُ
٨٠٩– وشايُهُ هل باردًا يشربُهُ ودمعُهُ محتبِسٌ أم سائلُ

٨١٠– ومَنْ يغطّيهُ بليلٍ مُصقِعٍ ومَنْ عليهِ في عناقٍ مائلُ
٨١١– هل يسمعُ اللّحنَ وحيدًا ساهمًا ووحدهُ آلامَهُ يقاتلُ

٨١٢– وشَعرُهُ ما حالُهُ وثوبُهُ مَنْ يا تُرى الغبارَ عنهُ غاسلُ
٨١٣– هل لمْ يزلْ يقرأُ شِعرًا ولمن وهل تغنّي عندهُ بلابلُ

٨١٤- وليس مَنْ يجيبُ عن أسئلتي وقلقي متّسِعٌ وهائلُ
٨١٥- وهْو بعيدٌ لا يردُّ ناسيًا كأنّهُ عن كلِّ شيءٍ غافلُ

٨١٦- آهٍ وما أتعسني بمن بهِ قد قيّدَتْ مشاعريْ سلاسلُ
٨١٧- أعطيتُهُ بوحَ فمي غازلتُهُ وهْو لغيري ثغرُهُ يغازلُ

٨١٨- ما بالُهُ ما عادَ صوبي مقبلًا وهل بناءُ حُبِّهِ لي زائلُ
٨١٩- يا ليتني أعلمُ ما غيّرَهُ وما الّذي عند البعيدِ حاصلُ

٨٢٠- لكنتُ أرتاحُ مِنَ السُّؤْلِ ومِنْ همّي وما عدتُ هنا أجادلُ



٥٩ – لا أحد يصغي إليّ

(قافية اللّام)

يؤلمني جدًّا إعراض النّاس عن كلامي وابتعادهم عن مجالستي فماذا عساني فاعلًا وكيف أتعلّم فنّ الكلام أرجوك هل يمكنك مساعدتي في هذا الأمر؟

٨٢١– مِنَ الكلامِ نافعٌ قليلُهُ ويُشتهى مِنْ روضِهِ جميلُهُ
٨٢٢– ومَنْ أطالَ باسطًا كلامَهُ زلَّ ولمْ يسلَمْ لهُ سبيلُهُ

٨٢٣– فاضبُطْ لسانَكَ ولا تقلْ بهِ ما يُزدرى مِنْ سامعٍ هزيلُهُ
٨٢٤– الصّمتُ أجدى مِنْ حديثٍ فارغٍ عمّا بهِ موعظةٌ تُميلُهُ

٨٢٥– ولا تحدِّثْ إنْ رأيتَ مُعرِضًا مِنْ سمْعِهِ في خفّةٍ يزيلُهُ
٨٢٦– وابحثْ عنِ السّامعِ إنْ كلّمتَهُ أصغى وطابَ بالحديثِ ليلُهُ

٨٢٧– مكلِّمًا ومصغيًا كن دائمًا فهكذا الحوارُ يجري سيلُهُ
٨٢٨– والسّامعُ المصغي يصيرُ صاحبًا وأنتَ كلَّ لحظةٍ خليلُهُ

٨٢٩– كلامُنا فيضُ حياةٍ أو ردًى مَنْ سمَّهُ فإنّهُ قتيلُهُ



٦٠ – هذا سيقتلكَ

(قافية الّلام)

إنّني أتمزّق ولا طعم لحياتي فقد لوثّتُها بغبار عادةٍ قبيحةٍ ذميمةٍ تمكّنت منّي وخدشتني بأظافرها الحادّة إنّه القمار يا سيّدي الّذي هدّ كلّ ما بنيته وأضاعني، فكيف أقهره مثلما قهرني قل لي بربّك كيف؟

٨٣٠– هذا القِمارُ داؤهُ سيقتلُكْ وعن عروشٍ صغتَها سيُنزِلُكْ
٨٣١– مشرَّدًا منهزمًا ومُعوَزًا ستنتهي وسوف يفنى منهلُكْ

٨٣٢– تأتيكَ أيّامٌ تُريكَ كُربةً فيها كفَشٌّ يتهاوى منزلُكْ
٨٣٣– وترتجي فوزًا فتلقى خيبةً وليس يحصُدُ حصيدًا مِنجلُكْ

٨٣٤– وتشتهي النّومَ ولا تجدُهُ تطلبُهُ يأبى ودومًا يخذُلُكْ
٨٣٥– لا ليس خِلًّا مَنْ أتاكَ لاعبًا فإنّهُ عن كلِّ خيرٍ يشغلُكْ

٨٣٦– يلقاكَ صاحبًا إذا نفّعتَهُ ولو رأى فيكَ افتقارًا يُبدِلُكْ
٨٣٧– ماذا فعلتَ قد عشقتَ لعبةً إلى جحورٍ ومهاوٍ تُدخِلُكْ

٨٣٨– أوّلُها عرسًا تعيشُهُ وفي الآخِرِ مأتمًا تراها يُثقِلُكْ
٨٣٩– لا تنخدعْ بها فإنّها لظًى بغيمةٍ مِنْ جمرِها تظلّلكْ

٨٤٠– دعها ولا تعُدْ لها فبحرُها مصطخِبًا بالطّينِ سوف يغسلُكْ
٨٤١– أهلُكَ أولى بالّذي تهدرُهُ على موائدٍ لها تُذلّلُكْ

٨٤٢–فتُبْ فما مِنْ أحدٍ لمْ يرتكبْ إثمًا وعُدْ إذْ منكَ يدنو أجلُكْ
٨٤٣– كنتُ مغيَّبًا وبتُّ صاحيًا قلها لمن أتى إليكَ يسألُكْ

٦١ – إلى الإله رفعتُ شكوتي

(قافية الميم)

إنّ الطّامة الكبرى ليست في أنّها تخونني بل في أنّني عارفٌ بخيانتها وغدرها ولهذا فأنا محطَّمٌ كسير القلب منغَّص العيش وحائر الذّهن لست أدري ماذا أفعل لقد فكّرت بقتلها وقتل نفسي، إنّني يا أبتِ أتعس وأشقى مخلوقٍ في الأرض .

٨٤٤– تخونُني يا سيّدي وأعلمُ ونارُ بركانٍ بصدري تُضرَمُ
٨٤٥– كالميّتِ المقتولِ لا يقوى فمي على الكلامِ والّذي يحكي دمُ

٨٤٦– ممزَّقٌ أنا وفيَّ ثورةٌ لكنْ لسانُها حبيسٌ أبكمُ
٨٤٧– تلسعُني عقاربٌ مجنونةٌ وفوق ظهري صخرةٌ تُحطَّمُ

٨٤٨– لا دربَ أمشيهِ يضمُّ خطوتي وما يحيطُ بي وحوشٌ تزحمُ
٨٤٩– مراكبي منخورةٌ في بحرِها وشطُّها عنها بعيدٌ مبهَمُ

٨٥٠– ترسمُني الدّنيا بلونٍ باهتٍ بريشةٍ مِنَ الغب ارِ أُرسَمُ
٨٥١– ثغرُ سمائي ساكتٌ ما عادَ لي يحكي وإنْ حكى فليس يُفهَمُ

٨٥٢– ووجهُ أرضي كالحٌ يعبسُ لي وفوق خدّي كالأسيرِ أُلطَمُ
٨٥٣– تبلعُني آبارُ همٍّ فُتِحتْ بنابِها مثْلَ الرّغيفِ أُقضَمُ

٨٥٤– وكلُّ ما حولي رمادٌ مطفأٌ ومِنْ يدِ الرّياحِ رملًا أُطعَمُ
٨٥٥–مكسورةٌ دنانُ خمري ويديْ مشلولةٌ ومنزلي مهدَّمُ

٨٥٦– ما هذه عوالمي كانت فقد كنتُ سعيدًا بالهناء أنعمُ
٨٥٧– أحببتُها كبلبلٍ يُسمِعُني لحنًا لطردِ كربتي يرنَّمُ

٨٥٨- كالضّوءِ في ليلي عشقتُ وجهَها ومِنْ شفاهي كان دومًا يُلثَمُ
٨٥٩- إنْ برَدتْ كنتُ لها دفئًا وإنْ شكتْ رأيتني لها أُسلَّمُ

٨٦٠- أحضنُها في رقّةٍ ودمعُها أمسحُهُ وأكتوي لو تألمُ
٨٦١- أحببتُها ولمْ أزلْ أحبُّها فكيف منها باحتقارٍ أُرجَمُ

٨٦٢- وكيف مالت عن بساتيني وقد كانت لها ورودُها تبرعمُ
٨٦٣- ولِمَ هزّتْ عرشَ أحلامي ولمْ تصُنْ مكانًا فيهِ كانت تُخدَمُ

٨٦٤- يا من كسرتِ نخلةً زرعتُها وأصبحتْ أغصانُها تُهشَّمُ
٨٦٥- ما أنا سافكًا دمًا ولتغربي عنّي فحُبُّكِ بقلبي مُردَمُ

٨٦٦- إنّي رفعتُ للإلهِ شكوتي وعندهُ لا أحدٌ سيُظلَمُ



٦٢ – من أيّ طينةٍ خُلقتَ؟

(قافية الميم)

لقد عرفتُه حاسدًا غيورًا يحزن إذا رأى نجاح أحدٍ وينهشه الغيظ إن هطلت على غيره غيوث المسرّات والنِّعم وهكذا قضى حياته تنخره ديدان الغيرة ويقضّ مضجعه بعوض الحسد.

٨٦٧– يا حاسدًا للنّاس زدتَ ألما وفيكَ حائطُ السّلامِ انهدما
٨٦٨– دودٌ يعضُّكَ فتحيا مجهَدًا لا تتقنُ العيشَ وتبقى بَرِما

٨٦٩– أرضُكَ بُورٌ كلُّها مقابرٌ مخيفةٌ فيها الجَمالُ انعدما
٨٧٠– يهربُ منكَ النّومُ تمشي قلِقًا كفارسٍ في ساحِ حربٍ هُزما

٨٧١– يا لكَ مِنْ وحشٍ أبانَ نابَهُ يريدُ لو لحمَ سواهُ التهما
٨٧٢– يشقيكَ م جدُ صاحبٍ تعرفُهُ وتشتهي لو مجدُهُ ذا انحطما

٨٧٣– مِنْ أيّ طينةٍ خُلِقتَ كارهًا وقد عبدتَ في ضلالٍ صنما
٨٧٤– يريكَ مِنْ فِعالِهِ فظائعًا وفتنةً مكروهةً وظُلَما

٨٧٥– وأنتَ تجري طائعًا في دربِهِ لهيبُ غيظٍ في حشاكَ اضطّرما
٨٧٦– تطمعُ في زادٍ لغيرِكَ وفي لؤمٍ تودُّ لو بسمٍّ رُجِما

٨٧٧–ليتكَ تصحو وترى أنّكَ في غَيٍّ ولن ترى بهذا نِعما
٨٧٨–ربُّكَ يعطي مَنْ يشاءُ خيرَهُ وما لعبدٍ مِنْ عطاهُ حُرِما

٨٧٩– فاقنعْ بما عندكَ لا تحسدْ فمَن حسدَ غيرَهُ جنى وأثِما
٨٨٠–في الأرضِ حقلُهُ يصيرُ مجدِبًا ولن يرى لهُ بأيدٍ عَلَما

٦٣ – تحيا ولا تحيا

(قافية النّون)

عُرف عنه كذبه الشّديد وقد أساء به إلى كثيرين وإلى نفسه وكان سببًا في خلق مشاكلَ كبيرةٍ لا حصر لها لنفسه وللمحيطين به.

٨٨١– الكذْبُ فعلٌ شائنٌ مستهجَنُ ومَنْ أتاهُ فاسدٌ وأرعنُ
٨٨٢– يضيعُ خطوُهُ بدربٍ موحلٍ ومنزلًا بلا أساسٍ يسكنُ

٨٨٣– يهوي إذا ريحٌ غزت بنيانَهُ وتحت أكوامِ الخرابِ يُدفَنُ
٨٨٤– لن يجتنيْ فوزًا ولا منزلةً بسيفِ إهمالٍ وهزءٍ يُطعَنُ

٨٨٥– ولن يرى إلّا الّذي يكرهُهُ ومثْلَ قمحٍ مِنْ سواهُ يُطحَنُ
٨٨٦– فيهربُ الأصحابُ منهُ كلُّهم وسوءَ فعلِهِ الشّفاهُ تلعنُ

٨٨٧– يبقى وحيدًا لا يدٌ ممدوةٌ إليهِ فهْو لمْ يعُدْ يطمئنُ
٨٨٨– أقوالُهُ ممجوجةٌ مكروهةٌ فيُزدرى بها ولا تثَمَّنُ

٨٨٩– يا للشّقيّ كم أذلَّ نفْسَهُ وباتَ في كهفِ الضلالِ يُسجَنُ
٨٩٠–يا أيّها المسكينُ كم أنتَ بما تفعلُهُ مضيَّعٌ معفَّنُ

٨٩١– تحيا ولا تحيا فتُبْ عن كذبٍ يميتُ فيكَ كلَّ ما يُستحسَنُ
٨٩٢– إذْ فيهِ قد تجري دماءٌ وبهِ قد تكتوي أفئدةٌ وتحزنُ

٨٩٣– بالصّدقِ تصبحُ الحياةُ جنّةً وفي روابيها مُقامًا تضمنُ
٨٩٤– فاسلكْ بهِ ولا تمِلْ عنهُ فلن تعيشَ إلّا فيهِ حُرًّا تأمنُ

٦٤ – ماذا جرى؟

(قافية النّون)

ما أن ابتدأت الحرب اللّعينة في سوريا في منتصف آذار ٢٠١١ حتّى عمّ الخراب والدّمار والحقد في كلّ بقعةٍ من بقاعها وتصاعدت أعداد القتلى والجرحى والجوعى والمشرّدين والهاربين وازداد الجرح اتّساعًا والخيبة نموّا، فيا وطنًا مذبوحًا بسكاكين أبنائه ما أشقاك وما أتعسك بهم.

٨٩٥– مكسَّرُ الأضلاعِ عُودُ الوطنِ يسكبُ كالثّكلى دموعَ الشّجنِ
٨٩٦– أوتارُهُ تمزّقت واندفنت مِنْ غيرِ أطيابٍ لها أو كفَنِ

٨٩٧– وكان صادحًا نحبُّ عزْفَهُ ينقذُنا مِنْ موبقاتِ العفَنِ
٨٩٨– نصغي بنشوةٍ إلى ريشتِهِ وننثني ناسينَ وقْعَ المحنِ

٨٩٩– وأصبحُ اللّيلُ مثارَ بهجةٍ والصّبحُ يأتينا بوجهٍ حسَنِ
٩٠٠– أحبابُنا مِنْ حولِنا حدائقٌ كأنّها جاءت لنا مِنْ عدَنِ

٩٠١– جميلةً تزهو بما نعشقُهُ أنسامُها تُحيي بَوارَ البدَنِ
٩٠٢– نرقصُ نلهو ونقوّي خطوةً خارت ونوقفُ اجتياحَ الوسَنِ

٩٠٣– كنّا وصوتُ العُودِ يشدو حانيًا نسعى لبثّهِ لكلّ أذُنِ
٩٠٤– فيطرَبُ العالَمُ مِنْ ألحانِنا سرًّا ويهفو نحوَها في علَنِ

٩٠٥– ماذا جرى حتّى اختفى إيقاعُنا وافتقرتْ سماؤنا للمُزَنِ
٩٠٦– ويُبِّستْ بحارُنا وأصبحتْ مِنْ غيرِ بحّارٍ وجريٍ سفُنِ

٩٠٧– أشجارُنا تكسّرتْ واتّسختْ لمْ يبقَ فيها طائرٌ في فَنَنِ
٩٠٨– شاخت أمانينا وصرنا خربةً نقضي الحياةَ في ضنًى في حَزَنِ

٩٠٩– ومات عُودُنا الّذي أطربنا إذْ عصفتْ بنا رياحُ الفِتَنِ

٩١٠- تنهشُ في لحومِنا كواسرٌ وسُرقتْ منّا نهودُ المدُنِ
٩١١- في النّارِ أُلقينا فُتاتَ حطبٍ وابتعدتْ عنّا تخومُ الزّمنِ

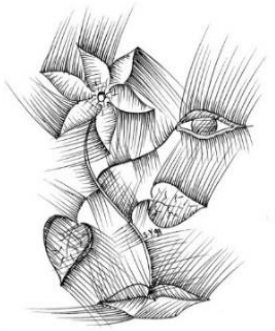

٦٥ – قلها : أنا أنا

(قافية الهاء)

سمعتُها منه أكثر مِنْ مرّةٍ :
– يا لشخصيّتك الفذّة المبهرة كم إنّها تعجبني وكم أتمنّى لو يومًا صرت شبيهًا بك .

٩١٢– إنّي أنا أنا ولستُ أُشبِهُكْ وعنكَ قد ضرّكَ مَنْ يتوّهُكْ
٩١٣– يؤذيكَ أنْ تكونَ آخَرًا فكن نفْسَكَ وارفضْ خِلقةً تشوّهُكْ

٩١٤– مكلَّلٌ بالحُسْنِ أنتَ هكذا فلا تصرْ ظلًّا فذا يتفِّهُكْ
٩١٥– وقلْ : أنا هنا بذاتي بطلٌ ذاتُكَ وحدها الّتي ترفّهُكْ

٩١٦– إيّاكَ لا تلبسْ رداءَ أحدٍ فلا ترى مستهزئًا يسفّهُكْ
٩١٧– إنّي أحبُّكَ كما أنتَ فلو صرتَ سواكَ حينها سأكرهُكْ

٩١٨– لا أتعالى فأنا مثْلُكَ إذْ أرشِدُ نفْسيْ حينما أنبّهكْ



٦٦ – غدوتُ عبدًا

(قافية الهاء)

إنّ مشكلتي ليست في عيوبي وأخطائي وهفواتي فأنا أعلم ولا أظنّك إلّا متّفقًا معي في أنّه لا أحد خالٍ منها ولكنّ المشكلة الحقيقيّة تكمن في عشقي لها وافتناني بها وانجذابي إليها مع ما تجرّه عليّ من الشّقاء والتّعب والنّدم كأنّني مقيَّدٌ بها بسلاسل فولاذيّةٍ.

٩١٩– مطوَّبٌ مَنْ عن مثالبٍ نهى وراحَ يصفعُ بحزمٍ وجهَها
٩٢٠– مردّدًا : حطّمتُ كأسَ طيشِها ولن تراني آتيًا يومًا لها

٩٢١– فقد أذاقتني مراراتٍ نهتْ شهديْ ونلتُ مِنْ يديها السَّفَهَا
٩٢٢– أشبَعني مِخلبُها نهشًا فلمْ أرَ سلامًا وأنا أُكوى بها

٩٢٣– عبدًا غدوتُ هاجرًا حرّيتي والعقلُ منّي عن قضاياهُ سها
٩٢٤– ولمْ أجدْ في كهفِها إلّا ضنًى وجلسةً ليس بها ما يُشتهى

٩٢٥– وها أنا عنها أتوبُ عائدًا إذْ مَنْ سعى إلى قبورِها انتهى

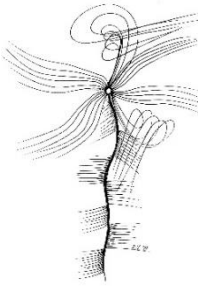

٦٧ – يا بؤسه

(قافية الواو)

– ما أعجبُ إلّا من شخصٍ نأى بنفسه عن خالقه وضلّ عن هديه خالعًا رداء إنسانيّته متجبّرًا ظلومًا منجرفًا إلى شتّى الشّرور والآثام ولا يريد أن يرعوي ولا أن يتوب.
هذا ما قاله لي أحدهم بعد تعرّضه لظلمٍ فادحٍ من أقرب النّاس إليه.

٩٢٦– يا بؤسَ مَنْ زادَ ضلالًا وغوى وفي سراديبِ المعايبِ انزوى
٩٢٧– يقودُهُ شيطانُهُ لحفرةٍ في طينِها ودُودِ جوفِها هوى

٩٢٨– وانكسرتْ مرآتُهُ ولمْ يعُدْ يرى لهُ وجهًا ضياؤهُ ذوى
٩٢٩– منطلِقًا كالثّورِ أعمَى هائجًا ما ردَّهُ ضميرُهُ ولا ارعوى

٩٣٠– يبغي ارتواءً مِنْ خمورِ شهوةٍ طاشَ وما إلى معابدٍ أوى
٩٣١– ذاقَ كؤوسَها يسوقُهُ هوًى فلا استراحَ هانئًا ولا ارتوى

٩٣٢– وهمُّهُ اللّهوُ فيجري صوبَهُ جريًا يريدُهُ بكاملِ القُوى
٩٣٣– وفارغًا مِنْ كلِّ فكْرٍ مثمرٍ وصدرُهُ غيرَ الفسادِ ما حوى

٩٣٤– ينهشُ لحمًا لأخيهِ طامعًا وكفَّ مَنْ مدَّ لهُ يدًا لوى
٩٣٥– يا بؤسَهُ قد تاهَ عن إلهِهِ وتوبةً عن ذي الفِعالِ ما نوى

٩٣٦– لسوف يأتيهِ المماتُ فجأةً فيكتوي في جدَثٍ بهِ ثوى



٦٨ – مالَكَ لا تنظر؟

(قافية الياء)

كان يتملّكني كثيرٌ من الانقباض والضّيق وشيءٌ من الإشفاق عليه كلّما التقيته لأنّي ما عرفته إلّا مدمدمًا متذمّرًا متشكّيًا نادبًا على الرّغم من سعة العيش الّتي كان له منها حظٌّ غير قليلٍ يحسده عليها كثيرون.

٩٣٧– إلى متى تبقى كئيبًا باكيا تقضي الحياةَ نادبًا وشاكيا
٩٣٨– وجهُكَ لا ضوءَ بهِ منكسرٌ ونحو ما يخفيكَ تدنو ساعيا

٩٣٩– مِنْ حولِكَ الجَمالُ كلُّهُ ولا ترى سوى المرذولِ منكَ دانيا
٩٤٠– مهلًا فغيرُكَ محطَّمُ الخُطى وأنتَ في الأرضِ تدورُ ماشيا

٩٤١– وغيرُكَ العينُ بهِ مفقودةٌ وأنتَ لمْ تزلْ بصيرًا رائيا
٩٤٢– وغيرُكَ الجوعُ يهدُّ نومَهُ وأنتَ شبعانًا تروحُ غافيا

٩٤٣– تلبسُ ما تحبُّ مِنْ أرديةٍ وغيرُكَ الشّتاءَ يُمضي عاريا
٩٤٤– وكلَّ يومٍ تقتني أحذيةً والبعضُ فوق الشّوكِ يمشي حافيا

٩٤٥– وامرأةٌ يحنو عليكَ قلبُها وثَمَّ مَنْ يفقِدُ خِلًّا حانيا
٩٤٦– بنوكَ حولكَ ثمارٌ حلوةٌ والبعضُ يشتهي وليدًا آتيا

٩٤٧– ولمْ تزلْ تحيا وغيرُكَ انتهى وباتَ في القبورِ ميْتًا ثاويا
٩٤٨– مالَكَ لا تنظرُ ما أنتَ بهِ مِنْ نِعَمٍ قد عشتَ فيها ناميا

٩٤٩– إلى متى تبقى شقيًّا متعَبًا وعن هناءٍ عشتَ فيهِ ساهيا
٩٥٠– فاشكرْ ليرضى النّاسُ عنكَ وكذا ربُّكَ تلقاهُ عليكَ راضيا

٦٩ – كن رقيقًا

(قافية الياء)

ما كان يُسجَّل له أنّه لم يكن يجهل سوء طبعه وثقل ظلّه وقسوة قلبه وفظاظة لسانه ومرارة صحبته لهذا حاول أن يجمّل ما قبح فيه فجاءني يستشيرني في إمكانيّة ذلك.

٩٥١– كصخرةٍ تبدو شديدًا قاسيا عنِ المحبّةِ ابتعدتَ نائيا
٩٥٢– في كفِّكَ السّكّينُ لا توقفُها ومَنْ دنا إليكَ صارَ داميا

٩٥٣– مِنْ أتفهِ الأسبابِ تغدو غاضبًا منفجرًا سيلًا قويًّا عاتيا
٩٥٤– تلعنُ تشتمُ وفي فظاظةٍ ترمي كلامًا مزعجًا ونابيا

٩٥٥– تنسى بأنَّ مَنْ تهينُهُ لهُ كرامةٌ وليس منها خاويا
٩٥٦– وليس عبدًا أو أجيرًا خانعًا ولستَ سيّدًا لهُ وشاريا

٩٥٧– وقد يردُّ ردَّهُ في غضبٍ لكلِّ ما لستَ تحبُّ حاويا
٩٥٨– فمَنْ قسا سيجتني قساوةً وفي حياتِهِ يرى دواهيا

٩٥٩–ومَنْ بغى تركيعَ غيرِهِ انتهى عند سواهُ في امتهانٍ جاثيا
٩٦٠– فكن لطيفًا ورقيقًا ناعمًا كالغيثِ يحيي قَطرُهُ روابيا

٩٦١– باللّطفِ تزدادُ الحياةُ رقّةً وتُطلِقُ الأنهارَ والسّواقيا



٧٠ – ويبقى وطني أهزوجتي

(قافية الياء)

كان يومًا من أسوأ الأيّام في حياتي وأمرّها وأقساها حينما حملت حقائبي مكرهًا وغادرت وطني الحبيب بعد اندلاع الحرب فيه متّجهًا نحو بلادٍ غريبة الوجه واللّسان عنّي شمسها لا تدفئ وليلها لا يبهج واحدًا مثلي لا يمكنه التّحرّر من عشق الشّرق وسحره.

٩٦٢– يا وطني مزّقتَ فيَّ نفْسيا ورحتَ تكتمُ بثغري صوتيا
٩٦٣– رميتَ بالرّمالِ وجهَ كرمتي وصرتَ بالجفافِ تنهي نهريا

٩٦٤– ودفتري لوّثتَهُ وقلميْ حطّمتَهُ وبي خنقتَ شِعريا
٩٦٥– حمّلتَني ما لا أطيقُهُ وقد قيّدتَ أقداميْ ودستَ ظَهريا

٩٦٦– رصاصُكَ المجنونُ نحوي مطلَقٌ ونارُكُ الحمقاءُ أفنتْ حقليا
٩٦٧– وصاحبي ما عادَ يُرجى صاحبًا فخفتُ منهُ أنْ يعيدَ أسْريا

٩٦٨–وخفتُ أنْ أمضغَ شوكًا وحصًى وأنْ يمزّقَ خليعٌ ثوبيا
٩٦٩– وأنْ أنامَ فوق رملٍ عاريًا وقد أزالَ طاردي سريريا

٩٧٠– وأنْ يهينَ شمعةً أوقدتُها في معبدي ومفسِدًا ليْ زيتيا
٩٧١–وخفتُ أنْ يسرقَ تاريخيْ وأنْ يهدمَ آثاريْ ويخفي نقشيا

٩٧٢– فقمتُ أمشي حاملًا حقائبي وتاركًا فوق الجدارِ رسميا
٩٧٣– وتاركًا معطفَ أيّامٍ زهت ألوانُهُ وتاركًا حديثيا

٩٧٤– وخطوتيْ تلك الّتي سرتُ بها شوارعًا وقُبلتيْ ودَنّيا
٩٧٥– وبسمتيْ ورقصتيْ وهمستيْ وعطرَ أمّي وأبي وقمحيا

٩٧٦– جميعُها تركتُها خلفي وفي قلبي لظًى يحرقُ فيَّ خصبيا

٩٧٧- تحملُني طائرتي مغتربًا إلى بلادٍ أوقدتْ قنديليا

٩٧٨- وأدخلتْني لبساتينٍ لها أزرعُ فيها زنبقيْ وزهريا
٩٧٩- مِنَ الضّياعِ أنقذتْني كفُّها وأوضحتْ خرائطيْ ودربيا

٩٨٠- ورتّبتْ طاولتيْ ومقعديْ وضمّدتْ بعد النّزيفِ جرحيا
٩٨١-شكرًا لألمانيا أراحت خاطريْ وحصّنتْ مِنَ الخرابِ بيتيا

٩٨٢- لكن يظلُّ وطني أهزوجتي وقِبلتيْ وجنّتيْ وروحيا
٩٨٣-أبكيهِ ما عشتُ غريبًا مبعَدًا حتّى تزيلَ يدُ موتي ظلّيا



٧١ – الخاتمة

(قافية الهمزة)

٩٨٤– مِنْ ها هنا حكايتي قد تبدأُ ألبستُها ما ليس يومًا يهرأُ
٩٨٥– فالشِّعرُ أبقى ثوبُهُ في عالَمٍ يفنى وكلُّ ما حواهُ يصدأُ

٩٨٦– ما أبشعَ الدّنيا بلا قافيةٍ لبحرِها هي المدى والمرفأُ
٩٨٧– تضبطُ وزنَها الّذي شوّهَهُ أعداؤها فألحنوا وأخطأوا

٩٨٨– باسطةً مائدةَ المعنى لمن لغيرِها مالَ وأمسى يلجأُ
٩٨٩– فإنّها مفعمةٌ بالمشتهى وكلَّ أحشاءِ الفراغِ تملأُ

٩٩٠– كتبتُ فيها فرحيْ وأنّتي فوزيْ وما هو بدهريْ الأسوأُ
٩٩١–ما كان مشرقًا مضيئًا وجهُهُ وما هو اليومَ بعينيْ مطفَأُ

٩٩٢– ولستُ أدري هل سردتُ قصّتيْ أمْ قصصًا للغيرِ كنتُ أقرأُ
٩٩٣– أنا كغيري مجدِبٌ ومخصِبٌ أمرضُ مرّةً وأخرى أبرأُ

٩٩٤– ومرّةً ملتزمٌ أنا بما يبني ومرّاتٍ أراني أهزأُ
٩٩٥– هي الحياةُ حلوُها باقٍ لنا ومُرُّها ولا جديدٌ يطرأُ

٩٩٦– وضحْكُها يبقى ويبقى دمعُها تشفى جراحٌ وجراحٌ تُنكَأُ
٩٩٧–وسوف أمضي راحلًا عنها ولا أدري متى لستُ بهذا أعبأُ

٩٩٨– يهمُّني أنْ تُرتجى ألفيّتي كلقمةٍ شهيّةٍ تُستمرَأُ
٩٩٩– وحين تُقرَأُ يُعادُ شدوُها لمَنْ سيأتي حرفُها يُخبَّأُ
١٠٠٠– ربّاهُ هل تهبُني ألفيّةً أخرى بظلِّها حياتي تهنأُ؟

نهاية الألفيّة

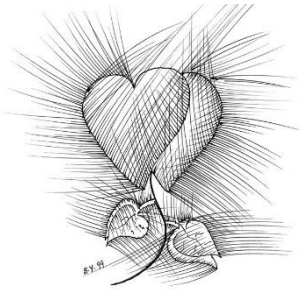



مقالات ودراسات وقصائد شعريّة

مستوحاة من فضاءات

تجربة النّاقد والشّاعر الأردني الرَّاحل

الدُّكتور عاطف الدرابسة

إعداد وتقديم ومشاركة

صبري يوسف

كتاب عن النّاقدِ والشَّاعر الأردني الرَّاحل د. عاطف الدَّرابسة

مقالات ودراسات وقصائد شعريّة مستوحاة من فضاءات تجربة الناقد الراحل د. عاطف الدرابسة

الطَّبعة الأولى: ستوكهولم 2024،

خاص بالعدد الثاني عشر من مجلة السلام الدولية وينشر كتاباً ورقيّاً مستقلّاً

إعداد وتقديم ومشاركة صبري يوسف

حقوق الطَّبع والنّشر محفوظة للمشاركين والمشاركات في إعداد وتأليف هذا الكتاب

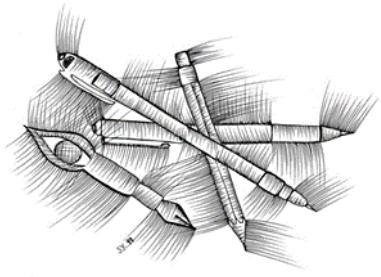

دار نشر صبري يوسف

Sabri Yousef Bokförlag

ستوكهوم 2024

sabriyousef56@hotmail.com

الإهداء :

إلى روح المبدع النّاقد والشَّاعر الأردني الرَّاحل

الدُّكتور عاطف الدرابسة





استهلال

صدمني خبر وفاة النّاقد والشاعر عاطف الدرابسة، لا يسعني إلا أنْ أقدِّمَ خالص التَّعازي القلبيّة لزوجته وأولاده وأهلهِ وذويه وكل أصدقائه وصديقاته من نقّادٍ وناقداتٍ وكتّاب وكاتبات وشعراء وشاعرات ومتابعيه ومتابعاته ومحبّيه في كل أنحاء العالم، وأقدِّمُ بطاقات شكر لكلِّ المنصّات والمنتديات التّالية:

1. بطاقة شكر وتقدير **للمنتدى العربي الأوروربي للسينما والمسرح** في باريس بإدارة المخرج السينمائي والأديب والتشكيلي اليمني حميد عقبي لما قدّمَه عبرَ منبره الرَّصين من ندواتٍ وأماسٍ ولقاءاتٍ أدبيَّةٍ وفكريّة وفنِّية، وقد كان النَّاقد الرَّاحل الدُّكتور عاطف الدَّرابسة ضيفاً دائماً في هذه المنصَّة وقدَّم قراءات نقديّة عميقة للغاية ستبقى في ذاكرة مَن حضر هذه النَّدوات عبر هذه المنصّة الرائدة في فضاء الإبداع بشتّى صنوفه!

2. بطاقة شكر وتقدير لمنصّة ملتقي الحرف العربي بإشراف الشاعرة السعودية فائزة سعيد ومديرة البرنامج الناقدة اللبنانية الدكتورة درية فرحات لكل ما قدَّمه هذا الملتقى من تكريم واستضافة للدكتور عاطف الدَّرابسة.

3. بطاقة شكر وتقدير لمنتدى البحرين الإبداعي بإدارة الشاعر عبدالحميد القائد والأستاذة منار السَّماك، لما قدّمه المنتدى من احتفاءٍ بالناقد الراحل د. عاطف الدرابسة واستضافته للمنتدى وتقديم رؤاه النقدية!

4. بطاقة شكر وتقدير لمنتدى السَّاردون يغرّدون بإدارة الأستاذ رضا يونس، والدكتورة جيهان الدمرداش، لما قدّمه المنتدى من احتفاء بالناقد عاطف الدَّرابسة واستضافه للعديد من النّدوات وقدَّم وجهات نظره النّقدية بكل عمق حول العديد من الكتب الأدبيّة.

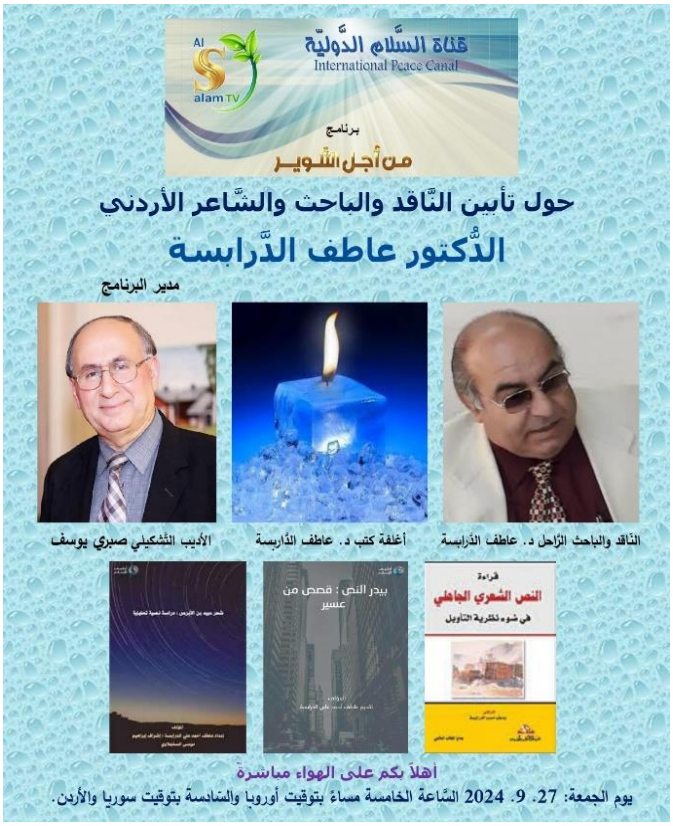

5. بطاقة شكر وتقدير لمنتدى آفاق الفكر والثقافة بإدارة الشاعرة والروائية ريما آل كلزلي، والشاعرة فيروز مخول، والشاعر والقاص جورج عازار لما قدّم المنتدى من احتفاء وتقدير للناقد عاطف الدرابسة فقد كان ضيفا دائماً للمنتدى.

6. شكر خاص لكلِّ المنصّات الَّتي دعت الناقد الكبير الرَّاحل عاطف الدرابسة، فقد كان معطاءً، وعميقاً في تقديم رؤاه النَّقدية والتّحليليّة في شتّى صنوف الإبداع!



حالما تلقَّيتُ خبر وفات الصَّديق المبدع الناقد عاطف الداربسة، خطّطت لتقديم برنامج تأبيني عبر قناة السَّلام الدولية، كما شاركتُ مع منصّة المنتدى العربي الأوروبي للسينما والمسرح تقديم ندوة مشتركة في أربعينيته، شارك فيها مجموعة من النقّاد والنقادات، وكنت قد نشرت إعلاناً يتضمّن: دعوة للمشاركة في إعداد كتاب عن النّاقدِ والباحث والشَّاعر الأردني الرَّاحل الدُّكتور عاطف الدَّرابسة.

منذُ أنْ تلقَّى الأديب والتَّشكيلي السُّوري صبري يوسف، رئيس تحرير مجلّة السَّلام الدَّوليّة، خبرَ وفاة النَّاقد والباحث والشَّاعر الأردني الدُّكتور عاطف الدَّرابسة، أعلنَ الحدادَ على روحِهِ مدّةَ أربعينَ يوماً، وخلالَ فترةِ الحدادِ، وما بعدَ الحدادِ سيقومُ بإعدادِ كتابٍ عنهُ كتقديم ومشاركة واستقبال مقالات وقصائد ودراسات وقصصٍ ونصوصٍ من قبلِ الكتّابِ والشُّعراءِ والنّقادِ والأدباءِ والقاصّينَ والرّوائيّينَ، وكل مَن كانَ يربطُهُ بالنَّاقد الرَّاحل علاقة إبداعيّة على صعيد الآفاقِ النَّقديّة والفكريّة والثّقافيّة والأدبيّة، ويجدُ في نفسِهِ الكفاءةَ والقدرةَ على المشاركة في هذا الكتاب، على أن تتمحور هذه المشاركات حولَ عوالم وفضاءات المبدع الرّاحل عاطف الدّرابسة، شعريَّاً، أو فكريَّاً أو نقديَّاً، حيثُ سيتمُّ جمع وتبويب هذه المواد ضمن كتاب خاص بتكريم هذه القامة الإبداعيّة الخلّاقة كنوع من التّكريم والاحتفاء بهذا النّاقد المتميّز في فضاءِ الإبداعِ الرَّصين، وسيتمُّ نشرُ الكتاب أيضاً ضمن ملفٍّ خاص في العدد القادم من مجلّة السَّلام الدّوليّة.

كما سيتمُّ إعداد برنامج خاص عن النَّاقد الرَّاحل عبر قناة السَّلام الدَّوليّة من عدّةِ حلقات ضمن برنامج "من أجل التَّنوير"، في الفترة القادمة، وقد سبق وشارك النّاقد الرَّاحل في هذا البرنامج حول تجربته النَّقديّة والفكريّة ضمن لقاء موسّع استغرقَ أكثر من ثلاث ساعات ومحفوظ هذا اللّقاء في أرشيف القناة!





قناة السَّلام الدَّولية تنعى النّاقد الكبير والشَّاعر الأردني د. عاطف الدّرابسة. ولا يسعني في نهاية هذا الاستهلال إلّا أن أتقدَّمَ من جديد بخالص التَّعازي القلبيّة لزوجته وأولاده وكافّة أسرته ومحبّيه وأصدقائه وصديقاته ومتابعي ومتابعات كتاباته ونقده وشعره في كلِّ أنحاء العالم. راجياً من الله القدير أن يُسكنه فسيح جنّاته، ويمنح أهله وذويه الصَّبر والسّلوان!

ستوكهولم: 6. 10. 2024

صبري يوسف

رئيس تحرير مجلة السَّلام الدَّوليّة



قراءة نقدية في ديوان "ويقول لها"
للشّاعر د. عاطف الدّرابسة
النَّاقدة اللبنانيّة د. دورين نصر

1

إنّ القراءة النقديّة كثيرًا ما تنطلق من لحظة انجذاب فارقة يصنعها عنوان محفِّز. وعنوان المجموعة (ويقول لها) كان من النوع المُحَفِّز للقراءة والتأويل. ففي الأعمال الأدبيّة، تُحيل العناوين إلى فضاءات دلاليّة تختزن الرؤى التأويليّة وتتشابك مع البنية النصيّة للمتن والتركيب الفعلي: "ويقول لها": عنوان يثير انتباه القارئ بدلالته المباشرة المحمّلة بفعل "الحكي" ولا سيّما أنّ الذاكرة العربيّة زاخرة "بالقول". فهذا العنوان يحفّز المتلقّي على التقاط خيوط التجربة وإعادة نسجها في ثوب جديد من الرؤى والبنى.

إنّ التجربة الشعريّة "لعاطف درابسة" تستند إلى روافد مرجعيّة وفكريّة مختلفة، باعتبارها منجزًا ثقافيًّا، ومُعْطى من معطياتها المعرفيّة، تؤدّي دورًا كبيرًا في تشكيل الخطاب الشعري. وتشمل هذه المعطيات الموروث الثقافي والفكري والديني، إضافةً إلى المعارف التي احتزنتها ذاكرة المبدع، والتي تستدعيها خصوصيّة التجربة التي تشدّ الشّاعر نحو ذاته وهويّته الثقافيّة.

فالنّصّ الحاضر ما هو إلاّ إيحاء لمجموعة من النصوص الغائبة، ولذلك فإنّ مرجعيات الخطاب الأدبي قد تتداخل، وهذا التداخل هو الذي يمنح الخطاب الشعري سلطة المرجع ويجعله خطابًا إيجابيًّا يتفاعل مع خطاب آخر.

والمتأمّل في الخطاب الشعري لعاطف الدّرابسة، يطّلع على أفقه الفكري الواسع، ويجد نفسه أمام تحوّل جذري على مستوى الرؤيا والبناء النصّي؛ إذ إنّنا أمام نصّ مختلف يتجاوز بدلالاته حدود المعتاد.

سأستهلّ الدراسة بهذا المقطع الذي يخلّص فكر الدّرابسة ويظهر التواشح بينه وبين اللغة يقول:

الفكرة تأتيني حافيةً
أمسكُها بيدي
أنزع منها الشَّوك
وأسكب فيها رحيقي...
أطلقُها
فتقعُ في شرَكِ غيري
ثمّ تأتيني حافيةً

أتحسّسها بيدي
لا أشعرُ برحيقي
ثمّةَ سمٌّ ينزُّ منها

وأنا أقول ثمَّةَ سرٌّ يكمن فيها، لعلّني أستطيع في هذه الدراسة الكشف عن المحتجب وإن كان المعنى يبقى في قلب الشاعر.

الواقع، إنّ الدّرابسة يؤسّس معجمه اللّفظي الخاصّ به فيوطّد دعائم الرؤيا بلغة فلسفيّة، وتصير اللّغة في نصوصه هي المعادل الموضوعي للوجود الشعري والفردي والجماعي والقريب والبعيد، المؤتلف والمختلف. إنّ علاقة الذات الشاعرة بسياقاتها الواقعيّة والسياسيّة والتاريخيّة عبارة عن جدليّة تفاعليّة يحضر فيها اللّغوي والرّمزي. فيستحضر الشاعر عوالمه وفق فلسفته مع الوجود، إذ يقول:

أحاول أن ألبَس جلد هذا الزّمان
فتبصرُني العيون عاريًا كالنّهار
منذ أعوام وأعوام
أفتح من لغتي نافذةً في الضباب
كلّما حاولتُ أن أنظرَ إلى الأشياء
أجدني بلا أشياء

فالشاعر يتّخذ من اللّغة عالمًا آخر، ووسطًا ينأى من خلاله عن العالم الفعلي، إذ يقول:

يا حبيبةُ
كلّما حَمَّلتُ الرّيح رسالةً أو عبارة
أو بعض كلمات
رأيتُ الريحَ تُمزِّق الرسائل
وتقتل العبارة
وتبتلع الكلمات...
في قصيدة أخرى يقول:
تعالي نبحرْ نحو جُزر الأفكار

نسرقْ من بحر المعرفة أوّل فكرة وآخر فكرة. إنّه فعل اللّغة في النصّ الشعري الذي يؤدّي إلى اندغام وعي القارئ بالبنية العميقة للنصّ.
فالذات الشاعرة تدعو إلى التحرّر من كلّ القيود، إذ يقول لها:

"سأحرّر الحروف من قيد الاستعارة... وأنفخ فيها لتكوني أنتِ"
كما يدعوها للإقامة في اللّغة:
تعالَي يا حبيبةُ
نجلسْ في بهو لغتي
نحاورْها
نفسِّرْها
نشرَحْها
نترجمْها
نبحث فيها عن معانٍ لا تشبه الأشياء
ونبحث عن أشياء لا تشبه المعاني

وتعيش هذه الذات قلقًا وجوديًّا، إذ يقول لها تارة: "أَصغي إلى الشكّ الهائج في يقيني"، وتارة أخرى: "سأطلق حروفي دموعًا لتقيم في عينيكِ"

فالشاعر في هذه النصوص لا يبحث عن المعاني، وإنّما المعاني تلقاه على ضفّة القصيدة، بالتالي يتّخذ من موضوع اللّغة الفكرة المركزيّة التي تتضمّن سؤاله الفلسفي، وتدور حوله كلّ الأفكار، يقول:

أنتِ والطبيعة كلغتي:
صورتان متضادّتان
مرّة تكسيني
تقيني حرّ البرد
وبرْد الحرّ كالرّبيع
ومرّة تعرّيني كالخريف

هذه المفارقة المدهشة أحدثت جماليّة في النّصّ الشعري، فنلاحظ بأنّ اللّغة عنده تخلّصت من قيود السجع والبلاغة الشكليّة المطلوبة لذاتها، ومالت بها نحو لغة نثريّة تجدّد نفسها مع تجدّد المعنى. ويقول في نصّ آخر:

الأشياء التي نتركها
وفق معايير العقل والمنطق
يصعب علينا أن نسترجعها بقرار من العاطفة والشعر.
فهو يطرح في هذا النّصّ فكرة انتصار العقل على العاطفة، فلو غيّرنا شكل النّصّ الطباعي، نجد أنفسنا أمام نصّ عاديّ، أراد من خلاله أو يوصل فلسفته إلى القرّاء.

ولكن هذه الفلسفة تتعارض مع الجماليّة التي يستدعيها النّصّ الشعري إذ تحمل وجهة نظر استنادًا إلى تجربة عاشها في حياته تخالف منطق الحبّ الذي يجد اليقين في العاطفة وليس في العقل.

بيد أنّ الدّرابسة لا يتوانى عن توجيه أسئلة تؤرّق وجودَهْ، وتدعو القارئ الضمني إلى التأمّل والتفكير معه؛ إذ يقول:

من سرق الناي؟
ومن سرق النغم؟
من سرق الحطب؟
ومن أطفأ في عين الموقد الجمر؟
ويختم هذا النّصّ:
السكين لا تلدُ أنغامًا
أنفاسي / أحزاني / آلامي / أنيني / حنيني هي النغم وتأتي النهاية الصادمة في الهامش.
توقّفت الساقية عن الدوران، فانطفأت في لغتي النار

ما يعنيني في هذا النّصّ أنّه يرسم صورًا عديدة، ولا يجري على نسق منتظم، للزمن فيه حركتُه الخاصّة، فلا يمضي طبقًا لمنطق سردي متقدّم ومتواصل، بل يَصْنع تشكيلاً تغلب عليه الدائريّة، ما يجعلني أوافق ريفيير في قوله "في قصيدة جميلة، النهاية والبداية تقومان في مستوى واحد". فالسطور الشعريّة في هذا النّصّ تشكّل دائرة، تحاور بعضَها بعضًا وتسجُنُنا في محيطها، وتجعل فكرة العبثيّة تسيطر على القصيدة. وإذا كان العبث بالنسبة إلى كامو نقطة انطلاق للتمرّد، فهو بالنسبة إلى عاطفة الدّرابسة فلسفة حياة ورؤيا، إذ يقول:

بيدي حجرٌ
أبحثُ عن بركة ماء
لأرمي الحجر
لا أجدُ الماء
قتلني الحجر...

وفي نهاية القصيدة، يجعل لغته تعترف بمنطق الوجود، ودوران الأرض وصيرورة الحياة، إذ يقول:
توقّفت الساقية عن الدوران، فانطفأت في لغتي النار.
ولعلّ هذه الرؤية إلى الحياة، تجعل الشاعر يبحر في ذاته، ويكتب سيرته الذاتيّة، ويتجلّى الملمح السوريالي في نصّه: "سفر في الذات" فهو في شفافيّته يشبه "مارسو" بطل رواية الغريب، كلاهما يرفضان الانسياق في لعبة خديعة الذات. على الإنسان أن يتعايش مع وحدته التي تشي بالاغتراب الذي يعاينه، إذ يقول:

أسافر وحيدًا
أبحثُ عن الاتّجاه: ولا أجد الاتّجاه
أسكب خطواتي في الطريق
ولا أجد الطريق.
الآن أجتاز ذاتي
أبحث عن زمنٍ ممحوّ من ذاكرتي
أسأل: هل هم من ماتوا أم أنا الميت
بلا شاهدٍ
ولا قبرٍ
كأنّي شيء لفظته القبور

لعلّ هذا السطر الأخير يختصر رؤية الشاعر الفلسفيّة إلى الحياة. فالخيط الفلسفي ينسج كلّ النصوص، لكن لا يتّسع المجال للاقتباس منها كلّها. سأكتفي بهذا القدر لأنتقل إلى محور المرأة الذي يتّخذ حيّزًا بارزًا في نصوصه الشعريّة، ولعلّ المرأة في وجودها المركزي استقطبت كلّ المحاور.

المرأة هي المتلقّي المباشر في كلّ النصوص، ونستنتج هذا الأمر من خلال ضمير الغائبة (ها) .لعلّه يقول لامرأة واحدة فقط، وإن لم تكن وحيدة على مرّ الزمن، ولكن لا يكاد يخلو سطر من النصوص من لفظة دالّة عليها بمختلف الصور والدلالات التي قد ترمز إليها على ما تحقّقنا منه في غير قصيدة.

المرأة عنده ليست امرأة عاديّة طالما أنّه يبّثها فكره وأخلاقه، ويعيش معها كلّ تناقضاتها، ولا ينتمي إلاّ لها، وهذا ما تبيّناه منذ القصيدة الأولى:

أنا لا أنتمي إلاّ لكِ
مفاتيحُ تناقضاتك معي
منذ ولادة حرفيّ الحاء والباء
شمسُ أنوثَتِك تشرق من عينيّ
وتغرب بين شفتيّ

هي الأنا المتورّمة عند الشاعر، إذ يجعل نفسه إلهًا يهبها الأنوثة، يهبها الدموع ويهبها الحياة، ولكن في الوقت عينه هي المعادل الموضوعي للوطن إذ يقول:

قلبك وطنٌ للمنفيّين
والمقموعين
والمقهورين

والمقتلعين
والمُهجّرين

الواقع، إنّ الصورة المتعدّدة للحبيبة تباينت بعد أن مَزَجها بأحاسيسه ومشاعره وبثّها كلّ رؤاه. وقد وجدنا أنّ المتكلّم قد لجأ إلى تكرار ندائه لها وتكثيفه (يا حبيبةُ) أو (يا حبيبتي). فهي إلهة العشق، تأتيه تارة على صورة أسطورة (كفينوس، وعشتار)، وتارةً أخرى تتّضح ملامحها الحسيّة (شفتاها توت أحمر، هيفاء القوام، تشعّ كشمس آب)، أمّا جسدُها فأزليّ كالوجود، وهو أوّل البدء وآخرُ التكوين، هي التاريخ والحضارة، الملاذ والوطن والحبيبة، فيظهر لها على هيئة بجماليون، إذ يقول:

سأنحت لك تمثالاً من لغتي
وأدعو آلهة الحبّ والشّعر
كي تدور في أوردة لغتي الحياة

بالتالي، إنّ المتتبّع لمختلف المعاني الدلاليّة في النصوص الشعريّة، يرى أنّ المعنى الوحيد لم يعد قائمًا في عبارة، بل بات يتنقّل في مواضيع مختلفة، عاقدًا علاقات دلاليّة متعدّدة. فالقصيدة بسيطة التركيب، لكنّها تحتاج إلى حفر، وهنا أتّفق مع Fontanille إذ يعتبر بأنّ الوصف الجزئي للبنية الأساسيّة ولمعانيها يسمح بأن نتنبّه لتنظيم العالم الدلالي في مجمله. وإذا كانت كلّ مفردة تتألّف من عدّة سمات دلاليّة، فإنّ هذه السمات تتموضع في سياق، وتنسج علاقات، مبرزة سمات دلاليّة مختلفة. يقول في قصيدة حين تكونين أنتِ المعنى: المعنى في بطن الحوت

ارمي المفتاح
في لجّ البحرِ
وغيبي ما استطعت
في رئتيّ الحوت

هذا النّصّ يعيدنا إلى النبي يونس، لكنّ الشاعر أراد إعادة إنتاج المعنى ليصل إلى المتلقّي حاملاً دلالات جديدة لم يعهدها من قبل.

والقارئ لمعظم هذه النصوص، يتبيّن له أنّه ثمّة إضافة شعريّة جديدة تكمن في رسم صورة المرأة النموذجيّة التي لا تشبه إلاّ نفسها. وقد تمثّل هذا الأمر في الصور التي تصفها، والثنائيّات الضديّة، التي تكسر أفق التوقّع عند المتلقّي وتثير دهشته، محقّقًا عن طريق الانزياح الدلالي ذروة فنيّة تقودنا إلى التأمّل في هذا العشق الذي لا يشبه العشق الأرضي:

"أتذكر تلك المرأة

كانت تستحضر الجنَّ
وكانت تستحضر الخوفَ"

نستنتج ممّا سبق أنّ المرأة عنده هي: حبيبة ومشتهاة وقريبة وأمّ، وتكاد أحيانًا تتطابق مع الوطن. وبذلك تكون قد امتزجت الصورة الحسيّة للمرأة مع صورتها المعنويّة.

والملاحظ للسطور في النصوص الشعريّة، يتبيّن له أنّ المتكلّم تطرّق إلى جميع الجوانب التي تخصّ معجم المرأة لأنّ المقام النفسي والاجتماعي والسياسي يستدعي هذا التوظيف. فارتباط الكلمات الموزّعة على الجمل المختلفة أحدثت علاقات معجميّة أسهمت في اتّساق النّصّ وربط دلالاته، فعلى كلّ وحدة معجميّة أن ترتبط بأخرى تستدعيها.

وقد بدا مفيدًا في هذه الدّراسة، الوقوف عند شؤون مختلفة، في صور متفرّقة، أشبه بمن يكرّ خيوط النسيج في اللّباس النّصّي. فبدت القصيدة الدراسيّة خطابًا ذاتيًّا يقصّ وحدات سرديّة مرجعيّة أو إحاليّة أو وقائعيّة، ما يجعل حدود الخطاب والسرد تتداخل في ما بينها، ويمثّل هذا التداخل أبرز سمات القصيدة اليوميّة التي لا تفارق فيها الذات مرجَعَها المُحقّق.

وثمّة ترابط بين السرد والنثر من حيث الشكل والمضمون ذلك أنّ السرد يختار الشكل النثري لكي يوصل رسالته أو رؤيته. وإنّ النّصّ بمضمونه عامّة يشكّل حالة فكريّة ووجدانيّة يتركّز فيها على نقطة معيّنة من فكرة أو من صورة أو من قضيّة. وهو لذلك يتأثّر بالعصر وبالبيئة وبظروف الحياة المتطوّرة باستمرار. وهذه الضرورة تستلزم أن يرافق تطوّر الحياة تطوّرًا مماثلاً في شكل القصيدة ومضمونها.

فقصيدة "النّباح في سجنِ خمسِ نجوم"، فيها استعراض لمشهدٍ قصصيّ حيّ، إذ يقول:

هذا الزّمن لي وحدي
أحرّكه كيفما أشاء
مَرّةً أجعلُه يمينًا
ومرّةً أجعلُه يسارْ
أظهره شيوعيًّا حيناً
وحينًا من الإخوان!
أظهر على صورة داعش
وأظهر على صورة القاعدة
أجتاحُ دولاً وأغيّر أنظمة
وأعيدُ تقسيم الشّرق على نحو ما أريدْ!

إنّ هذا الأسلوب السردي يظهر قدرة المتكلّم على الوصف والسرد، ما يساهم في تشكيل الواقع الموضوعي، إذ يساهم السرد في إعادة رسم الواقع بطريقة تفصيليّة توهمنا بأنّ الشاعر مقيم في داخل هذه الذوات وهو يرصد حركاتها، فننطلق بذلك من الحيّز السردي إلى فضاء القصيدة. وقد استقى المتكلّم موضوعه من توتّر الحياة اليوميّة وشرائحها وصيرورتها ولحظاتها الإنسانيّة المستمرّة المرويّة أو المعيشة في مقاييس زمنيّة أو مكانيّة. كما أنّ استعادة الأحداث اليوميّة ساعد على صياغة ماضي الجماعة وذاكرتها المشتركة.

وهذا الوضع يعزّر في قصائده، التي تعالج قضايا الجائعين والمهمّشين وتسلّط الضوء على الواقع البائس، توظيف الحياة اليوميّة وتجميع نتف الوقائع المتفرّقة. وهو يعبّر عن هذه المضامين بلغة استحواذيّة تستقي موضوعاتها من المناخ الإيديولوجي، الذي يبسّط الصراع الاجتماعي ويتعامل معه. فتمارس قصيدته بالتالي نقدًا اجتماعيًّا وتعكس جزءًا من الصراع الطبقي ما يجعل تجربته تتّسم بعمقها الدلالي، لا بكونها تجربة جماعيّة وحسب.

لا بدّ بعد هذه الدراسة، من القول أنّ مجموعة عاطف الدّرابسة "ويقول لها" تجربة مهمّة فتحت منافذ جديدة في الشعر العربي، وإن اختلط أحيانًا السرد بالشعر، وقد كثرت الصور المستقاة من الواقع، وقد ضمّنها الدّرابسة في نصوصه الشعريّة ما طرح إشكاليّة الوظيفة الشعريّة الجماليّة.

وتجدر الإشارة بأنّ الشاعر انطلق من تجربته الذاتيّة إلى حيّز الإنسانيّة، فامتلكت نصوصه القابليّة للانفتاح على عدّة أنواع أدبيّة، لأنّها حافظت على الإيقاع الموسيقي مضيفة إليه عناصر مختلفة. كما استعانت بخصائص السرد وأدخلتها إلى بنائها، فرأيناها بصورة شعريّة خارجة عن المألوف. كما نُظّمت المساحات على الورقة، بطريقة مختلفة عن المعهود.

وأعتقد أنّ هذا النوع الأدبي الذي تخطّى قصيدة النثر، لا يمكن أن نضع قوانين ثابتة له، إذ على الرغم من محافظته على طريقة نمطيّة في الكتابة، أظهر حريّة داخليّة زوّدت النصوص بديناميّة أبعدتها عن كلّ الأنواع الغنائيّة التقليديّة.

فإلى أيّ مدى نجح الدّرابسة في ابتكار نوع أدبي جديد يتقاطع فيه النثر بالشعر، والخيال بالواقع؟ وإلى أيّ مدى نجح في ابتكار لغة جديدة مطواعة تتناسل بطريقة مدهشة من بعضها البعض؟

د. دورين نصر
ناقدة وشاعرة لبنانية

قصيدة تأبينيّة للشَّاعر السُّوري والقس الفاضل جوزيف إيليا

بعنوان: "نظرةٌ للوراء وأخرى للأمام"



الشَّاعر السُّوري القس جوزيف إيليا

2

نظرةٌ للوراء وأخرى للأمام

"نصٌّ مهدًى لذكرى الدّكتور النّاقد الشّاعر عاطف الدّرابسة"

برغمِ الّذي شِدتُهُ في حياتي
وفيهِ تعبتُ كثيرًا
ومِنْ أجلِهِ نمتُ فوقَ رصيفِ الهمومِ
وضيّعتُ وقتيْ عليهِ
فإنّي أرى كلَّ ما شِدتُهُ
ناقصَ الشّكلِ لمْ يكتمِلْ
فها نغمتي
لمْ يقُلْها كمانُ الحكاياتِ بعدُ
وأسئلتي
لمْ تجِدْ مَنْ يجيبُ عليها
ومولودُ عاصفتي

جائعٌ للحليبِ
يفتِّشُ عن ثدي أمٍّ
ليرضعَ منهُ وينمو
ورحلةُ نفْسي إلى موطنِ المشتهى قد تطولُ
وتشقى خطايَ
ويكثُرُ بحثي
وفيها أنا تائهٌ
غائصٌ في تضاريسِها لا أصِلْ

فأفتحُ دفترَ شكّي
وأرسمُ فيهِ بريشةِ يأسي دوائرَ ليست تبينُ معالمُها
وخطوطًا بلونِ السّوادِ تغطّي بياضَ تواريخِ أمسي
وأكتبُ فوقَ السّطورِ قصيدةَ عجزي بدمعي
وفيها أقولُ :
– متى عينُ روحي
بما شئتُهُ دائمًا تكتحِلْ؟

وكيفَ
وقد أُنهِكتْ سفني في بحارِ السّؤالِ
ولمْ يأتِني ما أحبُّ مِنَ الطّيباتِ
ولمْ أُكْسَ ثوبَ الوضوحِ
إلى عالَمٍ آخَرٍ
فيهِ تثمرُ داليتي أرتحِلْ؟

وفيهِ بماءِ حكايا أُردِّدُ فيها
وتحيا طويلًا
ولا تنتهي أغتسِلْ؟

ألمانيا: تشرين الأوَّل (اكتوبر) 2024
القس جوزيف إيليا

الكاتب والرّوائي والمخرج اليمني حميد عقبي

يرثي النّاقد والشّاعر الرّاحل د. عاطف الدرابسة



الكاتب والرِّوائي والمخرج اليمني حميد عقبي

3

لا أتقن الرّثاء وصناعة الكلمات، .. أهدي هذا النَّص إلى روح الصَّديق الشَّاعر والنَّاقد د. عاطف الدرابسة الَّذي شاركنا بأكثر من مئة ندوة ونشاط في المنتدى العربي الأوروبي للسينما والمسرح.

موت المبدع، مؤلم، موت الصَّديق مفجع، موت الشَّاعر حياة!

قد تنتهي حياتي في مصحَّةٍ عقليّة، أو يأتي نداءُ القمر فأرى وجهَ جدَّتي. الأطفالُ يحلمون بالجدّات الطّيّبات، يطلبون من الله أن يكبروا بسلام، وألّا يظلَّ في مدينتهم ضجيجُ الدُّخان وظلماتُ الحرائق. لا أحدَ منهم يريد أن يذهب إلى الحرب عندما يكبر. أنا لم أكُنْ أعرف ما تعنيه الحرب، ولم أكُنْ أسمع بموتِ النَّاس والأحلامِ. لم أكُن أستخدمْ قلمَ الحبرِ الأسودِ، ولم أرسمْ ملاكَ الموتِ في طفولتي.

بعد الموت نصبح ترابًا، ويذهبُ بنا الموت إلى رحلةٍ لا نهاية لها. يُقال إنَّها أبعد من القمر. سيكون لي قبر بلا علامات، في مكانٍ ما بلا اسم، لا ترصده أقمارُ أيلون ماسك، ولا أجهزة التنصُّت. يتمدَّد الظّل بجانبه كأنّه إحدى شخصيّات أفلام تاركوفسكي المجنونة والقلقة. قبر بلا زخارف قد لا يكون بائسًا، المهم ألّا أظل في جوف الموت.

أحلمُ أنْ يكونَ بالقربِ مِنْ قبري ساحةٌ للعبِ والرَّقصِ، وشجرةٌ كبيرةٌ يلجأُ إليها العشَّاقُ مِنْ أجلِ العِناقِ الأوَّلِ، وأنْ يكونَ بالجانبِ الآخرِ منهُ صخرةٌ ضخمةٌ مستطيلةُ الشَّكلِ، تكونُ مقعدًا للشعراءِ المجانين، يأتونَ إليها فرحينَ وبيدهم بعض القناني والتّبغ وأقلام زرقاء.

سألتُ الرَّبَّ أنْ يرزقَني فهمَ لغةِ الطُّيورِ الصَّافياتِ في السَّماءِ، والَّتي تأتي مِنْ أماكنَ بعيدةٍ. وعدني أنَّهُ سيرسل إليَّ ملاكًا مؤهَّلاً ألَّا يقع في العشقِ، كأنَّهُ لا يضمنُ ألّا أقعَ في غرامِها.

مرَّ راهبٌ عادَ مِنَ الحجِّ لمعبدِ بورو بودور، وقال: "على الرِّجالِ الَّذينَ سيحفرونَ قبرَكَ ألَّا يأكلوا اللَّحمَ ليومينِ، وأنْ يغتسلوا مِنَ المطرِ الَّذي سيهطلُ بعدَ الدَّفنِ".

وقالَ: "إنَّ الموتَ ليسَ شرًا. يأتي في لحظةِ هاتفِ القبر، كأنَهُ ريحٌ مميَّزةٌ تمرُّ مِنْ يمينِكَ ثمَّ يسارُكَ، ثمَّ يلفُّكَ مِنْ كلِّ الجهاتِ، ثمَّ تتسلَّلُ إلى الجسدِ. يتذوَّقُها اللِّسانُ، تصمُتُ البطنُ كأنَّها تُصغي للحنٍ مِنْ موسيقى عصرِ ما قبلَ التَّاريخِ".

ثمَّ تحدَّثَ طويلاً، فهمْتُ منْهُ أنَّهُ بدونِ ريحٍ ولحنٍ قديمٍ لا يكونُ الموتُ موتًا. أتألمُ لحالِ موتى ينتظرونَ الرَّحيلَ والرِّحلةَ الخياليّةَ إلى القمرِ.

أشعرُ بالهواءِ الثَّقيلِ يتدفَّقُ مِنْ رأسي، ولا أستطيعُ أنْ أوقفَ جريانَهُ. عدْتُ أبحثُ عَنْ ذلكَ الرَّاهبِ، وجدْتُ تمثالاً يُشبهُهُ. أحاولُ التَّذكُّرَ والتَّأكُّدَ بأنِّي كنتُ أتحدَّثُ مَعَ إنسانٍ وليسَ تمثالًا. الكثيرُ مِنْ جحافلِ التَّهيؤاتِ تغزوني.

أفكِّرُ في الهروبِ إلى ذكرياتِ ليالي العناقِ.

هلْ يحولُ بيني وبينَكِ بحرٌ عميقٌ أو سورٌ ضخمٌ؟

يمكنُكِ أنْ تأتيَ بصندلِكِ إذا كانتْ أحذيتُكِ مبلَّلةً، المهم أن تأتيَ وبأيِّ حالةٍ. سيمشِّطُ اللَّيلُ ضفائرَ شعرِكِ ويدهنُهُ بالقليلِ مِنْ زيتِ الزَّيتونِ وزيتِ السِّمسمِ والنَّارجيلِ وزيتِ العودِ المُعطَّرِ. تعلمينَ أنِّي أؤمنُ بعاداتِ اللَّيلِ وخرافاتِهِ، وظمآنٌ إليكِ. أشتاقُ إلى الحياة.

يقطعُ النَّهرُ خاصرتَهُ ليكونَ في مظهرِ شابٍ، أريدُ أنْ أعودَ الطفلَ النَّائمَ في مهدٍ مربوطٍ بينَ شجرتَينِ، تهبُّ النَّسماتُ فيهتزُّ المهدُ. علَّمتني أمِّي ألَّا أخافَ، قدْ يسقطُ غصنٌ أو بعضُ الأغصانِ، لكنَّ الأشجارَ لا تسقطُ. يسقطُ الوطنُ عندما تسقطُ أشجارُهُ وتُباعُ كفحمِ التَّدخينِ.

كلماتٌ كثيرةٌ في حلقي، أعجزُ أنْ أترجمَها في شكلِ صورةٍ ثابتةٍ أو حتَّى مشهدٍ صامتٍ بالأبيضِ والأسودِ. لونُ الشَّفقِ يكسو النَّهاراتِ وأرصفةَ المدينةِ المخمورةِ. أصبحَتْ مدينتي تسكرُ قبلَ أنْ تنهي كأسَها الأوَّلَ، كأنَّ الأشياءَ فيها تشيخُ وتفقدُ القدرةَ على الوقوفِ والتَّصفيقِ لمهرجٍ بنصفِ وجهٍ يؤدِّي عرضًا ودورَ البطلِ، مُنقذَ العالمِ.

حميد عقبي

كاتب وروائي ومخرج سينمائي مقيم في فرنسا

رئيس المنتدى العربي الأوروبي للسينما والمسرح

كلمة تأبينية من الشّاعرة والمترجمة التُّونسيّة فاطمة حافظي



الشّاعرة والمترجمة التُّونسيّة فاطمة حافظي

4

الأخ الأديب الرّاحل د. عاطف الدرابسة ..

عندما ترحل الأرواح العظيمة، نقفُ بصمتٍ، نترحَّم وندعو ..

يخفتُ نورُ العالمِ قليلاً حتَّى يتسنَّى لنا التَّأمُّلُ واسترجاعُ الأنفاسِ أمام عظمةِ الموتِ.

حينَ رحلْتَ، لَمْ تغِبْ فقط عَنِ الأنظارِ، بَلْ انطفأَتْ شمعةٌ كانَتْ تُضيءُ دربَ الفكرِ والإبداعِ. كنْتَ أكثرَ مِنْ أديبٍ، كنْتَ صديقاً وأخاً، تقاسمْنا معَكَ كلَّ يومٍ في هذا الفضاءِ الافتراضي، حروفَكَ الَّتي كانَتْ تنبضُ بالحياةِ، وكانَ كلُّ نصٍّ تكتبُهُ نافذةً إلى عالمٍ أوسع وأعمق.

كثيراً ما أدهشْتَنا بقدرتِكَ على مزجِ الكلماتِ بحنانِ قلبِكَ، وكأنَكَ كنْتَ تسكُبُ روحَكَ في كلِّ جملةٍ. كانَتْ كلماتُكَ تضمّدُ جراحَ القلوبِ، وتنيرُ ظلماتِ العقولِ، أمَّا الآنَ فنحنُ نقفُ أمامَ غيابِكَ عاجزينَ، مُستسلمينَ لفراغٍ لا يمتلئُ.

يا مَنْ كنْتَ تجمعُنا بحروفِكَ، كيفَ نُجمعُ بعدَ رحيلِكَ؟ كيفَ نكتبُ عنكَ وأنتَ مَنْ كانَ يعلّمُنا جمالَ الكتابةِ ورونقَ المعنى؟

سكَتَ قلمُكَ، لكنَّهُ سيبقى يهمسُ في قلوبِنا، وسنظلُّ نسترجعُ كلماتِكَ في كلِّ لحظةِ صمتٍ. تركْتَ لنا إرثاً لا ينضبُ، وسيبقى اسمك محفوراً في ذاكرةِ كلِّ مِنْ عاشَ معَكَ ةمع حروفِكَ، وكُلِّ مَنْ سكنَتْهُ حِكمتُكَ.

رحلْتَ، لكن روحُكَ الأدبيَّةُ باقيةٌ بينَنا، تملأُ السُّطورَ الَّتي لم تُكتبْ بعدُ، وتُزيّنُ الأفكارَ الَّتي لَنْ تنطفئَ.

تغمدَّكَ اللهُ برحمتِهِ وعفوِهِ.

فرنسا: 8. 10. 2024

فاطمة حافظي

شاعرة ومترجمة تونسية مقيمة في فرنسا



الغيوم تمطر في كل الأوقات



الشّاعرة والكاتبة السُّعوديّة فايزة سعيد

5

يحضر هو وتحضر معه اللغة
والحروف والكلمات والمفردات
والجمل والعبارات والتعابير المختلفة
تحضر القراءات والسرد والنقد العاري
والمدارس النقدية القديم منها والجديد
تحضر المشاكسات ويحضر الصخب والضجيج
والبهجة كما الفرح كما الغضب أحيانًا
يتحدث هو فتشرق شمس العالم
من صوته وتتراقص المفردات
من خلال كلماته تلك التي تتجلى فيها
الحقيقة ويتعرى فيها النقد والعلم
وكل فنون المعرفة وفصل الخطاب
يلخص لنا أروع ما يحتويه النص
من إبداع وتجليات وإشراقات وفن
وإبداع وجمال ومحاكاة وسرد
النقد عند عاطف الدرابسة لعبة ضوء
في زوايا الظل، رقصة ريح عند هطول المطر،
تسكع في غرف القمر وجنون اللحظة

والركض في دروب الشمس دون توقف
النقد عند عاطف الدرابسة
قراءة كتاب على شرفة نهار مشمس
أوراقه من ورق الياسمين وصفحاته
بلون الشروق في يوم غائم
وحروفه من حليب الأوراق الخضراء
ولبن الأرض وشراب العنب الأحمر
النقد عند عاطف الدرابسة
مقاربات شرسة من أجل الوصول
إلى غابات المعنى وحدائق الحقيقة
مشاكسة طفل مشاغب في شارع اللغة
وشوارع الوجود وبحر المعاني
الشعر عند عاطف الدرابسة
حروف وكلمات تمطر في كل الفصول
والأوقات وجميع الأيام الحبلى بسنابل
الحب والشوق وتلك الساكنة فيه
قلت لها قصائد مجنونة لرجل عاشق
يحترق حبًا وهيامًا لتلك المرأة البعيدة
القريبة منه وفيه وهي تجري في دمه
تسكن شرايين قلبه المتعب بها ولها
يكتب لها صباحا ومساء دون كلل أو تعب
مات الوقت وهو يكتب لها
رحلت المسافات وهو يكتب لها
سافرت الشمس والقمر والنجوم وهو
يكتب لها
غربت شمس العالم ومازال يكتب لها
قلت لها . قلت لها. قلت لها .
قلتُ لها:

"لعلَّ أخطرَ ما في الإنسانِ هو تاريخُه الذَّاتي ، والصُّورةُ التي تحضرُ فيها هذه الذِّكريات. لماذا نُحسُّ أحيانا بأنَّ التاريخَ الذَّاتي يهاجمنا أو يجتاحنا أو يحتلُّ منَّا كلَّ تفكيرنا، وتصيرُ الذِّكرياتُ تُسقط علينا حاضرنا؟))

قلت لها ((قد تحضرُ لحظةٌ واحدةٌ إمَّا تُسعدنا ، أو تُتعسنا ، أو تشقينا ؛ لأنَّ هذه الذِّكريات إمَّا حالاتُ انتصارٍ أو انكسارٍ أو سعادة أو شقاء، وتصيرُ بعض الأماكن تستدعي تفاصيلَ الأشياءِ والأحاسيسِ؛ فيتعطَّلُ العمرُ يا حبيبةُ عند لحظاتٍ ، وكأنَّ الباقي من العمرِ غير محسوب)).

قلت لها يا حبيبةُ:
((للذِّكرياتِ سطوةٌ ، واستدعاءُ الماضي بكلِّ تفاصيلهِ يقدِّم للنِّهاياتِ؛ فالشَّخصيَّة الحقيقيَّة هي التي تشكَّلتْ من اللَّحظاتِ المِفصليَّة بتاريخها الشَّخصي، أحياناً يُسكَتُ عنها فتظهرُ على شكلِ حالةً فنيَّة؛ في رسمٍ أو كتابةٍ، وقد يتعطَّلُ العمرُ عند لحظةٍ؛ فتُلقي بالإنسانِ خلف الغروبِ، فلا تحاولي محوَ هذه التفاصيلِ؛ فالماضي يا حبيبةُ عالقٌ بنا، اتركيه كما هو، ففيه عبرةٌ، وفيه ذكرى)).

قلت لها ((إنَّ مخزونَ الإنسانِ الذَّاتي هو مخزونٌ لغويٌّ وأسلوبي، ومخزونٌ ثقافيٌّ وفلسفيٌّ ومعرفيٌّ ودينيٌّ، ومخزون حيٌّ، فيه تتجسَّد الخبراتُ والتَّجاربُ، والتَّاريخُ الشَّخصي، ويتحدَّدُ بقدرتنا على أخذِ هذا المخزونِ، وتصويرِ حالهِ، لذلك يختلفُ استقبالُ الذِّكرى مع الزَّمن، عندها تتداعى في الذَّكرى تفاصيلُ الأشياءِ والأحاسيسِ)).
قلت لها: ((هامش التاريخُ الذَّاتي يا حبيبةُ لا يموت، ويظل حاضرا، لكن يبقى السُّؤال: ما الصُّورةُ التي يحضرُ فيها ؟)).
وبقي عاطف الدرابسة يكتب لها ويكتب
فأين هي تلك الساكنة فيه حتى الموت؟
أتراها تبصره الأن؟ أتراها تقرأ ما يكتبه لها؟
أتراها ترتدي الأسود حزنا عليه على موته؟
أم أنها امرأة ليست من هنا من الأرض
نجمة بعيدة تسكن الغيوم هناك خلف
حجب الغيب هناك في الأقاصي البعيدة
امرأة من قصيدة وحروف وتراتيل روح
امرأة من ضوء تطير على أجنحة حب
فلا تسقط الأرض وتسكن الأعالي والسحب
قلت لها وما أكثر ما قال لها وتعذب بها
حتى بكت الكلمات من الكلمات
والحروف من الحروف واللغة من اللغة

وحتى مات الحب من الحب
والشوق من الشوق وحتى غادر القلب نبضه
مات الدكتور عاطف الدرابسة ترجل باكرة
دون كلمة أو وداع مات في صمت الصحراء
وبقيت قصيدة: قلت لها.
شاهدة عليه على أنه كان معنا على هذه الأرض
يتنفس الوجود والأفكار والحب والحياة معا،
شاهدة على جمال القصيدة
عند الدكتور عاطف الدرابسة

فايزة سعيد
شاعرة وكاتبة سعوديّة

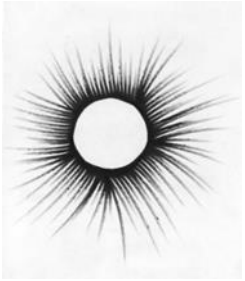

لون اليأس وطعم الخيبة والخذلان

في ديوان "ويقول لها" للدكتور عاطف الدرابسة



القاص والشَّاعر السُّوري جورج عازار

6

في عنوان المجموعة الشعرية "ويقول لها" بوح وإقرار، وفيما يشبه الاعترافات تتوالى قصائد الشَّاعر الدكتور عاطف الدرابسة، وفي أولى القصائد "كرسي برجل واحدة" والتي تُذكرُنا بقصيدةِ الشَّاعر الكبير الرَّاحل "نزار قباني" وهي "السيرة الذاتية لسيافٍ عربي" تناصٌ واضحٌ، حيث يعلن فيها الشَّاعر الدَّرابسة:

أنا الملكُ الحاكم بأمر الشيطانِ
أُعلنُ الحربَ متى أشاء
أُعلنُ الحب متى أشاء
كذلك انا
أفعلُ بالرَّعيةِ ما أشاء

وفي موضعٍ أخر نجدُ بأنَّ هذا الحاكم مراوغ مُحتالٌ يقول عن نفسه:

هكذا أنا كرسيٌ برجلٍ واحدةٍ
لا أجيد إلا لغة اللَّفِ
والدَّوران

– ونكتشف بأنَّ كُلَّ أفعاله العظيمة التي فعلها، ماهي سوى سرابٌ، فلا هو من يكتب على الماء، ولا هو من يطفئُ البرقَ، ويُخرسُ الرَّعدَ، ويروضُ السَّحابَ، أو يَسجنُ الهواءَ، فما هو سوى مريضٌ بجنونِ العظمة يسعى وراء السَّرابِ. هذه هي الشخصية التي يرسمُها الشَّاعر لذلك الحاكم، وإذا ما أردنا أن نفكرَ فيما بين السُّطور لنصلَ إلى المُضمرِ من مقاصده، نكتشفُ ذلك في تَوالي المعاني:

فهذا الكرسي من حجرٍ
وأنا يا ألهة العربِ ملكٌ
يحكمُ منذ الأزلِ
دولةَ المقابرِ
الرعيةُ أمواتٌ
والأمواتُ هم يا سيدتي سكانُ القصورِ
والقصورُ مقابرٌ

وهكذا تصبحُ الاسقاطات السياسية في قصيدته أمراً لا مفر منه، ويصبحُ موضوعُ التَّناصِ مع قصيدةِ نزار قباني في قصيدتِه "السيرة الذاتية لسيافٍ عربي" أمراً واضحاً وجلياً لا مفرَ منه.

وفي قصيدته الثَّانية "الهدنة" تناصٌ من لونٍ آخر، ومع أيةٍ قرآنيةٍ هذه المرَّة، حيث يرتلُ لنا سورةَ الفاجعةِ: هل تسمحون أن أرتل عليكم سورة الفاجعة؟

الهاوية
وما أدراكم ما الهاوية؟
كُلُّ المنازلِ خاوية
لا عروشٌ فيها ولا خابية

والقصيدة في المضمون تدور حول الحرب الهمجية في غزة، والتي تأتي على الأخضر واليابس، فيتحدث عن المجازر التي لا تنتهي إلا بهدنةٍ صُوريةٍ، لا تكفي سوى لالتقاط الأنفاسِ ولسماعِ حشرجاتِ من يحتضر بلا شفقةٍ:

غزَّة
كُلّ الأماكن حزينةٌ
كلُّ الأماكن موحشةٌ
أسمعُ صوتَ الجوعِ
أرى الجثثَ تسلكُ الطريقَ الممنوعِ
وأرى المساجد والكنائس بلا صلواتٍ
ولا دعاء

تُصيبه غزَّة بالحزن وهي تحترقُ والبطلُ متوارٍ خلف السِّتار، تُبكيه رائِحةُ شِواء اللُّحوم الطَّرية، وما في الطريق سوى نائحات وشهقات، وقصفٌ لا يتقن الصَّمت أبداً، وكلّ العيونِ تحدِّق في الجانب الآخرالبعيد، والأذان صَمَّاء، في زمنٍ لا يُشبه كل الأزمان.

ويستمر طعمُ الحنظلِ في كأسه، يتجرعُ مرارتَه، يعرضُ علينا تفاصيلَ الكابوسِ الَّذي ألَّم به فما عاد يعلمُ إن كان حياً او ميتاً مسلوب الذَّاكرة أم مازال يتذكر:

كنت قد فقدت ذاكرتي
أحاول أن أسترجع صوراً من اليوم
فلم أجد صورة واحدة
تذكرني أنني كنت على قيدِ الحياة
هذا اليوم..

ولا يلبثُ أن ينتهي الكابوسُ بتساؤلِ الحِيرة: إن كان العظماء والأساطير في العالم، ما استطاعوا تغيير شروط الُّلعبة، فكيف سيكون بمقدوره وهو البائس المسكين أن يغيِّرَ معالمَ هذا الزَّمن الرديء:

فكلُّ هذا وكلُّ هؤلاء
لم يُخلِّصوا العالم الموبوء من كلِّ هذا الوباءِ
فكيف لي أن أنجو من موائد الوحوشِ

هو اليأسُ يرتِّب له أفكارَه، ويجعلُه يرفضُ كل شيءٍ، حتَّى نِعمةَ النَّارِ الَّتي جاء بها "بروموثيوس" ومَنحها للإنسانِ كي يتدفَّأ بها، ويطردُ الحيواناتِ المُفترسة عن مسكنه، وقبل هذا وذاك كي يطهو بها طعامَه، ولكن أيّ طعامٍ لفقيرٍ؟، وأي مذاقٍ لمسكينٍ؟، والنَّارُ ما عادت كما أرادها "بروموثيوس" نعمةً للإنسان الّذي صيَّرها بشروره أداةَ قتلٍ وفناءٍ ودمارٍ، ولذا يعاتب الشَّاعر بروموثيوس قائلاً:

بروموثيوس: ليتك ما سرقت النَّار..
أرجوك أخرج من الموقد
لقد هيأتُ لك سريراً لتقيمَ في الفُرنِ
فقد حكمتْ عليك الآلهة أن تبقى سجيناً إلى الأبدِ
وأن يبقى فرنَ الشِّواءِ مُغلقاً
الفقيرُ يموتُ إذا استنشقَ رائحةَ اللحم المشوي
الفقيرُ يموتُ إذا استنشقَ رائحةَ الرَّغيفِ

– يَتسلَّلُ اليأسُ رويداً رويداً إلى كلِّ ما يراه ويحسُّ به، وكأنَّه عدوى وباءٍ ينتشرُ من غير رحمةٍ، إلى كلِّ مناحي الحياة، وحتّى المرأة التي من المُفترض أن يراها عوناً له على نكبات الزَّمان، ما عاد يطمئِنُ إليها، فقد صار عسيراً عليه فهمها، فيجدها متقلبةَ الأطوارِ مثل الطَّبيعة، حزنٌ وفرحٌ، قُربٌ وبُعادٌ، ثورةٌ و نسيمٌ ضَّحِكٌ وبكاءٌ، فيحتارُ في أمرها:

قلتُ لكِ إنني لا أجيدُ قراءةَ النِّساء
أنتِ والطبيعةُ وجهان لأحلامي:
متقلبةٌ، متحولةٌ، متناقضةٌ
كريمةٌ حيناً وبخيلةٌ أحياناً
أنتِ والطبيعةُ
وجهانٌ متناقضانِ للُغتي
أنت كالطبيعة امرأةٌ متناقضةٌ
مرةً تهبيني طينَ الجداول فأختنقُ
ومرةُ تهبيني ماءَ الأنهارِ فأرتوي

وعندما يستعصي عليه لونَ الحبورِ، يُحاولُ الُّلجوءَ إلى الحُلمِ كي يكون مُنقذاً له في طَوفان الكونِ المُمتَدِّ إلى أعماقه، فيرى فيه حبلَ الخلاصِ وبوَّابته إلى عالم آخر، فيخذله حتى الحُلمُ، ويتفاجأ بأنَّه هو الأخر متهالكٌ وعاجزٌ:

أحلامي كأنها جموعٌ من القصائد التي لا تجيدُ الإبحارَ
تسألُ عن موجٍ يحملُها
عن ريحٍ تحركُها
عن أشرعةٍ، فإذا كُلُّ الأشرعةِ مُمزقةٌ

وهكذا نجد أن حتَّى أحلامه لا تملكُ مجاديفَ في مركبه، ولا تقوى على الإبحار، يائس يتسرَّبُ الشَكُّ إلى حناياه كأنَّه يستبقُ الحدثَ قبل حدوثِه، فلا يأمنُ جانبَ العشقِ مخافةَ الخيانة:

لا تُلقِ نفسكَ
في نارِ الحبِّ
لا أريد أن أشُمَّ رائحةَ الخيانة
وهي تحترقُ

وليس هذا فحسب، بل يمضي إلى أبعد من ذلك فهو لا ينتظرُ خيراً مطلقاً من علاقةِ عشقٍ، إنه شكٌّ إلى حدودٍ لا يحدُّها حَدٌ ، فهو على ثقةٍ بأنَّ الخيانةَ أمرٌ مَحتمٌ وهي قادمةٌ لا محالة:

إياكَ أن تأمنَ إلى اِمرأةٍ شرقيةٍ
قلبُها مع واحدٍ
وعقلُها مهووسٌ بواحدٍ

ويدها في جيب واحدٍ
وعينُها على واحدٍ

ورغم كلّ هذا لا يجدُ مفراً من اللُّجوءِ إليها، مثلَ طِفلٍ تقسو عليه أمه، فيرتمي في حِجرها ويذرفُ الدُّموعَ لها ومنها.

وحينما يحاصرُه اليأسُ وتتكاثفُ غربانُ الشُّؤمِ حولَه، لا يجدُ مَفراً من الارتماءِ بين أحضانِ المرأة فهي رغم كُل شيءٍ تبقى الملاذَ له:

كم قلتُ لكِ يا حبيبة
أنتِ العطر العابق في جسدي وأنفاسي
لا تَروي لهم
كيف تدقُ ساعةُ الحُبِّ في قلبي وفي روحي
تاركةً على الشفتين قبلةَ الوداعِ
يضيءُ من زيتِها كل الوجودِ
وعندما يستكين إلى لمساتِها وقبلاتِها يصيرُ الكونُ بالنِّسبةِ له أشهى:
تعالي يا حبيبة
نرسمُ الكونَ في هذه الليلة بلونين: لونِ القمحِ ولونِ اللَّيمونِ لنستعيدَ ذواكِرنا
ونسألُ الحقولَ عن الجذورِ
ولكنَّه حالما يستفيقُ من النَّشوةِ يراودُه الشكُّ مجدداً، فيطلبُ منها أن تتلفَ كلَّ وثائقِ الِّلقاء:
أشعلي النار في كأسِك وأحرقي أخر قبلةٍ وأخر حوارٍ
فأنا يا سيدتي بقايا رجلٍ في روايةٍ اسطوريةٍ
وبقايا عاشقٍ في قصيدةٍ مكسورةَ الوزنِ والإيقاعِ
ورغم هذا تبقى المرأةُ بالنسبة له خشبةَ الخلاصِ التي يَنشدها في زَّمنِ العَتمةِ، رغم كُلّ تحفُّظاته وشَكوكه:
كأنَّك يدُ السَّماء على صدري
ترسمُ لوحةَ الحياةِ على الضِّفافِ
من أين جاء كل هذا الحبّ
من أين خرج كل هذا الوجع
وتصيرُ المرأةُ عنوانَ الحياة، بل عنوان كلّ ما في الكونِ ولون كُلّ الأشياء من الولادةِ وحتى المماتِ، والمماتُ ربَّما هو هجرٌ ورحيلٌ، ورُبَّما هو الرَّحيلُ الأكبر وهو ديمومةُ الغيابِ:
تأمَّل أيها النازِفُ صَمتَها

بيدٍ تحملُ فأساً وبيدٍ تحملُ كفناً
أطِل النظرَ اِصغِ إلى ندائِه سيأخذُك إلى هناك
حيث روحها والقبر

وبعد هذا هو عاطف الدَّرابسة، ناقدٌ صارمٌ، ورياحٌ عاصفةٌ عندما يقتضي الأمرُ، ولكنَّه شَاعرٌ رقيقٌ في الغزل، تصيرُ عواصِفُه نَسائمَ ربيعيةٍ مُنعشةٍ.

في داخله قلبُ طفلٍ في جسدِ شاعرٍ، يُخفي بين ظلالِ الصَّرامةِ عذوبةَ العاشقِ وهيامَ المُحبِ، يظنُّ من لا يفقهُ بمكنوناتِ النفسِ بأنَّه كارهٌ للمرأةِ، غير مدركٍ بأنَّ خيطاً رفيعاً، يفصل بين الحبِّ والكُرهِ، ربَّما المرءُ حينها يكرهُ المحبوبَ لكونه يعشقُه الى درجةٍ يصيرُ فيها البعادُ عنه عذاباً وعقاباً، فهو صورة عن وجهي الحقيقة الحبّ والكُره.

عاطف الدَّرابسة الَّذي يجانِبهُ السُّرور، وتقلبُ له الدُّنيا ظهرَ المِجنِ، رغم تَوقِه إلى فُسحةِ فرحٍ، لكنَّ الحرائقَ تحجبُ أمامه فضاءات الضَّياء، ففي جحيمِ السَّوادِ لا طعم للحبورِ، حيث الصقيعُ يخمدُ الشَّمسَ هناك وتُفترسُ الذئابُ كلَّ القطيعِ بلا رحمةٍ، وتبكي الزُّهورُ في كل ليلةٍ براعمَها التي حصدتَها براثنُ الأعاصير بلا شفقةٍ. هو اليأسُ يأكلُ بنهمٍ من أفكاره، وحتى من بصيصِ الأملِ في أخرِ النفقِ يقول:

لا تنتظري الأملَ إنه يحترقُ
يصير رماداً لا يشبهُ رمادَ الفينيق

وبالطبع فالأملُ حين يذوي لا يمكنه أن يحيا مُجدداً وسط الرمادِ، كما في أسطورة طائر الفينيق، إنَّه طعمُ الوجعِ، ولون اليأسِ، ومرارة الخذلانِ، وجراح الخيبةِ، في ترانيمٍ باح بها شاعرنا عاطف الدَّرابسة، في ديوانه "يقول لها" فأضحت كلُّ بحارِه مُصطبغَةً بلونِ الحُزنِ، وفي لُججها يتمايلُ مَركبُه التَّائِه من غيرِ مجاديفٍ ولا أشرعةٍ، يبحث بلا جدوى عن بصيصِ ضَوءٍ قد ينبعثُ من المَنارةِ البعيدةِ ذات مرةٍ.

جورج عازار
شلعر وقاص سوري مقيم في ستوكهولم



إلى روح فارس النقد المبدع الذي ترجَّل قبل الأوان...
إلى روح الصديق الراحل الدكتور عاطف الدرابسة؛ أُقدِّم هذا النص.

وجعُ الرَّحيل
تَدُقُّ السَّاعةُ السَّابعةَ
والصَّمتُ مُطبَقٌ
تَدُقُّ السَّاعةُ الثَّامِنةَ
والسُّكونُ مُخيمٌ
على الأرجاء
وفي التَّاسعةِ أبداً لا تَكُفُّ
عن النِّداء
بلهاءٌ تِلك السَّاعةُ
ما أدركتْ
أنَّك أبداً بعد اليومِ
لن تَحضرَ
كيف نبدأُ من غيرِكَ
بلا دُعابةٍ أو طَرافةِ
ومن دونِ مناوشاتٍ
قُلْ إنَّكَ تُمازِحُنا
وقُلْ إنَّ تلكَ الأنباءَ
تَضليلٌ وافتراء
أو هو اختبارٌ
كي تعلمَ
مقاييسَ الوَفاءِ
ما كُنتَ يوماً عابرَ سبيلٍ
ولا ورقةً مَطويةً
في دفترٍ قديمٍ
ربَّما تلكَ السَّاعةُ ما كانتْ بلهاءَ
فهي تُدركُ
أنَّ بعضَ الغيابِ حُضورٌ

حتَّى في الغيابِ
وأن بعضَ الحُضورِ
حين الحضورِ غيابٌ
أيُّها الحاضرُ الغائبُ
وإنْ ترحلْ فلا تغيبُ
أوراقٌ مُتعبةٌ أرهقَها عَبثُ الانتظارِ
لفافةُ تَبغٍ تفتقدُ أصابعَ
ولهبٌ يوقدُ طقوسَ الحنينِ
حين يحينُ زمنُ الّلقاءِ
سُحبُ الدُّخانِ بالأمسِ
تَصَاعدَتْ وحَلَّقت بَعيداً
فصارتْ رَفرفةَ أجنحةٍ
وترانيمَ لا تكفُّ عن النَّواحِ
في السَّماءِ
سيجارةٌ مُطفأةٌ وبقايا رَمادٍ
وأوراقٌ مَطويَّةٌ على منضدةٍ يتيمةٍ
وخيالاتٌ مَنسيَّةٌ
كيف نبدأُ مِن غيرِ أنْ تظهرَ
كيف نبدأُ
ودخانُ التَّبغِ صامتٌ
لا يطالُ السَّماء
لماذا بقيتْ تلكَ المنفضةُ
خاويةً تفتقدُ الأعقابَ والرَّماد؟
قد أخطأ الحُكماءُ
ومعاجمُ الُّلغةِ، يا سيِّدي
فالرَّحيلُ أبداً لا يعني الغياب



جورج عازار

شاعر وقاص سوري مقيم في ستوكهولم–السويد

اللَّوحة المرفقة للفنّان التّشكيلي السُّوري يعقوب اسحق

الدكتور عاطف الدرابسة حامل لواء الحداثة



الكاتبة السُوريّة الهام غانم عيسى

7

يعدُّ الدُكتور عاطف الدَّرابسة واحداً من أهم النقّاد واحد روَّاد جيله إذ ينتمي إلى حركة التَّطوير في أعماله الأدبيّة والنَّقديّة وهو أحد الكتَّاب المعاصرين في العالم العربي. يتجوّل بنا هذا الأديب ضمن قلعته ليعاين التَّغيّرات والمحطّات التَّاريخية المهمّة. تناولَ في كتاباته خليطاً من ثقافاتِ الشُّعوبِ والأعراقِ. حملَ لواءَ الحداثةِ والتَّنويرِ، لبناءِ جيلٍ قادرٍ على التَّعاملِ والانفتاحِ على الآخرِ، المختلفِ ثقافيّاً وفكريّاً، ودعا إلى اللِّقاء الفكري المغاير. ويعدُّ الدُّكتور عاطف الدرابسة أحد مناصري اللُّغة العربيّة وآدابها، لأنَّ مسيرةَ حياتِهِ حافلة بالعطاءِ في هذا المجال، لِمَ لا، فهو أستاذ البلاغة والنَّقد والأبحاث في الأدبيّات والدِّراسات الأدبيّة، ويرى الدرابسة أنَّ اللُّغةَ هي الحاملة للفكر والصُّورة، وهي صورةُ الإنسانِ ووجودِهِ، وهي أداة فعَّالة في التّغيير، لأنَّ اللُّغةَ حاملة للفكر، فهو يؤمن بأنَّ اللُّغة هي أداةُ تغيير حقيقيّة لما لها من تأثير في سلوك دارسيها، وتؤثّرُ اللُّغة داخل الأجناس الأدبية بالمتلقِّي، ويعتبِر الدُّكتور عاطف الدرابسة أنَّ الباحث أو الكاتب هو حامل الفكر الحداثي، لا يتوقف عن للعطاء، حيث يركّز على ما يقدّمُ عصر الذكاء الاصطناعي أو عصر التقنية وعصر ما بعد الحداثة، وتوقّف بعمق عند دور الذكاء الاصطناعي فرأى أن دور الذكاء الاصطناعي مهم في أدب التواصل القادم وهو مستقبل الذكاء الاصطناعي، يصوغه المبدعون على انتاج الخيال، وعمل على مشروع بحثي وهو دور الذكاء الاصطناعي في بناء الأدب من الذين تلقفوا هذا الامر. يرى الدكتور عاطف الدرابسة أنَّ المفكِّرَ هو مَنْ يكتبُ نفسَهُ وعلاقتَهُ بالكونِ، كما يرى الأشياءَ على ما لا يراها الآخرون، ويرى العالمَ مهزوماً بالحروب والثورات والتغيرات. وهو ضد كل ما هو مذهبي وطائفي. كتبَ للحرية، للانفتاح للهوية، للكونِ كلّه. ويرفضُ الحدودَ ويقدّم نفسه كإنسان أراد لهذا العالم أن ينعم بالسَّلام وهو ضدَّ الجوع والفقر وضد الأموال الّتي تُصرف على الحروب، ويرى بأنّها بجبُ أن تُصرفَ لرفاهيّة الإنسان. وقد حاول في كتاباتِهِ أن يجسّد طقوسَ الخلاصِ باستخدامِ نافذة للأمل، ويقول: إنَّ الإنسانَ دائماً في حالةِ حنينٍ ومسكونٍ بالزَّمنِ، علماً كلَّما اقتربَ الزَّمن أكثر من الانسان، شعرَ بالرَّهبة. وكان يرى أنَّ فعلَ الزَّمن فينا يجب أن يُحوَّلَ إلى فعلٍ خالدٍ، ويشكّلُ الزَّمن ثقلاً على الإنسانِ عبرَ العمرِ الّذي يعيشه المرءُ، ورأى

أنَّ الدَّواءَ الشَّافي إزاء هذا الواقع هو أن يتصالح الإنسانُ مع نفسه ويؤمن بحتمية الموت، ولابدَّ من أن يتركَ بصمةً أو أثراً أو ذكرى. وأن يعيشَ اللحظة كأنّها الأبديّة بحدِّ ذاتها، ورأى أنَّ اللُّغةَ هي الحاملة للفكر والهويّة والوجودِ، كما رأى أنَّ الذّكاء الاصطناعي هو أدب التَّواصل المقبل، لذلك أسَّس مشروع تنويري أساسه دور الذكاء الاصطناعي في بناء الأدب، ويرى أنَّ الكاتبَ يكتبُ نفسه هو ذاته ويترجمها في كتاباته، ويعتبر الحرّية والتَّعايش مثل طائر الفينيق نافذة الأمل.

تغلغلت أبحاثه عميقاً في روضة الأدب، فكانت ظلالُها وارفةً ومتألّقةً، ومهَّدتِ الطَّريقَ للاجيالِ القادمةِ. كان منيراً بعطاياه، ورسولاً مشعَّاً، استعرضَ لنا رؤاه بعمقٍ، كنسيج البيان، كانت رؤاه تضيء وتنيرُ الطريق في كل كلمة قالها، فكانَ كمثل البيلسان ينمو ويشمخُ ويغرّدُ ثغره.

أنتَ من سلالة البحار، لا يدرك أبعادك إلّا الحكماء ولا يدرك أسرارك إلّا الشُّعراء، فلتبقَ ذكراكَ حاضرة فينا دائماً وأبداً. كنتَ نجماً ساطعاً في نورِهِ على هذهِ الارضِ، يا زغرودةَ الفجرِ، ارتديتَ لباسَ اليقين، وسطعتَ إشعاعاً في رؤاكَ، مثل قناديل الفكر، ستبقى أفكارك ساطعةً وشامخةً، وستبقى حاضراً بيننا برؤاكَ، أيُّها الغائب الحاضر، سننهل من ابداعاتك المرفلة بالثراء والدُّرر. وستبقى مؤلفاتك وكتاباتك مرجعاً يعود إليها الطلّاب والطَّالبات. وكم كنتَ تقرنُ القول بالفعلِ، لقد بنيت العقولَ وحوَّلتها إلى رياض معارف .. أتساءل هل تخلو الموائد من لذائذ السخاء الذي حملته معك في سفرك وترحالك، وقدّمتَ رؤاكَ ومعارفك الثمينة لطلابك وطالباتكَ، تبزغت كالشمس في نفوسهم، كنت الرافد العذب لكل ظمآن. لنا الصبر على غيابِ نورِكِ، فقد كنتَ قبطان المعرفة ومجذافها.

اليوم امتطي صهوة الحروف في الكتابة عنك أستلهم من سحر قلمك وينابيع حبرك، فلتبقى رؤاكَ ذاكرةً حاضرةً خالدةً فينا.

الهام عيسى

كاتبة من سوريا



بين الذاكرة والإبداع:

قراءة في إرث الناقد الكبير د. عاطف الدرابسة



الشّاعرة والرِّوائيّة السُّوريّة ريما آل كلزلي

8

لطالما كان الناقد الكبير عاطف الدرابسة منارة فكرية وإبداعية في سماء الأدب العربي. عرفتُه من خلال أعماله النقدية التي حفرت عميقًا في وجدان الأدب، حيث خاطب العقل والروح بتوازنٍ نادر.

وتساءل الشعراء عن التي كان يكتب لها وأين هي تلك الساكنة فيه حتى الموت؟
وقالوا كيف تغيب وهي الحاضرة في كلماته؟ وماذا تقول وقد قرأ الكون ما كتب لها؟
وقالوا أتراها ترتدي الأسود حزنا على فقده؟ أم أن حزنها الأنيق يلبس الكلمات ليجعلها تتصدر مجالس التأبين.

اليوم، ونحن نفتقده بيننا، نستذكر مساهماته العظيمة التي لا تزال تضيء درب الباحثين والكتّاب. كان د. عاطف الدرابسة يتمتع بقدرة فريدة على مخاطبة الفكر الإنساني، مستخدمًا أدوات نقدية تغوص في عمق النصوص، وتحاور المعاني والخيال بأسلوبٍ يجمع بين الدقة والموضوعية.

لم يكن مجرد ناقدٍ بل كان صاحب رؤية شاملة، يتنقل بين المعارف والفنون بمرونة فكرية نادرة. لقد جسّد في كتاباته فكرة أن النقد ليس مجرد تحليل جامد، بل هو فن بحد ذاته، يعبر عن تفاعلٍ حي مع النصوص، يثير أسئلة عميقة حول الهوية والمصير واللغة.

في مقالاته وكتبه، اتكأ على تاريخ الأدب واللغة، ليعيد صياغة الفهم النقدي ويحفز القارئ على إعادة النظر في مفاهيم راسخة.

في زمنٍ تسوده التغيرات السريعة، كان رحمه الله يؤمن بأهمية العودة إلى الجذور لفهم الحاضر واستشراف المستقبل. لم يكن ينتمي لتيارٍ فكري محدد وان كان مختص بالمنهج البنيوي، لكنه غاص في السيمياء بحرية لسبر أغوار الفكر والنصوص، ينطلق من قناعاته الخاصة، ويؤمن بقوة الفن في تحرير العقول وتنوير المجتمعات.

وعن ما جاء في مقالاته عن أزمة العقل النقدي العربي:
فقد طرح الدكتور عاطف الدرابسة في نصه إشكالية توقف العقل العربي عن الإسهام في النظرية المعرفية العالمية منذ القرن الخامس عشر. يشير إلى أن هذا العقل لم يضف أي مفهوم جديد إلى نظرية المعرفة، خاصة النظرية النقدية، ويصف حالته بأنها حالة كمون واضحة. فهو غير قادر على استيعاب المخرجات المعرفية أو هضمها واستلهامها، بل يعيش على هامش العقل النقدي الغربي، مقتاتًا على ما يرشح إليه من تلك النظرية.

كان يتساءل الدرابسة رحمه الله عن الكثرة المتزايدة لمن يدّعون النقد في هذا العصر من أكاديميين وإعلاميين، الذين يفتقرون إلى المفاهيم المعرفية والإجرائية. يخلطون بين المذاهب والمناهج، ولا يميزون بين الرؤى الفلسفية المختلفة مثل رؤية كانْت، وروسو من جهة، وهيجل وماركس من جهة أخرى. هذه الفوضى الفكرية تجعل قراءاتهم أشبه بطبق "العجقة" أو السلطة، حيث لا يفرقون بين الأيديولوجي واللغوي، أو بين الإبستمولوجي والأنطولوجي.

يشير أيضًا إلى عدم إدراكهم لأبعاد التموضع التاريخي لأي مفهوم أو العلاقة بين المعرفة والمصالح. هم فقط ناقلو معرفة بلا فهم أو إدراك، ونسخ رديئة لمرجعياتهم. فطرح الدرابسة تساؤلاً مجازيًا: هل يحق للشخص أن يقشر التفاح بالفأس أو يقطع اللحم بريش الحمام؟

باختصار، يصف العقل النقدي العربي بأنه عقل مأزوم، لا يمتلك قدرات ابتكارية، بل هو عقل هجين بجينات غريبة لا تتعرف على المفاهيم، ويقترح أن هذا العقل ربما يحتاج إلى "لقاح" لحمايته من الفكر المترهل.

يختم الدرابسة بالإشارة إلى أن حتى أبسط المفاهيم النقدية المتعلقة بفكرة الأجناس الأدبية لا يفهمها الكثيرون. فهم يجهلون تقاليد الأجناس الأدبية التي تمتد منذ أرسطو وأفلاطون، ولا يستطيعون التمييز بين السيرة الذاتية وقصيدة النثر، وبين الواقعي والمتخيل، أو التاريخي والشعري.

رحم الله الدكتور عاطف الدرابسة، فقد كان صوتًا ناقدًا ومفكرًا عميقًا في زمنٍ نحتاج فيه إلى مثل هذه الأصوات.

يغيب الحاضرون الكُثُر مع نتاجاتهم المكتوبة، ويحضر د. عاطف بما ترك لنا من كنوز الفكر والابداع، ليظل مصدر إلهام للأجيال القادمة.

وقد شرفت أكثر من مرة بدراسة قصائد من مجموعة (يقول لها)، وهنا قراءة لنص بعنوان هذيان:
قلتُ لها :

كلُّ شيءٍ حولي ساكنٌ :
الرِّيحُ
الشَّمسُ
النِّساءُ
الأطفالُ ..
كلُّ شيءٍ صامتٌ :
الأزهارُ ذابلةٌ كوجهِ حبيبتي
والمكانُ ميّتٌ كروحي
لا إشراقةَ تَنبتُ من أحشاءِ الصَّباحِ
ولا نورَ يأتيني من القمر ..
ثمَّةَ لغةٌ مُخيفةٌ تزورني في اليقظةِ والمنامِ
تُنبئُني عن أطفالٍ سرقوا من عيونِهم
ابتسامةَ قوسِ قزحٍ
وسرقوا من جفونِهم عبقَ العيدِ
ومن أفواهِهم سرقوا الرَّغيف ..
أتأمَّلُ تلكَ اللُّغةَ فأراها مثلَ عنكبوتٍ
تنسُجُ من حروفِها مدناً واهيةً
لا يُغرِّدُ فيها عصفورٌ
ولا يعبُرُ سماءَها غيمٌ
أو يتنزَّلُ على أرضِها مطر ..
أُصغي إلى تلك الحروفِ
أسمعُ صمتَها المبلولَ بالدُّموعِ
فتأخذني إلى ماضٍ بعيدٍ
كأنَّه حاضرٌ أعيشهُ الآن
فأرى الأطفالَ بلا راعٍ

يسوقُها القصَّابُ إلى حتفِها
بعصا وسكّينٍ
فثارَ في خاطري سؤالٌ :
هل ثمَّةَ فرقٌ يا حبيبةُ بين البشرِ وبين الأغنام ؟
حاولتُ كثيراً أن أهربَ إلى قصائدي
لعلَّي أكتشِفُ أنَّ الحياةَ موجودةٌ
منذُ زمنٍ لم أشعُرْ بالحياةِ
لم أشعُرْ بالإيمانِ
لم أشعُرْ بالحريَّةِ
لم أشعُرْ بالسَّماءِ
لم أشعُرْ بالأرضِ
لم أشعُرْ بطقوسِ الولادةِ
فكلُّ الأطفالِ الذين يُولدونَ هنا
موتى ..
كلُّ شيءٍ ساكنٌ
كلُّ شيءٍ صامتٌ
لا أسمعُ إلَّا صرخاتِ الظَّمأِ
والجوع ..
كلُّ شيءٍ ساكنٌ
إلَّا صوتُ الموتِ ..
سأعتذرُ يا حبيبةُ عن هذا الهذيانِ
وأعتذرُ عن لغتي التي أُصيبتْ بالخَرسِ
فلن أُسيءَ استعمالَها
فبالرَّغمِ من ألفاظِها اللامحدودةِ
ومعانيها الواسعةِ
غير أنَّها لا تُسعفني أن أُغنّي للوطن ..

هامش : ثمَّةَ كلمةٌ واحدةٌ ناقصةٌ، غير موجودةٍ في معاجمِ اللُّغةِ ، ربَّما أُسقِطتْ منها ، الحُريَّة. / د.ع
قراءة جمالية لنص" هذيان" للشاعر د. عاطف درابسة نشر النص في تاريخه في صحيفة روناهي الموقرة.

في الشعر، يمكن أن يُستخدم الهذيان لخلق تأثير معين أو لنقل حالة من الارتباك أو الفوضى العاطفية التي تتيح للشاعر أن يكتب بأسلوب يبدو غير مترابط أو مليء بالصور المتتالية التي تعبر عن حالة نفسية معينة.

إذن، أيكون ممكنا أن يخرّ النص الشعري" هذيان" من السماء كنيزك وهل يقف الشاعر متفرجا أثناء ذلك، كما يقول بودلييير:" إذن ما الشّاعر ؟ إذا لم يكن ترجمانا، فهل هو مفكك ألغاز؟!"

عبر دلالة العنوان " هذيان" التي توحي بفقدان السيطرة على العقل والوعي، والتي تتيح استخدام حالة "هذيان" لوصف حالة من التدفق الحر للأفكار والمشاعر حين تكون غير منطقية، ولكنها تعبر عن حالة نفسية أو عاطفية معينة. غالبًا ما يُستعمل هذا الأسلوب الأدبي لإظهار الاضطراب الداخلي للكلمات أو لإبراز حالة معينة من الوعي المتغير.

فاتخذ الشاعر كلمة هذيان للتعبير عن اللاوعي الأدبي في الغوص داخل أعماق النفس البشرية، مُظهرًا الشاعر فيها ما قد يكون مخفيًا أو غير مُعبر عنه بوضوح في الحالات العادية، ويمكن للهذيان أن يكون وسيلة فعالة لنقل مشاعر معقدة أو متناقضة، مثل القلق، الارتباك، أو حتى الجنون، وقد يسهم في ابتكار أساليب سردية جديدة أو وسيلة لاستكشاف إمكانيات جديدة في الكتابة، مما يُضفي طابعًا فريدًا على النصوص.

أما دلالات هذا النص الغني بالرموز فهي تعكس معاناة الإنسان في ظل أوضاع مثل الجمود والكآبة وقد اتخذ الشاعر من حالة الانكسار واليأس مشاعرًا قوية تستحضر عالماً خالياً من الحياة والحركة، فيقول:

"كلُّ شيءٍ حولي ساكنٌ: الرِّيحُ، الشَّمسُ، النِّساءُ، الأطفال، واستخدام كلمة "ساكنٌ" يصدم المتلقي حين يكون المقصود متحركا مثل عناصر طبيعية المعروف عنها الحركة، والبشرية مماثلة حيث يليق بالنساء تشبيه الشمس التي تحضن الكون بدفئها وتنير الكون، وشبه الريح دائمة الحركة بالأطفال فأخذ يسكن المتحرك ليخلق حالة من الجمود والركود، الأمر الذي يعكس الجمع بين الحالة الداخلية للشاعر وللكلمات بدقة وجمال.

–بينما استخدم الإيقاع والتكرار في العبارات مثل "كل شيءٍ ساكنٌ"، و "كل شيءٍ صامتٌ"، ليضفي على النص إيقاعاً موسيقياً يسهم في ترسيخ الشعور بالثبات والركود. هذا التكرار الجميل الذي يخلق نوعاً من الموسيقى الداخلية فتتعزز من جمالية النص.

– النص مليء بالصور البصرية القوية التي تجعل القارئ يشعر وكأنه يعيش الحالة مع الشاعر، بدءا من وصف الأزهار الذابلة الذي يعبر بصدق عن مشاعر الإحباط واليأس "الأزهارُ ذابلةٌ كوجهِ حبيبتي، "

و"المكانُ ميّتٌ كروحي"، فخلق صورًا قوية ومؤثرة، وتلك الصور تضفي على النص جواً من الواقعية المؤلمة و تحمل في طياتها شحن عاطفية قوية تصل إلى قلب القارئ.

كذلك تميّز النص باللغة الشعرية الراقية إذ أن استخدامها بهذه الطريقة يضيف عمقاً وجمالاً إلى القراءة، منها:

"ثمَّةَ لغةٌ مُخيفةٌ تزورني في اليقظةِ والمنامِ": فجعل الشاعر اللغة هنا ليست مجرد وسيلة تواصل، بل هي كائن مخيف يزور الشاعر، مما يعكس حالة الاضطراب والخوف الداخلي.

"تُنبئُني عن أطفالٍ سرقوا من عيونِهم ابتسامةَ قوسِ قزحٍ"، وتأكيد السرقات المتعددة (الابتسامة، العيد، الرغيف) تعكس الحرمان والظلم الذي يعاني منه الأطفال، مما يساهم في بناء صورة قاتمة عن الواقع.
"أتأمَّلُ تلكَ اللُّغةَ فأراها مثلَ عنكبوتٍ": تشبيه اللغة بالعنكبوت يعكس أبعادها الكثيرة وتشابكها، وأيضًا خطرها المحتمل.

"تنسُجُ من حروفِها مدناً واهيةً لا يُغرِّدُ فيها عصفورٌ" فالمدن الواهية تشير إلى الفراغ واللاجدوى، وعدم وجود العصفور والغيم والمطر يرمز إلى غياب الحياة والنمو.

"أسمعُ صمتَها المبلولَ بالدُّموعِ": الصمت المبلول بالدموع يؤكد الحزن العميق والآلام المكبوتة.
" فأرى الأطفالَ بلا راعٍ يسوقُها القصَّابُ إلى حتفِها" الأطفال هنا أشبه بالماشية، مما يثير تساؤل الشاعر عن الفرق بين البشر والحيوانات، معبرًا عن قسوة الواقع.

"حاولتُ كثيراً أن أهربَ إلى قصائدي" القصائد هنا ملاذ يحاول الشاعر من خلالها البحث عن معنى للحياة والحرية والإيمان.

"كلُّ شيءٍ ساكنٌ... إلَّا صوتُ الموتِ" يعود الشاعر للسكون دخولا من باب الموت الذي يراه بمعنى السكون. حيث السكون والصمت يعيدان التأكيد على حالة الجمود، بينما صوت الموت هو الصوت الوحيد، مما يعكس هيمنة الموت على الحياة.

"سأعتذرُ يا حبيبةُ عن هذا الهذيانِ" الاعتذار هنا يعبر عن الإحساس بالذنب تجاه الحبيبة بسبب هذا الهذيان القاتم.

تميّز النص بالتناول الجريء للمواضيع الحساسة مثل فقدان الأمل، والظلم الاجتماعي، وفقدان الحرية بجرأة وصراحة. هذا التناول يعكس شجاعة الكاتب ورغبته في مواجهة هذه القضايا بقوة الكلمة.

وفي "الهامش": ثمَّةَ كلمةٌ واحدةٌ ناقصةٌ، غير موجودةٍ في معاجمِ اللُّغةِ، ربَّما أُسقِطتْ منها؛ الحُريَّة."

لم يكن اختتام النص بالإشارة إلى الحرية الناقصة يوضح أن غياب الحرية هو لب المشكلة، مما يعمق الإحساس بالظلم والقهر.

في النهاية النص "هذيان" هو قطعة أدبية رائعة تتميز بالرمزية العميقة، والإيقاع الموسيقي، والوصف البصري القوي، والعاطفة الصادقة، واللغة الشعرية الراقية. على الرغم من بعض الغموض والإطالة والنبرة الواحدة، يظل النص تعبيراً جميلاً عن حالة نفسية معقدة ومعاناة إنسانية عميقة يلفّها الانكسار واليأس العميق، حيث تتداخل الصور الشعرية لتخلق جوًا من الجمود والصمت والموت.

التناول الجريء للمواضيع الحساسة يعكس شجاعة الكاتب وقوة كلماته، مما يجعل النص يستحق القراءة والتأمل.

وفي النهاية لا يسعني القول إلا إن إرث د عاطف الدرابسة لا يمثل فقط إنجازاته الفردية التي تنوعت بين النقد والأبحاث والشعر، بل هو دعوة مستمرة للتفكير والإبداع. ونحن اليوم نستلهم من مسيرته الروح النقدية التي لا تهاب المجهول، وأن نواصل البحث عن الحقيقة والجمال في عالمٍ يزداد تعقيدًا.

ريما آل كلزلي
شاعرة وروائيّة سورية مقيمة في السُّعوديّة

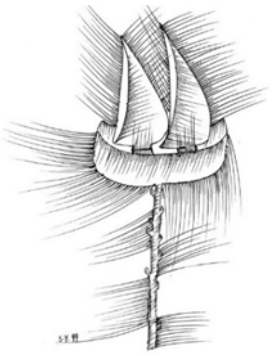

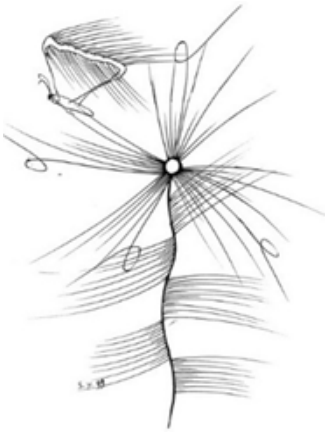



الشّاعر والكاتب والمترجم البحريني عبدالحميد القائد

9

غَائبونَ لا يَغيَّبون
وإن غَابُوا لا يُنسَون
مِن بينِ حَنيننا النَازفِ
يَبزغونَ سَاعةً ويرحَلون
يَكاتبونَ أراوحَنا
لا يَتوقفون
ومِن دَبيبِ الترابِ
يَنقشون أناشيدهم
يُطِلُّون دائمًا
مِن بينِ السُحب يَطلُّون
يَنثرونَ عَلينا أوراقَهم غَيثًا
يَنتظرونَ صحوَتَنا السرمَدِيةَ
يختبرونَ ذاكِرتَنا ويرتَقِبون
نحن هُنا مُنتظرون
وغيرُ منتظرين
سِوى صهيلٍ يُبرؤنا من الفَقْدِ

والفقدُ سقوطُ أيقونةٍ
مِن نسيجِ الرُوح

تعرفتُ على الدكتور عاطف الدرابسة صدفةً، عندما كان يتحدث في إحدى المرات في ندوة مع "منتدى الساردون يغردون" للصديقة الدكتورة جيهان الدمرداش فأعجبني ما يتمتع به من كاريزما مثيرة، وأعجبتني صراحته وتحليلاته العميقة. قلت في نفسي، هذه الشخصية ثروة وأنا الفقيرُ المحتاج إلى دفقات مبدعة من هذه الشخصية... يجب أن أقترب منه وأفوز به عضوًا في منتدانا "منتدى البحرين الإبداعي" فهو مكسب للجميع وسوف يُثري مجموعتنا وندواتنا بدون شك. ولم أتردد، وبدأت بالبحث عنه في الفيس بوك ووجدته، وطلبت اضافته ولم يخذلني ثم دخلت عليه على الخاص وطلبت انضمامه إلى المنتدى ولم يخذلني أيضًا. وأصبح من الحاضرين الدائمين في ندواتنا، وإذا تأخر نتواصل معه بالمسنجر، فنراه يدخل عن طريق الهاتف عندما يكون في الطريق، ثم عندما يصل إلى داره يجلس ويدخّن بشراهة كعادته، يقلّب في أوراقه الكبيرة التي يجهزها لتسعفه في النقد والتحليل. لم يخذلنا الدرابسة قط عندما كنا نطلب منه إعداد ورقة، بل كان دائمًا جاهزًا ومرحّبا. قاسيًا وحادًا في نقده وآرائه،ولكن بحب وفطنة ودراية. في النقد لا يجامل ويقول رأيه بصراحة لم يكن يرتاح منها البعض. على الرغم من أن البعض كان يرى في المرحوم قسوةً بالغة في النقد بسبب نزاهته حسب رأيي، ويطلب البعض أحيانًا استبعاده من قراءة عمله/عملها في الندوة، إلا أنك عندما تقترب منه تجده إنسانًا حساسًا، حنونًا في غاية الإنسانية والنبل والشفافية. كنا نتواصل عادةً عن طريق المسنجر، حيث كان حريصًا على منتدانا ولا يرضى بما يقلل من قيمته أو من شأنه. كان يطلب مني عادةً أن يكون المتحدث الأخير كي يسترسل ولا يوقفه أحد. وعندما يجد استياءً من بعض الأعضاء بسبب صراحته، يدخل عليّ على الخاص ويقول لي: ممكن تسمح لي أنسحب من المنتدى؟ وأقول له: مستحيل، وأؤكد له محبة واحترام الجميع وإصراري الشخصي على وجوده كقامة نقدية مختلفة.

مبدعًا كان في نقده ومبتكرًا وذكيًا. وأنا أبصم على ذلك بأصابعي العشرة. كنتُ شخصيًا مستاءً من حركة النقد والنقاد في الوطن العربي ولكن الدرابسة أعاد لي ثقتي. هو الذي أقنعني بأن النقد عملية إبداعية مثله مثل الشعر والسرد وليس مجرد مدارس ومناهج نقدية عفى عليها الزمن، تطبق على النصوص بعقليات جامدة باستخدام النظريات المختلفة دون حس فني وتذوق رفيع. ناقدًا مغامرًا، يسبر النص ويغوص فيه بحب وبدون محاباة أو تحيز ويقول رأيه بصراحة الشجعان. الحركة النقدية في الوطن العربي شهدت موجات من المد والجزر، حتى كنا نشعر في بعض الفترات –وخاصة قبل عدة سنوات – أن الناقد يلهث وراء النص ويحاول اصطياده ويعجز ولا تسعفه النظريات التي درسها في الجامعة، وخاصة النص الحداثي، شعرًا منثورًا كان أو سردًا أو رواية، وعندما تعرفت على الدرابسة أدركت أن النقد استعاد عافيته وأصبح يسير أحيانًا بموازاة النص وليس خلفه. ومما ساعد الدرابسة في ذوقه النقدي هو أنه كان شاعرًا له تجارب جميلة حيث

يبدأ كل نص غالبًا بـ"قالت او قالت لي". إلى جانب الدرابسة هناك عدد من النقاد العرب من الذين أحترمهم وأقدّر جهودهم.

في أحد المرات أذهلني الدرابسة عندما كان يتحدث عن روايتي "طريق العنكبوت" واستطاع أن يلامس شيئًا لم يلامسه جميع من قرأوا الرواية. أذكر أن منتدانا نظّم ندوة لمناقشة الرواية المذكورة. وفُوجئت تمامًا حينما قال: "إن بعض الحوارات في الرواية كتبها أكثر من شخص". صُعقت من اكتشافه وأذكر أنني هتفت معبرًا عن اعجابي. فقد كان بعض أجزاء الحوار كتبتها أنا والبطلة الحقيقية (وهي كاتبة حية بلحم ودم كتبت ردودها على حواراتي).

الدرابسة هو من الوجوه التي تعودنا على رؤيتها في مختلف المنتديات والندوات النقدية في مختلف أنحاء الوطن العربي، ورحيله أثار صدمة مدوية في الساحة الثقافية العربية، وصُعق الجميع بالخبر حتى من كانوا يشتكون من قسوته وأرائه الحادة، حتى أن البعض هتف عندما سمع برحيل الدرابسة المفاجيء "مات النقد بغياب الدرابسة!". وعلى الرغم من أن هذا الكلام فيه بعض المبالغة نسبيًا إلا أنه يحتمل الصحة لأنه كان ناقدًا فريدًا من نوعه، خسرناه جميعًا، وأي خسارة!!

عبدالحميد القائد

شاعر وكاتب ومترجم من البحرين





صورة المرأة في شعر عاطف الدرابسة



النّاقدة والكاتبة الفلسطينيّة مريم أبو بكر

10

الملخص

تهدف الدراسة إلى إبراز صورة المرأة في شعر عاطف الدرابسة, وقد استعملت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي؛ لتقف الدراسة على أطلال العتاب النصية للمجموعة الشعرية "ويقول لها", لتتوجه بوصلة البحث نحو المرأة معادلًا للوطن, وصولًا إلى المرأة معادلًا للحب, ثم فضاء التناص, لتعلن الدراسة في الخاتمة عن النتائج, ومنها: 1. احتفاء المجموعة الشعرية "ويقول لها" بفضاءات التناص, 2. كشف الدراسة حاجة المجموعات الشعرية للشاعر عاطف الدرابسة إلى دراسات أخرى. ومن التوصيات: 1. الاهتمام بشعر عاطف الدرابسة في المقررات الجامعات, 2. دراسة التكرار في شعر عاطف الدرابسة.

تقديم

لا شك أن المرأة تمثل ركيزة محورية في النتاج الأدبي؛ إذ يتكئ الأدباء في شعرهم أو حتى نثرهم على إبراز صورة المرأة بجماليات وصفها, بحسب ما يقتضيه النص من تجليات يرتضيها ذوق الأديب, ليعلن إبداعه خصب الملامح, فريد الوصف, بديع المضمون؛ ليتناسب وذائقة المتلقي.

ويتخذ الشاعر من المرأة في شعره رمزًا لكثير من القضايا؛ فالمرأة الوطن, والحبيبة, والأم, و"المرأة بمفاتنها مفتاح الولوج لفهم هذا الشعر ممثلا ذلك في وحدة التجربة الشعرية" (العدوي, 2017, 36)؛ لتتناغم صورة المرأة وسياق النص, وتنبعث من جديد مُشَكّلَةً عناقيد دلالية تضاعف من جماليات المشهد.

وينصهر السياق الدلالي مع فكر المتلقي ليخلق قيمة مستجدة للنص؛ لاستحضار مشهد يخبو بين طيات الذاكرة, فالمرأة حياة متكاملة الوصف, زاخرة بالرموز , تحيل المتلقي إلى مشهد الوجود على أرض الانتظار!.

المبحث الأول: العتاب النصية

عتبة العنوان

يكشف المتلقي عن دلالة عنوان المجموعة الشعرية "ويقول لها" في البناءِ الرمزيّ الدالِّ عن مضمون النصِّ بصورةٍ غيرِ مباشرة؛ فالعنوانُ بنيَةٌ لغويةٌ مشحونةُ الدلالةِ, وقناةُ اتصالٍ بين المؤلفِ والمتلقي, تهدف لإيصالِ القصدِ من النصِّ (الراشدي, 2012), ويرتبط عنوان المجموعة الشعرية بحزمة دلالية والعناوين الفرعية؛ فالقصيدة الأولى جاءت موسومة بـ"أنا لا أنتمي إلا لكِ" تتلوها قصيدة "كم قلتُ لك" ثم بقصيدة تليها بعنوان "قلتُ لها", ليذهب بالمتلقي إلى عنوان "كم قلت لها", فكل عنوان يفضي إلى عنوان آخر تتابعي تكاملي... ليأتي ختام المجموعة الشعرية بقصيدة قصيرة من ثمانية أبيات موسومة بـ "قلتُ لها"؛ في علاقة مباشرة وعنوان المجموعة الشعرية؛ لتسهم في بناء نسق دلالي بنيوي بين العنوان الرئيس ودلالة عناوين القصائد؛ لإيصال المقصد بخلاصة فِكْريةٍ مُضمرة مُحمّلةٍ بشحناتٍ دلاليةٍ عبَّر من خلالها الدرابسة عن احتقان نفسي وفق تجربة شعورية تفيض بالحب والغضب والجراح والألم.

عتبة الغلاف

يتقاطع عنوان المجموعة الشعرية ولوحة الغلاف مع مضمونها؛ إذ جاءت خلفية لوحة الغلاف باللون الأبيض, وتتضمن على الزاوية اليسرى جملة "مجموعة شعرية" بلونها الأسود يعلوها العنوان "ويقول لها" بين قوسي تنصيص بلون أحمر ؛ للدلالة على الحب والحرية والقوة والتحذير!, ويأتي إلى يمينه صورة طائر بلونه الأسود يحاول الانفلات من قيد يأخذ من جسده وروحه ووجدانه وشتاته, ليجتمع بهيئة طائر محلق يرنو إلى الحرية نحو الفضاء الفسيح, ليزدان تذييل لوحة الغلاف على اليمين بصورة المؤلف مرتديًا نظارة طبية وساعة, ويقابله إلى اليسار كلمة "الأردن" بلون أسود يعلوها اسم د."عاطف الدرابسة" بلون برتقالي بظلال صفراء تَشِعُّ أملًا وقوة, يتخللها جذور بلون أسود دلالة على تجذر الدرابسة في وطنه "المملكة الأردنية الهاشمية", وتعبيرًا منه عن اعتزازه والانتماء.

المبحث الثاني: المرأة معادل الوطن

ويستهل عاطف الدرابسة مجموعته الشعرية بقصيدة "أنا لا أنتمي إلا لكِ" (الدرابسة, د–ت, 1) معلنًا إنتماءه لمحبوبته معادلًا موضوعيًا لوطنه؛ نافيًا انتماءه لغيرها, فيهب الدرابسة وطنه دموعه ليبكي, ودمه ليضج بقلبه, ويخفق بالحب؛ قائلًا:

"أنا الذي وهبكِ دموعَه لتبكي

ووهبكِ دمٌ يضجُّ بقلبكِ
ليخفقَ بالحبِّ.."

(الدرابسة, د–ت, 1)

ويتسع وطن الشاعر ليحتضن المنفيين والمقموعين والمقهورين والشعراء والحالمين والمُقْتَلَعين والمهجرين, ويعلن الشاعر انتماءه لحبيبته, وأنه لا ينتمي إلا لها, وذلك في قوله:

كم قلت لكِ:
قلبكِ وطنٌ للمنفيينَ
والمقموعينَ
والمقهورينَ
والشعراءِ
والحالمينَ
والمقتَلَعينَ
والمُهجَّرينَ..
...
أنا لا أنتمي إلا لكِ..

(الدرابسة, د–ت, 2)

وتجسد المرأة في الخطاب الشعري رمزًا دالا على الوطن يستدعيها الشاعر وفق خياله ودفقاته الشعورية لأغراض متعددة؛ وذلك في قوله:

حين أنامُ أحلمُ بثورةٍ
بامرأةٍ
بوطنٍ من مجازٍ
وخيالِ شاعر..

(الدرابسة, د–ت, 128)

يشير تفسير حلم الشاعر إلى دالٍّ بحسب معطيات الثقافة السائدة في مجتمعه, وأي تغير يحدث في ثقافة المجتمع سيؤدي بالضرورة إلى حدوث تغير على مستوى مدلول الحلم؛ فالشاعر يحلم بثورة تحدث تغييرًا في ثقافة المجتمع, ويحلم بامرأة معادلًا للوطن تقيم في خيال الشاعر مجازًا؛ لينياديها قائلًا:

يا حبيبةُ:
مُدّي إليّ يدكِ

أخرجيني من هذا الغرقْ
أعيدي إليَّ أحلاميَ
والقلقْ

(الدرابسة, د–ت, 128)

وتتحول حبيبة الشاعر إلى المخلص الذي يخرجه من الغرق, لتعيد له أحلامه, وتتحول إلى امرأة جريئة تعادل الوطن الثائر؛ لقول الشاعر:

"امرأةٌ جريئةٌ أم وطنٌ مغتصب؟
قلتُ لها:
ثوبُكِ جريءٌ هذا المساء
مفتوحٌ من الجانبينِ
.....
عطركُ مشتعلٌ هذا المساء
كجمرِ العودِ
حين تغزوهُ النَّار
حين تحمله الرِّيحُ إليَّ
تتغيَّرُ الاتجاهاتُ
وأشعرُ بالثَّورةَ"

(الدرابسة, د–ت,162–163)

يربط الشاعر بين جُرْأة المرأة في ارتداء الثياب وثورتها على العادات والتقاليد السائدة, وثورة الشاعر التي يؤججها رغبته العارمة في تغيير التوجهات الفكرية والثقافية والسياسية السائدة في الوطن بغية الوصول للتطور وفق المستوى الدولي والعالمي, فحب الوطن لا يتوقف عند الدفاع عنه في وجه الغزاة حينًا, أو حمايته من مطمع الآخر حينًا؛ فالنهوض بواقعه العلمي والثقافي والفكري توازي أهمية حماية حدوده وثرواته مادية كانت أو بشرية.

المبحث الثالث: المرأة معادل الحب

تتناغم المرأة وعاطفة الحب كونها كائن عاطفي يسمو إلى الروحانية على أرض العشق, ويضع ابن قيم الجوزية استراتيجية خطابية تقوم على اتجاهين؛ الأول: موضوع الحب, حب جسدي وليس حبًا روحيًا أو إلهيًا, والثاني: حديثه عن الهوى والحب لن ينحرف إلى ما يخالف المقدس(المستاري, 2006).

ويأتي أصل المحبة من الصفاء؛ لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حَبَب الأسنان, مأخوذ من الحَباب, وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد, فعلى هذا المحبة: غليان القلب وثوارنُه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب (ابن قيم الجوزية, د–ت).

يتأثر المحب بغياب المحبوب, إذ يتوقد القلب احتراقًا على بعده, فيذوب القلب عشقًا, يثور ويغلي عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب, فينادي الشاعر حبيبته, قائلًا:

يا حبيبةُ:

أنتِ الحضورُ الذي يشملُ هذا الكونَ

من أينَ أتيتِ بكلّ هذا الغياب؟

(الدرابسة, د–ت, 72)

ويعلن الشاعر أن حضور حبيبته يشمل الكون, ثم يأتي سؤاله, "من أين أتيتِ بكل هذا الغياب", معززًا لجو من الاهتياج واللجاج, يودي بالعاشق للتمادي في الشوق, فإذا اجتمع الشوق والإعجاب بفاتنة, وامرأة استثنائية؛ يشتاق لها القلب, ويحن إليها, فيكمن في بواطن قلب العاشق حبًا للملامسة الجسدية, ليضم الجيد, ويشبك الأنامل, فيبدأ العاشق بمناجاة الروح وندائها بشغف كل وقت وكل حين, ويزداد شوقًا ورغبةً, للقاء يداعب فيه العاشق أنامل المعشوقة الرقيقة الناعمة؛ فالحسان يشغلن الفكر والعقل والقلب والروح, ويبيت العاشق مشتاقًا بلهفة غريبة, مشتاقًا لتكون مرة حبيبته الأرض, ومرة هي السماء! , ويستدرك الشاعر في الهامش, قائلًا:

" ما أقسى أن تنقطعَ حبالُ الوصلِ بين السماءِ والأرض.

وما أقسى أن أقفَ بين عُزلتَينِ: عزلة السماء, وعزلة الأرض."

(الدرابسة, د–ت, 72)

فضاء التناص

يستحضر الدرابسة أسطورة طائر الفينيق الذي يحترق ليلًا, ثم يُخلق من رماده صباحًا؛ إذ إن اللغة التي كانت تُغني لحبيبته, صارت تحترق لتصير رمادًا, فيرسم على الأرض قلبين, يصيران جناحي طائرٍ عظيمٍ, يقول الشاعر:

"هذه لغتي

التي كانت تُغني لكِ

صارت مثلَ يدي

تحترق برمادِ سيجارتي

فتصير رمادًا تذروه الرّيحُ

فيرسمُ على الأرضِ قلبين

يصيران جناحي طائرٍ عظيمٍ
يخفقانِ
ثم يخفقانِ
يحترقانِ
ثم يحترقانِ"

(الدرابسة, د–ت,11)

وقد جاءت الأفعال "تُغني, تحترق, تصير, تذروه, يرسُم, يصيران, يخفقان, يحترقان" معززة لجو الحب والعشق, فمن علامات العشق: " يكون احتراق الدّم عند ذلك باستحالته إلى السواد, والتهاب الصَّفراء, وانقلابها إليها. ومن غَلَبَتْهُ السّوداء, يحصل له فساد الفكر, ومع فساد الفكر يكون زوال العقل, ورجاء ما لا يكون, وتمني ما لا يتم, حتى يؤدي ذلك إلى الجنون" (ابن قيم الجوزية, د–ت, 210–211).

تتفاضل فضاءات التناص باختلاف مرجعياتها, وتتكامل مُشَكِّلَةً عناقيد دلالية مستجدة بحسب توظيفها وفق سياق النص, يقول الشاعر:

أخرجني من عالمي القديم
من عباءة جدي الأول..
أخرجْ منّي امرأَ القيسِ
وعنترةَ
والحلّاجَ
والقبانيّ نزار..
أخرجْ منّي عُقدَ أدونيس
وجنون قيسِ
وثورةَ الشنفرى
.....
وتاريخَ الطَّبري وابن الأثيرِ
وحكايا شهرزاد
وذكوريَّةَ شهريار..

(الدرابسة, د–ت,11)

وفي ظلال العالم القديم, يحشد الشاعر الدرابسة مزيدًا من التناصات الأدبية المتمثلة في استدعاء شخصيات "امرئ القيسِ وعنترةَ والحلّاجِ ونزار القبانيّ, أدونيس وقيس المجنون والشنفرى, والطبري وابن الأثير وشهرزاد وشهريار" لتتقاطع والبنية النفسية للشاعر, وتعكس مدى رغبته بالتغيير والتحرر من قيد عالمه القديم.

ومن تجليات التناص في المجموعة الشعرية "ويقول لها" استحضار معجزات الرسل, كاستحضار معجزة عصا موسى, عليه السلام؛ نحو قول الشاعر:

ليت لي مفتاحًا كعصا موسى
لأشُقَّ طريقًا
في بحر لغتي

(الدرابسة, د–ت, 20)

يحيل دال "عصا موسى" المتلقي إلى قصة انشقاق البحر وهزيمة فرعون وغرق جمعه, ولا يخفى الانزياح في التناص تحقيقًا لتجليات فكر الشاعر وفق سياق المقطع, ليصير المفتاح بديلًا عن عصا موسى, يشق طريقًا في بحر اللغة التي يمتلكها, ويقول الشاعر رابطًا بين المفتاح المعجزة وباب اللغة:

ليتَ لي مفتاحًا أفتحُ فيه بابَ لغتي
لأكتب قصيدةً من دونِ كلماتٍ
أو رموزٍ
أو إشاراتٍ..

(الدرابسة, د–ت, 21)

وما دام المفتاح معادلًا لعصى موسى في صنع المستحيل والمعجزات, فإن المرأة هي من تملك المفتاح صانع المعجزات, ولا يعمل المفتاح إلا على بصمة إصبعها؛ يقول الشاعر:

حواءُ بيدِها كلُّ المفاتيحِ
وكلُّ مفتاحٍ
لا يعملُ إلّا على بصمةِ إصبعِها الأصغر..

(الدرابسة, د–ت, 32)

لاشك أن اللغة قناة التواصل بين المرسل والمستقبل من أجل إنجاح عملية نقل المعنى بهدف الفهم والإفهام, وفي ظلال صورة المرأة شكلت معادلًا للوطن وفي جانب آخر كانت معادلًا للحب؛ فالمرأة مفتاح القصيدة الشعرية, ووسيلة تعبير الشاعر عن مكنونات وجدانه, ورؤاه الفكرية, أما من الناحية الفنية فالمرأة المحور الذي تدور حوله أغلب قضايا الشعر.

الخاتمة

عُنيت الدراسة بإبراز صورة االمرأة في شعر عاطف الدرابسة وفق مجموعته الشعرية "ويقول لها", وعرضت الدراسة للعتاب النصية؛ منها عتبة العنوان؛ إذ يرتبط عنوان المجموعة الشعرية بحزمة دلالية والعناوين الفرعية, أما عن عتبة الغلاف, فقد تقاطع عنوان المجموعة الشعرية ولوحة الغلاف مع مضمونها, ثم تناولت الدراسة المرأة معادلا للوطن, ليعلن الشاعر إنتماءه لمحبوبته معادلًا لوطنه؛ نافيًا انتماءه لغيرها, ثم عرضت

الدراسة للمرأة معادل الحب؛ إذ تتناغم المرأة وعاطفة الحب كونها كائن عاطفي يسمو إلى الروحانية على أرض العشق, وقد تجلت بوضوح فضاءات التناص في حنايا شعر عاطف الدرابسة.

وتوصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

1. احتفاء المجموعة الشعرية "ويقول لها" بفضاءات التناص.
2. تردد صورة المرأة بأشكال مختلفة في المجموعة الشعرية "ويقول لها".
3. كشف الدراسة حاجة المجموعات الشعرية للشاعر عاطف الدرابسة إلى دراسات أخرى.
4. المرأة معادل الوطن, من أكثر صور المرأة انتشارًا في المجموعة الشعرية "ويقول لها".
5. تعددت صور المرأة في المجموعة الشعرية منها ما هو معادل للحب, ومنها ما هو معادل للوطن.

التوصيات

1. الاهتمام بشعر عاطف الدرابسة في المقررات الجامعات.
2. دعوة الباحثين للكشف عن المرأة معادل للشعر.
3. دراسة صورة المرأة في المجموعة الشعرية(2) "ويقول لها" لعاطف الدرابسة.
4. دراسة التكرار في شعر عاطف الدرابسة.

مريم أبوبكر
طالبة دكتوراة في جامعة النجاح الوطنية/فلسطين
تخصص اللغة العربية وآدابه
باحثة وفق العلوم الإنسانية والتربوية
المدير الثقافي لفرع الشمال لنادي أحباب اللغة العربية الفلسطيني
abubakermaryam2@gmail.com

قائمة المراجع

1. الدرابسة, عاطف(د–ت): مجموعة شعرية: "ويقول لها".
file:///C:/Users/Palestiny/Downloads/%D8%AF%20%D8%B9%D8%A7%D8%B7%D9%81%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B3%D8%A9%20%20%D9%85%D8%AC%D9%85%D9%88%D8%B9%D8%A9%20%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D8%A9_241007_184051.pdf
2. الراشدي, عامر (2012): العنوان واستهلال في مواقف النقري. ط١، عمان: دار حامد للنشر والتوزيع.

3. العدوي, يسرا (2017): صورة المرأة في شعر العزب: قراءة في تجربته الغزلية. جامعة قناة السويس– كلية الآداب والعلوم الإنسانية, ع22, 14–115
4. ابن قيم الجوزية, أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب(751هـ): روضة المحبين ونزهة المشتاقين. تحقيق: محمد عزيز شمس, دار عالم الفوائد, مطبوعات المجمع, مجمع الفقه الإسلامي, جدة
5. المتساري, الجيلاني(2006): الجسد والمقدس: قراءة في الخطاب الفقهي لابن قيم الجوزية. مجلة إنسانيات, وهران ع31





عاطف الدرابسة: فيلسوف الأدب ومهندس التأويل



الكاتب والنَّاقد المصري د. علي زين العابدين الحسيني

11

حين نتحدث عن الدكتور "عاطف أحمد الدرابسة" فإننا نتحدث عن ظاهرة فكرية نادرة، عن ذلك النوع من العقول التي لا تكتفي بالوقوف عند حدود المألوف، بل تنفذ إلى العمق، لتعيد تشكيل العالم وفق رؤيتها الخاصة. لم يكن الدكتور عاطف ناقدًا أو أكاديميًا فحسب، بل كان روحًا تبحث في الأدب عن أسراره الخبيئة، وتحاول فك ألغاز الحياة في النصوص التي كتبها الزمن.

عاطف أحمد علي الدرابسة: ذلك المفكر الفيلسوف الذي شق طريقه في عالم الأدب والنقد، كان ولا يزال مثالاً حيًا للباحث الذي يتسم بالتفاني والعمق الفكري في جميع جوانب حياته الأكاديمية، وُلِد في بيئة أردنية بسيطة، لكنها حملت عبقًا من عبق التاريخ العربي. ليس ابناً لعصره فقط، بل ابنًا لكل عصر. وقد نشأ بين دفتي كتب الشعر العربي القديم، يردد أبيات الجاهليين، وكأنها رسائل حية يتلقاها مباشرة. وبدل أن يكتفي بالتلذذ بجمال النصوص، أبحر في معانيها، محاولًا أن يفهم روحها.

لم يكن هذا الشغف بالأدب القديم انغماسًا في الماضي، بل كان –كما وصفه هو ذات مرة– استكشافًا لجذور الحاضر!

وُلِد في 15 ديسمبر 1964م في الأردن، ليأخذ على عاتقه حمل دراسة اللغة العربية وآدابها ويغوص في بحر تراثها العميق. إذ التحق بجامعة "اليرموك" في الأردن، حيث نال درجة (الدكتوراة) في الأدب والنقد، ليبني بذلك الأساس الأكاديمي الذي مكّنَه من متابعة مشواره الطويل في مجال تدريس الأدب وتطويره.

وحين التحق بجامعة "اليرموك" لدراسة الأدب لم يكن يبحث عن شهادات أو ألقاب، بل كان يبحث عن ذاته بين صفحات الشعر الجاهلي والمعلقات. وبعد حصوله على (الدكتوراة) انطلق في مسيرة أكاديمية امتدت لعقود لم تكن رحلة تعليمية خالصة، بقدر ما كانت تجربة إنسانية عميقة، فعمل في التدريس في الأردن أولًا، ثم انتقل إلى السعودية، حيث عاش تجربة ثقافية مختلفة، جعلته يرى الأدب العربي بعينٍ أكثر شمولًا. ومنذ بداياته العملية في وزارة التربية والتعليم، حيث عمل مدرسًا للفترة ما بين 1986 و2002، كان لديه شغف خاص بإيصال المعرفة، وهو ما دفعه لاحقًا للانخراط في التدريس الجامعي، حيث عمل أستاذًا مساعدًا في جامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية وكلية المعلمين في أبها من 2002 إلى 2009م. وهذه الفترة كانت محورية في تشكيل شخصيته الأكاديمية، ولم يقتصر جهده على التدريس فقط، بل سعى جاهدًا لتطوير المناهج الدراسية ومواكبتها للأدوات الحديثة.

ولكن هل كان الدكتور عاطف مجرد ناقد؟ كلا، بل كان فيلسوفًا للأدب، يقرأ النصوص ليس كقوالب جامدة، بل ككائنات حية تنبض وتتحرك، ففي كتابه "قراءة النص الشعري الجاهلي في ضوء نظرية التأويل" أعاد اكتشاف النصوص الجاهلية، وكأنه يحفر في صخر الزمن ليجد الماء الذي ما زال يتدفق، ولم تكن قراءته تقليدية أو أكاديمية جافة، بل كانت أشبه بحديث شخصي بينه وبين الشعراء الذين رحلوا منذ قرون.

وقد عكَس هذا الكتاب قدرته على تناول الأدب العربي القديم بنظرة جديدة معاصرة، مستعينًا بنظرية التأويل التي لا تقتصر على إعادة قراءة النصوص، بل تعمل على استخراج معانيها الخفية التي تظل كامنة في كلّ زاوية من زوايا ذلك الأدب، مما يبرز بوضوح كيف يمكن للنقد أن يكون أكثر من كونه تحليلًا سطحيًا إلى كونه أداة لفتح آفاق جديدة للفهم.

أما في كتابه "بيدر النص" فقد انتقل إلى الأدب السعودي، حيث قدّم قراءة ثاقبة للقصة القصيرة في منطقة عسير، ولم يكن في كتابته كأي ناقد يصف الأعمال فحسب، بل كان أشبه برسام يرسم لوحة نقدية متكاملة، يظهر فيها تداخل الأدب مع الحياة اليومية والثقافة المحلية لتلك المنطقة، وكان يرى في كل نص امتدادًا لحياة الإنسان، وفي كل حرف انعكاسًا للبيئة التي كُتب فيها.

لكن ما يُثير الإعجاب حقًا في مسيرته هو كتابه "عسير التغيير للتطوير"، فهو بجانب كونه توثيقًا للتحولات الاجتماعية في منطقة عسير كان قراءة عميقة للإنسان في خضم التغيير. وهنا تظهر نظريته التي دلل عليها، وهي أن النقد لا يقتصر على النصوص، بل يشمل المجتمعات وتحولاتها، حيث كان يؤمن أنّ الناقد الحقيقي هو مَن يقرأ النصوص كما يقرأ التاريخ.

هذا الكتاب الفريد يعكس مدى حنكته في ربط الأدب بالواقع الاجتماعي، حيث قدم رؤية نقدية تتجاوز النص الأدبي لتشمل المجتمع والعوامل التي تؤثر فيه، فهو بمثابة مرآة تعكس تطور الأدب السعودي في فترة هامة، حيث سعى لتوثيق التحولات الاجتماعية والثقافية في منطقة عسير عبر الأدب.

إضافة إلى ما سبق، كان للدكتور عاطف الدرابسة حضور مستمر في الصحف الأدبية والصفحات الثقافية، حيث قدم العديد من المقالات النقدية التي هي بمثابة جسر بين القراء والنقد الأدبي المعاصر. ففي صحيفة "الوطن" السعودية لامس قضايا أدبية شائكة، وكشف عن علاقات النصوص الأدبية بمحيطها الثقافي والاجتماعي. كما كانت له مساهمات بارزة في مجلس سمو الأمير خالد الفيصل الأدبي، حيث أظهر براعته في تقديم قراءات نقدية معمقة أدت إلى إثراء الفضاء الثقافي في المملكة العربية السعودية.

وحينما تقرأ مقالاته تشعر وكأنك أمام عقلٍ لا يعرف الهدوء. ففي مقال مثل "أزمة العقل النقدي العربي"، لم يكن يقدم إجابات، بل كان يزرع أسئلة. كان يرى أن العقل العربي يعاني من الجمود؛ لأنه يخشى التجديد. لا يكتفي بالنقد، بل يدعو القارئ إلى التفكير معه، وكأنه يحرضه على الثورة الفكرية.

وربما كان أكثر ما يميزه تواضعه غير المتكلف فيه النابع من أخلاقه الحميمة، فعلى الرغم من مكانته العلمية، كان دائمًا يقترب من طلابه وزملائه كصديق، لا كأستاذ، فلا يؤمن بالفصل بين الناقد والإنسان، ويرى أن الأدب لا يُفهم إلا إذا عشته، وأن النقد لا يُتقن إلا إذا أحببت النصوص كما تحب صديقًا قديمًا. وعلى صعيد النشاطات الأكاديمية، كان الدكتور عاطف عضوًا في لجنة تحكيم جائزة أبها، يشرف على بحوث التخرج في جامعة أبها، ويقوم بتحكيم العديد من البحوث الأدبية والأكاديمية في نادي أبها للثقافة. إضافة إلى دوره البارز في الدورات التدريبية الأكاديمية، مثل دورة التعليم الإلكتروني، ودورة إعداد الاختبارات الجامعية، مما يعكس سعيه المستمر لتطوير أدوات التعليم الجامعي والارتقاء به.

نال الدكتور عاطف العديد من الجوائز والشهادات التي تعكس تقديرًا لجهوده العلمية والإبداعية، بدءًا من شهادة التقدير من كلية المعلمين في أبها، وصولًا إلى شهادات الشكر من سمو الأمير خالد الفيصل، مما يُثبت الأثر الكبير الذي تركه في الأوساط الأكاديمية والثقافية، ولم تكن مسيرته رحلة تعليمية فقط، بل كانت سعيًا دائمًا لاستخلاص الحقيقة الجمالية والفكرية من أعماق النصوص الأدبية، تاركًا وراءه إرثًا نقديًا غنيًا له تأثير بعيد المدى في عالم الأدب العربي.

رحل الدكتور عاطف في شهر سبتمبر عام 2024م، لكنه في الحقيقة لم يرحل؛ لأن أعماله باقية، وكأنها صدى لصوته الذي لا ينطفئ، ولا ريب أن إرثه الثقافي والمعرفي يتجاوز الكتب والمقالات إلى رؤيته الجديدة للأدب، ودعوته إلى أن نقرأ النصوص كما نقرأ الحياة، وأن نفهم الحياة كما نفهم الأدب. لقد كان رجلًا من زمنٍ آخر، لكنه عاش ليذكرنا بما يمكن أن يكون عليه زمننا لو أننا منحنا أنفسنا فرصة التفكير العميق.

د. علي زين العابدين الحسيني
كاتب وأديب ومؤرخ مصري



تقنيات الحداثة في نصوص عاطف الدرابسة



النّاقدة والكاتبة العراقيّة د. رائدة العامري

12

تنفتح النصوص الشعرية لدى الشاعر عاطف الدرابسة على فواصل وتقانات مختلفة مما ينم على قدرة المبدع في استخدام المعجم الشعري، فقد امتازت نصوصه بتكثيف كبير حمل في طياته ملامح الشعرية الحديثة ولاسيما متبنيات تلك الشعرية في أفكار (تودوروف وجان كوهين وياكوبسن)، وبدا ذلك واضحا في مواضع عدة، استخدم فيها الانزياح في عتبات النص ، حتى ظهرت هذه التقانة بشكل واضح في العديد من العناوين، ويمكن ان نتلمس ذلك في عناوين مثل :(حين ابتسمت .. صر خ من جوعهِ الرَّغيف، الخروج من المرايا المالحة، وطريق يبحث عن طريق، والسفر في الموت العميق، والطريق إلى الموت).

وهذا الانزياح يمكن ان نتلمسه تحديدا في قوله: (صرخ من جوعه الرغيف) ،هذا انزياح كبير ومقصود الدلالة. لبيان حدة الجوع ورغبة الشاعر في توصيله لقارئه للتأثير فيه. ومثله قوله: (الخروج من المرايا المالحة)، فالرغيف لا يمكن أن يجوع لأنه هو صاحب المصدر الحقيقي في هذا الموضوع، مثل المرايا لا يمكن أن تكون مالحة لأنها تعبر عن وجود الذات في اللحظة الآنية، وأيضا لا يمكن للطريق ان يبحث عن طريق فالطريق هو أصل الوصول، وأيضا السفر في الموت العميق هذا لا يمكن ان يكون حقيقة إلا بالانزياح التصويري، لان الموت لا يقبل التفاوت واقعا لأنه واحد . ومثل ذلك نلحظ التكرار الموجود في مفردة لطريقِ.

وهذا الأمر لم يقتصر على عناوينه فقط، إذ بانت هذه الظاهرة واضحة في نصوصه عندما يقول: يموت في قصيدة عارية او هناك في قلب الجرح او الفقير يموت اذا استنشق راحة اللحم او أنا المصلوب على حد الحرب.

وغير ذلك كثير في مجموعته الشعرية حتى بدت هذه الظاهرة على ظاهرة متميزة انماز بها الشاعر. وبدا الانزياح واضحا كأنه يحاول القول أن هذه النصوص التي اكتبها في هذه اللحظة كأني اتكئ على واحد من المبادئ الشعرية الحديثة.

ويمكن القول أيضا ان الانزياح هو الأمر المتفق عليه من قبل "جان كوهين وجاكوبسن" عندما استعمله في مخطط الرسالة، وعندما استخدمه "جان كوهين" انه من المبادئ الرئيس. لان جان كوهين قد اعتمد على الأسلوبية على أنها الموضوع الرئيس، وعليه مما تقدم ممكن القول ان المبدأ الأساس او الرئيس في هذه النصوص والذي نلحظه من القراءة هو ان الانزياح من أهم المبادئ التي اتكأ عليها الشاعر في توصيل النص. وهو أيضا من أهم المبادئ الموجودة في الشعرية الحديثة.

أما الغموض فقد بدأ واضحا جليا في عنونته، وسوف نتلمس هذا الموضوع عن طريق النصوص التي قالها الشاعر بدءا من عنونته. فنتلمس موضوعة الغموض بشكل واضح ومباشر في قصيدة (بروموثيوس : ليتك ما سرقت النَّار . .).

هذه القصيدة تستند على فكر أسطوري لبروميثيوس المعروف في الميثولوجيا بأنه سرق نار الآلية للإنسان فغضبت عليه الآلهة. لكن مع ان هذا الموضوع من خلال ما عرضه في القصيدة لم يكن المقصود بذاته وإنما كان يخاطب الذات، ولهذا استعمل الانزياح واستعمل الغموض في آن. وهي سمة حداثوية كبيرة امتاز بها الشاعر.

فالشاعر عندما يسترسل في قصيدة يبتعد تماما عن العنونة الرئيسية، وكأنه ترك المجال للقارئ حتى يتفاعل وهو يقرأ الموضوع من خلال قراءتين مختلفتين: القراءة الأولى من العنوان الخارجي بوصفه فضاء كتابيا يتمثل في فضاء الورقة بوصفها الفضاء الخارجي او البديل الحقيقي عن الفضاء والوجود والبوابة الأولى المتلقي عندما يحاول سبر أغوار النص وقراءته. لذا عني به عناية فائقة في نصوصه مثلما عني في هذا الموضوع في الدرس النقدي الحديث ولاسيما العنوانات القابلة للتأويل او القابلة للقراءة في آن ، فالمتلقي يذهب في البحث عن الأسطورة ووجودها ثم يربط هذا الموضوع بما حدث في هذه الأسطورة من أحداث ولهذه الشخصية الأسطورية لكن بالمقابل لم نجد ان هذا الموضوع كان حاضرا في النص . وانما من حضر هو الذات ، ولهذا ترك لنا قراءتين مختلفتين الأولى تبدأ من العتبة والأخرى تبدأ من خلال الغموض الذي حمله النص.

و قد أبدع في هذا المجال إبداعا كبيرا. وهذا يعود لمقدرته الفنية ولمقدرته اللغوية. فاستطاع ان يذهب إلى اختيار الألفاظ بعناية كبيرة ونحن نعلم أيضا ان الاختيار هي الخاصية الأولى من خواص الأسلوبية الحداثوية التي أشار إليها (يوسف ابوالعدوس في كتابه الرؤية والتطبيق) وغيره من الأدباء والنقاد. ثم يعود في نهاية القصيدة ليتحدث عن هذه الشخصية ويحاورها. ونجد ذلك واضحا:

بروموثيوس
لماذا سرقت النَّار ؟
أنتَ الذي علمتهم فن الشواءِ
لولاكَ لما كان الكبابُ
ولا كان شيش الطاووق..

نلحظ ان الغموض قد امتزج تماما مع هذه الشخصية الأسطورية. فيقينا يبدو لي ان بروميثوس كأنها الذات المبدعة في هذه اللحظة يبدو الأمر لربما من خلال حديثة

بروموثيوس :
أرجوكَ اخرج من الموقدِ
لقد هيأتُ لكَ سريراً لتُقيم في الفرنِ
فقد حكمتْ عليكَ الآلهةُ

فهذا الغموض واضح. فان الذي حكم على هذا الشاب هي الظروف التي يعاني منها .ولربما سوف يكون الموت هو النهاية الحقيقية بدلالة الفقير يموت إذا استنشق راحة اللحم المشوي والفقير يموت إذا استنشق رائحة الرغيف. وهنا يبدو ان الغموض قد لامس القصيدة بشكل كبير. وبروموثيوس كان هو الغاية التي يصل إليها لهذا الغموض، لان اتكأ على الفكر الأسطوري حتى يحقق أولا جانب الغموض وثانيا يحقق القراءة المتعادلة، لأننا سوف نقرا النص قراءتين القراءة الأولى قراءة أسطورية تعود للنص القديم. والقراءة الثانية قراءة ذاتية ترتبط بالذات الشاعرة. ويستعمل الغموض أيضا بأسلوب جميل عندما يستعمله للزمن المستقبل الذي يستبق الشاعر الزمن ليحيل على عالم الرؤى والأحلام فقد يكون الاستباق عادة على شكل حلم او ضرب من ضروب الغيب أو التنبؤ لما سوف يكون او يحلم بما يتمناه كأنه يجعل من الأحلام شيئا مختلفا:

قلت لها:
تأتيني الأحلامُ كألوان الشجر في الليل
هل اعرفُ كيف يصيرُ اللون
ربما كأنه أنا

أو كأنه أنتِ

انفتح النص على ثلاثة أمور مهمة الأمر الأول هو الانزياح من الأشياء الطبيعية إلى الأشياء غير الطبيعية، والأمر الآخر هو الغموض الذي لامس النص، والأمر الأكثر أهمية في هذا الموضوع كيف انه استعمل الضغط اليومي الحالي ليجعله بأسلوب الاستباق إلى اليوم الثاني او اليوم الآني، وهو زمن قريب جدا يحلم به بصورة تختلف عما آلفه تماما ، ليذهب إلى عالم أكثر اختلافا من العالم الذي يعيشه. ولهذا مثلا هو من يعترف بهذه الخاصية وبغموض النص عندما يقول:

أنا حلمٌ عصيٌ على التأويلِ
لوحة سيريالية تحاكي رواية رعبٍ
او قصة حبٍ يذبلُ كالحزن..

واعتقد أن الموضوع واضح تماما فالشاعر من يبوح بغموضه وغموض نصوصه مثلما يعترف أيضا بانزياحه مثلما يقر أنه استعمل التقانات الحداثوية في هذا الموضوع ،

أحلامي على صورةِ هذا الزمن
تتفتحُ فيه الأزهار على جرحٍ عميق
تحتشدُ فيه الأصوات على شكل ظل ثقيل
لا نفس فيه ولا هواء

وكأنه الموت الحقيقي فيصرح النص ان المستقبل قد ينتهي بدليل الموت الذي حصل من خلال هذا الحلم. وأيضا قتل الأحلام المستقبلية التي يريدها الشاعر ويبحث عنها بقوة وفقدانها هي كارثة لا محالة لأنه موطن حقيقي لزمن يعيشه، الذي أصبح ملازما له.. ما يمكن ان أقوله بعدما عرضت لهاتين المسألتين المهمتين الانزياح والغموض ان التلقي كان حاضرا وما تم قراءته بهذه النصوص ما هو إلا واحدة من جماليات التلقي لان الانزياح والغموض هو الذي يولد جماليات النصوص وعذوبتها فتحقق أفق القراءة سوى على مستوى العتبة أو على النصوص الشعرية وبذلك أفاضت هذه النصوص بالحداثة الشعرية سواء شعَر بذلك الباث أو لم يشعر، فالحداثة تحقق من خلال مسلماتها الثلاثة المهمة الذي هو الانزياح والغموض وأيضا جمالية التلقي وايضا عتباته التي أفاضت بالعديد من القراءات التي ارتبطت بالجانب الأسطوري وارتبطت بالجانب الذاتي و بالجانب التاريخي و بالموت لان استعمال الموت كان كثيرا عند الشاعر. نجد ايضا ان الشاعر يستعمل الموت في مواضع عدةَ ولربما ارتبط بالذات بشكل مباشر حتى غدا ذلك لربما تجسيما وتشخيصا لذائقة الشعرية وكما نعلم جميعا ان الموت من الموضوعات المهمة التي شغلت الشعراء فالموت هو النهاية الوجودية للإنسان وعلى الرغم من حقيقته القارة فان معطياته و ما ينتج عنه يعد من المسلمات

الصعبة للذات وللآخر. وقد تمثل ذلك بالهاجس الذي يحمله الشاعر، في قصيدة(حين يموتُ في خاطري العزاء..)

قلت ماذا في هذه اللحظة
قلت لها :
السحبُ
التي تغطي زرقة السماء
عواقرُ

لهذا يتحدث في قصيدته حين يموت في خاطر العزاء على ان الموت من الأشياء التي ارتبطت به مباشرا حتى غدا من الأشياء المهمة ومن التقنات الحداثوية المهمة التي استعملها في قصائده ، ولربما ارتبطت هذا الموضوع بموضوعة الفاجعة ولان الفاجعة التي ترتبط اغلب الأحيان بالموت وهنا يقصد موت السطور وموت الكلمات وموت الأشياء الجميلة وفضلا عن ذلك إذ تبحث فيه عنه في الصندوق الأسود أيضا على رغم أن الموضوع لربما يبدو للمتلقي على انه في غير الموت لكن في الحقيقة التي تظهر ان الشاعر استعمل هذه الأشياء على انه الموت يقول في قصيدة (لا تبحثي عن الصندوق الأسود) :

لا تبحثي عن الصندوق الأسود
بين أشياء الحطام
أخافُ ان تستمعي إلى أخرِ حوارٍ بيننا
قبلَ الفراق..

ولاسيما نجده في قصائد أخرى قد استعملها الشاعر وقد اشرنا إليها مثلا (الطريق إلى الموت أو السفر من موت العميق)، وجميع هذه الأشياء ترتبط بالموت على انه من الأشياء التي قال فيها الشاعر وتحدث عنها بقصديه تامة .

وهو يتحدث عن هذا الموضوع على انه من الأشياء المهمة التي ترتبط به ارتباط لصيقا وهذا الموضوع أيضا من الموضوعات التي شغلت الشعراء كثيرا. فيحيل النص بقراءة تأويلية إلى حالة التشرد والتأزم التي رافقت الشاعر بفعل متغيرات المكان أو لربما بفعل أشياء أخرى ويمكن ان نقول من ثيمتها الرئيسة بفعل هذه المواضع وغيرها.

لقد كان أسلوب الحوار في اغلب القصائد جملا تبدأ قالت ، وما يؤكد ان هذا الحوار كان حوارا داخليا يحاكي الصوت ،و تكمن قيمتها بوعي الذات للنص ومضمونه والياته. وهذه العملية في الحقيقة تحتاج لوعي سردي كبير وحركية عالية لتنفيذها داخل القصيدة، كونها تقوم على ترك كوامن الذات الداخلية التي

ترتبط بفاعلية النفس وطمأنينتها من دون شخصية حقيقة فاعلة في هذا النص .وهذا من المواقف الكبيرة التي وجدناها عند الشاعر. تصل إلى فكرة مفادها ان الشاعر قد استخدم الموت بشكل واضح ولربما يعود ذلك لظروف معينه سيكولوجية فنجد ان الموت قد حضر بصورة التجسيم والتشخيص مثلما حضر أيضا في الأمور الثلاثة التي ذكرناها سابقا والتي هي الانزياح والغموض وجمالية التلقي ولهذا يكون موضوعة الموت من الموضوعات المهمة التي ارتبطت بذات الشاعر ارتباطا مباشرا حتى أصبح من الموضوعات الرئيسية سواء في العتبة الأولى العنوان او في ثنايا النص . وإذا تتبعنا ذلك الموضوع فنجد ان استخدامها كان كثيرا جدا مما يعبر عن سيكولوجية الذات في لحظة ما .وقد أشرنا إليها في بداية الحديث.

د. رائدة العامري

كاتبة وناقدة عراقيّة



النّاقد والباحث الأكاديمي والشاعر الأردني د. عاطف الدرابسة



الشّاعرة والكاتبة والمترجمة اللّبنانيّة تغريد بومرعي

13

الدكتور عاطف الدرابسة هو باحث وأكاديمي بارز في الأدب العربي، وناقد أدبي له إسهامات جليلة في مجال الدراسات الأدبية والنقدية. وُلد ونشأ في بيئة ثقافية غنية، ما أسهم في تشكيل شخصيته الأدبية وتوجهاته الفكرية، وتابع مسيرته العلمية والأكاديمية حتى حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي. تميزت كتاباته بالعمق والتحليل الدقيق، مستندة إلى منهجية نقدية تنبض بالابتكار والتجديد، الأمر الذي جعله محط اهتمام الأدباء والباحثين. تتسم نصوصه بالقدرة على قراءة التراث الأدبي العربي وتفسيره بطرق تواكب التطورات الحديثة، إذ تتنوع موضوعاته لتشمل قضايا الهوية والتراث والحداثة. سنسعى في هذه الدراسة إلى تحليل نصوصه بهدف استكشاف الرؤى الأدبية والفكرية التي يطرحها، والوقوف على الجوانب الفنية والأسلوبية التي تُميّز أسلوبه الأدبي.

نحن تغريد بو مرعي ، شاعرة وأدبية وإعلامية ومترجمة لبنانية الأصل مقيمة في البرازيل، لبينا دعوة الأديب والتَّشكيلي الأستاذ صبري يوسف للمشاركة في كتاب يتناول دراسات موسَّعة عن تجربة الشّاعر والنَّاقد الرَّاحل الشِّعريّة د. عاطف الدّرابسة!

و قد اخترنا من بين أعماله الأدبية المميزة خمس نصوص لتكون محط دراستي التحليلية، إلى جانب ترجمتي للنصوص إلى اللغة الإسبانية.

عناوين النصوص : "لا أملك شيئًا أقوله" ، " بين الأنا والغيب" ، "اللُّغةُ المُغيَّبةُ" ، "اللُّغةُ المُحرَّمةُ" ، "أنا الذي قتل الشيطان".

كل نص من هذه النصوص يحمل بعدًا فلسفيًا عميقًا ويثير تأملات حول طبيعة الإنسان ومحدودية اللغة وحدود الفكر، مما يفتح بابًا للتأمل والتساؤل عن المعاني العميقة للحياة.

١. لا أملك شيئاً أقولهُ ..

قلتُ لها :

فقدتُ كلَّ شيءٍ :
أمسي
ويومي
وغدي ..

فقدتُ ذاكرتي
والفصول
وفقدتُ الضُّوء
لم أعُد أمتلكُ شيئاً
في زمنٍ تُبتَرُ فيهِ الأطراف
وتُقتلَعُ فيهِ العُيون ..

فقدتُ كلَّ حواسِّي
لم أعُد أسمع غناءَ الفراشاتِ حولَ الزُّهور
لم أعُد أفهمُ يا حبيبتي لُغةَ العُطور
خذلني القلمُ
وخانني الكِتابُ
وسقطَ من عيني من علَّمني سحرَ اللغَةِ
وفعلَ الحُروف ..

لم أعُد أمتلك سوى :
صمتي المريض
وآخرَ وجهٍ لحبيبتي علقَ في المرآةِ

كجناحِ طيرٍ مكسور ..

لم أعُد أمتلكُ شيئاً سوى :
بقايا وطنٍ كسيح
يحتاجُ لألفِ نبيٍّ
وألفِ رسولٍ
وألفِ مسيح ..

لم أعُدْ أمتلكُ شيئاً سوى :
وقتٍ ضائعٍ بينَ الخُرافاتِ والأساطير
ولوحةٍ لحمامةٍ بيضاء
وغصنِ زيتون ..

لم أعُد أمتلكُ شيئاً سوى :
عقلٍ يتنقَّلُ مثلَ المُهجَّرين
بينَ الصَّحوِ والجُنون ..

لم أعُد أمتلكُ شيئاً سوى :
لُغةٍ مقهورةٍ
كأطفالِ الشَّوارعِ
كنساءِ الشَّرقِ
كحقِّ الرأيِّ والاختلافِ
أو كعقوقِ الإنسان ..

لم أعُد أعرفُ شيئاً
عن سِيَرِ الأنبياء
ولا عن تاريخِ العربِ قبلَ التَّكوينِ
ولا عن موسيقى الفجرِ
حينَ تستيقظُ على سريرِ ضوئهِ الطُّيور ..

نسيتُ كلَّ أساطيرِ البدءِ
والخَلقِ والتَّكوين
ونسيتُ عبثيَّةَ الخلاصِ
وانتظارِ آلهةِ الفُنون ..

لم أعُد أُسيطرُ على أقوالي
وأفعالي
على صوري
وأفكاري
ولم أعُد أثق بما تُمليهِ عليَّ أشعاري ..

لم أعُد أثقُ بالماء
فكم مرَّةٍ غيَّرتْ سيرَها أنهاري ..

لم أعُد أثقُ بفلسفةِ النَّارِ
والسَّفرِ بلا أجنحةٍ
نحوَ سماءِ السَّماواتِ
كأنَّني من الذينَ أقاموا
في الكُهوفِ آلافَ السِّنين
وحينَ قاموا كانوا كالغُرباءِ
فلا الأرضُ أرضُ
ولا المكانُ مكان ..

هذهِ الأرضُ
مالحةٌ بلا معنى
كأنَّها جحيمُ السَّماءِ
أو كأنَّها أرضُ الشَّيطان ..

هذهِ الأرضُ
لا تتعاقبُ عليها الأيَّامُ

ولا تتناوبُ عليها الفصولُ
شتاؤها خريفُ
وصيفها خريفٌ
وربيعُها خريفٌ
وخريفُها خريف ..

الوجوهُ عاريةٌ
الأشجارُ عاريةٌ
الأرواحُ عاريةٌ
كلُّ الأوراقِ تساقطَت
وكلُّ الأقنعةِ تساقطت
لا نوافذَ فيها
ولا أبواب
وهل للمقابرِ نوافذُ وأبواب ؟

د.عاطف الدرابسة



NO TENGO NADA QUE DECIR

Escrito por Dr. ATEF AL-DARABESA

Traducción Al Espanhol: TAGHRID BOU MERHI

:Le dije

...Lo he perdido todo: mi ayer, mi hoy y mi mañana

.He perdido mi memoria y las estaciones, y he perdido la luz
Ya no poseo nada
En un tiempo donde se cortan los miembros
...Y se arrancan los ojos

He perdido todos mis sentidos
Ya no escucho el canto de las mariposas alrededor de las flores
Ya no entiendo, querida mía, el lenguaje de los perfumes. La pluma me ha fallado
Y el libro me ha traicionado
Y quien me enseñó el encanto del lenguaje y el poder de las letras ha caído
...de mi mirada

Ya no poseo nada más que mi silencio enfermo
Y el último rostro de mi amada, colgado en el espejo Como el ala rota de un
...pájaro

No poseo nada más que los restos de una patria tullida, que necesita mil
...profetas, mil mensajeros y mil Cristos

,No tengo nada más que tiempo perdido entre mitos y leyendas
Y una pintura de una paloma blanca

…Y una rama de olivo

No poseo más que una mente que vaga como los desplazados, entre la
…lucidez y la locura

,No tengo más que un idioma oprimido
,Como los niños de la calle, Como las mujeres del oriente
,Como el derecho a opinar y discrepar
…O como la desobediencia humana

,Ya no sé nada sobre las vidas de los profetas
Ni sobre la historia de los árabes antes de la creación, Ni sobre la música del amanecer
…Cuando los pájaros despiertan en su cama de luz

,He olvidado todas las leyendas del origen, de la creación y la génesis
…Y he olvidado la absurda redención y la espera de los dioses del arte

,Ya no controlo mis palabras ni mis acciones
Ni mis imágenes
Ni mis pensamientos
…Y ya no confío en lo que mis poemas me dictan

Ya no confío en el agua, Pues cuántas veces mis ríos han cambiado su
…curso

,Ya no confío en la filosofía del fuego
,Ni en viajar sin alas hacia el cielo de los cielos
,Como si yo fuera de aquellos que habitaron las cuevas por miles de años
;Y cuando salieron, eran como extraños

…Ni la tierra era su tierra, ni el lugar, su lugar

,Esta tierra es salada y sin sentido
,Como si fuera el infierno del cielo
…O como si fuera la tierra del diablo

.Esta tierra no ve pasar los días, ni las estaciones cambian
,Su invierno es otoño
,Su verano es otoño
,Su primavera es otoño
…Y su otoño, otoño

Las caras están desnudas, los árboles están desnudos, las almas están
,desnudas. Todas las hojas han caído
.Y todas las máscaras han caído
?No hay ventanas, ni puertas. ¿Acaso las tumbas tienen ventanas o puertas



دراسة تحليلية في قصيدة : " لا أملك شيئًا أقوله":

العنوان في هذه القصيدة "لا أملك شيئاً أقوله"، يبرز حالة الفقدان التام والانهيار الوجودي الذي يعاني منه الشاعر. يُلمح إلى إحساس بالعجز المطلق، حيث يشعر بأنه فقد كل شيء مادي ومعنوي. العنوان يعكس أيضًا نغمة من الاستسلام واليأس، حيث يُظهر الشاعر أنه لا يمتلك حتى الكلمات للتعبير عن ما بداخله. من خلال هذا العنوان، يتوجه النص نحو تجربة الانفصال عن الذات والعالم، مما يمهد للقصيدة لاستكشاف هذه الحالة المظلمة والمجردة من الأمل.

تعتبر القصيدة التي قدمتها نموذجًا شعريًا عميقًا يعكس أزمة وجودية وشعورًا بالغربة والاغتراب عن الذات والعالم المحيط. تعتمد القصيدة على التكرار والتراكم، حيث يبدأ الشاعر بتعداد ما فقده، مما يعمق الإحساس بالعجز واللاجدوى. يتنقل النص بين الشخصي والجمعي، في محاولة لرسم صورة إنسان يعيش في عالم متناقض، حيث الظلام يطغى على النور، واليقين يتحطم أمام الشك.

الموضوع:

تدور القصيدة حول فكرة الفقدان الشامل، ليس فقط للماديات، بل أيضًا للمعاني والرموز التي تعطي الحياة قيمة. يعبر الشاعر عن إحساسه بفقدان هويته وحواسه وتواصله مع العالم الطبيعي والروحي. يمزج النص بين الألم الشخصي (فقدان الحبيبة، الذكريات، الحواس) والألم الجمعي المتجسد في الوطن الممزق والمقهور، مما يجعل القصيدة تستمد قوتها من التداخل بين الخاص والعام.

الأسلوب:

يميز الأسلوب الشعري في هذه القصيدة اعتماد الشاعر على الصور الاستعارية والمجازية بكثافة. يستخدم الشاعر مفردات قوية ومشحونة بالمعاني العميقة مثل "بقايا وطن كسيح" و"لغة مقهورة"، ليعبر عن التناقضات والانكسارات في حياته وفي حياة مجتمعه. كما أن تكرار الجمل بصيغٍ متعددة مثل "لم أعد أمتلك شيئاً" يعزز الإحساس بالتكرار الرتيب للحياة، ويعكس دائرة من الفقدان المتجدد.

التأثير:

تنجح القصيدة في خلق حالة من الاستغراق العاطفي العميق لدى القارئ، حيث يشعر بالضياع والعبث الذي يعاني منه الشاعر. إنها قصيدة تحمل في طياتها مرارة الغربة عن الذات والوطن والروح، وتطرح أسئلة حول المعنى والوجود، وهي أسئلة تظل دون إجابة في النص، مما يعكس حالة من اللايقين والعجز أمام قسوة العالم.

٢. بين الأنا والغيب ..

قلتُ له :

هل للغيبِ سقفٌ ؟ هل للغيبِ رَحِمٌ ؟ هل الغيبُ عقيمٌ أم أنَّه مُتخَمٌ بالأسرارِ ، والخرافاتِ ؟ ربَّما من الجنونِ أن تُطاردَ هذا الغيبَ ، أو أن تُحاولَ الإبحارَ به .

على امتدادِ هذا الغيبِ يضيقُ هذا الحاضرُ ، كلَّما حاولتُ أن أسبُرَ حيطانَه ، تخرجُ إليَّ من غياهبِ العتمةِ أفاعٍ ، ترقصُ على إيقاعٍ ناشزٍ ، تجعلنِي أشعرُ كم هو هذا العالمُ ضريرٌ .

كلَّما هبَّتْ عليَّ رياحُ الغيبِ ، تحرَّكتْ أجنحةُ خيالي ، وازدحمتْ في خاطري الأسئلةُ ، والصُّورُ ، وصارتْ أفكاري تلِدُ الأساطيرَ ، كلُّ أُسطورةٍ تصعدُ بي نحو منافي السَّماءِ ، أسألُ عن إلهٍ غائبٍ ، وعن شعبٍ مقموعٍ ، تنهشُهُ وحوشُ الظَّلامِ ، تسرقُ من حنجرتِه أبجديَّةَ الحياةِ ، تُغطِّي عُريهُ بأوراقِ الخوفِ الأبديّ ، وتغُلُّ لسانَه بسلاسلِ الإرهابِ ، تُغلِقُ في وجهِ رؤاهُ ، وأفكارِه كلَّ النَّوافذِ ، عيناهُ يغشوها ضبابٌ من فوقهِ ضبابٌ ، من فوقِه ضبابٌ ، قدماهُ عُكَّازانِ يأوي إليهما السُّوسُ من جوعٍ ، كلَّما أرادَ أن يخطوَ خطوةً واحدةً نحو الأمانِ ، ترنَّحَ العُكَّازانِ وصارا أشبهُ بذرَّاتِ الغبارِ ، تحملُها الرِّيحُ نحو تيهٍ من ورائه تيهٌ .

مَن قالَ لكَ أن تُحدِّقَ في الغيبِ ؟ فالغيبُ مرايا ، والمرايا يا صاحبي لا تنفعُ الضَّريرَ .

أمضيتَ العمرَ تحملُ مِنجلاً في مواسمِ الجفافِ ، تنتظرُ الحصادَ ، وأنتَ تعلمُ أنَّ السَّنابلَ ما عادتْ تُقيمُ في الحقول .

ألم أقُلْ لكَ إنَّكَ ستبقى تشربُ الظَّمأَ ، ألم أقُلْ لكَ إنَّكَ من سلالةِ العُري ، يا صاحبي : مَن لم يمتلِك الإبرةَ لا يمكنَه أن يخِيطَ ثوباً يكسو عُريَ التِّيهِ ، وعُريَ الجوعِ .

استيقظْ ، انهضْ ولملمْ الجرحَ من بقايا الرَّمادِ ، انهضْ واحملْ أنفاسَكَ ، فالنَّارُ لا تشتعلُ بلا هواءٍ ، انهضْ من بينِ أزيزِ الجمرِ ، فلولا احتراقُ الحطبِ ما وُلِدتْ ثورةٌ ، ولا كانَ الرَّغيف .

هامش :

إيَّاكَ أن يخدعكَ المجازُ ، فما الغيبُ يا صاحبي إلَّا مجاز .

د. عاطف الدرابسة

ENTRE EL YO Y LO DESCONOCIDO

Escrito por Dr ATEF AL-DARABESA

Traducción Al Espanhol: TAGHRID BOU MERHI

:Le dije

Tiene lo desconocido un techo? ¿Tiene lo desconocido un útero? ¿Es lo ¿ desconocido estéril o está cargado de secretos y supersticiones? Tal vez sea .una locura perseguir lo desconocido o intentar navegar en él

A medida que lo desconocido se expande, este presente se estrecha. Cada vez que intento explorar sus paredes, salen de las profundidades de la oscuridad serpientes que bailan al ritmo de una melodía disonante, .haciéndome sentir cuán ciego es este mundo

Cada vez que soplan sobre mí los vientos de lo desconocido, las alas de mi imaginación se agitan y mi mente se llena de preguntas e imágenes, y mis pensamientos empiezan a engendrar mitos. Cada mito me eleva hacia los exilios del cielo, donde pregunto por un dios ausente y por un pueblo oprimido, devorado por bestias de la oscuridad que roban de su garganta el alfabeto de la vida, cubriendo su desnudez con hojas de miedo eterno, encadenando su lengua con grilletes de terror y cerrando ante sus visiones y pensamientos todas las ventanas. Sus ojos están cubiertos por una niebla, sobre la cual hay más niebla, y aún más niebla. Sus pies son dos muletas infestadas de polillas por el hambre, y cada vez que intenta dar un paso hacia la seguridad, las muletas se tambalean y se asemejan a partículas de polvo arrastradas por el .viento hacia un desierto tras otro desierto

Quién te dijo que miraras fijamente a lo desconocido? Lo desconocido es un ¿ .espejo, y los espejos, amigo mío, no sirven para el ciego

Has pasado tu vida cargando una hoz en tiempos de sequía, esperando la .cosecha, sabiendo que las espigas ya no crecen en los campos

No te dije que seguirías bebiendo sed? ¿No te dije que perteneces a la ¿ estirpe de la desnudez? Amigo mío, quien no posee una aguja no puede coser .una prenda que cubra la desnudez del extravío y del hambre

Despierta, levántate y recoge las heridas de entre las cenizas. Levántate y toma tus alientos, pues el fuego no arde sin aire. Levántate de entre el silbido del carbón, porque sin la quema de la leña no nace una revolución, ni existe el .pan

Nota: No dejes que el tropo te engañe, porque lo desconocido, amigo mío, no .es más que un tropo



دراسة تحليلية في نص: " بين الأنا والغيب".

قصيدة "بين الأنا والغيب" تقدم تأملًا عميقًا في العلاقة بين الذات (الأنا) والغيب، وتسعى لتفكيك فلسفة الغيب في ضوء تجربة الذات الشخصية والوجودية. تشكل القصيدة صراعًا بين الأنا، التي تبحث عن المعنى وتتمسك بواقعها، والغيب، الذي يظل بعيدًا وغير ملموس، محملاً بالأسرار والخرافات التي تجعل من محاولات فهمه أو الاقتراب منه أمرًا عبثيًا أو مستحيلاً.

موضوع القصيدة:
تدور القصيدة حول استكشاف الأنا لمفهوم الغيب والتفاعل معه. تبدأ الأسئلة الكبرى بطرح تساؤلات عن طبيعة الغيب؛ هل هو محدود أم لا؟ هل هو مثمر أم عقيم؟ هذه الأسئلة تعكس الحيرة والقلق الوجودي الذي يعاني منه الشاعر. الغيب هنا لا يظهر كحقيقة يمكن الوصول إليها، بل كقوة غامضة محملة بالأسرار التي تستعصي على الإدراك البشري. يبدو الغيب في النص وكأنه قوة معطلة، تحاصر الأنا وتمنعها من تحقيق حريتها وتقدمها نحو الأمان.

الأنا والغيب:
تظهر الأنا في القصيدة في حالة مواجهة دائمة مع الغيب، وكأنها في صراع دائم مع عالم غير مرئي يُقيِّد وجودها. تعبر الأنا عن عجزها في اختراق حيطان هذا الغيب، وكأن محاولات الوصول إلى الحقيقة محكومة بالفشل. هذا الصراع يتجلى في استحضار صور الخوف والضياع، مثل الأفاعي التي تخرج من العتمة والرياح التي تقود الخيال نحو الأساطير. هنا، تتضح العلاقة المتوترة بين الأنا والغيب، حيث يتعامل الشاعر مع الغيب كقوة تهدد اليقين الذاتي وتدفع نحو الجنون.

الغيب في هذه القصيدة يظهر كمرآة، تعكس صدى الذات المتأزمة. لكنه مرآة لا تنفع الضرير، وهي صورة مجازية قوية تشير إلى أن من يحاول فهم الغيب وهو فاقد للبصيرة لن يتمكن من الوصول إلى أي حقائق. هذا المجاز يعبر عن الإحباط والتشكيك في قدرة الإنسان على التحكم في مصيره أو تفسير معنى وجوده.

فلسفة الأنا والغيب:
الفلسفة التي تتبناها القصيدة تنطلق من نقد لفكرة الغيب كمصدر للمعرفة أو الخلاص. فالغيب هنا يُصور كخداع ومجاز لا يحمل في طياته إلا الأوهام. يواجه الشاعر هذا الغيب بأنا متألمة ومكابدة، تدرك أن الغيب قد يكون وسيلة للهروب من الواقع القاسي، لكنه ليس الحل ولا الحقيقة. يحاول الشاعر أن يقنع الأنا بترك

ملاحقة الغيب والعودة إلى الواقع، والتركيز على الاحتراق الذاتي كوسيلة للتغيير والتحرر. هنا يبرز الرمز الثوري، حيث يربط الشاعر بين الاحتراق الداخلي ونشوء الثورات، وبين الألم والقدرة على التغيير.

تأثير الأنا والغيب:

تدفع فلسفة القصيدة القارئ إلى التفكير في حدود المعرفة البشرية وإلى التشكيك في قيمة الأساطير والمجازات التي يتشبث بها الإنسان لتفسير معاناته. يقدم النص الغيب كنوع من السجن النفسي الذي يحد من قدرة الأنا على الفعل والتغيير. بالمقابل، يُدفع القارئ نحو تقدير دور الأنا الفاعلة، تلك التي تتحدى وتنهض رغم الجروح والآلام، وتحاول إعادة تشكيل واقعها بعيدًا عن الأوهام والمجازات الزائفة.

خاتمة:

تُعبّر القصيدة عن فلسفة ذاتية تنبع من تجربة الإنسان مع الغيب والمجهول، وتدعوه في النهاية إلى التخلص من الوهم والانغماس في الواقع بكل تحدياته. الأنا هنا ليست مجرد ضحية للغيب، بل هي صوت للمقاومة والتحرر من قيود المجاز والخرافة.

٣. اللُّغةُ المُغيَّبةُ ..

قلتُ لهم :

افتحوا خزائنَ لغتي
فهي مليئةٌ بالعواطفِ
والغرائزِ
والآلامِ ..

ابحثوا في الزَّوايا المهجورةِ
عن مآسٍ تختبِئُ بين الكلماتِ
عن شتاءٍ بلا مطرٍ
عن أوَّلِ الخليقةِ
ونهايةِ التَّاريخِ
وابحثوا عن فلسفةِ الوجودِ
وعن أوَّلِ ألمٍ

في تاريخِ البشرِ !

لا تفتحوا نوافذَ لغتي
وانظروا من الزُّجاجِ المكسورِ
ترونَ وجوهاً تذهبُ
ووجوهاً تجيءُ
وجوهاً
تتركُ على الأرضِ أثراً
ووجوهاً
لا ترى في تفاصيلِها
إلَّا العدمَ ..

أبحروا في لغتي
أطلقوا الأشرعةَ للرِّيحِ
واسألوا عن امرأةٍ
في بطنِ الحوتِ ..

اسمعوا لسعالِ لغتي
بعد منتصفِ اللَّيلِ
أصغوا إليه جيّداً
فهو أجرأُ على القولِ منِّي
وأجرأُ أن يقولَ
في حضرةِ الظَّالمينَ
ما لا يُقالُ ..

أصغُوا جيداً
لأصواتِ أجراسِها
حين تُعلنُ كلَّ يومٍ
الحِدادَ ..

لغتي منذُ أن تكوَّنَ الدَّمعُ
احتقنتْ في روحي
كما تحتقنُ في المآقي
الدِّماءُ
منذُ أن تعثَّرتُ بها
كانت وجعَ الكتابةِ
وغضبَ السُّؤالِ ..

لغتي امرأةٌ
ليست من طينِ البشرِ
وليست من نورٍ
وليست من نارٍ
امرأةٌ كأنَّها أُمُّ الآلهةِ
منذ بدءِ الأساطير
وحين تنزَّلتْ على الأرضِ
وشربتْ من مائِها
واكتحلتْ من طينِ ترابِها
ومسَّها جنونُ التَّأويلِ
اختزلتْ كلَّ فوضى العالمِ
بامرأةٍ
وُلِدتْ من قلمِ رصاصٍ
وحبرٍ
وماءٍ ..

د.عاطف الدرابسة



LA LENGUA OLVIDADA

Escrito por Dr ATEF AL-DARABESA

Traducción Al Espanhol: TAGHRID BOU MERHI

:Les dije

,Abran los cofres de mi lengua
,están llenos de emociones
,instintos
...y dolores

Busquen en los rincones abandonados
,tragedias que se esconden entre palabras
,un invierno sin lluvia
el principio de la creación
,y el fin de la historia
busquen la filosofía de la existencia
.y el primer dolor en la historia de la humanidad

,No abran las ventanas de mi lengua
,miren a través del vidrio roto
verán rostros que se van
,y rostros que vienen
rostros que dejan huellas en la tierra
y rostros que en sus detalles
.solo reflejan el vacío

,Naveguen en mi lengua
,suelten las velas al viento
pregunten por una mujer

.en el vientre de la ballena

Escuchen la tos de mi lengua
,después de la medianoche
,escúchenla bien
,es más valiente para decir que yo
más atrevida para decir
en presencia de los tiranos
.lo que no se puede decir

Escuchen bien el sonido de sus campanas
cuando cada día anuncian
.el luto

,Mi lengua, desde que se formaron las lágrimas
se ha acumulado en mi alma
,como la sangre se acumula en los ojos
desde que tropecé con ella
ha sido el dolor de la escritura
.y la furia de la pregunta

Mi lengua es una mujer
,que no es de barro humano
,ni de luz
,ni de fuego
una mujer como si fuera la madre de los dioses
,desde el comienzo de los mitos
y cuando descendió a la tierra
bebió de sus aguas
,y se pintó los ojos con su barro

,tocada por la locura de la interpretación
condensó todo el caos del mundo
en una mujer
,nacida de un lápiz de grafito
.tinta y agua



دراسة تحليلية في قصيدة:" اللُّغةُ المُغيَّبةُ" .

قصيدة "اللُّغةُ المُغيَّبةُ" للشاعر تعكس توترًا عميقًا بين الذات ولغتها، وبين الغياب والوجود. إن عنوان القصيدة "اللُّغة المُغيَّبة" هو نافذة لقراءة النص وفهمه. هنا تظهر اللغة وكأنها كيان قائم بذاته، له تاريخ وآلام ومصير مستقل، لكنها مغيَّبة أو محجوبة عن التعبير الصريح أو الفعل في مواجهة العالم الواقعي.

في هذا السياق، يستخدم الشاعر اللغة كشخصية رئيسية تنطوي على أبعاد فلسفية وإنسانية، فهي ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي وعاء يختزن المشاعر والغرائز والآلام الإنسانية. هذا التوظيف يتسق مع ما يمكن أن نعتبره "تغييبًا" للغة، ليس فقط بمعنى الحجب أو القمع، بل بمعنى أنها غير قادرة على التحدث بالكامل عن المعاناة والآمال التي تنطوي عليها. إذ يقول الشاعر: "افتحوا خزائنَ لغتي فهي مليئةٌ بالعواطفِ والغرائزِ والآلامِ"، مشيرًا إلى أن اللغة تحتوي على أعمق المشاعر الإنسانية، لكنها مخزونة أو مخبأة ولا تُستخدم بكامل قوتها.

اللغة في هذه القصيدة ليست مجرد أداة للتعبير عن الأفكار، بل هي كيان مريض ومعذب، حيث يشير الشاعر إلى سعال اللغة: "اسمعوا لسعالِ لغتي بعد منتصفِ اللَّيلِ، أصغوا إليه جيّداً فهو أجرأُ على القولِ منّي". هذه الصورة تشير إلى لغة قادرة على قول ما لا يستطيع الشاعر نفسه التعبير عنه بجرأة، لكنها في الوقت ذاته مريضة، غير قادرة على البوح الصريح.

أما النوافذ والزجاج المكسور، فهي رموز تعكس الفاصل بين اللغة والواقع، وبين ما يمكن للغة أن تقوله وما لا تستطيع التعبير عنه. فالنوافذ تشير إلى إمكانية رؤية ما هو خلف اللغة، لكن من خلال الزجاج المكسور فقط، في إشارة إلى الغموض والقصور في التعبير الكامل عن الحقيقة. كما أن الشاعر يربط لغته بتاريخ البشر وألمهم الأول، حيث تظهر اللغة هنا كوسيط بين الزمن الأول (الخليقة) ونهاية التاريخ، وكأنها حاملة لروح الزمن والمعرفة الأولى.

في الجزء الأخير من القصيدة، يقدم الشاعر لغة مجازية يصورها كأنها امرأة ليست من طين البشر ولا من نور أو نار، بل كأنها كائن أسطوري، أم الآلهة. هذه الصورة تتماهى مع وصف اللغة بأنها أصل الأساطير والجنون والمعرفة. هنا، يضع الشاعر اللغة في موقع سامٍ، تتجلى فيه كل التناقضات والفوضى التي تحكم الوجود البشري.

إذن، يمكن القول إن الشاعر يعبر عن أزمة وجودية تتعلق بالقدرة المحدودة للغة على التعبير عن الأحاسيس العميقة والأسئلة الفلسفية. "اللُّغةُ المُغيَّبة" هي تلك اللغة التي، رغم قوتها ومحتواها الثر، تظل محجوبة عن الإدراك الكامل وعن التفاعل مع الواقع الملموس.

٤. اللُّغةُ المُحرَّمةُ ..

قالَ لها :

قرأتُ كلَّ الكُتبِ المُحرَّمة ، وأصغيتُ إلى الأغاني المُحرَّمة ، وشاهدتُ الأفلامَ المُحرَّمة ، فغرقتُ باللَّذةِ المُحرَّمة ، وصارت كلُّ أحلامي مُحرَّمة ، صرتُ أخشى النَّومَ ؛ كي لا أرى أصابعي ترسمُ تفاصيلَ جسدكِ ، من أعلى الجبينِ ، إلى آخرِ خليَّةٍ في قدميكِ .

أخافُ أن أتتبَّعَ بشَفَتيَّ تلكَ الشَّاماتِ الكثيرةَ المنثورةَ ، كعُيون العصافيرِ الصَّغيرةِ على صفحاتِ جسدكِ ، الذي نسَجهُ الإلهُ من خيوطِ الضُّوءِ ، ومن حريرِ السَّماءِ .

أخافُ النَّومَ ؛ كي لا أشعُرَ بارتعاشةِ الغيابِ ، فأنا منذُ أن عشقتُكِ ، وأنتِ حُلميَ الوحيد ، صوتيَ الوحيد ، نافذتي إلى الطَّريقِ ، كأنَّكِ خُبزي ، ونبيذي ، وسرُّ بقائي ، وشجرةُ مائي ، والضُّوءُ المزروعُ في ذاتي .

أخافُ أن أنامَ ؛ فيموتُ النَّبضُ في الكلامِ ، وتتمدَّدُ جذورُ اليأسِ إلى قلبي ، ولغتي ، كما تمدَّدت جذورُ الفوضى ، والخطيئةُ إلى قلبِ وطني .

أخافُ أن أنامَ ؛ كي تبقى الأسئلةُ مُشتعلةً ، كلُّ سؤالٍ يقودُ إلى سؤالٍ ؛ فأنا منذُ أن سرى دمي في دمكِ ، وغمرَ مطرُ سحائبِي جسدكِ ، لا أخشى الأسئلةَ المُحرَّمةَ .

كم صُغتُ من أحزانكِ أُغنياتٍ للأملِ ، كم سقيتُ بدمعكِ أحزانَ الطُّيورِ والمحرومينَ ، كم رأيتُنِي في عينيكِ أوقدُ ناراً لأحلامِ الشِّتاء ، كم رأيتُني أُقبِّلُكِ في شوارعِ البُكاء ؛ فيرتوي من شهوتي العطشُ ، ويرتعشُ من دمي دمُكِ ؛ لتنهضَ من خرابِها البلدُ .

د. عاطف الدرابسة

EL LENGUAGE PROHIBIDO

Escrito por Dr. ATEF AL-DARABESA

Traducción Al Espanhol: TAGHRID BOU MERHI

:Él le dijo

He leído todos los libros prohibidos, escuché las canciones prohibidas, vi las películas prohibidas, y me hundí en el placer prohibido. Todos mis sueños se volvieron prohibidos, y comencé a temer dormir, para no ver mis dedos dibujar los detalles de tu cuerpo, desde lo alto de la frente hasta la última célula en .tus pies

Temo seguir con mis labios esas pequeñas pecas dispersas, como los ojos de pequeños pájaros sobre las páginas de tu cuerpo, tejido por Dios con hilos de .luz y seda celestial

Temo dormir, para no sentir el temblor de la ausencia, porque desde que te amé, eres mi único sueño, mi única voz, mi ventana hacia el camino, como si fueras mi pan, mi vino, el secreto de mi existencia, mi árbol de agua, y la luz .sembrada en mi ser

Temo dormir, para que el pulso en las palabras no muera, para que las raíces de la desesperación no se extiendan en mi corazón y en mi lenguaje, como se .han extendido las raíces del caos y el pecado en el corazón de mi país

Temo dormir, para que las preguntas sigan encendidas, cada pregunta lleva a otra pregunta; porque desde que mi sangre fluyó en la tuya, y las nubes de .mis lluvias empaparon tu cuerpo, no temo las preguntas prohibidas

Cuántas veces he convertido tus tristezas en canciones de esperanza, cuántas veces he regado con tus lágrimas las tristezas de los pájaros y los desposeídos, cuántas veces me he visto a mí mismo en tus ojos encendiendo fuego para los sueños de invierno, cuántas veces me he visto besándote en las calles del llanto; entonces mi sed se sacia de mi deseo, y tu sangre .tiembla con la mía; para que el país resurja de sus ruinas

دراسة نقدية حول نص: "اللُّغةُ المُحرَّمة"

التمهيد: العنوان كمدخل للنص يشكل عنوان القصيدة "اللُّغةُ المُحرَّمة" بوابة لفهم أبعاد النص ومعانيه العميقة. يتجلّى من الوهلة الأولى أن الشاعر يستخدم كلمة "محرمة" للدلالة على مفهوم يتجاوز القيود التقليدية التي قد تفرضها المجتمعات، سواء كانت اجتماعية أو دينية أو حتى أخلاقية. اللغة هنا ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل أداة للتعبير عن المحظورات، وعن رغبات وأحلام مكبوتة، ترفض الإطار التقليدي الذي يقيدها. وعليه، فإنّ اللغة تصبح محرمة، لأنها تعبر عن المشاعر والأفكار التي يتهرب منها المجتمع أو يعتبرها خارجة عن المألوف.

الخوف من النوم: الرغبة والقلق يبرز في القصيدة الخوف العميق من النوم، والذي يرتبط بشكل مباشر بحضور الحلم المحرم. النوم هنا ليس استراحة للنفس بل وسيلة تُظهر مخاوف الذات وتكشف عن رغبات مكبوتة. الشاعر يخشى النوم لأنه في عالم الحلم تنفجر كل هذه الأحلام والرغبات المكبوتة، ويجد نفسه أمام رؤية جسد المحبوبة بأدق تفاصيله. يصف الأصابع وهي ترسم تفاصيل جسدها، والشامات المنتشرة كعيون العصافير. هذا الوصف يحمل بين طياته الكثير من الحميمية، ويعكس رغبة شديدة في الاقتراب من الجسد، لكن هذه الرغبة تصطدم بإطار "المحرّم"، ما يجعلها مثيرة للخوف والقلق.

النوم، إذًا، هو وسيلة للتواصل مع ما لا يمكن الوصول إليه في الواقع؛ إنه عالم الخيال الذي تتحقق فيه الرغبات المحرّمة. وفي نفس الوقت، يمثل النوم غياب الوعي، حيث يسيطر الخوف من فقدان السيطرة على الأفكار والأحاسيس، ما يجعل الشاعر يفضل البقاء مستيقظًا، حتى لا يشعر بذلك الفراغ والقلق الذي يتبعه.

اللغة المحرمة: الفوضى والخطيئة اللغة، كما تظهر في القصيدة، هي لغة محرمة لأنها تعبر عن كل ما هو ممنوع، عن اللذة والشهوة، وعن التوق إلى المحبوب بطريقة تتحدى القيود المجتمعية والدينية. الشاعر يربط لغة الجسد بلغة الكلام، وكأن كلماته ترسم تفاصيل الجسد، وتُنسَج من الضوء والحرير، كما يصف جسد المحبوبة الذي خلقه الإله من تلك المواد المقدسة.

الخوف من فقدان هذا الجسد في الحلم هو ما يدفع الشاعر إلى تجنب النوم، حيث يمكن أن يمتد غياب المحبوبة إلى غياب لغته نفسها. يصبح الجسد، إذًا، هو البوابة إلى اللغة، واللغة هي الوسيلة للوصول إلى هذا الجسد. وبالتالي، فإن فقدان أحدهما يؤدي إلى فقدان الآخر.

الأحلام المحرمة والأسئلة المحرمة في القصيدة، هناك حضور قوي للأسئلة المحرمة التي لا يخشى الشاعر مواجهتها. منذ أن التقى بالمحبوبة، تحولت هذه الأسئلة إلى جزء من وجوده، ما يعكس تحرره من القيود التقليدية التي قد تُكبّل الذات. الأسئلة هنا ليست مجرد وسيلة للبحث عن إجابات، بل هي تحدي للواقع الذي

يفرضه المجتمع. الشاعر يرفض الصمت، ويفضل أن تبقى الأسئلة مشتعلة، لأنها تمثل الحياة والتحدي والمواجهة.

الخاتمة: اللغة كثورة تنتهي القصيدة بتصاعد في قوة اللغة والرمزية. الشاعر يتحدث عن تحول أحزان المحبوبة إلى أغنيات للأمل، وعن سقي الأحزان بدموعها، وعن إيقاد النار لأحلام الشتاء. هنا يظهر دور اللغة المحرمة كلغة ثورة وتحدٍ، حيث تتحول الرغبات المكبوتة إلى قوة دافعة للتغيير والنهضة. اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الذات، بل هي أداة للثورة ضد الخراب واليأس، وسيلة لإعادة بناء العالم والبلد من جديد.

إذن، في هذه القصيدة، اللغة المحرمة ليست مجرد لغة حب أو رغبة، بل هي لغة معبرة عن رفض القيود والتقاليد، وهي أداة للتحرر من الأغلال النفسية والاجتماعية، وتحويل الحلم إلى حقيقة.

٥. أنا الذي قتل الشيطان ..

قلتُ لها :

لن أنفخَ في الأقمارِ التي تعاني من الخسوفِ ، ولن أنفخَ في العقولِ التي تعاني من السُّكونِ ، لن أبعثَ الحياةَ في الأجسادِ الميّتةِ ، لن أضخَّ الدَّمَ إلى الأطرافِ المتجمّدةِ .

أرجوكِ ، لا تنظري إلى قدميَّ ، منذ أوَّلِ حرفٍ مُزيَّفٍ في تاريخِنا ، أضربت قدمايَ عن المسيرِ .

أُولئكَ الذين كانوا يقتاتونَ من لحومِنا ، ويتدفؤونَ في غضبِ الشِّتاءِ على عظامِنا ، هاهم يُطلِقونَ على أحلامِنا الرَّصاصَ ، بعقلٍ باردٍ ، وأيادٍ لا تعرفُ أن ترتجفَ في الصَّقيعِ .

أعرفُ يا حبيبةُ كلَّ أنواعِ الطُّغيانِ ، وأعرفُ كلَّ الوجوهِ التي تحتجبُ وراءَ الفضيلةِ ، خجلاً من الإثمِ ، وأعرفُ كلَّ العواطفِ العاطلةِ عن الحُبِّ ، وأعرفُ كلَّ أشكالِ البكاءِ المُنافقِ ، وأعلمُ أسرارَ اللُّعبةِ : كيف تبدأُ ، وكيف تنتهي ، وأعرفُ حقيقةَ أنفسِنا ، حين نبدو على الأرضِ ، كأنَّنا بشرٌ .

أنا يا حبيبةُ داخلَ الصُّورةِ ، وداخلَ المشهدِ وأنا في أولِّ الرِّواية ، وفي آخر الرِّوايةِ ، هناك على خشبةِ المسرحِ ، يجلسُ الزَّمانُ ، مرَّةً يرتدي وجهَ الثَّعلبِ ، ومرَّةً يرتدي وجهَ الغزالِ ، ومرَّةً يحملُ وردةً حمراءَ ، ومرَّةً يحملُ خنجراً مسموماً .

هناك على خشبةِ المسرحِ أمامَ الجمهورِ ، يظهرُ الزَّمانُ ، بهيئةِ إنسانٍ ، ينصبُ في الظَّلامِ فخَّاً لسنابلِ القمحِ ، وللأزهارِ ، وفي وضحِ النَّهارِ ، أراهُ يُعانِقُ صبيَّةً بعمرِ الهلالِ ، وفي آخرِ المسرحيَّةِ ، يصرخُ : أنا الذي قتلَ الشَّيطانَ .

د. عاطف الدرابسة

YO SOY EL QUE MATÓ AL DIABLO

Escrito por Dr. ATEF AL-DARABESA

Traducción Al Espanhol: TAGHRID BOU MERHI

:Le dije

No soplaré en las lunas que sufren un eclipses, ni soplaré en las mentes que padecen de quietud, no devolveré la vida a los cuerpos muertos, ni bombearé .sangre a los miembros helados

Te ruego, no mires a mis pies; desde la primera letra falsa en nuestra historia, .mis pies se detuvieron de avanzar

Aquellos que se alimentaban de nuestras carnes y se abrigaban en la ira del invierno sobre nuestros huesos, ahora disparan balas a nuestros sueños, con .una mente fría y manos que no saben temblar en el frío

Sé, oh amada, todos los tipos de tiranía, y conozco todos los rostros que se ocultan tras la virtud, avergonzados del pecado, y conozco todas las emociones que carecen de amor, y sé todas las formas de llanto hipócrita, y conozco los secretos del juego: cómo comienza y cómo termina, y conozco la verdad de nuestras almas, cuando nos vemos en la tierra, como si fuéramos .humanos

Soy, oh amada, dentro de la imagen, y dentro de la escena, y estoy al principio de la novela, y al final de la novela, allí en el escenario, el tiempo se sienta, a veces con la cara de un zorro, y otras veces con la cara de un .ciervo, a veces lleva una rosa roja, y a veces lleva un puñal envenenado

Allí en el escenario, frente al público, aparece el tiempo, en la forma de un ser humano, tiende en la oscuridad una trampa para las espigas de trigo, y para las flores, y a plena luz del día, lo veo abrazar a una niña de la edad de la !luna nueva, y al final de la obra, grita: ¡Soy yo quien mató al diablo

دراسة نقدية حول نص: "أنا الذي قتل الشيطان"

النص "أنا الذي قتل الشيطان" هو تأمل فلسفي يعكس صراع الإنسان مع الشر والطغيان، ويطرح أسئلة عميقة حول ماهية الحياة والزمن والفضيلة والخطيئة. العنوان يُعدّ بوابة لفهم النص بأبعاده الرمزية والمجازية. فالقول "أنا الذي قتل الشيطان" يُشير إلى انتصار المتكلم على قوى الشر، أو ربما هو إعلان رمزي عن إدراك الذات لحقيقة الشر في العالم ومحاولة مواجهته أو التغلُّب عليه.

أهمية العنوان:
العنوان يستدعي فكرة الصراع الأزلي بين الخير والشر، ويطرح السؤال: هل يمكن للإنسان حقًا أن "يقتل" الشيطان؟ بمعنى آخر، هل يمكن للبشرية أن تتجاوز الشرور الداخلية والخارجية التي تواجهها؟ النص يميل إلى تفسير هذا الصراع على المستوى الفلسفي، حيث يظهر الإنسان أمام أفعاله وأسئلته الجوهرية. الشيطان هنا قد يكون رمزًا ليس فقط للشر، ولكن لكل العوائق التي تعترض طريق الإنسان نحو الفهم الكامل أو الخلاص الروحي.

الأسلوب المجازي:
النص يعتمد بشكل كبير على الأسلوب المجازي الذي يُضفي عمقًا على الأفكار المطروحة. يبدأ الكاتب بجمل تدل على الرفض والتحدي: "لن أنفخَ في الأقمارِ التي تعاني من الخسوفِ، ولن أنفخَ في العقولِ التي تعاني من السُّكونِ". هذه الجمل ترمز إلى رفض المتكلم لإحياء ما هو ميت أو فاقد للحركة، سواء كان ذلك على مستوى الأفكار أو الجسد. الأمثلة مثل "الأقمار التي تعاني من الخسوف" و"العقول التي تعاني من السكون" تخلق صورة مجازية عن حالة من الجمود أو التراجع، التي لا يريد المتكلم أن يكون جزءًا منها.

في الجزء الثاني من النص، نرى تلميحات عن الظلم والوحشية: "أُولئكَ الذين كانوا يقتاتونَ من لحومِنا، ويتدفؤونَ في غضبِ الشِّتاءِ على عظامِنا". هذا السطر يوحي بمعاناة المتحدث وأمته تحت وطأة الطغيان، حيث يستفيد المستبدون من آلام الناس ويتغذون على آلامهم.

ثم يتقدم النص في تدرجات فلسفية أعمق: "أعرفُ يا حبيبةُ كلَّ أنواعِ الطُّغيانِ"، حيث يكشف المتحدث عن معرفة شاملة للطغيان، ولكنه أيضًا يُظهر فهمه العميق للعواطف الفارغة والزائفة التي يعبر عنها البعض في حياتهم. يرمز الطغيان هنا إلى كل ما يقمع الحرية الفكرية والروحية، سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو المجتمع.

فلسفة النص:

النص يتحرك على عدة مستويات فلسفية، حيث نجد مفارقات في فهم الزمن والطغيان. ففي النهاية، الزمن يظهر ككيان متعدد الأوجه، مرةً "يرتدي وجهَ الثَّعلبِ" ومرةً "يحملُ وردةً حمراءَ". هذه التغيرات في شكل الزمن توحي بأنه ليس ثابتًا أو واضح المعالم، بل هو مشهد متغير، يمزج بين الجمال والخداع، بين الحب والعنف.

الزمان في النص ليس عنصرًا محايدًا؛ بل هو مشارك فعال في هذا الصراع الفلسفي. الكاتب يُظهر أن الزمن يحمل تناقضات مثل الإنسان نفسه، فهو قادر على أن يكون جميلًا ومميتًا في آنٍ واحد. وهذا يظهر بشكل واضح في نهاية النص عندما يصرخ الزمان: "أنا الذي قتلَ الشَّيطانَ". هذا التصريح قد يشير إلى انتصار الزمن على الشر، أو قد يعكس فكرة أن الزمن هو العامل الذي يكشف زيف الشر ويمحو تأثيره في نهاية المطاف.

الخوف من الطغيان:

هناك إحساس عميق بالخوف من الطغيان والظلم في النص. الشاعر لا يخشى فقط الطغاة الذين "يتدفؤون على عظامنا"، بل يخشى أيضاً الطغيان المستتر خلف الفضيلة المزيفة. يربط النص بين الطغيان والفوضى الروحية، حيث يبدو أن الظلم يتسرب إلى كل جزء من حياة الإنسان، حتى إلى لغته ومشاعره.

الخاتمة:

يقدم النص "أنا الذي قتل الشيطان" رؤية فلسفية عميقة للصراع الداخلي والخارجي الذي يخوضه الإنسان مع الشر، سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو المجتمع. العنوان يوحي بانتصار رمزي على قوى الظلام، ولكنه في الوقت نفسه يطرح تساؤلات حول طبيعة الشر والزمن والوجود. الأسلوب المجازي الذي يستخدمه الكاتب يضيف عمقًا وسحرًا إلى النص، مما يجعله مفتوحًا على تفسيرات متعددة حول حقيقة الإنسان والطغيان، وفهم الذات في مواجهة الحياة.

حول الشاعرة والمترجمة اللبنانية تغريد بو مرعي:

تغريد بو مرعي هي شاعرة وكاتبة ومترجمة وإعلامية لبنانية متميزة، وُلدت في قب إلياس، لبنان، وتقيم في البرازيل. استطاعت أن تبرز كإحدى الشخصيات الرائدة في عالم الأدب، العربي والعالمي، حيث تتمتع بمسيرة غنية تمتد عبر مجالات الشعر والترجمة والإسهامات الإعلامية. تعمل كمعلمة للغة العربية لغير الناطقين بها.

لقد منحتها خبرتها في الأدب والترجمة أدوارًا مرموقة، مثل رئيسة قسم الترجمة في العديد من المطبوعات، بما في ذلك العربي اليوم، أغاريد الأدبية، زهرة الليلك، القلم الورقية، النيل والفرات، الأدباء، أوتاد الورقية، رصيف 81 والمجلة الإسبانية Azahar Poetic وبرشلونة الإسبانية. كما أنها مترجمة للغات البرتغالية والإيطالية مع "مترجمين بلا حدود" وتشارك بعمق في المنظمات الثقافية والأدبية العالمية، مثل دورها كمستشارة شعرية عالمية للتلفزيون المركزي الصيني(CCTV) ، ومديرة العلاقات الدولية للاتحاد الدولي للفنون والآداب، مستشارة الترجمة الأدبية لمنصة كتاب بلاد الشام، مستشارة الإعلام والترجمة للاتحاد العالمي للمثقفين العرب. عضو في اتحاد كتاب العالم للأمم المتحدة (كازاخستان). عضو في الجمعية الأدبية الدولية "Creative Tribune.". قاضية دولية في مسابقة والت ويتمان الدولية للشعر (2023، 2024). سفيرة لمنظمة الإبداع العالمية للسلام، لندن. سفيرة لبنان لدى الاتحاد العالمي للكتاب والفنانين (البرتغال). سفيرة معتمدة لصحيفة " The Daily Global Nation "(بنغلاديش). سفيرة أدبية للعديد من الأنثولوجيات الدولية. عضو شرفي في مؤسسة Angeena الدولية.

تم تسميتها مؤخرًا ضمن 50 امرأة من آسيا تركن تأثيرًا في الأدب الحديث. كذلك تم تسميتها ضمن أبرز 20 صخفيًا دوليًا وفقًا لLegacy Crown ، وقد تم تكريمها في الاحتفال الذي اقيم في مانيلا احتفال جائزة الإرث الذهبي لعام 2034.

طوال مسيرتها المهنية، حصلت بو مرعي على العديد من الجوائز، بما في ذلك جائزة نزار سرطاوي الدولية للإبداع 2021، وجائزة ناجي نعمان للإبداع في الشعر والأدب 2023، وجائزة Kazi Nazrul Islam 2022، الحائزة الأولى لكأس Zhang Nian Cup, 2023، Fico Xavier Ramirez Sanchez International Prize. Global Golden Eagle Award for Excellence 2024, presented by the World Union of Writers (UHE) ، جائزة Sahitto Award في التحكيم لعام 2023، شهادة فخرية من Urca وجائزة د. كارلوس مارتينس شويكاس السنوية للسلام ، جائزة د. مانويل أوريكا إستريللا الدولية 2024، جائزة تورينو متروبولي 2024، جائزة النسر الذهبي المقدمة من الجمعية الإسبانية العالمية للكتاب UHE، دبلوم Algys Hat المقدمة من IUPD أوزبكستان ، جائزة دكتور فيكو شافيبه راميرز سانشيز العالمية UNAEEE، أكثر من 20 شهادة تقديرية مقدمة من الغرفة الدولية للكتاب والفنانين – إسبانيا Ciesart ، جائزة 2024 Mar De Cristal Barcelona Espana شهادة من الفيليبين تكريمًا ل Don José Garcia Villa ، سعادة فخرية من Ciesart Trinidad E Tubago ، شهادة فخرية مقدمة من القاتيكان بسبب المشاركة في انثولوجيا ANTOLOGÍA UN LLAMADO A LA PAZ II المهداة الى البابا فرنسيسكو ، شهادة فخرية مقدمة من Ciesart Grécia للمشاركة في احتفالية هوميروس ، شهادة فخرية من CIESART JAPÓN للمشاركة في احتفالية

"Monte Fuji"، شهادتان فخريان من Ciesart Pakistan, CIESART Argentina, AND Chile , وغيرها

تُرجمت أعمالها إلى 48 لغة وتنوعت بين الشعر والنثر وأدب الأطفال والدراسات الفلسفية. كما شاركت في أكثر من 100 أنثولوجيا عالمية وأكثر من 70 انثولوجيا عربية كما ترجمَت لغاية هذا التاريخ 35 كتابًا والعديد من الأعمال الشعرية والأدبية والمقالات و نشرها في المجلات .
ألفت 23 كتابًا و ٨ كتب قيد المراجعة ، إلى جانب كتابتها 96 مقالًا لغاية هذا التاريخ. نُشرت أعمالها في العديد من الصحف والمجلات (سواء المطبوعة أو الإلكترونية) وعلى المواقع الإلكترونية العربية والدولية.

أصبحت أعمالها الأدبية والشعرية موضوعًا لقراءات ودراسات نقدية قام بها كتّاب ونقاد متخصصون في مجال النقد الأدبي. وقد تمت قراءة العديد من قصائدها باللغة الإسبانية على إذاعة أندروميدا Andromeda Radio في المكسيك وإذاعة أومرو Umro Radio في إسبانيا. كما تم دراسة مختارات من أعمالها في النثر والشعر والكتابات الفلسفية باللغة الإنجليزية من قبل طلاب منصة Haven هاڤين الأدبية الدولية في الهند. وقد قام الشاعر والناقد الهندي المعروف، سيجو جوزيف شينياليل، بمراجعة نقدية لأعمالها الفلسفية المكتوبة باللغة الإنجليزية.
بصفتها مدربة تنموية في جمعية سوا للتنمية ومستشارة إعلامية وترجمية في الاتحاد العالمي للمثقفين العرب، تواصل بو مرعي التأثير في عالم الأدب وصياغته. ومعترف بها كواحدة من أكثر 50 امرأة تأثيرًا في الأدب الحديث، فإن إرثها يتسم بالتزامها الثابت بتعزيز الإبداع والسلام والتفاهم بين الثقافات من خلال كتاباتها وترجماتها.

Email: taghrid240@gmail.com
Facebook ID: Taghrid BouMerhi
Twitter: @merhi_bou



الصَّادقون لا يموتون والمبدعون لا يغيبون

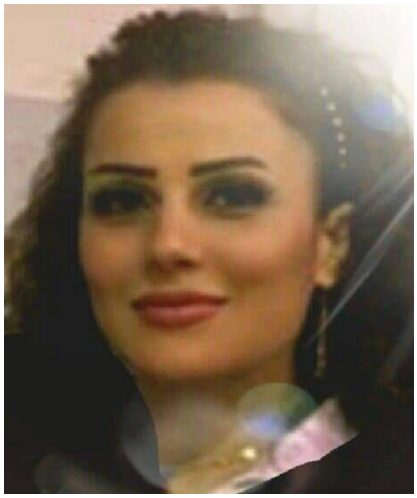

الكاتبة السُّورية جمانة عزّام

14

النَّاقد الأدبي والباحث الأكاديمي الدكتور عاطف الدرابسة طيّب الله ثراه وأسكنه فسيح جنّاته.
الرحمة لروحه الطاهرة وخالص عزائي لأهله ومحبّيه

الصادقون لا يموتون والمبدعون لا يغيبون، الإنسان أثر، لكن لا بد لنا من قبول الحقيقة المُرّة بخسارتنا الكبيرة لهذه القامة الإبداعية الخلّاقة.

لقد عرفته عن بُعد ومنذ فترة بسيطة، لكن من خلال هذه المعرفة؛ شعرت بطيبه وصدقه وشفافيته وإخلاصه لمهنته ومسؤولياته، ووجدته نِعم القدوة بالجدّ والبحث والاجتهاد والعطاء.

صاعقة الخبر

في الخامس والعشرين من سبتمبر وفي تمام الساعة التاسعة وأربعين دقيقة مساءً أرسلت للدكتور عاطف مقتطفاً من قصة بعنوان بيتٌ غربي غزّة، كالعادة لأستأنس برأيه واستفيد من ملاحظاته (كنت كلما قلت له أريد الاستفادة من رأيك يقول لي: هون صرتِ مثل الرأسماليين نفعيّة، ما بحب كلمة استفيد، لكني اعرف أنك لا تقصدين ذلك).

انتظرت طويلاً ولم يصلني ردّ الدكتور، صرت أتفقّد رسائل الماسنجر كل لحظة لكن دون فائدة.

ظننته يعاقبني لخطأ ما فلطالما أظهر لي قسوته بما يخص كتاباتي ولطالما تقبّلتها بطيب خاطر لأنني أعرف دماثته وطيبة قلبه كما أنني على يقين تام بأنَّ غايته الوحيدة هي مصلحتي وما يعود عَلَي بالفائدة في مسيرتي الأدبيّة المتواضعة.

طبعاً أنا لم أحاول أن أُعيد عليه سؤالي أو أن أكرر طلبي بما يخصّ القصة، لا لشيء، فقط لأنني احترم وقته المزدحم دائماً.

في 26 سبتمبر وعندما كان وقتي متاحاً لأتصفَّح الفضاء الأزرق تسمّر نظري على بوست ظَهَر أمامي مباشرة للأستاذة هدى عزالدين مع صورة للفقيد.

رحل الغالي الناقد الحق الدُّكتور عاطف الدرابسة ..

لم أصدق ما أراه، ظننتها غشاوة على عَيني شَوّشَتْ لي الرؤية.

قَلّبت أكثر، لقد بدأت تنعيه صفحات الأصدقاء, وبدأ شعور كبير بالحزن والألم واليأس والإحباط يتملّكني، لقد رحل معلمي الغالي وصديقي الوفي المحترم، ضاعت بوصلتي التي استهدي بها في تخبّطي وتيهي.

إِذَن هكذا يرحل الطيبون دون إذن مسبق .. لكن تبقى شتلات إبداعهم وتواضعهم وتميّزهم، تُنعش قلوبنا وتزهر في أرواحنا ما حَيينا.

ما سأقدّمه هنا سيكون مختلفاً عمّا يتضمّنه هذا الكتاب من مقالات وقصائد ودراسات وقصص ونصوص حول عوالم وفضاءات الرَّاحل الدُّكتور عاطف الدرابسة شعريّاً وفكريّاً ونقديّاً.

لذلك .. أرجو أن تُزهر كلماتي في قلوبكم إعجاباً ورضى، لأنّها تعني لي الكثير.

"نحن لا نبحثُ عمّا تقوله اللُّغةُ، بل نبحث عمّا تفعله بنا"

لطالما تفرّد المبدع الراحل بآرائه ووجهات نظره، إذا ما تحدّث عن اللُّغة.

وقد لفتت انتباهي تلك العبارة، التي قرأتها مراراً وتكراراً، كيف لا! وهي الدَّرس الأوَّل الَّذي تلقّنته من معلمي دون حديث مباشر معه. فهو يرى التجربة مع اللغة العربية غنيّة ومتنوّعة على مستوى الشكل والمضمون، كما أنَّ لها أثرها على مستوى الفعل والتَّغيير نظراً لقوّتها وسلوكها داخل النَّص وتأثيرها على المتلقّي أمّا متعة هذه اللُّغة تكمن باختلاف مشارب تكويناتها في الأدب، الفلسفة، والنقد، فهي الحاملة للفكر وإثبات الهوية والوجود في آن معاً.

وبرأيه أيضاً أن أي إنسان لا يمكن أن يتعامل مع اللغة إلَّا في حالة عشق سواء كان واقعياً أو متخيَّلاً فوحده الحب من يُخرج الإنسان من آلامه وأحزانه، لأن التعامل مع اللُّغة يعني تحويلها إلى لغة شاعرة أو إلى أدب .. خيال، لأن أهم مقاييس الأدب؛ العاطفة ودونها لا يمكن أن نكتب.

"قلت لها:

لا تتركيني وحيداً ضمّيني أكثر

واتركي نبضك يلامس قلبي الضَّعيف

لعل القلب يخفق من جديد .."

إن لُغَته تمتلك القدرة على لمس وجدان القارئ؛ تجعله يختلج في عوالم السحر والرُّومانسية منتقلاً إلى عالم الجمال والرّقّة وهو يبتسم ويستشعر الدِّفء في قلبه بعالمٍ من السَّكينة والأمل.

فتترك أثرها فينا وتجعلنا كالفراشات الَّتي تحلّق في أرجاء الأفق وتنثر عبق الورود في كلِّ ركن مهما كان صغيراً.

لقد أمضى المبدع الرَّاحل ثلاثون عاماً في الأدب واللّغة وقد عرف أسرارها وبلاغتها، وكان يعمل في معظم كتاباته على إجبار اللغة لتعبّر عن تجربته (كان يُدخل الكلمات في علاقات أخرى يُخرج اللغة من ذاتها، يجعلها تعمل بعيداً عن معناها العُرفي). مثل هذا النص الرائع:

"ليستْ كلّ الأوراقِ قابلةٌ للسقوطِ..
قلتُ لها:
ما زلتُ أتَّكِئُ على عصايَ،
أنتظرُ الهدهدَ كي يأتيني بأخبارِ
الذين كانوا هنا أمس، لا تنظري إليَّ نظرةَ حزنٍ أو عتابٍ،
فأنا يا حبيبتي أخجلُ من عَينيكِ حين تُعاتبني.
اتركيني هنا وحيداً،
أُناجي الشَّمسَ قُبيلَ الغروبِ،
أسألُها عن الذين عبروا، والذين لم يعبُروا،
بيني وبينهم جدارٌ من زجاجٍ شفّافٍ،
وراؤَهُ آلافُ الأحلامِ المعذّبةِ،
وآلاف الأماني المُهترئةِ،
وآلافُ الأفكارِ المُهاجرةِ.
أتَّكِئُ على عصايَ، لعلَّها تفلتُ من يدي،
وتشقُّ الأرضَ نصفينِ: نصفاًيدورُ،
ونصفاً يتوقَّفُ عن الدَّورانِ،
أتخيَّلني كهذه الأرضَ،
نصفٌ ميتٌ، ونصفٌ حيٌّ،
نصفٌ يتوقَّفُ فيه الزَّمنُ،
ونصفٌ يتوهَّجُ فيه الزَّمنُ.
أتَّكِئُ على عصايَ،
وأعلمُ أنَّ الهدهدَ لن يأتيَ،
فالآبارُ والينابيعُ المُزدحمةُ بالذّكرياتِ والأفكارِ
جفَّتْ منذ سنين.

أتكِئُ على عصايَ، أراقبُ آخرَ ورقةٍ
على أعلى غصنٍ في شجرةِ العمرِ
تُقاومُ الرّيحَ والأفكارَ الغريبةَ واللُّغاتِالهجينةَ
وتأبى السُّقوطَ.
تشدُّني كثيراً هذه الورقةُ، تُخالفُ كلَّ الأوراقِ
برغمِ كلَّ هذا الجفافِ ما زالت خضراءَ
أُصغي إلى صوتِها، وهي تُحاورُ الجذورَ،
تقولُ لها: تمدَّدي أكثرَ
تجاوزي كلَّ المناطقِ الجافةِ
اذهبي بعيداً .. بعيداً نحو أماكنِ الماءِ,
اقطعي كلَّ فيافيَ السَّرابِ
تسلَّليمثلَ الجنودِ، أو مثلَ مُحاربي الأدغالِ والأنفاقِ
نحو معاقلِ الماءِ،
لا تخشَي حُرّاسَ الماءِ، فالجذورُ القويَّةُ تشقُّ الأرضَ
كما النُّسورِ التي تشقُّ السّماءَ.
وحدَها الجذورُ لا تخشَى العواصفَ،
ولا تخشَى الرّياحَ.
وحدَها الجذورُ كطائرِ الفينيقِ
قادرةٌ على التَجدُّدِ
والولادةِ من جديد.

كلَّما تساقطتْ الأوراقُ،
وتكسَّرتْ الأغصانُ, وتفتَّتِ الجذوعُ،
ستبقى الجذورُ تمدُّنا بأجنَّةٍ لا تموتُ،
وخلايا لا تتوقَّفُ عن النموّ.
فلا تخشَي يا حبيبةُ على النَّوعِ،
ولا تخشَي يا حبيبةُ على الأصولِ.
كم مرَّةٍ تساءَلتُ عن رحلةِ جلجامشَ
وهو يبحثُ عن نبتةِ الخلود؟
كم مرَّةٍ تساءلتُ لماذا لم يبحثُ عن الجذورِ،

ألم يكنْ يعلمُ أنَّ الجذورَ هي الوجهُ الآخر للخلود؟
ألم يكنْ يعلمُ أنَّ الجذورَ كالنُّسورِ ستبقى حرَّةً،
عصيَّةً على السّجنِ والاعتقالِ؟

فهذا الأدب، بما فيه من خليط شِعري وسردي، إنما هو لدليل على قدرته الحقيقية كشاعر يُخرج اللغة من واقعيتها من خلال الأسلوب الذي يمنحها طاقة جديدة.

أما فيما يخصُّ المرأة فقد كان الراحل دائماً حين يكتب لا يكتب إلَّا لها مهما كانت الكتابة سياسة، رومانس، غزل، فالمرأة عنده هي السرديّة الكبرى، التي تمثل رموز كثيرة في الحياة فهي عشتار وميدوسا وأثينا .. "قلت لها:

لُغَتي بنتُ الحُبّ
وبنتُ الدّموعِ فيها الكثيرُ منّي
والكثيرُ منكِ ..
لُغَتي سليلةُ النَّارِ والماءِ
كلّاما كتبتُها اكتشفُكِ واكتشفُ ذاتي .."

إلى جانب ذلك الرّكن اللطيف لديه بما يخص المرأة، كان المبدع الرَّاحل أيضاً يعبّر عن الحرية والتعايش باستخدامه لرموز تمثل الخلاص مثل طائر الفينيق ويترجم في كتاباته رفضه للطائفية، للفقر، إنَّه إنسان رقيق حسّاس في عالم مأزوم خصوصاً في ظلِّ ذلك النَّوع من التَّحجّر والتَّكفير لدى البعض، ولذلك آلمه كثيراً ما حدث في دمشق فكان ممّا كتب:

"من وحي دمشق 2
دمشق
حين أبحر في جراحك .. يأخذني النزف إلى عقول أصابها مرض الصحراء، فأجدبت وأمحلت إلَّا من زيتٍ تصبّه على النار .. لتحرق الشام.
من وحي دمشق 3
دمشق
أحاول أن أقرأ .. ما يكتبه بكاء النساء والنازحين وجوع الأطفال والمحاصرين ودم عجوز يسري في عروق بردى لأفهم كيف تتناسل الخيانة والعمالة في خلايا الملح والرِّمال.
من وحي دمشق 4
دمشق
ما زالت رِجال الفتنة والقتل تُشدّ إليك كل صباح ومساء ..

وعرّابهما رجال عاهدوا الشيطان أن يجعلوكِ مدينة أشباح خالية إلّا من نباح كلاب وعواء ذئاب جاؤوا بهم من مشرقٍ ومغربٍ وجنوب وشمال بأقنعةٍ من جهاد .. عفواً دمشق، فنحن محكومون بعقولٍ عرجاء." .

ما زال في جعبتي الكثير وكل ما تركه الراحل في أعماق نفسي كان له أثر إيجابي، جميل، طيّب لكي استمر وأنا التي أبحَرَت في عالم الأدب بعد عامها التاسع والأربعين وكُلّي امتنان لصبره واحتوائه وتَفَهّمه.
فأنا حديثة العهد في هذا العالم الساحر لكن بفضله عندما كنت أذهب للبحث والتَقَصّي بعد أن يرمي حجره في عقلي؛ أشعر بأنني قديمة كالأساطير.
فكنت ابنة الشام ..
التي زرعت في حديقتها مساكب حبق ونعناع وانتقت شتلاتها بمحبة واتقان حتى ضاع العطر قصة وقصيدة ورواية.
لقد كان الرَّاحل الدكتور عاطف؛ كالنُّور السَّاطع في آخر النّفق، أمسكَ بيدي لأستدلَّ على النُّجومِ فأَحدَثَ فرقاً كبيراً في سمائي.

"كم أنا سعيد يا حبيبة
حين تكون ذاكرتي مطفأة
فذاكرتي عابقة بالأسرار
والقصص التي تقال
والتي لا تُقال ...
لا أريد لذاكرتي أن تعمل
ولا أريد لذلك اليوم أن يأتي
لكنني على يقين
من يوم سيأتي
أشهد فيه ولادتي بموتي

هامش:
كم قلت لك يا حبيبتي أنَّ الذَّاكرة موت."

معلمي طيّب الله ثراه وأسكنه فسيح جنّاته
جمانة عزّام
كاتبة من سوريا

دراسة تحليلية عن شعر الدكتور عاطف الدرابسة



الشّاعرة والكاتبة المغربيّة سعيدة الرغيوي

15

توطئة:

يرحلُ الشُّعراء والكتَّاب ويتركون الأثر، يحفرُون في عُمقِ اللُّغة جذورهم، كينُونتهم التي لا تموت..هوامشهم عطشٌ مُتَجدِّدٌ لا ينضُبُ..يُحَلِّقونَ دوما في سماوات الإبداع، ينثرون في أفضيةِ هذا العالم بوحهم الشَّفيف،أغانيهم / أشعارهم الخالدة.

هي مساحة الحياة بوحٌ، وصهيلٌ، واحتراق..هو الكاتب والأديبُ عندما ينكتب، ويحترق بفعل الكتابة يعلن عن بصمته الخاصة، يصهل كتابة ،أو تشكيلا، أو تصويرا، أو نحتا، ليخمد نيرانه ونيران العالم الذي يحيا فيه، ولعل الصَّهيل كتابةٌ، يعد أحد أكثر الأنواع صُعوبةً وترجمةً وتأويلاً؛ إذ الكاتب أو المبدعُ أو الأديبُ وهو يكتبُ، ويعبر بلغته الخاصة، يتُرجمِ رؤيته وتمثله للعالم.

فالذات المبدعة المتشظية تحترق، لتبدعَ أثراً يليق بها، وبكل متعطِّشٍ للمادة الإبداعية.

تغادرنا الأرواح المبدعة، بيد أن بصمتها تظل حاضرةً فينا، نعيد قراءتها، والتحرُّش بنصوصها متى نادتنا، فنعقد معها جلسات، ووقفات و فصول ، وأعمار ..فعمر الإبداع والكتابة ليس محددا ولا منتهيا، متجدِّدٌ هو بفعل القراءة والتَّفاعلِ ..دينامي يمُوجُ حياةً وثورةً وثروةً.

لغته الشِّعرية ينحتها من آهات الذَّات وتجاذباتها، يمنحُها قداسةً خاصة، ويعجِنها بسِحْر الكائنِ الحرِّ الممهُورِ والمجبولِ على النَّورةِ والْغضبِ. والصَّهيل.

يقول في أحد نصوصهِ الشِّعرية :

افتحوا خزائن لغتي
فهي مليئة بالعواطف
والغرائز
والآلام..

يجْعلُ للغةِ أشرِعةً مفتوحةَ على تصويرِ العالمِ الباهتِ الظَّالمِ؛ فهيَ تختزِلُ كل فوْضَى العالم بامرأة وُلدَت من قلم رَصَاصٍ وحِبْرٍ وماءٍ.
فهي ليست لغة نورانية ولا نارية ولا ترابية.

لُغتي امرأة
ليست من طينِ البشرِ
وليست من نور
وليست من نار
...الخ.

لُغته تُسافِرُ في عوالم ذاته الذي ينوءُ بالأنين، والوجع، والصُّراخ، يبحثُ هو عن معانٍ لا تشبهُ الأشياء، فذاته تتوقُ إلى عالمٍ مُختلِفٍ، تكُونُ فيهِ القصيدة الصَّامتة ديْدَنُهُ، قصيدة متأبية، ترفضُ الكلمات والرُّموز والإشارات.

يقول :
ليت لي مفتاحاً أفتحُ فيهِ باب لُغتي
لأكتبَ قصيدة صامتة
أو أكتب قصيدة من دون كلمات
أو رموز
أو إشارات...

هو الحَالمُ بلغةٍ مختلفةٍ ليقيم فيها إلى آخرِ العمر..
يعزفُ على وتر نغمٍ يأخذهُ إلى عالم اللاَّشيء و اللاَّتسمية.

يقول :

ليتنا يا حبيبةُ نقطع العُمر في هذا الوجود
كنغمٍ يخرجُ من قيثارةٍ أو عُودٍ
ونقيمُ إلى آخر العُمر
بلا أسماء..وبلا أشْياء
يُغنِّي لحياةٍ آمنةٍ مُسالمةٍ، ويعشقُ السَّكنَ في هديلِ الحمامِ.

يا زهرة العُمر البَريَّة
تعالي لنسكنَ معا
في هديلِ الحمامِ
فالياسمين البريُّ
لا يُقيمُ في حُقولِ النّار
أو في فمِ بُركان
...

قصيدته / قصائده سلالة ضوء، تتجدَّدُ كما طائر الفنيق : (قصيدة من سُلالة ضوء).
هي ألحانهُ تُعزَفُ، فيستيقظُ الوتر النَّائم ويتمايلُ، ليُعانقَ أفضية الحياة، وينتصر على الموت والشُّحوب في زَمنٍ مشْحُونٍ بالصِّراعات والتَّوترِ والقلقِ .
يكتبُ قصائده / نصوصه في حوارية مع الذَّات الأخرى/ القصيدة الأقرب إليه المنحوتة من نوافذ الذَّات وأصواتها المتعددة.
يقول:
أقفُ أمامَ نافذتي؛وأرى
خطواتي تهربُ مِنِّي،
وعيني ترى أشياء لا تُرى؛
وكأنَّها تستجدي المطر أنْ يشرحَ لَهَا
ما تَرَى؛
يرنُو إلَى وِلادَةِ قصائد المطرِ الْبليلةِ، إذْ يعتبر الكلمات ثورة وكتابا..
يدعو نديمه / حبيبته إلى التَّحوُّلِ إلى بذرة نخيلٍ ..إلى عِناقٍ وحياةٍ بعدما اسْتغْرَقَ العالم الجُنون والاكتِئاب والمرض؛ فحبيبته مختلفة عن العالم الْموبوء، الْمُصاب بالاعتلالِ، الذي باتَ جحيماً لا يُطاقُ.

يقول :

أنا أحياناً أقلُّ كلاماً
لأنَّني أنشغلُ بحقلي الذي أينع
في غربة الرُّوح ..أسقي بعض
الثمار كي تنضج ..أتفقَّدُ بعض
الزُّهور ..أبتسِمُ لها..نتواعد
عند البستاني لنهديهِ أريجاً
وتسطع الشَّمس فيبتسمُ الصَّغير
الذي غادرته أمَّه دون وداع في
فصلٍ بارد.. !!
ويضيف في نصّ آخر موسوم بعنوان: " الْكون البديل"
تعالي نتحوَّلُ إلى بذرة نخيل تغفو
تحت الأرض ألف عام؛ فنحنُ من
سلالة النَّخيل، نستخرج من رحم
الأرض معاً، نتسَامَى معاً، نسمقُ
معاً نخلتين، على هيئةِ حَبِيبَينِ
في حالَةِ عِناقٍ.

هو الشَّاعرُ يدعو حبيبتهُ إلى الْعودةِ إلى رحم الأرض والانبعاث من جديدٍ بسُموقٍ وسُمُوّ ..فقد سئِمَ ما باتَ عليهِ العالمُ من لعنات خبيثةٍ ومسْخٍ وتَحَوُّلٍ بَشِعٍ.
" عاطف الدَّرابسة" شاعرٌ يتعلَّمُ العُبُورَ الأنيق، يستَمِّدُ بهاءهُ الشِّعري من الشَّمسِ الوضيئة.

أعيدي الطَّريق إلَيَّ
أُريدُ أنْ أتعَرَّفَ من جديدٍ إلَيَّ
فأنا ما زِلتُ كالشَّمسِ الصَّغيرةِ
تُحاوِلُ أن تتعلَّمَ الشُّرُوقَ والضَّيَّ.

عميقٌ جدا.. يتَأمَّلُ الحياة والموت.

أورد في هامش نص : " الموت العميق" :
" حينَ يكُونُ الموتُ عميقاً. لا فرق يا حبيبة بين المقابر والفنادق".
بين النصوص المستهلة بـ : " قلت لها " و " قالت لي " تكتمِلُ صورة شاعر مُبدعٍ يستغرقُهُ الْوُجُود والحُب والموت والحُرية والثَّوْرة ..فهو كائِنٌ حسَّاسٌ يُمَوْسِقُ حرفَهُ لِيَكُونَ مصل القصائد ثورة / حبا / ضياء.
يقولُ:

هاتُوا ظلامكم، وخُذُوا الضِّياء..
قلت لها:

حِينَ يتحرَّرُ الْعَقْلُ
تتَّسعُ المسافةُ لذَاكرةِ
تفوقُ حدَّ المعقول..
يدعو حبيبته إلى العودة .. لتعود
له الحياة بهدير موجها، بحنينها
وبهديلِ حَمامِها ..

قال لها :
أعيدي إليَّ الْحمامَ
أعِيدِي إلَيَّ الْحمامَ
الْهَديلْ
أعيدي إلى الْموج
الْهدِيرْ
أعِيدِي إلى العمرِ
الْحَنِينْ

أشْعَارُه " عاطف الدرابسة"، تأمُّلات، ووقفاتٍ فِي الْحياةِ والْوُجُودِ، تَنْهضُ التساؤلات في نصوصه الشِّعرية لِتُعَرِّي قلقَ الذَّات الشَّاعرة، الذي باتت تعصف بهِ أنواء الغربةِ، إذ أتت على كلِّ تفاصيلهِ الجميلة.

...لم أعدْ أمتلكُ شيئاً سوى:
بقايا وطنٍ كسيحٍ

يحتاجُ لألفِ نبيٍّ
وألف رسول
وألف مسيح
فصوته الشعري؛ ينِمُّ عن إيمانهِ بقدرةِ الرُّسل والأنبياءِ والرُّهبْانِ على إعادةِ الْحياةِ لِساقِ الوطن الْكسيحةِ؛ فهو رَغْمَ ضبابية العناوين، ما يزالُ يرنُو للسَّلامِ والْحيَاةِ.
يقول في ذات النص الذي اجترح له عنوان: " لا أملكُ شيئاً أقولهُ":
لم أعدْ أمتلكُ سِوى
وقت ضائعٍ بين الْخُرافاتِ
والْأساطيرِ
ولوحةٍ لحمامةٍ بيضاء
وغصنِ زيتون.

فرغم إقراره بعدميته وبُؤسِه، فهو ما يزال يتجوَّلُ في عالمِهِ الخاص، يُرَتِّبُ أبجدية السَّلام : (لوحة لحمامة بيضاء وغصن زيتون).
يبني مجازاتهِ واستعاراته التي تنضَحُ برسائل الْمحبَّة والسَّلامِ، وتعزِفُ ملاحم البدء وسفر التَّكوين والطُّوفان.
هو يوسف المعاصر، الذي لا إخوةَ لهُ ولا أب، لم يُلق في جبٍّ؛ إنَّما مُنْذُ ولادته والشَّقاءُ يَلُفُّهُ.

أنا يوسفُ
مُواطنٌ مُهْملٌ
يصطدمُ بعد الحلم والتَّحليق
بأنَّهُ ملقى على الرَّصِيف
مِثْل الحاويات
أو مثل بقايا
(كراتين البقالات)

هو يوسف الحلم الخائِبُ
المتعثر..بلا رسالة
ولا حكمةٍ
ولا كتابٍ
هو يوسف المحكوم بسنوات عِجافٍ ينْتَفي فيها الحب والمطر وتُقْبَرُ الأحلامُ.

قصيدة " أنا يوسف"

حقوله قفراء يابسة، يعرفُ الشَّاعرُ كيف يُنصِتُ لألمِهِ، وكيفَ يُصَوّرُ حزْنَهُ، وهو الْفاقدُ لبوصلةِ الْحياةِ الْكريمةِ في وطنٍ جاحدٍ.

مُذْ وُلدتُ
وأنا أنْتشي
من خمرِ الرَّصيفِ
وأحتمي من شِدَّةِ الْحرّ
في ظلِّ حاوية على الرَّصيف
وحدَهُ الرَّصيفُ يضمُّهُ ويحتويهِ، ويصرخُ فيهِ اليُتم (طفلاً شريداً)
من أوَّلِ النَّهارِ إلى أوَّلِ اللَّيْلِ

سطورٌ حزينةٌ ترتسمُ في قصيدة " أنا يوسف" بكائية يوسف الشَّاعر الذي يعيشُ في الْعراءِ.. لا حضن.. لا وطن، لا حُبَّ؛ وحدَهُ الرَّصيفُ يُرَمّمُ ذاكرةَ وَجَعِهِ ويُتْمِهِ، فذاكرةُ الشَّاعر حُبْلى بالْوجعِ، يريدُها عاطلةً عن العملِ / عاجزةً؛ فمتى اشتغلت الذَّاكرة كان موتهُ.

يقول:
لا أريدُ لِذاكرتي أنْ تَعْملَ
ولا أريدُ لذلكَ اليوم أن يأتي
لكِنَّني على يقينٍ
من يوم سيأتي
أشْهدُ فيه ولادَتي بِموتي

يشْربُ الشَّاعرُ ظَمأهُ .. فلا يكُفُّ عن التَّأمُّلِ في الْوُجُودِ والْعالمِ، وهذا ما يُسْتَشَفُّ من مجموعةٍ من النُّصوص ذاتُ البُعد التَّأمُّلي؛ نص : " بين الأنا والغيب" ..ما يزالُ الشَّاعرُ يُتَرْجِمُ أنفاسَهُ التي لا تهدأ، التي تقرأُ العالم بِحِسٍّ نَقديٍّ عمِيقٍ، لا يقبلُ بالْجاهِزِ والْكائنِ والْيقينِ.

قُلتُ لَهُ:
هل للغيبِ سقفٌ، هل للغيبِ رحِمٌ،
هل الغيبُ عقيمٌ أمْ أنَّهُ مُتْخَمٌ
بالأسرارِ، والخُرافاتِ؟ ربما من

الجنون أنْ نُطَارِدَ هذا الغيبَ، أو أن
نُحاوِلَ الإبْحارَ بِهِ.
...الخ.
من قال لك أن تُحدِّقَ في الغيبِ ؟ فالغيب
مرايا، والمرايا يا صاحبي لا تنفعُ الضَّرِيرَ

فالشَّاعرُ في الأسطر الشِّعرية أعلاهُ يعتبرُ الغيبَ مَجَازاً مُخادِعاً..
يمتطِي صهوةَ التَّخْييلِ لِصُعُودِهِ الشِّعري الأنيق، فيعزِفُ على وترِ الْمجازاتِ الْبديعة والمتمنيات قائلا:

ليتَ لي مِفتاحاً كعصا موسى
لأشُقَّ طريقاً
في بحرِ لُغتِي
أجْعلُ الأسئلة
التي تتَّقِدُ في أعماقي تنام
كم قلتُ لكِ يا حبيبةُ
إنّي لا أُحِبُّ الأسئلة اليقظة...

هكذا طُويت صفحة الشَّاعر الْمُشاكِس غير الْمهادِن، الذي يُباغِثُ الأسئلة ويتأمَّلُ الْوُجُودَ والعالم برحيلهِ عن عالمِنا الذي عرف كيف يُحاوره، فانتصر على قبُحِه بروحه الشَّفيفة الميَّالة نحو السُّمو والسُّموق.
غادر هذهِ الحياة، بَيْدَ أنَّ أشعَارَهُ / نصُوصهُ ما تزالُ تَعيشُ بيننا، نسائلها وتُسائلنا، فَتُرْبِكُ مسافاتِ الصَّمْتِ فينَا، لِتَشتعلَ قراءاتٍ ونُصوص جديدةٍ؛ نستقي فُصوصها اللُّغوية، وعلاماتها من حدائق الكتابة التي خلدت بين عُشَّاق الحرف والإبداعِ الْمائِزِ الْمُنافحِ عن قضايا الإنسان وقِيمِهِ.
تُحِسُّ بالنَّهم، كُلَّما أقبلْتَ على نص من نُصوصه.. تأسِرُكَ فرادة اللُّغةِ وعطشُ السُّؤالِ الْمبثوثِ في كلِّ قصيدةٍ / نصٍّ / حوارٍ : قلت لها / قالت لي.

وطنه كمَا تكْشِفُ عنْهُ نُصوصه" حبيبةُ" التي تحضر هنا بالاسم، فهي المبتدأُ والْمُنْتهى
قال لها :
لم أكنْ أتَصَوَّرُ يَوْماً
أنَّ حُبّكِ وطنٌ
وحزْنك وطنٌ

وحرفك وطنٌ
إذا مَا خَذَلَنِي يَا حَبِيبَةُ
الوطن.

جُغرافيةُ الشَّاعر وجسده يعْبُرُ كل أرْصِفةِ الْمُدُنِ الْمُحْترقة:
(بغداد،الشام،صنعاء ،بيروت،عمَّان،القاهرة،طرابلس،تونس...).يحترِقُ الشَّاعرُ للصَّمتِ الْمُخَيِّمِ .

يقولُ :
حاولتُ كثيراً
أن أقتُلَ فيكم
الصَّوت الأخرس
فإذا بي الْخارجُ
عن الْقيمِ
والأعرافِ
والتَّقاليدْ
كأنِّي حفيدَ الشَّيطان !
صُراخُهُ، صَهيلُهُ مُمْتَدٌّ ،لكن حالُ الْعُربِ لمْ يستقمْ..

هل تذكرون
لقد أفنيتُ عُمراً
وأنا أشُقٌّ فِي عُقولكم
طريقا إلى اللَّهِ
وحينَ رقصتُ مع موج الْبحْرِ
وغِبْتُ عنْكُمْ ليْلَتينِ
وَفِي اللَّيلةِ الثالثة
عُدْتُ أبحَثُ عن الطَّريق
فلمْ أجِدْ سِوى نفق
تحت جبلٍ راسخ
مُنْذُ آلافِ السِّنين
هُناك وجدتكم ترْقُصونَ

في جحيمِ السُّلطان !

فالشَّاعِرُ يُعَرّي الْمرايا الْمُقَعَّرة للعربِ، وما آلوا إليهِ من ضَعْفٍ وخوَرِ واندِحَارٍ ولَهْوٍ وهزيمةٍ.

هل يسكنُ ويفترُ صوتُ الشَّاعر بالموتِ والرَّحيل ..محالٌ ..محَالٌ.. !!
هو الشَّاعرُ طائرٌ مُغَرِّدٌ، مُسَافرٌ في السَّمَاواتِ الْبعيدَةِ المُتلألئةِ.

يقول :
احمليني إلى هُناك
لأكتُبَ للآتينَ بِلُغةِ النُّجُومِ
أوَّلَ الرِّواية
وآخرَ الرِّواية..

أقول، لقد حفرت تاريخك الشِّعري، ونحتت اسمك الإبداعي بمدادٍ من فخرٍ و إباءٍ..فصرت ممجداً فينا، فكانت مشيئة الله أنْ تكتبك الأقلام ويخلدك الحرف النَّبيل، وإن رحلت عن دُنيانا.
فطُقُوسُ الْخِصب عُبُورك الشِّعري.
تخفقُ فينا، تُلهِمُنا قصائد حياةٍ وميلادٍ ورقصٍ وعيدٍ.
في شُقوقِ اللُّغةِ نبتت أشعَارُكَ الْمسقية بماء الرُّوح ،وعطشِ الْحنين، وجلَدِ الصَّمتِ، لغة تُكَسِّرُ الْمرايا الخائنة، وتبعثُ علَى الصَّهيلِ ورُكُوبِ الْموجِ والْوُقُوفِ فِي وَجْهِ الْعواصفِ والخضَّات، ناثراً زهرَ الْمحبَّةِ والسَّلامِ بحِبرِ الحلم والْكبرياء.

قلتُ لها :

الحُلم
عيناكِ
أحاولُ أنْ أصْنَعَ
منْ حرْفِي
ومن ضوئكَ
سُلَّماً
لِأصعدَ إلى أقصى

أقصى الحلم
سأَدْنُو أكثر
هُناك
أرى يا حبِيبَةُ
ما لا يُرى
أوضح..

بواسطة عقد اللغة الفريد؛ يُحرّرُ ذَاتَهُ،يُشْهِرُ حُسَامَ الرَّفض والتَّشْكيك بين الكائنِ، والْمُمْكنِ في أرْضٍ عُدَّتْ مهدة الدّيانات ..فما يُترجِمُهُ الْواقع يَنْفي ذلك.. واقع الانْكسار والْهزِيمة والطُّغيانِ والنَّومِ.

ما يفتأ يعلن ثورته يقول في أحدِ نصوصهِ:

سَأُغَيّرُ تاريخي
أشُكُّ بسُلالتي؛
فأنا ما كُنْتُ يوماً
من عربِ الْجنوبِ
أو عربِ الشَّمَالِ
لا حَسب لي
ولا نسب
سِوَى سيفِي
أو قلمي
وَعُودٌ بلا وتَرٍ
وبقايا أمنيات ..

إلى قوله :

قلتُ والقلقُ ينسُجُ في عينيَّ
خُيُوطَ الدَّهشة..
من أين جَاءَ إلى هذهِ الأرض
الْموتُ

والْقتلُ
والارهابُ؟
آاااااه تذكَّرتُ :
أليست هي مهدَ الذِّيانات؟
فالشَّاعر يعتبرُ هذا الإخفاق الكبير، وهذا الموت، وهَذِي الصُّور النَّازفة : (الموت، القتلُ، الإرهابُ).
بسبب الدين / الديانات ..لقد تعب الشأَّعر من كثْرَةِ صور الموت ،والخيبات ،والهزائم؛ لذلك يصعبُ عليه كتابة قصائد الرِّثاء.

خاتمة:
إنَّ قدر الشُّعراء أن يرحلوا، وقدْ امتلأوا حُلما، حُزنا، احتراقاً، أملاً ، فالشأَّعر يُحاورُ كل هاته الصور بمُرّها وحُلوِها ،الشعُّراء ينبضون بالحُبِّ والحياةِ والغِناء والأمل، وإن احترقت أجنحتهم وبُحَّ صوتهم ،ومورست في حقهم لعنات الحِصار ..هم دائما يحملون في صدورهم أوراق محبتهم، سلامهم، إنسانيتهم، إشراقة الشِّعر حينما يُشْرقُ هذا العالم ، بمداد أرواحهم يكتبون ويعبرون عُبورَهم الأنيق ..وإن رحلوا صامتين، فإن صدى كتاباتهم / إبداعاتهم تشهق في كل قارئ لهُم ..
فإليك أيها الشاعر هذه الورقة التي جاءت كقراءة لبعض نصوصك ..فسيرتك راسخة فينا من خلال صوتك الشِّعري ونصوصك..
رحل الشَّاعر وفي جعبته ألف سؤال وسؤال
ودهشة ووثبة حياة..

إلــى من رحلوا ..
وخلدتهم نتاجاتهم الإبداعية
ناموا.. استريحوا
فهذا العالم جنون ..
لقد أسرتم، ذائقتنا فاقترفنا هذا الحفر المتواضع في نصوصكم ..ناموا فحضوركم باذِخٌ فينا، يشعُّ سناه من خلال عبورنا ..
نحن مزهوون بصمتكم الأنيق ..

سعيدة الرغيوي
كاتبة وأديبة مغربيّة
/ ذات انتشاء وقراءة / مكناس – المملكة المغربية.

ناقداً، جمعتَ حمائم تعجُّبي



الشّاعرة والكاتبة المصريّة هدى عزّالدين

16

قال لي
بعد انتصاف الحزن
انتَصِري،
وأنا ما زلتُ، يا شاعر،
أنتظر النصر.
ارسم ملامح قلبك
على جدران العمر،
اقتل الموت واقترب
من أمسي.
امشِ على أمواج المتوسط
من جليم
إلى أعمق نبضك.
كنتُ أتأمل رياح التغيير
وأنتَ على منصات الحب
مجدداً.
أيها القارئُ للحق،
ناقداً، جمعتَ حمائم تعجبي،

قوسُك قوسُ فارسٍ وجد المفقود
من أعماق حروفي.
وأنا ألوان البلاغة بلون وردي.
أيها الزائر،
الحياة قسمتْنا قسمة حزينة،
تركتُ النصيب للفراق.
متكاملٌ أنتَ، وإن شدَّك القدر
من بين أحضان الإبداع،
نجمك الساطع بين ذراعي القمر
لا تعرفه إلا الشموس.

هدى عزالدين
شاعرة من مصر



عاطف الدّرابسة "مشاكس" حتى في رحيله



النّاقدة والكاتبة اللُّبنانية الدُّكتورة درية فرحات

17

رنّ الهاتف في السّاعة الثامنة والثّلث مساء من تاريخ العشرين من أيلول، يأتيني من بعيد صوت رنين الماسنجر، أسمع صوته يقول لي:

- طمنيني عنك كيف الوضع؟ خبريني عن لبنان، كما يبدو أن النّزاع تجاوز قواعد الاشتباك.

قلت له:

- أنا بخير، وسنتجاوز كل الصعاب.

قال لي:

- لا تستهيني بالوضع، مسألة البيجر "مش بسيطة".

قلت له، متجاوزة إشارته عن اعتداء همجي لبلادي:

- طمني عنك، صوتك لم يكن مريحًا في الأمسية الأخيرة.

وكعادته في المشاكسة يتجنّب الرّد، وينهي اتّصاله في أقل من دقيقة من دون أن يردّ على سؤالي، مكرّرا كلامه عن خطورة ما حدث. وهو الذي نشر في حائط الفيس بوك منشورًا بعنوان "هولوكوست البيجر"، وقد توقّع أنَّ هذا المقالَ لن يصمدَ طويلاً على صفحته؛ فقد يتعرَّضُ للحجبِ أو التَّحييد أو تفجيرِ الموقع برسالة مفخَّخة، والحجة معروفة. والمؤلم أنّ المنشور ظلّ على صفحته، لكنّه هو الذي لم يصمد.

وكلّ ما أعلمه أنّني منذ اتّصاله غبت في غيوم داكنة غاضبة رماديّة، جعلتنا نعيش في ألم وأمل، في تزعزع وصمود.

نعم رحل في يوم حزين كئيب، الخميس في السّادس والعشرين من أيلول، وفي معمعة ما أعيشه من نزوح في وطني، وغياب أحبّة، وانتظار فرج ونصر من الله، يأتيني الخبر برحيله، ولم أعد أعرف ما سبب دموعي التي انهمرت، هل هي على حالي أو على هذا الخبر المؤلم. شعوران تمازجا معًا.

وأسأل نفسي هل كنتَ نسمةً عبرَت في أفقِ حياتي؟ هل كنتَ حلمًا عشتُه في عالم افتراضي؟ فها أنت تغيب في زمن غبتُ أنا فيه عن العالم الافتراضيّ، وانكفأتُ عن الأمسيات والنّدوات الثقافيّة التي تشاركنا فيها أو تابعتك من خلالها، نعم معرفتنا الثّقافيّة هي في هذا العالم الوهمي الحقيقي، هو وهم لأنّ اللقاء كان عبر الشبكة العنكبوتيّة التي تمثّل جزءًا من ثورة الاتّصالات في القرن العشرين، سمحت بتشبيك الملايين من أجهزة الحاسب حول العالم، فتتصل مع بعضها البعض عبر الأسلاك والأجهزة اللاسلكيّة.

وكما كان اللقاء الأخير وسط ظروف عصيبة فإن سبب المعرفة كان بفضل جائحة كوفيد، واعتدنا أن نكون ضيوفًا في الأمسيات عبر منصّات متعدّدة، أو أن تكون ضيفًا دائمًا معنا في منصة ملتقى الحرف العربي التي تعوّدت إدارتها.

وتعوّدنا أن تكون لك نكهة خاصّة تميّزت بها في كلّ الأمسيات، قد تثير الغضب والزّعل من البعض، فيرون في نقدك تجريحًا لهم، وقد تتحوّل إلى صداقة ومودة مع من تقدّم له نقدًا لاذعًا، لكن في كل الأحوال فأنت تعبّر عن نفسك وعن روحك، ولن تقبل بأن تقول كلامًا لا ينبع من قناعاتك.

وكم من مرة أثرت اشتدّ النّقاش بيننا، فكانت تسميتي لك بأنك مشاكس دائم، وكم من مرة غمرتني بكلماتك المعبرة عن تقديرك لي، فكنت تقول إنّني من أنبل النّاس الذين عرفتَهم، وفي قولك هذا وسام أفخر به، ولسان حالي يقول عنك ما قاله الشّاعر:

المرءِ يُعرفُ في الأنامِ بفعلِه وخصائلُ المرءِ الكريمِ كأصلِه

وكم يسهل على الإنسان أن يواجه إنسانًا ويخبره عن أفكاره أو مشاعره، ويسهل علينا أن نتحدّث عن إنسان بيننا، فلا غصّة تمنعنا من متابعة التّعبير عنه أو الحديث عن أعماله، لكن يصعب علينا أن نقف لنكرّم من رحل عنّا، أو أن نتحدّث عنه.

وقد تخنقنا العبرات عندما نتصفّح صفحتك من آخر ما نشرته عبر الفيس بوك، فأرى فيه وكأنك ترسم نفسك في عالم آخر:

قلتُ لها :

فوقيَ سماءٌ

لا برقَ فيها ولا رعد

وتحت أقداميَ أرضٌ لا تدورُ؛

غرقتُ في الفراغِ
حاصرني السُّكونُ
فصرتُ أطوفُ حول نفسي
لعلَّي أُعيدُ للأرضِ الدَّوران ...

في نصّك هذا ألمح وكأنك رسمت موضعك الجديد الذي انتقلت إليه، هو الفراغ والسّكون، سكون فارس ترجل عن حصانه، ليبحث عن عالم جديد يقدّم له الدّوران من طوفانه حول نفسه، وكأنك تؤكد بأن الحياة ستبدأ منك.

وداعًا أيها الصديق العزيز، وداعًا يا من سنفتقد لمشاكساته، وداعًا لمن قدّم لنا إرشيفًا من الأمسيات الغنية بالفكر والنّقد.

أيها الصّديق هل هو الوداع الأخير... إنّني أخادع نفسي وأقول لعلني عند عودتي إلى أمسيات العالم الافتراضي –هذا إذا لم تطحنني همجية العدوان– بأنّني سألتقي بك من جديد في أمسية جديدة.

اعذرني أيها الصّديق أرثيك بكلمات خرجت عفو الخاطر فتقبّلها مني، واعذرني لأنّني أنا التي انتظر منك كلمات الاطمئنان التي تعودّتها منك.

أيها الصّديق إن رحلت عنّا لكنّنا لن ننسى حضورك الذي نشتاقه دائما.
وداعًا...

د. درية فرحات
قاصّة وناقدة وأستاذة أكاديميّة لبنانيّة

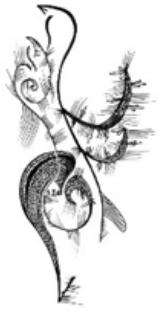

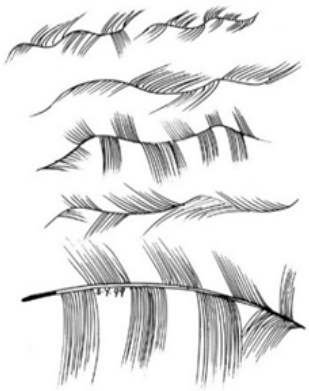

من البنيويّة إلى التفكيك



النّاقد والكاتب العراقي د. رسول عدنان

18

تعتبر البنيوية من أهم النظريات النقدية التي ظهرت في فترة الحداثة، وتعود أهميتها إلى أنها انصرفت إلى دراسة النصوص عن طريق الأجزاء والمفردات، التي تشكل أساس العمل الأدبي، وتُحلل العلاقة في ما بينها، بعيدا عن أي تأثيرات خارجية، سواء في ما يتعلق بالقارئ، أو بالمؤلف نفسه، إذ تقوم البنيوية على تحليل نسيج النص، أو بُناهُ الداخليّة المكونة له، ثم تعمد إلى تشريح كل بنية من هذه البنى المكوّن للنص لغرض إعادة تركيبها وفق رؤى وتصورات الناقد، أي وفق مفهوم الناقد لحيثيات النص وتصوراته وزاوية النظر إلى أجزائه، حيث يكون الناقد هو الحكم وقوله الفصل، غير معني بقصدية المؤلف، فقد يؤول النص تأويلا مختلفا عن قصدية صاحبه، في هذه النظرية يتحول النص من نص المؤلف إلى نص الناقد، حيث سعى البنيويون إلى وضع النصوص شعرا ونثرا في خدمة النقد، وهذا يقود إلى إلغاء النص الأصلي وإحلال نصّ آخر بدلا عنه، قد يكون نصّا مركبا أو نصا مبتكرا، يتخذ من النسخة الأصلية للنص منطلقا أو محفزا، لكن هذا سيقودنا إلى اتهام النقد بالقتل أو بالسرقة أو سرقة النص أو قتله، لصالح نص يقوم البنيويون بتركيبه من خلال تحليلاتهم وتشريحهم للنص الذي كان أصلياً، لكنه تحوّل إلى نص آخر تماما، جيّره الناقد البنيوي باسمهِ بعد أن أقصى المؤلف ومثّل بنصّه، وهكذا تحوّل الناقد إلى عبء على القارئ وتحوّل النقد إلى عبء على النص، حيث تقترب البنيوية كثيرا من الموضوعية، من حيث تقييم النص الأدبي على أساس شكله ومضمونه، دون النظر إلى نوايا المؤلف أو تجاربه الشخصية، أو حتى قصديته، ويعمدون إلى تحليل النص ككيان منفصل بعيدا عن أي عوامل خارجية أخرى، وتقييمه بعيدا عن مزاياه ومعاييره الخاصة، حيث يكون النص كيانا مغلقا حصرا على الناقد.

في البنيوية لن يكون هنالك أي دور للقارئ، ولا يوجد تأويل آخر للنص غير تأويل الناقد البنيوي، يعتبر عالم اللسانيات السويسري سوسير، عرّاب البنيوية وهو صاحب الرأي الذي يعتقد أن جمالية النصوص تكمن في هيأتها وشكلها، ويجب عدم إعطاء المؤلف أي دور في هذا الأمر، وتبعته في هذا جماعة براغ وحلقة موسكو، أو من يسمون بالشكلانيين الروس، وأخيرا تبنت جماعة تل كل هذه النظرية، التي أصبحت جزءا من وجود هذه الجماعة وهوية مائزة لهم، ونظرا لاعتمادها على اللسانيات تم نعتها بالثورة المنهجية، فما هي إلا واحدة من المناهج التي تتخذ من اللغة والتحليل الموضوعي قاعدة لها، للتحول إلى منتج للمفاهيم التي تبنى على أساسها الأفكار، وبالتالي كان تركيزها على أدبية الأدب بعيدا عن معناه، أو وظيفته، بالإضافة إلى التركيز على خصائص الأدب، ومن أهم وظائف الناقد البنيوي دراسة علاقات الوحدات والبنى الصغيرة بعضها مع بعض، داخل النصوص حتى يتسنى له تحديد النظام أو البناء الكلي الذي يجعل النصوص أدبا، فحسب هذه النظرية هنالك نظامان يعملان بشكل متماسك مترابط وهما نظام جزئي يقوم على دراسة علاقات البنى الصغيرة ببعضها، ونظام آخر كلي يقوم بربط هذه البنى بالنظام الكلي العام للنص من خلال وحداته، وحسب تعريف لالاند «هي الكل المكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ولا يمكن أن يكون ما هو إلا بعلاقته بما عداه»، وهذا يقود إلى حقيقة مفادها أنّه لا يمكن أن تعمل هذه الوحدات أو البنى منفردة، بل يكون عملها متماسكا مكملا لبعضه، ولن تكون هنالك أي قيمة لهذه البنى أو الوحدات منفصلة، وأخيرا تعمل البنيوية بثلاث خصائص، أولاً الكلية أو العلاقات والإحالات بين العناصر الداخلية، ثانياً، التحولات أو حركات البنى المستمرة، التي تتحول إلى تراكيب، ثالثاً، التحكم الذاتي أي قدرة هذه البنى على العمل معا، وأن يكون هذا العمل متماسكا.

التفكيك

يعتبر أكثر استراتجية نقدية في عصر ما بعد الحداثة، بما أحدثته من نقلة كبيرة في طريقة تحليل النصوص، وجاءت كردة فعل عنيفة على ما أحدثته البنيوية من إغلاق النص على الخارج، وحصره بيد الناقد فقط والإقصاء التام للمؤلف والقارئ معا، لذلك جاءت التفكيكية لتفتح النص على رؤى مختلفة وتترك النص يتجدد في كل قراءة، وأعطت سلطة مطلقة للقارئ، يتعامل التفكيك على فرضية أن النصوص لها ثغرات وحتى يتم عمل التفكيك عملا مائزا دقيقا، يجب الدخول إلى هذه النصوص عبر هذه الثغرات، وهذه الثغرات هي ليست عيوبا في النص، بل وسيلة للدخول إلى عوالمه، ولعل أجرأ ما يقوم به التفكيك هو الدعوة إلى هدم البناء القديم، وإقامة بناء جديد على أنقاضه، باستخدام الألفاظ ذاتها والفكرة نفسها، إنّه أشبه بمن يقوم بهدم بيت قديم ويستخدم المواد ذاتها لإنشاء وبناء بيت جديد، بدلا عنه على المساحة ذاتها من الأرض، وفي هذا يقول جاك دريدا وهو رائد التفكيك وأول من أسس هذه المدرسة بعد أن كان هيدغر أول من استخدم مصطلح التفكيك، خاصة في الفلسفة، إذا كان التفكيك مدمرا حقّا، فليدمر ما شاء من الأبنية القديمة المشوهة، من أجلِ أن نعيدَ البناء من جديد، لكنّ دريدا أعطى لهذا المصطلح آفاقا أوسع ونقله إلى مفهوم

نظري تطبيقي ثم تركه مفتوحا مشرعَ الأبواب، حتى يبقى متجددا عبر مفهوم الاستراتيجية، التفكيك الذي سلّم به دريدا يعني فكّ الارتباط بين لغوية المفردات، وكل ما يؤّولُ خارجَها، فالملاحظ على دريدا أنّه كلمّا توصل إلى معنى يسارع إلى نقضه، ولا يثبت على معنى بعينه، ولا يقف أو يصل إلى مركز أو مسار إلا ليبعده عن مكانه، وينأى بعيدا به عن خطه ويحوّله من دائرة إلى أخرى، وكأنّه في انهماك دائم عن النأي عن معنى ما، وترك الأشياء بعيدة عن ذواتها متشظية بلا هوية حتى تتحوّل تدريجيا إلى تراكمات من التحولات ولا حدود نهائية، وكأنّه قد ترجم عمليا مفهومه للتفكيك بهدم الأبنية القديمة وإقامة أبنية جديدة فوقها عبر مفهومه المثير للجدل والغموض بمنهجية «قوة تخريبية» الذي يعمل على نسف البناء القديم وإنشاء بناء جديد باستخدام المواد القديمة للوصول إلى معاني جديدة تتوالد غير قابلة للتوقف عند معنى بعينه؛ وهذا تماما ما قصده عندما سلّم برأيه المعروف، لا يوجد تفكيك نهائياً، لأنّها ببساطة استراتيجية تتوالد وتتجدد غير محددة الأفق، لكل قراءة قراءاتٌ حتى تضمن استمراريتها، وكأنها تستمد طاقتها وتجددها من توالي القراءات وتعددها للنص. بعد وفاة جاك دريدا واصل مجموعة من النقاد رسالته في التفكيك، خاصة في النقد الأدبي ومنهم ج. هيليس ميلر وبول دي مان وجيفري هارتمن وهارولد بلوم، هؤلاء يعتبرون بحقّ رواد التفكيك على الصعيدين النظري والتطبيقي.

الفرق بين البنيوية والتفكيك

بما أن التفكيك هو نقيض البنيوية، فلا بد أن يكون هناك اختلاف في الرؤى والتطبيق والنتائج، في البنيوية تكون فكرة النص التي جاء بها المؤلف هي الأصل، ولا يجوز تجاوزها، علما أن غالبية البنيويين في الحقيقة قد قاموا بتجاوزها، بل خلقوا نصا داخل نص، نص المؤلف ونص الناقد، ولاسيما في الشعر، أمّا في التفكيك فيكون المؤلف خارج النص وليس له أي دور، فهو قد أنجز النص وانتهى عمله، فحسب رؤيا التفكيك سوف يكون القارئ من يكوّن مفهومه الخاص للنص، حيث تتحول المعرفة إلى أحساس معنوي يدركُه ويحدده القارئ، حيث تكون ثقافته وذوقه وتجربته هي الوسيلة في التحليل والنظر إلى النص، لكن الأمر مختلفا تماما بالنسبة للبنيويين الذين يرون أن المفهومَ المعرفي أمرٌ مادي يمكن تحليله وضبطه بقواعد يستطيع العقل تفسيرها وتنظيمها، فضلا عن تقبلها والعمل على كشف حقائقها، دون تدخل طرف آخر مثل القارئ أو حتى المؤلف.

د. رسول عدنان
ناقد وشاعر عراقي

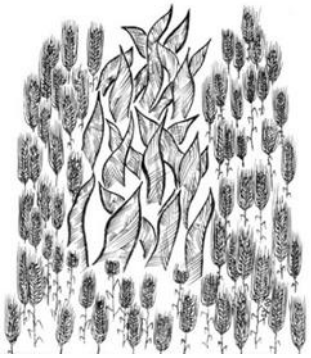

وا خجلتاه !

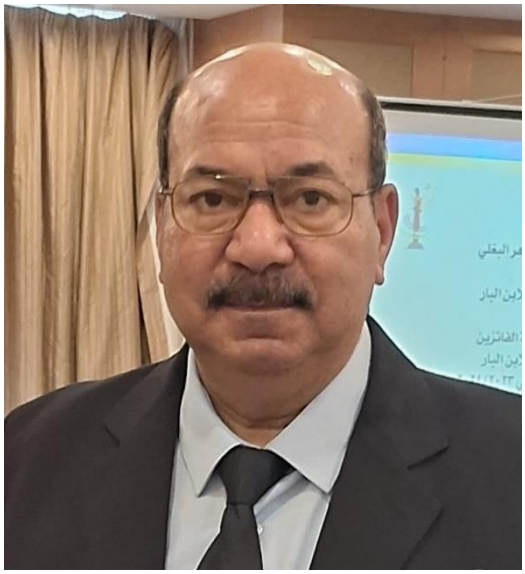

الرِّوائي والقاص والناقد محمد ياسين خليل الأقطعي

19

هكذا كانت لغتُه ، هكذا كانت شخصيته ، ذلك الطودُ المُنيف ، ذلك العاشقُ لضادِه ، ذلك المُتيم بإرثِ أجدادِه ، ذلك الوفيّ لفحولِ الشعراء وطبقاتهم .

ذلك المُنتصبُ فخراً ، المُشمَخِرُ بأنفهِ ، ولِمَ لا ؟ أليس هو سليلَ الجاحظ ، وحفيدَ المُبرد، والابنَ البار للأصمعي، هو رائحةُ سيبويه، وتِربُ الخليل بن أحمد، ورفيقُ طرفة بن العبد، هو الصاحبُ لعمر بن أبي ربيعة، والجارُ المخلصُ للزمخشري ، والجارُ بالجنبِ لابنِ منظور .

إنّه طيبُ الذكر، بليغُ الكلمة ، بديعُ العبارة ، رقيقُ الحواشي ، لينُ الجانب، نقيُّ السرائر ، عالي العمائر ، صادقُ الحجة ، آمنُ المَحَجة .

مَنْ إذا تكلّمَ أسمع ، وإذا تحدّث أفصح ، فتسمع له... وتستمتع ، وتُعجب لِعلمه ، وتُشدُه لفهمه ، وتُدهشُ لنظمِه ، فتنظر... وتتأمل .

إنّه ابنُ الدرابسة عاطفُ ذو الزادِ الكثير ، والعلمِ الوفير، بكتْه العيون، ورثتْه الجفون ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب الغفور، اختاره المولى ؛ ليكونَ في جواره ، فنعمَ الجارُ... جارُه .

وإذْ أستذكرُ مآثره ، فإني أذكرُ منها واحدة ، فلو أطنبتُ لأطلت ، ولكني أوجز في المقال لمناسبةِ المَقام ، شرفتُ بدعوتِه لمناقشةِ إحدى مجموعاتي القصصية في أحد المنتديات الثقافية ذات الشأن ، وأكثر ما

لفت الانتباه بجانب اهتمامه بتقنيات السرد في القصة والرواية إنه كان يُعطى الأولوية للغة وجزالتها وسلامتها النحوية والصرفية ، وكانت هذه عادته في كل منتدى يدعى إليه ، حتى صار هذا الأمر علامة بارزة متى ذُكر، وإذا تحدث في اللغة فكأنه يغرف من بحر .

ولما انتهت الأمسية ، راسلته عبرَ أحد تطبيقات التواصل الاجتماعي أشكرُه لحضوره ، وقراءته النقدية ، وأثنيتُ عليه بما يستحقه ، وبما هو أهلٌ له .

وسبقَ هذه الأمسية إقامةُ إحدى الندوات الأدبية التي تشرفتُ بالتواجدِ فيها بصحبته ، وكانت الندوة تتناول أحَدَ الأعمال الأدبية الفائزة بإحدى الجوائز العربية (المعتبرة)، وأغلبُ الحضور من النقاد رفعوا ذلك العملَ إلى عنان السماء ، مع أنّ هذا العمل الأدبي احتوى على بعضِ (التمريرات) السياسية والجغرافية التي تنزعُ حقوقَ أقوامٍ وتمنحُها لأقوامٍ، فانبرى كالضيغم الهصور، فاحتجّ، وناقش، ووضح، وفنّدَ بالحجة والبرهان. فلما انتهت الندوة راسلته . وأنا به مُعجب . شاكراً صنيعه ، ومُثنياً على سرعةِ بديهته، وغزيرِ علمه ، وعزةِ نفسه ، وقوةِ شكيمته ، وأرسلتُ إليه قائلاً " أنتم قيمةٌ وقامةٌ ، وعندما تتحدث فلابدّ أنْ يسمعَ الحضور" ، فردّ عليّ بكلمة واحدة هي عنوان المقال " وا خجلتاه " .

هذا هو المرحوم . بعفو ربه . الأستاذ الدكتور: عاطف الدرابسة ، لروحه جنة الرضوان، ولأهله الصبر والسلوان، ولأحبائه ولطلابه العزاء، اللهم استجب يا ربَّ الأرض والسماء، إنك سميع الدعاء.

الكويت في : 9- 11- 2024م

محمد ياسين خليل القطعاني

روائي وقاص وناقد مصري



الكاتب والنّاقد الأردني المبدع عاطف الدّرابسة

يغوصُ عميقاً فيما كانَ يُتوّجُ عمان في الماضي والحاضر



الأديب والتشكيلي السُّوري صبري يوسف

20

يخاطبُ الكاتب والنَّاقد عاطف الدَّرابسة عبرَ كتاباتِهِ الشّعريّةِ ونصوصِهِ الأدبيّةِ المرأةَ تارةً برهافةٍ رومانسيّةٍ، كما يكتبُ عَنْ حالاتٍ إنسانيةٍ اجتماعيّةٍ حياتيّةٍ تارةً أخرى، وعندما يخاطبُ الآخر سواءً امرأةً كانتْ، أو حالةً ما أخرى لا تتعلّقُ بالمرأةِ، كأنَّهُ يخاطبُ نفسَهُ أو يناجي نفسَهُ. ففي هذا النَّصِّ المجنّحِ نحوَ فضاءَاتٍ موغلةٍ في أصفى حالاتِ التَّجلّي، نتلمَّس مشاعرَ متداخلةً، ومحتبكةً بالحنينِ والتَّساؤلِ، وفيهِ الكثيرُ مِنَ التَّوجُّعِ، لِما عشناهُ، ولِما نعيشُهُ، ولِما يُمكنُ أنْ نعيشَهُ في مستقبلِ الأيّامِ، فهو يبدأ بِما كانَ معشَّشاً في مخيلّتِهِ، فمِنَ الجملةِ الأولى وهو يخاطبُ عَمَّانَ، يبدأُ بِما كانَ يراودُهُ، وما كانَ محلّقاً في مخيّلتِهِ المِمراحةِ، إذْ تتدفَّقُ انبعاثاتٌ وأنغامٌ موسيقيّةٌ لا تُحصى، وأغانٍ مِنْ أرقى الألحانِ، مِنَ الزَّمنِ الجميلِ، ومِنْ أيَّامِ البوحِ الرَّصينِ، وسرعانَ ما تتراءَى أمامَهُ إيقاعاتٌ بهيجةٌ ورقصاتٌ مدهشةٌ للعيانِ، ومنعشةٌ للخيالِ، ويتساءَلُ: هَلْ هذهِ الجمالياتُ الفرحيّةُ الموسيقيّةُ الغنائيةُ والرَّقصُ البهيجُ، عشناها أمْ أنَّها مِنْ وهجِ انبعاثِ الخيالِ؟! وتتراءَى لَهُ أجملُ اللَّوحاتِ التَّشكيليّةِ الموشَّحةِ بأسئلةٍ ومعانٍ وأفكارٍ وترميزاتٍ تقودُهُ إلى درجةِ طفوحِ الدَّمعِ مِنْ وهجِ الحنينِ إلى جمالياتِ أيّامِ زمانٍ، ثمَّ ينبلجُ أمامَ محيّاهُ ضياءُ المسرحِ في ذروةِ عطائِهِ في تجسيدِ أفكارٍ في غايةِ المضامينِ والّتي كانَتْ تعكسُ ما كانَ يموجُ في أذهانِ ذلكَ الوقتِ مِنْ طموحاتٍ وآراءٍ، يشعرُ وكأنَّهُ يرى أداءَ الممثّلينَ ويسمعُ أصواتَ أقدامِ خطاهم وحركاتِهم وحواراتِهم، مركّزاً على دلالاتِ الحوارِ ومضامينِ الحكايةِ والقصّةِ الّتي كانَ يقدّمُها الممثّلونَ بإيحاءَاتٍ متعدّدَةٍ، ويجمحُ بِهِ الخيالُ عابراً فضاءَاتِ وعوالمِ السّينما، حيثُ شاهدَ العديدَ مِنَ الأفلامِ في صالاتِ السّينما المحتشدةِ بجمهورٍ غفيرٍ، يملأُ الصَّالاتِ، كَمْ كانَ تفاعلُ الجمهورِ مَعَ الأفلامِ عميقاً، يصفّرونَ ويهتفونَ ويصفّقونَ، يفرحونَ ويتفاعلونَ بطريقةٍ بديعةٍ

ويصبحُ موضوعُ الفيلمِ جزءَاً مِنْ حياتِهم، مندهشاً مِنْ عطاءَاتِ تلكَ المرحلةِ الخلّاقةِ، ومتسائلاً أينَ اختفتْ وتقلَّصَتْ كلُّ تلكَ العطاءَاتِ الإبداعيّةِ بمختلفِ أنواعِها وتجلّياتِها مِنْ ربوعِكِ يا عمَّانَ؟!

كَمْ كانَ الكاتبُ مولعاً في فضاءِ القراءةِ، حيثُ غاصَ عميقاً في قراءةِ عوالمِ الشِّعرِ، تتراقصُ قصائدُ لا تُحصى في مروجِ الذِّهنِ ومرامي الذَّاكرةِ والخيالِ، منتعشاً ومتمتّعاً في قراءةِ أبهى القصائد، ومجنَّحاً في قراءَاتِهِ نحوَ رحابِ السَّردِ، مستعرضاً قصصاً وحكاياتٍ في أرقى زمنِ الإبداعِ، مذهولاً مِنْ طاقةِ التَّخيُّلِ عندَ كتّابِ ذلكَ العهدِ وأهدافِ قصصِهم وتجلّياتِ خيالِهِم الخلّاقِ، ويغوصُ عميقاً في عوالمِ الرّواياتِ الّتي قرأَها بشغفٍ كبيرٍ ومتعةٍ غامرةٍ، وكَمْ كانَ للقصائدِ والقصصِ والرّواياتِ حكاياتٌ ومواضيعُ وأفكارٌ ورؤىً عميقةٌ في فضاءِ التّاريخِ والخيالِ المجنّحِ نحوَ عوالمِ الأساطيرِ، نادراً ما نتلمَّسُهُ الآنَ في فضاءَاتِ مبدعي هذا الزّمنِ، مذهولاً ممّا كانَ سائداً آنذاكَ مِنْ إبداعٍ رغمَ حالةِ الفقرِ الّتي كانَتْ تحيطُ بظروفِ الكاتبِ، ورغمَ الفسادِ الّذي كانَ يحبو آنذاكَ في رحابِ يومِهم وحياتِهم!

والغريبُ فيما كانَ سائداً آنذاكَ، هو تكاثرُ السُّجونِ، وتوالدُ الدِّيكتاتوريّينَ، وهذا ما يجعلُنا نسترجعُ أيّامَ وعهودَ الثَّوراتِ، والمواجهاتِ العنيفةِ للانقلاباتِ الدّمويّةِ الّتي كانَتْ تقعُ بينَ حينٍ وآخر.

ينظرُ الكاتبُ إلى أعماقِ ما كانَ يجولُ في خاطرِهِ، وإلى مراحلِ حياتِهِ على مدى العقودِ الآفلةِ، بكلِّ ما شاهدَ مِنْ تجاربَ متنوّعةٍ ، فلَمْ يجدْ نفسَهُ يوماً منجرفاً إلى أيّةِ مغرياتٍ مِنْ أيَّةِ تجربةٍ مِنْ تجاربِ عمرِهِ، فما كانَ يشغلُهُ أيُّ إغراءٍ مِنْ إغراءاتِ الشُّهرةِ، أو المالِ، وظلَّ بعيداً عَنْ حبيبتِهِ عمّان مِنْ هذهِ الجوانبِ الإغرائيّةِ السَّقيمةِ. كَمْ كانَ يشعرُ أنّهُ بعيدٌ عَنْ جوهرِ ما يجبُ أنْ يكونَ، وما كان بوسعِهِ، أنْ يردمَ هذا البونَ الشَّاسعَ بينَهُ وبينَ حبيبتِهِ عمَّان وهوَ مطوَّقٌ بالجوعِ والحرمانِ، والإقصاءِ، ودكنةِ الزَّنازينِ في الإنتظارِ لو فتحَ فاهُ بكلمةٍ خارجَ مساراتِ أصحابِ الصَّولجانِ، ومحاصرٌ بكلِّ آفاتِ الكَبحِ والقُبحِ والانكسارِ.

شعورٌ بالقهرِ هيمنَ على عالمِهِ وأحلامِهِ وعلى فضائِهِ الشّعريّ، والإبداعيّ، وكأنَّ مَنْ يحيطُ بِهِ على عداءٍ مميتٍ مَعَ انبلاجِ شهقةِ القصيدةِ ومرامي الشِّعرِ ورحابِ الموسيقى والغناءِ، وهذا ما جعله يشعرُ بالأسى والأنين، كأنَّهُ محشورٌ في زنزانةٍ معتمةٍ، بعيداً عَنْ مهجةِ الجمال والكلمةِ الخلّاقةِ ورهافةِ الحرفِ!

صراعٌ مريرٌ كانَ ينتابُهُ، ورغمَ كلِّ ما كانَ ينتابُهُ مِنْ مراراتٍ، لَمْ يفكِّرْ يوماً بالهجرانِ والابتعادِ عَنْ ترابِ بلدِهِ. يشعرُ أنَّهُ جزءٌ مِنْ وطنِهِ، رغمَ كلِّ هذهِ الإنكساراتِ والفسادِ المستشري في أرجاءِ البلادِ، واقفاً بكلِّ صلابةٍ في وجهِ الصُّعوباتِ، حتّى أنَّهُ وصلَ إلى قناعةٍ أو شُبهِ قناعةٍ أنَّهُ لا يلومُ الحكَّامَ بما اقترفوه مِنْ كبحٍ وقمعٍ وظلمٍ، كما لا يلومُ الفاسدينَ على تكشيرِ أنيابِهم الحادَّةِ في افتراسِ خيراتِ البلادِ كأنَّهم مِنْ فصيلةِ الحيتانِ، مَعَ هذا لا يلومُهُم، بقدرِ ما يلومُ نفسَهُ، ويلومُ مَنْ هُم على شاكلتِهِ، لربّما يقصدُ بملامتِهِ لنفسِهِ أنَّهُ كانَ مِنَ الأجدى بِهِ وعلى مَنْ هُم على شاكلتِهِ الوقوفُ منذُ البدايةِ في وجهِ الأغلاطِ والانحرافاتِ والفسادِ والظُّلمِ، لأنَّهم لو وقفوا هذا الموقفَ منذُ البدايةِ، لِما تمكّنَ أحدٌ مِنِ ارتكابِ هذهِ الفظاعاتِ ونشرِ الفسادِ في أنحاءِ

البلادِ، فهَلْ هذا ما يريدُ قولَهُ في ملامتِهِ لنفسِهِ ولمَنْ كانَ على شاكلتِهِ، معتبراً أنَّ مَنْ يُلقِي أسبابَ تعاستِهِ على الآخرينَ ولا يعالجُها وكأنَّهُ هو سببُ تعاستِهِ وتعاسةِ غيرِهِ، فلا يمكنُ أنْ ينهضَ بلدٌ ما، أو مجتمعٌ ما، ما لَمْ يتعاونِ الجميعُ مَعَ بعضِهِم بعضاً ويقفِ الجميعُ ضدَّ الاعوجاجاتِ السَّائدةِ والقمعِ والفسادِ المستشري في البلاد، وإلَّا سيستمرُّ الوضعُ على حالِهِ ويزدادُ الفسادُ فساداً، لأنَّ الفسادَ يفرّخُ فساداً مضاعَفاً.

كَمْ شعرَ بالغربةِ وهو يتمشّى في شوارعِ مدينتِهِ عمَّان، شعورٌ مريرٌ بالغربةِ هيمنَ عليهِ، حتَّى أنَّهُ شعرَ أنَّ المدينةَ نفسَها غريبةٌ عنهُ، وهو غريبٌ عنها، ما أصعبَ أنْ يشعرَ المرءُ بالغربةِ في عقرِ دارِهِ ووطنِهِ، وبلادِهِ، إنَّها حالةٌ مريرةٌ وغربةٌ مزدوجةٌ، بدَتْ أمامَهُ غريبةً في لغتِها وتطلُّعاتِها وآفاقِ رؤاها وتوجّهاتِها، بعيدةً كلُّ البعدِ عَنْ رؤاهُ وما يرمي إليه، وشعرَ في قرارةِ نفسِهِ أنَّ المسافةَ بينَهُ وبينَ مدينتِهِ المدلَّلَةِ شاسعةٌ جدّاً وتفاقمَتِ المسافةُ إلى حدٍّ لا يطاقُ، وكأنَّها تقلّدُ غيرَها مِنْ مدائنِ العالمِ، تقليداً أعمى، مركّزاً على المالِ ثمَّ المالِ، ونسيَتْ أنْ تركّزَ على تاريخِها وحضارتِها وعالمِها وأخلاقيَّاتِها وما تربَّى في كنفِها مِنْ أجيال الماضي البعيدِ والقريبِ، وفقدَتْ رصانتَها المعهودةَ، وغدَتْ كأنَّها وليدةُ عواصمِ الغربِ، وبطريقةٍ وحشيَّةٍ تضاهي تطلُّعاتِ ووحشيَّةِ الغربِ في الكثيرِ مِنْ مساراتِ الحياةِ، فهي تبدو وكأنَّها ضدَّ أفكاري ورؤاي قلباً وقالباً، تتطوَّرُ بطريقةٍ غيرِ معهودةٍ لدينا، فمسحَتْ كينونتَنا وما كنّا نهواهُ ونعشقُهُ، وقضَتْ على عفوِيتِنا وعيشِنا الكريمِ، وتحوَّلَتْ إلى غولٍ يفترسُ وجودَنا وعالمَنا الَّذي ترعرعْنا فيهِ، وبنَتْ بناياتٍ وناطحاتِ سَحابٍ، كأنَّها تريدُ أنْ تنطحَ ما يقفُ في طريقِها حتَّى أوشكَتْ أنْ تنطحَ السَّماءَ، وكلُّ هذا جعلَ الكاتبَ يشعرُ بالضَّآلةِ والتَّقهقُرِ والانهزامِ أمامَ هذا الغولِ الَّذي افترسَ الأخضرَ واليابسَ على حسابِ تقليدِ مجتمعاتِ الغربِ في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ على حسابِ جماليَّاتِ حياتِنا وعالمِنا وتقاليدِنا وحضارتِنا فإلى أينَ نسيرُ في هذا الزَّمنِ الأخرقِ؟!

قادَتهُ مشاعرُ الأسى والأنينِ لِمَا طرأ مِنْ تغيُّراتٍ على بلادِهِ، إلى حالةٍ أنينيَّةٍ منبجسةٍ على شفيرِ التِّيهِ والضِّياعِ إلى درجةِ الشُّعورِ بالعدميّةِ والتَّلاشي والانهيارِ، تغلغلَتْ هذهِ المشاعرُ إلى أعماقِهِ، ثمَّ تراءَتْ لَهُ العوالمُ الرُّومانسيَّةُ الَّتي عاشَها أيَّامَ زمانٍ، في أعماقِ السُّهولِ والحقولِ بينَ سهولِ القمحِ والغاباتِ والحدائقِ والطَّبيعةِ الخلَّابةِ، هذا ما قادَهُ إلى الشُّعورِ بالغربةِ المميتةِ في ربوعِ عمّانَ، وأدركَ أنَّ المسافةَ بينهما أصبحَتْ عميقةً، لأنَّ هذهِ التَّطوُّراتِ الاقتصاديةَ رغمَ مدنيّتِها وشموخِ مبانيها وأبراجِها بعيدةٌ كلُّ البعدِ عَنْ عوالمِهِ ومبتغاهُ، فهوَ يريدُ أنْ يعيشَ بطريقةٍ تناسبُ عوالمَهُ المضمَّخةَ بالحنانِ والوئامِ مَعَ بيئتِهِ وشعبِهِ وسهولِ قمحِهِ وحدائقِهِ وجماليّاتِ طبيعةِ بلادِهِ، لا يريدُ ناطحاتِ السَّحابِ تكتسحُ معالمَ الجمالِ والبهاءِ في بلادِهِ، لأنَّ هذا التَّقدُّمَ المدهشَ في مَعالمِ العُمرانِ والقطاراتِ والباصاتِ والطَّائراتِ، لا تستطيعُ أنْ تردمَ الهوَّةَ الموحشةَ الَّتي تفصلُهُ عَنْ عمَّانَ، فهو يريدُ عمانَ كما كانَ يحبُّها أيَّامَ زمانٍ، لا يريدُ عمّانَ وهي ترتدي ما لا يناسبُها ولا يناسبُ شعبَها ومواطنيها، وكلُّ هذهِ المفارقاتِ قادَتِ الكاتبَ المرهفَ إلى أنَّهُ أدركَ نفسَهُ على مسافةٍ بعيدةٍ وشاهقةٍ بينَهُ وبينَ عمّانَ، فقَدْ كانَتْ حبيبتَهُ ومرتعَ حياتِهِ، والآن غدَتْ غريبةً عنْهُ، وهو غريبٌ عنها، وأدركَ

تماماً أنَّ عمانَ تفرّخُ زمناً لا يُشبِهُ نهائيّاً زمنَهِ، وكأنَّهُ في عالمٍ لا يمتُّ بصلةٍ على الإطلاقِ إلى زمنِهِ وحياتِهِ وشهقاتِهِ، ودندناتِ موسيقى وغناءٍ ورقصٍ وفنونٍ كانَتْ تلامسُ عوالمَ أحلامِهِ الوارفةِ.

يكتبُ الشَّاعر والكاتب عاطف الدَّرابسة نصوصَهُ بطريقةٍ مدهشةٍ، لِما في انبعاثِ حرفِهِ مِنْ انسيابيّةٍ رهيفةٍ في تأمُّلاتِهِ وتدفُّقاتِ رؤاه. فهو يمتلكُ رؤيةً شاهقةً في رحابِ الأدبِ والفكرِ والنَّقدِ، فقدْ تشرّبَ ثقافةً موسوعيّةً حولَ الكثيرِ مِنْ قضايا الحياةِ. يكتبُ حرفَهُ وهوَ في أوجِ تجلّياتِهِ، كمَنْ يترجمُ حُلماً طافحاً بالألوانِ والذِّكرياتِ والحنينِ والبكاءِ والفرحِ، كمَنْ يغنّي لذاتِهِ الجريحةِ رغمَ ضراوةِ الانكسارِ، يكتبُ لنفسِهِ الهاربةِ مِنْ هذا الزَّمنِ المحيّرِ لكلِّ ما نراهُ مِنْ تشابكاتٍ مريرةٍ، وغريبةٍ عمَّا عهدناهُ في مسارِ عمرِنا المكلَّلِ ببهجةِ الحياةِ، بأبسطِ أمورِ الدُّنيا. ونراهُ في النّصِّ الَّذي حملَ عنوان: "ما أبعدَ المسافةَ بيني وبينَها" قاصداً بينَه وبينَ عمَّان، مجنّحاً في تأمُّلاتِهِ نحوَ أبهى توهُّجاتِ بوحِ الانبعاثِ، ومركّزاً على الهوَّةِ السَّحيقةِ بينَهُ وبينَ عمَّان، مقارناً بينَ ما كانَ يعانقُ عمانَ في العقودِ الماضية وأيّامنا الحاضرة، فيخرجُ بمفارقاتٍ مُدهشةٍ ومُؤلمةٍ للغايةِ!

ينبعُ هذا النَّصُّ مِنْ توهُّجاتِ مخيَّلةٍ منبلجةٍ مِنْ انبعاثٍ خلّاقٍ، لا تستطيعُ اللُّغةُ الإمساكَ بهذا الفيضِ مِنَ انسيابيّة البوحِ المتدفّقِ مثل شلّالٍ ينهمرُ مِنَ الأعالي، فيلجأُ الكاتبُ إلى شهقاتِهِ الموغلةِ بالحسراتِ والأوجاعِ، والموسومةِ بأسئلةٍ لا تخطرُ على بالٍ، كي ينسجَ رؤاهُ بما تُسعِفُهُ منارةُ الحرفِ وآفاقُ الخيالِ، تاركاً ما لا يمكنُ الإمساكُ بِهِ لتهاطُلِ تجلّياتٍ أخرى! عاطف الدَّرابسة كاتبٌ مشحونٌ بلغةٍ طافحةٍ بوهجِ السَّردِ والشِّعرِ والقصَّةِ والحوارِ والتَّأمُّلِ العميقِ، ومسبوكةٍ برؤيةٍ نقديّةٍ في مساراتِ إشراقِها، فهو كاتبٌ معجونٌ بما يدورُ حولَهُ مِنْ مماحكاتٍ وتصادماتٍ في الكثيرِ مِنَ الرُّؤى الممجوجةِ، فهو يريدُ تصويبَها بإيقاعٍ شعريٍّ تارةً وسرديٍّ تارةً أخرى، واضعاً مشرطَهُ النّقدي في حنايا النُّصوصِ كي تأتي كتاباتُهُ مشبّعةً بتطهيرِ شهقةِ الحرفِ بأصفى ما يمكنُ التَّعبيرُ عنهُ!

يحاورُ الكاتبُ نفسَهُ عبرَ نصوصِهِ، ويحاورُ قرَّاءَهُ وقارئاتِهِ، كما يحاورُ نموَّ ما يزهو في أبجديَّاتِ المكانِ ومحطَّاتِ ما يتراءَى لنا في دوراتِ الزَّمانِ، ثمَّ يسألُ تساؤلاتٍ مفتوحةً للذاتِ، للزمنِ، للحياةِ، ولا ينتظرُ نهائيّاً أيَّةَ إجاباتٍ لتساؤلاتِهِ، لأنَّ إجاباتِه محفورةٌ في أعماقِ السُّؤالِ والنَّصِ نفسِهِ، وكأنَّهُ يحفرُ رؤاهُ وتساؤلاتِهِ فوقَ أجنحةِ الحرفِ بكلِّ ما يحملُ بينَ هِلالاتِهِ مِنْ تجلّياتٍ شاهقةٍ، بالألغازِ ومسروجةٍ بالأسرارِ!

أرى الدَّرابسة كاتباً، وشاعراً وناقداً مزنَّراً بحرفٍ مشتبكٍ بخيالٍ خلّاقٍ، لا يرتوي إلّا مِنْ إشراقِ وهجِ النُّورِ، خيالُهُ مِنْ لونِ الفرحِ المصحوبِ بأنينِ الانكسارِ، تؤلمُهُ كلُّ هذهِ المتغيّراتِ الَّتي قضَتْ على الجمالِ والفرحِ والبسمةِ وفضاءَاتِ التّيهِ، لكنَّهُ لا يقفُ صامتاً عندَ هَولِ الجراحِ، ولا يعرفُ معنىً للهزيمةِ، فهو يستمدُّ قوّتَهُ مِنْ انكساراتِهِ وهو في حالةِ بحثٍ دائمٍ عَنْ فرحٍ غيرِ قابلٍ للانكسارِ، عبرَ حرفٍ مصفّى مِنْ ضياءِ الحياةِ، كمَنْ يستولدُ مِنْ أحزانِهِ أفراحاً، وكلُّ هذا ينمُّ عَنْ طموحاتٍ شاهقةٍ في أعماقِهِ، تغلي مثلَ غليانِ نصوصِهِ، بحثاً عَنْ رؤيةٍ مُضيئةٍ في نهايةِ النَّفقِ، كي ينقذَ ما تناثرَ فوقَ أجنحةِ مجتمعِهِ مِنْ شراهاتِ الانزلاقِ!

المبدع عاطف الدَّرابسة، كاتبٌ غيرُ عاديٍّ في مختلفِ كتاباتِهِ الأدبيّةِ والنَّقديّةِ، لأنَّ رؤاهُ مجنّحةٌ نحوَ فضاءِ الإبداعِ الرَّصينِ، يحرّضُ القارئَ على التَّفكيرِ والكتابةِ ويمنحُهُ متعةَ القراءَةِ ووهجَ الاندهاشِ، فهو يحلّلُ ما يراهُ وما يحلمُ بِهِ وما يراودُهُ، وما يمكنُ أنْ ينبعثَ مِنْ آفاقِ بوحِ الخيالِ، وخيالُهُ مفتوحٌ على ما لا نتوقَّعُهُ وما لا يتوقَّعُهُ هو بالذّاتِ، لأنَّهُ عندما يكتبُ لا يعرفُ تماماً ماذا سيكتبُ، لأنَّ الكتابةَ عندَهُ حالةُ تدفُّقٍ وانهمارٍ، مثلما ينهمرُ المطرُ فوقَ أرضٍ عطشى، وهوَ حالةٌ مطريّةٌ في تدفُّقاتِهِ الشّاهقةِ، شهقاتِ الحنينِ إلى البيتِ العتيقِ وإلى الماضي البعيدِ، المتوَّجِ بالأصالةِ والإشراقِ، والمبلَّلِ بحرفٍ صافٍ صفاءَ السَّماءِ!

صبري يوسف

أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم



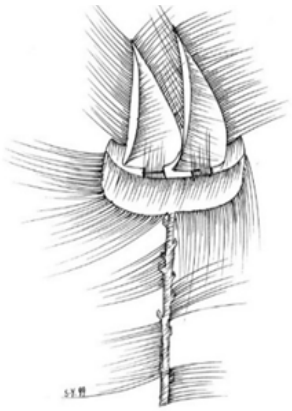

صبري يوسف يناغي انبعاثَ بوحِ القصيدةِ

حياتُنا حُلُمٌ مفتوحٌ على أبهى فضاءَاتِ السُّؤالِ

إلى روح النّاقد والشَّاعر الأردني د. عاطف الدرابسة



يهربُ العمرُ بعيداً عنَّا
عابراً طيّاتِ الغمامِ
لا نرتوي مِنْ مرامي الحياةِ
دائماً أراني في حالةِ انشغالٍ
عَنْ عناقِ حُبورِ العُمرِ

حياتُنا حُلُمٌ مفتوحٌ
على أبهى فضاءَاتِ السَّؤالِ
على متاهاتِ السَّرابِ
رحلةٌ في مَهبِّ الاشتعالِ
نعبرُ لُجينَ العُمرِ على أجنحةِ الرّيحِ
على أجيجِ الجمرِ
نتوهُ في خضمِّ الاحترابِ

نسيرُ في مَسارَاتِ الاحتراقِ
تسرَّبَتِ الأخلاقُ في شُقوقِ الأرضِ
ضلَّتِ الطَّريقَ عَنْ رحيقِ الخيرِ
أينَ تاهَتْ حِكمةُ الحُكماءِ؟!

يُحيقُ بنا جنونُ الصِّراعاتِ
كأنَّنا انبعثنا مِنْ ضراوةِ الافتراسِ

حياتُنا أشبهَ ما تكونُ حُلُماً مُعفَّراً بالغُبارِ
بكلِّ أنواعِ الأسى ..
يزدادُ اشتعالاً وعُبوراً في مَهبِّ التِّيهِ
في شفيرِ الانكسارِ! ...

أُمسِكُ الزَّمنَ مِنْ ياقتِهِ
أصدُّ بكلِّ صَلابةٍ استفحالَ غدرِهِ
أستأصِلُ أنيابَهُ المجذّرَةَ في أسقامِ القُبْحِ

حياتُنا مضرَّجةٌ بالمفاجآتِ
تُحاصِرُنا شراهاتُ هذا الزَّمانِ
تلطِّخُ أحلامَنا بروثِ البقرِ
نحنُ، مَنْ نحنُ؟!
رحلةُ أسىً في دُروبِ الأنينِ ..
يُسحَقُ الإنسانُ في المهدِ
في رحابِ الطُّفولةِ .. في عزِّ الشَّبابِ
عندَ تخومِ الكهولةِ وحافّاتِ الشَّيخوخةِ
على امتدادِ مُنعرجاتِ العُمرِ!

لا قيمةَ للوجودِ مِنْ دُونِ أنْ نُحلّقَ
في مُروجِ العَطاءِ
مِنْ دونِ أنْ نجمحَ عالياً في آفاقِ الإبداعِ!

تموتُ الأشياءُ الجميلةُ والقبيحةُ ..
عاجلاً أمْ آجلاً نخرُّ فوقَ خدودِ الأرضِ
كأنَّنا نعبرُ أخاديدَ الزَّوالِ
وحدَهُ الإبداعُ يبقى ساطعاً
فوقَ خميلةِ الحياةِ!

نحنُ شهقةُ انبعاثٍ
مندلقةٌ مِنَ رِحابِ الأعالي
فوقِ وِهادِ الأرضِ
تحاصرُني تساؤلاتٌ حارقةٌ
حولَ انبعاثِ فصيلةِ وجودِنا
فوقَ طراوةِ الأرضِ!

لا أعثرُ على جوابٍ شافٍ
لمُمَارساتِ جُنونِ الصَّولجانِ
لا تحلمْ بيومِ الغدِ
فلا غدٌ آتٍ ولا مستقبلٌ كما يُخيَّلُ إليكَ
الحاضرُ هو الغدُ والمستقبلُ معاً
نحنُ نعيشُ الحاضرَ دائماً
الغدُ والمستقبلُ كلمتانِ مُعلَّقتانِ
في سَديمِ الغيابِ
نحنُ لا نرى الغدَ ولا نَلمسُ المستقبلَ
عندما يأتي الغدُ يصبحُ حاضراً
دائماً نعيشُ الحاضرَ
ولا نعيشُ الغدَ نهائيَّاً

عِشْ حاضرَكَ وهو مستقبلُكَ على الدَّوامِ
لا نعيشُ الحياةَ عندما نفكّرُ ليلَ نهارَ
في الغدِ والمُستقبلِ
غدُنا ومستقبلُنا هو اليومُ الّذي نعيشُ فيهِ

كفاكَ تيهاً أيُّها الإنسانُ في تلافيفِ السَّرابِ
كفاكَ بَحثاً عَنْ مُستقبلٍ مُعلّقٍ
في أعماقِ الغَمامِ

حياتُنا فكرةٌ مُجنَّحةٌ نحوَ أسئلةٍ لا تُحصى
حُلُمٌ مُشتبِكٌ مَعَ حَنينِ الرُّوحِ
يجرفُنا حَنينٌ عَميقٌ
إلى طُفولةٍ مُعبّقةٍ بالذِّكرياتِ
ذكرياتُنا دمعاتٌ طافحاتٌ بشهقاتِ السُّؤالِ

مَنْ نحنُ وأينَ المفرُّ
مِنْ أشواكِ العذابِ وتشابُكاتِ الحياةِ؟!

نحنُ رحلةُ أنينٍ في دُنيا مِنْ سَرابٍ
يهربُ عُمرُنا بعيداً عنَّا
بعيداً عَنْ مَذاقِ الجَمالِ
بعيداً عَنْ بَسمةِ الطَّبيعةِ
بَعيداً عَنْ كركراتِ الطُّفولةِ

أَحِنُّ إلى أشهى تجلّياتِ بوحِ الخيالِ
وحدَهُ الخيالُ أراهُ واقعاً
والواقعُ أراهُ خَيالاً مُجنَّحاً
نَحوَ أعماقِ التِّيهِ
كأنّنا مُعلَّقونَ بينَ طيّاتِ الغمامِ

أكتبُ شِعراً ليلَ نهارَ
أُجري حواراتٍ مَعَ مُجنَّحاتٍ
نحوَ فضاءِ الإبداعِ
مَعَ كُتّابٍ مُغرمينَ في فضاءِ الكلمةِ
المُرفرفةِ في زُرقةِ السَّماءِ

أُجري حواراتٍ مَعَ الذَّاتِ
ومَعَ ذواتِ الكونِ
نعبرُ فضاءَ الحياةِ على أجنحةِ السُّؤالِ
ونغادرُ الدُّنيا على أجنحةِ الغيبِ!

حياتُنا سؤالٌ مجنَّحٌ نحوَ شهيقِ الأعالي
نحنُ ضيوفٌ على وجهِ الدُّنيا ..
ما هذا الجنونُ الَّذي أراهُ
يزدادُ تفشّياً فوقَ اخضرارِ الأرضِ؟ ..
جئنا إلى الحياةِ
كي نعيشَ حياةً هانئةً سعيدةً
لا حياةً مزنّرةً بالويلاتِ! ..

كلُّ الحروبِ قباحاتٌ
ولا كلُّ القباحاتِ
جنونٌ حتّى النُّخاعِ أنْ يغوصَ الإنسانُ
في مَتاهاتِ الحروبِ
في عصرِ التَّواصلِ الكونيّ

جنونٌ أن يَحرِمَ الإنسانُ نفسَهُ
مِنْ عِناقِ الطَّبيعةِ وجمالياتِ الكونِ
غباءٌ ما بعدهُ غباءٌ
أنْ لا يَسمعَ الإنسانُ إلى الموسيقى
بدلاً مِنَ سَماعِ أصواتِ المَدافعِ
على انسيابِ الدُّموعِ

ما فائدةُ البشرِ
الَّذينَ يجنحونَ نحوَ الحُروبِ؟!
الحروبُ تصبُّ في وادي الجَحيمِ
الحُروبُ جنونٌ مِنَ العيارِ الثَّقيلِ

فقدَ الإنسانُ إنسانيّتَهُ في خنادقِ الحُروبِ
فقدَ بريقَ الحياةِ
في رفعِ رايةِ السُّيوفِ والقتلِ والدَّمارِ

ماذا يعني أنَّكَ انتصرْتَ
على العدوِّ في المعركةِ؟!
هذا العدوُّ الَّذي تراهُ عدوَّاً
هو إنسانٌ مِنْ لحمٍ ودمٍ
عندما تنتصرُ على إنسانٍ
كأنَّكَ تقولُ تنتصرُ
على إنسانيَّةِ الإنسانِ
وتحقّقُ حيوانيَّتَكَ المُفترسَةَ! ..

تاهَ الإنسانُ في خضمِّ الجشاعاتِ
والمنافساتِ المجنونةِ على بني جنسِهِ
علينا أنْ نعيشَ كبشرٍ
لا كحيواناتٍ مفترسةٍ
نفترسُ بعضُنا بعضاً

الحياةُ جميلةٌ ببساطتِها
والعيشُ في كنفِها بعيداً
عَنْ لُغةِ العنفِ وسَفكِ الدِّماءِ

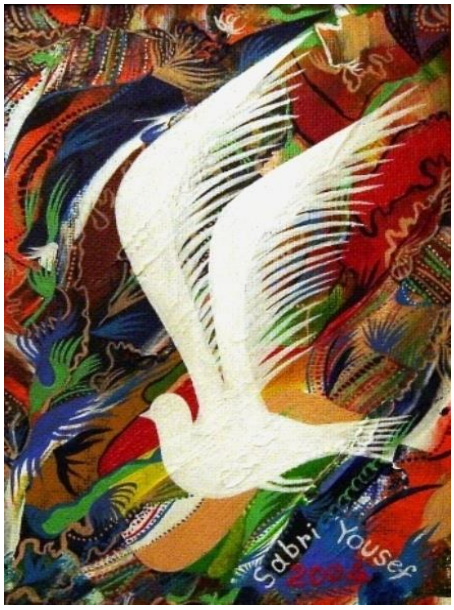

تعالوا نكرِّسْ ثقافةَ الجمالِ والحبِّ والفرحِ
في أصقاعِ المَعمورةِ
تعالوا نحاربْ حُروبَ الكونِ
بلغةِ السَّلامِ والوئامِ بينَ البشرِ
رغماً عَنْ جنونِ إنسانِ هذا الزَّمانِ
تعالوا نرسمْ أجنحةَ السَّلامِ
في رِحابِ الأرضِ
شعاراً لكلِّ البشرِ في أصقاعِ المعمورةِ!

أهلاً بكم في فضاءَاتِ المحبَّةِ
والسَّلامِ الكونيِّ على امتدادِ المَعمورةِ
السَّلامُ أجنحةُ الحياةِ
إلى أنقى مرافئِ الأمانِ
***
لا تُشبِهُ أحداً
لا تُشبِهينَ أحداً
ولا أنا أُشبِهُ أحداً

كلُّ واحدٍ مِنَ البشرِ لَهُ بصمتُهُ في الحياةِ
لَهُ فضاؤهُ الَّذي لا يُشبِهُ إلَّا ذاتَهُ

تفقدُ الأشجارُ اخضرارَها
عندما تشيخُ كما يشيخُ الإنسانُ
كيفُ تشيخُ الأشجارُ وهي مجذّرةٌ
في أعماقِ الأرضِ؟!

يتبدَّدُ أريجُ الزّهورِ مَعَ تراكماتِ الزَّمنِ
لا تبقى على حالِها
حياتُنا تُشبِهُ رحيقَ الأزاهيرِ
تخفتُ رويداً رويداً
نتوارى في غمضةِ عينٍ خلفَ السَّحابِ



نولدُ في صباحٍ مندَّى بمُهجةِ الأملِ
نُناغي إشراقةَ الشَّمسِ
نمشي فوقَ طراوةِ العُشبِ
نُناجي طُيورَ الغاباتِ
نرسمُ فوقَ وجنةِ الحياةِ حفاوةَ الألقِ
حياتُنا حُلُمٌ مُجذَّرٌ في قممِ الجبالِ
يسطعُ الحُلُمُ عالياً في أوجِ الشَّبابِ
يخفُتُ رويداً رويداً مِنْ تفاقماتِ الاشتعالِ
فوقَ خدودِ الزَّمنِ

أحلامُنا مفتوحةٌ على مِساحاتِ بوحِ الخيالِ
نحنُ فكرةٌ مُندلقةٌ فوقَ طِينِ الحياةِ
رؤانا مجنّحةٌ نحوَ مساراتِ الحنينِ

أكتبُ شِعري فوقَ مآقي الشَّمسِ
فوقَ خميلةِ الأزاهيرِ
فوقَ سُطوعِ القمرِ
الشِّعرُ شهقةُ انبهارٍ في مرامي الوجودِ
لُغةُ عاشقٍ يهوى جمالَ الوجودِ

نعبرُ تلالَ الأرضِ
على إيقاعِ زخَّاتِ المَطرِ
ننمو مثلَ زنابقِ الحقولِ
نزدادُ اخضراراً
ثمَّ تتراخى أجنحتُنا
يتناقَصُ بهاءُ الاخضرارِ
نضمرُ مثلما تضمرُ أعشابُ البراري
نسيرُ نحوَ هشاشةِ الاصفرارِ
حياتُنا مَحطاتٌ مُكتنزةٌ بالمفاجآتِ!

نحلّقُ عالياً عندَ اكتمالِ الشَّهيقِ الأخيرِ
بعيداً عَنْ خميلةِ الأرضِ
تبقى الكلمةُ ساطعةً
ومُرفرِفةً على وجنةِ الحياةِ إلى الأبدِ!

ستوكهولم: أيلول (سبتمبر) 2024

صبري يوسف
أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم

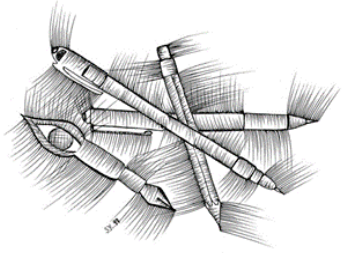

السيرة الذاتية للدكتور عاطف الدرابسة

البيانات الشخصية

الاسم : عاطف أحمد علي الدرابسة

تاريخ الولادة : ١٩٦٤/١٢/١٥

الجنسية : أردنية

رقم الهاتف : ٠٧٩٩١٩٢٢٩٢

العنوان : الأردن – اربد – الرمثا .

المؤهل العلمي

 دكتوراه في اللغة العربية وآدابها / تخصص أدب ونقد – جامعة اليرموك / الأردن.

الخبرات العملية

 استاذ النقد والبلاغة في جامعة الملك خالد في المملكة العربية السعودية ٢٠٠٢ ولغاية ٢٠٠٩م.

 استاذ النقد والبلاغة في كلية المعلمين في أبها من ٢٠٠٢ ولغاية ٢٠٠٩م.

 كاتب وباحث أكاديمي ودارس ٢٠٠٩– الآن.

الكتب والمؤلفات المنشورة

 كتاب قراءة النص الجاهلي في ضوء نظرية التأويل الصادر عن عالم الكتب الحديث / جدارا للكتاب.

 كتاب بيدر النص: قراءة في أنماط القصة القصيرة في عسير.

 كتاب عسير التغيير للتطوير ١٩٧٠–٢٠٠٤م باشراف سمو الأمير خالد الفيصل

 ظاهرة النسيب في النص الجاهلي / منشورات نادي أبها الأدبي.

 صور اللغة وانبثاقة الصورة / نادي أبها الثقافي.

 ويقول لها: ديوان شعري من عدة أجزاء قيد التحضير للطباعة.

الأبحاث والدراسات

 مشكلاتُ القراءةِ والتَّاويلِ في ديوانِ"صحيفةِ المُتلمِّس" للشَّاعرِ العراقي عبدالأمير خليل مراد.

 ملحمة جلجامش: مشكلات القراءة والتفسير في الخطاب النقدي العربي.

 جدليَّةُ الصَّوت والصُّورة في شعر البردوني.

 مشكلاتُ القصةِ القصيرة: قراءة تفكيكية.

 الرُّؤى المُغيِّرة في شعريَّة بدر شاكر السَّيَّاب.

 النقدُ وإشكاليَّةُ المفهوم بين نقدِ المعنى ونقدِ المبنى.

 مشكلات التأويل: رؤى واتجاهات.
 رؤى نقدية حول قصيدة النثر.
 الرُّؤيةُ الجدليَّةُ بين الشِّعرِ والرَّسمِ: قراءةٌ تاريخيَّةٌ.
 استراتيجيات بناء الرواية والقصة في ضوء مخرجات الذكاء الاصطناعي.
 الزَّمن والسَّرد.
 أزمة العقل النقدي العربي.
 القصة القصيرة في الأردن: قراءة ورؤية.
 مشكلات النقد في الدراسات العربية.
 الكاتبُ وتغييرُ نصوصه باختلافِ الطبعات ، حريةٌ وتطوُّر وعي أم تزييف؟
 قراءةٌ في لوحة (نارليب) للرسَّام اللبناني شوقي دلال.

القراءات النقدية

 قراءةٌ في شعريّةِ التضادِّ: سلطةُ الرمزِ عند الكاتبة الجزائرية أسماء الجزائريّة.
 فعل اللغة ، وسلوك اللغة في شعرية الشاعر الأردني محمد العياف العموش: قراءة نقدية.
 القصة والمذكرات: الإشكاليات على مستوى البنية والأسلوب.
 قراءةٌ نقديةٌ في قصائد الشاعرة (دوريس خوري).
 قراءةٌ نقديةٌ في رواية (ميلانين) للكاتبة التونسية فتحية دبش.
 قراءة نقدية في شعرية العراقية ساجدة الموسوي.
 قراءة نقدية في رواية (حبة بازيلاء تنبت في كفي) للكاتبة والروائية المصرية (دعاء ابراهيم).
 قراءة نقدية في رواية (ليلى وفرانز) للكاتب والروائي المصري (محمد علي ابراهيم).
 قراءةٌ نقديَّةٌ في المجموعةِ القصصيةِ (أبناء الأزمنة الأخيرة) للكاتب الكويتي (فيصل الحبيني).
 قراءة نقدية في شعرية السعودية (فايزة سعيد).
 قراءة نقدية بعنوان "نازك الملائكة بين النقد والشعر".
 قراءة في المجموعة القصصية (حبوب زرقاء) للكاتب الأردني (نصر أيوب).
 قراءةٌ نقديَّةٌ في م(القس جوزيف إيليا) الشعرية .
 قراءةٌ نقديَّةٌ في مجموعتي (حميد العقبي) القصصيتين (كارمن) ، و(محطة مدينة كون – النورماندي)
 قراءةٌ نقديَّةٌ في مجموعةِ (لاعب الظِّل) القصصيَّةِ للكاتبة التونسية (عواطف محجوب).
 قراءةٌ نقديَّةٌ في روايةِ "سوق الملح" للروائي اللبناني (عمر سعيد).
 قراءة نقدية في أعمال الكاتب السعودي (يحيى العلكمي) المسرحية: (كينونة)، (البيدق)، (قارعة الصمت).
 قراءة في مسرحية (أطفال الشمس) للمسرحي والسينمائي اليمني (حميد العقبي).

 قراءة نقديَّة في شعريَّةِ المصرية (هدى عز الدين).
 قراءة في رواية (مصائر: كونشرتو الهولوكوست والنكبة) للروائي الفلسطيني (ربعي المدهون).
 قراءة نقدية في رواية (مقهى الفراشة) للروائي البحريني (ابراهيم الدوسري).
 قراءة نقدية في رواية (كأنني لم أكن) للكاتب والروائي الكردي البلجيكي (هوشنك أوسي).
 قراءة نقدية في رواية (شيء من سالومي) للدكتورة والروائية المصرية (سهير المصادفة).
 قراءة نقدية في النص المسرحي (الحكماء السبعة) للكاتب (د. عبدالغفار مكاوي).
 قراءة نقدية في شعرية الشاعر والأديب السوري (جميل داري) .
 قناع الرفض والتمرد: قراءة نقدية في شعر الكاتب اليمني (عبدالعزيز المقالح).
 قراءة نقدية في سيميائية الأهواء في "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم مع الباحثة التونسية (أسماء المصفار)
 قراءة في أعمال الروائي اليمني الراحل محمد عبدالولي، وأثره في الرواية اليمنية والعربية.
 قراءة نقدية في (إشكاليات وتحديات القصة القصيرة العربية).
 قراءة نقدية في كتاب (نقوش سومرية على باب اليمن) للكاتب والناقد العراقي عبدالرزاق الربيعي.
 قراءة نقدية في مجموعة (د. جميلة الوطني) القصصية "على ضفاف الحنين.
 رؤيةٌ نقديةٌ في مجموعات (صبري يوسف) القصصية.
 قراءة نقدية في (القصصية وتوظيف الحواس في الأدب الوجيز – مجموعة المشي على الماء للكاتب التونسي د. حمد حاجي انموذجًا).
 قراءة نقدية في مجموعة الدكتورة والقاصة اللبنانية (درية فرحات) القصصية (احكي يا شهرزاد).
 المقاربة التأويلية في التحليل الأدبي: رؤى واتجاهات.
 قراءة نقدية في الأدب الرقمي ، الراهن والمستقبل.
 قراءة نقدية حول الروايات العالقة (حيزية) للكاتب (د. واسيني الأعرج).
 قصيدة الهايكو: رؤية حداثية.
 قصيدة النثر من البنية إلى إنتاج الدلالة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.
 رؤىً نقديَّةٌ في ديواني: (شرفتي محطُّ العصافير) ، وديوان (الأوغادُ لا يسمعون الموسيقى) للشاعرة المصرية (فاطمة ناعوت) .
 أسئلة الخطاب الإبداعي بين المثاقفة وتداعيات العولمة: رؤى وقراءات.
 البنية السَّردية في رواية "المرتزق رقم ٩ من نورس الماجد إلى بهيجة العربي" للكاتبة ا(سميحة التميمي)
 قراءةٌ نقديَّةٌ في قصة "سأحرق غزَّة لأجلكِ" للقاصة السورية (عبير العزاوي).
 قراءةٌ نقديَّةٌ في قصة "أصحاب الأخدود" للقاص المصري (خالد العجماوي).
 قراءة نقديّة في ديوان (خذ ساقيكَ إلى النَّبع) للشاعر اللبناني (كامل فرحان صالح).

 قراءة نقدية في رواية (طريق العنكبوت) للروائي والشاعر البحريني (عبدالحميد القائد).
 قراءة نقديّة في المجموعة الشعرية "ملاك موت بلا وطن" للشاعر والمسرحي اليمني (حميد عقبي).
 قراءة نقدية في شعرية الشاعر العراقي (جواد الحطاب).
 قراءة نقدية في أعمال الشاعرة السعودية (عنبر المطيري).
 قراءة نقدية في شعرية اليمني (حامد جوينة).
 قراءة نقدية: أسئلة الخطاب الإبداعي بين المثاقفة وتداعيات العولمة.
 قراءة نقدية في رواية دفاتر الوراق للكاتب الأردني جلال برجس.
 الأدب الوجيز: إشكالية المفهوم.
 الناقد والمبدع ومفهوم النقد وإشكالياته.
 قراءة نقدية في التجربة المسرحية للكاتب العراقي حكمت الحاج: (ما بين اللامعقول والشعرية وتجاوز الإشكال الجغرافي واللهجة).
 الأدب التفاعلي: الواقع والتحديات.
 قراءة نقدية في ديوان (باب موارب للصدى) للشاعرة السورية (ميديا شيخة)
 قراءة نقدية في أعمال الشاعر والبروفيسور الجزائري (الأخضر بركة).
 (القصيدة السيرذاتية: المفهوم وآليات الاشتغال): قراءة ورؤية.
 قراءة نقدية في شعرية اليمنية (نجود القاضي).
 قراءة نقديّة في المجموعة القصصية (مشاعر متعددة في الحب) للكاتبة الليبية (رزان المغربي).
 قراءة نقدية في رواية (عرش على الماء) للروائي المصري (محمد بركة).
 قراءة نقدية حول (المنهج التاريخي في الرواية العربية).
 قراءة نقدية في مجموعة (مشاعر متعددة من الحب) القصصية للكاتبة الليبية (رزان المغربي).
 قراءة نقدية في مجموعة (دو يَك) القصصية للكاتبة السورية (روعة سنبل).
 قراءة نقدية في رواية (بساتين البصرة) للروائية المصرية (منصورة عزالدين).
 قراءة نقدية حول رواية غادينيا (لقاء في أرض الرماديين) للكاتب البحريني (عبدالحميد القائد).
 قراءة نقدية حول الرواية الفائزة بجائزة البوكر لعام ٢٠٢٤م (قناع بلون السماء) للكاتب الفلسطيني (باسم خندقجي).
 قراءة نقدية في شعرية الشاعر العراقي د. عادل حمدي الشرقي.
 قراءة نقدية حول رواية (الملعون المقدس) للكاتب والروائي اللبناني د. محمد إقبال حرب.
 قراءة نقدية في شعرية (الشاعر السوري جميل داري).
 قراءة نقدية حول رواية (سيرة الأفعى) للكاتب والروائي الجزائري عزالدين ميهوبي.

 قراءات نقدية ومنشورات أدبية وشعرية منشورة في: مجلة الناقد العراقي، والمثقف العراقية، وموقع ديوان العرب ومجلة عالم الثقافة ومجلة الصباح العراقية وموقع الأنطولوجيا للسرد العربي ومجلة السلام الاليكترونية والعديد من المجلات الإلكترونية والمواقع الإليكترونية في الأردن ومصر والمغرب والجزائر ولبنان.
 قراءات نقدية في صحيفة الوطن السعودية / الصفحة الثقافية.
 قراءات نقدية في مجلس سمو الأمير خالد الفيصل الأدبي.
 قراءات نقدية في صحيفة الوطن السعودية.

المحاضرات واللقاءات

 لقاء حواري: ثقافتنا وبلورتها أمام الآخرين / قناة السعودية الثقافية.
 محاضرة بعنوان "معلَّقة لبيد بن ربيعة العامري في ضوء نظرية التلقي والتأويل" ضمن مساق قراءات منهجية في النصوص الأدبية ، المقرَّر على طلبة الدراسات العليا / جامعة القديس يوسف – لبنان.
 محاضرة إشكاليات المنهج لطلبة الدراسات العليا / جامعة القديس يوسف – لبنان.
 لقاء مع الإعلامية كابي لطيف من إذاعة مونتي كارلو في برنامجها (حوار).
 أمسية حوارية عبر قناة السلام الدولية في برنامج "من أجل التنوير" يديرها الأديب والفنان التشكيلي صبري يوسف.
 ندوة حوارية على منصة فوروم كناية للحوار وتبادل الثقافات حول "الذكاء الاصطناعي ومستقبل الأدب" بإدارة الناقد حكمت الحاج.
 ندوة حول "إشكاليات النقد في الدراسات العربية" عبر منصة (سوق الملح).
 ندوة حوارية على منصة فوروم كناية للحوار وتبادل الثقافات حول "الزمن في الرواية ، والزمن في القصة القصيرة" مع د. عدوان نمر عدوان وبإدارة الناقد حكمت الحاج.
 أمسية نقدية عبر قناة السلام الدولية يديرها الأديب والفنان التشكيلي صبري يوسف.
 أمسية نقدية حول التجربة الشعرية للكاتب الأردني عاطف الدرابسة في رحاب المنتدى العربي الأوروبي للسينما والمسرح (AEFCT).
 أمسية نقدية حول التجربة الشعرية للكاتب الأردني عاطف الدرابسة على منصة صالون ملتقى الحرف العربي.
 حوار صحفي /جريدة صحافة اليرموك: هل المجتمع الأردني عازف عن القراءة أم تغير مفهوم القراءة لديه؟
 لقاء نقدي عبر منصة (فوروم كناية للحوار وتبادل الثقافات) ، بعنوان "أسطرة الواقع المتشظي وشعرية الخطاب السردي في قصص لاعب الظل" للكاتبة التونسية (عواطف محجوب).
 على إيقاع معرض (انجُ) Onjou في تونس: مؤتمر حول "الصورة الفنية بين الفن التشكيلي والشعر".

 المناهج النقدية الحديثة: النظرية والآليات لطلبة الدراسات العليا / قسم اللغة العربية وآدابها في عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية.

 أمسية حوارية حول التجربة الشعرية للكاتب الأردني عاطف الدرابسة على منصة منتدى البحرين الإبداعي بعنوان (حين يصير الناقد شاعراً).

 أمسية شعرية مع الكاتب والشاعر الأردني عاطف الدرابسة على منصة منتدى آفاق الفكر والثقافة.

 أمسية حوارية حول تجربة القاصة والشاعرة اللبنانية (إخلاص فرانسيس) في الكتابة عبر الزوم ضمن فعاليات منتدى البحرين الإبداعي.

 أمسية حوارية حول (دور المرأة المثقفة في بناء المجتمع) عبر الزوم ضمن فعاليات منتدى آفاق الفكر والثقافة.

 أمسية حوارية عبر الزوم ضمن فعاليات (غرفة 19) حول الرواية الرقمية (تحفة النظارة في عجائب الإمارة) للكاتب الأردني (محمد السناجلة).

 أمسية حوارية حول (تقنيات السرد) مع الناقد المصري د. مصطفى الضبع عبر الزوم ضمن فعاليات ملتقى الساردون يغردون.

 أمسية حوارية عبر الزوم ضمن فعاليات (غرفة 19) حول (كواليس جائزة البوكر العالمية للرواية العربية) مع (رئيس لجنة التحكيم ٢٠٢٤م – الروائي نبيل سليمان).

 أمسية حوارية في مؤتمر الرواية العربية حول (تسويد الذات في الرواية) مع الدكتور الناقد عبدالقادر فيدوح عبر الزوم ضمن فعاليات ملتقى الساردون يغردون.

 أمسية حوارية عبر الزوم ضمن فعاليات (غرفة 19) مع الكاتب والسيناريست السوري د. ممدوح حماده.

النشاطات والمساهمات الأكاديمية

 عضو لجنة تحكيم في جائزة ابها.

 مشرف على بحوث التخرج Seminaries في جامعة ابها.

 تحكيم عدد من البحوث والأعمال الأدبية والأكاديمية والبحوث والدراسات الأدبية في نادي أبها للثقافة.

الجوائز وشهادات التقدير

 شهادة تقدير من كلية المعلمين بأبها.

 كتاب شكر وتقدير من سمو الأمير خالد الفيصل.

 شهادة التقدير من قسم اللغة العربية / جامعة الملك خالد.

 شهادة تقدير من النادي الادبي بأبها.

Email: make.me.believe64@gmail.com

تجلّيات الخيال

الجزء الخامس

نصوص أدبيّة مستوحاة من فضاءَاتِ عشرينَ مبدعاً ومبدعة

اسم المؤلِّف: صبري يوسف.
عنوان الكتاب: تجلّيات الخيال.
الجزء الخامس.
مقالات ونصوص أدبيَّة.
الطَّبعة الأولى: ستوكهولم (2024 م). خالص بالعدد الثاني عشر من مجلّة السَّلام الدَّوليّة
الإخراج، التَّنضيد الإلكتروني، والتَّخطيطات الدَّاخليّة: (المؤلِّف).
تصميم الغلاف: صبري يوسف
حقوق الطَّبع والنَّشر محفوظة للمؤلِّف.

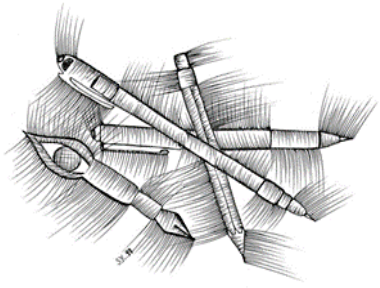

دار نشر صبري يوسف
sabriyousef56@hotmail.com
(محرر مجلة السَّلام الدَّوليّة)

الإهداء

إلى المبدعين والمبدعات التّالية:

81. المفكّر الفلسطيني د. إدوارد سعيد
82.الكاتبة والباحثة السُّوريّة د. ريم شطيح
83.الأديب والمترجم العراقي هاتف جنابي
84.الأديبة السُّوريّة نجاح إبراهيم
85.الأديب اللُّبناني ميخائيل نُعيمة
86.الشّاعرة السُّوريّة رشا عمران
87.الفنَّان التَّشكيلي السُّوري جاك جوخدار
88.الفنّانة التَّشكيليّة السُّوريّة د. سلوى الصغير
89.الشَّاعر العراقي عادل حمدي الشَّرقي
90.القاص والروائي والباحث السُّوري نعيم إيليّا
91.القاص والرِّوائي السُّوري فريد مراد
92. الأديب العراقي د. سعدي المالح
93. الأديبة الجزائريّة نوميديا جروفي
94. الباحث الموسوعي واللُّغوي اللُّبناني بُطرس البستاني
95. الشَّاعرة والرِّوائيّة الأرنيّة سميحة التَّميمي
96. الفنّان السُّوري فريد الباشا
97. الأكاديمية العراقيّة المتفوّقة مينا رغيد عسكر
98. الفنّان السُّوري الكردي آلان دريعي
99. الرّوائيّة التُّركيّة إليف شافاق
100. المفكّر والفيلسوف الهندي المهاتما غاندي

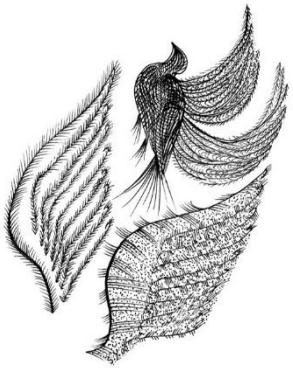

المفكّر والنّاقد الفلسطيني إدوارد سعيد

يُعدُّ واحداً مِنْ أهمّ عشرةِ مفكّرينَ في القرنِ العشرينِ

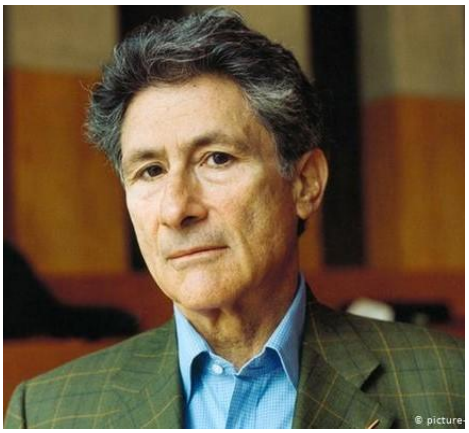

إدوارد سعيد

81

وُلِدَ المفكّرُ والنّاقدُ الفلسطيني إدوارد سعيد في الأوّلِ مِنْ كانونَ الثّاني (نوفمبر) 1935 في القدسِ، مِنْ أبٍ فلسطيني أميريكي وأمٍّ فلسطينيّةٍ لبنانيّةٍ، وعاشَ في رُبوعِ القدسِ ثلاثَ عشرةَ سنةً، وانتقلَ مَعَ أسرتِهِ إلى القاهرة وعاشَ مَعَ أسرتِهِ فترةً مِنَ الزّمنِ في حيّ الزّمالكِ، حيثُ كانَ يسكنُ فيها الكثيرُ مِنَ الأوروبيّينَ، وبعضُ العائلاتِ الشّرقيّةِ، الأثرياءِ. ثمَّ هاجرَ برفقةِ والديهِ إلى أميريكا، وحصلَ على الجنسيّةِ الأميريكيّةِ. وبقيَتْ ذكرياتُهُ في القاهرة مُعشّشةً في ذهنِهِ طويلاً. كانَ إدوارد سعيد شابّاً طَموحاً جدّاً، وقَدْ ترعرعَ في كَنفِ أُسرةٍ طَموحةٍ تَعشقُ العلمَ، تابعَ إدوارد دراساتِهِ بكلّ اهتمامٍ، ونالَ درجةِ البكالوريوس مِنْ جامعة برنستون في الولايات المتّحدةِ عام 1957، مُتدرّجاً بكلّ شغفٍ في تحصيلِهِ العلمي، إلى أنْ حصلَ على الماجستيرِ عامَ 1960، ثمَّ حصلَ على الدُّكتوراه في الأدب الإنكليزي مِنْ جامعة هارفارد عام 1964.

يُعدُّ إدوارد سعيد أحدَ أهمّ المثقّفينَ العربِ، وهناكَ مَنْ يعتبرُهُ واحداً مِنْ أهمّ عشرةِ مفكّرينَ في القرنِ العشرينِ، فقدَ كانَ مِنَ المُفكّرينَ الكِبارِ والشّخصيّاتِ المؤثّرةِ فيما يتعلّقُ بالنّقدِ الحضاري والأدبِ، وقَدْ نالَ شهرةً وانتشاراً كبيراً عندما أصدرَ كتابَهُ "الاستشراق" في عام 1978، وقدّمَ فيهِ أفكارَهُ العَميقةَ والّتي أثّرَتْ على دراساتِ الاستشراقِ الغربيّةِ، المتعلّقةِ بدراسةِ الشّرقِ والشّرقيّينَ. وقَدْ تمكّنَ عَبرَ أفكارِهِ أنْ يُبيّنَ ارتباطَ الدّراساتِ الإستشراقيّةِ ارتباطاً قَويّاً ووثيقاً بالمُجتمعاتِ الإمبرياليّةِ، مؤكّداً على أنّ تلكَ المُجتمعاتِ أوجدَتْ للاستشراقِ أبعاداً وأهدافاً سياسيّةً في العُمقِ، ولهذا وجدناهُ مُشكّكاً بأدبيّاتِ ونتائجِ الاستشراقِ الغربي، فقَدْ أغنى إدوارد سعيد السّاحةَ الفكريّةَ العربيّةَ والعالميّةَ برؤاهُ العميقةِ في الاستشراقِ، وأثارَتْ أفكارُهُ ضجّةً واسعةً وجدلاً كبيراً في الأوساطِ العلميّةِ والأكاديميّةِ العالميّةِ، وقَدْ تمكّنَ بكلّ موضوعيّةٍ مِنْ تفكيكِ وخلخلةِ نظرةِ الغَربِ إلى الشّرقِ، ودحضَ الصّورةَ النّمطيّةَ الّتي اعتمدَ فيها المستشرقونَ على دراساتٍ ومفاهيمَ قامَتْ على أُسَسٍ غيرِ

علميّةٍ، ولا تمتُّ للواقعِ بصلةٍ، وأصبحَتْ دراساتُهُ في الاستشراقِ مَرجعاً مُهمَّاً للكثيرِ مِنَ الباحثينَ والباحثاتِ في دراسةِ الاستشراقِ، فقَدْ كشفَ في كتابِهِ المتمحورِ حولَ الاستشراقِ، علاقةَ الدِّراساتِ الغربيّةِ حولَ الشَّرقِ بالسَّلطةِ والتّوجُّهاتِ والنَّزعاتِ السِّياسيّةِ، وما يتعلَّقُ بالاستثماراتِ الكبيرةِ الّتي تمَّ تخصيصُها لهذهِ التَّوجُّهاتِ المتعلّقةِ في الدِّراساتِ الاستشراقيّةِ الغربيّةِ، موضّحاً ومُفنّداً إدوارد سعيد كيفَ أصبحَ الاستشراقُ بمثابةِ مَذهبٍ فكريٍّ، لَهُ خلفيّةٌ سياسيّةٌ، وأنتجَ هذا الفكرُ في هذا السِّياقِ صورةً عَنِ الآخرِ، أي عَنِ الشَّرقي، مُغايرةً عَنِ الواقعِ، لأنَّ تشكيلَ هذهِ الصُّورةِ كانَتْ ناجمةً عَنْ رغباتٍ استعماريّةٍ مِنْ خلالِ رؤيةٍ تسلُّطيَّةٍ تتحكّمُ بكلِّ ما لَها علاقةٌ بالرُّؤيةِ الاستشراقيّةِ، ووضّحَ سعيد كيفَ أثَّرَ هذا المذهبُ الفكريُّ في تشكيلِ الرُّؤيةِ والوعي الغربي بما يتعلَّقُ بالشَّرقِ، وخلَقَ عِندَ القارئِ والمُتلقّي الغربي رؤيةً سيئةً وغيرَ دقيقةٍ عَنِ الشَّرقِ، رؤيةً مَليئةً بالتَّعصُّبِ والعدوانيّةِ على العربِ وأفكارِ الشَّرقِ، ولَمْ يُقدِّمْ إدوارد سعيد هذهِ التَّحاليلَ الدَّقيقةَ مِنْ منظورِ الدِّفاعِ عَنْ كتابِهِ، كما يظنُّ البعضُ، بَلْ قدَّمَ رؤاهُ الحصيفةَ والدَّقيقةَ مِنْ مَنظورِ النَّقدِ الموضوعيِّ بهدفِ الكشفِ عَنْ أخطاءِ الغربِ بمقارباتِهِ ورؤيتِهِ للشرقِ، وأرادَ هذا المُفكِّرُ العملاقُ أنْ يطرحَ رؤيةً جديدةً ومقاربةً دقيقةً تُساهمُ في ردمِ الهوَّةِ المتفاقمةِ بينَ الشَّرقِ والغربِ، مُركِّزاً على احترامِ التَّعدُّديَّةِ الثَّقافيَّةِ، وربْطِ المعرفةِ والثَّقافةِ بالنَّزعةِ الإنسانيَّةِ، بعيداً عَنْ ربطِها بالنَّزعةِ التَّسلُّطيَّةِ الأيديولوجيَّةِ الَّتي تُدمِّرُ بعضَ البلدانِ على حسابِ الرُّؤيةِ التَّعصُّبيَّةِ الغربيَّةِ فيما يَتعلَّقُ بالشَّرقِ أو بأيَّةِ رقعةٍ جغرافيَّة أخرى في العالمِ.

كانَ يوجّهُ الطُّلَّابَ العربَ والمشرقيّينَ إلى دراسةِ تاريخِ الأُمَمِ ودراسةِ ثقافاتِ الحضاراتِ الأخرى، كي يتمكَّنوا مِنْ معرفةِ دقائقِ الأمورِ وعلاقاتِها مَعَ بعضِها بعضاً بدقَّةٍ، لا أنْ يكتفوا بدراسةِ تاريخِهم فقط، لأنَّهم باطلاعِهم على ثقافاتِ الأُمَمِ الأخرى وحضاراتِها، إضافةً إلى الاطِّلاعِ على ثقافَتِهم وحضارتِهم، يستطيعونَ أنْ يقدّموا مقارباتٍ دقيقةً بعيدةً عَنْ أيّ انحيازٍ لأيّ طَرفٍ مِنَ الأطرافِ، وبهذا يكونُ كلُّ طَرفٍ قَدْ أخذَ حقَّهُ، مِنْ دونِ أنْ يستغلَّ أيُّ طرفٍ الطَّرفَ الآخرَ، وهذا ما كانَ يتوخَّاه إدوارد سعيد عبرَ توجُّهاتِهِ وكتبِهِ، الّتي عبَّرَ عنها بكلِّ دقَّةٍ وموضوعيَّةٍ!

عملَ المفكّرِ الكبير الدُّكتور إدوارد سعيد أستاذاً للنقدِ الأدبي والأدبِ المقارنِ في جامعةِ كولولمبيا في نيوريورك، وأستاذاً زائراً في العديدِ مِنَ المؤسَّساتِ الأكاديميَّةِ في الولاياتِ المتَّحدةِ، كما قدَّمَ محاضراتِهِ في أكثرِ مِنْ مئةِ جامعةٍ مِنْ جامعاتِ العالم، منها جامعةُ هارفارد وجونز هوبكينز، وجامعةُ ييل، والكثيرُ مِنَ الجامعاتِ المهتمَّةِ بتحاليلِهِ وأفكارِهِ وفضاءَاتِ رؤاهُ الرّائدةِ. وقَدْ قدَّمَ كلَّ هذهِ المحاضراتِ في أرقى المحافلِ الجامعيّةِ في رِحابِ الغربِ، لأنَّ رؤاهُ كانَتْ خلّاقةً ومتنوّرةً وقويمةً، لأنّها كانَتْ مستندةً إلى مقارباتٍ دقيقةٍ ومنطقيَّةٍ وواقعيَّةٍ، بعيداً عَنِ الانحيازِ إلى الشَّرقِ أو الوقوفِ في وجهِ الغربِ، بَلْ الوقوفُ مَعَ حقوقِ الشُّعوبِ، وقدَّمَ آراءَهُ مِنْ خلالِ تحليلاتٍ ومقارباتٍ عميقةٍ، وفنّدَها بطريقةٍ مقنعةٍ وبحسبِ استنباطِها مِنَ الواقعِ الملموسِ، ولهذا انتشرَ انتشاراً كبيراً وحَظي بإهتمامِ كبارِ المفكّرينَ في العالمِ ودُعي أستاذاً محاضِراً إلى أرقى الجامعاتِ لتقديمِ محاضراتِهِ في محافلِها الرّاقيةِ!

كانَ المفكّر إدوارد سعيد عُضواً مُهمَّاً في الأكاديميّةِ الأميريكيّةِ للفنونِ والعلومِ، وعضواً في نادي القلمِ الدَّولي والجمعيّةِ الملكيّةِ للأدبِ والجمعيّةِ الأميريكيّةِ للفلسفةِ، ورئيساً لجمعيَّةِ اللُّغةِ الحَديثةِ، ومُحرّراً في مُجلّةٍ فَصليَّةٍ خاصّةٍ بالدِّراساتِ العربيّةِ. وكانَ يُتقنُ اللُّغةَ الإنكليزيَّةَ والعربيَّةَ والفرنسيَّةَ، ومُلمَّاً بالإسبانيّةِ والألمانيَّةِ والإيطاليَّةِ، ومَعَ أنّهُ أقامَ منذُ سنٍّ مُبكّرٍ في الولاياتِ المتَّحدةِ، إلَّا أنّهُ كانَ قارئاً بارعاً ثمَّ كاتباً مُواظباً بالعربيّةِ على عَكسِ العَديدِ مِنَ الكتَّابِ العربِ مِمَّنْ عاشوا في الدُّولِ الغَربيّةِ وتراجعَتْ لغتُهم العربيّةُ إلى حدٍّ بعيدٍ على حسابِ تنامي اللُّغاتِ الأجنبيّةِ الّتي تعلَّموها في الغربِ، إلَّا أنَّ إدوارد سعيد تمسَّكَ باللُّغةِ العربيّةِ وطوَّرَ نفسَهُ في فضاءَاتِها، إلى أنْ كتبَ فيها ببراعةٍ وكأنَّهُ كانَ يعيشُ في دُنيا الشّرقِ والعالمِ العربيّ. وإضافةً إلى باعِهِ الكبير في فضاءِ الكتابةِ والبحوثِ والتَّعليمِ الأكاديمي، فقدْ امتلكَ إدوارد سعيد معرفةً عميقةً بالموسيقى وتاريخِها، وقادَهُ شغفُهُ العميقُ بالموسيقى إلى تأليفِ كتابَينِ، حملَ الكتابُ الأوَّلُ عنوانَ: "متتاليات موسيقيّة"، والكتابُ الثَّاني بعنوان: "عَنِ النَّموذجِ الأخيرِ: الموسيقى والأدب ضدَّ التيارِ"، وقَدْ كانَ عازفاً ماهراً على البيانو بطريقةٍ احترافيّةٍ عاليةٍ.

كانَ إدوارد سعيد مفكّراً رصيناً، وناقداً عميقاً وباحثاً حصيفاً يعطي رأيَهُ بكلِّ جرأةٍ، ورصانةٍ، مِنْ دونِ أيِّ تردُّدٍ، وقَدْ كانَ عضواً بارزاً في المجلسِ الوطني الفلسطيني على مدى أربعةَ عشرَ عاماً، ثمَّ استقالَ مِنْ عضويَّةِ المجلسِ، لأنَّهُ عارضَ بشدّةٍ بعضَ مواقفِ الرَّئيسِ الفلسطيني ياسر عرفات، خاصَّةً ما تتعلَّقُ باتفاقيَّاتِ أوسلو، الَّتي رآها صفقةً خاسرةً للفلسطينيين، وقَدْ كانَ رأيُهُ سديداً على أكثرِ مِنْ صَعيدٍ في هذهِ السِّياقاتِ، وكانَ لَهُ خلالَ مسيرتِهِ الفكريَّةِ العميقةِ، مواقفُ جريئةٌ للغايةِ، بما يتعلَّقُ بالكثيرِ مِنْ قضايا الشرَّقِ الأوسطِ، وقَدْ قال عَنْهُ روبرت فيسك: إنَّهُ أكثرُ صوتٍ فعالٍ في الدَّفاعِ عَنِ القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، وطالبَ بقيامِ دولةِ فلسطينيَّةٍ ذاتِ سيادةٍ أُسوةً بكلِّ بلادِ العالمِ الّتي لها كاملُ السِّيادةِ فوقَ أراضيها، ويعتبرُ إدوارد سعيد منظِّراً كبيراً في الأدبِ والفكرِ التَّنويري ومُدافعاً عِنْ حقوقِ الإنسانِ، ولَهُ آراءٌ عميقةٌ وموضوعيَّةٌ في الاستشراقِ، وقَدْ أسَّسَ طروحاتِهِ وفنَّدَ آفاقَ رؤاهُ مِنْ خِلالِ ثقافتِهِ العَميقةِ ومعرفتِهِ الضَّليعةِ بالأدبِ الغربي وما يُطلقُ عليهِ اصطلاحاً بالأدبِ الاستعماري، واطَّلعَ بعُمقٍ على فلسفةِ البنيويَّةِ وما بعدَ البنيويَّةِ، وخاصَّةً كتاباتُ روَّادَيهما ميشيل فوكو وجاك دريدا. وردَّ عليهما ردّاً عميقاً مُفنِّداً الكثيرَ مِنَ الأفكارِ الّتي ورَدَتْ في كتابيهما، وقدَّمَ تحاليلَهُ عبرَ كتابِهِ "الاستشراق" ومؤلَّفاتِهِ الأخرى، وكانَ لكتبِهِ تأثيرُها الكبيرُ في الأدبِ والنَّقدِ الأدبيّ، إضافةً إلى تأثيرِها في العلومِ الإنسانيّةِ، كما أثَّرَتْ في دراسةِ الشَّرقِ الأوسطِ وعلى وجهِ الخصوصِ في تحوُّلِ طُرقِ الصِّفاتِ الّتي تُطلَقُ على الشَّرقِ الأوسطِ. وناقشَ وجادلَ إدوارد سعيد حولَ نظريَّته في الاستشراقِ مَعَ العديد مِنَ المختصّينَ في التَّاريخِ والعلومِ الإنسانيّةِ، وقد شكَّلَتْ دراساتُهُ منعطفاً هامَّاً في تاريخِ الاستشراقِ، وتوقَّفَ عندَ بحوثِهِ ورؤاه وتحاليلِهِ عدّةُ مفكّرينَ في آفاقِ الاستشراقِ، واختلفَ بعضُ المفكّرينَ معَهُ ولاسيما المستشرقونَ التقليديونَ أمثالُ برنارد لويس. وردَّ على متابعيهِ ومُنتقديهِ بكلِّ رصانةِ وهدوءٍ، مفنّداً ردودَهُ بتحاليلَ عميقةٍ ومُقنعةٍ، لهذا حقَّقَ حضوراً متميّزاً في فضاءِ الرُّؤيةِ الاستشراقيّةِ.

أصدرَ إدوارد سعيد العديدَ مِنَ المؤلَّفاتِ الفكريَّةِ والأدبيّة والنَّقديَّةِ منها: جوزيف كونراد ورواية السِّيرة الذَّاتيّة 1966 وأُعيدَ نشرُهُ 2007، وكانَ هذا الكتابُ امتداداً لأطروحتِهِ في الدُّكتوراه، وبدايات: القصد والمنهج بازيك بوك 1975، والاستشراق 1978، وأصدرَ الطَّبعة 25 في 2003، ومسألة فلسطين 1979، وتغطية الإسلام: كيفَ تُحدِّدُ وسائلُ الإعلامِ والخبراءِ الطَّريقةَ الَّتي نرى فيها العالمَ، والعالمُ والنَّصُّ والنَّاقدُ 1983، ما بعدَ السَّماءِ الأخيرةِ: حياةُ الفلسطينيينَ 1986 والقوميّةُ والاستعمارُ والأدبُ 1988، ومتتاليات موسيقيّة 1991، والثَّقافةُ والإمبرياليّةُ 1993، وسياسةُ التَّجريدِ: كفاح شعب فلسطين لتقرير المصير 1969–1994، الصَّادر 1994، السَّلامُ والسُّخطُ عليهِ: مقالاتٌ عَنْ فلسطين وعمليَّةِ السَّلامِ في الشَّرقِ الأوسطِ 1995، وخارج المكان: سيرة ذاتيّة 1999، فاز هذا الكتاب سنة 1999 بجائزة نيويوركر بوك، ونهايةُ عمليَّةِ السَّلامِ: أوسلو وما بعدَها 2001، وتأمُّلات مِنَ المنفى ومقالات أخرى، والمتشابهات والمتناقضات: استكشافات في الموسيقى والمجتمع بالإشتراك مَعَ دانييل بارينبويم 2002، وفرويد وغير الأوربي 2003، ومِنْ أوسلو إلى العراقِ وخريطةُ الطَّريقِ 2004، والإنسانيَّةُ ونقدُ الدِّيمقراطيَّةِ، وعَنِ النّموذجِ الأخيرِ: الموسيقى والأدبُ ضدَّ التِّيارِ وغيرِها مِنَ الكتبِ النَّقديّة والفكريّة والأدبيّة. وكتبَ العديدَ مِنَ الدِّراساتِ والمقالاتِ حولَ الصِّراعِ العربي الإسرائيلي وقضايا سياسيّة أخرى، وقضايا ثقافيّة وأدبيّة وفكريّة، ونشر مقالاتِهِ ودراساتِهِ في عدّة صحفٍ ومجلَّاتٍ، منها دورية "ذا نيشن"، وصحيفة "الغارديان"، ومجلة "لندن ريفيو أوف بوكس"، وصحيفة "لوموند ديبلوماتيك"، و"الأهرام" وغيرها مِنَ الصُّحفِ والمجلَّاتِ. وقَدْ تُرجِمَتْ كتُبُهُ إلى أكثرِ مِنْ عشرينَ لُغةً مِنْ لغاتِ العالمِ، وأصبحت مَرجعاً للكثيرِ مِنَ المهتمّينَ بقضايا النَّقدِ الأدبي والفكر والاستشراقِ.

حقَّقَ المُفكِّرُ والنَّاقدُ إدوارد سعيد حُضوراً مُتميّزاً في المَحافلِ الدَّوليّةِ وفي العَديدِ مِنْ جَامعاتِ أميريكا وجامعاتٍ أخرى، لِما قدَّمَهُ عبرَ إصداراتِهِ مِنْ رؤيةٍ فكريَّةٍ نقديَّةٍ عميقةٍ. كانَتْ رؤاهُ متجدّدةً ومتقدّمةً عمَّنْ سبقَوهُ وكتبوا عَنِ الاستشراقِ، لهذا كُرِّمَ إدوارد سعيد عشراتِ المرَّاتِ، ومُنِحَ العضويّة مِنْ عدَّةِ مؤسَّساتِ ثقافيَّةٍ مرموقةٍ، وحصلَ على شهاداتٍ فخريَّةٍ من عدَّةِ جامعاتٍ عالميّةٍ تكريماً لما قدّمَهُ في فضاءِ الإبداعِ مِنْ آراءٍ قلَّ نظيرها. كما حصلَ على العديدِ مِنَ الجوائزِ منها "جائزة بودين" مِنْ جامعةِ هارفارد، وجائزة ليونيل تريلينغ، وجائزة ويليك من الجمعية الأميركية للأدبِ المقارنِ، وجائزة سبينوزا، وجائزة أمير أستورياس وغيرِها مِنَ الجوائزِ.
توفي المفكَّر إدوارد سعيد بعدَ رحلةٍ طويلةٍ حافلةٍ بالعطاءِ الخلَّاقِ، في إحدى مُستشفياتِ نيويورك يوم 25 سبتمبر (أيلول) 2003 بعدَ أكثرَ مِنْ عشرِ سنواتٍ مِنَ الصِّراعِ مَعَ سرطانِ الدَّم، اللَّوكيميا. وتنفيذاً لوصيتِهِ دُفِنَ رمادُهُ في مدفَنِ الاصدقاءِ في بلدةِ برمانا الجبليّةِ اللّبنانيّةِ، وسطَ جُمهورٍ غفيرٍ مِنْ مُحبّي إدوارد سعيد!

ستوكهولم: تمُّوز (يوليو) 2024

الكاتبة والباحثة السُوريّة البروفيسورة ريم شطيح
تحملُ في عوالمِها آفاقاً شاهقةً في فضاءِ الحداثةِ والتَّنوير



البروفيسورة ريم شطيح
82

ترعرعَتِ الباحثةُ والكاتبة السُوريّة ريم شطيح في كَنفِ أسرةٍ عريقةٍ، تهتمُّ بالقراءَةِ والمطالعةِ والثَّقافةِ والتَّحصيلِ العلمي، فقدْ كانَ والدُها يحملُ آفاقاً فكريّةً وفنّيّةً، حيثُ كانَ مُطرباً ومُلحّناً وعازفَ عودٍ، ومِنْ عُشّاقِ الفَنّ والطَّربِ الأصيلِ، تأثَّرَتْ ريم بهذِهِ الأجواءِ الثَّقافيّةِ والفنّيّةِ، وعَشقَتِ القراءَةَ والكتابةَ وقرأتِ الكثيرَ مِنَ الكتبِ الأدبيّةِ والفكريّةِ والثّقافيّةِ بمختلفِ أنواعِها، مِمّا عمَّقَتْ هذهِ القراءَاتُ مِنْ آفاقِ طُموحاتِها. عاشَتْ طُفولةً سعيدةً وآمنةً بينَ أحضانِ أُسرةٍ تحتضنُ العلمَ والفنَّ والفكرَ الرَّاقي. قضَتِ الفترةَ الأولى مِنْ طفولتِها في بيروتَ، وتابعَتْ دراستَها في الصَّفِّ الرَّابعِ الابتدائي في سوريا، مدينة حمص، ثمَّ تابعَتْ دراساتِها للمرحلةِ الإعداديّةِ والثَّانويّةِ والتحقَتْ بجامعةِ البعثِ في حمصَ، قسمِ اللُّغةِ الانكليزيّة، وتعمَّقَتْ انكليزيَّتُها باللَّهجةِ الأميريكيّة لتواصلِها مَعَ الجالياتِ السُوريّةِ المهاجرةِ إلى أميريكا والوافدةِ عبرَ زياراتِها للوطنِ.

بدأتْ تكتبُ الخواطرَ الأدبيّةَ والقصائدَ الشِّعريّةَ، وهي في مقتبلِ العُمرِ، تُعبّرُ عَنْ هواجسِها، وجنحَتْ نحوَ فضاءِ التَّمرُّدِ مُنذُ أنْ حَملَتِ القلمَ، فلا تقتنعُ بأيَّةِ عادةٍ أو تقليدٍ لا يتقبَّلُهُ عقلُها وفكرُها، لهذا سرعانَ ما وقفَتَ ضدَّ بعضِ العاداتِ والتَّقاليدِ الموروثةِ الَّتي لا تلائمُ عوالمَها، وظلَّتْ هذهِ الرَّؤيةُ النَّقديّةُ مُستمرّةً معَها إلى أنْ شبَّتْ عَنِ الطَّوقِ، وحملَتْ في آفاقِها روحَ التَّمرُّدِ ضدَّ كلِّ ما هو رجعيٌّ وغيرُ حضاريٍّ، مُركِّزةً على آفاقِ الرُّؤيةِ التَّنويريّةِ والحضاريّةِ، وقَدْ استهوتها تطلُّعاتُ ما كانَتْ تطرحُهُ الدُّكتورة نوال السَّعداوي، واطلعَتْ على أغلبِ كتاباتِها وتأثَّرَتْ بها وبرؤاها التَّنويريّةِ، وانعكسَتْ هذهِ الرُّؤى بشكلٍ ملحوظٍ في مقالاتِها وكتاباتِها فقَدْ سلَّطَتْ قلمَها على كلِّ ما تراهُ غيرَ موائمٍ لتطوُّراتِ العَصرِ، وغيرَ مُناسبٍ لِمَا نحنُ عليهِ، لهذا انبثقَ في فضاءِ مقالاتِها رؤيةٌ عميقةٌ في مسارِ التَّغييرِ والتَّطويرِ، وراحَتْ تنتقدُ الاعوجاجاتِ والفسادَ وكلَّ ما يدفعُ

المجتمعَ نحوَ التَّخلُّفِ والتَّراجعِ، مُركِّزةً على إبرازِ الآراءِ التَّنويريَّةِ الخلَّاقةِ الَّتي تُساهِمُ في تقدُّمِ البلادِ والمجتمعِ الَّذي تعيشُ فيهِ أو في أيِّ مُجتمعٍ مِنْ مجتمعاتِ العالمِ، إلى أنْ غدَا ديدنُها تبنِّي الفكرِ التَّنويري الخلّاقِ!

تجنحُ البروفيسورة ريم شطيح نحوَ فضَاءِ البحثِ والغوصِ عميقاً في الفكرِ الجادِّ والأصيلِ، فهي تقومُ بدراساتٍ وبحوثٍ عميقةٍ في أيِّ مَوضوعٍ تطرحُهُ كي تقدِّمَ رؤاها ووجهاتِ نظرِها بدقَّةٍ فيما تعبّرُ عَنهُ، فهي باحثةٌ عميقةٌ في هذا المضمارِ، لِما لها مِنْ شغفٍ كبيرٍ للتعبيرِ عَنْ تفاصيلِ الموضوعاتِ الَّتي تكتبُ عنها، وتركّزُ في بحوثِها عَنْ كلِّ ما هو تنويريٌّ وحداثويٌّ، فكلُّ مواضيعِها ومقالاتِها وكتاباتِها تصبُّ في فضاءِ الحداثةِ والتَّطويرِ، وتقديمِ الحلولِ النّاجعةِ والآراءِ المُفيدةِ لاستنهاضِ الأوضاعِ الَّتي تتطلَّبُ المزيدَ مِنَ الرُّقيِّ والتَّحضُّرِ والتَّقدُّمِ في المجالاتِ الَّتي تُناقِشُها وتطرحُها على بساطِ البحثِ. تكتبُ مواضيعَها عَنِ الإنسانِ، والمرأةِ، وعَنْ قضايا اجتماعيّة وفكريّة متعدِّدةٍ، وعَنِ الدِّيكتاتوريّةِ السِّياسيّةِ والدِّينيّةِ، وعَنِ القضايا المتعلِّقةِ ببناءِ وتطويرِ المجتمعِ. تركّزُ في دراساتِها وبحوثِها عَلى تحليلِ الظَّاهرةِ الَّتي تُقدِّمُ بحثاً عنها تحليلاً دقيقاً، وتقدِّمُ الحلولَ المناسبةَ للظواهرِ الَّتي تقومُ بدراستِها، وترى أنَّ المصالحَ الضَّيّقةَ تقودُ للكثيرِ مِنَ المواقفِ السِّياسيَّةِ إلى خلافاتٍ وحروبٍ وتؤدِّي إلى كوارثَ ودمارٍ وخرابِ البلادِ في الكثيرِ مِنَ الأحيانِ، وهذا كلُّهُ ناجمٌ عَنْ عدمِ انفتاحِ الأطرافِ المتصارعةِ والمتناحرةِ مَعَ بعضِها بعضاً، مِمَّا جعلها تصطدمُ مَصالِحُهم وتتفاقمُ الخلافاتُ على هذهِ المصالحِ، إلى أنْ تصلَ إلى مرحلةِ التَّصادُمِ والحربِ فيما بينهم، فهي ترى أنَّ هذهِ المصالحَ يشوبُها الاستغلالُ والانانيّةُ في أغلبِ الأحيانِ، وتؤدِّي إلى حالاتٍ مُدمِّرةٍ على مُعظمِ الأطرافِ المُتصارعةِ، وهذا ما رأيناهُ ونراهُ مُتفاقماً في مُعظمِ البلدانِ الّتي نشبَتْ فيها الحروبُ، كما نشبَتْ في أغلبِ أنحاءِ العالمِ مُنذُ القديمِ حتَّى وقتِنا الرَّاهنِ، بما فيها الصِّراعات السّائدة حاليَّاً في دُنيا الشَّرقِ والعالمِ العربي وفي الكثيرِ مِنْ جغرافيَّاتِ العالمِ الّتي تتأجَّجُ فيها الحروبُ أجيجاً حارقاً كأنَّها على صفيحٍ ملظَّى مِنْ لهيبِ النَّارِ!

تنظرُ الباحثةُ ريم شطيح إلى مَا تراهُ متفشّياً في سِياساتِ العالمِ مِنْ صِراعاتٍ مُميتَةٍ ومَريرةٍ، وترى أنَّهُ مِنَ الضَّروريِّ أنْ تثورَ هذهِ الشُّعوبُ المضطّهدةُ والمنكوبةُ على الواقعِ المرِّ الَّذي تعيشُ فيهِ، وتطالِبَ بإيقافِ الحروبِ والصِّراعاتِ الدَّائرةِ في بلدانِهم، لعلَّها تستطيعُ تغييرَ واقعَ بلدانِهم نحوَ الأفضلِ، عندئذٍ سيضطّرُ السِّياسيُّونَ إلى تلبيةِ طلباتِ الشُّعوبِ، والرُّضوخِ لها، وإلَّا فإنّها ستثورُ على حكوماتِ بلدانِها، وتطالِبُ بتحقيقِ طلباتِها إلى أنْ يتمَّ تحقيقُها. وترى شطيح، هذهِ الباحثةُ عَنْ حقوقِ الإنسانِ، أنَّ المرأةَ في الشَّرقِ ما تزالُ مقموعةً ومضطّهدةً في الكثيرِ مِنَ المواقعِ، وتحتاجُ إلى المزيدِ مِنَ التَّكافُؤِ والحُرّياتِ، وإلى تحقيقِ فُرَصٍ جديدةٍ تُتَاحُ لها كي تحقّقَ المساواةَ مَعَ الرَّجلِ، ولا يُمكِنُ أنْ تُحقّقَ المرأةُ هذهِ الميّزاتِ في رحابِ الشَّرقِ والعالمِ العربي، إلَّا بتضافرِ وتضامُنِ جهودِ النِّساءِ في هذهِ البلدانِ، وتدافعُ عَنْ حقوقِها عبرَ الكثيرِ مِنْ مؤسَّساتِ الدَّولةِ المتعلِّقة بحقوقِ المرأةِ، وتنظِّمُ جهودَها ومطالِبَها إلى أنْ تضعَ الحكومةَ في موقفٍ تستجيبُ فيهِ إلى تحقيقِ طلباتِ المرأةِ، وإلّا ستصبحُ الدَّولةُ في حالةِ صِراعٍ مَعَ نصفِ أفرادِ المجتمعِ. ولا تغفلُ الباحثةُ ريم شطيح الوقوفَ عندَ الكثيرِ مِنَ القضايا الاجتماعيّة والفكريّة والحياتيّة، الّتي لا تنصفُ الإنسانَ في المجتمعِ،

فتطالبُ بتغييرِ هذهِ الظَّواهرِ غيرِ الدِّيمقراطيّة وغيرِ العادلةِ، فهي دائماً ترصدُ قلمَها للدفاعِ عَنْ حقوقِ المُهمَّشينَ والمَهضومةِ حقوقَهم، وتطالبُ بتحقيقِ حقوقِهم مِثلَما يأخذُ الرَّجلُ حقَّهُ في كافّةِ المواقع.

الباحثةُ والكاتبةُ السُّوريّة ريم شطيح، بروفيسورة مُتخصّصة في علمِ النَّفسِ مِنْ جامعاتِ أميريكا، وتُدرّسُ علمَ النَّفسِ في ثلاثِ جامعاتٍ في أميريكا، وحقَّقَتْ نجاحاً كبيراً في تدريسِ مادّتِها، لِما تحملُ مِنْ رؤيةٍ عَميقةٍ في مَجالِ تخصُّصِها ولِمَا لها مِنْ باعٍ شاهقٍ في التَّعليمِ، ورؤيةٍ عَميقةٍ في التَّحليلِ والتَّطويرِ، تغوصُ عميقاً في فضاءَاتِ عِلمِ النَّفسِ مِنْ خلالِ سَبرِها وغوصِها في هذهِ العَوالمِ، لأنَّها تحملُ آفاقاً خلّاقةً في هذا الفضاءِ الرَّحبِ، فقَدْ تخصَّصَتْ في هذا المَجالِ مِنَ العُلومِ النَّفسيّةِ الَّتي تتجذَّرُ في أعماقِ كينونةِ الإنسانِ، وهذا التَّخصُّصُ هو مفتاحُ الماسترِ للعبورِ عميقاً في عوالمِ الإنسانِ مِنْ أغلبِ جوانبِ الحياة، ولهُ أهمّيّةٌ كبرى في تشكيلِ شخصيّةِ الإنسانِ، وهو حاملُ بُنيةِ الشَّخصيّة بكلِّ ما فيها مِنْ تطلُّعاتٍ وآفاقٍ شاهقةٍ، لتحقيقِ طموحاتِها المتعدِّدةِ. تدرّسُ موادَّها بمُتعةٍ غامرةٍ، وتتفاعلُ طالباتُها وطلَّابُها في محاضراتِها، لِمَا لها مِنْ طُرقٍ ناجحةٍ وشيّقةٍ في تقديمِها، فهي تعتمدُ على خلقِ حالةِ تفاعلٍ في التَّحليلِ والتَّفكيرِ لدى الطَّلَّابِ والطَّالباتِ، فينجذبُونَ إلى المحاضراتِ بذهنٍ مفتوحٍ وتركيزٍ عالٍ، وتحقّقُ تفاعلاً بديعاً بينها وبينَ طلّابِها وطالباتِها، خاصّةً أنَّ طريقةَ التَّدريسِ في الغربِ، وفي أميريكا تختلفُ عمّا هو سائدٌ في الشَّرقِ، حيثُ تعتمدُ الطُّرقُ الشَّرقيّة في التَّدريسِ في الجامعاتِ العربيّةِ على تلقينِ المعلوماتِ، بينما في الجامعاتِ الغربيّة ومنها أميريكا، فالأسلوب المتبَّعُ هو تحفيزُ الطَّالبِ والطَّالبةِ على التَّفكير والتَّحليلِ وخلقِ حالةِ تفاعُلٍ بينَ الطُّلَّابِ والمدرّسينَ، وبالتَّالي يكونُ الطَّالبُ في حالةِ تفاعُلٍ ويقدِّمُ رؤيةً فعَّالة لِمَا يفكّرُ بِهِ ويحلّلُهُ، بينما في الجامعاتِ الشَّرقيّةِ يكونُ الطَّالبُ في حالةِ تلقّي المَعلوماتِ وحفظِها وعرضِها، ونادراً ما يُسْمَحُ لَهُ بالاجتهادِ أو التَّحليلِ والتَّفنيدِ والَّذي أحياناً يكونُ مُخالفاً لِما يدرسُهُ أو يتلقَّاهُ في المحاضراتِ في الجامعاتِ الغربيّةِ، ولهذا هناكَ فرقٌ كبيرٌ في طريقةِ التَّدريسِ ما بينَ الشَّرقِ والغربِ، فيتخرّجُ الطَّالبُ الشَّرقيُّ حافظاً المَنهاجَ وبعدَ فترةٍ ربَّما ينسى القسمَ الأكبرَ مِنَ المعلوماتِ الَّتي حفظَها، بينما الطَّالبُ الغربي يقومُ بعمليَّةٍ تحليليَّةٍ وتفكيرٍ وتفنيدٍ لِما يقرَؤُهُ وبالتَّالي يصبحُ المَنهاجُ لديهِ حالةً تحليليّةً أكثرَ مِنْ أنْ يكونَ حالةً تلقينيّةً وحفظيَّةً!

ترى الباحثةُ ريم شطيح أنَّ القمعَ وعدمَ توفُّرِ الحرّياتِ هو الذَّي يُعيقُ تحقيقَ آفاقِ التَّنويرِ، والشَّرقُ ضمنَ توجُّهاتِهِ لا يهتمُّ بتطويرِ البُنيةِ التَّحتيّةِ ولا بالبُنيةِ الفوقيّةِ إلَّا على نطاقٍ ضيّقٍ ومحدودٍ جدًّا، كما لا يهتمُّ بالتَّطوُّرِ التِّكنولوجي بالمفهومِ العميقِ لهذا التطوُّرِ، والقمعُ السِّياسي هو السَّائدُ، وكذلكَ القمعُ القومي والدِّيني في بعضِ الأحيانِ، وكلُّ هذا القمعِ يؤثِّرُ على عدمِ سطوعِ آفاقِ التَّنويرِ، وإنَّ كلَّ مَنْ يكتبُ في فضاءِ التَّنويرِ، ولَهُ رؤيةٌ تنويريَّةٌ في توجُّهاتِهِ، غالباً ما يُعتبَرُ ضدَّ الأنظمةِ الاستبداديّةِ، لهذا نرى الأنظمةَ الاستبداديّةَ، هي الّتي تقمعُ نشرَ وترويجَ الفكرِ التَّنويري، ولو سمحَتِ الأنظمةُ السِّياسيّةُ بنشرِ الفكرِ التَّنويري في البلادِ، سيؤثِّرُ هذا الفكرُ عليها ويقودُها إلى التَّغييرِ والتَّنويرِ، وهذا ما لا يُناسبُها لأنَّ وجودَها قائمٌ على أنْ لا يسودَ الفكرُ التَّنويريُّ، كي تحافظَ على استمراريّتِها في البقاءِ على عرشِ السُّلطةِ، ولهذا نرى واقعَ

العالمِ العربي والبلدانَ القامعةَ لشعوبِها في حالةٍ مُخلخلةٍ مَعَ مواطنيها، وغالباً ما ينجمُ عَنْ هذهِ الحالةِ صراعاتٌ دمويَّةٌ تصلُ إلى حدِّ التَّصفيةِ والقتلِ والحروبِ المجنونةِ، إلى أنْ تصلَ البلادُ إلى بوَّاباتِ الجحيمِ! تكتبُ ريم شطيح مقالاتِها مِنْ خلالِ مشاهداتِها ورصدِها للمُتغيّراتِ الّتي تُصادفُها في رحلةِ الحياةِ، كما تستوحي أفكارَ كتاباتِها مِمَّا لا يُعجبُها، وهي على أُهبةِ الاستعدادِ لتسليطِ الضَّوءِ على ما تراهُ يحملُ طابعاً سَلبيَّاً، فتقومُ بتصدٍّ للظّواهرِ السَّلبيّةِ الَّتي لا تراها مُناسبةً لواقعِ المجتمعِ الَّذي تعيشُ فيهِ، وتنتقدُها بعدَ أنْ تحلِّلَ الظَّاهرةَ منْ جَميعِ جوانبِها وتضعَ الحلولَ المناسبةَ لها. تكتبُ ريم مقالاتِها بشغفٍ عميقٍ في أوقاتِ فراغِها، فلا يوجدُ لديها طقوسٌ معيّنةٌ في الكتابةِ، فهي تكتبُ في المقهى، في المكتبِ، في منزلِها، وتكتبُ الكثيرَ مِنَ الأفكارِ عبرَ هاتفِها، وأكثرُ ما يدفعُها للكتابةِ هو بحثُها الدَّائمُ عَنِ الظَّواهرِ الَّتي لا توائمُ واقعَ المجتمعِ الَّذي تعيشُ فيهِ، فتنتقدُ الظّواهرَ الّتي لا تراها تسيرُ كما يجبُ أنْ تسيرَ، وتضعُ لمساتِها ورؤاها كما يجبُ أنْ تكونَ، لا كما رأتْهُ مِن اعوجاجٍ. تقتنصُ الكاتبةُ مِنَ الزَّمنِ وقتاً لها للكتابةِ، رغمَ أنَّها مشغولةٌ طوالَ الوقتِ في تدريسِ موادِّها المقرَّرةِ في ثلاثِ جامعاتٍ أمريكيّةٍ وهي بعيدةٌ نسبيَّاً عَنْ بعضِها بعضَاً.

وفيما يخصُّ الرُّؤيةِ الشَّرقيّة والغربيّة، ترى شطيح أنَّ هناكَ أساسيَّاتٍ مشتركةً بينَ الموروثِ الشَّرقي والغربي، كالجوانب الإنسانيّة: الرّحمة، العدالة، المساواة، التَّعاون، الصّدق وتشجيعِ الآخرينَ على الرُّؤيةِ الصَّائبة، وتقفُ ضدَّ الموروثِ الّذي يعيقُ التَّطويرَ، فهي تبحثُ عَنْ كلِّ ما هو حداثويٌّ وتنويريٌّ وحضاريٌّ، لكنَّها في الوقتِ نفسِهِ تجدُ أنَّ هناكَ الكثيرَ مِنَ الرُّؤى الجيّدةِ في الشَّرقِ أيضاً، يمكنُ أنْ نعمّقَها ونسيرَ على خطاها، لهذا توائمُ الباحثةُ بينَ ما هو جيّد في الشَّرقِ والغربِ معاً، وتصطفي ما هو مناسبٌ مِنْ كلا الطَّرفين، وتركّزُ على تماسُكِ الأسرةِ وانسجامِها، كما تركّزُ على دعمِ الأولادِ، بنينَ وبناتٍ على حدٍّ سواءٍ، وعلى خلقِ حالةِ توازنٍ بينَ تطلُّعاتِ المجتمعِ الشَّرقي وآفاقِ الرُّؤيةِ الغربيّةِ، فهي تعيشُ بكلِّ سلاسةٍ في دُنيا الاغتراب.

تسلّطُ مَجسَّاتِ قلمِها على واقعِ الإعلامِ الشَّرقيّ والعربيّ، فتراهُ يتراجعُ عاماً بعدَ آخر، ولا يركّزُ على الأفكارِ التَّنويريّة في برامجِهِ، ونادراً ما يدعو الإعلامُ المفكّرينَ الَّذينَ يحملونَ فكراً تنويريَّاً، ولا يضعُ في برامجِهِ خططاً لترويجِ ثقافةِ التَّنويرِ، بقدرِ ما يقدّمُ برامجَ تخدمُ السّياسةَ السَّائدةَ في كلِّ بلدٍ، وكأنَّ الإعلامَ هو مرآةٌ عاكسةٌ لسياسةِ هذا البلدِ أو ذاكَ، فكيفَ سيحدثُ التَّطويرُ والتَّحديثُ أمامَ واقعٍ إعلاميٍّ وتعليمي يحملُ في أعماقِ توجُّهاتِهِ آفاقاً سطحيّةً وبعيدةً كلَّ البُعدِ عمّا هو تنويري وحضاري وإنساني، وهو إعلامٌ رسميٌّ غيرُ حرّ، يروّجُ للسلطةِ وبرامجِها وتوجّهاتِها، وترى أنَّ المستقبلَ هو للفكرِ التَّنويري مهما طمسَهُ الإعلامُ في أيِّ بلدٍ مِنْ العالمِ العربي، ولابدَّ مِنْ تغييرِ مناهجِهِ ودساتيرِهِ وتقنيات أدواتِهِ في قيادةِ البلادِ على مستوى كافّةِ المراحل التّعليميّةِ والإعلاميّة، للنهوضِ بالبلادِ واللّحاقِ بالدُّولِ المتقدّمة لتحقيقِ تطلُّعاتِ الرُّؤيةِ التَّنويريّة والحضاريّة في دنيا الشَّرقِ والعالم العربي أسوةً بما وصلَتْ إليه الدُّولُ المتقدّمةُ في سائرِ مَجالاتِ الحياة!

ستوكهولم: أيار (مايو) 2024

الشَّاعر والمترجم العراقي د. هاتف جنابي،
مُبدعٌ مُتميّزٌ في التَّرجمةِ وانبعاثِ بوحِ الحَرفِ



د. هاتف جنابي

83

الشَّاعرُ والكاتبُ والمترجمُ العراقي هاتف جنابي، باحثٌ متخصِّصٌ بالحوارِ بينَ الثَّقافاتِ، ولَهُ باعٌ كبيرٌ في أدبِ الحوارِ بينَ الشَّرقِ والغربِ، فهو يرى الثَّقافةَ أنّها الجامعُ الأكبرُ للِّقاءِ بينَ الشُّعوبِ، ويتحقَّقُ هذا اللِّقاءُ عَبرَ الحوارِ مِنْ خلالِ قراءَةِ ثقافاتِ الشُّعوبِ، والاطِّلاعِ على هذهِ الثَّقافاتِ عَبرَ جُسورِ التَّرجمةِ الّتي قدَّمَ عَبرَها أرقى الكتبِ الّتي تفتحُ فضاءً شاسعاً لتقاربِ الرُّؤى بينَ تَطلُّعاتِ الشَّرقِ والغربِ، فهو مُبدعٌ مُتميّزٌ في انبعاثِ بوحِ الحَرفِ، يمتلكُ خيالاً خلّاقاً في جموحاتِهِ المُرفرِفةِ فوقَ أشهى انبعاثاتِ الجمالِ، مُستوحياً رؤاهُ مِنْ خاصرةِ الزَّمنِ، ومِنْ خِبراتِهِ وآفاقِ تطلُّعاتِهِ الغزيرةِ في الحياةِ. كتبَ العديدَ مِنَ الكتبِ في فضاءِ الشِّعرِ، "أشعارٌ محطَّمةٌ"، كيفَ استوحى فضاءَاتِ هذهِ الأشعارِ المُحطّمةِ، هَلْ أرادَ أنْ يزيحَ الغبارَ عَنْ تَحطيمِها؟ ثمَّ يحلّقُ عالياً في فضاءِ ديوانِ "القارّاتُ المتوحّشة" ويصدرُهُ مُزيّناً برسوماتِ الفنَّانِ العراقي فيصل لعيبي، مُلملِماً آفاقَ خيالِهِ، ليكتبَ ديوانَهُ "غبارُ الغزالِ" ليصدرَ عَنْ دارِ الحوارِ في وارسو، مُتوَّجاً برسوماتِ الفنَّانِ حسن المسعودي، ويتابعُ جموحاتِهِ في ديوانِ "ملائكةُ الرّحمة"، مُزيَّناً هذهِ المرَّةَ برسوماتِ زبيغنيف كريسوفاتي، ويجرفُهُ الحنينُ إلى بابلَ فيكتُبُ ديوانَهُ "بابلُ تبحثُ عَنْ بابلَ" مجموعةُ مُختاراتٍ شعريّةٍ، فهَلْ وجدَتْ بابلُ نفسَها في خِضمّ هذهِ الانكساراتِ والتَّصدُّعاتِ المُتفشّيةِ في دُنيا الشَّرقِ أمّ الحَضاراتِ؟! وجمعَ أربعةَ دواوينَ شعريّةٍ في إصدارٍ واحدٍ تحتَ عنوان "فراديسُ أيائل وعساكر"، قدَّمَهُ د. محمَّد حسين الأعرجي، مُرفِقاً بالكتابِ مقالةً مختزلةً تحدَّثَ فيها عَنِ الإيقاعِ، فقَدْ تخلخلَتْ إيقاعاتُنا في دُنيا الشَّرقِ، فعَنْ أيِّ إيقاعٍ يتحدَّثُ؟! وأصدرَ "مراسيمُ الأرضِ والسَّماءِ" باللُّغةِ البولنديّةِ، مراسيمُ فيها الكثيرُ مِنَ التأمُّلِ والتَّجلّياتِ، وتلا هذهِ المراسيمَ ديوانُ "رغبةٌ بينَ غيمتَين"، عَنْ دارِ الغاوون، يبدو أنَّ رغباتِهِ تنبلِجُ مِنْ شهقةِ الشَّمسِ، ثمَّ يعودُ إلى رِحابِ الذَّاكرةِ البعيدةِ، ليقدِّمَ لنا ديواناً مُعتَّقاً بالحنينِ " إذا دخلْتَ بيتَنا فستقبِّلُ قدميكَ العتبةُ" عَنْ دارِ الرُّوسم، بغداد. يتلوهُ

"وليمةُ الأسماكِ" عَنْ دارِ مزوبوتاميا، بغداد، فهَلْ كانتْ هذهِ الوليمةُ مِنْ وحي الأشواقِ المنبعثةِ مِنْ خميلةِ الذَّاكرةِ، أمْ كانَتْ تمهيداً لإصدارِ ديوان "ضيف" ومَنْ هو هذا الضَّيفُ المُجنَّحُ في فضاءَاتِ بوحِ الشّاعرِ؟ ويعقبُهُ ديوانُ "صمت"، المُرصَّعُ بترميزاتٍ مُتعدِّدةٍ وصُوَرٍ مُرهفةٍ وجامحةٍ، كأنَّهُ يتساءَلُ لِمَ كلُّ هذا الصَّمْتِ المُطبقِ فوقَ دُنيانا، مَتى سنعبّرُ عَنِ استيائِنا وسُخطِنا لكلِّ ما يَعترينا مِنْ كَبحٍ وقمعٍ إلى أنْ ظَلِلْنا صامتينَ صمْتَ الصُّخورِ؟! كما أصدرَ أعمالاً شعريّةً أخرى وتُرجمَ الكثيرُ منها إلى اللُّغةِ البولنديّةِ.

وللكاتبِ هاتف جنابي العديدُ مِنَ الدِّراساتِ، فقَدْ قدَّمَ دراسةً بعنوانِ: "الانسلاخُ والبحثُ عَنِ الهويَّةِ في شِعرِ شيركو به كَسْ"، في كتابٍ: حولَ الكوردِ وكردستان، وقدَّمَ دراسةً أخرى بعنوان: "الانسلاخُ والتَّشرُّدُ في شعرِ سركون بولص"، في كتابِ: الأقلّيات غيرُ المسلمة في العراق. كما قدَّمَ عدَّةَ دراساتٍ حملَتِ العناوينَ التَّاليةَ "المسرحُ العربيُّ: جذورُهُ، تاريخُهُ وتجاربُهُ الطَّليعيّةُ، دراسةٌ ذاتُ طابعٍ مقارنٍ"، و "في الأدبِ والثَّقافةِ الشَّرقِ – أوسطية، باللُّغةِ البولنديَّةِ، و"بطانةُ الثَّقافةِ العربيَّةِ". كما قدَّمَ العديدَ مِنَ المقالاتِ والبحوثِ في إصداراتِهِ. وغاصَ جنابي عميقاً في ترجمةِ أرقى ما في الشِّعرِ البولندي مِنْ تجلّياتٍ، فقدْ اشتغلَ سِنينَ طويلةً في بناءِ عالمِهِ الإبداعيّ في فضاءِ التّرجمةِ، مُتابعاً دراساتِهِ الأكاديميّةَ، خطوةً خطوةً، إلى أنْ شيّدَ لنفسِهِ فضاءً باسقاً في مِحرابِ التَّرجمةِ، والنَّقدِ، والحوارِ، والإبداعِ الخلّاقِ، واشتغلَ بهدوءٍ عَميقٍ على بناءِ وهْجِ الكلمةِ وانبعاثِها بأرقى صورِها الخَّلاقةِ، لا يكلُّ مِنَ العطاءِ، مُواظباً باستمراريّةٍ مُبهرةٍ في تجلّياتِ عطائِهِ، برغبةٍ فائقةٍ في فَضاءِ جُموحِ الحَرفِ بأصفى تدفُّقاتِهِ. هاتف جنابي باحثٌ أكاديميٌّ وناشطٌ ثقافيٌّ وإعلاميٌّ مُتفرّدٌ في فضاءِ الطُّموحِ والغوصِ عَميقاً في وهْجِ انبعاثِ القَصيدةِ بكلِّ شُموخِها وجُموحِها، وكَمْ كانَ طُموحُهُ عالياً في ترجمةِ أهمِّ الشُّعراءِ والشَّاعراتِ مِنَ اللُّغةِ البولنديّةِ إلى العربيّةِ، فقدْ ترجمَ نحوَ خمسينَ مؤلّفاً بولنديّاً في الشِّعرِ والقصّةِ والنَّقدِ والفكرِ، فضلاً عَنْ ترجماتِهِ مِنَ اللُّغةِ العَربيّةِ إلى البولنديّةِ. وحقَّقَ نجاحاً متميّزاً في ترجماتِهِ، ومِنْ ترجماتِهِ "أنطولوجيا الشِّعر البولندي في خمسة قرون" 65 شاعرةً وشاعراً، وأصدرَ الأنطولوجيا عَنْ دارِ المدى. كما ترجمَ أهمَّ الشعراءِ والشَّاعراتِ في بولندا، منهم: الشّاعرة فيسوافا شيمبورسكا، مُختارات شعريّة، والشّاعرة بربارة ميخالاك– بيكولسكا، وتادئوش روزيفيتش، والشَّاعر تشيسواف ميووش، كما ترجمَ عدَّةَ رواياتٍ وكتبَ في أدبِ الرِّحلاتِ أيضاً، ونالَتْ ترجماتُهُ انتشاراً كبيراً ونالَ الكثيرَ مِنَ الجوائزِ والأوسمةِ وشهاداتِ التَّقديرِ والتَّكريمِ عَنْ منجزِهِ الإبداعي وترجماتِهِ، ويُعتبرُ المترجِمُ هاتف جنابي مِنْ أهمِّ المُترجمينَ مِنَ البولنديّةِ إلى العربيّة، ومنِ العربيّةِ إلى البولنديّةِ!

نُشِرَتْ أشعارُهُ وأبحاثُهُ وترجماتُهُ في عَددٍ مِنْ أبرزِ المَجلّاتِ والصُّحفِ العربيّةِ والبولنديّةِ والأميريكيّةِ، كما وردَ ذكرُهُ في أكثرِ مِنْ عشرينَ موسوعةً عالميّةً فكريّةً وشعريّةً، وخُصوصاً باللُّغتَينِ الإنكليزيّةِ والبولنديّةِ، وكُتِبَتْ أكثرُ مِنْ ثلاثينَ دراسةً عَنِ هذا الشَّاعرِ والمترجمِ المبدعِ باللُّغاتِ العربيّةِ، والبولنديّةِ، والإنكليزيّةِ، والتشكيليّةِ، والفرنسيّةِ، تُشيدُ بتجربتِهِ الإبداعيّةِ المتميّزةِ الّتي كانَتْ بمثابةِ جسرٍ ثقافيٍّ بينَ الشَّرقِ والغربِ.

عَملَ الأستاذ هاتف جنابي مُدرّساً في مدينةِ كركوكَ في النِّصفِ الأوَّلِ مِنْ عقدِ السَّبعينيَّاتِ، ومُحاضِراً في مادَّتي الأدبِ العربيّ والدراما في جامعةِ تيزي- وزو في الجزائر (1985-1988)، وأستاذاً زائراً في جامعةِ انديانا الأميركيَّة (1993-1994). كما عملَ مُحاضِراً في كاتدرائيّةِ الدِّراساتِ العربيّةِ والإسلاميّةِ في جامعةِ وارسو مُنذُ ثمانينيّاتِ القرنِ الماضي حتَّى أُحِيلَ على التّقاعدِ في نهايةِ أيلولِ (سبتمبر) 2019، ثمَّ تفرّغَ لصفاءِ بوحِ الحرفِ، مُبحراً في أزهى آفاقِ القصيدةِ، ومُتَوغِّلاً في فضاءَاتِ التّرجمةِ بشغفٍ عميقٍ، وترجمَ عشراتِ الكتبِ برغبةٍ غامرةٍ، وغاصَ عميقاً في آفاقِ الحداثةِ والفكرِ التّنويريّ، مُستوحياً أرقى الأفكارِ التَّنويريّةِ مِنْ أُمّهاتِ الكُتبِ الفَلسفيّةِ والفكريّةِ والأدبيّةِ، وكتبَ بحوثَهُ وترجماتِهِ برؤيةٍ خلّاقةٍ، كي يقدّمَ خُلاصةَ تجاربِهِ ورؤاهُ الشّاهقةِ في الحياةِ إلى قرّائِهِ وقارئاتِهِ على طبقٍ مِنَ الإبداعِ الرَّصينِ.

المبدعُ الموسوعيُّ هاتف جنابي مواليدُ العراقِ، عراقِ الأصالةِ والحضارةِ والإبداعِ الخلَّاقِ، خرّيجُ جامعة بغداد 1972، وكلّيةِ اللّغاتِ جامعة وراسو 1979، وحازَ على شهادةِ الماجستير في الدِّراساتِ المسرحيّةِ المقارنةِ مِنْ جامعةِ وارسو 1979، ودكتوراه في الدِّراساتِ المسرحيّةِ، جامعةِ وارسو 1983. وقدْ امتلكَ هذا المبدعُ الخلّاقُ طُموحاتٍ شامخةً نحوَ أعلى الأعالي، وراحَ يبني مَمْلكتَهُ الفكريّةَ والأدبيّةَ والثَّقافيّةَ على أرضٍ صُلبةٍ خُطوةً خُطوةً، واضعاً نُصبَ عينيهِ أهدافاً شامخةً شموخَ الجبالِ.

المبدعُ الكبيرُ هاتف جنابي عضو في اتّحادِ الأدباءِ العراقيّين منذُ 1977، وعضو اتحادِ الأدباءِ البولنديّينَ، وعضو في نادي القلمِ البولندي، وجمعيّةِ المستشرقينَ البولنديينَ، وعضو جائزة هوميروس الدَّوليّة للشعرِ. وعضو في العديدِ مِنَ الهيئاتِ والجمعيّاتِ الثّقافيّةِ. ورئيساً للجنةِ الكتَّابِ المضطهدينَ، وعضو في جمعيَّةِ المستشرقين البولنديين. إضافةً إلى تخصُّصِهِ بالمسرحِ المقارنِ وثقافةِ وأدبِ المنفى.

كتبَ القصيدةَ العموديّةَ، وقصيدةَ التَّفعيلةِ، والشّعرَ الحرَّ و"قصيدةَ النّثر" كما كتبَ النّصَّ المفتوحَ. وقَدْ صدرَ لهُ أكثر مِنْ خمسةَ عشرةَ مجموعةً شعريّةً، وثمانيةُ كُتبٍ مُترجَمةٍ. كما تُرجِمَ جزءٌ من شعرِهِ إلى لُغاتٍ عديدةٍ. وصدرَتْ لَهُ مُختاراتٌ شعريّةٌ باللُّغاتِ: العربيّة، البولنديّة، الفرنسيّة، والإنكليزيّة، وتُرجِمَتْ لَهُ مؤخَّراً مُختاراتٌ شعريّةٌ ضَخمةٌ في الولاياتِ المتَّحدةِ الأميركيّةِ، قامَ بها الدُّكتور قحطان مندوي ونُشرِتْ في لندن، 2022. وسبقَ أنْ صدرَتْ لَهُ مختاراتٌ شعريّةٌ مِنْ جامعةِ أركنساس الأميركيّة سنة 1996، قامَ بترجمتِها والتَّقديمِ لها الشَّاعرُ والمترجمُ خالد مطاوع. وصدرَ لَهُ مختاراتٌ شعريّةٌ باللُّغتينِ الصّينيّةِ والإنكليزيّةِ، تايوان، 2022/2021، والبولندية (2023)، والإسبانية (2023).

قدَّمَ الكثيرَ مِنَ البحوثِ والحواراتِ المشتركةِ في فضاءِ المسرحِ، فقَدْ كتبَ في عامِ 1983، جامعة وارسو، كتاباً حملَ عنوان: "آفاقُ تطوُّرِ مَسرحِ البحثِ العربي، و"المسرحُ العربيُّ بين الميتافيزيقيا والواقعِ"، جامعة وارسو و"المسرحُ العربيُّ والحداثةُ في كتاب: المسرح الشَّرقي"، جامعة ياغيلونسكي، كراكوف 1998. وحقَّقَتْ هذهِ الدِّراساتُ والبحوثُ نجاحاً وانتشاراً، وسلَّطَتِ الضّوءَ على المسرحِ العربي وما وصلَ إليهِ مِنْ أبعادٍ فنِّيَّةٍ.

نشرَ أشعارَه وكتاباتِهِ النثريّةَ وأبحاثَهُ وترجماتِهِ في أرقى المجلّات الرَّصينةِ والمحكَّمةِ، بالعربيّةِ والبولنديّةِ، والإنكليزيّةِ والفرنسيّةِ والتشيكيّةِ. وبنى صداقاتٍ وعلاقاتٍ مَعَ كبارِ الشُّعراءِ والكتَّابِ في بولونيا والغربِ ودُنيا الشَّرقِ أيضاً، مُرسِّخاً لبناءِ جسرٍ ثقافيٍّ بينَ الشَّرقِ والغربِ مِنْ خلالِ التَّرجماتِ وتبادلِ الخبراتِ والثَّقافاتِ. وتُرجِمَتْ قصائدُهُ إلى اللُّغةِ الإنكليزيّةِ، الفرنسيّةِ، الألمانيّةِ، البولنديّةِ، الإسبانيّةِ، التّشيكيّةِ، السّلوفاكيّةِ، الصّينيّةِ، الرُّوسيّةِ، الفارسيّةِ، الكرديّةِ، واليونانيّةِ. وأُجرِيَتْ معَهُ حواراتٌ عديدةٌ في وسائلِ الإعلامِ المقروءةِ والمرئيّةِ والمَسموعةِ. وشاركَ في العديدِ مِنَ المؤتمراتِ والمَهرجاناتِ والنَّدواتِ الأدبيّةِ والثَّقافيّةِ والأكاديميّةِ، في أوروبا وأميريكا والبلدانِ العربيّةِ، والنِّيبالِ، ويُعتبرُ خبيراً في ثقافةِ الأقلّياتِ والحوارِ بينَ الثّقافاتِ، وضليعاً في التّرجمةِ، واستراتيجيّةِ تطويرِ الثّقافةِ العربيّةِ وآدابِها وكيفيّةِ ترويجِها والدّفاعِ عنها، وعَنْ حقوقِ الإنسانِ. حَظيَ نتاجُ هتاف جنابي الإبداعي باهتمامِ النّقادِ والمُترجمينَ والباحثينَ الأجانبِ في دُنيا الغربِ، والشَّرقِ أيضاً. لِما قدَّمَهُ مِنْ جهودٍ كبيرةٍ في فضاءِ التَّرجمةِ، فقدْ تَرجمَ لشعراءَ بولنديينَ وعربٍ وأكرادٍ منهم: أدونيس، شيركو به كَس، سعدي يوسف، قاسم حدّاد، أمجد ناصر، سيف الرَّحبي، سركون بولص، هاشم شفيق، شاكر لعيبي، ونوري الجرّاح وغيرُهم مِنَ المبدعينَ. ويُعَدُّ حالياً المُترجِمَ الأكثرَ حضوراً لترجمةِ الأدبِ البولندي إلى اللُّغةِ العربيَّةِ، وأحدَ مُمثِّلي الثَّقافةِ العربيّةِ المُهمّينَ في أوروبا. حيثُ تَرجمَ ما لا يقلُّ عَنْ خمسةٍ وسبعينَ شاعراً ومؤلّفاً بولنديّاً في مَجالاتِ الشّعرِ والقصّةِ والرّوايةِ والنّقدِ والفكرِ والمسرحِ.

حازَ على عدّةِ جوائزَ أدبيّةٍ وتقديريّةٍ ذاتَ طابعٍ دوليٍّ على أشعارِهِ وترجماتِهِ، مِن بينِها الجائزةِ الأولى للشعرِ العربي لسنة 1995 الَّتي تمنحُها جامعةُ أركنساس الأميريكيّة، وجائزةُ أفضلِ ديوانٍ شعريٍّ عَنْ ديوانِهِ "القارّاتُ المتوحّشةُ" في مهرجانِ الشِّعرِ العالمي، بوزان في بولندا في عام 1991. كما نالَ جائزةَ الشِّعرِ للعامِ 1997 الَّتي تمنحُها مجلّةُ "مينافورا" الفصليّة البولنديّة، وجائزةَ جمعيّةِ الكُتَّابِ والنّقادِ والفنّانينَ البولنديينَ في مجالِ التَّرجمةِ للعام 2003 على أعمالِهِ الأدبيَّةِ، وجائزةَ "يومُ الشِّعرِ العالمي" بالتَّعاونِ مَعَ اليونسكو للعام 2005 على أعمالِهِ الإبداعيّة، وجائزةَ الإبداعِ لسنةِ 2011 الصَّادرةَ عَنْ مؤسَّسةِ المثقَّفِ العربيِّ في سيدني، أستراليا. كما فازَ بأربعِ مُنَحِ تفرُّغٍ تقديريَّةٍ مِنْ وزارةِ الثَّقافةِ البولنديَّةِ، آخرُها كانَ في العامِ 2008، وحازَ مِنْ بينِ 789 متقدِّماً، على مَنحةِ تفرُّغٍ في الأدبِ مِنْ محافظةِ وارسو لسنةِ 2018، وعلى ميداليّةِ هومر الأوروبيّةِ العالميّةِ في الشِّعرِ والفنِّ، بروكسل 2019. ووسامِ ألفريد كوفالكوفسكي 2020 في مجالِ التَّرجمةِ الفنِّيَّةِ، اتِّحاد أدباء غرب بولندا، مارس 2020، "تثميناً لجهودِهِ المُهمَّةِ المتميِّزةِ في التَّرجمةِ الفنِّيّةِ" كما قالَتْ لُجنةُ الجائزةِ. الشَّاعرُ والمترجمُ العراقيُّ هاتف جنابي، مبدعٌ خلَّاقٌ في فضاءَاتِ التّرجمةِ، وانبعاثِ الشِّعرِ بأرقى تجلّياتِهِ.

ستوكهولم: تمُّوز، يوليو 2024

تستوحي الأديبة السُوريّة نجاح إبراهيم
حرفَها مِن مذاقِ الحياةِ وأشهى تجلّياتِ انبعاثِ الخيال



نجاح إبراهيم

84

تستوحي الكاتبة السُوريّة نجاح إبراهيم حرفَها مِنْ مَذاقِ الحياةِ، مِنْ أشهى تجلّياتِ انبعاثِ الخيالِ، مِنْ هِلالاتِ الحُلُمِ المُندَّى ببسمةِ الإشراقِ. يُضيءُ حرفُها مِثلَ بزوغِ الصَّباحِ على أنغامِ فيروز. تمتلكُ لغةً مُتناغمةً مَعَ دقَّاتِ القلبِ الهائمةِ في أصفى شَهقاتِ القَصيدةِ وأزهى جُموحاتِ السَّردِ. ينبجسُ خيالُها مِنْ مُمَاحكاتِ الأنينِ المتناثرِ فوقَ صُدغِ الوطنِ، تُبحِرُ عَميقاً في اشتعالاتِ اللَّيلِ والنّهارِ، تستوحي مِنْ لهيبِ النّيرانِ أصفى ما ينبعثُ مِنْ خَميلةِ الخيالِ، تواجِهُ برباطةِ جأْشٍ سُيوفَ الغدرِ، مُطالبةً أنْ يشربَ الجميعُ مِنَ الماءِ الزُّلالِ، مردّدةً كفاناً عُبوراً في شَفيرِ القُبْحِ، وفي أتونِ النَّارِ، وتفحُّماتِ أغصانِ الأشجارِ. تعشقُ لُغةَ الوئامِ، وتدعو إلى رفرفةِ أجنحةِ السَّلامِ فوقَ بوَّاباتِ المدائنِ، وظلالِ البيوتِ العتيقةِ، ينسابُ حرفُها مِنْ شَهوةِ الرُّوحِ المُسربلةِ بأنقى خُيوطِ الحَنينِ، حنينِ الذَّاتِ إلى براءَةِ الطُّفولةِ، إلى تغاريدِ البلابلِ، إلى جَمالِ الطَّبيعةِ، إلى موجاتِ البحرِ، إلى صَفاءِ السَّماءِ، وإلى زخَّاتِ المَطرِ في صَباحٍ مُضمَّخٍ باخضرارِ القلبِ.

تكتبُ كمَنْ تموجُ فوقَ أجيجِ الجمرِ، مُتطهّرةً مِنْ غُبارِ هذا الزّمانِ. طهَّرتْها الكلمةُ مِنْ براثِنِ السُّمومِ العالقةِ في مُنعرجاتِ العُمرِ، تُحاصِرُها التَّساؤلاتُ مِنْ كلِّ جانبٍ، كيفَ تفاقَمَتْ هذهِ السُّمُومُ فوقَ جُفونِ البلادِ؟ حلَّقَتْ بَعيداً عَنْ صَليلِ السُّيوفِ وجنونِ الحروبِ المُندلقةِ مِنْ شراهاتِ البراكينِ، لا تُطيقُ لهيبَ النَّارِ، ولا وميضَ القُبْحِ المُستشري فوقَ جَسدِ الأوطانِ، مُندهِشَةً مِنْ جُنونِ هذا الزَّمانِ، ومِنْ غَوصِهِ المُريعِ في تُرَّهاتِ الحياةِ. تزدادُ اندهاشاً بازديادِ أجيجِ النّيرانِ، لِمَ يغوصُ الإنسانُ في شَفيرِ الحروبِ وضراوةِ الاشتعالِ، تاركاً

جمالَ الوجودِ يتآكلُ رويداً رويداً في مَهبِّ النَّارِ؟! يولدُ بوحُها الرَّهيفُ مِنَ الجِراحِ الغائرةِ في شَواطئِ الرُّوحِ. الأديبةُ المبدعةُ نجاح إبراهيم لا تُحِبُّ السُّكونَ، ولا الوقوفَ في مَكانٍ واحدٍ، بَلْ نراها تتنقَّلُ بامتيازٍ في فضاءَاتِ انبعاثِ الحرفِ، إنّها كاتبةٌ نشيطةٌ وفعَّالةٌ في توجُّهاتِها الإبداعيَّةِ وفي أوجِ تجلّياتِها وبوحِها وانغماسِها في فضاءِ التَّجديدِ والتَّحديثِ. تُناصِرُ تفعيلَ دَورِ المرأةِ عالياً، لِمَا للمرأةِ مِنْ دورٍ هامٍّ في مَدارجِ الحياةِ، فهي ترى للمرأةِ دوراً فعَّالاً في المجتمعِ الَّذي تعيشُ فيهِ،لا يقلُّ عَنْ دورِ الرَّجلِ في الكثيرِ مِنْ مَواقفِ الحياةِ، لا تُريدُ أنْ تكونَ تاءَ التَّأنيثِ ساكنةً سُكوناً مشحوناً بالجُمودِ، بَلْ تُريدُها مُتحرِّكةً حِراكاً خلّاقاً شاهقاً، كي تقومَ بدورِها على الوجهِ الأكملِ. تمتلكُ فكراً وقَّاداً، وآفاقاً فنِّيّةً في أغلبِ الأجناسِ الأدبيّةِ، وهي قادرةٌ أنْ تقودَ أرفعَ المناصبِ، شأنُها شأنَ الرَّجلِ في الكثيرِ مِنَ العَطاءَاتِ، الّتي يُصعَبُ على الرَّجلِ القيامُ ببعضِ الأعمالِ الَّتي تقومُ بِها المرأةُ. تحلِّقُ الكاتبةُ عَبرَ كتاباتِها عالياً، تكتبُ بنزقٍ لِما فيها مِنْ روحِ التَّمرُّدِ على كلِّ ما هو مُحبطٌ ورجعيٌّ وجامدٌ، خاصَّةً عندَ المرأةِ، رغبةً منها أنْ تساهمَ في تقديمِ أرقى ما لديها مِنْ رؤيةٍ تنويريّةٍ في كافّةِ الأجناسِ الأدبيّةِ الَّتي تخوضُ في عوالِمِها، كي تحقِّقَ طموحاتِها الّتي رفعَتْ سقفَها إلى أعلى المراتبِ. دخلَتِ الأديبةُ نجاح إبراهيم في مِحرابِ الأدبِ مِنْ بابِهِ العريضِ، المَفتوحِ على أرقى مِساحاتِ البوحِ الرَّصينِ، حاملةً رؤاها العميقةَ في الحياةِ عالياً، وضاربةً كلَّ ما يقفُ في طريقِها عُرضَ الحائطِ، لا تستكينُ لأيَّةِ عوائقَ أو ضُغوطاتٍ تُزيحُها عَنْ مَسارِ حَرفِها الواعدِ والمرتكزِ على خلفيّةٍ ثقافيّةٍ عميقةٍ. تكتبُ قصصَها وروايَاتِها برؤيةٍ استنهاضيّةٍ، تصبُّ في فضاءِ التَّنويرِ والتَّطويرِ، كابحةً كلَّ ما لَهُ علاقةٌ بالتّقليدِ الأعمى والرُّوتينِ المريرِ، تعبّرُ عَنْ خلجاتِ نفسِها عَبرَ أدبِها، وتُريدُ أنْ ترفعَ المرأةُ رأسَها شامخةً، فقَدْ كانَتْ شخصيّةُ "بهاء خانم" مناضلةً في إحدى قصصِها، مؤكّدةً على قدرةِ المَرأةِ في النِّضالِ والدِّفاعِ عَنِ الوطنِ، وتقديمِ ما يحتاجُ الوطنُ إليهِ مِنْ مواقفَ نضاليّةٍ، يمكنُ أنْ تقدِّمَها المرأةُ بكلِّ جدارةٍ وبسالةٍ، وقد جسَّدَتْ شخصيّةَ "غالية" في روايةِ "عطش الإسفيدار" كعاشقةٍ ورومانسيّةٍ وبنفسِ الوقتِ بيّنَتْ أنَّها مثقَّفةٌ ولها حضورُها وَسَطَ أقرانِها بمَنْ فيهم الرِّجالُ أيضاً، وأمَّا في روايتِها الثَّانية نجدُ كيفَ جسّدَتْ شخصيّةَ "إيمار" مِنْ خِلالِ بحثِها المتواصلِ عَنِ الحقيقةِ، وعَنِ الكثيرِ مِنَ الأهدافِ الّتي تتوخَّاها، وفي روايةِ "الهوتة" عبَّرَتْ عَنْ شخصيّةِ "بهار" الَّتي وقعَتْ بينَ أيدي داعش، كيفَ كانَتْ تبحثُ عَنْ أبوابِ الخلاصِ مِنْ راياتِهم الحالكةِ مِثلَ عَتْمِ اللَّيلِ. وفي قصصِها القصيرةِ تعبّرُ خيرَ تعبيرٍ عَنْ دورِ المرأةِ البُطولي الَّذي قدَّمتْهُ للدفاعِ عَنْ كينونتِها ووجودِها مهما بلغَتِ التَّضحياتُ حتَّى ولو كانَتْ تقديمَ أرواحِ أولادِها وهي تزغردُ أثناءَ تشييعِهم إلى مثواهُمُ الأخيرِ.

تترجمُ رؤاها بكلِّ شغفٍ واهتمامٍ، مِنْ دُونِ كَللٍ أو مَللٍ، وكأنَّها في سِباقٍ مَعَ الزَّمنِ في تَحقيقِ ذاتِها، وتجسيدِ أرقى ما لديها مِنْ طاقاتٍ إبداعيَّةٍ، مُركِّزةً على أهدافِها القريبةِ والبعيدةِ، سائرةً في سياقِ برامجِها الأدبيّةِ بكلِّ ثقةٍ وعزيمةٍ لا تلينُ، مُوجِّهةً أنظارَها نحوَ فضائِها المُعبَّقِ بضياءِ التَّجديدِ والعطاءِ الخلّاقِ، فهي ترى أنَّ المجتمعاتِ لا يُمكنُ أنْ تتقدَّمَ وتنهضَ نهوضاً سريعاً وفعَّالاً إلَّا عبرَ نشْرِ ثقافةِ التَّنويرِ وتَقَبُّلِ الآخرِ والسَّعي

نحوَ تَحسينِ واقعِنا الغارقِ في الكثيرِ مِنَ الصِّراعاتِ والاعوجاجاتِ الّتي هشّمَتْ خاصرةَ البلادِ فوقَ أعناقِ العبادِ. تعودُ متسائِلةً: إلى متى سنغوصُ في مَتاهاتِ الحُروبِ وأتونِها وتبدو وكأنَّها بلا نهاية؟!

حقَّقَتْ نجاح إبراهيم عبرَ أدبِها حضوراً متميّزاً، وصوتاً مُتفرّداً في فضاءِ المرأةِ، مُنذُ أنْ أصدرَتْ مجموعتَها القصصيةَ الأولى "المجدُ في الكيسِ الأسودِ" ونالَتْ استحسانَ القرّاءِ والقارئاتِ واهتمامَ النُّقادِ، ممّا حفّزَها على كتابةِ المزيدِ مِنَ الكتاباتِ الجديدةِ، فأصدرَتْ جديدَها الثّاني في فضاءِ القصّةِ القصيرةِ وتلاها المجموعةُ الثّالثة والرّابعة تباعاً. وبعدَ أنْ تعمَّقَتْ رؤاها في عوالمِ السَّردِ القِصَصي وفضاءَاتِ السَّردِ، وجدَتْ نفسَها في حالةِ انجذابٍ وشغَفٍ عميقَينِ إلى عالمِ الرّوايةِ، لِما في هذهِ العوالمِ مِنْ بَوحٍ عَميقٍ لترجمةِ هواجسِها وأفكارِها ورؤاها باستفاضةٍ وانسيابيَّةٍ فوقَ ناصيةِ البياضِ، وراحَتْ تعبّرُ عَنْ آفاقِ تطلُّعاتِها بكلِّ شَغفٍ في الفَضاءِ الرّوائيّ، تُحلّقُ في خيالِها فوُلِدَتْ روايتُها الأولى "عطشُ الأسفيدارِ" وحقَّقَتْ نجَاحاً في الأوساطِ الأدبيّةِ، واشتركَتْ بهذهِ الرّوايةِ في مَسابقةِ المزرعةِ ونالَتِ الجائزةَ الأولى، وتتالَتِ الجوائزُ بتتالي الكتاباتِ الجديدةِ.
تنامَتْ طُموحاتُها في فضاءِ الكتابةِ، مِنْ خلالِ خِبراتِها، وثقافتِها وإطلاعِها على تجربةِ الكثيرينَ مِنَ المُبدعينَ والمبدعاتِ، فتشكَّلَ لديها بصمةٌ تميّزُها عَنْ غيرِها مِنَ الكاتباتِ، تعبّرُ عَنْ هُمومِها وأحزانِها وأحلامِها المُرفرِفةِ في آفاقِ الخيالِ، تُريدُ أنْ تجسّدَهُ على أرضِ الواقعِ، وترى في فَضاءِ الإبداعِ أنَّ النَّصَّ المتميّزَ الخلَّاقَ هو الأساسُ، سواءً كتبتْهُ امرأةٌ أو رجلٌ. وهي تكتُبُ أعمالَها بَعيداً عَنْ تقنياتِ العَصرِ، حيثُ ما تزالُ تكتبُ على الورقِ، وهي تشمُّ رائحةَ الحِبرِ وتتلمَّسُ آهاتِها وآلامَها وشغفَها وحنينَها وأشواقَها، وتشعرُ بمُتعةٍ عميقةٍ وهي تجسّدُ رؤاها على الورقِ، بَعيداً عَنْ تقنياتِ الحاسوبِ، وبعيداً عَنِ استخدامِ الذَّكاءِ الاصطناعي، لأنَّ الانبعاثاتِ الطَّازجةَ مِنْ وهْجِ الخيالِ هي الأساسُ، وهي الّتي تقودُنا إلى الإبداعِ الصَّافي صفاءَ النَّسيمِ!
تميلُ القاصَّةُ والرّوائيّةُ نجاح إبراهيم إلى الإبداعِ الخلَّاقِ، المرتكزِ على أُسُسٍ جماليّةٍ، وفكريّةٍ رائدةٍ في آفاقِ التَّجديدِ، ترى في عوالمِ المرأةِ فضاءً رحباً للإبداعِ، تسعى إلى كتابة نصٍّ متميّزٍ في تجلّياتِ انبعاثِهِ نحوَ فضاءِ الحداثةِ والجمالِ. وتتميَّزُ بغزارةِ انتاجِها الأدبي وثقافتِها العاليةِ في فضاءِ المعرفةِ والأدبِ، حيثُ تكتبُ في مُختلفِ الأجناسِ الأدبيَّةِ مِنْ قصَّةٍ وشعرٍ وروايةٍ، ولها باعٌ في كتابةِ النَّقدِ الأدبي والسّينمائي واهتمامٌ كبيرٌ في أدبِ الطِّفلِ، وحقَّقَتْ نجاحاً وحضوراً مُتميّزاً في مُختلفِ كتاباتِها الإبداعيّةِ، ونالَتْ العديدَ مِنَ الجوائزِ الشَّرقيّةِ العربيّةِ وعدَّةَ جوائزَ غربيّةٍ أيضاً. وتمَّ تقديمُ دراساتٍ نقديّةٍ عديدةٍ عَنْ إصداراتِها كما تُرجِمَتْ أعمالُها إلى عدَّةِ لُغاتٍ كالفرنسيّةِ والإنكليزيّةِ والكرديَّةِ والأرمنيّةِ والأمازيغيّةِ. وشاركَتْ في عِدّةِ مَهرجاناتٍ أدبيّةٍ وسينمائيّةٍ وقدَّمَتْ وُجهاتِ نظرِها في هذهِ المهرجاناتِ، وأصدرَتْ تسعةً وعشرينَ مؤلَّفاً في الشِّعرِ والقصَّةِ والرّوايةِ والدّراساتِ النَّقديَّةِ، والمقالِ. وشارَكَتْ في تحكيمِ مهرجاناتٍ أدبيَّةٍ وسينمائيَّةٍ في سورية والعراق.

تمتلكُ نجاح خيالاً خصباً، مُجنّحاً نحوَ تماهياتِ القصّ مَعَ بوحِ الشِّعرِ، تكتبُ قصصَها بوهْجِ سرديٍّ مُضمّخٍ بصُورٍ شعريّةٍ مُتناغمةٍ مَعَ فضاءِ القصّ، تَنبعثُ مِنْ رِحابِ مُخيَّلتِها الشَّاهقةِ في فضاءَاتِ جُموحِها، ممَّا

حقَّقَتْ نجاحاً وتميُّزاً لأنْ تكونَ مِنَ الكاتباتِ الطَّليعيَّاتِ، وقَدْ دفعتْها الكتابةُ منذُ باكورةِ عُمرِها إلى فضاءِ التَّأمُّلِ، وراحتْ تعتكفُ العزلةَ وتتَّخذُ منها مَكمناً شهيّاً لانبعاثِ مُهجةِ الحَرفِ بأزهى تجلّياتِهِ!

تستخدمُ فضاءَاتِ الرَّمزِ، مُتوغِّلةً في مُروجِ الرّمزيّةِ، بلُغةٍ سَرديَّةٍ شاعريّةٍ، بأسلوبٍ مكثَّفٍ ومُعبّرٍ، مُجنَّحةً نحوَ عوالمَ مُفعمةٍ بآفاقٍ روحيّةٍ صوفيّةٍ، فتولَدُ سرديَّاتُها عَذبةً ومميّزةً في انبعاثِها وانسيابيّةِ جُموحِها الرَّقراقِ، مستفيدةً مِنْ خِبراتِها وثقافتِها العميقةِ وإطلاعِها على تجاربِ الكثيرينَ مِنَ الكتَّابِ والكاتباتِ، لكنَّها شقَّتْ طريقَها بإبداعِ فضاءَاتٍ خاصَّةٍ بها، ينبعِثُ إبداعُها مِنْ تدفُّقاتِ خيالِها الخصبِ، مَمْزوجاً بتوهُّجاتِ ذاكرةٍ موشومةٍ بالأصالةِ والتَّعبيرِ عَمَّا يَموجُ في آفاقِ ذهنِها بكلِّ رَهافَةٍ وعَفويّةٍ مِنْ دُونِ تكلُّفٍ، بلُغةٍ طافحةٍ بالعذوبةِ، كأنَّها تنثرُ جمالياتِ حَرفِها فوقَ هِلالاتِ الطَّبيعةِ بكلِّ حبورِها المُبهرِ. وقَدْ خبَّأت بينَ أجنحتِها طموحاتٍ شاهقةً، وتمنَّتْ لو عاشَتْ في عصرِ جبران خليل جبران، لِما في فضاءَاتِ كتاباتِهِ مِنْ سَلاسةٍ وإبداعٍ خلَّاقٍ في فَضاءِ تجلّياتِهِ وعوالمِهِ المُبهِجةِ، كما تمنَّتْ لو التقَتْ مَعَ الشّاعرِ نزار قبّاني وتجاذبا أطرافَ الحديثِ عَنْ بوحِ القصائدِ وانبعاثِ ألقِ الشِّعرِ، وتمنَّتْ لو تمَّ اختصارُ المسافاتِ بينها وبينَ إدوارد الخرَّاط، لِمَا في عوالمِهِ مِنْ حضورٍ مُدهشٍ في انسيابيّةِ تدفُّقاتِهِ، وتمنَّتْ أيضاً لو كانَتْ مُحاطةً في فضاءِ جبرا إبراهيم جبرا، لما لديهِ مِنْ لغةٍ سامقةٍ، فقَدْ وجدَتْ في أساليبِ هؤلاءِ المُبدعينَ فضاءً باهراً وشاهقاً.

تجنحُ الكاتبةُ نحوَ فضاءَاتِ الكتابةِ الَّتي تَحملُ بينَ فضاءَاتِها قدراً عالياً مِنَ التَّأويلِ والصُّورِ المُتجدِّدَةِ، لِمَا لديها مِنْ خَيالٍ مَفتوحٍ على آفاقٍ مُتعدِّدَةٍ مِنَ التَّرميزِ والتَّحليلِ والتَّفسيرِ، وكلُّ هذا يُعطي لها غنىً كبيراً وبُعْداً عَميقاً في فَضاءِ الكتابةِ الأدبيّةِ بأرقى تأويلاتِ صُورِها وترميزاتِها في مَكنوناتِ النَّصِّ، فهي تشتغلُ بمَهارةٍ عاليةٍ على بنائِها الفنّيِّ مِنْ خِلالِ لُغتِها الطَّافِحةِ بسرديَّةٍ شاعريَّةٍ مُتميّزةٍ في إشراقاتِها، فقَدْ تنامَتْ عندَها هذهِ الفضاءَاتُ مِنْ خِلالِ تماهياتِ انبثاقِ إشراقةِ وقائعِ الحَياةِ مَعَ أصفى جُموحَاتِ الخَيالِ، فيولدُ عندَها جُموحٌ أدبيٌّ مُتناغمٌ مَعَ عفويّةِ انبعاثِ طاقاتِها الإبداعيّةِ مِنْ عدَّةِ مشاربَ، وكأنَّها في سِياقِ سَردِ أحلامٍ مُتطايرةٍ مِنْ تجاربِها المُنبثقةِ مِنْ أبهى إشراقاتِ الخَيالِ!

أصدرَتِ الأديبةُ نجاح إبراهيم العديدَ مِنَ الدَّواوينِ الشِّعريّةِ والمَجموعاتِ القصصيّةِ والرِّواياتِ، وبعضَ الكتبِ النَّقديَّةِ عَنْ بعضِ الكتّابِ والكاتباتِ، وكتبَتْ عَنْ أدبِ الرِّحلاتِ أيضاً. استوحَتْ حرفَها مِنْ تجاربِها الرّحبةِ في دُروبِ الحياةِ. وشارَكتْ في تحكيمِ العديدِ مِنَ المُسابقاتِ الأدبيّة والفنّيّةِ، وفي بعضِ المهرجاناتِ الشِّعريّةِ والأدبيّةِ، ونالَتْ عدّةَ جوائز عَنْ تجربتِها الإبداعيّةِ. وترى أنَّهُ مِنَ المُستحسنِ أنْ نَفصِلَ الإبداعَ عَنْ جنسِ الكاتبِ فيما إذا كانَ كاتباً أو كاتبةً، لأنَّ المُهمَّ في الكتابةِ هو الفضاءُ الإبداعيُّ بغضِّ النَّظرِ عَنْ كونِهِ كاتِباً أو كاتبةً. تسعى في مسارِ إبداعِها أنْ تقدِّمَ رؤيةً رائدةً في فضاءِ التَّطويرِ والتَّنويرِ، لأنَّها ترى للكاتبِ والكاتبةِ دوراً كبيراً في استنهاضِ البلادِ نَحوَ أرقى مرامي الحياةِ.

ستوكهولم: تمُّوز (يوليو) 2024

يُعَدُّ الأديب اللُّبناني ميخائيل نعيمة
مِنْ أهمّ رُوَّادِ المدرسةِ الأدبيّةِ الحديثةِ في القرنِ العشرينِ

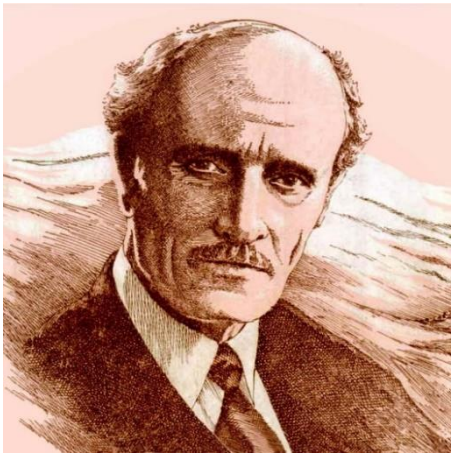

ميخائيل نعيمة

85

يُعدُّ ميخائيل نعيمة أحدَ أساطينِ أُدباءِ المهجرِ، وُلِدَ هذا الأديبُ الكبير في 17 تشرين الأوَّل (أكتوبر) من عام 1889 في قريةِ بَسْكَنتا، وتعني بالسِّريانيّة "بيت العدل"، تقعُ هذهِ القريةُ الجميلةُ في أسفلِ جبلِ صنِّين في لبنان، تتميّزُ بموقِعِها المُبهجِ للقلبِ والعيونِ. قضى نعيمة أجملَ سنواتِ طُفولتِهِ في هذا الفضاءِ الصَّافي، مُتمتِّعاً بالطَّبيعةِ الخَلّابةِ، يسوحُ بفرحٍ كبيرٍ في عوالمِ بَسْكَنْتا. هاجرَ والدُهُ إلى أميريكا بعدَ حوالي عشرةِ شهورٍ مِنْ ولادَتِهِ، كي يشتغلَ ويصرفَ على عائلتِهِ، كانَ جدُّهُ قريباً إلى نفسِهِ، فلّاحاً بسيطاً، كأنَّهُ صديقُهُ في تعاملِهِ، مَعَهُ، فتعلَّقَ بِهِ كثيراً. درسَ نعيمة المرحلةَ الابتدائيَّةَ في قريتِهِ في مَدرسةِ الجمعيّةِ الفلسطينيّةِ، ثمَّ سافرَ إلى النَّاصرةِ في بعثةٍ مِنَ "الجمعيَّة الرُّوسيّة" ليتابعَ دراستَهُ الإعداديَّةَ والثَّانويَّةَ في دارِ المُعلّمينَ الرُّوسيّةِ، وكانَ شغوفاً بتحصلِ دراساتِهِ ومتفوّقاً، وقدَّمَ كلمةً بعدَ انتهاءِ دراستِهِ الثّانويَّةِ بتفوُّقٍ، وتكريماً لنجاحِهِ المُتميّزِ، حصلَ على مِنحةٍ دراسيّةٍ إلى أوكرانيا عام 1905 فالتحقَ بجامعةِ بولتافيا، وامتدَّتْ فترةُ دراستِهِ حوالي أربعِ سنواتٍ، واطَّلعَ خلالَ دراستِهِ على الأدبِ الرُّوسي، وأتقنَ اللُّغةَ الرُّوسيَّةَ، وكتبَ فيها شِعراً. وأحبَّ خلالَ دراستِهِ شابةً روسيّةً جميلةً، اسمُها فاريتا، لكنَّهُ عادَ أدراجَهُ إلى لبنانَ بعدَ أنِ انتهى مِنْ دراستِهِ، تاركاً هذهِ الحبيبةَ في أشدِّ الشَّوقِ إليهِ! ثمَّ سافرَ إلى الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّة لدراسةِ الحقوقِ والآدابِ في مدينةِ سياتل وتحديداً في جامعةِ واشنطن، وقَدْ حصلَ على شهادَتين منها. ثمَّ وجَّهَ أنظارَهُ نحوَ نيويورك كي يلتقي مَعَ بعضِ الأدباءِ الَّذينَ حملوا نفسَ الهُمومِ الأدبيّةِ والإبداعيّةِ، وهناك التقى مَعَ أدباءِ المَهجرِ جبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي وعبدالمسيح حدّاد؛ وأسَّسوا "الرَّابطة القلميّة" مع أدباء وشعراء آخرين في عام 1920، الَّتي قدَّمَتْ إبداعاً متميّزاً في أدبِ المهجرِ، وحقَّقوا نجاحاً في تجربتِهم الأدبيّةِ، وذاعَ صيتُهم وانتشرَتْ كتاباتُهم، وكانَ جبرانُ رئيسَ الرَّابطةِ القلميّةِ وميخائيل نعيمة نائباً، وهو الَّذي وضعَ دستورَها لأنَّهُ خريّجُ كلّيَّةِ الحقوقِ.

بدأ ميخائيل نعيمة حياتَهُ الأدبيَّةَ في كتابةِ المقالِ، ودراساتٍ في فضاءِ النَّقدِ الأدبي، مُنطلِقاً مِنْ ثقافتِهِ المجنَّحةِ نحوَ رحابِ الأصالةِ والصَّفاءِ الرُّوحي المُتوَّجِ ببهاءِ الطَّبيعةِ الخلّابةِ، وقدْ ساعدَهُ على تعميقِ رؤاهُ النَّقديّةِ والأدبيّةِ والفكريّةِ، اطلاعُهُ على تجلّياتِ الأدبِ الرُّوسي الغنيّ بمختلفِ الأجناسِ الأدبيّةِ والفكريّةِ والنَّقديّة، ووجدَ آنذاكَ أنّهُ إزاءَ حالةِ جمودٍ وتراجعٍ في الرُّؤيةِ الأدبيّةِ المُنتشرةِ على السَّاحةِ العربيّةِ، مُقارنةً بما شاهدَهُ ودرسَهُ في روسيا مِنْ تقدُّمٍ مُدهشٍ في آفاقِ الأدبِ الرُّوسيّ العريقِ بمختلفِ الأجناسِ الأدبيّة والفكريّةِ والفلسفيّةِ، وراحَ يعمّقُ رؤاهُ في الأدبِ مِنْ خِلال اطلاعِهِ على الأدبِ الغربي أيضاً، ووجدَ في فضاءِ الأدبِ والفلسفةِ والفكرِ المستنيرِ الطَّريقَ الَّذي يقودُهُ إلى جوهرِ الحياةِ والفكرِ الرَّصينِ، واقفاً بكلِّ حزمٍ في وجهِ الأدبِ الميّتِ المتشكّلِ مِنَ الآفاقِ التَّزيينيّةِ والزُّخرفيّةِ والرُّؤيةِ الفضفاضةِ غير المنبعثةِ مِنْ الآفاقِ الرَّصينةِ، لأنَّ رأيَهُ في الأدبِ والإبداعِ كانَ مرتكزاً على أُسسٍ فكريَّةٍ وفلسفيّةٍ مُنبعثةٍ مِنْ أصفى فضاءَاتِ التَّأمُّلِ والفكرِ التَّنويري العميقِ، المرتكزِ على فضاءِ التَّجديدِ والتَّحديثِ، وكلِّ ما لَهُ علاقةٌ في تطويرِ المجتمعِ الإنساني نحوَ أرقى مستوياتِ الأدبِ الأصيلِ. وأرادَ أن ينهجَ منهجاً رائداً ومُتميّزاً في عالمِ الكتابةِ، وكان لَهُ ما أرادَ، لأنَّ كلَّ عواملِ الإبداعِ الخلّاقِ ساهمَتْ في تحقيقِ أهدافِهِ الّتي وضعَها نُصبَ عينيهِ!

كانَ نعيمة مِنْ أبرزِ أدباءِ وشعراءِ المَهجرِ الَّذين شكَّلوا الرَّابطةَ القلميّةَ في بوسطن، كما أعدَّهُ الكثيرُ مِنَ النُّقَّادِ مِنْ أهمِّ روّادِ المدرسةِ الأدبيّةِ الحديثةِ في القرنِ العشرينِ، لما قدَّمَهُ مِنْ أدبٍ في منتهى الحداثةِ، والتَّجديدِ في فضاءِ الأجناس الأدبيّةِ المتنوّعةِ الَّتي خاضَ في عوالمِها، وقدْ تنوَّعَتْ كتاباتُهُ، فقَدْ كتَبَ ببراعةٍ في المسرحِ والشِّعرِ والرِّوايةِ والقِصّةِ والنَّقدِ والفلسفةِ، وقَدْ كتبَ في اللُّغتَينِ العربيّةِ والإنكليزيّةِ معاً.

بقي نعيمة في نيويورك حتَّى عام 1932، ثمَّ عادَ بعدَ وفاةِ جبران إلى بَسْكنتا، مسقطِ رأسِهِ، لأنَّهُ لَمْ يستطِعْ أنْ يندمجَ في الحياةِ الأميريكيّةِ، ودَّعَ أبراجَها وتقنياتِها وحضارتَها ومديّنتَها وكلَّ ما وصلَتْ إليهِ مِنْ تقدُّمٍ في سائرِ مَساراتِ الحياةِ، عادَ وهوَ في أوجِ حنينِهِ إلى ربوعِ لبنان، إلى موطنِهِ الَّذي أنجبَهُ للحياةِ، وبدأ حياتَهُ الأدبيّةَ مِنْ جديدٍ بكلِّ شغفٍ وكأنَّهُ وُلِدَ مِنْ جديدٍ، عادَ مُشبَّعاً بثقافاتٍ مُتعدِّدةٍ، وأرادَ أنْ يُصفّيَ ذهنَهُ مِنْ صراعاتِ الحياةِ في دُنيا الغربِ، ووجدَ نفسَهُ بأمسِّ الحاجةِ إلى الهدوءِ والسَّكينةِ والتأمُّلِ في روعةِ الطَّبيعةِ، والعيشِ في كَنفِ طبيعةِ لبنان وفي مسقطِ رأسِهِ بَسكنتا كي يُعبِّرَ عمَّا يختلجُ في عالمِهِ الخلَّاقِ، وأعادَ النَّظرَ في مفاهيمِهِ الأدبيَّةِ والفكريَّةِ والحياتيَّةِ كلِّها، كي يُبدِعَ أهمَّ عطاءَاتِهِ، لخَّصَ نظراتِهِ الفلسفيّةَ في كتابِهِ مرداد وهو رمزٌ للإنسانِ المثالي، وأثناءَ عودَتِهِ كانَ في انتظارِهِ ثلاثةُ ملاجئَ يلجأُ إليها: ملجأُ الطَّبيعةِ الخلّابةِ وهي أهمُّ مصدرٍ مِنْ مصادرِ إلهامِهِ، وملجأُ العائلةِ الحنونةِ، وملجأُ ربِّهِ السَّماويّ، وقَدْ كانَ لديهِ صومعةُ في الشُّخروبِ، كانَ نعيمة ناسكاً للكتابةِ، فأطلقَ عليه الكاتب والرّوائي اللُّبناني توفيق يوسف عوَّاد ناسكُ الشُّخروبِ، كان يقضي وقتاً طويلاً في صومعتهِ – المغارةِ، يأخذونَ إليهِ الطَّعامَ والشَّرابَ، ويتأمَّلُ الطَّبيعةَ والجبالَ الصَّخريَّةَ والأشجارَ، وهدوءَ الطَّبيعةِ، وزرقةَ السَّماءِ، والنَّسيمَ الآتي مِنْ رِحابِ البَحرِ، يكتبُ ويكتبُ ويكتبُ ولا يرتوي مِنَ الكتابةِ، وكأنَّ هناكَ طاقةً علويَّةً تلهِمُهُ في تدفُّقاتِ حرفِهِ السَّيّالِ مثلَ شلّالاتِ الفرحِ!

رأى نعيمة تأثيرَ أدباءِ الرَّابطةِ القلميّةِ في الأدبِ، لما تضمّنَ أدبُهم مِنْ تفاعلٍ في الحياةِ والمجتمعِ ولِما طرحوهُ مِنْ أفكارٍ تتَّصِلُ بحياتِهم، وكأنَّ دورَ الأدبِ أصبحَ مُنصبّاً على التَّغييرِ والتَّنويرِ والتَّجديدِ، على ما كانَ سائداً قبلَ تأسيسِ الرَّابطةِ القلميّةِ حيثُ كانوا يركّزونَ مِثلَ سائرِ الشُّعراءِ والأدباءِ على جزالةِ اللَّفظِ والقافيةِ والوزنِ، أكثرَ مِنْ تركيزِهم على قضايا وهمومِ مجتمعاتِهم، لهذا رأى نعيمة تأثيرَ أدباءِ المَهجرِ بعدَ تأسيسِ الرَّابطةِ القلميَّةِ كانَ كبيراً ومُهمّاً، وانتقلَ هذا التَّأثيرُ إلى أدبِ البلادِ العربيَّةِ، حيثُ قامَ أدباءُ في مصرَ وغيرِها مِنَ البلادِ العربيَّةِ بحركةِ تجديدٍ في الأدبِ العربي، متأثِّرةً بالحركةِ المهجريّة إلى حدٍّ كبيرٍ.

رأى نعيمة في أدبِ جبران موهبةً شاهقةً، وأدباً رفيعاً، فقَدْ رآهُ مُبدعاً سامقاً، شِعراً ورسماً وفكراً، وعرفَ جبران كيفَ يحافظُ على توازنِهِ في الأدبِ والرَّسمِ، مُشيراً إلى أنَّ هناكَ مَسحةً روحيَّةً صوفيّةً، في عوالمِ وأدبِ جبران ورسومِهِ، تتقاطعُ في بعضِ فضاءَاتِهِ، مَعَ الأدبِ الهنديّ مِنْ حيثُ شفافيةُ الصَّفاءِ الرُّوحي، كما تميّزَ جبران برومانسيّتِهِ وتجلّياتِ بوحِهِ الخلَّاقِ. وبعدَ وفاتِهِ عادَ نعيمة إلى ربوعِ لبنانَ، وكأنَّ جبراناً كانَ أحدَ أركانِ بقائِهِ في أميريكا، وبوفاتِهِ فقَدَ أحدَ أهمِّ أركانِ استمراريَّتِهِ في ربوعِ أميريكا!

توغَّلَ ميخائيل نعيمة عميقاً في فضاءِ الرُّوحانيَّاتِ، مُشيراً إلى أنَّنا لا نعرفُ بدايةً أو نهايةً للكونِ، ولكنَّنا نعلمُ جيّداً أنَّهُ منظَّمٌ أروعَ تنظيمٍ، ونظرَ إلى الإنسانِ على أنَّهُ بذارٌ إلهيٌّ، ومُعَدٌّ في النّهايةِ أنْ يصبحَ إلهاً. وتتقاطعُ رؤيته الصُّوفيَّة مَعَ بعضِ الصّوفيّين أمثالِ الحلّاج، وابن الفارض وابن عربي، لأنَّ هناكَ صلةً وثيقةً بينَ تفكيرِهِ وتفكيرِ هؤلاءِ الصُّوفيّينَ، لأنَّهم هم أدركوا أنَّ العالمَ وحدةٌ متماسكةٌ، وإذا جزّأناهُ خسرناه، ويتابعونَ قولَهم: إنّنا ما لَمْ نُبصرِ العالمَ كوحدةٍ لَنْ نفهمَهُ على الإطلاقِ. وهذهِ الرُّؤيةُ تبنَّاها نعيمة أيضاً.

وتمَّ إخراجُ فيلمٍ وثائقي عَنْ نعيمة بعنوان: "تسعون" لمارون بغدادي في المركزِ الثَّقافي الفرنسي في بيروت في عام 2021، والفيلم عبارة عَنْ لقاءٍ طويلٍ أجراهُ المخرجُ مَعَ ميخائيل نعيمة، وأجابَ عَنْ أسئلةِ السّينمائي، تناولَتْ حياتَهُ الخاصّةَ وتربيتَهُ وأفكارَهُ وقضايا سياسيّة والطَّبيعةَ اللّبنانيّةَ الخلّابةَ والحربَ والمرأةَ والطَّائفيّةَ وجبران خليل جبران والإيمانَ واللهَ. وقَدْ تمَّ تصويرُهُ في عام 1977، بعدَ سنتينِ مِنْ اندلاعِ الحربِ الأهليّةِ. وأجمل ما قال ميخائيل نعيمة: "حُكمُ الأكثريّةِ حكمُ الأغبياءِ. فما كانَ العقلاء يومًا إلّا قلّةٌ في الأرض". و"البشرُ عبيدُ عاداتِهم". و"الغربُ رمزُ الطُّموحِ، والشَّرقُ رمزُ القناعةِ". و "قبلَ أنْ تفكّروا بالتَّخلُّصِ مِنْ حاكمٍ مستبدٍّ، تخلَّصوا مِمَّا يستبدُّ بكم مِنْ عاداتٍ سيئةٍ وتقاليدَ سوداءَ". و"الحربُ لو يعلمونَ لا تستعرُ نيرانُها في أجوافِ المدافعِ، بَلْ في قلوبِ النَّاسِ وأفكارِهم أيضاً". و "عجبْتُ لمَنْ يغسلُ وجهَهُ عدَّةَ مرَّاتٍ في النَّهارِ ولا يغسلُ قلبَهُ مرَّةً واحدةً في السَّنةِ". و"ما أضيقَ فكري ما دامَ لا يتَّسعُ لكلِّ فكرٍ". و"عيبُنا نحنُ الشَّرقيُّونَ أنَّنا كرماءُ للغايةِ، حتَّى أنَّنا نعطي قلوبَنا لأوَّلِ عابرِ سبيلٍ". و "فما دامَتْ غايتُكَ مِنْ مذهبِكَ الوصولُ إلى اللهِ وغايتي مِنْ مذهبي الوصولُ إلى اللهِ، فما شأنُكَ معي أيَّ طريقٍ أسلكُ إلى الهدفِ؟". و"السَّلامُ لا يولدُ في المؤتمراتِ الدَّوليَّةِ بَلْ في قلوبِ النَّاسِ وأفكارِهم". و"ما أكثرَ النَّاس وما أندرَ الإنسان". وغيرِها مِنَ المقولاتِ.

وقَدْ أصدرَ نعيمة العديدَ مِنَ الإصداراتِ الأدبيّةِ: مجموعته القصصيّة الأولى سنة 1937 بعنوان "كان ما كان"، وفي العام 1956 نشر مجموعته القصّصيّة الثّانية "أكابر"، ثمّ المجموعة الثّالثة "أبو بطّة" في العام 1958، و"هوامش" في العام 1965. وأصدر مسرحيّتَين: "الآباء والبنون" سنة 1917، و"أيّوب" في العام 1967. وأصدر مجموعته الشّعريّة الوحيدة: "همس الجفون" في العام 1945 في بيروت. وأصدر عدّة روايات: "لقاء" في العام (1948) و "مرداد" في عام (1948) رواية فلسفيّة رمزيّة، و "مذكّرات الأرقش" في عام (1949)، و "اليوم الأخير" في عام (1963)، و "يا بن آدم" (حواريّة) (1969).

ولديه العديد مِنَ الإصدارات في النَّقدِ والمقالة والسِّيرة الذَّاتيّةِ: "الغربال"، نيويورك، 1923، و "جبران خليل جبران، حياته. موته. أدبه. فنّه"، في عام (1934)، و "زاد المعاد" مجموعة مقالات (1936)، و "البيادر" مجموعةُ مقالاتٍ (1945)، و " الأوثان" مجموعة مقالات (1946) و "كرم على درب"، مجموعة شذرات وحكم (1946)، و "صوت العالم" مجموعةُ مقالاتٍ (1948)، و"النّور والدّيجور" مجموعة مقالات (1950)، وفي عام 1950 صدرت في نيويورك التّرجمة الإنكليزيّة لكتاب جبران، وقد قام نعيمة نفسه بالتّرجمة، وفي عام (1952) صدرت في نيويورك التّرجمة الإنكليزيّة لكتاب "مذكّرات الأرقش" وقد قام نعيمه نفسه بالتّرجمة، و"في مهبّ الرّيح" مجموعة مقالات (1953)، و"دروب" مجموعة مقالات (1954) وفي عام 1956: صدرت في مدريد التّرجمة الإسبانيّة لديوان "همس الجفون"، و"أبعد من موسكو ومن واشنطن" مجموعة مقالات في عام (1957)، وفي عام (1957) صدرت في بومباي، الهند الطّبعة الإنكليزيّة لرواية "لقاء"، وقد قام نعيمة نفسه بالتّرجمة، و "سبعون، حكايةُ عمرٍ" سيرة ذاتيّة في ثلاثة أجزاء (1960)، و"في الغربال الجديد" مقالات نقديّة في عام (1971)، و"نجوى الغروب" في عام (1973)، و"أحاديث مع الصّحافة" في عام (1973)، و "من وحي المسيح" في عام (1974)، وفي عام 1975 صدرت مجموعة ميخائيل نعيمة الكاملة بأجزائها التّسعة. و"المراحل، دروب" في عام 1934. و"اليوم الأخير" عام 1965.

مُنِحَ نعيمة في عامِ 1961 جائزةُ رئيس الجمهوريّة في لبنان وفي عام 1977 قرّرَتِ الحكومة اللّبنانيّة بناءً على رغبةِ رئيسِ الجمهوريّةِ آنذاك إلياس سركيس إقامةَ مهرجانٍ تكريميّ لنعيمة شاركَتْ فيهِ الدَّولةُ وأوساطٌ أدبيّةٌ وفكريّةٌ وثقافيّةٌ في لبنان والعالم. توفي بتاريخ 29 فبراير 1988 عَنْ 99 عاماً، عاشَ حياةً طويلةً حافلةً بالإبداعِ الخلّاقِ، قضى أغلبها في قريةِ الشُّخروبِ الجبليّةِ والَّتي تتمتّعُ بطبيعةٍ ساحرةٍ ومناظرَ خلّابةٍ، وتقعُ قريباً مِنَ البلدةِ الَّتي وُلِدَ فيها؛ فقَدْ أحبَّ العزلةَ والتَّأمُّلَ، ووجدَ في هذهِ القريةِ ما يبحثُ عنْهُ، فكانَ ينعزلُ بجانبِ الشّلّالِ ويتأمَّلُ عميقاً في كتاباتِهِ وكيفيّةِ خلقِ الانسجامِ بينَ الإنسانِ والطَّبيعةِ واللهِ.

ستوكهولم: تموُّز (يوليو) 2024

تكتبُ الشَّاعرةُ السُّوريّةُ رشا عمران القصيدةَ
مِنْ أعماقِ جوارحِ الرُّوحِ مُترجمةً اشتعالاتِ الأحلامِ



رشا عمران

86

تكتبُ الشَّاعرةُ السُّوريّةُ رشا عمران القصيدةَ مِنْ أعماقِ جوارحِ الرُّوحِ، ترسمُ رؤاها مِنْ وحي خيالٍ مَصحوبٍ بأحلامٍ مُضرّجةٍ بأجيجِ اللَّهيبِ، تلتقطُ خُيوطَ القصيدةِ مِنْ الهواجسِ المُنبثقةِ مِنْ مِخيالِها المَشحونِ بتراكماتِ الأسى المترسِّبةِ فوقَ أجنحةِ العُمرِ، وتصوغُ عوالمَها برهافةٍ مُجنَّحةٍ إلى أقصى آفاقِ التَّجلّي، لِمَا لديها مِنْ حَساسيّةٍ شِعريّةٍ مَدموغَةٍ بتلظّياتِ الحياةِ، فقَدْ ترعرعَتْ بينَ فضاءَاتِ الشِّعرِ وهواجسِ حَرفٍ مَوشومٍ مِنْ أعلى جبينِها حتّى كاحلِها، فاستقبلَتِ القصيدةَ في قِمّةِ عنفوانِها وفي أوجِ انبعاثِ لهيبِ النّيرانِ، وفي قمّةِ تفاقُمِ تصدُّعاتِ خاصرةِ البلادِ، وتوسَّعَتْ رويداً رويداً لغةُ الانجرارِ إلى وِهادِ الانحدارِ، إلى أنْ وصلَتِ الأوضاعُ إلى شفيرِ القهرِ وقاعِ الهَوانِ،، فازدادَتِ الانكساراتُ تفاقُماً، فتاهَتِ القصائدُ بينَ أوجاعِ المَنافي على إيقاعِ شراهاتِ الاشتعالِ وتلظّياتِ الأنينِ، وراحَتِ الشَّاعرةُ تلملمُ جراحَ السِّنينَ وتنثرُهَا حرفاً مُرفرفاً فوقَ مُنعرجاتِ العُمرِ، فوُلدَتِ القصيدةُ على مَقاسِ اللَّهيبِ المُتساقطِ فوقَ جَسدِ المَدائنِ المعتَّقَةِ بترسُّباتِ أروقةِ التَّاريخِ وأطلالٍ شامخةٍ بشهيقِ الحَضاراتِ، ولاحقَتْ ألسنةُ النّيرانِ ظِلالِ البيوتِ العَتيقةِ، فاحترقَتْ أَغصانُ الدَّالياتِ المُورقةِ فوقَ جدرانِ الأحواشِ الفَسيحةِ، وحَصدَتْ خيراتِ البلادِ ورَمتْها في أتونِ النَّارِ، فلَمْ تجدْ سوى حنينِ الحرفِ تُدلِقُهُ فوقَ جراحِ الأوطانِ، كي تُبلسمَ الجراحَ الثَّخينةَ وتخفّفَ مِنْ لهيبِ النّيرانِ المُتربّصةِ في شهيقِ الأوطانِ، فجاءَتْ وشائجُ القصيدةِ مُبرعمةً بحليبِ الحنطةِ المُتناثرِ مَعَ هُبوبِ نَسائمِ الصَّباحِ. تموجُ قصائدُها بوهجِ الشَّمسِ في نهارٍ صيفيٍّ طافحٍ بغيومٍ مُرصَّعةٍ بأسرارِ بزوغِ الشِّعرِ مِنْ ثُغورِ النُّجومِ التّواقَةِ لأمواجِ البحارِ. ترقُصُ أزاهيرُ الخميلةِ توقاً إلى طنينِ النَّحلِ، قبلَ أنْ تمتصَّ رحيقَها في ذروةِ انبعاثِ شذاها. تشاركُ الطَّبيعةُ طقوسَ الشَّاعرةِ في أهازيجِ بوحِ الحرفِ، ويسطعُ جموحُ الحرفِ مِثلَ ضياءِ البدرِ في ليلةٍ موسومةٍ بالأحلامِ، فتستيقظُ ذكرياتُ الماضي البعيدِ شامخةً في رِحابِ الخيالِ، تلتقطُ هِلالاتِ هذهِ الذِّكرياتِ وتفرشُها

فوقَ شهوةِ الحَرفِ، فتسمو القصيدةُ إلى أصفى مَنابعِ الابتهالِ. تحِنُّ إلى صَحنِ الدَّارِ، وإلى منابعِ الشّاعرِ محمّد عمران، الَّذي شيّدَ لها عُمراناً شاهقاً في كنوزِ الشِّعرِ، فقَدْ نهلَتْ مِنْ مكتبةِ الوالدِ أنقى حبورِ القصائدِ! تتوغَّل الشَّاعرة رشا عمران في مآقي الشِّعرِ، كأنَّها مجبولةٌ مِنْ تيجانِ الحَرفِ، تمتلكُ لغةً مَسروجةً مِنْ مَذاقِ الحياةِ، ومِنْ شَغافِ الأحلامِ المُنسابةِ في اللَّيالي القمراءِ، تشرَّبتْها مِنْ مَحطَّاتِ العمرِ المُتشابكةِ في تساؤلاتٍ حَارقةٍ، ولا ترى إجاباتٍ واضحةً على أسئلتِها المتماهيةِ مَعَ ضَراوةِ الاحتراقِ المتنامي في دُنياها الَّتي ترعرعَتْ فيها، وقَدْ مَنحَتْها هذهِ المحطَّاتُ المكتنزةُ بالاشتعالِ، رَصانةً وجُموحاً باهراً في انبعاثِ حَرفِها، فوجدَتْ في ظِلالِ فضائِها الشِّعريّ وعالمِها الإبداعيّ، عالماً شاهقاً تَستفيءُ فيه برحابةٍ مكتنزةٍ بغنى حرفٍ مِمْراحٍ، ومفتوحٍ على مِساحاتِ خصوبةِ الخيالِ. ثمَّ راحَتْ تستوحي رؤاها مِنْ رحيقِ تجاربِها المُتعدّدةِ الّتي أعادَتْ صياغتها مِنْ جديدٍ في كلِّ مَرحلةٍ مِنْ مراحلِ عُمرِها، وقَدْ اكتشفَتِ الكثيرَ مِنَ المفاجآتِ بما لها علاقةٌ في تصدُّعاتِ الآمالِ والأهدافِ الَّتي رسمَتْها في مِخيالِها الفسيحِ، وبَدَتْ لها بعضُ آمالِها مُعشَّشةً في تلافيفِ السَّرابِ، وغدَتْ الأحلامُ تتسرَّبُ في مَهبِّ الرِّيحِ في بعضِ مُنزلقاتِ الانشطارِ، فقَدْ وجدَتْ الكثيرَ مِنَ الأفكارِ والآراءِ تنزاحُ عَنْ مَسارِ العبورِ نحوَ بوّاباتِ الأفراحِ والآمالِ القادِمةِ.

تلتقطُ عمران وهي في أوجِ جُموحِها مهاميزَ الحرفِ مِنْ خَميلةِ الغاباتِ المخضوضرةِ في مرافئِ الذَّاكرةِ، ومِنْ دَندناتِ هُطولِ المَطرِ في الشِّتاءَاتِ المُكتنزةِ بالخيراتِ، فيولدُ نصُّها ساطعاً بالمَحبَّةِ وأشهى مَذاقِ العطاءِ كأنَّهُ مُنبثقٌ مِنْ ضِياءِ القمرِ وتلألؤاتِ النُّجومِ. تكتبُ بكلِّ شغفٍ بوحَها الشَّامخِ شموخَ جبالٍ مُرتكزةٍ على خَمائلِ الأملِ، كأنَّها في نُزهةٍ فَسيحةٍ مَعَ انبعاثِ خُيوطِ الأحَلامِ مِنْ مَرامي الحَنينِ إلى أبهى اللَّيالي القمراءِ. تنظرُ إلى الزّمنِ المفتوحِ على مِساحاتِ المدى، وإلى الحياةِ الممتدَّةِ على رَحابةِ الشَّهيقِ، وإلى العُمرِ نظرةً بانوراميَّةً، عميقةً، كأنَّها في سياقِ تَحليلِ رحلةِ الحياةِ في خِضمِّ الوجودِ، كي تستنبطَ منها رؤيةً جديدةً عمَّا كانَتْ مُرفرفةً فوقَ أجنحتِها قبلَ هذهِ المراحلِ الَّتي قطعَتْها خِلالَ السَّنواتِ الأخيرةِ مِنْ عُمرِها. تنسُجُ عوالِمَها الشِّعريَّةَ برهافةٍ عَاليةٍ مِنْ وحي تشقُّقاتِ العُمرِ عَبرَ رحلةِ العبورِ فوقَ مُروجِ الحياةِ. تتأمَّلُ أغصانَ العُمرِ، فتبدو لها ضرباً مِنْ الأحلامِ المكتنفةِ بالهشاشةِ والانكفاءِ نحوَ مَساراتِ دُروبِ الانحدارِ.

علَّمَتْها الحياةُ أنَّ لا شيءَ يَبقى على حَالِهِ، فكلُّ شيءٍ قابلٌ للانكسارِ والانهزامِ والتقهقرِ، وقابلٌ للاشتعالِ والتَّغيُّرِ عَبرَ مُنعطفاتِ الحياةِ، خاصَّةً عِندما تسودُ على لُغةِ الحِوارِ رِماحُ العُنفِ والقُبْحِ وشَراهَاتِ الكَبْحِ والإقصاءِ في زَمنِ الهزائمِ والانكسارَاتِ والحروبِ الرَّازحةِ فوقَ بوّاباتِ المدائنِ الحزينةِ، وتسطو الصَّولجاناتُ اللَّامعةُ فوقَ رِقابِ البِلادِ وخواصرِ الأزقّةِ المُعفَّرةِ بسَماكاتِ الدِّماءِ. وقفَتِ الشَّاعرةُ بكلِّ ثباتٍ ورفعَتِ رأسَها باعتدادٍ وحمَلَتْ فوقَ أجنحتِها رؤيةً شامِخةً بأهازيجِ حُلُمٍ مَحبوكٍ بآفاقِ التَّجلّي، مركّزةً على ضِياءِ الشِّعرِ، ورافعةً شُموعَ الحَرفِ المُستنيرِ، رايةً في رحلةِ العُبورِ في مَرافئِ العُمْرِ، فهي ترى مَكانةَ القَصيدةِ في أوْجِ انبلاجِها مِنْ أرفَعِ الرَّاياتِ، لهذا حمَلَتْ رايةَ الشِّعرِ عالياً، كي توشِّحَ وجنةَ الصَّباحِ فرَحاً وحبوراً طافحاً بأرقى أنواعِ العَطاءِ، فهي تبحَثُ عَنْ أرخبيلاتِ الفَرحِ عَبرَ رفرفاتِ أجنحةِ الحَرفِ الخلّاقِ، ولَمْ ترَ في الرَّبيعِ

المتطايرِ في سَمَاءِ الشَّرقِ إلَّا لهيبَ الاشتعالِ، مُتقهقراً نَحوَ خِضمِّ الانحدارِ ودهاليزِ الفَشلِ، فجنحَتْ نحوَ فضاءِ القصيدةِ، نحوَ حِبرِ الخَلاصِ كي تزرعَ بسمةَ التَّجلّي فوقَ أبهى أغصانِ الحياةِ.

تبوحُ حرفَاً مِنْ مَذاقِ الشَّوقِ إلى أمواجِ البحرِ، وإلى اخضرارِ الحقولِ المتعانقةِ مَعَ ألعابِ الطُّفولةِ، وهي تسوحُ في ظلالِ الكُرومِ. تُرفرفُ لقاءَاتُ الأصدقاءِ والصَّديقاتِ في عَرينِ الخيالِ، ومذهولةٌ مِمَّا وصلَتْ إليها تصدُّعاتُ الحوارِ، ولغةُ الانشراخِ في عواقبِ التَّصارُعاتِ المَريرةِ. تُحلّقُ عبرَ حَرفِها بكلِّ رهافةٍ في فضَاءٍ مُصفًّى مِنْ غَدْرِ هذا الزَّمانِ، سابحةً في زُرقةِ السَّماءِ ومَنارَةِ الارتقاءِ نحوَ سُموِّ الشِّعرِ، غيرَ مُبالةٍ بألسنةِ اللَّهيبِ المُتلاحقةِ لشهوةِ حَرْفٍ مُنبجسٍ مِنْ حِكمةِ الأيَّامِ ومِنْ أصفى ما في خُصوبةِ العُمْرِ. يزدانُ عالمُها برحيقِ الشِّعرِ، يبدّدُ انبعاثُهُ فظاظةَ الغُربةِ، ولا تشعرُ بالغربةِ رغمَ حنينِها المتزايدِ إلى حميمياتِ الأماسي بينَ كنَفِ الشِّعرِ، ترى في وميضِ البوحِ شهقةَ الوطنِ، ويغدو حرفُها في سَماءِ التَّجلّي كأنَّهُ خيمةٌ دافئةٌ بأجنحةِ الحنينِ المزنَّرِ بحفاوةِ الأوطانِ. تتعانقُ مَعَ فضاءِ الحَرفِ، عِناقاً مُفعماً بالودادِ، وتحقّقُ تواصُلاً جامحاً مَعَ خصوبةِ البيتِ المُعشَّشِ في الذَّاكرةِ، فترسمُهُ على أنغامِ شَهوةِ الشِّعرِ، فيزهو قلبُها مبتهلاً بحميميةِ الاستحضارِ، وكأنَّها تستنشقُ رائحةَ البيتِ بكلِّ حبورِهِ ودفئِهِ عبرَ مَذاقِ الحرفِ.

تناجي ذاتَها الهاربةَ مِنْ جَلاوزةِ العصرِ، ومِنْ أنيابِ الغدْرِ المرتقبِ على قارعةِ أقدارٍ مُفصَّلةٍ على قامةِ شَهقاتِ الأشعارِ، تتخيَّلُ كينونَتها الهاربةَ بعيداً عَنْ سُيوفٍ مَسنونةٍ لكبحِ جِماحِ الحَرفِ، كأنَّها بمنأى عنِ الذَّاتِ وفي رحلةٍ خرافيّةٍ، بعيدةً عَنْ حفاوةِ الإنسِ، وفي فضاءٍ يُشبِهُ حكاياتٍ منبثقةٍ مِنْ بوحِ الخيالِ. تغوصُ الشَّاعرةُ عميقاً في براري ذاتِها الفسيحةِ. تهدهدُ كنوزَها المخبوءَةِ في حنايا القلبِ، وأجنحةِ الذِّكرياتِ. رشا عُمران شاعرةٌ مسكونةٌ بعوالمِها الخفيَّةِ، المكتنزةِ بحبِّ الحياةِ والكلمةِ المرفرفةِ في رِحابِ الأعالي، والمجنَّحةِ في تجلّياتِ بوحِ الذَّاتِ، وتوَّاقةٌ بكلِّ حميمياتِها إلى عوالمِ الأصدقاءِ والصَّديقاتِ ومرافئِ بوحِ القصيدةِ المنبعثةِ مِنْ مآقيهم المترقرقةِ بأنقى يراعِ الحياةِ، ومهجوسةٌ في فضاءِ تكوينِ الحرفِ بأشهى انبعاثاتِهِ. تسبحُ في عالمٍ غنيٍّ في رشاقةِ الجُموحِ. غاصَتْ عميقاً في كينونتِها واكتشفَتْ ذاتَها مِنْ خلالِ ابحارِها في تأمُّلاتِ الذّاتِ، عَبرَ وحدتِها المتناغمةِ مَعَ رهافةِ العبورِ في استبطانِ آفاقِها المفتوحةِ على رحابةِ انبلاجِ مُهجةِ الشِّعرِ!

يحِنُّ ضياءُ القَمرِ إلى اخضرارِ أزاهيرِ الشَّاعرةِ، وهي تغفو فوقَ غُربةِ الحياةِ، على مَقربةٍ مِنْ أريكةٍ مَصنوعةٍ مِنْ خيوطِ الشَّوقِ، ومِنْ وسائدِ الانتظارِ، ترتشفُ القهوةَ بتلذُّذٍ وهي تحلّقُ في مِحرابِ الخيالِ، تموجُ ضفائرُ الحنينِ في حدائقِ الذَّاكرةِ، تشعرُ وكأنَّها تسمعُ قهقهاتِ الأصدقاءِ والصَّديقاتِ، تطنُّ أذنُها شوقاً إلى اللّقاءَاتِ الطَّافحةِ بحبورِ الشِّعرِ، يرتعشُ قلبُها مِنْ تنامي شهقاتِ الحَنينِ. الحياةُ رحلةُ حَرفٍ في دُنيا مُكبَّلةٍ بغربةٍ مفتوحةٍ على رِحابِ الصَّحارى. نحنُ نُشبِهُ هبوبَ النَّسيمِ فوقَ كينونةِ هذا الزَّمانِ، حياتُنا مركونةٌ على شَفيرِ التِّيهِ، على جُملةٍ مِنَ المُصادفاتِ، كأنَّنا في ذمّةِ العواصفِ، نتقاذفُ مَعَ تطايُرِ هبوبِ الرّيحِ. للمكانِ تأثيرٌ كبيرٌ في فضاءِ انبعاثِ الحرفِ، وأحياناً يقدّمُ المكانُ آفاقاً رحبةً، أكثرَ مِمَّا يقدّمُهُ المكانُ في عقرِ دارِ

الشُّعراءِ، لِمَا للمكانِ الجديدِ مِنْ تناغُمٍ وتجانُسٍ في تجلّياتِ الكلمةِ في ذُروةِ جُموحِها، وهي ترفرفُ في رحابِ الخيالِ، وتحقّقُ لنفسِها توزاناً عبرَ فضائِها الشِّعري، وتستعيدُ ما افتقدتْهُ مِنْ جمالٍ وفرحٍ وبهاءٍ مِنْ خلالِ مُناجاةِ الذَّاتِ المحفوفةِ بيراعِ مَمْلكةِ الشِّعرِ، الَّتي تحقّقُ للشاعرةِ فضاءً يُغنيها عَنْ كُنوزِ الدُّنيا!

تَنسُجُ الشَّاعرةُ رشا عمران في أوجِ تأمُّلاتِها حَرفاً رقراقاً مُنساباً كانسيابِ المَاءِ الزُّلالِ، كانبعاثِ الفَرحِ في هِلالاتِ هُبوبِ النَّسيمِ، وهي في ذُروةِ حبورِها تتجلَّى بكلِّ شموخٍ في بوحِها المُكتنزِ بجموحِ آفاقِها نحوَ أصفى حبورِ الشِّعرِ، فقَدْ تَشكَّلَتْ فضاءَاتُها الشِّعريّةُ مِنْ أنقى الينابيعِ، المخزَّنةِ بينَ أجنحتِها مُنذُ أنْ حَملَتِ القلمَ وهي في باكورةِ العُمرِ، وراحَتْ تَغْدَقُ علياً حَرفاً مبلَّلاً بأنشودَةِ فرحٍ مَصحوبٍ بالأملِ الآتي. بنَتْ مرامي شِعرِها مِنْ خِلالِ تجربتِها المتواصلةِ عَبرَ تدفُّقاتِ خيالٍ سيَّالٍ مُكتنزٍ بطموحاتٍ شاهقةٍ بكلِّ تشابكاتِ الحياةِ وتماهياتِها مَعَ انبلاجِ خصوبةِ الحرفِ.

لا تُهمُّها الأمكنةُ بذاتِها، حتَّى وإن كانَ مسقطُ رأسِها، بقدرِ ما يُهمُّها البشرُ، لهذا الإنسانُ لَهُ مَكانُ الصَّدارةِ في فضائِها الشِّعري، تَنبعِثُ لُغتُها مِنْ مَذاقِ الطُّفولةِ والرُّؤيةِ المفهرسةِ بالاخضرارِ في أوجِ انبلاجها، لغةٌ مُجنَّحةٌ نحوَ صفاءِ الرُّوحِ، ورقراقةٌ مِثلَ رَهافةِ الفَراشاتِ، كأنَّها مُتشكِّلةٌ مِنْ نَداوةِ اخضرارِ الحِنطَةِ وشُموخِ السَّنابلِ في صَباحاتِ الرَّبيعِ، ومِنْ نكهةِ الخُبزِ المُقمَّرِ، وشَهوةِ الحُلُمِ المُتدفِّقِ مِنْ طُموحاتٍ شَاهقةٍ مِثلَ قِممِ الجِبالِ، لغةٌ مُشبَّعةٌ بآهاتِ العُمرِ المتتاليةِ، تزدهي بصورٍ حافلةٍ بالمعاني والرُّموزِ والصُّورِ المُتميّزةِ بالفَرادةِ، كأنَّها مُدوزنةٌ على أنغامِ بَهجةِ الشِّعرِ.

تمتلكُ عمران لغةً مذهَّبةً بأسرارٍ مُجنّحةٍ نحوَ تغاريدِ البلابلِ وخريرِ السَّواقي العذبةِ في صَباحٍ ربيعيٍّ مُسربلٍ بنضَارةِ النَّدى المُتناثرِ فوقَ بتْلاتِ الأزاهيرِ الفوّاحةِ، مُهَدهِدةً جموحَ الحرفِ وهو يموجُ بأبهى حُلَلِهِ فوقَ أزهى أغصانِ التَّجلّي، لا يُبهِجُ قَلبَها إلَّا حَرْفٍ يتناثرُ ألقاً وحبوراً في حنايا القصيدةِ في ذُروةِ انبعاثِهِ مِنْ منابعِ انبلاجِ هِلالاتِ جُموحِ الخيالِ. شاعرةٌ موسومةٌ في أوجاعِ الرَّحيلِ القسريّ عَنْ بلادِها، تتأمَّلُ عوالمَها وتنبشُ ما يموجُ في مخيالِها وتترجمُ ما ينتابُها مِنْ مشاعرَ فيّاضةٍ، وتَنثرُ تجلّياتِها فوقَ مروجِ الحياةِ كحبّاتِ الحنطةِ في دُنيا مُعبّقةٍ برَذاذاتِ المَطرِ في صَباحاتِ الرَّبيعِ، كأنَّها في حالةِ ابتهالٍ لخصوبةِ الأرضِ في قمَّةِ انبعاثِ القصيدةِ على إيقاعِ حَنينِ الرُّوحِ إلى أحَلامٍ مَوشومةٍ في مَرافئِ ذاكرةٍ مُحنَّطَةٍ بضراوةِ الانكسارِ.

تنهضُ الشّاعرةُ رشا عمران بكلِّ عنفوانها رابطةَ الجأشِ، ولا تبالي بجراحِها المُرصرصةِ فوقَ مآقي السِّنينِ الهاربةِ مِنْ تَراكماتِ الأحزانِ المُتهاطلةِ فوقَ خدودِ القصيدةِ ومرافئِ العمرِ، فلا ترى أجدى مِنْ شهقةِ الحرفِ تُدلِقُهُ فوقَ أرقى جموحاتِ الانبعاثِ، توشّحُ رؤاها بحرفٍ مندَّى بالاخضرارِ ووئامِ الإنسانِ مَعَ أخيهِ الإنسانِ في هذا الزَّمنِ المُعفَّرِ بويلاتِ الحُروبِ وتصدُّعاتِ الأوطانِ، فتزهو القصيدةُ ألقاً مَشحوناً بعطاءٍ خلَّاقٍ، وترى القصيدةَ هي الأبقى والأكثرُ تأثيراً مِنْ أيَّةِ مواجهاتٍ أخرى في ترسيخِ رؤاها وآفاقِ تجلّياتِها الخلّاقةِ.

ستوكهولم: نيسان (أبريل) 2024

يمتلكُ الفنَّان التَّشكيلي السُّوري جاك جوخدار
طاقةً فنّيّةً خلّاقةً في فضاءِ النّحتِ والتَّشكيلِ الفنّي



جاك جوخدار

87

جاك جوخدار فنّان تشكيلي خريجُ كلّيّة الفنون الجميلة مِنْ جامعةِ دمشق، قسمُ النَّحت، يمتلكُ هذا الفنَّان السُّوري البارع طاقةً فنّيّةً خلّاقةً في فضاءِ النّحتِ والتَّشكيلِ الفنّي، لما لديهِ مِنْ خيالٍ جامحٍ ورؤيةٍ شاهقةٍ وخلّاقةٍ في تطويعِ الكتلةِ وتشكيلها تشكيلاً فنّيّاً مُبهراً، مُركّزاً على الإنسانِ كموضوعٍ أساسيٍّ لمختلفِ أعمالِهِ الفنّيّةِ، مُسقطاً عليهِ الكثيرَ مِنَ الرُّموزِ والأفكارِ والتّطلُّعاتِ والآفاقِ الهادفةِ، فتولدُ منحوتاتُهُ بأسلوبٍ متميّزٍ، لما في أعمالِهِ مِنْ خصوصيّةٍ فنّيّةٍ وفيها مِنَ الحداثةِ الشَّيءُ الكثيرُ. يعملُ بغزارةٍ متميّزةٍ في فضاءِ النَّحتِ والتَّشكيلِ اللَّونيّ، ولهُ باعٌ كبيرٌ في هذا الفضاءِ الفنّي الشَّاهقِ، ويمتلكُ طاقاتٍ تشكيليّةً في بناءِ لوحاتٍ فنّيّةٍ في غايةِ العُمقِ والتَّشكيلِ والبناءِ الفنّيّ، متوغّلاً في آفاقِ الرَّمزيّةِ والتَّجريدِ بحداثويَّةٍ متجدّدةٍ على الدَّوامِ.

التقيتُهُ في عدَّةِ مَعارضَ مشتركة لَهُ مَعَ فنَّانينَ آخرينَ، وأتابعُ أعمالَهُ مُنذُ سنواتٍ في مرسمِهِ في هوسبي كونست هال، ودائما تراهُ متجدّداً في أعمالِهِ، ومُواكباً الحداثةَ المعاصرةَ. فنّانٌ هادئٌ، مُمتلئٌ بالحيويّةِ والنَّشاطِ، والصَّبرِ في الاشتغالِ على منحوتاتِهِ برهافةٍ عاليةٍ، يُعِدُّ فِكرةً ما ثمَّ يشتغلُ على تنفيذِ فكرتِهِ، وفيما هو في أوجِ انشغالِهِ وغوصِهِ في العملِ، سرعانَ ما تولدُ لديهِ أفكارٌ جديدةٌ، فيصوغُها في البناءِ الفنّيّ للمنحوتةِ، يعملُ باستمراريّةٍ وهوَ مُستغرقٌ في عوالمِ العملِ بشغفٍ كبيرٍ، ويتوارِدُ إلى ذهنِهِ عبرَ خيالِهِ الخلّاقِ، الكثيرُ مِنَ التَّفاصيلِ والأفكارِ الجديدةِ خِلالَ عمليّةِ تشكيلِ الكتلةِ الفنّيةِ، مُستفيداً مِنْ ثقافتهِ الفنّيّةِ العميقةِ ومِنْ خبراتِهِ، ومشاهداتِهِ لآلافِ الأعمالِ الفنّيَّةِ، النَّحتيّةِ منها واللَّوحاتِ التَّشكيليّةِ بمختلفِ الأساليبِ والمدارسِ الفنّيّةِ، وتشكَّلَ لديهِ رؤيةً فنّيَّةً خاصّةً بِهِ، وحالما نشاهدُ أعمالَهُ نجدُ فيها لمسةً جوخداريَّةً تُميّزُهُ عَنْ غيرِهِ مِنَ الفنَّانينَ.

وفي فضاءِ الرَّسمِ، تراهُ جامحاً في خيالِهِ، وعميقاً في رؤاهُ، فهو قادرٌ على الرَّسمِ في مرسمِهِ وباستمراريّةٍ مُدهشةٍ، كما يُمكنُهُ أنْ يرسمَ في مَنزلِهِ، وفي أيّ مَكانٍ عندما تتوفَّرُ لَديهِ أدواتُ الرَّسمِ، ويرسمُ على أحجامٍ كبيرةٍ ومتوسّطةٍ وصغيرةٍ، ولا يضيرُهُ أنْ يرسمَ بقلمِ الرَّصاصِ عندما تردُهُ فكرةٌ ما، أو يستهويهِ أنْ يعبّرَ عمَّا يجولُ في خاطرِهِ، ويرسمُ بالحبرِ الصّيني على الورقِ المقوّى، الكارتون، كما يرسمُ بالفحمِ، والتّلوينِ العادي الخشب، ولَهُ باعٌ طويلٌ بالرَّسم بالباستيل، ورسمَ العديدَ مِنَ اللَّوحاتِ الصَّغيرةِ خِلالَ فترةٍ قصيرةٍ بالباستيل، وشغفُهُ الكبيرُ هو أنْ يرسمَ بالاكريليك والزَّيتي بقياساتٍ متنوّعةٍ، وهو في حالةِ تفكيرٍ إبداعيٍّ مُتجدّدٍ، ويسعى إلى ابتكارِ تشكيلاتٍ فنّيةٍ جديدةٍ ورؤيةٍ جديدةٍ بأسلوبٍ مُتميّزٍ، ويساعدُهُ في تنفيذِ هذهِ الآفاقِ والطُّموحاتِ الفنّيّةِ ما لديهِ مِنْ مخزونٍ ثقافيٍّ فنّيٍّ مُتجدّدٍ وعميقٍ، فتولدُ اللَّوحةُ بينَ يديهِ بطريقةٍ انسيابيَّةٍ رهيفةٍ وكأنّهُ في حالةِ ابتهالٍ مَعَ بهاءِ الألوانِ، عبرَ تناغمِها وانبعاثِها فوقَ وجنةِ اللَّوحاتِ. حيثُ يجدُ سلواهُ في الرَّسمِ، عندما لا يكونُ بينَ يديهِ منحوتة معيّنة، فدائماً في حالةِ انشغالٍ في فضاءَاتِ الرَّسمِ أو النَّحتِ!

وفي فضاءِ النَّحتِ، وبما يتعلَّقُ في الكتلةِ، الفراغ، يتحدَّثُ عَنْ كيفيَةِ ولادةِ العمليّةِ النَّحتيّةِ وعلاقتِها بالكتلةِ والفراغِ، فهو يرى أنَّ كلَّ حجمٍ محسوسٍ هو كتلةٌ إيجابيّةٌ، والفراغُ هو الحجمُ غيرُ المحسوسِ، أو غيرُ الملموسِ، لكنَّنا نجدُهُ أي الكتلةُ غيرُ المحسوسةِ – عبرَ جماليّةٍ مُعيّنةٍ، والفراغُ كما يراهُ جوخدار يُحدَّدُ بينَ الظُّلمةِ والنّورِ، والهلامي والجامد. والكتلةُ السَّلبيّةُ، هي الفراغ المُحيطُ بالكتلةِ الجامدةِ، أي الكتلةُ الواقعيّةُ، المحسوسةُ والملموسةُ، وهذا الفراغُ المتشكّلُ حولَ الكتلةِ المحسوسة هو أيضاً جزءٌ مِن الكتلةِ السَّلبيّةِ بما فيها الفراغ المحيط بالتمثالِ المحسوسِ. فهو يرى أنَّ الفراغَ المحيطَ بالكتلةِ الملموسةِ هو الّذي يشكلُ الكتلةَ، التمثالَ، أو المنحوتةَ، لهذا فالفراغ لهُ دورٌ كبيرٌ في إبرازِ معالمِ المنحوتةِ. وفي هذا السّياقِ أستطيعُ القولَ إنَّ الكتلةَ السّلبيّةَ كإصطلاحٍ في التَّسميةِ هي ليسَتْ سلبيةً في تشكيلِ المنحوتةِ، بلْ هي العمودُ الفِقري في إبرازِ الكتلةِ الإيجابيّةِ الملموسةِ ولولا الفراغُ لما تمكَّنا مِنْ مشاهدةِ تفاصيلِ المنحوتةِ، وبهذا السّياقِ أرى أنَّ الكتلةَ السّلبيّةَ أو الفراغَ كتلةٌ موجودةٌ في جوهرِ تشكيلِ العملِ النَّحتي، لأنَّه لولا هذا الفراغ لَما تمكَّنا مِنْ مشاهدةِ المنحوتةِ بكلّ تفاصيلِها ودقائق متفرّعاتِها.

وفيما يخصُّ البدءُ في منحوتةٍ معيّنةٍ، فهو يرسمُ سكيتشات بأشياءَ يحسُّها ويراها مناسبةً للعملِ الَّذي سينحتُهُ، لكنّهُ عندما ينحتُ المنحوتةَ، ينسى كلّياً، الاسكيتش الَّذي أعدَّهُ، لأنَّهُ يدخلُ في عالمٍ جديدٍ، وخلالَ عمليّةِ النّحتِ، يجدُ تشكيلاً ومعانيَ وتقنياتٍ جديدةً، وتولدُ عدّةُ أفكارٍ وتتطوَّرُ العمليّةُ النَّحتيّةُ بحسبِ ما يتراءَى لَهُ في الخيالِ – المتداخلِ مَعَ الواقعِ، ومَعَ تداخلِ الأحاسيسِ، لأنَّ لكلّ لحظةٍ تأثيرُها وحضورُها ولها تدفُّقُها وانبعاثُ ما ينبثقُ عَنِ الحالةِ المرافقةِ عندَ النّحّاتِ، ويتداخلُ الشُّعورُ مَعَ اللَّاشعورِ بمجرى واحدٍ ويولّدُ انبعاثٌ جديدٌ غيرُ موجودٍ في بدايةِ العملِ النَّحتي، وهكذا نرى أنَّ السكيتش الّذي أعدَّهُ الفنَّانُ للبدءِ في منحوتتِهِ كانَ بمثابةِ الشَّرارةِ الأولى لانبعاثِ فضاءِ المنحوتةِ ولم يكُنِ الصّيغةَ المتطابقةَ مِنْ تشكيلِها، بَلْ هي بمثابةِ الانطلاقةِ الأولى للبدءِ بالعمليّةِ الإبداعيّةِ، وهذهِ الحالةُ تقتربُ كثيراً إلى فضاءِ انبعاثِ القصيدةِ، حيثُ ينطلقُ

الشَّاعرُ مِنْ إشراقةٍ ما، أو ومضةٍ ما، وهذهِ الومضةُ تقودُهُ إلى فضاءَاتٍ ما كانَتْ تخطرُ على بالِهِ لحظةَ انبعاثِ القصيدةِ، والنَّحّاتُ أيضاً انطلقَ مِنَ السكيتش كشرارةٍ أو إشراقةٍ أولى، ثمَّ بدأَ في انبعاثِ تدفُّقاتِ خيالِهِ مَعَ انبعاثِ مشاعرِهِ وربطِها مَعَ بعضٍ مِنْ آفاقِ واقعِهِ، وهكذا تولدُ المنحوثةُ عبرَ عدَّةِ عمليّاتٍ تجلّياتيَّةٍ إلى أنْ يصلَ الفنَّانُ إلى مرحلتِهِ النِّهائيّةِ في بنائِها الفنّي!

وفيما هو في ذروةِ الانغماسِ في تشكيلِ العمليّةِ النَّحتيةِ، يبحثُ النّحَّاتُ عَنِ الأحجامِ المناسبة، والكتلِ والخطوطِ، المنبثقةِ مِنْ تفاصيلِ تشكيلِ المنحوتةِ، ويعمّقُ معانيها في بناءِ الشَّكلِ الَّذي أمامَهُ، ويبدأُ بعمليّةِ اللُّعبِ المدروسِ، وهذا اللُّعبُ أشبهُ ما يكونُ بالقفزِ فوقَ الماءِ على حدِّ قولِ الفنّان. وهذا القفزُ يتمُّ مِنْ نقطةٍ إلى نقطةٍ أخرى، وهذا اللُّعب المدروسُ يتوافقُ معَهُ الوهْجُ العفويُّ المتدفّقُ والخيالُ المصاحبُ لتجلّياتِ الحالةِ الإبداعيّة.

يركّزُ الفنَّانُ جاك جوخدار على الإنسانِ في معظمِ أعمالِهِ، فلا ترى منحوتةً مِنْ منحوتاتِهِ إلَّا وفيها تشكيلٌ أو ترميزٌ لإنسانٍ، والإنسانُ عندَهُ يحملُ معاناةً لعدّةِ أسبابٍ، ويستخدمُ في أعمالِهِ الفنّيّةِ الرُّموزَ، للوصولِ إلى أهدافِهِ وطروحاتِهِ وأفكارِهِ مِنْ صنعِ المنحوتةِ، ولا يغفلُ تأثيرَ الكتلةِ وجمالياتِها بالفراغِ الَّذي يتركُهُ، ويجبُ أنْ يُشاهَدَ الجمالُ مِنْ جَميعِ الجوانبِ، مَعَ البحثِ عَنِ الحداثةِ في العملِ الفنّي، وبناءِ عالمٍ فنّيٍ بأسلوبٍ خاصٍّ بالفنَّانِ، فهو يسعى لتحقيقِ خصوصيّةٍ فنّيّةٍ وأسلوبٍ فنّي يميّزُهُ عَنْ غيرِهِ مِنَ الفنَّانينَ.

تبقى المنحوتةُ عندَهُ مفتوحةً على آفاقٍ متعدّدةٍ، لكنَّهُ يصلُ إلى مرحلةِ الاكتمالِ، أو الاشباعِ مِنَ العملِ الَّذي بينَ يديهِ، ويُصبِحُ لديهِ شغفُ الانتقالِ إلى عملٍ جديدٍ، وكأنَّ المنحوتةَ المبحوثَ عنها هي استكمالٌ للمنحوتةِ السَّابقة لها، وبالتَّالي النَّحتُ عندَهُ سلسلةٌ متواصلةٌ ومتداخلةٌ عبرَ المنحوتاتِ ككل، فالعملُ عندَهُ عبارة عَنْ مجموعةِ أفكارٍ متداخلةٍ ومترابطةٍ وتكمّلُ المنحوتاتُ بعضُها بعضاً، في العديدِ مِنَ الجوانبِ، استكمالاً للوصولِ إلى الأهدافِ البعيدةِ، رغم تغيُّرِ وتنوُّعِ الأعمالِ.

يميلُ الفنَّانُ إلى العملِ على المنحوتاتِ الكبيرةِ والنُّصبِ التّذكاريّةِ، العملاقةِ، لما لديهِ مِنْ خيالٍ، مُتدفّقٍ في بناءِ ونحْتِ هذهِ النُّصبِ الكبيرةِ، وقَدْ سبقَ ونفّذَ الكثيرَ مِنَ النُّصبِ التذكاريّةِ في ساحاتٍ عامّةٍ.

وحولَ شغفِهِ وقدراتِهِ في تنفيذِ النُّصبِ التُّذكاريَةِ الكبيرةِ، يقولُ: "كلُّ نُصبٍ كبيرٍ يتطلَّبُ، ماكيت، أي مُجسَّماً صغيراً، كي يشاهدَ الكتلة – الحجم بشكلٍ محسوسٍ وملموسٍ كي ينفّذَها بحجمٍ كبيرٍ، وأثناءَ تنفيذِ الماكيتِ، أو المجسَّمِ الصَّغيرِ إلى الحجمِ الكبيرِ، في هذهِ الحالةِ، يقومُ الفنَّان بدارسةِ الموقعِ الهام، بحيثُ يكونُ هناكَ انسجامٌ بالشَّكلِ والمضمونِ، والحجمِ، وهذا يتوقّفُ على المادّةِ الّتي سينفّذُ فيها العملَ، وغالباً ما تأخذُ طابعاً هندسيّاً فنّيّاً مُتناغماً ومُناسِباً للمكانِ الَّذي سيُعرَضُ فيه.

وأمَّا اهتمامُ الفنّانِ فيما يتعلَّقُ بالرَّسمِ وفضاءَاتِ هذهِ العوالمِ الفسيحةِ في التَّشكيلِ الفنّي، لَهُ علاقةٌ وطيدةٌ بطاقاتِهِ الفنّيّةِ، المعشَّشةِ في أعماقِهِ، وقد تنامَتْ هذه العوالمُ الفنّيّة منذُ التحاقِهِ بكلّيّة الفنونِ الجميلة، ثمَّ بدأَ رحلةَ العطاءِ في فضاءِ الفنِّ على مدى عقودٍ مِنَ الزَّمانِ، وهو يرسمُ لمُتعةٍ خالصةٍ، ولِما لديهِ مِنْ شغفٍ عميقٍ في تجلّياتِ انبعاثِ الألوانِ فوقَ نصاعةِ البياض، ويرى في رِحابِ جُموحاتِ الرَّسمِ، حاجةً عميقةً للتعبيرِ عَنْ مَشاعرِهِ وأحاسيسِهِ وتوجُّساتِهِ، وما يجولُ في خاطرِهِ مِنْ أفكارٍ وطُموحاتٍ يُريدُ أنْ يجسّدَها فوقَ بياضِ اللَّوحاتِ، ويرى أنَّ الرَّسمَ جزءٌ مِنْ وجودِهِ في الواقعِ، ويترجمُ الكثيرَ مِنْ آفاقِ تطلُّعاتِهِ، وللرسمِ علاقةٌ في انبعاثِ الدَّوافعِ والغرائزِ والقيمِ والأفكارِ الخلَّاقةِ، والحَالاتِ الانفعاليّةِ الخاصَّةِ بالمشاعرِ الإنسانيَّةِ. ويرتكزُ الرَّسمُ على مدى ما يمتلكُ الفنَّانُ مِنْ موهبةٍ، لأنَّ الفنَّ هو بالأساسِ ينبعثُ مِنَ الموهبةِ المعشَّشةِ عندَ الفنَّانِ على أنْ يحافظَ على هذهِ الموهبةِ من خلالِ صقلِها، كما ينبعثُ مِنْ جانبٍ آخر مِنَ فضاءِ الفطرةِ أيضاً، وللثَّقافةِ الفنّيّةِ والخبراتِ الحياتيّةِ، علاقةٌ عميقةٌ في تطويرِ العمليّةِ الفنّيَّةِ، وللتجربةِ الفنّيّةِ والتَقنياتِ والأساليبِ المتنوّعةِ عندَ الفنَّانِ تأثيرٌ في تمازجِها مَعَ بعضِها بعضاً وينتجُ عَنْ تفاعلاتِها عملٌ فنّيٌّ جميلٌ.

يرسمُ الفنّانُ جاك جوخدار بالزّيتي والأكريليك، والباستيل، وبموادَّ عديدة أخرى، محاولاً إدخالَ تقنياتٍ جديدةٍ في لوحاتِهِ، منطلقاً مِنْ فضاءِ التّجريبِ، لاعطاءِ فضاءَاتٍ فنّيَّةٍ جديدةٍ للوحاتِهِ بأساليبَ متنوّعةٍ، مُستفيداً مِنْ خِبراتِهِ وثقافتِهِ وخيالِهِ وشغفِهِ، وهو فنَّانٌ غزيرُ الانتاجِ وعميقُ الخيالِ والأفكارِ ولديهِ روحُ المغامرةِ والتَّجريبِ والرَّسمِ في مُعظمِ الأوقاتِ الَّتي تتطلبُ شغفاً ورغبةً في الرَّسمِ، خاصَّةً عندما تتوفَّرُ لديهِ أدواتُ الرَّسمِ فيرسمُ بشغفٍ عميقٍ متدفّقاً في انسيابيّةِ ألوانِهِ بمواضيعِهِ المختلفةِ بأسلوبٍ أخّاذٍ، تصبُّ في فضاءَات الحداثةِ!

يستخدم الرُّموز في لوحاتِهِ، كأحدِ أساليبِهِ المتَّبعةِ، وهي عاريةٌ أو بعيدةٌ عَنِ الرَّسائلِ المباشرةِ للمتلقّي في ترميزاتِهِ، لهذا تحملُ لوحاتُهُ عدَّةَ تفاسيرَ، ويستطيعُ المشاهدُ أنْ يقدّمَ تحاليلَهُ وتفاسيرَهُ وفقَ ثقافتِهِ وقدراتِهِ على التَّحليلِ وما يوحي إليهِ العملُ الفنّي مِن ترميزاتٍ متنوّعةٍ، يمكنُ الولوجُ عبرَها في تقديمِ الكثيرِ مِنْ المعاني الّتي عبَّرَ عنها الفنّانُ عبرَ تجلّياتِ بوحِ الألوانِ وتناغُمِ ترميزاتِهِ.

ويركّزُ الفنّانُ في الرَّسمِ أيضاً على الإنسانِ كأحدِ أهمّ أهدافِهِ، لأنَّ الإنسانيَّةَ في إطارِها العام هي مِنْ أهمّ أهدافِهِ الَّتي يتوخّاها مِنْ لوحاتِهِ، لهذا دائماً تراهُ يرسمُ أعمالاً تتعلَّقُ بطريقةٍ أو بأخرى بالإنسانِ، يترجمُ معاناتَهُ، أوجاعَهُ، جراحَهُ، حُبَّهُ، حنينَهُ، وكلَّ ما يخطرُ على بالِهِ مِنْ أحاسيسَ تتقاطعُ مَعَ أحاسيسِ المُشاهدينَ والمشاهِداتِ بصيغةٍ أو بأخرى!

يستخدمُ الفنَّانُ التَّشكيلي المبدع جاك جوخدار في تقنياتِهِ الفنّيّةِ في فضاءِ الرَّسمِ، التَّجريدَ برهافةٍ عاليةٍ، والرّمزيّةَ بكلّ ما تحملُ مِنْ عُمقٍ في تجسيدِ عوالمِها، والتَّعبيريّةَ بكلّ ما فيها مِنْ تقنياتٍ باهرةٍ، وتصبُّ أساليبُهُ الفنّيّةُ المتنوّعةُ في فضاءِ الحداثةِ والتَّجديدِ في البناءِ الفنّي للوحةِ، وهناكَ تمازجٌ بالواقعيّةِ في بعضِ الأعمالِ ويتمُّ توظيفُها مَعَ الرَّمزيَّةِ والحداثةِ، ويَهُمُّهُ رسمُ النِّسبِ المثاليّةِ في بناءِ اللَّوحةِ، وتوزيعِ الألوانِ

بطريقةٍ يخدمُ عبرَها الموضوعَ، ولا يركّزُ على تقنياتِ العملِ الفنّي، بقدرِ ما يركّزُ على رزانةِ العملِ الفنّي في البناءِ والتَّكوينِ، وتشكيلِ اللَّوحةِ، مُحافظاً على تطلُّعاتِهِ، ورؤاهُ الفنّيّةِ، فهو فنّانٌ يعرفُ ماذا يقدّمُ للمشاهدِ ولنفسِهِ، حيثُ تنبعِثُ اللَّوحةُ عندَهُ مِنْ عدَّةِ مساربَ فنّيّةٍ إبداعيّةٍ، وكأنَّهُ في حالةِ بحثٍ عَنِ التَّجديدِ والتَّحديثِ والإبداعِ الخلَّاقِ، مَعَ الإيمانِ بفلسفةِ صنعِ الحدثِ مِنْ دونِ التَّأثُّرِ فيهِ، وإيجادِ الصَّدمةِ الوجدانيّةِ للمتلقّي ليأخذَها معَهُ إلى زمنٍ طويلٍ، على عكسِ العمليّةِ الاحتكاريّةِ، الّتي تريدُ مِنَ الإنسانِ فقط الاحساسَ الانفعاليَّ اللَّحظيَ، المؤقَّتَ، ولهذا لا توجدُ في مَنْ يؤمنُ برسالةِ الفنِّ أشياءُ هامشيّةٌ، بَلْ السَّعيُ إلى تثبيتِ الحقيقةِ، ويجنحُ الفنَّانُ جاك جوخدار نحوَ فضاءِ التَّجريدِ الممزوج بتعبيريّةٍ مُحدثةٍ، مَعَ تجلّياتِ وحشيّةِ الألوانِ، ولا يغفلُ الأهدافَ الّتي يسعى إلى تعميقِها ونشرِها والتَّعبيرِ عنها بأسلوبٍ خلَّاقٍ عبرَ فضاءَاتِهِ الفنّيَّةِ المُتنوّعةِ.

ستوكهولم: آذار 2024

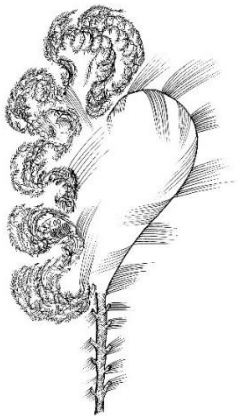

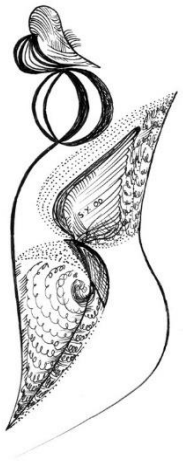

الفنَّانة التَّشكيليّة السُّوريّة د. سلوى الصّغير
تزاوجُ بينَ آفاقِها العلميّةِ وتجلّياتِها الفنّيَّةِ



د. سلوى الصّغير

88

تحملُ تجربةُ الفنَّانة التَّشكيليّة السُّوريّة الدُّكتورة سلوى الصَّغير رؤيةً متميّزةً في فضاءَاتِ أعمالِها الفنّيّةِ المكتنفةِ بالجمالِ والرُّموزِ المتفرّدةِ في دلالاتِها، فهي تربطُ آفاقَها العلميّةَ المتخصّصَةَ في فضاءِ الفيزياءِ في تجلّياتِها الفنّيّةِ، حيثُ تمتلكُ رؤيةً علميّةً عميقةً في تخصُّصِها في فضاءِ الفيزياءِ الجسيميّةِ، وأرقى ما في رؤاها الفنّيّةِ أنَّها انطلقَتْ مِنْ رؤاها العلميّةِ وجسَّدَتْ هذهِ الرُّؤى الخلّاقةَ في فضاءِ التَّشكيلِ الفنّي، ونجمَ عَنْ هذا التّزاوجِ في جموحاتِ خيالِها ما بينَ الجُموحِ العلميّ والفنّيّ، لوحاتٌ مُبهرةٌ في غايةِ الرَّوعةِ والمضمونِ والجمالِ، وأطلقَتْ عليها "الأعشاش الهندسيّة"، ولديها الكثيرُ مِنَ اللّوحاتِ الانطباعيّةِ، ولوحاتٌ تحملُ بُعداً وإيقاعاً موسيقيّاً، كما أنَّ لديها تجربةً بديعةً في فضاءِ التَّجريدِ والبورتريه. وتتميَّزُ أعمالُها برهافةٍ عاليةٍ، مُتعانقةٍ مَعَ ومضاتٍ شاعريّةٍ وإيقاعيّةٍ، فقَدْ استفادَتْ مِنَ الفضاءَاتِ العلميّةِ والموسيقيّةِ والأدبيّةِ والفكرِ الإنسانيّ الخلَّاقِ في تراقُصاتِ ألوانِها، فجاءَتْ لوحاتُها مُحتبكةً بالجمالِ والتَّجلّي والجُموحاتِ الفنّيّةِ!

ترسمُ الفنّانةُ التَّشكيليّةُ سلوى الصَّغير، كمَنْ ترقصُ فرحاً ألقاً شوقاً إلى الوئامِ والسَّلامِ مَعَ الذَّاتِ ومَعَ خصوبةِ الحياةِ ومَعَ جماليّةِ الكونِ، فهي أشبهُ ما تكونُ شاعرةً في فضائِها الفنّيّ وعالمةً وتشكيليّةً بارعةً في تجسيدِ آفاقِها الباسقةِ. تموجُ أعمالُها بهجةً وحبوراً وجمالاً وحُبّاً مُتناغِماً مَعَ دندناتِ حَنينِ الرُّوحِ إلى الذَّاكرةِ البعيدةِ عبرَ مُنعطفاتِ عُمرِها الّذي تبرعمَ مِنْ انبعاثاتِ أبهى ما لديها مِنْ رؤيةٍ بانوراميّةٍ حولَ آفاقِ التّجديدِ في فضاءِ الفنِّ والأدبِ والفكرِ الإنساني، فهي ترسمُ لوحةً تحملُ فكراً، موضوعاً، أملاً، جمالاً، حُبّاً، تشكيلاً لونيّاً باهراً. لا ترسمُ مِنْ أجلِ رسمِ لوحةٍ بقدرِ ما ترسمُ كمَنْ تكتبُ قصيدةً فكراً مقالاً بحثاً علميّاً بشغفٍ عميقٍ،

وهي في هذا السِّياقِ يمكنُ أن نقولَ عنها: إنّها فّنانةٌ تشكيليّةٌ معبّقةٌ بأريجِ العلمِ والأدبِ والموسيقى والجمالِ، ولهذا عندما نتمعَّنُ في أعمالِها، نشعرُ وكأنَّنا نُشاهِدُ كلَّ هذا البهاءِ الرَّهيفِ يتراقصُ في تجلّياتِها الخلّاقةِ!

ترسمُ الفنَّانةُ سلوى الصَّغير أعمالَها بترميزاتٍ مُبهرةٍ في معانيها، وتأويلاتٍ غيرِ مطروقةٍ فنّيّاً في الكثيرِ مِنْ مضامينِ أعمالِها، ولديها إسقاطاتٌ شاهقةٌ في مدلولاتِ تشكيلِ أعمالِها، فقَدْ رسمَتْ على سبيلِ المِثالِ لوحةً تحتَ عنوان: "بيضةُ الخلقِ"، وهي إشارةٌ إلى الزَّمنِ الَّذي يحكمُ الحياةَ منذُ بدءِ الخليقةِ على حدِّ رؤاها، والزَّمنُ فيهِ الخيرُ والشَّرُّ، والعينُ الّتي رسمتْها في منتصفِ اللَّوحةِ تُشيرُ إلى عمليّةِ الرَّصدِ والتَّرقُّبِ لما يدورُ حولَنا في محطَّاتِ الحياةِ، والدَّوائرُ الَّتي تُحيطُ ببيضةِ الخلقِ ربّما تُشيرُ إلى كينونةِ الكونِ أو الأرضِ، وترسمُ حولَ الدَّوائرِ مفاتيحَ البيانو، وهي إشارةٌ وتأكيدٌ منها على دورِ الموسيقى والكلمةِ في حياةِ الإنسانِ مُنذُ الأزلِ. ما هذا الخيالُ الشَّاهقُ الَّذي يموجُ في عالمِها الإبداعي وتربطُهُ ببراعةٍ في تخصُّصِها العلميّ عَبرَ تشكيلاتٍ لونيّةٍ جميلةٍ ومعبّرةٍ تعبيراً مُبهراً في ترميزاتِهِ المُتنوّعةِ؟! فقَدْ رسمَتْ لوحةً ترمزُ إلى الشُّعاعِ الكهرطيسي، وشكَّلَتْ فضاءَاتِها بتجريدٍ هندسيٍّ، واتَّبعَتْ أسلوباً – جديداً – في الرَّسمِ ضمنَ سياقاتٍ ترميزيّةٍ عديدةٍ، وأطلقَتْ عليهِ "الأعشاش الهندسيّة"، مُدهشٌ هذا الأسلوبُ في ترميزاتِهِ، فهي تطرحُ عَبرَ فضاءِ اللَّوحةِ تساؤلاتٍ عديدةً منها: هَلِ الكونُ هو فراغٌ، أمْ هو أعشاشٌ هندسيّةٌ، وترسمُ هذهِ الأعشاشَ بأشكالٍ هندسيّةٍ متنوّعةٍ، وترى أنَّ هذهِ الأشكالَ تزاوجُ وتُحاكي بعضُها بعضاً، وتعبّرُ الفنّانةُ عَنْ هذهِ الحالاتِ عبرَ تشكيلاتِها الهندسيّةِ، فلكلِّ شكلٍ هندسيٍّ رمزٌ مُعيّنٌ عبرَ لوحاتِها، مثلاً المثلّثُ بحسبِ تحليلِها يرمزُ إلى عالمِ الذُّكورةِ والعقلِ ويشكّلُ الجانبَ المادّي مِنَ الحياةِ، بينما الدّائرةُ ترمزُ إلى المرأةِ والخُصوبةِ والعَالمِ الرُّوحاني.

تمتلِكُ الفنّانةُ سلوى الصَّغير طاقاتٍ فكريَّةً وفنّيَّةً عميقةً، لهذا لجأتْ إلى فضاءِ الرَّسمِ والتَّشكيلِ الفنّي كي تعبّرَ عَنْ آفاقِ تطلُّعاتِها، وأوجدَتْ لها أفكاراً عَبرَ ترميزاتٍ مُتعدّدةٍ وأدخلتْها في عوالمِ لوحاتِها ضمنَ مشروعِها الفنّيِّ المتميّزِ، وتعتبرُ مشروعَها هذا في بداياتِهِ ولَمْ يكتملْ، وتشتغلُ عليهِ إلى أنْ تستكملَ ما يراودُها مِنْ أفكارٍ عَبرَ إسقاطاتِها لهذهِ الأفكارِ ضمنَ رموزٍ في فضاءِ اللَّوحةِ، وترى أنَّ مشروعَها في بداياتِهِ ولا يمكنُ التَّحدُّثُ عنْهُ مفصَّلاً لأنَّ تفاصيلَهُ غيرُ مُكتملةٍ في هذهِ المرحلةِ الَّتي وصلَتْ إليها، فمايزال لديها الكثيرُ مِمَّا تريدُ التَّعبيرَ عنهُ، لكنَّها مَعَ هذا فقَدْ قدَّمَتْ وجهاتِ نظرٍ عميقةً في الأعمالِ الفنّيَّةِ الَّتي قدَّمَتْها حتَّى وإنْ كانَتْ في بداياتِها، وأتوسَّمُ في آفاقِ رؤاها وتطلُّعاتِها، أنَّها في طريقِها إلى تقديمِ رؤيةٍ عميقةٍ، تربطُ فضاءَاتِ الفيزياءِ الجُسيميّةِ والعلومِ الفيزيائيّةِ الكونيّةِ عَبرَ ترميزاتٍ وتشكيلاتٍ فنّيةٍ جديدةٍ غيرِ مطروقةٍ فنّيّاً في هذا الأسلوبِ سابقاً، لأنَّ لوحاتِها الَّتي ترسمُها في هذا السِّياقِ تترجمُها فنّيّاً كأنَّها أفكارٌ مُترجمةٌ مِنْ خِلالِ ترميزاتِها المُتعدّدةِ، وتصبحُ أمامَنا كأنَّها مُعادلاتٌ رياضيّةٌ أو فيزيائيَّةٌ عندما تشرحُها لنا عَبرَ أعمالِها الفنّيَّةِ، وفي سياقِ حوارٍ مُطوَّلٍ أجريتُهُ معَها عبرَ "قناة السَّلام الدَّوليّة" ضمنَ برنامج "من أجلِ التَّنوير"، حولَ تجربتِها الفنّيَّةِ، تطرَّقْنا مُطوّلاً إلى عوالمِها في تخصُّصِها الجسيماتِ الفيزيائيّةِ، وقَدْ وجدْتُ أنّ تجربتَها العلميّةَ الَّتي ربطتْها في عوالمِ الرَّسمِ والتَّشكيلِ واللَّونِ، تجربةٌ متفرّدةٌ مِنْ نوعِها، ولها أبوابٌ مُشْرَعةٌ على فضاءَاتِ

التَّشكيلِ الفنّيّ، ربَّما تضيفُ إلى فضاءِ التَّشكيلِ ما يمكنُ أنْ يكونَ رؤيةً خلَّاقةً في عالمِ الإبداعِ الفنّيّ، فهي ترى أنَّ الفنَّ لا حدودَ لهُ في تجلّياتِهِ، وهو مفتوحٌ على عوالمِ الطَّبيعةِ، والحياةِ بطريقةٍ مُبهرةٍ.

ترسمُ الفنَّانةُ أعمالَها بعدّةِ أساليبَ فنّيّةٍ، وترى الفنَّ عالماً مفتوحاً على مَنارةِ الحياةِ بكلّ فضاءَاتِها، ويُمكنُ أنْ يرسُمَ كلُّ فنَّانٍ عوالمَهُ الفنّيّةَ بالطَّريقةِ الَّتي يُحبُّها ويراها مناسبةً لتطلُّعاتِهِ، فهي تستوحي الكثيرَ مِنِ انطباعاتِها مِنْ بهاءِ الطَّبيعةِ، وترسمُ فضاءَها التَّشكيليَّ ضمنَ توهُّجاتِها الانطباعيّةِ بمهاراتٍ عاليةٍ، فتأتي انطباعاتُها مُتناغمةً مَعَ آفاقِها الفنّيَّةِ الموشَّحةِ برهافةٍ مُنسابةٍ بوهْجِ التَّجلّي، وتجنحُ بكلّ شغفٍ نحوَ فضاءِ التَّجريدِ، وترسمُ لوحاتٍ تجريديَّةً متشابكةً مَعَ ترميزاتٍ متنوّعةٍ. تعشقُ الرَّسمَ، والألوانَ منذُ أنْ كانَتْ طفلةً، لكنّها لَمْ تمارسِ الرَّسمَ لأنَّ توجُّهاتِ والديها كانَ مُنصبّاً على الجوانبِ العلميّةِ والفكريّةِ، وراحَتْ تركّزُ على الموادِّ العلميّةِ كالرّياضياتِ والفيزياءِ، وتخصَّصَتْ في الفيزياءِ، لكنَّ هاجسَ الرَّسمِ ظلَّ قابعاً في عوالمِها الباطنيَّةِ واللَّاشعورِ، يتحيَّنُ الفُرصَ، إلى أنْ وجدَتْ نفسَها مُنجذبةً إلى فضاءِ الرَّسمِ في العامِ 2017 وبدأَتْ ترسمُ بشغفٍ كبيرٍ، وباستمراريّةٍ، ودخلَتْ في عوالمِ الرَّسمِ وهي مشبّعةٌ بالعلومِ الفيزيائيّةِ العميقةِ بكلّ ما في هذهِ العلومِ مِنْ بُعْدٍ كونيٍّ، خاصَّةً أنَّها تخصَّصَتْ في الفيزياءِ الجُسيميّةِ، فوضَعَتْ في عالمِها الفنّيّ دمْجَ تجلّياتِ الفيزياءِ مَعَ عوالمِ التَّشكيلِ، فوُلِدَتْ لوحاتُها تحملُ آفاقاً غيرَ مطروقةٍ في عالمِ الفنّ، وتمكّنَتْ مِنْ أنْ تُبدَعَ في فضاءَاتِ تشكيلاتِها الفنّيَّةِ رؤيةً جديدةً، وأسلوباً فيهِ الكثيرُ مِنَ المَضامينِ والمعاني والمَدلولاتِ، لأنَّها مزجَتْ رؤاها الفكريّةَ في فضاءِ العلومِ الفيزيائيّةِ والفكرِ التَّنويري المتعلّقِ بفضاءِ اللَّوحةِ فوُلِدَتْ لوحاتُها بطريقةٍ حداثويّةٍ، فيها الكثيرُ مِنَ التَّجديدِ في انبعاثِ الألوانِ، وفي تشكيلاتِها المرموزةِ بالكثيرِ مِنَ الأفكارِ.

بعدَ أنْ دخلَتِ الفنَّانةُ في عوالمِ الفنّ، راحَتْ تغوصُ في بواطنِها الشَّفيفةِ وتنبشُ ما كانَ يَموجُ في أعماقِها مِنْ تطلُّعاتٍ عَميقةٍ، وما كانَ مُخزَّناً في لاشعورِها على مدى السَّنواتِ الَّتي كانَتْ فيها مَحرومةً أو بعيدةً عَنْ عوالمِ الفنّ والرَّسمِ، وبدأَتْ ترسُمُ بشغفٍ مُنقطعِ النَّظيرِ، وكأنَّها في حالةِ عَطشٍ مَفتوحٍ لتروي غليلَها مِنْ هذا الفضاءِ السَّاحرِ، تعويضاً لِمَا فاتَها مِنْ سنواتِ الحرمانِ مِنْ هذهِ العوالمِ البهيجةِ، وتناغي ألوانَها بمُتعةٍ غامرةٍ، فقَدْ استحوذَ شغفُ الرَّسمِ على عوالمِها، تنتظرُ أيَّامَ العُطلِ بفارغِ الصَّبرِ، كي تفرشَ ألوانَها وعدَّةَ الرَّسمِ وتترجمَ رؤاها المجنّحةَ وهواجسَها المعشَّشةَ في آفاقِها الضُّمنيّةِ، برُغبةٍ عميقةٍ. رسمَتِ الطَّبيعةَ، ببعُدِها الجماليِّ المرهفِ، وعكسَتْ روحانيّتَها الشَّفيفةَ فوقَ وجنةِ اللَّوحاتِ، وكأنَّ لوحاتِها تتعانقُ فيها جموحاتُ الرُّوحِ مَعَ حبورِ المادّةِ. رسمَتِ الشَّجرةَ كرمزٍ مِنْ رموزِ الحياةِ، وإحدى خصوباتِ العطاءِ، رسمتْهَا بتشكيلٍ متراقصٍ بتوشيحاتٍ لونيّةٍ مُبهجةٍ للروحِ والقلبِ مَعاً، مُركّزةً على تماهيّاتِ وعناقِ الأشجارِ مَعَ بعضِها بَعضاً، وكأنَّها تريدُ أنْ تقولَ للمشاهدِ لِمَ لا يتعانَقُ الإنسانُ مَعَ الإنسانِ كَما تتعانقُ هذهِ الأشجارُ بكلّ اخضرارِها وعطائِها، فهي تُشبّهُ الأشجارَ بالإنسانِ، والإنسانَ بالأشجارِ، ولديها لوحةٌ بعنوانِ: "ثلاثيّةُ الطّبيعة"، انبعَثَتْ بإيقاعٍ منسابٍ مَعَ رِحابِ التَّجريدِ بكلّ تجلّياتِها العناقيّة، كأنَّها في حالةِ حنينٍ لهذهِ العوالمِ البهيجةِ، وفي ذروةِ عناقِها لإشراقةِ الشِّعرِ في أزهى اخضرارِ المُروجِ. يتخلَّلُ فضاءَ لوحاتِها الصَّفاءُ والعمقُ والغموضُ في مرافئِ

أجنحتِها، كما تموجُ الأحزانُ والآلامُ فوقَ خدودِ اللَّوحاتِ، مركّزةً على الألوانِ المضادَّةِ كي تخلقَ حالةَ الكونتراست/ التَّضادَّاتِ، فهذهِ التَّباينَاتُ في الألوانِ تُبرزُ مَعالمَ اللَّوحةِ وتعطيها عُمقاً وجَمالاً باهراً.

تميلُ الفنّانةُ إلى رسمِ أعمالِها بطريقةٍ مُتعانقةٍ مَعَ شفافيَّةِ المَاءِ، مَعَ شفافيّةِ الإنسانِ والطَّبيعةِ والسَّماءِ. ترسمُ هواجسَها وما يموجُ في خيالِها مِنْ هذهِ العوالمِ الشَّفيفةِ بتوهُّجاتٍ انطباعيّةٍ راقصةٍ، وترى الطَّبيعةَ حالةً أنثويَّةً، مِنْ حيثُ خصوبتُها وعطاؤها وبهاؤها، وتستمعُ برهافةٍ عاليةٍ إلى هَمهمات ووشوشاتِ الطَّبيعةِ والبحرِ وكأنّها – أي الطَّبيعةُ – تعزفُ موسيقاها بطريقةٍ مُبهرةٍ، فتخزّنُ الفنّانةُ هذهِ المشاهداتِ الّتي تناغي الطَّبيعةَ بكلِّ ما يحيطُ بها مِنْ جمالياتٍ موسيقيّةٍ متماهيةٍ مَعَ تغاريدِ الطُّيورِ وهسيسِ الكائناتِ الَّتي تَنسابُ أنغامُها بإيقاعٍ عذبٍ في رِحابِ الطَّبيعةِ البكرِ، المُكتنزةِ بالصَّفاءِ. وتصوغُ مِنْ هذهِ المشاهدِ البديعةِ لوحاتٍ تجريديَّةً، فهي ترى البحرَ مُتعانقاً مَعَ الطَّبيعةِ بكلِّ جمالِها الخلّابِ، وترى الطَّبيعةَ أنَّها ملاذُنا الآمنُ لتهدئةِ نفوسِنا القلقةِ مِنْ ضغوطاتِ الحياةِ، فتنتعشُ لِمَا تراهُ وتترجمُ بكلِّ شغفٍ هذهِ الحالاتِ فوقَ بياضِ اللَّوحاتِ.

تنبثقُ بعضُ لوحاتِها التَّجريديّةِ والانطباعيّةِ مِنْ عوالمِ دبي، مركّزةً على تناغُماتِ الألوانِ، يبرزُ الأصفرُ الذَّهبي مَعَ توشيحاتٍ لونيّةٍ متماهيةٍ مَعَ بياضٍ خفيفٍ وازرقاقٍ مُكتنفٍ بوهجِ الحنينِ وكأنّها تترجمُ فسحةً روحيّة تلوّنُ كينونتَنا، وكينونةَ المكانِ والحياةِ الَّتي تُحيطُ بنا بكلِّ تماهياتِها. تحملُ فوقَ أجنحتِها ثقافةً عاليةً مُشبَّعةً في الفنونِ البصريّةِ والعلومِ النَّفسيّةِ والاجتماعيّةِ وتناغُماتِ الموسيقى والمسرحِ وأبهى جمالياتِ الطَّبيعةِ وكلُّ هذهِ الفضاءَاتِ الفنّيّةِ والعلميّةِ تنعكسُ في تكوينِ اللَّوحاتِ ببراعةٍ طافحةٍ بتناغُماتِ الجَمالِ.

ترسمُ الفنَّانةُ رؤاها وكأنَّها تصوغُ فِكراً، رؤيةً، حالةً ما، تشكيلاً بَهيجاً، ففي لوحةِ "بيضة الخلق" نجدُ المحَّ بارزاً وهو الجهةُ المغزّيةُ للبيضةِ ويرمزُ هذا المحُّ إلى الشَّمسِ السَّاطعةِ فوقَ دُنيانا. وتتوقَّفُ عِندَ الإنسانِ بكلِّ تطلُّعاتِهِ، فتراهُ محكوماً بالزَّمنِ، كَما تركّزُ على إيقاعاتِ الطَّبيعةِ الرَّاقصةِ، متأثرةً بالفنَّانِ الرُّوسي كاندينسكي، وتنحو منحىً مُتعانقاً مَعَ البُعدِ الثَّالثِ بإيقاعٍ هارموني، ولا يفوتُها أنْ ترسمَ لوحاتٍ تُعبّرُ عَنِ احتراقِ حُقولِ القمحِ في ربوعِ الشَّمالِ السُّوريّ، وترى القمحَ هو عشتارُ وأورنينا وهو الحياةُ بعينِها، مركّزةً على حوارِ الألوانِ الباردةِ والحارَّةِ، ثمَّ تذهبُ عميقاً في تجسيدِ الأحلامِ المُرفرفةِ في عوالمِنا، ولديها أعمالٌ تجريديّةٌ مجنَّحةٌ نحوَ التَّعبيريّةِ، وتجريدٌ فيهِ نفحاتٌ انفعاليّةٌ، وتتوقَّفُ مليّاً عندَ فضاءِ البورتريه، فترسمُ البورتريه بعدّةِ أساليبَ ومضامينَ، وترى أنَّ المرأةَ السُّوريةَ قدّمَتِ الكثيرَ، ولَمْ تحصلْ على ما تستحقُّهُ مِنَ الحياةِ، لهذا نراها في لوحاتِها تدافعُ عَنْ حرّيَّةِ المرأةِ وكرامتِها، وتعكسُ بعضُ أعمالِها آثارَ الحروبِ الفجائعيّةِ، وتنتقدُ تجّارَ وصنّاعَ الحروبِ، وتجسّدُ عبرَ لوحاتِها الكثيرَ مِنَ المواضيعِ عبرَ تشكيلاتِها وأساليبِ أعمالِها، بما فيها البورتريه كحالةِ التأمُّلِ، والتَّفكيرِ، والأملِ، والسَّلامِ والوئامِ بينَ البشرِ. وترى أنَّ الفنَّ لهُ دورٌ كبيرٌ في ترويجِ ثقافةِ الجمالِ والعطاءِ والفكرِ الخلَّاقِ، شأنُهُ شأنُ بقيّةِ العلومِ بمختلفِ تخصُّصَاتِها!

ستوكهولم: 26. 5. 2024

الشَّاعرُ العراقي عادل حمدي الشَّرقي
مِنْ لونِ الحُلُمِ المفتوحِ على أصفى مرامي الحياةِ



عادل حمدي الشَّرقي

89

يكتبُ الشَّاعرُ العراقي عادل حمدي الشَّرقي قصائدَهُ كَمَنْ يرفرفُ في غاباتِ الحَنينِ، بَحثاً عَنِ الدُّررِ الثَّمينةِ في زمنِ الانكسارِ، سابحاً في فضاءَاتِ أحلامٍ فسيحةٍ، مُمْتدَّةٍ على مِساحاتِ جُموحِ الحرفِ بأزهى تحليقاتِهِ، مُستوحياً فضاءَاتِهِ مِنْ رَحيقِ الحياةِ بكلّ جماليّاتِها ومراراتِها وبهائِها وتنافراتِها المتنوّعةِ، فهوَ يمتلكُ لغةً عميقةً في بنائِهِ الفنّيّ، المُنسابِ في جُموحاتِ الخيالِ، فيتناثرُ حَرفُهُ برهافةٍ إشراقيَّةٍ أخّاذةٍ فوقَ أجنحةِ القصائدِ، مِثلَ هُبوبِ نسائمِ الصَّباحِ في يومٍ ربيعيٍّ خلّابٍ، مُكتسياً بأريجِ الطَّبيعةِ وأزهى ما فيها مِنْ بهاءٍ وتلاوينِ الانبهارِ. يكتبُ مواضيعَهُ بجرأةٍ عاليةٍ، وقراءَةٍ طافحةٍ بالأصالةِ، مُنطلقاً مِنْ ثقافةٍ عَميقةٍ، مُنتقداً مَساراتِ الاعوجاجِ المفخَّخةَ في مُنعرجاتِ رُبوعِ البلادِ، غيرَ مُبالٍ بِمَا يصادفُهُ مِنْ مُواجهاتٍ في عَرينِ البلادِ، يقولُ كلمتَهُ مُحلّقاً في عوالِمِ صُورِهِ كأنَّهُ يَرسُمُ أغصانَ القصيدةِ بتَّدفُّقاتِ بوحِ القلبِ المنبثقِ مِنْ أشهى الأحلامِ، عابراً عَتْمَ اللَّيلِ على أنغامِ طموحاتِهِ الشَّاهقةِ، لا يهابُ لومةَ لائمٍ، فهو ينطلقُ مِنْ حيثياتٍ مُرهفةٍ في انبعاثِ نصّهِ الرَّصينِ، مُركّزاً على جموحاتِهِ المزنَّرةِ ببراعِمِ التَّغييرِ والحداثةِ والفكرِ الخلّاقِ. لِمَ لا؟ إنَّهُ ابنُ حضارةٍ عريقةٍ، تضربُ جذورُها في أعماقِ التَّاريخِ على مدى قرونٍ مِنَ الزَّمانِ.

يُحلّقُ الشَّاعرُ عَالياً في مِحرابِ خَيالٍ مُضرَّجٍ بالخصوبةِ وأزهى يراعِ الاخضرارِ، وهو في ذُروةِ التَّجلّي. يصوغُ عوالِمَهُ مِنْ لهيبِ الحياةِ الَّذي ينتشرُ في مفاصلِ البلادِ، ويُسقِطُ على هذهِ العوالمِ ترميزاتِهِ بكلّ ما فيها مِنْ عُمقٍ ومَدلولاتٍ، تومِضُ رؤاهُ إشراقاً شاهقاً فوقَ دُروبِ الحياةِ، مُقتنِصاً مِمَّا تراءَى لَهُ في مَحطّاتِ الحياةِ أزهى ما في آفاقِ القصيدةِ مِنْ صورٍ باذخةِ الجمالِ، ويجمحُ عَميقاً في خيالِهِ السَّيالِ، مُلملِماً ما ينبعثُ مِنْ فضاءَاتِهِ مِنْ تجلّياتٍ فسيحةٍ في آفاقِ عُمرانِهِ الفنّي، ويُموسِقُ إشراقاتِهِ على إيقاعٍ رهيفٍ على مَدى انبعاثِ وميضِ الأحلامِ، كأنَّهُ قائدُ أوركسترا في بناءِ مرامي رؤاهُ الشَّفيفةِ، مُترجماً مشاعرَهُ الفيَّاضةَ بكلّ

شَغفٍ فوقَ حنايا القصائدِ. يكتبُ القصيدةَ كأنَّهُ في مَعبدِ الكلمةِ المنبثقةِ مِنْ شواطئِ القلبِ وحنايا الرُّوحِ.

عادل حمدي الشَّرقي شاعرٌ مِنْ لونِ الأرضِ المعتَّقةِ بالخصوبةِ، مِنْ لونِ اللَّيلِ الحنونِ المبلَّلِ بأسرارِ بهجةِ الحرفِ، مِنْ لونِ الحُلُمِ المفتوحِ على أصفى مرامي الحياةِ، مُحتبكٌ بنضارةِ النَّدى ورهافةِ الغَمامِ، يَدلُقُ مشاعرَهُ فوقَ خُدودِ الأرضِ، وهو بأشدِّ الشَّوقِ إلى رِحابِ الطُّفولةِ، ينظرُ إلى كينونةِ الكَونِ، فيرى تصدُّعاتِ الحياةِ تزدادُ انشراخاً في دُنيا الشَّرقِ، فيُرفرفُ حَرفُهُ عالياً كي يكبحَ شراهاتِ الانشطارِ المتفشّيةَ فوقَ وِهادِ الحياةِ، وهو في حالةِ تأهُّبٍ دائمٍ لعناقِ رفرفاتِ أجنحةِ الشِّعرِ، بينَهُ وبينَ القصيدةِ حالةُ وئامٍ مفتوحةٌ على مرامي الدُّنيا، وتموجُ في آفاقِهِ صداقةٌ أزليّةٌ في انبعاثِ أشهى ابتهالاتِ الحرفِ.

يُناغي الشَّاعرُ في أوجِ تجلّياتِهِ أزاهيرَ الرُّوحِ العَطشى لزخَّاتِ المطرِ، لا يرتوي مِنْ مَذاقِ بوحِ الحرفِ، يزدادُ خيالُهُ جُموحاً، تراهُ دائماً في حَالةِ شَوقٍ عَميقٍ إلى هِلالاتِ بشائرِ الشِّعرِ، وفي حَالةِ عَطشٍ لا يُقاومُ إلى هَدهداتِ مَنارةِ الحَرفِ، كَأنَّهُ في حَالةِ تَعبُّدٍ في مِحرابِ القَصيدةِ. يُجسِّدُ حَفاوةَ الجَمالِ والرُّؤى السَّديدةِ فوقَ نصاعةِ العمرِ، واقفاً في وجهِ الفَسادِ والفاسدينَ، راصداً قَلمَهُ لأصفى مرامي التَّنويرِ ومَناحي دُروبِ التَّطويرِ، كي تصبحَ الحياةُ أكثرَ إشراقاً ورُقيَّاً لِمَا هي عليهِ مِنْ تناحراتٍ موجعةٍ في ربوعِ البِلادِ، مُحاولاً بكلّ ما لديهِ مِنْ عنفوانٍ أنْ ينفضَ الغبارَ المتناثرَ فوقَ صُدغِ البلادِ. يصوغُ صورَهُ الشّامخةَ بحداثويّةٍ عَاليةٍ فوقَ جدارِ الزَّمنِ، تسطعُ آفاقُ رؤاهُ بأزهى خيوطِ التَّأمُّلِ والتَّجلّي، لا يَحيدُ عَنْ قَولِ الحَقيقةِ، ولا عَنْ صفاءِ انبلاجِ الحرفِ، بحثاً عَنْ أرقى حالاتِ الانبعاثِ!

يغوصُ الشَّاعرُ عميقاً في مُناجاةِ الذَّاتِ، ينبشُ ما يموجُ في أعماقِ بواطنِهِ، وما يرفرفُ فوقَ أجنحةِ الوجودِ، يمتلكُ رؤيةً طافحةً بأوجاعٍ مُتناثرةٍ في وقائعِ الحياةِ المخضّبةِ بالصّراعاتِ. يضعُ مِبْضَعَ حَرفِهِ بحذرٍ شديدٍ فوقَ ثآليلِ هذا الزَّمانِ، ويستأصلُها مِنْ جُذورِها، ويَمحَقُها مَحقاً تامَّاً، مُحلّلاً تداخلاتِ الأزمانِ بكلّ ما فيها مِنْ شوشراتٍ مَريرةٍ، ومُفنّداً تصدُّعاتِ الإنسانِ مَعَ أخيهِ الإنسانِ. يتمتمُ مَعَ نفسِهِ، يرى نفسَهُ غريباً عمّا يُحيطُ بِهِ، مُتسائِلاً: كيفَ يطحنُ البشرُ البشرَ بكلّ هذهِ الوحشيَّةِ والافتراسِ؟! إلى متى سيغوصُ الإنسانُ في هذهِ المتاهاتِ المجنونةِ؟ يكتبُ بحساسيّةٍ رهيفةٍ ما يراهُ، ويُسقِطُ رؤاهُ عبرَ ترميزاتٍ مُتعدّدةٍ في فضاءَاتِ بوحِهِ العَميقِ، كاشفاً القُبْحَ المُتفشّي فيما يُحيطُهُ ويكتنفُهُ مِنْ آهاتٍ، كابحاً الأنينَ المُستشري في شهيقِ الأجيالِ. يحملُ بوحُهُ في بعضِ مساراتِهِ، وهجاً سرديَّاً في حنايا الانبعاثِ، وتدفُّقاتٍ على إيقاعِ وصفٍ قصصيٍّ سرديٍّ خلّاقٍ. يمتلكُ طاقةً تفاعليّةً مَعَ أوجاعٍ ما يتراءَى لَهُ، يرسمُ تجلّياتِهِ عبرَ فكرٍ سامقٍ، مُركّزاً على الصَّفاءِ والبهاءِ والسُّمُوِّ، والدِّفاعِ عَنِ الحقّ وواقعِ الحالِ بكلّ ما فيهِ مِنْ مراراتٍ، يكتُبُ شِعراً مُشبَّعاً بالتَّساؤلاتِ العميقةِ، مُدافعاً عَنْ المرأةِ والإنسانِ، ومُحلّقاً مِثلَ عصافيرِ الخميلةِ في رحابِ الأعالي، لغةٌ معبَّقةٌ بالشَّوقِ إلى مروجِ العِناقِ، وإلى جمالِ الحياةِ. ترقصُ فضاءَاتُ القصائدِ بوحاً شهيَّاً، مِنْ نَكهةِ الياسمينِ، جُموحٌ في لبِّ الحضارةِ العراقيّةِ، قصائدُهُ مفتوحةٌ على شهوةِ المطرِ، ومُندلقةٌ مِنْ حِبرِ الرُّوحِ، وكأنَّ الشَّاعرَ في حالةِ

عِشقٍ مَعَ شَهقةِ الشَّمسِ، فجاءَتْ فصاءَاتُهُ موشومةً بأصفى ما في زُرقةِ السَّماءِ، تشكيلٌ مُبهرٌ في مآقي الشِّعرِ، مُترجماً برهافةٍ جامحةٍ أصفى كنوزِ الجمالِ، شاعرٌ مُتناغمٌ وموشَّحٌ مَعَ رهافةِ الغَمامِ!

يمتلكُ "الشَّرقي" خصوبةً وارفةً في وهجِ الحداثةِ المُستنيرةِ، تشرقُ رؤاهُ في سَماءِ الحرفِ إشراقاً خلَّاقاً، كأنَّهُ ينسجُ شعرَهُ مِنْ رَحيقِ السَّنابلِ، وتنسابُ على إيقاعِ مَذاقِ الحُلمِ البعيدِ، تَتناثرُ صورُهُ معبّقةً بألقِ الشِّعرِ المخضوضرِ ببهاءِ الحياةِ. آفاقُهُ مكثَّفةٌ برهافةٍ مُبهرةٍ في يراعِ الانبعاثِ، يكتبُ بعيونٍ مفتوحةٍ على مِساحاتِ أرضٍ مطرّزةٍ بأسئلةٍ لا تُحصى. شاعرٌ معرَّشٌ في أصالةِ صَلصالِ العراقِ، بكلِّ مَا يحمُلُ العِراقُ مِنْ شُموخٍ حضاريٍّ. يمتازُ هذا الشَّاعرُ المتفرّدُ في رؤاهِ، بانسيابِ حرفٍ مُكتنزٍ بطاقةٍ رهيفةٍ في وهجِ الانبعاثِ في فضاءِ التَّجلّي بتشكيلاتٍ فنّيّةٍ باذخةٍ، متوغّلاً في أعماقِ الاعوجاجاتِ، كاشفاً عوراتِ العلاقاتِ المَمْجوجةِ، مواجهاً الصِّراعاتِ النّاشبةَ فوقَ كينونةِ الأوطانِ، كي يستأصلَ الأورامَ المتفشّيةَ فوقَ جسدِ الأوطانِ. تتضمّنُ قصائدُهُ بُعداً نقديّاً لِما يراهُ سائداً في الكثيرِ مِنْ مَناحي الحياةِ، فيطرحُ رؤاهُ بكلِّ جرأةٍ، عمَّا يموجُ فوقَ مُروجِ الحياةِ، مُتسائلاً إلى متى سيسيرُ صراعُ الإنسانِ مَعَ أخيهِ الإنسانِ، مُتأجّجاً في هديرِ الاشتعالِ؟!

يهدهدُ الزّمنَ بكلِّ ما في قصائدِهِ مِنْ معانٍ ومَدلولاتٍ، يلتقطُ ماهيةَ الزَّمنِ الهاربِ نحوَ تخومِ وهادِ الحياةِ، ويقدِّمُ عبرَ انبعاثِ حرفِهِ، مقاربةً حولَ رحلةِ عمرِ الإنسانِ فوقَ طينِ الحياةِ بكلِّ تصارعاتِهِ وتشظّياتِ ما يراهُ متفشّياً فوقَ مآقي الأوطانِ، غائصاً في بواطنِ الوجودِ، لا يهدأُ قلبُهُ مِمَّا يحيطُ بِهِ مِنْ أسىً، يبدِّدُ الأنينَ المُنبعثَ مِنْ وجنةِ الأرضِ، يحملُ الشَّاعرُ بينَ فضاءَاتِ قصائدِهِ لغةً فلسفيَّةً، تحليليّةً، انتقاديَّةً حتَّى النُّخاعِ، عابراً في آفاقِ الخيالِ، كأنّهُ يناجي ذاتَهُ الهاربةَ مِنْ لهيبِ النّارِ. تتراقصُ القصيدةُ بينَ يديهِ على أنغامِ الرُّوحِ الهائمةِ على أصفى دندناتِ الحنينِ، لِما يحملُ في فضاءاتِهِ مِنْ تجلّياتٍ موسومةٍ بأحلامٍ متلاطمةٍ كأمواجِ العِشقِ الهائجةِ، فيتماهى شموخُ الحرفِ مَعَ تهاطلاتِ زخّاتِ المطرِ، فتولدُ القصيدةُ بكلِّ رهافةِ إشراقاتِها مِنْ رحمِ صفاءِ السَّماءِ المتعانقةِ مَعَ بزوغِ شهقاتِ الخيالِ!

يكتبُ الشَّاعرُ عادل الشَّرقي القصيدةَ كمَنْ يرقصُ على جمرِ النّارِ، ولا يشعرُ بلهيبِ الاشتعالِ، لأنّهُ تجاوزَ أوجاعَ الاحتراقِ. تندلقُ قصائدُهُ مِنْ شهوةِ البحرِ وأبهى ما في جموحِ الخيالِ، وكأنّهُ في حالةِ حُلمٍ مفتوحٍ على جنائنِ ابتهالِ الرُّوحِ. تتوهَّجُ مناجاتُهُ بآفاقٍ نقديَّةٍ مكثَّفةٍ بتساؤلاتٍ مجنّحةٍ نحوَ أوجاعِ العمرِ المترصرصةِ فوقَ قُبّةِ الحياةِ، غائصاً في أعماقِ الذَّاتِ، مُستبطِناً عوالمَهُ المثخّنةَ بالجراحِ، لعلَّهُ يُبلسمُ أوجاعَهُ الخفيّةَ، ويخفّفُ مِنْ ضراوةِ الأنينِ المُهيمنِ على مدارجِ العمرِ عبرَ رحلةِ حياتِهِ الفسيحةِ في انبعاثِ شهقةِ الحرفِ. تنبلجُ توهُّجاتُ شعرِهِ مِنْ رحابِ شهوةِ الرُّوحِ، فتأتي مطرّزةً بأنقى التَّجلّياتِ كأنَّها منبعثةٌ مِنْ أصفى ينابيعِ الحنينِ. يقفُ الشّاعرُ في مَهبِّ العواصفِ بكلِّ ما تحملُهُ مِنْ لهيبِ الأنينِ، مواجهاً غطرساتِ هذا الزَّمانِ بِما لديهِ مِنْ رؤيةٍ صافةٍ صفاءَ الماءِ الزُّلالِ، كابحاً كلَّ ما يصادفُهُ مِنْ قباحاتٍ وأوجاعٍ، مِنْ خلالِ بلسمِ الرُّوحِ المُنبعثِ مِنْ ظِلالِ القلبِ المعرَّشِ في مآقي الشَّمسِ، وهي تشرقُ فوقَ حنايا القلوبِ العَطشى إلى

أجنحةِ الوئامِ المُرفرفةِ في الأعالي، في زمنٍ كالحٍ في أقبيةٍ مجصَّصةٍ بالاهتراءِ، وآفاقٍ مفخّخةٍ بجنونِ الصَّولجانِ. شاعرُ مشحونٌ بتساؤلاتٍ مُضمّخةٍ بالعمقِ والتّأمُّلِ، فتولدُ عوالمُهُ متناغمةً بترميزاتٍ موائمةٍ مَعَ رؤاهُ المصحوبةِ بتطلُّعاتٍ معاصرةٍ لأبهى آفاقِ التَّنويرِ!

يكتبُ الشَّاعرُ بماءِ الوردِ وشهوةِ المطرِ المُتهاطلِ منْ مآقي السَّماءِ، مواجِهاً ذاتَهُ المرتعشةَ في وجهِ الانكساراتِ، ولا يأبهُ بألسنةِ النّيرانِ المتربّصةِ بِهِ مِنْ أغلبِ الجهاتِ. الكتابةُ عندَهُ حلمٌ مفتوحٌ على أجنحةِ الأبديّةِ، يتلمَّسُ شراهةَ هذا الزَّمانِ لِما لديهِ من حساسيَّةٍ مُرهفةٍ في قراءَةِ تشظّياتِ هُطولِ الأنينِ، فتولدُ القصيدةُ مِنْ تراكماتِ لظى الاشتعالِ، راغباً أنْ يطمسَ أجيجَ النّيرانِ المستشريةِ في منعرجاتِ دُروبِ العُمرِ، بَحثاً عَنْ ظِلالِ الحنينِ، فتزهرُ فضاءَاتُهُ مشحونةً بلغةٍ مُبهرةٍ برفرفاتِ الإشراقِ، كأنَّهُ في حَالةِ وجْدٍ. انزياحاتٌ شعريّةٌ مكتنزةٌ بأشهى جُموحاتِ الخيالِ، رحلةُ انبعاثٍ تموجُ في أعماقِهِ كأنَّهُ يسبحُ في فضاءَاتِ حُلُمٍ منذَّى بماءِ الحياةِ. يكتبُ كمَنْ يترجمُ بوحاً مفتوحاً على مَنارةِ الحنينِ، يَمتلكُ لغةً متفرّدةً ومنبعثةً مِنْ أشهى فضاءَاتِ التَّجلّي، يموجُ عالمُهُ الشّعري بمذاقِ البوحِ الحُلُمي المعبَّقِ بمذاقِ العسلِ البرّي، كأنَّهُ يتدلّى بكلّ تألُّقاتِهِ مِنْ منارةِ تلألؤاتِ النُّجومِ، مُناجياً بواطنَ الرُّوحِ الشَّفيفةِ وهي تسمو نحوَ منارةِ الأعالي على دندناتِ الصَّفاءِ. تغصُّ رؤاهُ بذاكرةٍ موشَّحةٍ بترابٍ مُخصَّبٍ بأحزانٍ مُجذَّرةٍ بلهيبِ السّنينِ العِجافِ، عابراً في رِحابِ التَّاريخِ الإنساني، بلغةٍ مَسروجةٍ بشاعريّةٍ شاهقةٍ، كأنَّهُ يحلّقُ في فضاءِ أحلامٍ مُتطايرةٍ مِنْ شهوةِ السَّماءِ في ذُروةِ صفائِها وانبهارِها، مُجسّداً قصائدَهُ بكلّ جموحاتِها فوقَ خصوبةِ الحياةِ!

تعانقُ عوالمُ الشَّاعر المبدع عادل حمدي الشَّرقي فضاءَ القصيدةِ عِناقاً طافحاً بأصفى وأرقى مرامي الإبداعِ، بلغةٍ شاعريَّةٍ مكثّفةٍ بالصُّورِ اللَّمّاحةِ، المكتنزةِ بالرُّموزِ والدَّلالاتِ العميقةِ. يبني أبراجَهُ الشِّعريّةَ الشَّاهقةَ مِنْ سموِّ السَّماءِ ومِنْ فضاءَاتِ خيالٍ مُصفًّى مِنْ شوائبِ هذا الزّمانِ، ويستوحي القصيدةَ بكلّ تماهياتِها مِنْ شراهاتِ لهيبِ الجمرِ، مُسبغاً عليها هبوبَ غمائمِ الرُّوحِ، ويصوغُها ببراعةٍ مِنْ نضارةِ النّدى، فتولدُ تطلُّعاتُهُ بلغةٍ شفيفةٍ رَغمَ انشراخاتِ المشاهدِ الَّتي يلتقطُها مِنَ الكثيرِ مِنْ أوجاعِ وقائعِ الحياةِ، لِما لديهِ مِنْ رؤيةٍ بانوراميَّةٍ رحبةٍ وخيالٍ مجنَّحٍ نحوَ أرقى آفاقِ الفكرِ الخلَّاقِ. يتضمَّنُ عالمُهُ الشِّعريُّ تساؤلاتٍ عميقةً ومحفوفةً بصورٍ شعريَّةٍ مكثَّفةٍ بحبورِ الجمالِ، وشاهقةً في بنائِها الفنِّيّ الأصيلِ. ويمتلكُ طاقةً بديعةً في خلقِ ترابُطٍ مُنسابٍ بينَ تدفُّقاتِ أبياتِ القصائدِ عَبرَ خيطٍ شِعريّ مُتعانقٍ مَعَ فضاءَاتِ انبعاثِ البوحِ. يكتبُ فضاءَهُ الشِّعريَّ على إيقاعِ خيالٍ مُعرَّشٍ بجموحاتِ تساؤلاتٍ مفتوحةٍ على مَتاهاتِ جنائنِ الأرضِ، وهِلالاتِ السَّماءِ. لا يرتوي الشَّاعرُ مِنْ ينابيعِ بوحِ القصيدةِ، فهو في حالةِ عَطشٍ دائمٍ لمناغاةٍ مُهجةِ الحرفِ في أصفى حالاتِ التَّجلّي. يحلّقُ عالياً على أنغامِ هدهداتِ خفقةِ القلبِ وأجنحةِ الرُّوحِ المرفرفةِ فوقَ خميلةِ الحياةِ، يموجُ شوقاً إلى هدوءِ النَّفسِ بعيداً عَنْ ضراوةِ الحياةِ، كي ينسجَ حرفاً منساباً مثلَ نسيمِ الصَّباحِ في أوجِ انبلاجِ حبورِ الصُّورِ، حاملاً في أعماقِ تطلُّعاتِهِ آفاقاً مشحونةً برؤيةٍ فلسفيَّةٍ شاعريَّةٍ طافحةٍ بالسُّموِّ وفضاءَاتِ التَّنويرِ!

ستوكهولم: أيّار (مايو) 2024

القاص والرّوائي نعيم إيليّا مهمازُ ألقٍ
نحوَ أصفى مرامي الإبداع



نعيم إيليّا

90

يمتلكُ الأديبُ السُّوري نعيم إيليّا لغةَ أديبٍ ماهرٍ وباحثٍ عميقٍ في فضاءِ اللُّغةِ والفكرِ والأدبِ والرُّؤيةِ النَّقديّةِ العميقةِ في انبعاثِ إشراقةِ الحرفِ، ولَهُ باعٌ كبيرٌ في واحاتِ السِّجالِ والتّحليلِ والتَّفنيدِ في الآفاقِ الفكريّةِ والفلسفيّةِ، مَعَ أنَّهُ آتٍ مِنْ فضاءِ اللُّغةِ العَربيّةِ وآدابِها، لكنَّهُ غاصَ عَميقاً في أُمَّهاتِ الكتبِ، خاصَّةً الفكرَ الاشتراكيَّ والدِّيمقراطيَّ والتَّنويريَّ، وراحَ يكتبُ مقالاتِهِ ورؤاهُ وأفكارَهُ، وينشرُها بكلِّ هدوءٍ على مدى سنواتٍ عديدةٍ في موقعِ الحوارِ المتمدِّنِ، وهو مِنَ الشَّخصيَّاتِ الَّذينَ لا يحبُّونَ الظُّهورَ على الشَّاشاتِ الصَّغيرةِ والمِنصّاتِ الحواريّةِ واللِّقاءَاتِ بمُختلفِ أنواعِها، ولا يحبُّ الأضواءَ نهائيَّاً. يكتبُ مقالَهُ ورؤيتَهُ وينشرُ كتاباتِهِ بعمقٍ وتأمُّلٍ، بعيداً عَنِ الأضواءِ المُبهرةِ والخافتةِ أيضاً، ولا تستهويهِ نهائيَّاً وسائلُ التَّواصلِ الاجتماعي عبرَ الشَّبكةِ العنكبوتيّةِ، بالطَّريقةِ الَّتي نراها عندَ أغلبِ الكتَّابِ والكاتباتِ، فحتَّى الآنَ ليسَ لديهِ "فيس بوك" ولا "انستغرام" ولا "تويتّر" ولا يدخلُ نهائيَّاً في فضاءِ منصَّاتِ التَّواصلِ عبرَ برامجِ الأون لاين، ودعوتُهُ مراراً إلى برنامجي مِنْ أجلِ التَّنويرِ، كي أجريَ معَهُ لقاءً حولَ تجربتِهِ الأدبيّةِ والفكريّةِ في عالمِ الكتابةِ، فكانَ يضحكُ بعفويّتِهِ المعهودةِ، قائلاً أنا لا أحبُّ الظُّهورَ والحوارَ والتَّحدُّثَ في هذهِ المنصَّاتِ والتّلفزيوناتِ نهائيَّاً، كلُّ نشاطي محصورٌ في كتابةِ قصصي وفصولِ رواياتي ومقالاتي وسجالاتي ووجهاتِ نظري ونشرِها في موقعِ الحوارِ المتمدِّنِ عبرَ موقعي الخاص، وهناكَ الكثيرونَ مِمَّنْ يعرفونَهُ عَنْ قربٍ منذُ أيّامِ مرحلةِ التَّدريسِ حيثُ اشتغلَ مُدرِّساً لمادَّةِ اللُّغةِ العربيّةِ في ثانويّةِ الطَّليعةِ العربيّةِ للبناتِ، ولا يعرفونَ عنهُ أنَّهُ قاصٌّ وروائيٌّ وباحثٌ في رحابِ الفكرِ والفلسفةِ والتَّحليلِ في الكثيرِ مِنْ قضايا الحياةِ، ولأنّني أتابعُهُ عبرَ صفحتِهِ الخاصَّةِ في موقعِ الحوارِ المتمدِّن، فقَدْ أدهشتْني كتاباتُهُ وسجالاتُهُ وتحاليلُهُ ومقالاتُه، وأعجبَتْني كتاباتُهُ الأدبيّةُ مِنْ قصَّةٍ

وروايةٍ ونصوصٍ أدبيّةٍ نقديّةٍ فكريّةٍ متنوّعةٍ. فتوقّفْتُ مليًّاً عندَ إبداعِهِ الرَّصينِ، ويُعدُّ مِنَ الكتّابِ المُهمّينَ خاصةً في مجالِ الفكرِ التَّنويري والحداثوي، ويخوضُ في نقاشاتٍ وسِجالاتٍ مَعَ كبارِ المفكّرينَ ببراعةٍ عاليةٍ! يمتلكُ الأديب والباحث نعيم إيليّا رؤيةً عميقةً في فضاءِ الأدبِ والفكرِ والفلسفةِ، لِمَا لديهِ مِنْ اطلاعٍ كبيرٍ على الأدبِ العربيّ والكثيرِ مِنَ الأدبِ الغربي والعالمي، وقد غاصَ عميقاً في رِحابِ الفكرِ الفلسفي والإنساني، ولديهِ العديدُ مِنَ المقالاتِ والكتاباتِ في الكثيرِ مِنْ قضايا الحياةِ. وقَدْ كتبَ رؤاهُ الفكريّةَ عَبرَ عدّةِ مقالاتٍ عَنْ آفاقِ التَّغييرِ، وعبَّرَ عَنْ تطلُّعاتِهِ فيما يتعلَّقُ بفضاءِ التَّنويرِ، وراحَ يُحاججُ ويفنّدُ رؤى الكتّابِ والبحاثةِ وبعضَ الفلاسفةِ حولَ الكثيرِ مِنْ القضايا والمواضيعِ الفلسفيّةِ، وقَدْ كتبَ مَقالاً بعنوانِ: "مسألةُ الضَّرورةِ والحرّيّةِ، بما هي مسألة وجوديّة"، وأدلى برأيِهِ في هذهِ القضيّةِ الشَّائكةِ، ومِنْ خلالِ قراءَتي لمقالاتِهِ وتفنيداتِهِ وتحاليلِهِ، وجدْتُ أنَّهُ قَدْ قطعَ شوطاً عميقاً في رحابِ الفكرِ الفلسفي، حيثُ كتبَ تحليلاتٍ عميقةً في الكثيرِ مِنْ مقالاتِهِ منها: "ما بينَ نظريّةِ الوجودِ لأفلوطين ونظريّةِ الانفجارِ العظيمِ"، و"حَدُّ المادَّةِ وأصلُها"، و "مأزقُ العلمانيّةِ"، و"الوعي والحياةُ بينَ هيغل وماركس"، وعشراتُ المَقالاتِ حولَ مسائلَ فلسفيّةٍ وفكريّةٍ متنوّعةٍ.

ينظرُ الكاتبُ والباحثُ نعيم إيليّا مِنْ منظورٍ واسعٍ إلى ما يجري في ربوعِ سوريا وفي الشَّرقِ والعالمِ العربيّ، وقَدْ كتبَ مقالاً موسّعاً حولَ تفاقماتِ الوضعِ في سوريا بعنوان: "ما العلّةُ الحقيقيّةُ في انهيارِ سوريا"، واضعاً يدهُ على الجراحِ العميقةِ الّتي آلمَتِ الوضعَ في سوريا وخلخلتْ أجنحةَ البلادِ فوقَ رؤوسِ العِبادِ، وفنّدَ وحلَّلَ الأوضاعَ المتشابكةَ تحليلاً عميقاً، متطرّقاً ومحلّلاً الأوضاعَ الإقليميّةَ والدَّوليّةَ، الّتي أوصلَتْ سوريا إلى هذهِ الحالةِ المخلخلةِ من الصّراعاتِ المدمّرةِ، ولهُ اهتمامٌ عميقٌ في الكثيرِ مِنَ القضايا والمسائلِ الدّينيّةِ الشَّائكةِ، وقَدْ كتبَ مقالاتٍ عديدةً في هذا المجالِ منها: "معضلةُ الرُّوح" و" في رحابِ المطلقِ"، و"خالق الموجودات"، و" الالحاد والتَّطرُّف"، ولَمْ ينطلقْ مِنْ وجهةِ نظرٍ دينيّةٍ إيمانيّةٍ بقدرِ ما كانَ يكتبُ مِنْ وجهةِ نظرٍ تحليليّةٍ، وتفنيديَّةٍ، ونقديّةٍ، ويقدّمُ عبرَ مقالاتِهِ وجهاتِ نظرِهِ الخاصّةِ. كما لديهِ اهتمامٌ في التَّرجمةِ فيما إذا استهواهُ مقالٌ ما، وقَدْ ترجمَ عَنِ الألمانيّةِ: "حديثُ الرُّوحِ والمادّةِ": حيثُ التقَتْ مجلَّةُ (عالم المعرفة) الألمانيّة بالبروفِسّور دُكتور هانز – بيتر دِوْرْ، فكانَ هذا الحديثُ الشَّيقُ عِنِ الرُّوحِ والمادَةِ، الّذي ترجمَهُ إلى العربيّةِ!

***

تسطعُ معالم ديريك أمامي ببهجةٍ غامرةٍ، كلّما تراقصَتْ قهقهات نعيم إيليَّا في واحاتِ الذَّاكرةِ، يقفُ الأستاذ نعيم إيليَّا، مدرّسُ مادّةِ اللُّغةِ العربيّةِ في ثانوياتِ ديريكَ، شامخاً أمامَ خصومِهِ الشّطرنجيّينَ، فيجرجرُهم واحداً واحداً إلى خاناتِ اليكّ، ليتربّعَ تاجاً مِنْ بهاءٍ فوقَ سماءِ دمشقَ، أقدمِ عواصمِ الكونِ!

نعيم إيليا طموحٌ مجبولٌ مِنْ حفاوةِ النَّسيمِ العابرِ فوقَ خُدودِ البِحارِ، أحبَّ المواجهةَ في الشَّطرنجِ عَنْ كِبَرٍ نوعاً ما، فاشترى كلَّ المراجعِ المتعلّقة بأبطالِ الشّطرنجِ في العالمِ، وتعلّمَ مِنْ خططِ الكبارِ، كيفَ ينافسُ الكبارَ، وخلالَ شهورٍ فازَ ببطولةِ الحسكةِ محافظةِ الشَّمالِ السُّوريّ، المعروفةِ في حينِها بالإهمالِ الشَّديدِ، فترشَّحَ للمنافسةِ على بطولةِ الجُمهوريّةِ، وحقَّقَ ترتيباً جيّداً في مشاركتِهِ الأولى، وفي إحدى دردشاتي معَهُ

تمتمَ بثقةٍ كبيرةٍ، هذهِ الدَّورةُ لا بدَّ أنْ أحصلَ على بطولةِ الجُمهوريّةِ، لأنَّ الأبطالَ الَّذين أمامي ليسوا أبطالاً بالمفهومِ العميقِ لكلمةِ أبطالٍ على الصَّعيدِ المحلّي والعالمي!

بعد أيَّامٍ قالَ لي قريباً سأتوجَّهُ إلى دمشقَ للمنازلةِ على البطولةِ، سألتُهُ عَنْ كيفيّةِ استعداداتِهِ، أجابَني، المنافسونَ أقلُّ مِنْ أنْ أستعدَّ كثيراً لمنافستِهم، لهذا سأزيحُ المنافسينَ مِنْ طريقي دونَ استعداداتٍ كبيرةٍ! هَمسْتُ في سرّي، هَلْ صديقي يسردُ لي خيوطَ قصّةٍ ينوي كتابتَها؟ أخذْتُ كلامَهُ على محملِ الجَدِّ والمُزاحِ! بَعدَ أيَّامٍ، فيما كنْتُ أسمعُ أخبارَ السَّاعةِ الثّامنةِ والنِّصفِ في الثَّمانينياتِ، وإذْ بالمذيع عدنان بوظو يُدلي بخبرِ فوزِ الأستاذ نعيم إيليّا ببطولةِ الجمهوريّةِ في الشَّطرنجِ، ولولا أنّني شاهدْتُ نعيم يحرّكُ آخرَ حركةٍ "كش مات" ثمَّ سلَّمَ على خصمِهِ بكلِّ ثقةٍ، لَمَا صدّقْتُ ما سمعتُهُ ورأيتُهُ بأمِّ عيني، وليسَ تشكُّكاً بإمكاناتِهِ، بَلْ لهذا النَّجاحِ المفاجئِ خلالَ فترةٍ قصيرةٍ مِنْ عبورِهِ عوالمَ الشّطرنجِ!

احتفَلَتْ آنذاك ديريك برمَّتِها بفوزِ الأستاذ نعيم إيليا ببطولةِ الجمهوريّةِ في الشّطرنجِ، ورفعَ رأسَ مسقطِ رأسِهِ عالياً، وارتفعَ صوتُ الطَّبلِ والمزمارِ في ربوعِ ديريك، وكانَ مِنَ المرجَّحِ أنْ يمثِّلَ سوريا في إحدى دولِ الخليجِ، لكنَّ إدارةَ النّادي الرّياضي أوفدَتْ الفائزَ الثّاني، فعادَ هذا الثّاني مِنَ التَّصفياتِ النِّهائيّةِ بخُفّي حُنَين، ومراراً حرَّضْتُ نعيم على المطالبةِ بحقِّهِ، وتبيانِ سببِ عدمِ إيفادِهِ وإيفادِ الفائزِ بالمرتبةِ الثّانيةِ بدلاً عنهُ! كانَ يضحكُ ويأخذُ الأمورَ برحابةِ صدرٍ، قائلاً يا صبري يا صديقي أكثرُ قضايانا الثَّقافيّةِ والفنّيّةِ والاجتماعيّةِ في حالةِ اعوجاجٍ مُريعٍ، هَلْ توقَّفَ الأمرُ على الشَّطرنجِ والرّياضةِ؟! ..

يا أستاذ، إذا كلُّ واحدٍ تركَ حقَّهُ مَهدوراً ستستمرُّ الاعوجاجاتُ إلى ما لا نهاية!
أجل، ستستمرُّ الاعوجاجاتُ طويلاً، إلى أجلٍ غيرِ مُسمّى!
ولكن علينا أنْ نقولَ لا لهذهِ الاعوجاجاتِ والممارساتِ الخاطئةِ.
حتَّى ولو طالبْنا في حقوقِنا، سوفَ لَنْ نحصلَ على حقوقِنا، لأنَّ هناكَ قراراتٍ مِنْ جهاتٍ معيّنةٍ هي الّتي تقرّرُ مَنْ سيكونُ مرشَّحاً حتى ولو كانَ ترتيبُهُ الثَّاني أو الثّالث!

عبرَ الأستاذ نعيم إيليّا البحارَ، وقَدْ جاءَ قرارُ عبورِهِ البحارَ سريعاً ومفاجئاً، حيثُ ما كانَ مِنَ الَّذينَ يفكّرونَ في الهجرةِ، ولا في مشروعِ عبورِ البحارِ، مُتوجّهاً نحوَ برلينَ منذُ أكثرِ مِنْ ربعِ قرنٍ، بَعدَ أنْ وجدَ أنَّ كلَّ ما يحقّقُهُ يُمكنُ أنْ يذهبَ في غمضةِ عينٍ في أدراجِ الرّيحِ، متَّخِذاً لَهُ مِنْ برلينَ نافذةً رحبةً يطلُّ عَبرَها على العالمِ مِنْ خلالِ كتاباتِهِ الّتي ينشرُها في موقعِ الحوارِ المتمدّنِ، لأنّه وجدَ نفسَهُ أنَّهُ بأمسِّ الحاجةِ إلى جوٍّ ديمقراطيٍّ حُرٍّ، كي يجسّدَ رؤاهُ ويقولَ كلمتَهُ مِنْ دونِ أيّةِ رقابةٍ، إلّا رقابتُهُ هو، ويتميّزُ أدبُهُ بلغةٍ مَحبوكةٍ بطريقةٍ خلّاقةٍ، فهوَ عميقُ الرُّؤيةِ والفكرِ وجامحٌ في تدفُّقاتِ خيالِهِ. يكتبُ نصَّهُ مِنْ أعماقِ الجِراحِ الغائرةِ فوقَ مِساحاتِ الإنكسارِ، يريدُ أنْ يزحزحَ ارتصاصَ الغبارِ الجاثمِ فوقَ صُدورِ المقهورينَ والمظلومينَ، مُدافعاً عَنِ الحقِّ بكلِّ شَجاعةٍ، ضارباً عرضَ الحائطِ زمجراتِ الطُّغَاةِ، كي يرسمَ عبرَ تجلّياتِ خيوطِهِ الإبداعيّةِ

خارطةً مُسربلةً بسردٍ مُتماهٍ مَعَ اخضرارِ أشهى الأماني، تاركاً حرفَهُ يجولُ في أقصى رِحابِ فيافي الخيالِ، كي يقدِّمَ لنا نصوصاً أدبيّةً، ومقالاتٍ فكريَّةً وتحاليلَ نقديّةً مِنْ انبعاثِ رحيقِ اليراعِ الصَّافي!

حقّقَ نعيم إيليّا المعروفُ بهدوئِهِ، وطموحاتِهِ السَّامقةِ، نجاحاتٍ على صعيدِ الشَّطرنجِ في ربوعِ برلينَ أيضاً، لكنَّهُ أشارَ إليّ في إحدى اتصالاتي معَهُ منذُ سنواتٍ، إلى أنَّ الإبداعَ في فضاءِ السَّردِ القصصي والرِّوائي، يستهويهِ أكثرَ مِنْ فضاءِ الشَّطرنجِ، مؤكّداً أنَّ الكتابةَ هي هاجسُهُ الأقوى ومِنْ أولى أولوياتِ طموحاتِهِ، وراحَ يركّزُ على الكتابةِ متفرّغاً لعوالمِ الإبداعِ، والفكرِ الخلَّاقِ، ولهذا تفرَّغَ لكتابةِ أعمالٍ روائيّةٍ وقصصيّةٍ، كما توقَّفَ مَليَّاً عندَ المسائلِ الفكريّةِ والأسئلةِ الفلسفيّةِ، وانصرفَ إلى المطالعةِ والكتابةِ منذُ عقودٍ مِنَ الزَّمنِ، وحقَّقَ حضوراً متميّزاً في كتاباتِهِ القصصيّةِ، ورواياتِهِ وسجالاتِهِ الفكريّةِ وتحاليلِهِ النَّقديّةِ في الأدبِ والفكرِ ولديهِ وجهاتُ نظرٍ تنويريَّةٌ في تحاليلِهِ العميقةِ فيما يخصُّ الأدبَ والتَّغيُّرَ الاجتماعيَّ والفكرَ الفلسفيَّ والكثيرَ مِنَ القضايا الفكريّةِ الشَّائكةِ.

القاص والرِّوائي نعيم إيليا، شخصيَّةٌ هادئةٌ، يُحبُّ الاعتكافَ والانعزالَ في صومعتِهِ، كي يغوصَ عميقاً في تأمَّلاتِهِ، وقراءَاتِهِ برهافةٍ عاليةٍ. مبدعٌ شفافٌ في تطلُّعاتِ رؤاهُ، لا يُحبُّ الأضواءَ المبهرةَ ولا يحبُّ الظُّهورَ بلقاءَاتٍ مَعَهُ على المنابرِ والفضائيّاتِ والمِنصَّاتِ بمختلفِ أنواعِها، كما يتجنَّبُ الحواراتِ الصّحافيّةَ. اتّخذَ مِنْ موقعِ الحوارِ المتمدّنِ نافذةً رحبةً لَهُ، يطلُّ عبرَها على قرّائِهِ ومتابعيهِ، وهو الكاتبُ المجنَّحُ نحوَ الرُّؤيةِ الاشتراكيَّةِ والدِّيمقراطيّةِ والتَّنويريّةِ وآفاقِ الحداثةِ مِنْ أوسعِ أبوابِها، فيجسّدُ هذهِ التَّطلُّعاتِ في كتاباتِهِ المتنوّعةِ، مركّزاً على أنْ يقولَ كلمتَهُ بكلِّ حرّيةٍ كي تبقى هذهِ التَّطلُّعاتُ ساطعةً ومرسَّخةً فوقَ جبينِ الحياةِ!

نشرَ الأديبُ نعيم إيليَّا عبرَ الشَّبكةِ العنكبوتيّةِ عدّةَ رواياتٍ قصيرةٍ، تربو كلُّ روايةٍ على مئةِ صفحةٍ مِنَ القطعِ المتوسّطِ بعنوان: "حدثَ في عرسِ رنيم"، "شبحُ الطّحانِ شمس الدّين الكردي"، و "خابيةُ الكنزِ المفقودِ" وغيرُها مِنَ الرّواياتِ، كما لديهِ مجموعةٌ قصصيّةٌ تتضمَّنُ العديدَ مِنَ القصصِ القصيرةِ بعنوانِ: لَنْ أغيَّرَ اسمي، إضافةً إلى العديدِ مِنَ المقالاتِ والدّراساتِ الأدبيّةِ والنَّقديّةِ والحواراتِ النّقاشيّةِ، والسّجالاتِ الفكريّةِ والفلسفيّةِ الّتي كتبَها على مدى سِنينِ اغترابِهِ، ونشرَها عبرَ بعضِ المواقعِ كالحوارِ المتمدّنِ وإيلاف ومقهى النَّاقد وغيرِها مِنَ المواقعِ الإلكترونيّةِ ...

أيُّها الأديبُ المعجونُ بماءِ الحياةِ، حرفُكِ مهمازُ ألقٍ صافٍ صفاءَ الكلمةِ المِمْراحةِ، مُنبعثٌ مِنْ تجربةٍ عَميقةٍ في مدارجِ الحياةِ، ومِنْ أوجاعِ ديريكَ وأوجاعِ الإنسانِ الَّتي تشرَّبْتَها عبرَ محطّاتِ رحلةِ العمرِ. تكتبُ حَرفاً شامخاً مستنيراً ومزهوَّاً بأبهى وأصفى مرامي الإبداعِ.

ستوكهولم: 2015 صياغة أولى

نيسان 2024 صياغة نهائيّة

يكتبُ القاصُّ والرّوائيُّ السُّوري فريد مراد
قصصَهُ ورواياتِهِ كمَن يُناجي نفسَه وقرّاءَهُ مَعاً



فريد مراد

91

يكتبُ القاصُّ والرّوائيُّ فريد مراد قصصَهُ ورواياتِهِ كمَن يُناجي نفسَه وقرّاءَهُ مَعاً، لأنَّ قصصَهُ مُستلهمةٌ ومُستنبطةٌ مِنْ مَحطَّاتِ عُمرِهِ وتجاربِهِ في الحياةِ، ويتفاعلُ القارئُ مَعَ أحداثِ قصصِهِ، لأنَّها تحملُ بينَ طيَّاتِها هاجساً اجتماعيّاً، وفكريّاً وعاطفيّاً وإنسانيّاً، وكأنَّهُ يُترجمُ مشاعرَهُ وأحاسيسَهُ الدَّفينة مِنْ وقائعِ الحياةِ بما يتلاءَمُ مَعَ عاداتِنا وتقاليدِنا وثقافتِنا، وينتقدُ بعضَ عاداتنا وتقاليدنا الّتي لا تتناسبُ وقائعُها معَ حياتِنا الرّاهنةِ، ولهذا تحملُ قصصُهُ أهدافاً عديدةً، وبهذه الرُّؤية يعيدُ إلينا ما يموجُ في الذّاكرة مِنْ هواجسَ ومشاعرَ وأحاسيسَ ويصوغُها ضمنَ إيقاعِها الرَّصينِ، ويقدّمُ لنا عبرةً أو فكرةً ويجسّدُ لنا ذكرياتٍ ظلَّتْ مُعلَّقةً بينَ أجنحةِ الرُّوحِ ويفرشُها عَبرَ سرديَّاتِهِ وحكاياتِهِ.

يَستوحي مِنْ ذكرياتِ الطُّفولةِ والشَّبابِ ورحلةِ العُمرِ الّتي قضاها في الوطنِ الأمّ، ثمَّ يُعرّجُ عميقاً نحوَ رِحابِ الاغترابِ، مُستلهماً الكثيرَ مِنَ القصصِ مِنْ فضائِهِ الاغترابي أيضاً، هذا الفضاءُ الّذي استغرقَ قرابةَ أربعةِ عقودٍ ونصفٍ من الزّمن، ومَعَ هذا ظلَّتْ ذكريات الماضي محفورةً في ذاكرتِهِ مِثلَ نقوشٍ مُرسَّخةٍ على أحجارِ الصَّوَّانِ، مُستوحياً منها قصصاً وعِبَرَاً وحكاياتٍ تجسّدُ الكثيرَ مِنَ الشَّوقِ والحنينِ إلى مرابعِ الطُّفولةِ والصِّبا والشّباب، ونراه يرصدُ قلمُهُ مواقفَ طريفةً وحكاياتٍ متنوّعةً مِنْ عالمِهِ الاغترابيّ ويصوغُ منها قِصصاً بديعةً، ويقدّمُ عَبرَها الكثيرَ مِنَ التَّساؤلاتِ حَولَ مَساراتِ الهجرةِ، وحنينِهِ الجارفِ إلى مسقطِ الرّأسِ "ديريك"، فيؤرّخُ لنا قصصاً مِنْ وحي عوالمِهِ وتجاربِهِ كي تبقى موئلاً لقرّائِهِ وقارئاتِهِ، يقرَؤُونها بشغفٍ على مرّ الأجيالِ. تتميّزُ لغة القاص بالسَّلاسةِ والوضوحِ والسَّردِ الشَّيّقِ، يبني جملتَهُ مِنْ دونِ أيّةِ تعقيداتٍ، أو ترميزاتٍ مبهمةٍ، فيعرضُ قصصَهُ بأسلوبٍ واضحٍ، مركّزاً عبرَ سردِهِ وحوارِ شخصيّاتِ قصصِهِ على الفكرةِ الّتي يتناولُها بطريقةٍ شيّقةٍ كي يوصلَها إلى القارئ بعفويّةٍ انسيابيّة كأنَّهُ يعايشُ الواقعَ الّذي يرسمُهُ عبرَ حرفِهِ المتدفّقِ.

القاص فريد مراد قارئٌ عميقٌ للأدبِ، قرأ الكثير مِنْ قصصِ وروايات الأدبِ العربي، ممّا شكَّلَ لديهِ خِبرةً جيّدةً حولَ بناءِ الفضاءِ القصصيّ، معتمداً على خيالِهِ وخصوصيّة تجاربِهِ، ومسخّراً اطلاعَهُ على تجاربِ الآخرينَ أساساً لمخزونِهِ اللّغوي والبناءِ الفنّي كي ينطلقَ حامِلاً فوقَ أجنحتِهِ الأدواتِ الفنّيّةَ واللّغويّةَ وينسجَ فضاءَهُ القِصصي بمهارةٍ رشيقةٍ، بعيداً عَنْ تأثيراتِ الآخرينَ، فتولدُ قصصُهُ مِنْ رحمِ تماهياتِ انبعاثِ الحرفِ مِنْ وقائعِ الحياةِ والخيالِ مَعاً، مِمّا جعلنا نقفُ أمامَ قاصٍ لَهُ خصوصيّتُهُ المميّزةُ في بناءِ القصّةِ القصيرةِ! يكتبُ بشغفٍ كبيرٍ، والكتابةُ تعني لهُ الحياةَ عبرَ حرفٍ سيبقى ساطعاً على جدارِ الزَّمنِ، مجسّداً معالمَ المحبّةِ والفرحِ، وراسماً فوقَ مُحيّا قرّائِهِ البسمةَ والمتعةَ والفائدةَ، كأنَّهُ في سياقِ حوارٍ مَعَ ذاتِهِ ومَعَ القرّاءِ، لأنَّ الكتابةَ أشبهُ ما تكونُ شهيقَ الكاتبِ، ينثرُ شهيقَهُ كي يبقى مُرفرِفاً كأجنحةِ اليمامِ فوقَ مُروجِ الحياةِ.

يغوصُ عميقاً في تجلّياتِ بوحِ الرُّوحِ في مجموعتهِ القصصية الثالثة، "**قيثارة الروح**" المحبوكةِ بوهْجِ السَّردِ، وقد لمسْتُ في متونِ هذهِ القصصِ رهافةَ قيثارتِهِ وهي تُهدهدُ حنايا الرُّوحِ بأنغامِها في عوالمِ قصصِهِ الّتي صاغَها وبنى متونَها مِنْ تجاربَ عديدةٍ، فقد عوَّدَنا أن يستوحيَ لُبَّ القصصِ مِنْ أحداثِ الحياةِ ومِنْ تدفُّقاتِ أفكارِهِ وخيالِهِ، ويفرشَ هذهِ الخيوطَ المتعالقةَ والمتشابكةَ في عالمِهِ، وينسجَ منها خيطاً قصصيّاً، شهيّاً ومُمْتِعاً في قراءَتِهِ ومتابعَتِهِ، حيثُ نراهُ مُحلّقاً في فَضاءِ القِصَصِ، فتولدُ الأحداثُ بتدفُّقٍ وعذوبةٍ، ويتخلّلُها أحياناً بعضُ المُصادفاتِ والمُفاجآتِ غيرِ المتوقّعةِ، بلغةٍ رشيقةٍ، مُلتقِطاً بؤرةَ الحدَثِ مِنْ حكايةٍ حصلَتْ معَهُ.

يشتغلُ على تطويرِ تقنياتِهِ الفنّيّةِ وفضاءَاتِ سرديّاتِهِ، مُجنِّحاً نحوَ حالاتِ الوئامِ الإنسانيّ. يمقتُ الغدرَ والخيانةَ والغشَّ والعنفَ والحروبَ المُميتةَ والصّراعَ بينَ البشرِ، ويسلّطُ قلمَهُ على المشاعرِ الطّيّبةِ والذّكرياتِ المُبهجةِ مجسّداً عوالم حرفِهِ برهافةٍ عاليةٍ، لأنَّ الحرفَ يبقى ساطعاً وشاهداً على عبورِنا وأثرِنا فوقَ طينِ الحياةِ. وتزخرُ قصصُهُ بالرّموزِ في مُتونِ القصصِ، مُنتقلاً مِنْ مَشهدٍ إلى آخرَ بطريقةٍ سلسةٍ على إيقاعِ خيالٍ سَيّالٍ في انبعاثِهِ، مُركّزاً على خيطِهِ القِصصي والوهْجِ السَّرديّ، وللحوارِ مِساحةٌ رحبةٌ في بنائِهِ الفنّي. يكتبُ قصصَهُ عَنْ رغبةٍ غامرةٍ بكلّ ما لديهِ مِنْ شغفٍ ومُتعةٍ، كأنّهُ يَنسُجُ أحلامَهُ المرفرِفةَ في ذهنِهِ وخيالِهِ وآفاقِ رؤاه، مُجسّداً ما يموجُ في أعماقِهِ مِنْ رؤى وتأمُّلاتٍ، كي يقدّمَ رحيقَ تجاربِهِ وأفكارِهِ للقرّاءِ والقارئاتِ.

***

استوحى الرّوائي فريد مراد روايته الأولى: "**كنتُ على وشكِ الرَّحيلِ**"، من تجربةٍ مريرةٍ مرَّ فيها على مدى أربعِ سنواتٍ، وعَرَفَ كيفَ يسردُها بإيقاعٍ روائيٍّ، مُمْسِكاً بتفرُّعاتِ خيوطِ السَّردِ المتناغمِ مَعَ رشاقةِ اللّغةِ عبرَ مساراتِ سيرِ الأحداثِ بمهارةٍ عاليةٍ، ومَعَ أنّه دوَّنَ في مُتونِ روايتِهِ أسماءَ الأطبّاءِ والطَّبيباتِ والممرّضينَ والممرّضاتِ وأسماءَ المستشفياتِ والأمكنةِ، وأسماءَ الكثيرِ مِنْ شخصيّاتِ الرِّوايةِ بأسمائِها الصَّريحةِ، مَعَ كلّ هذا استطاعَ عَبرَ لُغةٍ سلسةٍ أنْ ينسجَ فصولَ روايتِهِ من وحي وقائعِ ما مرَّ بِهِ من تجربتِهِ المريرةِ بمرضِ السَّرطانِ، ولكنَّهُ استطاعَ بحنكتِهِ السَّرديّةِ أنْ يَحبُكَ الكثيرَ مِنَ التَّفاصيلِ والحكاياتِ والمواقفِ مِنْ وحي خيالِهِ ويصوغَها في أحداثِ تجربتِهِ المرضيّةِ، فأضفى على وقائعِ السَّردِ ما يُبعِدُ حالةَ الملَلِ الّتي يُمكنُ أنْ تُصَاحِبَ

القارئَ فيما إذا ركَّزَ عبرَ مُتونِ السَّردِ على حَالاتِ مَراحلِ المَرضِ، والعمليّاتِ الجراحيّةِ الّتي أجراها في المستشيفاتِ أثناءَ فترةِ المُعالجةِ بكلِّ ما فيها مِنْ ألمٍ غيرِ قابلٍ للاحتمالِ، إلّا عبرَ أجنحةِ الصَّبرِ الّتي تحلَّى بها منذُ أن تبلّغَ بهذا المرضِ حتَّى آخرِ يومٍ مِنْ شفائِهِ، لأنّهُ أرادَ أنْ يجسّدَ فترةً عصيبةً مِنْ حياتِهِ، ويكتُبَ مِنْ وحيها نصّاً روائيّاً يحملُ الكثيرَ مِنَ العِبَرِ ووجهاتِ النّظرِ المكلَّلةِ بالأملِ والتّفاؤلِ والنّجاحِ، فقدْ وجدَ في هذهِ التّجربةِ، ما يُناسبُ أنْ يستوحيَ منها نصّاً روائيّاً، ويقدّمَ هذهِ التّجربةَ للقارئِ على طبقٍ مِنْ حكمةٍ وتفاؤلٍ غيرِ متوقّعَينِ للكثيرينَ ممَّنْ مرّوا في هكذا تجاربَ أو يُمكنُ أنْ يَمرُّوا بها في مُستقبلِ الأيّامِ.

استخدمَ الكاتبُ عبرَ متونِ بعضِ فصولِهِ، أسلوبَ المناجاةِ ومحاورةَ الطَّبيعةِ، فقدْ تطرّقَ عبرَ فصلٍ كاملٍ إلى مناجاةِ الدَّاليةِ، فقد أنْسنَ الطّبيعةَ وكأنَّهُ يقولُ للقارئِ لِمَ لا نكونُ مُعطائِينَ وخيّرينَ، ونثمرُ ثماراً طيّبةً مثلَ الدّالياتِ وبقيّةِ الأشجارِ الّتي تُغدِقُ علينا أشهى الثّمارِ، ولِمَ لا نكونُ نحنُ البشرُ معطائينَ بكلِّ ما لدينا مِنْ خيرٍ ووئامٍ وعطاءَاتٍ خلّاقةٍ لبني جنسِنا وللحياةِ مِنْ حولِنا؟ هذا يقودُنا إلى أنَّ الرّوائيَّ عندما يكونُ بهذهِ الحساسيّةِ المرهفةِ وهذا التَّواصلِ مَعَ شخصيّاتِ روايتِهِ والطّبيعةِ، كأنّهُ يريدُ أنْ يطرحَ عَبرَ روايتِهِ، ضَرورةَ تآخي الإنسانِ مَعَ أخيهِ الإنسانِ كي يُحقّقَ كلُّ ما هو مفيدٌ للإنسانِ والطّبيعةِ والحياةِ، بطريقةٍ إنسانيّةٍ، بعيداً عَنْ لغةِ الإقصاءِ والتّعدّي على حقوقِ أيّ كائنٍ حيٍّ، ابتداءً مِنَ الإنسانِ، مروراً بالطّبيعةِ وجميعِ الكائناتِ.

***

وفي رواية فريد مراد الجديدة، "**رحيل نحو المجهول، محطّات زمنيّة**"، نسافرُ معهُ في رِحلةٍ سياحيّةٍ فيها الكثيرُ مِنْ تشابكاتِ الأحداثِ، عَبرَ محطَّاتٍ متنوّعةٍ في سياقِ سردِ روايَتِهِ المتشعّبةِ، فيأخذُكَ إلى مِساحاتٍ زمنيةٍ فسيحةٍ، تمتدُّ لأكثرَ مِنْ نِصفِ قرنٍ مِنَ الزَّمنِ، وقد جَسّدَ لنا عبرَ محطَّاتِهِ أبهى خيوطِ الحَنينِ، تاركاً بينَ مُتونِ السَّردِ الكثيرَ مِنَ التَّساؤلاتِ للقارئِ، وسلّطَ قلمَهُ على بَعضِ الاعوجاجاتِ السَّائدةِ في المُجتمعِ الَّذي عاشَ فيهِ قرابةَ عِقدَينِ مِنَ الزَّمنِ، ثمَّ عَبرَ البحارَ، وعادَ بعدَ أكثرِ مِنْ أربعةِ عُقودٍ يُلملمُ ما تعلَّقَ في الذَّاكرةِ مِنْ أحداثِ تجربتِهِ في الوطنِ الأمِّ ودنيا الاغترابِ، وكتبَ بحنينٍ عميقٍ الكثيرَ مِنْ هذهِ الذِّكرياتِ الّتي عاشَها في الوطنِ الأمِّ، بكلِّ أفراحِها وأتراحِها، مِمّا بقيَتْ مُرسَّخةً في الذَّاكرةِ، تاركاً خيالَهُ يموجُ في هذهِ المَحطَّاتِ، وجَسَّدَها بإيقاعٍ شاهقٍ وبلغةٍ سلسةٍ وسهلةٍ، ولم يتقيّدْ في روايتِهِ بتسلسلٍ زمنيٍّ بحسبِ سيرِ أحداثِ المَحطّاتِ، بلْ اتَّبعَ أسلوباً أشبهَ ما يكونُ بالتَّأمُّلاتِ والتّداعياتِ الانسيابيّةِ في استرجاعِ أحداثٍ ومواقفَ مُخزَّنةٍ في رِحابِ ذاكرتِهِ ومخيَّلتِهِ، وصَاغ مِنها فُصولاً مُتناغمةً مَعَ رشاقةِ عَرضِ رؤاه في السَّردِ الرّوائي، وكأنَّهُ يحكي لنا مقتطفاتٍ مصطفاةً مِنْ حكاياتِهِ وذكرياتِهِ بطريقتِهِ الخاصّةِ، فوجدَ نفسَهَ أمامَ شلَّالٍ متدفّقٍ مِنَ الأحداثِ والحكاياتِ، فانتقى ما رآهُ مناسباً لفضاءاتِ الرّوايةِ الّتي قادتْهُ إلى رحيلٍ مفتوحٍ نحوَ المجهولِ، وراحَ يتلمَّسُ هذا المجهولَ محطّةً محطّةً، وكأنَّهُ يقومُ برحلةٍ فسيحةٍ في ماضيهِ البعيدِ والقريبِ، فجاءَتْ أحداثُ الرّوايةِ محبوكةً بطريقةٍ سلسةٍ دافئةٍ وبلغةٍ رشيقةٍ سهلةٍ، ويُمكنُ أنْ ندرجَ هذا النَّوعَ مِنَ الأعمالِ الرّوائيّةِ في فضاءِ السِّيرِ ذاتيّة منْ حيثُ منابعُ استلهامِ وقائعِ السَّردِ، مِنْ خلالِ ما نقرَؤهُ مِنْ أحداثٍ

وأمكنةٍ وأسماءٍ مسرودةٍ بدقَّةٍ متناهيةٍ، لكنَّها ليسَتْ بالسِّيرةِ الذَّاتيّةِ، بقدرِ ما هي مُستلهَمةٌ مِنْ محطَّاتِ حياتِهِ، وجاءَتِ الرِّوايةُ معجونةً بانبعاثاتِ الذَّاكرةِ ووهْجِ الخيالِ المتعانقِ مَعَ حيثياتِ الأحداثِ، مَعَ أنّهُ دوَّن أسماءَ الكثيرِ مِنَ الشَّخصيّاتِ الأساسيّةِ والفرعيّةِ كما هي، لكنَّهُ صاغَ الأحداثَ بطريقةٍ سرديّةٍ مجنَّحةٍ نحوَ منعطفاتِ البوحِ الرِّوائيِّ، فجاءَتْ محطّاتُهُ عَبرَ رحيلِهِ إلى المجهولِ، مفتوحةً على مساراتٍ عديدةٍ، وطرحَ علينا الكثيرَ مِنَ الأسئلةِ، وقَدْ عبَّرَ عَنْ نجاحاتِهِ وإخفاقاتِهِ، ومراميهِ خلالَ رحلةِ العبورِ في أعماقِ المجهولِ في دُنيا الاغترابِ. وكأنّهُ يقولُ لنا: إنَّ الحياةَ مجرَّدُ مجموعةٍ مِنَ المحطّاتِ، وأحياناً كثيرةً نعبرُ متاهاتِ هذهِ المحطّاتِ عَنٍ قصدٍ أو مِنْ دونِ قصدٍ، وبعضُ المحطَّاتِ أشبهُ ما تكونُ أقدارَنا الَّتي لا بدَّ مِنْ الدُّخولِ في معتَركِها.

هذهِ الرِّوايةُ هي حكايةُ كلِّ مغتربٍ ومغتربةٍ مِنْ بعضِ الوجوهِ، وحكايةُ الكثيرينَ ممّنْ يُقيمونَ في الوطنِ الأمِّ أو خارجَ الوطنِ، أيّاً كانَ وطنُ القارئِ والقارئةِ. وجاءَتِ الرِّوايةُ محمّلةً بوهْجِ الحنينِ والشَّوقِ إلى مسقطِ الرّأسِ والوطنِ بكلِّ جمالياتِهِ وانكساراتِهِ، وإلى الأهلِ الَّذينَ هم على قيدِ الحياةِ والّذينَ رحلوا، حيثُ كانَتْ أحداثُ الرِّوايةِ تعبقُ بحميميَّةٍ عميقةٍ إلى المكانِ الأوَّلِ، مسترجعاً الكثيرَ مِن حواراتِهِ ولقائِهِ مَعَ الأهلِ، والأصدقاءِ وأسرتِهِ ومحبّيهِ، وأصدقاءِ رحلتِهِ الاغترابيّةِ، مُتحسّراً على الحميميّةِ الّتي كانَتْ سائدةً بينَ الأهلِ والأحبّةِ والأصدقاءِ، والّتي خفَّتْ كثيراً في عالمِ اليومِ سواءً في دُنيا الاغترابِ أو في ربوعِ الوطنِ، لأنَّ متغيّراتِ ومتطلّباتِ الحياةِ تغيَّرتْ وتوجَّهتْ نحوَ مساراتٍ أخرى!

***

أصدر القاص فريد مراد ثلاثَ مجموعاتٍ قصصيّةٍ "**عندما كنتُ أراها مقبلة**"، و"**الدُّنيا كما كنَّا نراها**"، و"**قيثارة الرّوح**". تمتاز قصصُهُ بالسَّلاسةِ والبساطةِ والعُمقِ وقدرتِهِ الماهرةِ في نسجِ فكرةِ الحكايةِ الّتي يتناولُها، فيسردُها ضمنَ إيقاعٍ سرديٍّ مَحبوكٍ برشاقةٍ وعفويّةٍ شيّقةٍ. يستلهمُ حكاياتِهِ القصصيّةَ مِنَ الحياةِ وما تجودُ بِهِ مخيّلتُهُ، فتأتي القصصُ مزيجاً مِنَ الواقعِ والخيالِ المُنسابِ أثناءَ انبعاثِ البَوحِ، مُستخدماً لغةً سَهلةً مُوائمةً لشخصيَّاتِ قصصِهِ في بِناءِ الحِوارِ والسَّردِ ووهْجِ الشَّوقِ والحَنينِ، قافزاً مِنْ مَشهدٍ إلى آخرَ بتقنيَّاتٍ رَهيفةٍ، حيثُ تَنسابُ قدراتُهُ السَّرديّةُ السّلسةُ في بِناءِ فضاءَاتِ قصصِهِ، مُمْسِكاً بتشعُّباتِ خُيوطِها بمهارةٍ عاليةٍ، بعيداً عَنِ الحشوِ والاستطرادِ الفضفاضِ، ويَشعرُ القارئ أنَّهُ أمامَ أحداثٍ ووقائعَ تَخصُّهُ أيضاً.

ستوكهولم: 20. 12. 2023



يرحلُ المبدعُ سعدي المالح وتبقى أعمالُهُ
مُرفرفةً فوقَ أجنحةِ الحياةِ



الدُّكتور سعدي المالح

92

تنامى فوقَ هامةِ الأديبِ العراقيِّ سعدي المالح الشَّامخةِ يراعُ الإبداعِ بكلِّ تجلِّياتِهِ المُنبعثِةِ مِنْ جُذورِ العراقِ القديمِ، هذهِ الجُذورُ المُوغلةُ في أعماقِ الحضارةِ الشَّرقيَّةِ التَّليدةِ، قامةٌ أدبيَّةٌ مشبّعةٌ بأبهى كُنوزِ حَضارةِ بلادِ الرَّافدَينِ، غاصَ عميقاً في حضارةِ سومر وأكّاد وبابل وكلدو آشور السُّريان، واطَّلعَ على ما خلَّفتْهُ هذهِ الحضارةُ في أوجِ شُموخِها وعطائِها، مُمْعِناً في كلِّ ما وقعَتْ عليه عيناهُ، وتشرَّبَ مِنْ شريعةِ حمورابي وثقافةِ وحضارةِ العراقِ العريقةِ، فقد ترعرعَ بينَ جذورِ حضارةٍ مُضمّخةٍ بالثّيرانِ المجنّحةِ نحو آفاقِ المَعرفةِ بكلِّ مُنجزاتِها الفكريّة وفضاءاتِها الأسطوريّةِ الفريدةِ، حيثُ شاهدَ حدائقَ بابلَ المعَلَّقةَ تزهو عالياً كإحدى عجائبِ الدُّنيا فوقَ أرضِ الحضاراتِ، وعلى مقربةٍ منها وقفَ جلجامشُ بكلِّ عُنفوانِهِ وجبروتِهِ وشُموخِهِ باحثاً عَنْ عُشبةِ الخُلودِ، هذهِ العُشبةُ المستنبتةُ مِنْ الآفاقِ الأسطوريَّةِ، وشَمَخَتْ بكلِّ عنفوانِها فوقَ هِلالاتِ قُبّةِ الرُّوحِ. استقى هذا الكاتبُ الطَّموحُ حرفَهُ مِنْ وحي استفحالِ لهيبِ الحُروبِ، وتفاقُمات اشتعالِ جُنونِ هذا الزَّمانِ، المستطيرِ فوقَ وجنةِ العِراقِ مِثلَ هديرِ الطُّوفانِ!

الأديب الرّاحل د. سعدي المالح، قامةٌ أدبيّةٌ سامقةٌ وشامخةٌ شموخَ حضارةٍ شاهقةٍ في تجلّياتها الرَّائدةِ في العطاءِ، تشرَّبَ مِنْ أصفى مَنابعِ الآدابِ، حَملَ طفولتهَ، في رِحابِ ذاكرتِهِ وخيالِهِ السيَّالِ وجسَّدَ محطّاتِ عُمرِهِ فوقَ أجنحتِهِ أينما حلَّ ورحلَ، وتوَّجَ مسقطَ رأسِهِ في انبعاثِ فضاءَاتِ كُتبِهِ. فقد كتبَ بكلِّ شغفٍ "حكايات مِنْ عنكاوا"، مُستلهِماً هذهِ القصصَ مِنْ بيئتِهِ الّتي ترعرعَ فيها، فكانَ مُخلصاً لها، مِنْ خِلالِ تسليطِ رؤاهُ المشحونةِ بذاكرةٍ مُعبّقةٍ بالحنينِ إلى عنكاوا، كتبَ قصصَهُ بتقنياتٍ سَرديّةٍ عاليةٍ، مُجسّداً المكانَ والزَّمانَ بحميميّةٍ دافئةٍ، حيثُ نراهُ في حالةِ انصهارٍ تامٍ في جغرافيّةِ المَكانِ، فارشاً حكاياتِهِ عِنْ بلدتِهِ بطريقةٍ طازجةٍ، كأنَّهُ يُصوّرُ لنا فيلماً عَنْ سيرةِ المَكانِ!

حلَّقَ المالحُ عالياً، عابراً البحارَ والمُحيطاتِ والقارّاتِ، وكتبَ قِصصاً مِنْ خِلالِ رحلتِهِ الفسيحةِ في مُنعرجاتِ غربَتِهِ، واختارَ مجموعةَ قِصصٍ مُستوحاةٍ مِنْ مَحطّاتِ ترحالِهِ وأصدرَها تحتَ عنوان "مُدُن وحقائب"، متوقّفاً عندَ الذّاتِ الهائمةِ بالسَّفرِ والتِّرحالِ، باحثاً عمَّا يَموجُ في خيالِهِ مِنْ طُموحاتٍ، حافراً بإزميلِهِ أوجاعَ الغربةِ عَبرَ حَرفٍ جَامحٍ، مُجسّداً بشغفٍ عميقٍ أصفى تجلّياتِ الحَنينِ، راصداً حضاراتِ المَدائنِ الّتي حَلَّ فيها، ومُسترجِعاً في مخيالِهِ حضارةَ العراقِ القديمِ، الّتي ظلَّتْ تتلألأُ في كينونَتِهِ، مُقلّباً صفحاتِ تاريخِ حضارتِهِ الآفلةِ، كَمْ مِنَ الدُّموعِ خرَّتْ على وجنةِ الرُّوحِ. استقبلتْهُ بوَّاباتُ المطاراتِ مِنْ أبوابِها العريضةِ، ترافقُهُ حقائبُهُ العاجَّةُ بالكتبِ، مُحلّقاً عالياً، عابراً أعماقَ السَّماءَ، بَحثاً عَنْ أبهى أريجِ الأدبِ، فحطَّ بِهِ الرّحالُ في موسكو، ليوسمَ جبينَهَ بأرقى الآدابِ العالميّةِ، ناهلاً مِنْ معهدِ غوركي للآداب أمَّهاتِ الكتبِ، مُحلّلاً وباحثاً حصيفاً في فضاءَاتِها، إلى أنْ حصلَ على ماجستير في الإبداع الأدبي، وراحَ يغوصُ في أعماقِ الإبداعِ، مُستكمِلاً طموحَهُ في فُقهِ اللّغةِ والأدبِ العربي، كي يتوّجَ دراساتِهِ العالية في مَعهدِ الاستشراقِ في موسكو، برسالةِ الدّكتوراه في "الأدب العراقي المعاصر في المنفى". محقّقاً أقصى ما كان يطمحُ إليهِ مِنْ آمالٍ في رحابِ ما حقَّقَهُ المبدعونَ والمبدعاتُ العراقيونَ والعراقياتُ في دُنيا الاغترابِ!

الرّوائي والقاصُّ المبدع الدّكتور سعدي المالح، مُبدعٌ متجذّرٌ بالحضارةِ العراقيّةِ الممتدّةِ على مدى قرونٍ مِنَ الزَّمانِ. وُلِدَ في بيئةٍ متعانقةٍ مَعَ شُموخِ الحرفِ، وترعرعَ في أجواءَ تدفَعُهُ أنْ يحملَ فوقَ أجنحتِهِ طُموحاتٍ خلّاقةً، ويسعى جاهداً أن يكونَ مُبدعاً رهيفاً شاهقاً، وشغوفاً بالأدبِ والبحوثِ واللُّغاتِ وبكلّ صُنوف الإبداعِ، فقد توغَّلَ عميقاً في فضاءَاتِ البحثِ والتَّمحيصِ، قراءَةً وتحليلاً إلى أنْ وصلَ إلى مروجِ الإبداعِ الرَّصينِ، وكتبَ حرفاً باهراً مُندلِقاً مِنْ خيالٍ صافٍ لمّاحٍ وجامحٍ نحوَ مرامي الآدابِ الشَّامخةِ، بما يليقُ بشموخِ الحَضارةِ الّتي انبعثَ مِنها عبرَ الأجيالِ المُتعاقبةِ على امتدادِ عَراقةِ العراقِ!

أصدرَ روايتَه الأولى "في انتظار فرج الله القهّار"، عَنْ دار الفارابي 2006، مُجسّداً عَبرَ روايتِهِ الكثيرَ مِنَ الرُّموزِ والإشاراتِ الدّينيةِ والثَّقافيّةِ المتنوّعةِ، مُتطرّقاً إلى فضاءَاتٍ حضاريّةٍ وأسطوريّةٍ تتعلّقُ بالعراقِ الزَّاخرِ بالميثولوجيا، كما جسَّدَ عبرَ متونِها الواقعَ المُعاصرَ بكلّ وقائعِهِ وتطلُّعاتِهِ، مُركّزاً على ضَرورةِ التَّوازنِ والتَّضامنِ والتَّعاونِ مَعَ كافّةِ المَشاربِ الثّقافيّةِ الّتي سادَتْ في المنطقةِ وقَدْ وظَّفَ هذهِ الرُّؤية مِنْ خِلالِ انشغالِهِ وشغَفِهِ بالتَّنوُّعِ والإختلافِ وخلقِ توليفةٍ بينَ هذهِ التَّنوُّعاتِ الثّقافيّةِ، لأنّها عاملُ غنى للحياةِ. وبنى فضاءاتِها ضمنَ سياقٍ مُتعانقٍ مَعَ فضاءِ النَّصّ المفتوحِ، مُستوحياً فصولَ روايتِهِ، مِنْ استذكارِ أحداثٍ أليمةٍ تعرَّضَتْ لها مجموعاتٌ عرقيّةٌ ودينيّةٌ في سَماءِ العراقِ خلال فتراتٍ مُتعاقبةٍ في أرضِ الرَّافدَين، وصاغَ أحداثَ روايتِهِ بجرأةٍ عاليةٍ حولَ المجازرِ الّتي تعرَّض لها الآشوريون، كما تعرَّضَ لها الأكرادُ والشّيعةُ لهذهِ الكوارثِ المريرةِ، ولأوّلِ مرَّةٍ يتطرَّقُ روائي عراقي أو عربي لهذه الأحداثِ الّتي طمَسَها الواقع تحتَ عباءَتِهِ السَّميكةِ. يسردُ أحداث الرّوايةِ في زمنٍ غيرِ مُعيَّنٍ، وينتقلُ مِنْ زَمنٍ إلى آخرَ برشاقةٍ سرديَّة رهيفةٍ، مُنطلقاً مِنَ العامِ ألفين ثمَّ يغوصُ في أعماقِ الماضي، على مدى قرونٍ من الزَّمانِ، مُستعيداً أحداثَ العراقِ القديمِ

وأساطيرِهِ المتنوّعةِ، والعديدَ مِنَ الحكاياتِ الدّينيةِ، بلُغةٍ شاعريَّةٍ مشحونةٍ بصُورٍ معبّرةٍ خيرَ تعبيرٍ.

ثمَّ أصدرَ روايةَ "عَمكا"،عن منشورات ضفاف، بيروت 2013، تتمحورُ أحداثُ الرّوايةِ حولَ مدينةِ عنكاوا والقرى المجاورةِ لها، بأسلوبٍ سرديٍّ بديعٍ، مُجسّداً تاريخَ المكانِ بطريقةٍ مشوّقةٍ، مُتوغّلاً في تاريخِ المدينةِ وتاريخِ البلادِ على مدى القرونِ الغابرةِ، مُستوحياً مِنْ تاريخِ المدينةِ فصولاً في غايةِ التَّشويقِ والحنينِ إلى الماضي الموغلِ في القِدَمِ، وكأنَّهُ يستعيدُ الماضي ويريدُ أنْ يُصبحَ الحاضرُ أحسنَ وأجملَ، مُركّزاً في بنائِهِ الفنّي على أدبِ المَكانِ وسيرةِ المكانِ بتجلّياتٍ إنسيابيّةٍ مُتدفّقةٍ، تحتفي الرّوايةُ بالمَكانِ احتفاءً شَفيفاً هذا المَكانُ المُستولدُ مِنْ فضاءَاتِ الأسطورةِ المُعشّشَةِ في عوالمِ سعدي المالح، ومِنَ المَوروثِ المُحتَبِكِ مَعَ الكثيرِ مِنَ التَّجلّياتِ المُرتبطةِ بالدّينِ، راصداً قلمَهُ لتاريخِ البلدةِ بكلّ ما فيها مِنْ مِساحةٍ جغرافيَّةٍ مفتوحةٍ على إرثٍ حضاريٍّ تَعودُ جذورُهُ لمئاتِ السّنينَ، تاركاً خيالَهُ ينسابُ على إيقاعِ حُلُمٍ مفتوحٍ على بوّاباتِ الحَنينِ، وتبدو الرّوايةُ كأنَّها رحلةٌ فسيحةٌ في تاريخِ هذهِ الرُّقعةِ الجغرافيّةِ المُمْتدَّةِ فوقَ تُرابِ بلادِ ما بينَ النّهرينِ "ميسوبوتاميا"، والرّوايةُ أشبَهُ ما تكونُ عرضاً لتاريخِ هذهِ المِنطقةِ بكلّ أساطيرِها ومعتقداتِها الدّينيّةِ، وحِرَفِها وخُرافاتِها ولُغاتِها الّتي انبعثَتْ مِنها ملاحمُ خالدةٌ على مدى تاريخِها الطَّويلِ.

التقيتُ مَعَ الدُّكتور في مُنتصفِ التّسعينيَّاتِ في أُمسيةٍ قصصيّةٍ مشتركةٍ، في سودرتاليا، أهداني في حينِها مجموعتَهُ القصصيَّةَ "مُدُن وحقائب"، وطلبَ مِنّي الكتابةَ في جريدةِ المرآةِ الّتي كانَ يصدرُها آنذاك في كندا، أرسلْتُ إليهِ العديدَ مِنْ نصوصي القصصيّةِ والشِّعريّةِ بريديَّاً، ونشرَها في مرآتِهِ تِباعاً! ..

درسَ دبلوم لغة فرنسية لمدّةِ سنة في كليّةِ فانييه في مونتريال، ودبلوم لغة انكليزيّة من كلّية بلاتون بكندا. كان شغوفاً باللُّغاتِ والأدبِ العالمي وباحثاً أكاديميَّاً كبيراً في اللّسانيَّاتِ والأدبِ. ترجمَ خلالَ مسيرتِهِ الأدبيّةِ عدداً مِنَ الأعمالِ الكلاسيكيّةِ عَنِ الرُّوسيّةِ، وكتبَ في الصَّحافةِ العِراقيّةِ والعَربيّةِ والغربيّةِ أيضاً.

بعدَ رحلةٍ طويلةٍ في مَجالِ الإبداعِ الأدبيّ، عملَ مستشاراً إعلاميَّاً في أبي ظبي، وأستاذاً للأدبِ المقارنِ في جامعةِ صلاح الدّين، ورئيس قسم اللُّغةِ الإنكليزيّةِ في كلّيةِ اللُّغاتِ، ثمَّ عُيّنَ عام2007 مُديراً عامَّاً لمديريّةِ الثَّقافةِ والفنونِ السّريانيّةِ في وزارةِ الثّقافةِ والشّبابِ في حكومةِ إقليم كردستان. وقامَ بإعدادِ الكثيرِ مِنَ النَّدواتِ والأماسي والأيّامِ الثّقافيّةِ والأدبيّةِ والمعارضِ الفنّيّةِ خلالَ ترؤسِهِ مدير عام لمديريّةِ الثَّقافةِ والفنونِ السّريانيّة، وأسَّسَ مكتبةً سريانيّةً ضمَّت آلافَ الكتبِ بالسّريانيّةِ والعربيَّةِ والكورديَّةِ والإنكليزيّةِ وسعى إلى تأسيسِ مَتحفِ التُّراثِ السّرياني في عنكاوا، مَركّزاً على التَّواصلِ الثَّقافي والفِكري مَعَ كافّةِ الحضاراتِ والثَّقافاتِ والقوميَّاتِ، مُدافعاً عَنْ حقّ شعبِهِ الأصيلِ في العراقِ والإقليمِ، وفي بلادِ الشَّام، مُتواصِلاً مَعَ شريحةٍ واسعةٍ مِنَ الكتَّابِ والشُّعراءِ والنُّقَّادِ والمفكّرينَ والفنَّانينَ والمُبدعينَ مِنْ شتّى الاختصاصاتِ والبلدانِ، ودعا الكثيرَ مِنهم لأحياءِ أماسيَ أدبيّةٍ وشعريّةٍ وفكريّةٍ. كنتُ أتابعُهُ عبرَ الشَّبكةِ، وكانَ هو الآخرُ يتابعُني مِنْ خِلالِ مُساهماتي في الصُّحفِ والمَجلّاتِ، وتوطَّدَتْ متابعاتُهُ خلالَ فترةِ رحيلِ الأب المبدع د. يوسف سعيد، حيثُ تابعَني بدقَّةٍ

كبيرةٍ مِنْ خلالِ الصُحفِ والمجلَّاتِ والمواقعِ الإلكترونيّةِ منها موقع عنكاوا كوم، ووجدَ أنَّني توقّفْتُ بكلِّ ما لديَّ مِنْ إمكانيَّاتٍ لإعدادِ حفلِ تأبينٍ أدبيٍّ كبيرٍ يُليقُ بالأب الرّاحل في سودرتاليا إحدى ضواحي ستوكهولم، وكانَ هو الآخرُ يخطّطُ لإعدادِ أربعينيّةٍ للأب الرَّاحل في أربيل، عنكاوا، فاتَّصل بي، ودعاني للمشاركةِ في أربعينيّةِ الأب يوسف سعيد، ولبّيتُ دعوتَهُ، حيثُ انَّني كنْتُ قَدْ اقترحْتُ على اتِّحادِ الكتَّابِ والأدباءِ في العراقِ مِنْ خِلالِ جريدةِ الزّمانِ الدَّوليّة، إحياء حفل تأبين أدبي للأب يوسف سعيد في بغداد، واطَّلع على اقتراحي وخطَّطَ أنْ يقيمَ هو أربعينيّةً للأب الرّاحل في عنكاوا برعاية وزراة الثقافة والشباب في الإقليم. وشاركتُ في الأربعينيّةِ مَعَ مجموعة مِنَ الأدباءِ والكتّابِ والشُّعراءِ والباحثينَ والنُّقّادِ العراقيّينَ مِنْ مُختلفِ المُدُنِ، وبحضور نيافةِ المطرانِ مار نيقوديموس داؤود متي شرف مطران الموصل وكردستان للسريان الأرثوذكس ونيافةِ المطران مار صليبا شمعون المستشار البطريركي للسريانِ الأرثوذكس والأب د. يوسف اسطيفان البنّا، وعدداً مِنَ المدراءِ العامّينَ والمسؤولينَ الحكوميّينَ ورؤساءِ الدَّوائرِ الحكوميّة في عَنكاوا وأربيل، ومُمَثّلي الأحزابِ ومنظَّماتِ المجتمع المدني وبعضِ وسائلِ الإعلامِ والقنواتِ الفضائيّةِ. وتمَّ تقديمُ النَّدواتِ والنِّقاشاتِ والمحاضراتِ في قاعةِ مَتحفِ التُّراثِ السِّرياني في عَنكاوا، ثمَّ قمنا برفقةِ الدكتور الرَّاحل سعدي المالح برحلةٍ بديعةٍ إلى الجبالِ والأماكنِ الأثريّةِ والأديرةِ المقدَّسةِ كدير مار متّى ومار هرمز ومار يعقو.

كانَ الأديبُ الرَّاحلُ سعدي المالج دَمِثَ الأخلاقِ، عميقَ الرُّؤيةِ، متفتّحَ الذِّهنِ، طَموحاً في آفاقِ رؤاه. تعاوَنَ مَعَ كلِّ الأطرافِ الّتي كانَتْ تَنشُدُ الحداثةَ وتسعى إلى تحقيقِ آفاقِ التَّنويرِ والتَّجديدِ، فقَدْ كانَ بمثابةِ مؤسَّسةٍ ثقافيّةٍ بمفردِهِ، إضافةً إلى تعاونِهِ العَميقِ مَعَ المُبدعينَ والمُبدعاتِ مِنْ كافةِ الأطيافِ والأجناسِ والأقوامِ، فقَدْ كانَ ديدَنُهُ نشْرَ ثقافةِ العَطاءِ الخلَّاقِ، ورفْعَ شأنِ الأوطانِ نحوَ الأمثلِ على كافّةِ المُستوياتِ. وقدْ كتَبَ عَنْ أدبِهِ الكثيرُ مِنَ النُّقادِ والكتّابِ والباحثينَ لِما تحلَّى بِهِ مِنْ رؤيةٍ عَميقةٍ في بناءِ القصّةِ والرِّوايةِ بإبداعٍ خلّاقٍ. عاشَ طوالَ عمرِهِ مُخلصاً لمسقطِ رأسِهِ عنكاوا. جالَ في بلادِ اللهِ الواسعةِ، ثمَّ جرَّهُ الحنينُ إلى عنكاوا، ليقضي بقيَّةَ عُمرِهِ، إلى أنْ وافتْهُ المنيّةُ بتاريخ 30 .5. 2014 ووُري الثَّرى في هذهِ الأرضِ المباركةِ!
وهكذا يرحلُ المبدعُ وتبقى أعمالُهُ مُرفرِفةً فوقَ أجنحةِ الحياةِ!

ستوكهولم: 26. 7. 2014 مسودة أولى
28. 6. 2024 صياغة نهائيّة

تكتب الأديبة والنّاقدة الجزائريّة نوميديا جروفي
نصّاً رهيفاً شفيفاً، بلُغةٍ رَشيقةٍ تمتاز بالصَّفاء والعمق!



نوميديا جروفي
93

تكتبُ الشَّاعرة والكاتبة الجزائريّة نوميديا جروفي نصّاً رهيفاً شفيفاً، بلُغةٍ رَشيقةٍ، تمتازُ بالصَّفاءِ والعُذوبةِ والعُمْقِ والجُنوحِ نَحوَ فضاءِ الرُّوحانيّاتِ، فهي مُشبّعةٌ بالنزّوعِ الإنساني والرُّوحاني، تكتبُ القصائدَ الشِّعريّة، والقصصَ القصيرة والمقالاتِ والحواراتِ والدِّراساتِ النَّقديّةَ، كما لها اهتمامٌ في الرَّسمِ. تتضمَّنُ كتاباتُها رؤيةً فكريّةً حداثويَّةً مصحوبةً بفضاءَاتٍ تنويريَّةٍ عَبرَ آفاقِها الشِّعريّة والأدبيّةِ والسَّرديَّةِ، وعندما نغوصُ في عوالمِها الإبداعيّةِ، نتلَّمسُ طِفلةً مُعشَّشةً في أعماقِها، وتظهرُ برهافةٍ في فضاءَاتِ بوحِها وتجلّياتِ انبعاثِها.

اهتمّتْ نوميديا بالقراءَةِ مُنذُ المرحلةِ الابتدائيّةِ، فترعرعَ شَغفُ اللُّغةِ في أعماقِها وبدأتْ لُغتُها تتنامى عاماً بعدَ آخرَ، وراحَتْ تقرأُ كُتباً عَنِ التَّاريخِ والأدبِ والجغرافيا، وكأنَّها في رحلةٍ استكشافيّةٍ لهذهِ العوالمِ الرّحبةِ الَّتي كانَتْ تغوصُ في أعماقِها، وأصبحَتْ فضاءَاتُ اللُّغةِ مُجذَّرةً في أعماقِها، فَمَا وجدَتْ نفسَها إلَّا وهي مُندفعةٌ بكلِّ شَغفٍ لكتابةِ خواطرَ شعريّةٍ وهي في باكورةِ عُمرِها، وراحَتْ تتوغَّل رويداً رويداً عَبرَ حرفِها في فَضاءِ الشِّعرِ، وتكتُبُ أشعارَها وخواطرَها ونصوصَها، مُتأثِّرةً ببعضِ الشُّعراءِ والكتَّابِ. مستوحيةً رؤاها الشِّعريَّةَ وتجلّياتِ بوحِها مِنْ أنغامٍ موسيقيّةٍ رهيفةٍ، أو مِنْ بهاءِ الطَّبيعةِ، ومِنْ جَمالِ مَنظرٍ باهرٍ يشدُّها، وأحياناً تستنبطُ فكرةً ما مِنْ فضاءٍ فنّيٍّ ولوحةٍ فنّيّةٍ بديعةٍ، تنطلقُ مِنْ هاجسٍ ما، أو فكرةٍ ما ثمَّ تنمو هذهِ الفكرةُ إلى أنْ تغوصَ في مرافئِ القلبِ الشَّفيفةِ!

للزهورِ وجمالِ المُروجِ والبساتينِ والغَاباتِ بكلِّ تناغماتِ تلاوينِها أثرٌ مُبهجٌ في انبعاثِ الكتابةِ عِندَ نوميديا، ولتغريدِ الطُّيورِ في عُمقِ البساتينِ أثرٌ عميقٌ في دندناتِ شهوةِ الحَرفِ، كما للونِ السَّماءِ بزرقتِها الصَّافيةِ مَعَ غيومِها النَّاصعةِ في البياضِ. وترى الشَّجرةَ بكلِّ اخضرارِها مُتعانقةً مَعَ بوحِ القصيدةِ وانبلاجِها، وتمنحُها

زخماً شعريًّاً، وكأنَّهُ مُتدفِّقٌ على إيقاعِ نقراتِ حبَّاتِ المَطرِ وهي تنهمرُ فوقَ غاباتِ الحَنينِ، فَتُشْرِقُ جموحاتُ القصيدةِ على أنغامِ زخّاتِ المَطرِ فوقَ مآقي الأطفالِ في صَباحاتِ الأعيادِ، وكأنَّها هديَّةُ الهدايا.

كُلَّما غاصَتْ نوميديا جروفي في فضاءِ الشِّعرِ والكتابةِ ووهْجِ الإبداعِ، وجدَتِ الشِّعرَ بمثابةِ صديقِ الحُلُمِ المُجنَّحِ نحوَ مَنابعِ الذَّاكرةِ البعيدةِ، المُتراقصةِ على رحابةِ أمواجِ البحارِ، حيثُ يجرفُها الحَنينُ العَميقُ إلى ذكرياتِ عوالمِ الطُّفولةِ والصِّبا والشَّبابِ، فتجسِّدُ رؤاها بكلِّ ابتهالٍ في مُنعرجاتِ بوحِ القصائدِ، وتحملُ بينَ أجنحتِها رؤيةً تعارضُ ما يُحاكُ ضدَّ الإنسانِ وإنسانيَّةِ الإنسانِ، وهي مُندهشةٌ مِنْ وقوعِ الإنسانِ في نفسِ الأخطاءِ التَّاريخية الّتي وقعَ فيها، مُكرّراً الأخطاءَ الَّتي غاصَ فيها حتَّى النُّخاعِ ومَعَ هذا لَمْ يتّعظْ مِمّا حصلَ في تاريخِهِ الطَّويلِ، فمتى سيفهمُ أنَّ الحروبَ والصِّراعاتِ لا تجلبُ إلَّا الويلاتِ على جميعِ الأطرافِ؟!

وترى أنَّه لا بدَّ مِنْ رأبِ الصَّدْعِ المتفشّي في الخِلافاتِ المشرقيّةِ العربيّةِ وما يُحيطُ بها، بحيثُ تتعاونُ جميعُ الأطرافِ في مُعظمِ البُلدانِ العربيّةِ وتتعاونُ وتتآزرُ فيما بينها بِما فيهِ خيرُ ومصلحةُ الجميعِ، لأنَّ الصِّراعاتِ والحروبَ النَّاشبةَ دَمّرَتْ وتُدَمِّرُ الأخضرَ واليابسَ مِنْ دُونِ أنْ يربحَ أيُّ طرَفٍ مِنْ هذهِ الأطرافِ المتصارعةِ، ولا بدَّ مِنْ إيجادِ مخارجَ تُنهي هذه الصِّراعاتِ المتفشّيةَ بطريقةٍ تُفيدُ جَميعَ الأطرافِ المُتصارعةِ. وترى في جُموحِ الإنسانِ نحوَ المَناحي الإنسانيّةِ الرّاقيةِ ومنها محبّةُ الله، أنَّ هذهِ التَّطلُّعاتِ مِنْ شأنِها أنْ تحمي الإنسانَ ويحمي نفسَهُ بنفسِهِ مِنْ هذهِ التَّصارعاتِ، الَّتي تواجِهُنا بينَ الحينِ والآخرِ. وتستمدُّ جروفي وهْجَ الابتهالِ مِنْ دفءِ الشَّمسِ، حيثُ يلهمُها تجلّياتٍ وفضاءَاتٍ شاهقةً في مَسارِ بوحِ الحَرفِ، وبناءِ لُغةٍ مَجدولةٍ بإشراقةِ العَطاءِ على أنغامِ دندناتِ فيروز المخضَّبةِ بروحِ الصَّفاءِ والوئامِ والمحبّةِ وأشهى شهقاتِ الهناءِ، مُحتميةً برذاذاتِ المطرِ بكلِّ صفائِهِ، وهي تُضيءُ رِحابَ القصيدةِ. يمنحُها المطرُ غِبطةً، ويزيلُ عنها غبارَ الأحزانِ زارعاً في عوالمِها أزهى أنغامِ الموسيقى، وكأنَّ المطرَ يحملُ بينَ عوالمِهِ الإيقاعيّة دندناتٍ موسيقيّةً مُبهجةً للروحِ وسهولِ القلبِ بكلِّ ما فيها مِنْ حُبورٍ مُتماهٍ مَعَ فضاءِ الشِّعرِ، وتشعرُ بسعادةٍ غامرةٍ وكأنَّها تُعانقُ هِلالاتِ السَّماءِ في صَباحٍ مُضمّخٍ بانتعاشِ القلبِ وكأنَّها في رحلةِ عِناقٍ مَعَ مَذاقِ ابتهالاتِ بوحِ القَصيدةِ. الكتابةُ صديقةُ نوميديا جروفي، والشِّعرُ شهيقٌ مُندَّى بمَذاقِ الحَنينِ، تزهو شَوقاً إلى مرامي الشِّعرِ، تكتُبُ قصائدَها وكأنَّها في حالةِ انغماسٍ مَعَ رؤاها الَّتي تَنسابُ بينَ أجنحةِ تجلّياتِ البوحِ، تشعرُ بنشوةٍ عارمةٍ وهي تحلّقُ في مَنارةِ الغوصِ في آفاقِ الحرفِ، حتَّى وإنْ كانَ غوصُها في مَتاهةِ الأحزانِ المتراكمةِ فوقَ منكبيها، فهي تعانقُ أغصانَ الأنينِ، بكلِّ شَغفٍ شِعريٍّ، وتشعرُ وكأنَّ الشِّعرَ يُطهّرُها مِنْ تراكماتِ الحُزنِ، وينتشلُها مِنْ جراحِ السِّنينَ المُندلقةِ فوقَ كاهلِها، الشِّعرُ ملاذُها الآمِنُ مِنْ غدرِ هذا الزَّمانِ، بحبوحةُ فرحٍ في زَمنِ الانكسارِ، تُحلّقُ عالياً في مَتاهاتِ انبعاثِ الشِّعرِ، وكأنَّها في رحلةِ استكشافٍ لأوجاعِ الحَياةِ، وفي سِياقِ البحثِ عَمّا يُبهجُ القلبَ عَبرَ إشراقةٍ مُنعشةٍ للروحِ، لِما لديها مِنْ حساسيّةٍ مُرهِفةٍ في تذوُّقِ المُوسيقى، تُهدهِدُها في ذروةِ إصغائِها إلى رهافةِ أنغامِها، وتمنحُها طاقةً انبعاثيَّةً في بهاءِ البوحِ وإشراقةِ الحرفِ. الموسيقى تمنحُ شهقةَ الحرفِ بهاءً ساطعاً في خمائلِ الخيالِ، وتكبحُ الأحزانَ العالقةَ في تكويرةِ الذَّاكرةِ بكلِّ تشظّياتِ

سُطوعِها، الموسيقى صديقةُ ليلِها ونهارِها، وإحدى مصادرِ إلهامِها، فقد انغمسَتْ في فضاءِ الموسيقى انغماساً مُبهراً، وبدأَتْ تعزفُ على البيانو مُنذُ صِغرِها، وتتعاطفُ مَعَ الحيواناتِ الأهليّةِ والطُّيورِ منذُ بواكيرِ عُمرِها حتَّى الآنَ، وتمنحُها سعادةً عميقةً، وتشعرُ في قرارةِ نفسِها كأنّها يمامةُ وئامٍ، تحلّقُ في الأعالي، تفرشُ أجنحتَها للفرحِ والمَحبّة والهناءِ. وترى في هذا الفضاءِ، أنَّ الكتابةَ بمختلفِ صنوفِها وتجلّياتِها هي الصَّديقةُ الوفيَّةُ في زمَنٍ مُفخَّخٍ بِكلِّ أنواعِ الشُّرورِ والقُبْحِ والغَدرِ، تترجمُ عَبرَها ما يختلجُ في مِخيالِها مِنْ رؤى باذخةٍ في انبعاثِها، إلى أنْ أصبحَتْ متنفَّسَها الصَّافي مِنْ غُبارِ هذا الزَّمانِ، وتمنحُها مُهجةَ الحياةِ الحقّةِ، وتجعلُها في حالةِ فَرحٍ وهناءٍ لِما في الكتابةِ مِنْ مُتعةٍ غامرةٍ في انبعاثِ شَهوةِ الحرفِ.

تصوغُ فضاءَاتِها التَّأمُّلاتيّةَ مِنْ روعةِ الموسيقى، والطَّبيعةِ الخلّابةِ، وضياءِ الشَّمسِ، وتجلّياتِ أغاني فيروز، وفضاءَاتِ جبران وهو يحلّقُ في أشهى مذاقِ الإبداعِ، والسَّلامُ أحدُ أركانِ راحتِها النَّفسيّةِ، ويرسّخُ في مُحيّاها بسمةَ الحياةِ، ويغدِقُ عليها سروراً وسعادةً، ويكبحُ الأسى والأنينَ، ويفتحُ كوَّةً مِنَ الفرحِ لنا، تَحقيقاً لإرواءِ عطشِنا المترامي حولَنا، للوصولِ إلى الهُدوءِ والسَّكينةِ، بعيداً عَنْ نيرانِ الحُروبِ، وجنونِ الصَّولجانِ!

تجنحُ الأديبة نوميديا جروفي نحوَ فضاءَاتِ القصّةِ القصيرةِ، فتكتبُ القصّةَ بمهارةٍ، مُركِّزةً على تجسيدِ رؤاها المنبعثةِ مِنْ وهْجِ الإيمانِ الرَّصينِ، والوئامِ ورحابِ السَّلامِ، فتسخِّرُ قصصَها لتحقيقِ هذهِ التَّطلُّعاتِ الَّتي تسعى إلى ترسيخِها في مُتونِ قصصِها وسرديّاتِها، كي توصِلَ آفاقَ رؤاها للمتلقّي بعُمقٍ، بأسلوبٍ سلسٍ ومُعبّرٍ، وسهلٍ، تنطلقُ مِنْ حَدَثٍ ما، فكرةٍ ما، دامجةً الأحداثَ المأخوذةَ مِنْ وقائعِ الحياةِ في آفاقِ الخيالِ، فتولدُ قصصُها مَحبوكةً مِنَ الواقعِ والخيالِ بانسيابيّةٍ. وتفردُ مِساحةً مِنْ وقتِها لكتابةِ المقالِ والنَّقدِ الأدبي، ولها باعٌ رهيفٌ في اختيارِ مواضيعِ مقالاتِها وكتابتِها بطريقةٍ سهلةٍ وسلسةٍ، غائصةً في تجسيدِ وجهاتِ نظرِها الفكريّةِ وآفاقِ تطلُّعاتِها بكلِ شَغفٍ، كما تنتقي الكتبَ الَّتي تقدِّمُ عنها دراساتِها النَّقديَّةَ والتَّحليليَّةَ، فتأتي دراساتُها عميقةً ومُعبّرةً عَنِ الأهدافِ الّتي توخَّاها الشَّاعرُ والقاصُّ والرّوائيُّ مِنْ كتاباتِهِ، وترى أنَّ لكلِّ جنسٍ أدبيٍّ عالمُهُ وفضاؤهُ الخاصُّ بتجلّياتِ انبعاثِهِ، وتعرفُ الحدودَ الفاصلةَ بينَ فضاءَاتِ هذهِ الأجناسِ الأدبيّةِ، وبناءً على خصوصيّةِ كلِّ جنسٍ أدبيٍّ تبني كتاباتِها، فتولدُ بطريقةٍ متآلفةٍ مَعَ عوالمِ الأجناسِ الأدبيَّةِ الّتي تحبكُها ببراعةٍ ورشاقةٍ.

يتناثرُ حَبقُ الشِّعرِ في مُروجِ سرديَّاتِها، لأنَّ انبعاثَ الشِّعرِ يولدُ تلقائيّاً في فضاءَاتِ القصصِ، فيأتي حبقُ الشِّعرِ طريّاً رهيفاً في مَذاقِ القصصِ الَّتي تَنسجُها برهافةٍ شفيفةٍ، فتُصبِحُ القصّةُ عندها متعانقةً مَعَ توشيحاتٍ شعريّةٍ، موائمةٍ مَعَ خيوطِ القصَّةِ الّتي تنبعثُ مِنْ فضائِها المُنسابِ مَعَ تجلّياتِ تدفُّقاتِها السَّرديَّةِ.

تكتبُ نصوصَها وكتاباتِها بمختلفِ الأجناسِ الأدبيّةِ على الحاسوبِ مباشرةً، مُلتقطةً فكرةً مُشرقةً في ذهنِها، وتترعرعُ الفكرةُ بحسبِ ما يوائمُ فضاءَها في التَّجلّي، قصةً كانَتْ أو شعراً أو مَقالاً، ثمَّ تغوصُ في عالمِها، إلى أنْ تصلَ إلى خاتمةِ ما تكتبُهُ، ثمَّ تقومُ بمراجعتِهِ إلى أنْ يكتملَ ما تتوخّاهُ مِنْ بنائِها الفنّي، وهي تكتبُ

لأنَّها تجدُ في الكتابةِ مُتنفّساً رحباً لها، وهي فسحةٌ للراحةِ والاستمتاعِ بِما يموجُ في مُروجِ الخيالِ، وما يندلقُ فوقَ ناصيةِ الورقِ أو الحاسوبِ، والكتابةُ عندَها بمثابةِ أنغامٍ موسيقيَّةٍ مُبهجةٍ للقلبِ والذّاكرةِ والخيالِ!

تكتبُ نوميديا لذاتِها إشباعاً لشغفِها وبوحِها وتوقِها لمهجةِ الحَرفِ، وتقدّمُ رؤاها للمتلقّي، تكتبُ لنفسِها وللمتلقّي مَعاً، وكأنَّ الآخرَ أو المُتلقّي جزءٌ مِنها أو هي جزءٌ مِنهُ، أو نحنُ مُتعانقونَ عَبرَ ذواتِنا مَعَ بعضِنا بعضاً. وتهتمُّ جروفي بقراءَاتٍ سينمائيّةٍ شرقيّةٍ وغربيّةٍ، وترى واقعَ السَّينما في العالمِ العربيّ بشكلٍ خاصّ، يحتاجُ إلى الكثيرِ مِنَ القراءَاتِ والتَّحليلاتِ والمُناقشاتِ والدَّعمِ الكبيرِ لرفعِ مستوى واقعِ السِّينما، لِما عليهِ مِنْ تَراجُعٍ، كما تهتمُّ في عالمِ المسرحِ، والإخراجِ، وكتابةِ النُّصوصِ المسرحيّةِ، وترى أنَّ هناكَ نقصاً كبيراً في الإعلامِ العربيّ في التَّركيزِ على البرامجِ الأدبيَّةِ والحواريَّةِ في فضاءَاتِ الإبداعِ الرَّاقي، وترى مِنَ الضَّروري التَّركيزَ على تأسيسِ ورشاتٍ خاصَّةٍ بالتَّرجمةِ لِما لها مِنْ دورٍ فعَّالٍ في ترويجِ إبداعِ الأدبِ الشَّرقيّ والغربيّ والعالميّ. كما ترى في تفعيلِ أدبِ الحوارِ تأثيراً فعَّالاً في ترويجِ مُختلفِ ثقافاتِ العالمِ. وللكاتبةِ باعٌ كبيرٌ في فضاءِ البُحوثِ حولَ التَّاريخِ الموغلِ في القِدمِ، وفي الأساطيرِ الشَّرقيَّةِ والغربيَّةِ والعالميّةِ، لأنَّ عوالمَ هذهِ الفضاءَاتِ تُعمّقُ خيالَها وتمنحُها فضاءً رهيفاً وشامخاً للكتابةِ.

قدَّمَتِ الأديبة نوميديا جروفي عبرَ مسيرتها الأدبية، العديدَ مِنَ الدِّراساتِ النَّقديّةِ والتَّحليليّةِ، وأصدرت عدّةَ كُتبٍ في مَجالِ النَّقدِ والتَّحليلِ، عَنِ تجربةِ بعضِ الكتَّابِ والكاتباتِ الجزائريّين والجزائريَّاتِ، وعَنْ تجاربِ عدّةِ كُتّابٍ وكاتباتٍ مِنْ بعضِ الدُّولِ العربيّةِ، وتشتغلُ عَبرَ كتاباتِها على نشرِ ثقافةِ السَّلامِ والمَحبَّةِ بينَ البشرِ وهذا هو أحدُ أهم اهتماماتِها في فضاءِ الكتابةِ، وتدافعُ عَنِ الشُّعوبِ المظلومةِ أينما كانَتْ. وتنظرُ إلى الكتابةِ والنَّشرِ والإبداعِ وكأنّها فضاءَاتٌ مُتعانقةٌ مَعَ عالمِ الموسيقى والعزفِ والرَّسمِ، وتشعرُ بالفرحِ والغِبطةِ عندما تقدّمُ إبداعَها للقارئِ وترى البسمةَ مرتسمةً على وجوهِ قرَّائها وقارئاتِها.

تتميّزُ الأديبّةُ والنّاقدةُ الجزائريّة نوميديا جروفي بقلمٍ رصينٍ، لِما تحملُ مِنْ ثقافةٍ واسعةٍ في مجالِ الأدبِ والفكرِ المستنيرِ، ورؤاها منفتحةٌ على فضاءَاتٍ رحبةٍ، ولها اهتمامٌ كبيرٌ بالوقوفِ مَعَ الأقلّياتِ المُهمّشةِ. تحملُ بين أجنحتها رؤيةً تنويريّةً ووئاميّةً، وآفاقاً روحانيّةً صوفيّةً شفيفةً، تصبُّ رؤاها ووجهاتُ نظرِها في مرافئِ السَّلامِ والإبداعِ الخلّاقِ، وتعتبرُ الكتابةَ رسالةً إنسانيّةً، تُساهمُ في تطويرِ وتحديثِ وتنويرِ البلادِ في دُنيا الشَّرقِ والعالمِ العربيّ وفي سائرِ أنحاءِ المعمورةِ.

ستوكهولم: حزيران (يونيو) 2024

الأديب الموسوعي والمربّي اللُّبناني المعلّم بطرس البستاني
أَلَّفَ أَوَّلَ موسوعةٍ عربيّةٍ، "دائرة المعارف": قاموس عام لكُلِّ فنٍّ ومَطلبٍ



بطرس البستاني

94

وُلِدَ الأديبُ بطرس البستاني في قريةِ الدِّبِيَّةِ التَّابعةِ لمناطقِ الشُّوفِ في لبنانَ عام 1819م، ثمَّ التحقَ بمدرسةِ "عين ورقة" وتعلَّمَ في هذهِ المدرسةِ العديدَ مِنَ اللُّغاتِ كالسِّريانيّةِ والإيطاليّةِ واللَّاتينيةِ والفرنسيّة والعَربيّةِ، وتعلَّمَ لاحقاً اليونانيّة والعبريّة أيضاً، وكانَ لديهِ شغفٌ في سَبرِ فضاءَاتِ العلومِ الإنسانيّةِ، وتخصَّصَ في الفلسفةِ واللَّاهوتِ والشَّرعِ الكنسي، وتعمَّقَ في دراسةِ اللُّغاتِ بنحوِها وصرفِها، وتبحَّرَ في اللُّغةِ العربيّةِ، إلى أنْ غدا أستاذَ الأساتذةِ، ولُقِّبَ بالمعلّمِ بطرس. انتقلَ في العام 1940 إلى بيروتَ واتصلَ مَعَ المبعوثينَ الأميريكيّينَ، كي يدرّسَهم اللُّغةَ العربيّةَ على أصولِها وقواعدِها، وحقَّقَ نجاحاً في مَجالِ التَّعليمِ، كما عرَّبَ العديدَ مِنَ الكُتُبِ، وأشرفَ على إدارةِ المَطابعِ آنذاكَ، وتعَيَّنَ في عامِ 1860 أستاذاً في مدرسةِ عبية، كانَ مُعلّماً مُتميّزاً في طريقةِ تعليمِهِ، وتدريسِهِ اللُّغةَ العربيّةَ، لِما كانَ لديهِ مِنْ إلمامٍ كبيرٍ في فقهِ اللُّغةِ وقواعدِها وآدابِها، وهذا ما جعلَهُ يُصبِحُ مُترجماً في القنصليّةِ الأميريكيّةِ في بيروتَ، وتميّزَ هذا الأديبُ الموسوعيُّ بنشاطاتِهِ المُتعدّدةِ في الكثيرِ منْ المَناحي الفكريّةِ والثَّقافيّةِ واللُّغويّةِ والإعلاميَّةِ. أسَّسَ جريدةَ "نفير سورية"، وكانَتْ أوَّلَ جريدةٍ تحملُ بُعْداً وطنيّاً راقياً، تَهدفُ إلى نَشرِ الوعي في صُفوفِ الشَّعبِ، ونبذِ الأحقادِ بينَ الأطرافِ المتصارعةِ، ورأى أنَّ القلوبَ لا تتَّفقُ إلَّا إذا اعتادَتِ الاتِّحادَ والوئامَ، وأسَّسَ مدرسةً وطنيّةً، وترأسَ مدرسةَ الأحدِ في بيروتَ خمسَ عشرةَ سنةً، وترجمَ لها عدَةَ رسائلَ دينيّةٍ، دعا فيها إلى تربيةِ الأولادِ والإمساكِ عَنِ المسكَّراتِ، وسنَّ قانونًا للمدرسةِ الدَّاوووديّةِ الَّتي أنشأَها المرحومُ داوود باشا، وكانَ كثيرَ الحَثِّ على تعليمِ النِّساءِ، وهو أوَّلُ مَنْ خَطبَ في هذا الموضوعِ في رحابِ الشَّرقِ، ولَهُ خطبٌ كثيرةٌ تلاها على مَنابرَ بيروتَ وفي جمعيَّاتِها، ومقالاتٍ جمَّةً نشرَها في جرائدِهِ، كلُّها فوائدُ، تبنَّتِ المدرسةُ الوطنيّةُ الّتي أسَّسَها آفاقاً رائدةً في التَّطويرِ والتَّنويرِ، والتحقَ بها الطُّلَّابُ مِنْ مُختلفِ الطَّوائفِ ومِنْ أغلبِ المُدُنِ والمَناطقِ اللُّبنانيّةِ.

يُعَدُّ هذا الأديبُ والمؤرِّخُ الموسوعيُّ بطرس البستاني، مِنْ أوائلِ المفكّرينَ المُبدعينَ الَّذينَ نادَوْا بتعليمِ المرأةِ وتحريرِها أُسوةً بالرَّجلِ، لِمَا لها مِنْ دورٍ كبيرٍ في استنهاضِ وتطويرِ المُجتمعِ الّتي تَعيشُ فيهِ جنباً إلى جَنبٍ مَعَ الرَّجلِ، ويُعَدُّ أحدَ أقطابِ النَّهضةِ العربيَّةِ الحديثةِ، لِما امتلكَ مِنْ رؤيةٍ خلّاقةٍ في آفاقِ المَعرفةِ التَّنويريَّةِ، لهذا وجدناهُ قَدْ ترجمَ وألَّفَ العديدَ مِنَ الكُتُبِ في فضاءِ اللُّغةِ والحسابِ والنَّحوِ والصَّرفِ والأدبِ بمُختلفِ أجناسِهِ الإبداعيّةِ، ولديهِ الكثيرُ مِنَ الخُطُبِ والمقالاتِ والمُحاضراتِ الّتي نشرَها في العديدِ مِنَ الصُحفِ والمجلّاتِ والكُتبِ. رحلةٌ مكثَّفةٌ حافلةٌ بالعَطاءَاتِ الخلّاقةِ على أكثرِ مِنْ صعيدٍ بإبداعيٍّ.

وتُعَدُّ سلسلةُ "دائرة المعارف"، مِنَ الإصداراتِ البارزةِ في تجربتِهِ الرّائدةِ في كتابةِ وتبويبِ المعرفةِ مِنْ بابِها العريضِ، فقَدْ نشرَها في أحدَ عشرَ مجلَّداً، وهي قاموسٌ شاملٌ لسائرِ العُلومِ على اختلافِ مواضيعِها وأزمانِها، وهذا الإصدارُ كتابٌ فريدٌ، لَم ينسُجْ أحدٌ على منوالِهِ في اللُّغةِ العربيَّةِ، ويعرِّفُها البستاني على "إنَّها قاموسٌ عامٌّ لكلِّ فنٍّ ومطلبٍ". وقَدْ أصدرَ ستةَ أجزاءٍ في حياتِهِ، وتُوفي وهو في بدايةِ الجزءِ السَّابعِ، فأتمَّ السَّابعَ والثَّامنَ ابنُهُ سليم، ولكنَّهُ تُوفي قبلَ الشُّروعِ في الجزءِ التَّاسعِ، فأصدرَ أبناؤُهُ الباقونَ الجُزءَ التَّاسعَ بمعاضدةِ ابنِ عمِّهِم سليمان أفندي البستاني، ثمَّ حالَتْ موانعُ عديدةٌ، أدَّتْ هذهِ الموانعُ إلى إيقافِ العملِ في بيروتَ، ومضَتْ على ذلكَ بضعُ سنواتٍ إلى أنْ سافرَ إلى القاهرة سليمان أفندي، وبدأَ في إتمامِ الدّائرةِ مَعَ ابنَي عَمِّهِ نجيب أفندي ونسيب أفندي البستاني، فصدرَ الجزءُ العاشرُ ثمَّ الحادي عشر.

والبستاني، هذا الأديبُ الموسوعي هو أوَّلُ مَنْ ألَّفَ قاموساً عربيّاً عصريّاً مطوَّلاً، وسدَّ فراغاً كبيراً، افتقرَتْ إليهِ المكتبةُ العربيَّةُ آنذاكَ، وقدْ انتهى مِنْ تأليفِ قاموسِ محيط المحيط في سنة 1869 م، اشتغلَ على إعدادِهِ وتبويبِهِ ومراجعتِهِ بكلِّ هدوءٍ وصبرٍ ودقَّةٍ لسنواتٍ مديدةٍ، واستمدَّ ما جاءَ فيهِ، مِنْ أهمِّ منابعِ اللُّغةِ العربيّةِ، ومِنَ العديدِ مِنَ المَصادرِ المُتاحةِ آنذاكَ،؛ وامتازَ هذا القاموسُ عنْ المَعاجمِ كلِّها لشموليَّتِهِ الواسعةِ، وقد بوَّبَهُ ضمنَ مَساراتٍ شاملةٍ في رِحابِ غوصِهِ وابحارِهِ في أغوارِ اللُّغةِ بكلِّ تفاصيلِها ودقائقِها ومعانيها المُتنوّعةِ، فقَدْ بوَّبَ القاموسَ على حُرُوفِ المُعجَمِ باعتبارِ الحرفِ الأوَّلِ مِنَ الثُّلاثي المجرَّدِ. وجمعَ فيهِ الكثيرَ مِنَ الألفاظِ العاميّةِ وفَسَّرَها بالفُصحى وشرحَها شرحاً وافياً، وأوضحَ الكثيرَ مِنَ المفرداتِ ذاتِ الأُصُولِ الأعجميَّةِ والّتي كانَتْ مَجهولةً ومُهملةً. كَما أدخلَ في مُعجَمِهِ الكثيرَ مِنَ المُصطلَحاتِ الَّتي حدثَتْ في اللُّغةِ بحُدُوثِ العُلومِ الحديثةِ المنقولةِ عَنِ اللُّغاتِ الأعجميّةِ، إضافةً إلى عرضِ عبارتِهِ بسهولةٍ ووضوحٍ، فاستوفى القاموسُ أغراضَهُ بشكلٍ دقيقٍ للغايةِ، وأصبحَ مرجعاً مُهمّاً، وحقَّقَ حاجةَ الطُّلَّابِ والطَّالباتِ بمختلفِ مستوياتِهم الدِّراسيَّةِ، وحاجةَ كلِّ مَنْ لديهِ اهتمامٌ في اللُّغةِ العربيَّةِ على أكملِ وجهٍ، وانتشرَ القاموسُ انتشاراً واسعاً في العالمِ العربي، وحقَّقَ نجاحاً باهراً. ويعتبرُ قاموسُ محيطِ المحيطِ أوَّلَ قاموسٍ عصريٍّ في اللُّغةِ العربيَّةِ، طبعَهُ البستاني في مجلَّدَينِ كبيرَينِ في بيروتَ، صدرَ الأوَّلُ سنةَ 1867 م، وصدرَ الثَّاني سنة 1870 م. ونالَ البستاني عدّةَ جوائزَ على إعدادِ وتبويبِ وتأليفِ هذا القاموسِ الموسوعيِّ الكبيرِ والَّذي أصبحَ مَرجعاً للمهتمّينَ باللُّغةِ العربيَّةِ وآدابِها في ربوعِ الشَّرقِ والغربِ!

فقَدْ نهلَ مِنَ العلمِ والمعرفةِ كثيراً، وألَّفَ العديدَ مِنَ الكتبِ وطبعَها ونشرَها. وأسَّسَ المَدارسَ الّتي لها آفاقٌ وطنيّةٌ، وفي عامِ 1870 أسَّسَ مجلةً علميّةً أدبيّةً سياسيّةً أطلقَ عليها عنوان: "الجنان"، وأسندَ إدارتَها لابنِهِ سليم، وتضمّنت مجلة "الجنان" أفكاراً تنويريَّةً عكسَتْ أهمّ آراء البستاني، إذْ أكدّ فيها على أهمّيَّةِ روحِ العصرِ، كعاملٍ حاسمٍ في تطوّرِ الشُّعوبِ والأممِ. ونسبَ البستاني هذهِ الرُّوحَ إلى مبادئِ الثَّورةِ الفرنسيَّةِ القائمةِ على الحرّيَّةِ والعدالةِ والمساواةِ، وسيطرةِ الحقّ، والنِّظامِ، والقانونِ. ورأى في هذا السَّياقِ أنَّ الشَّرقَ الَّذي كانَ مُزدهراً في غابرِ الأزمانِ، عندما كانَتْ لهم مدنيَّةٌ مؤسَّسةً على العلمِ والعدلِ، دانَتِ النَّهضةُ الأوروبّيةُ الحديثةُ لهم في منظوماتِها العلميَّةِ والأدبيَّةِ والأخلاقيَّةِ. ولكِنْ عندما سقطَتْ رغبةُ العلمِ عَنْهم، وذهبَتْ حاجتُهم إليه، نتيجةَ عدّةِ عواملَ، انتقلَ العلمُ إلى أوروبا وتطوَّرَ فيها، وانتهتِ الأحوالُ في الشَّرقِ العربيّ إلى الانحطاطِ بسببِ الحكوماتِ الفاسدةِ. وفي منتصفِ العام 1870 استعانَ ابنُهُ سليم في تأسيسِ صحيفةٍ سياسيّةٍ أطلقَ عليها: الجنّة، وكانَتْ مِنْ أقدمِ الجرائدِ السِّياسيّةِ النَّاطقةِ بالعربيَّةِ في بلادِ الشّامِ، وأعقبَها إصدارُ جريدةِ الجنينةِ، وهذهِ الأخيرةُ تولّى رئاسةَ تحريرِها ابنُ عمّهِ سليمان البستاني، وهكذا فإنَّ آلَ البستاني كانَ لهم باعٌ كبيرٌ في إصدارِ الصُّحفِ والمجلَّاتِ وتأليفِ المَعاجمِ وكتابةِ الأدبِ بمختلفِ أجناسِهِ الأدبيَّةِ والفكريَّةِ واللُّغويّةِ.

يُعدُّ البُستاني المُلقَّب بالمعلّمِ بطرس مِنْ أكبرِ زُعماءِ النَّهضةِ العربيَّةِ الحديثةِ. لأنَّهُ أحدُ روّادِ الفكرِ التَّنويري في عصرِهِ، كانَ حازماً، نشيطاً، ما كان يتردَّدُ كلَّما خطَّطَ بالبدءِ بمشروعٍ أدبيّ، أو عملٍ وطنيّ، أو إداريّ وفكريّ لأيّةِ مؤسَّسةٍ وطنيَّةٍ تطلبُ منهُ الاستشارةَ، وإذا بدأَ بعملٍ أدبيّ أو فكريّ أو يتعلَّقُ بالخدماتِ المُجتمعيّةِ، ما كانَ يتلكّأُ أبداً، مواظباً على العملِ حتّى ينتهي منهُ على أكملِ وجهٍ، وإذا افتقدوهُ ليلًا أو نهاراً، عثروا عليه في مكتبِهِ بينَ كُتُبِهِ وأوراقِهِ. ما كانَ يشعرُ بالملِ أو الضَّجرِ، لِما كانَ يصادفُهُ مِنْ صُعوباتٍ وعقباتٍ، فقَدْ كانَ في ذُروةِ نبوغِهِ وعطائِهِ رَغمَ كلِّ ما كانَ يعتريهِ مِنْ عوائقَ في ذلكَ الوقتِ العصيبِ، حيثُ ما كانَ أغلبُ النّاسِ مُعتادينَ على قراءَةِ الصُّحفِ والمَجلّات والكُتبِ، ومَعَ كلِّ تلكَ الظُّروفِ المُصاحبةِ لعصرِهِ، قدَّمَ أعمالاً يُصعبُ على مجموعةِ كتَّابِ القيامُ بما قامَ بِهِ، وكأنَّهُ ورشةُ عَملٍ بمُفردِهِ، لِما كانَ لديهِ مِنْ طاقةٍ خلَّاقةٍ في العطاءِ والإبداعِ والتَّعليمِ، فقد كانَ يؤلِّفُ رؤاهُ بكلِّ حَصافةٍ ورصانةٍ، ويعلِّمُ طلّابَهُ ويترجمُ ما يتطلَّبُ ترجمتُهُ، ويُديرُ أعمالَهُ المتعدِّدَةَ إدارةً دقيقةً، ويُراسلُ عُمَّالَهُ ويتواصلُ مَعَ أصدقائِهِ، ويوازنُ حساباتِهِ ويشرفُ على إدارةِ مدرستِهِ عِلماً وعَملاً، إضافةً إلى ما كانَ يقومُ بِهِ مِنْ مُساعداتٍ أدبيَّةٍ لِمَن يقصدُونَهُ ويستشيرونَهُ ويستعينونَ بِهِ في الكثيرِ مِنَ القضايا الفكريّةِ والأدبيّةِ والتَّعليميّةِ، فيلبّي طلباتِهم، ويجيبُ عَنْ تساؤلاتِهم وما يحتاجونَ إليهِ. كما كانَ يحضرُ اجتماعاتِ الجمعيَّاتِ، ويقدِّمُ الخُطبَ والمواعظَ، ويستقبلُ الزَّائرينَ بوجهٍ بشوشٍ، فلا يعودُ أحدٌ مِنْ مراجعيهِ، إلَّا شاكراً ومُعجباً بلطفِهِ وغيرتِهِ. كانَ دَمِثَ الأخلاقِ، ليّناً في تعاملِهِ، صادقَ النِّيةِ، مُحِبَّاً لوطنِهِ ودولتِهِ، كريمَ الخُلُقِ، بعيدًا عَنِ التَّعصُّبِ، يكرهُ التَّملُّقَ والرِّياءَ، سَخيّاً للغايةِ على المشروعاتِ الأدبيَّةِ، بسيطَ المَعشرِ، يسترضي جليسَهُ شابّاً كانَ أو شيخاً، وكانَ يرى أنَّ المصالحَ العامَّةَ أساسُ كُلِّ تقدُّمٍ، فيبذلُ قُصارى جهدِهِ في تأييدِها، متَّخذاً مِنَ الصِّدقِ شِعاراً، ومِنَ النَّشاطِ برنامجَ حياةٍ.

دعا الأديبُ الكبيرُ بطرس البستاني إلى إقامةِ حكوماتٍ عادلةٍ، ترتكزُ على العدالةِ، وفَصْلِ السُّلطةِ السِّياسيَّةِ عَنِ السُّلطةِ الدّينيّةِ، وفَصْلِ السُّلطةِ القضائيَّةِ والتَّشريعيَّةِ عَنِ السُّلطةِ التَّنفيذيّةِ، وإدخالِ التَّعليمِ الإلزاميّ للجميعِ. مؤكّداً على توحيدِ صفوفِ السُّكَّانِ، ورصِّها على أساسِ المَشاعرِ الوطنيَّةِ مِنْ دونِ أي تمييزٍ، وأكَّدَ على أنَّ شعوبَ الشَّرقِ لا تستطيعُ أنْ تمضيَ في طريقِ التَّطويرِ والتّنويرِ والرُّقيّ السَّريعِ إلَّا بالاعتمادِ على نشرِ ثقافةِ التَّنويرِ المُمَاثلةِ للثقافةِ الأوروبّيّةِ الَّتي تنطلقُ مِنَ المعرفةِ العميقةِ والعملِ في إطارِ العدالةِ الاجتماعيّةِ. ولكي يستعيدَ العربُ دورَهم الحضاريَّ مِنْ جديدٍ، فلا بدَّ مِنْ أنْ يحْذُوا حذوَ أوروبا بِما هو ضروريٌّ ومناسبٌ لهم، وفي نفسِ الوقتِ رفضَ البستاني كلَّ ما هو غربي لا يلائمُ الواقعَ العربيَّ وثقافتَهُ، ورفعَ شعارَ "حبُّ الوطنِ مِنَ الإيمانِ" بهدفِ جَمْعِ كلمةِ الأمَّةِ، وخاصَّةً بعدَ حوادثِ 1860 الدَّاميةِ في لبنانَ. وأصبحَ شعارُهُ مَطلباً رئيسيَّاً للعلمانيّةِ وهي ترفعُ شِعارَ "الدِّينُ للهِ والوطنُ للجميعِ" إلى يومِنا هذا.

يقولُ جرجي زيدان واصفاً الأديبَ بطرس البستاني: "في عصرِهِ زعيم الحركة الأدبيَّة في سورية مِنْ حيثُ المدارسُ والجمعيَّاتُ والجرائدُ والمجلَّاتُ واللُّغةُ والعلمُ والأدبُ". فهذا الأديبُ الموسوعيُّ والمؤرّخُ الكبيرُ، قدَّمَ هذه النّابغةُ لوطنِهِ عطاءَاتٍ شاهقةً في فضاءِ الأدبِ والفكرِ والمعاجمِ والتَّنويرِ والتَّرجمةِ، ما لم يقدِّمُهُ غيرُهُ مِنَ الأدباءِ والمفكّرين ضمنَّ الظروفِ الَّتي رافقتْهُ في عصرِهِ الَّذي ما كانَتْ تتوافرُ التَّقنياتُ الحاليّةُ ولا بنسبةٍ ضيئلةٍ مِمَّا يتوفَّرُ الآنَ لأغلبِ المبدعينَ والمُبدعاتِ.

وقَدْ نالَ على معجمِ محيط المحيط، وهو أوَّلُ قاموسٍ عصريٍّ في اللُّغةِ العربيّةِ، طبعَهُ فى مجلَّدَينِ كبيرَينِ في بيروتَ عام 1870م ورفعَهُ إلى السُّلطانِ العثماني، ونالَ عليهِ الوسامَ المجيدي الثَّالثَ ولا يزالُ هذا المعجمُ أحدَ أهمّ المعاجمِ العربيّةِ الحديثةِ، كما اشتركَ البستاني في إنجازِ ترجمةِ الكتَّابِ المقدَّسِ مِنَ اللُّغةِ الأصليَّةِ بالكاملِ إلى اللُّغةِ العربيَّةِ الَّذي انتهَتْ ترجمَتُهُ في 23 آب (أغسطس) سنة 1864.

توفيَ الأديبُ الموسوعيُّ بطرس البستاني سنة 1883 بعدَ حياةٍ حافلةٍ بعطاءَاتٍ خلَّاقةٍ، سطَّرَها بأعمالِهِ الخالدةِ في خِدمةِ الوطنِ والعلمِ والأدبِ والفكرِ التَّنويري، وقَدْ كانَ مِثالاً للعطاءِ الدَّؤوبِ، وخلَّدَ إرثًا معرفِيَّاً ضخماً للأجيالِ القادمةِ، وعندما انتشرَ خبرُ وفاتِهِ في البلادِ، اهتزَّتْ لَهُ أنحاءُ المشرقِ؛ وفقدَ الوطنُ برحيلِهِ رُكناً مِنْ أقوى أركانِهِ في نهضتِهِ الأخيرةِ، وتركَ فراغاً على السَّاحةِ الثَّقافيَّةِ، فبكاهُ الأهلُ والأصدقاءُ، وأبَّنَهُ الخطباءُ والعلماءُ تأبيناً يليقُ بعطاءَاتِهِ، ورثاهُ الكتَّابُ والشُّعراءُ مِنْ كلِّ الأطيافِ.

ستوكهولم: تمُّوز (يوليو) 2024

هوامش: مصادر هذا المقال مِنَ الويكيبيديا العالميّة.

سميحة التّميمي شاعرةٌ مجنّحةٌ نحوَ الماءِ الزُّلالِ، وروائيّةُ مسكونةٌ بوهجِ التّنويرِ وإنسانيّةِ الإنسان!



سميحة التميمي

95

المبدعة الأردنيّة الخلّاقة سميحة التَّميمي، تَتَوغَّلينَ في مرامي الزَّمنِ برؤيةٍ بانوراميّةٍ شامِخةٍ شُموخَ الكلمةِ المنبثقةِ مِنْ رؤيةٍ استبطانيَّةٍ عَميقةٍ، وتُمْعنينَ النَّظرَ في السّنينِ القادِمةِ، فلا ترينَ إلَّا التّيهَ المُخيَّمَ على دُنيانا المُثخَّنِ بالجراحِ، تُرجّبينَ بما يَموجُ حولَكِ مِن انكساراتٍ، وتفتَحينَ كوَّةَ الصَّمْتِ مِنْ أوسعِ رِحَابِها، وتجدينَ مِساحةً فَسيحةً مِنَ الجَمالِ في مَرامي فَضاءِ الصَّمْتِ وأنْتِ تَغوصينَ عَميقاً في سَبْرِ مَنابِعِكِ الدَّاخليّةِ المُرفرِفةِ فوقَ آفَاقِ فَضاءِ الرُّوحِ، وتَسبُرينَ في أوجِ غوصِكِ أغوارَ يَمِّكِ المُجنَّحةَ نحوَ عُذوبةِ المَاءِ الزُّلالِ. تكتشفينَ ما فاتَنا مِنْ آفاقٍ رهيفةٍ في جُموحِ الحَرفِ، يزهو انبعاثُكِ ألقاً في بِحارِ الغوصِ في إشراقةِ هِلالاتِ التَّجلّي. تَمتلكينَ بَوحاً ورُؤيةً شاهِقةً في شَهْوةِ الانبعاثِ بأصفى آفاقِ العُبورِ إلى مَكنوناتِ جُموحِ الرُّوحِ. مَسكونةٌ في عَرينِ حَرْفٍ مُكتَنِزٍ بأزهى خَميلةِ الانبعاثِ ومُزدانٍ بصورٍ طافحةٍ بأريجِ الورْدِ، وتدفُّقاتِ وَهْجِ الشِّعرِ المُتناغِمِ مَعَ أصفى حَالاتِ التَّجلّي، وأزهى انبلاجِ الحِبرِ في سَماءِ البَوحِ على مِساحَاتِ جُموحِ الخَيالِ.

ترتسمُ أمامَكِ إشراقةُ الحَرفِ وأنْتِ في أوْجِ صَفائِكِ الذِّهني، كأنَّكِ في رحلةِ بحثٍ عَنْ دُرَرِ الحياةِ. رؤاكِ متوَّجةٌ برحيقِ الشِّعرِ الخلَّاقِ، وأريجِ الأزاهيرِ المُعبّقةِ في حَنايا القلبِ، تُرفرفينَ عالياً فوقَ غَمامِ اللَّيلِ، تَموجُ في كينونَتِكِ شهقةُ انبهارٍ لِما للحرفِ مِنْ طاقةِ انبعاثٍ فَوقَ أجنحةِ الرُّوحِ، فينسابُ حنينُكِ إلى رُبوعِ الطُّفولةِ، ومرافئِ الصِّبا وأنقى حُبورِ الشَّبابِ، تقطفينَ مِنْ فَضاءِ الطُّفولةِ صَفاءَ البراءَةِ وخيوطَ الحَنينِ في وئامِ الأمِّ، وترسُمينَ مِنْ مَعابرِ الصِّبا بسمةَ الحَياةِ، ومِنْ اخضرارِ الشَّبابِ أملَ الإنسانِ إلى أبهى ما في كينونَةِ الكَونِ. تتوغَّلينَ عَميقاً في مَرامي العُمرِ، لا تجدينَ أجدى مِنْ أجنحةِ الحَرفِ تفرشينَهُ سَرداً متدفِّقاً فوقَ مَنارةِ الحياةِ، فهو الأبقى في دُنيا مُرصرَصةٍ بالغبارِ والقُبْحِ، لعلَّهُ يُخفِّفُ قليلاً بَلْ كثيراً مِنْ ضَراوةِ الانحدارِ. تَحبُكينَ فضَاءاتِ سَردِكِ بمَهارةٍ مُجنَّحَةٍ نحوَ أرقى آفاقِ التَّجلّي، لِمَا لديكِ مِنْ خيالٍ شَاهِقٍ في رِحابِ الانبعاثِ.

خيالُكِ مُزدانٌ بحبرٍ مُصفّى مِنْ حَبقِ السَّماءِ المتناثرِ مَعَ رَذاذاتِ المَطرِ في ليلةٍ مَصحوبةٍ بأحلامِ الزَّمنِ الآتي. أحلامُكِ مُجذّرةٌ بأشهى ما في خُصوبةِ الأرضِ، وأزهى ما في صَفاءِ السَّماءِ، تمتلكينَ رؤيةً مُعبّقةً بمذاقِ الرَّبيعِ، ومُنبعثةً مِنْ خصوبةِ النَّدى في صَباحٍ مُبلَّلٍ باندلاقِ تَهاطُلاتِ الحَرفِ، وفي أوجِ جُموحِكِ ترينَ أنَّ الصَّمْتَ في الكثيرِ مِنَ الأحيانِ أبلغُ اللُّغاتِ، وردٌّ صافعٌ على شراهةِ القُبحِ وخلخلةِ أجنحةِ الحقّ والعدالةِ، عِندما يتضمَّنُ الصَّمتُ حِكمةً مُضْمَرةً وشاهقةً في مراميها، تُخفِّفُ مِنْ لَهيبِ الاشتعالِ المتناثرِ حولَ أصفى شواطئِ الحَنينِ. الحياةُ تتضمَّنُ مُفارقاتٍ غَيرَ قابلةٍ للفهمِ في بعضِ الأحيانِ، لِما فيها مِنْ تصارُعاتٍ وتنافراتٍ بنفسِ الوقتِ لموقفٍ ما، وتحملُ المسافاتُ أحياناً بينَ ثناياها بُغضاً دَفيناً، وأحياناً أخرى يتهادَى على مراميها حُبورُ الرُّوحِ ويَستريحُ بِكُلّ بهاءٍ فوقَ شَواطئِ القلبِ، كَمْ يبدو اللّقاءُ بَهيجاً بَينَ رِحابِ الرُّوحِ ومَرافئِ القلبِ في هُدوءِ اللَّيلِ، وما أجملَهُ وأبهاهُ عِندما يُصبِحُ هذا اللّقاءُ كأنَّهُ أريكةٌ مُريحةٌ لانبعاثِ أرقى تَجلّياتِ بَوحِ القَصائدِ. ويزدهي الشَّوقُ لِمَا يَموجُ في مِخيالِكِ مِنْ تجلّياتِ سَردٍ في عَوالِمِ الحِكاياتِ الّتي تَنسجينَها على وجنةِ الزَّمَنِ، كأنَّها رسالةٌ مُنبَجسةٌ مِنْ فضاءَاتِها الأولى وتزدادُ تلألؤاً في رِحابِ جُموحِ البوحِ. تُشبهينَ شهقةَ حَرفٍ معرَّشٍ في خميلةِ الأحلامِ، تحلّقينَ فوقَ بساتينِ المحبّةِ، وأنتِ تنثرينَ رؤاكِ بشغفٍ عارمٍ، شوقاً إلى الأماسي المكلَّلةِ بالأغاني الموشَّحةِ بروحِ الأصالةِ ووشائجِ الانبهارِ!

تمرُّ الأيَّامُ والشُّهورُ والسُّنونَ بطيئةً فوقَ جَسدِ العُمرِ، كأنَّها حُلُمٌ خاطفٌ مُنذَلِقٌ مِنْ دُكنَةِ اللَّيلِ، كيفَ يتحمَّلُ الإنسانُ كلَّ ما يصادفُهُ مِنِ انزلاقاتٍ وانكساراتٍ في دروبِ الحياةِ، ويظلُّ رافعاً مَنارةَ الحَرفِ بحثاً عَنْ خصوبةِ الإبداعِ رَغمَ ما يعتريهِ مِنْ شوائبَ مُتشابكةٍ في تلاطماتِ الجفاءِ؟! تقفينَ بكلّ ثباتٍ وتسيرينَ في مَسارِ مُرورِ شَهقاتِ العُمرِ، لا تَهابينَ الأوجاعَ وتشظّياتِ الأوضاعِ الّتي تصادِفُكِ، تلتقطينَ دقائقَ الزَّمنِ برهافَةِ دقّاتِ القَلبِ، تحوّلينها إلى نصوصٍ مُجنّحةٍ نحوَ أصفى مَرامي الإبداعِ، يَتوقُ حَرفُكِ إلى ضِياءِ النُّجومِ، وسُطوعِ الخَيالِ في أوجِ تجلّياتِ الابتهالِ، تَتدفَّقينَ ألقاً شاهِقاً مِثلَ شلّالِ فَرحٍ مُتهاطِلٍ مِنْ مَآقي سُفوحِ الجِبَالِ، تكتبينَ حَرفاً مُندلقاً مِنْ رَفرفاتِ خفقةِ الشَّجَنِ، مُستوحيةً مِنْ لَهيبِ الاشتعالِ مَنارةَ شِعرٍ، مَكسوٍّ باخضرارِ الرُّوحِ، فتولَدُ القصيدةُ مَوشومةً بِما يَموجُ في أغوارِ البِحارِ، ومُسربلةً بأسرارِ الأزمنةِ الغابرةِ، ومذاقِ الحضاراتِ، ومتوَّجَةً بالأشواقِ التَّوّاقَةِ إلى أهدابِ السَّماءِ!

أيَّتُها المُبدعةُ الشَّامِخةُ شُموخَ السَّنديانِ في فضاءِ انبلاجِ القلمِ، المبلَّلةُ بِحِبرٍ مُكتنفٍ بآفاقِ السُّموِّ، تُشرقِينَ ألقاً مِنْ مَذاقِ نَسيمِ الصَّباحِ. تُغدِقينَ علينا بَوحاً مَمْهوراً بيراعِ الخَلاصِ، حرفُكِ مندَّى بأحلامِ الصَّباحِ تَستلهمينَ فضاءَكِ مِنْ رَحيقِ السَّنابلِ المُمْتدَّةِ على خَميلةِ الحُلمِ، ومِنْ لُجينِ العُمرِ الطَّافحِ بأغصانِ الزَّيتونِ، تَجمَحينَ عبرَ كتاباتِكِ الرَّصينةِ نحوَ بواطنِ الزَّمنِ، مُتوغِّلةً في تيجانِ الحَرفِ، كي تنتشلي غُضارَ الحياةِ مصفّى مِنْ سُمومِ الغَدرِ والأشواكِ المتناثرةِ حَولَنا في رحلةِ عُبورِنا في وِهادِ مُنعرجاتِ هذا الزَّمانِ، تبرينَ قلمَكِ بَرْيَاً حادَّاً وتَغوصينَ في أعماقِ حَرفٍ مُرفرَفٍ في كُنوزِ الحَضارَاتِ، وتُزيلينَ ما تراكمَ عليهِ مِنْ أتربةِ الزَّمنِ، إلى أنْ يصبحَ ساطعاً سطوعَ حنينِ الرُّوحِ إلى صَفاءِ الصَّباحِ!

الحياةُ رِحلةٌ عابرةٌ فوقَ مَآقي الزَّمنِ، نسمةٌ معبَّقةٌ بشهوةِ الشِّعرِ، ونحنُ العابرونَ فوقَ طِينِ الحياةِ، لسنا أكثرَ مِنْ كينوناتٍ مُتناثرةٍ مِنْ رَذاذاتِ أملٍ مُتطايرةٍ فوقَ وجهِ الدُّنيا، نكتبُ هواجِسَنا على أنغامِ حُلُمٍ هاربٍ مِنْ جلاوزةِ هذا الزَّمان، نحلّقُ عالياً على أنغامِ تغاريدِ البلابلِ وزقزقاتِ العَصافيرِ، نريدُ العبورَ في صَفاءِ السَّماءِ، لكنَّنا نتدحرجُ رويداً رويداً في دهاليزِ الحَياةِ المغلَّفةِ بالعتمةِ، غيرَ مُبالينَ بِما ينتظرُنا في مُستقبلِ الأيَّامِ مِنْ تناحراتٍ وتصادُماتٍ بينَ البشرِ، ولا نعي ما ينتظرُنا مِنْ اندثارٍ يقودُنا إلى كومةٍ مِنْ رمادٍ، لأنَّنا لَمْ نفهمْ حتَّى الآنَ لُغةَ الانتظارِ الَّتي تُصاحِبُ البشرَ مُنذُ الأزلِ، كَمْ نحنُ بعيدونَ عَنْ ماهيةِ الحياةِ، وعَنْ جوهرِ ما يجبُ أنْ نسيرَ عليهِ، يطحنُنا الزَّمَنُ فوقَ دروبِ العبورِ في حَنايا الحياةِ دونَ أنْ ندري، وينثرُنا في وضحِ النَّهارِ مَعَ هبوبِ هديرِ الرِّيحِ.

عمرُنا شهقةُ أسىً محصورةٌ بينَ أنيابِ الحياةِ، بوحٌ مفعمٌ بتساؤلاتٍ لا تخطرُ على بالٍ، نادراً ما نتلمَّسُ خصوبةَ الإجاباتِ، ولا نرسمُ أبعادَ خُطانا نحوَ خميلةِ العُمرِ بكلِّ ما فيها مِنْ جَمالٍ خلّاقٍ، بعيدونَ كُلَّ البُعدِ عَنْ ذواتِنا الخفيّةِ، تباعدَتْ ذواتُنا عَنْ جوهرِ وجودِنا فوقَ طينِ الحياةِ، تزدادُ ذواتُنا هروباً مِنْ جَوهرِ الحياةِ، نسيرُ فوقَ القشرةِ الخارجيّةِ مِنْ حُبورِ الحياةِ، نزدادُ تيهاً، نَشهقُ شهقةَ أنينٍ مَصحوبةً بأوجاعِ الانكسارِ، نتوهُ في خضمِّ الحياةِ، كأنَّنا نسيرُ في جوفِ العراءِ، نتلظّى في صحارى حارقةٍ على مِساحاتٍ مفتوحةٍ على بوَّاباتِ الأسى والأنينِ، نحنُ ضحايا تناحُراتِ هذا الزَّمنِ الأحمقِ، نبتعدُ عَنْ ضياءِ الصَّباحِ وعَنْ إشراقةِ الشَّمْسِ، نَزدادُ توغُّلاً في سراديبَ مُعشَّشةٍ بالوطاويطِ ورفرفاتِ أجنحةِ الغُربانِ، يبتعدُ عنَّا نسيمُ الصَّباحِ المندّى بحنينِ البحارِ إلى أرخبيلاتِ الفرحِ.

حياتُنا شهقةٌ عابرةٌ فوقَ خميلةِ الأرضِ. نحنُ حُلُمٌ خاطفٌ فوقَ جَبينِ الوجودِ، لا نرى ما يجبُ أنْ نراهُ، لأنَّنا مُصابون بعَمى الألوانِ، وعَمى التَّجلّي، وعَمى الغوصِ في لُبِّ الحياةِ، ورغمَ غوصِنا العميقِ، لا نرى سوى القشرةِ الخارجيّةِ مِنْ كينونتِنا، غائبونَ عَنِ الوعي، وعَنِ الشَّهيقِ العَميقِ، وعَنْ رؤيةِ الأزاهيرِ الفوّاحةِ في أبهى البَساتينِ. يأتي الإنسانُ إلى الحياةِ على أجنحةِ هُبوبِ النَّسيمِ في صَباحٍ مُسربلٍ بوهجِ الإشراقِ، ثمَّ يغوصُ رويداً رويداً في مَرامي التِّيهِ، يتدحرجُ نحوَ شفيرِ الغدرِ، ومُنزلقاتِ القُبْحِ، حياتُنا سلسلةٌ مفخَّخةٌ بمساراتٍ غارقةٍ في الاعوجاجِ، مُحاصرونَ بتراكمِ سَماكاتِ الضَّجرِ. ضجرٌ في صَباحِ العيدِ، في مَساءِ العيدِ، ضجرٌ في أوائلِ الرَّبيعِ في مساءَاتِ الشِّتاءِ، ضجرٌ على مدى رحابةِ الفصولِ.

نحنُ مَن نحنُ؟! رحلةٌ مكتظَّةٌ بالشَّراهاتِ، متشدِّقونَ بأهدافٍ غارقةٍ في التِّيهِ عَنْ جوهرِ الحياةِ. خرجَ الإنسانُ عَنْ مألوفيّاتِهِ، عَنْ صفاءِ الحياةِ، انزلقَ في دهاليزِ المَتاهاتِ، تماهى عَميقاً في ضَراوةِ الافتراسِ واقترافِ أشرهِ المُوبقاتِ كأنَّهُ خرّيجُ أعتى الغاباتِ، لا يشبعُ حتَّى مِنْ "كمشاتِ" التُّرابِ، داسَ في جوفِ الذِّئابِ وحشيَّةً، كأنَّهُ مِنْ فصيلةِ الضِّباعِ، ومِنْ أشرسِ أنواعِ الوُحوشِ، يَعيشُ على هامِشِ الحَياةِ، يرحلُ بعيداً عَنْ نسائمِ الصَّباحِ، يرحلُ في أوجِ هُبوبِ العواصفِ، كأنَّ الطَّبيعةَ تنتقمُ مِنهُ ومِنْ وحشيّتِهِ الضَّاريةِ.

يعيشُ الإنسانُ سواءَ عُمراً مَديداً أو قصيراً، ولا يعي كيفَ يُعانِقُ بهجةَ الحياةِ، كأنَّهُ غائصٌ في سديمِ السَّرابِ، ولا يُدركُ سرَّ إشراقةِ الشَّمْسِ فوقَ خدودِ الأرضِ، ولا يتلمَّسُ نِعَمَ أشهى ثِمارِ الكونِ، ولا يُجيدُ إنشادَ ما يُهدهدُ هِلالاتِ الابتهالِ، كأنَّهُ خارجٌ عَنْ ربوعِ كينونةِ الكونِ وانبلاجِ مُهجةِ الشَّفقِ، فيسرقُهُ الزَّمَنُ مِنْ أصفى ما في لُجينِ العُمرِ مِنْ هناءٍ وبهاءٍ، كأنَّهُ في رحلةِ تيهٍ عَنْ أشهى ما في رحيقِ الشَّهيقِ، لا يرى سوى شهقاتِ البُكاءِ، وتفاقُماتِ الأحزانِ، واكتظاظِ شفيرِ الحروبِ، تقمّطُهُ ضراوةُ العُبورِ في مِحرابِ الحياةِ فوقَ منارةِ العمرِ، وينجرفُ إلى فضاءِ الحُروبِ والاقتتالِ كما ينجرفُ لهيبُ النّارِ إلى يباسِ الخَشبِ، نراهُ في حالةِ اشتعالٍ مُتواصلٍ. حياتُنا خرافةٌ مُتطايرةٌ في مَهبِّ الرّيحِ، مَتى سيفهمُ الإنسانُ أنَّهُ مِنْ أسمى المخلوقاتِ على وجهِ الدُّنيا، وعليهِ أنْ يُنشِدَ دونَ وجلٍ أنشودةَ السَّلامِ وينشرَ أريجَ الوئامِ فوقَ أجنحةِ الحياةِ، ويرسمَ أجملَ الفضائلِ وأرقى العطاءَاتِ فوقَ خميلةِ الأرضِ، كي يرحلَ بَعدَ عُمرٍ قصيرٍ أو طويلٍ، مرتاحَ البالِ، تاركاً خلفَهُ أجملَ ما يمكنُ أنْ يقدّمَهُ المرءُ لمرامي الأرضِ، ويحلّقَ في رُبوعِ الأعالي مِثلَ طيورٍ جذلى مِنْ بركاتِ النَّعيمِ وهو في أوجِ ابتهالاتِ الرُّوحِ وانتعاشِها لمُعانقةِ زُرقةِ السَّماءِ؟!

يضمُّ صوتُكِ لُغةً مُسربلةً بفضَاءَاتٍ صُوفيّةٍ روحانيّةٍ باذخةٍ، تَنسابُ مِثلَ ينابيعِ الفرحِ، لغتُكِ متوَّجةٌ بأسئلةٍ تلامِسُ لُبَّ الحياةِ، كأنَّها مُنبعثةٌ مِنْ رِحابِ الأعالي على أجنحةِ باشقٍ مُتعانِقٍ مَعَ وَميضِ البَرْقِ. تكتبينَ بوحَكِ على إيقاعِ أنغامِ حُلُمٍ مُنفلشٍ مِنْ هُبوبِ النَّسيمِ، تغوصينَ عَميقاً في قصيدَتِكِ "لا تنتظرْها" في مَعاني الانتظارِ، بكلِّ ما تحملُهُ هذهِ العوالمُ مِنْ دلالاتٍ رَحْبةٍ، وفيها الكثيرُ مِنْ المَرامي الرَّمزيّةِ والتَّاريخيّةِ في أبعادِ الخَلاصِ، ويُحيلُنا رأيُكِ إلى أبعادٍ روحيّةٍ وفلسفيّةٍ ومِساحاتٍ رحبةٍ مِنَ الآمالِ الكامِنةِ في أعماقِنا ممَّا ينتظرُنا في الأعالي وما يخبّئهُ حاضرُنا ومستقبلُنا الآتي عَبرَ مَحطَّاتِ رحلتِنا فوقَ هِضابِ الحَياةِ، وتوحي الشَّاعرةُ عبرَ فضاءَاتِ نصّها ما هو مُضمرٌ في ذواتِنا التَّائِهةِ في خِضمِّ الحياةِ، كي تُقدّمَ لنا رؤيةً جديدةً في فضاءِ الانتظارِ المفتوحِ على مدلولاتٍ متعدّدةٍ لا تبدو للعيانِ للوهلةِ الأولى لِما فيها مِنْ آفاقٍ مُوغلةٍ في الاستِهامَاتِ والأفكارِ المجنّحةِ نحوَ فضاءَاتٍ تتماهى مَعَ حنينِ الرُّوحِ إلى واحاتِ خيالٍ مُمْتدٍّ على مِساحاتِ العمرِ، فتولدُ القصيدةُ بكلِّ آفاقِ انبلاجِها فوقَ فضاءِ اللَّيلِ، مُجسّدةً آهاتٍ حبيسةً في أعماقِنا الدَّفينةِ، المكلَّلَةِ ببهاءِ القَرَنفُلِ. المبدعة سميحة التَّميمي شاعرةٌ وروائيّةٌ مجنّحةٌ نحوَ فضاءِ الفكرِ الإنساني والرُّؤيةِ المسبوكةِ على مَساراتِ الحقيقةِ والحُرّيّةِ والسُّموِّ، مُركّزةً على آفاقِ التَّأمُّلِ والرُّوحانيّةِ الصُّوفيّةِ، وسلّطَتْ مِبضعَها على أنيابِ الحروبِ، راغبةً أنْ تستأصلَ السُّمومَ المستشريةَ فوق صُدغِ الحياةِ، فلا ترى أجدى مِنَ الفكرِ التَّنويري في مواجهةِ الحروبِ وكلِّ أنواعِ العنفِ والاقتتالِ، كي تستعيدَ للإنسانِ الحياةَ الكريمةَ والهنيئةَ، وتحقّقَ إنسانيّةَ الإنسانِ!

ستوكهولم: نيسان (ابريل) 2024

تشرَّبَ الفنَّان والمطرب السُّوري فريد الباشا
بالإنشادِ الدِّيني بكلِّ حبورِهِ وحلَّقَ عالياً في فضاءِ الطَّربِ الأصيلِ

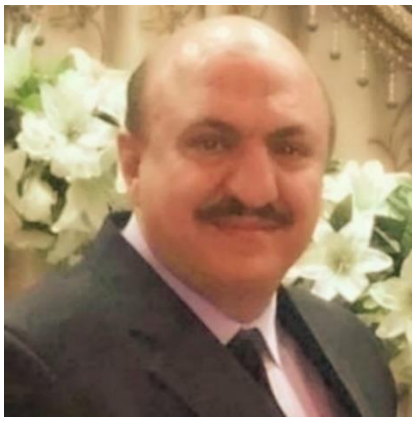

فريد الباشا
96

الموسيقى لغةٌ كونيّةٌ مُندلقةٌ مِنْ وميضِ النَّيازكِ وضياءِ النُّجومِ، ومِنْ هديرِ الرِّيحِ، وأمواجِ البحارِ في أوجِ اهتياجِها. تَبهَرُني عوالمُها الرَّحبةُ لِما فيها مِنْ تجلّياتٍ رهيفةٍ تُبهجُ أعماقَ بواطني وخيالي، كأنَّها بلسمُ الرُّوحِ. تَشفي أحزانَنا المتناثرةَ فوقَ قِبابِ العُمرِ، وتُبدِّدُ آهاتِنا المتراكمةَ فوقَ صدورِنا على مَرِّ السِّنينَ. الموسيقى هبةٌ مُنبعثةٌ مِنْ أعالي السَّماءِ إلى مَنائرِ الأرضِ، وإلى مَنابعِ الرُّوحِ، هي طريقُنا الأبهى إلى هَدهداتِ قلوبِنا في ذُروةِ مآسينا وأفراحِنا وحياتِنا بمُختلفِ تلاوينِها المتناميةِ فوقَ خميلةِ الأرضِ.

فريد الباشا، فنّانٌ فريدٌ مِنْ نوعِهِ في تجلّياتِهِ المُبهرةِ، يُغنّي غناءً مُبهراً، مُحلّقاً في فضَاءِ الطَّربِ الأصيلِ، تشرَّبَ أصالةَ الغِناءِ مِنْ رحابِ الإنشادِ الدِّيني بكلِّ حُبورِهِ، مُتأثِّراً بالأغاني الأصيلةِ ومنها أغاني فريد الأطرش، يُغنّي كمَنْ يُهدهدُ النَّسيمَ، لِما لديهِ مِنْ صوتٍ حَنونٍ ومُبهجٍ في أداءِ أغانيهِ، فيمنحُ المُستمعينَ إليهِ بهجةً غامرةً. حالما أسمعُ دندناتِ عَزفِهِ وأغانيهِ، أُحلّقُ في فضاءِ حَرفٍ مُنسابٍ مِنْ مآقي الحُلُمِ البعيدِ، غِناءٌ مصفًّى مِنْ شوائبِ الحياةِ، كأنَّهُ يُهدهدُ قلوبَنا العَطشى إلى رِحابِ الفَرحِ، ترقصُ الرُّوحُ ألقاً وشوقاً إلى أزاهيرِ الصَّباحِ، تناغمٌ مُبهرٌ في عزفِهِ وغنائِهِ الموشَّحِ بجمالِ الأداءِ، يشمخُ عالياً مثلما تشمخُ الرُّوحُ وهي في ذروةِ تجلّياتِها. يُشبِهُ بسمةَ الطُّفولةِ، وهديلَ اليمامِ في صباحٍ ربيعيٍّ مبلَّلٍ بأصفى جموحاتِ الغِناءِ.

تَنسابُ أنغامُ موسيقاهُ إلى مراتِعِ ظِلالِ القلبِ، تُبهِجُ الرُّوحَ كأنَّها بلسمٌ شافٍ للقلوبِ العَطشى إلى أبهى مَرامي الجمالِ. يُغنّي مِنْ أعماقِ جوارحِ الرُّوحِ، فيُنعِشُ قلوبَ مُستمعيهِ. كُلَّما استَمَعْتُ إلى تجلّياتِ أنغامِهِ، رفرَفْتُ عالياً على إيقاعِ الفرحِ، وتبدَّدَ حُزني، وشمَخْتُ عالياً على إيقاعِ حَنينِ القلبِ. يُحلّقُ بِنا عالياً في أصفى حَالاتِ التَّجلّي كأنَّهُ في حالةِ ابتهالٍ مَعَ وهْجِ الإنشادِ بأرقى جموحاتِ الغِناءِ الأصيلِ، يرسمُ بسمةَ الفرحِ في قلوبِنا، فيطفحُ مساؤنا بهجةً وألقاً كأنَّنا في حالةِ عناقٍ مَعَ منابعِ الجمالِ!

يمتلكُ الفنّانُ فريد الباشا إحساساً مُرهِفاً في فضاءِ الغِناءِ ودندناتِ العزفِ بمهارةٍ مُبهرةٍ على العودِ، يُعانِقُ عودَهُ بشغفٍ عميقٍ، كأنَّهُ صديقُ العُمرِ، مُداعباً رنينَ أوتارِهِ بكلِّ ابتهالٍ، ويصدحُ بأنغامِهِ وكأنَّ هذهِ الأنغامَ منبعثةٌ مِنْ خُدودِ حبيبةِ الرُّوحِ، ومُرفرِفةٌ في قُبّةِ الأحلامِ. عَشِقَ الموسيقى والغِناءَ مُنذُ باكورةِ العُمرِ إلى أنْ أصبحَتْ هذهِ العوالمُ فضاءَهُ الأسمى في سُلَّمِ العُبورِ في أنقى أرخبيلاتِ الحياةِ. توغَّلَ برغبةٍ جامحةٍ في أعماقِ الألحانِ ومنابعِ الأنغامِ، مُحصّناً أهدافَهُ الشَّاهقةَ في عوالمِ الموسيقى، وبنى أبراجَهُ الفنّيةَ الشّاهقةَ على أنقى صُروحِ الأحلامِ، إلى أنْ شمخَ عالياً في أزهى رحابِ التَّجلّي، ونجحَ ببراعةٍ فائقةٍ في تحقيقِ مراميهِ الفنّيةِ، لِما لديهِ مِنْ حِسٍّ فنّي طافحٍ بالعذوبةِ في أداءِ أنغامِهِ وغنائِهِ السَّيَّالِ.

هَلْ استمدَّ رهافتَهُ مِنْ حَنينِ اللَّيلِ، والنُّجومُ في أوجِ تلألؤاتِها، أمْ مِنْ تفتُّحِ براعمِ الشَّوقِ إلى إشراقةِ الصَّباحِ؟ يشدو صوتُهُ كما تشدو بلابلُ الحقولِ في ذُروةِ حبورِهِم في ظِلالِ البساتينِ. يجمحُ بكلِّ اشتياقٍ نحوَ حبورِ الطَّبيعةِ البكرِ وأمواجِ البحارِ الهائجةِ. يُناغي صَفاءَ الصَّباحِ وانسيابيّةَ السَّواقي وهي تخرُّ في أزهى أيَّامِ الرَّبيعِ وهو مكسوٌّ بأزاهيرِهِ الفوَّاحةِ على هَفهفاتِ هبوبِ النَّسيمِ الملفَّحِ بأريجِ الشِّعرِ. تتراقصُ الموسيقى في خيالِهِ وفي تماهياتِ أحلامِ اليقظةِ في أوجِ انبعاثِها، تَحِنُّ القلوبُ إلى روعةِ الأغاني، مِثلما تهفو الأزاهيرُ إلى أنغامِ الموسيقى، حتَّى الطَّبيعةُ تَعشَقُ الموسيقى، فهي لغةُ الكائناتِ والنَّباتِ، تتماهى مَعَ هبوبِ النَّسيمِ الآتي مِنْ مرتفعاتِ الجبالِ. يصوغُ الفنّانُ ألحانَهُ مِنْ هبوبِ الرِّيحِ مَعَ صفيرِ الأشجارِ وزقزقاتِ العصافيرِ، فتولدُ الألحانُ مِنْ تَناغماتِ الطَّبيعةِ بكلِّ تلاوينِها المتطايرةِ مِنْ خِضمِّ الكائناتِ وتلاطماتِ أمواجِ البحارِ.

ترعرعَ الفنَّانُ فريد الباشا بكلِّ ما يحملُ في أعماقِهِ مِنْ هواجسَ فنّيّةٍ بينَ فضاءَاتِ الإنشادِ الدِّيني والألحانِ والأغاني الأصيلةِ في أجواءِ الفرحِ والمُروجِ المخضوضرةِ بنضارةِ النَّدى المتناثرِ فوقَ طراوةِ العُشبِ، واصطفى مِنْ أرقى الأنغامِ ما يناسبُ بهاءَ الإنشادِ والغناءِ الأصيلِ، وتشرَّبَ بماءِ القصيدةِ المجنّحةِ نحوَ زُرقةِ السَّماءِ في أوجِ انبلاجِ الأنغامِ، فوُلِدَتْ الألحانُ بينَ يديهِ مَصقولةً بحَبقِ الطَّبيعةِ الخلَّابةِ، ومَمْهورةً برقرقاتِ عُذوبةِ الماءِ الزُّلالِ، ومتطهّرةً مِنْ الشَّوائبِ المتناثرةِ فوقَ خُدودِ اللَّيلِ وفوقَ مَنارةِ النَّهارِ، كابحاً بكلِّ ما لديهِ مِنْ جموحِ الغبارِ الَّذي يُصادِفُهُ في رحلةِ العبورِ في أبهى آفاقِ الألحانِ مِنْ أوسعِ أبوابِها الموسومةِ بأشهى تجلّياتِ الابتهالِ، واضعاً بصمتَهُ فوقَ أخاديدِ ألحانٍ مُتراقصةٍ في آفاقِ أحلامِهِ المُتهاطلةِ فوقَ دروبِ العُمرِ. بنى الفنّانُ عالمَهُ الفنّي بمهارةٍ عاليةٍ، مثلما يبني البُلبلُ عُشَّهُ فوقَ أعلى أغصانِ الأشجارِ، مُجنَّحاً نحوَ خمائلِ الفرحِ، والجَمالِ المُبهرِ، مُركّزاً على أصفى فضاءَاتِ الغِناءِ، بانياً طموحَهُ خطوةً خطوةً بكلِّ ما فيهِ مِنْ شَغفٍ واهتمامٍ، مُبحِراً برغبةٍ عَميقةٍ في رِحابِ الأغاني الطَّربيّةِ الأصيلةِ، فتنامَتْ حَنجرتُهُ على أنغامِ الأصالةِ والقصائدِ المُعبّرةِ عَنْ طُموحاتِهِ، إلى أنْ حقَّقَ نجاحاً باهراً وحضوراً مُتميّزاً، ووصلَ إلى أرقى فضاءَاتِ التَّجلّي، متَّخذاً مِنَ الموسيقى والغِناءِ هدفاً أوَّليّاً وأساسيّاً في حياتِهِ، وتعشَّشَ هذا الهدفُ في أعماقِ الخيالِ والرُّوحِ، وأصبحَ أحدَ منابعِ الفرحِ والطُّموحاتِ الشّاهقةِ في مَسارِ إبداعِهِ الفنّي.

لَمْ ينجرِفِ الفنّانُ إلى بريقِ الشُّهرةِ الفضفاضةِ ولم يتأثَّرْ بأيّ إغراءٍ آخرَ، رغمَ أنَّهُ كانَ مُتاحاً لَهُ أنْ يحقّقَ الانتشارَ مِنْ أوسعِ أبوابِهِ، لكنَّهُ فضَّلَ أنْ يحلّقَ في فضاءَاتِهِ وعوالمِهِ كما يحلو لَهُ وعلى طريقتِهِ وبما يناسبُهُ، بعيداً عَنْ تكلُّساتِ الغُبارِ والمُنافساتِ الفاقعةِ، والمائلةِ إلى دَبقِ الاصفرارِ المكتنفِ بالاعوجاجِ عَنْ مَسارِ شَهيقِ الإبداعِ، كي يحافظَ على رفرفاتِ التَّحليقِ الأصيلِ في سَماءِ الغِناءِ الخلَّاقِ، ساطعاً مِثلَ نجومِ الصَّباحِ، وصادحاً مِثلَ تغاريدِ الطُّيورِ في قِمّةِ انبعاثِ الحُبورِ. فنّانٌ مَجبولٌ بحنجرةٍ حَنونةٍ ذهبيّةِ الانبعاثِ في تجلّياتِهِ. ينجذبُ المستمعُ بكلِّ أحاسيسِهِ إلى أدائِهِ المُفعمِ بالدِّفْءِ والحنينِ، فتنفرشُ أمامَنا أجنحةُ الجمالِ على أقصى مَداها، شامخةً في لُبِّ الخيالِ، مُبهِجاً عوالمَنا برهافةِ الأداءِ، يُسحِرُنا بآفاقِهِ المجنّحةِ نحوَ أصفى ما في جموحِ الانبهارِ مِنْ ألحانٍ. يمنحُنا الغبطةَ في إنشادِهِ، فهو يمتلكُ رهافةَ الإنشادِ حتّى وهو يغنّي أغانيهِ الطَّربيّةَ، تُقرّبُنا الموسيقى إلى ارتقاءِ الرُّوحِ نحوَ مَعارجِ الصّفاءِ، وإلى ذُروةِ مرامي الابتهالِ، عندما تنبعثُ مِنْ مشاعرَ مُتماهيةٍ مَعَ منابعِ الجمالِ الخلَّاقِ.

يُغنّي الفنَّانُ فريد الباشا بشغفٍ عالٍ الأغاني الإيقاعيّةَ الرَّاقصةَ، يؤدّيها بمهارةٍ عاليةٍ، خاصّةً أنَّهُ يعزفُ ويغنّي مَعاً، تموجُ في كيانِهِ أنغامُ الموسيقى، ومشاعرُهُ مجنَّحةٌ نحوَ أصفى جموحاتِ التّجلي، يترجمُ هواجسَهُ الهائمةَ في آفاقِ الخيالِ، فترقصُ القلوبُ بكلِّ ابتهاجٍ على إيقاعِ الفرحِ وبهجةِ الانتعاشِ، ريشتُهُ رهيفةٌ كرهافةِ بهاءِ الفَراشاتِ وهي تُعانقُ بتْلاتِ الزُّهورِ، مُزغرِداً مِثلَ البلابلِ المغرّدةِ في كَنفِ الطَّبيعةِ الخلَّابةِ، مُبتهلاً في آفاقِ الغَناءِ في فضاءِ الانبهارِ، يَستنهِضُ فينا حنينَ الزَّمنِ الجميلِ، المُتعانِقِ مَعَ أرقى الألحانِ، ومُستعيداً مَجدَ الغِناءِ الأصيلِ، ومُحلّقاً بأدائِهِ الجميلِ مَعَ روعةِ الغناءِ الأصلي، وكأنَّهُ الفنَّانُ الَّذي غَنّى ما يُغنّيهِ بأحاسيسَ مُبهرةٍ، مُحلّقاً بكلِّ حبورٍ في فضاءِ الأحلامِ الوارفةِ، فيُهطِلُ علينا روائِعَهُ الفنّيّةَ فنزدادُ ابتهاجاً. تعانقُ الموسيقى ما يموجُ في بواطنِنَا وخيالِنا وذاكرتِنا، وتمسحُ الأحزانَ المتناثرةَ فوقَ جباهِنَا، وتُزيلُ عَنْ كاهلِنا آهاتِ غُربةِ الرُّوحِ. موسيقى معبَّقةٌ بحنينِ الرُّوحِ كأنَّها مُنبعثةٌ مِنْ رضابِ السَّماءِ!

اطَّلعَ الفنّانُ على الموسيقى الشَّرقيّةِ بعمقٍ، وغاصَ في أغوارِ فضاءَاتِ أنغامِها بكلِّ تفرُّعاتِ مقاماتِها، وأعجبَتْهُ الأغاني الأصيلةُ الرَّاقيةُ الّتي غنَّاها كبارُ الفنَّانينَ أمثالُ محمّد عبدالوهاب ووديع الصَّافي وفريد الأطرش وصباح فخري وغيرُهم مِنَ الفنّانينَ المبدعينَ في رِحابِ الفنِّ الأصيلِ، وقَدْ غنّى الكثيرَ مِنْ أغانيهم وكأنَّهُ الفنّانُ الأصلي الّذي غنّى هذهِ الأغاني، ثمَّ راحَ يختارُ قصائدَ عميقةَ المعنى والمضمونِ، ولحَّنَها بنفسِهِ وغنَّاها ضمنَ فضاءِ الفنِّ الأصيلِ، بما يناسبُ مِساحاتِهِ الفنّيّةَ الحنونةَ، الّتي يُغدِقُها علينا ببهجةٍ عارمةٍ، فيُنعشُ قلوبَنا العَطشى لمرافئِ جمالِ الرُّوحِ. يعزفُ على أوتارٍ مُتناغمةٍ مَعَ أغصانِ الحَنينِ، وأنباضِ القَلبِ. يَشمخُ عَالياً في مَتاهاتِ الذَّاكرةِ ويذهبُ بِنا إلى واحاتِ الأحلامِ البعيدةِ، مُلملماً ما خبَّأناهُ في خَيالِنا المُزنَّرِ بأجملِ أنغامِ العُمرِ، الَّذي سمعناهُ على مَدى مَحطّاتِ العُبورِ في مُنعرجاتِ الحياةِ. مُهدهِداً أرقى ما في قلوبِنا وخيالِنا ومآقي الحَنينِ، راسماً فوقَ لياليِنا أجنحةَ الفرحِ، كأنَّهُ يحملُ رسالةَ ابتهالٍ تُنعِشُ قلوبَ المُستمعينَ، راغباً أنْ يرسمَ فوقَ هِلالاتِ ذاكرتِنا أناشيدَ مُضمّخةٍ بأزاهيرِ النَّعيمِ!

تنبعثُ هذهِ الحساسيّةُ الفنّيّةُ في فَضاءِ تجلّياتِ الغِناءِ وفي عُذوبةِ العَزفِ المُنسابِ مِنْ أنامِلِ هذا الفنَّانِ المُندَّى برحيقِ السَّوسَنِ البرّي، إلى أنْ تربَّعَ فوقَ أبراجِ الشُّموخِ، لأنَّهُ مُشبَّعٌ بهذهِ الفضاءَاتِ الطَّافحةِ بالأصالةِ والمِرانِ الطَّويلِ، تهفو أنغامُهُ إلى ظِلالِ البيوتِ العتيقةِ المسترخيةِ في تجاويفِ الذَّاكرةِ، وظلَّتْ ترفرفُ عَبرَ العديدِ مِنْ محطَّاتِ الحياةِ، كي توشِّحَ ذكرياتِنا برنينِ النَّواقيسِ، وأجراسِ المَحبَّةِ وتَجلّياتِ الإنشادِ بأرقى حبورِهِ وابتهالاتِه، كأنَّها مُنبعثَةٌ مِنْ حَفيفِ الأشجارِ المباركةِ، والمُعبّقةِ بأريجِ الأزاهيرِ الفوّاحةِ في مسارِ رحلتِهِ الفسيحةِ في دُروبِ العُمرِ الّتي قضاها باجتهادٍ وشغفٍ كبيرَينِ في صقلِ آفاقِ رؤاهُ وطموحاتِهِ مُنذُ أنْ شبَّ عنْ الطَّوقِ حتَّى الوقتِ الرَّاهنِ، فنراهُ مُحلّقاً في فضاءِ العِناقِ الرُّوحي في ذُروةِ تألُّقِهِ، كأنَّهُ يُناجي أحلامَنا الهاربةَ مِنْ أوجاعِ هذا الزَّمان، زارعاً في قلوبِنا بهجةً غامرةً. غناءٌ مَمْهورٌ بألقِ الصَّفاءِ والعُذوبةِ، كأنَّهُ يبتهلُ لسموِّ السَّماءِ، عطاءٌ مُبهرٌ، مِنْ بهاءِ رهافةِ الحُلُمِ المُجنَّحِ نَحوَ رِحَابِ الأعالي. يؤدّي أجملَ المواويلِ والعتابا بمختلفِ أنواعِها بتجلّياتٍ شاهقةٍ، صوتٌ متعانقٌ مَعَ خمائلِ اللَّيلِ، كأنَّهُ يناجي قلوبَنا برهافةٍ مبهرةٍ، ويطهّرُنا مِنْ أوجاعِنَا المتراكمةِ فوقَ هِضابِ العُمرِ.

يُشبِهُ الفنَّانُ انبعاثَ القصيدةِ المُضرّجةِ بفضاءَاتِ السُّموِّ والابتهالِ، يُحاورُنا بعذوبةٍ مُبهرةٍ عَبرَ روعةِ أنغامِهِ، وتجلّياتِ صَوتِهِ المبلَّلِ برحيقِ أزاهيرِ الرُّوحِ المتعانقةِ مَعَ كنائزِ الأحلامِ، يرقُصُ الوترُ فرحاً وابتهالاً بينَ أناملِهِ، وينسابُ صوتُهُ مِثلَ حُلُمٍ متدفّقٍ مِنْ أشهى واحاتِ الحنينِ، ويَزرَعُ في قلوبِنا الفَرحَ، ويأخذُنا إلى عوالِمَ تُبهِجُ القلوبَ، ويمسحُ الأحزانَ المُتعلّقةَ في دُروبِ عُمرِنا المحفوفةِ بالأسى والأنينِ. غناءٌ مُبلَسمٌ بأريجِ المَحبّةِ ووئامِ الذَّاتِ مَعَ خَميلةِ الحياةِ، جموحٌ نحوَ فضاءِ عِناقِ القلبِ وشواطئِ الحُلُمِ البعيدِ، حتّى يصلَ إلى مرافئِ الطُّفولةِ والصّبا، ويذكّرِنا بأيّامِ الشَّبابِ في الوطنِ الأمِّ ونحنُ نتجلَّى على أصواتِ الطَّربِ الأصيلِ. يشمخُ شُموخَ النّسرِ المُحلّقِ بجناحَينِ قويَّينِ في أشهى هِلالاتِ العَطاءِ الخلّاقِ.

يُبلسِمُ الفنَّانُ فريد الباشا بروعةِ أغانيهِ جوارحَنا الثَّخينةَ، ويَمحَقُ آهاتِنا الممتدَّةَ على مِساحاتِ السِّنينَ، ويهدهدُ أشواقَنا المتناثرةَ فوقَ تيجانِ أحلامِنا المزركشةِ بألوانِ الحياةِ، ويبدّدُ شطراً غائراً مِنْ تلظّياتِ أحزانِنا، وآهاتِنا المتغلغلةِ في أعماقِنا في زمنِ تفاقُمِ الاشتعالِ المريرِ. تصبحُ الموسيقى بلسمَ الحياةِ في زمنِ الانكسارِ، وتشفي غليلَنا المشحونَ بلهيبِ الأسى، وترسمُ فوقَ جباهِنا معالمَ البهجةِ. بحسرةٍ حارقةٍ أتساءَلُ: لماذا ازدادَتْ قلوبُ الأوطانِ تصدُّعاً، وإلى متى سيغوصُ الإنسانُ في شفيرِ الانحدارِ؟ عجباً أرى، تزدادُ قلوبُ الأحبَّةِ تهشّماً، رغمَ كلِّ هذا البهاءِ في حُبورِ الأغاني. فريد الباشا هديَّةٌ مبهجةٌ للقلبِ والرُّوحِ في زَمنِ الانهزامِ وتراكُمِ القُبْحِ. أغدِقْ علينا يا فريد مِنْ رَوعةِ أغانيكَ وموسيقاكَ كي نتجلَّى عالياً ونعانقَ بكلِّ فرحٍ زُرقةَ السَّماءِ!

ستوكهولم: أيَّار (مايو) 2024

الأكاديميّة العراقيّة المتفوّقة مينا رغيد عسكر
طُموحُها شامخٌ شُموخَ الجِبالِ



مينا رغيد عسكر

97

الأكاديميّةُ العراقيّةُ الكفيفةُ مينا رغيد عسكر، شخصيّةٌ عِصاميّةٌ، طُموحُها شاهقٌ للغايةِ مِثلَ شُموخِ الجبالِ، فقد تفوَّقَتْ على أقرانِها المُبصرين والمُبصرات في جامعةِ الموصلِ بكلِّ تخصُّصاتِ أقسامِ الجامعة بمعدَّلِ 98 %. امتلكَتْ طُمُوحاً بَديعاً مُبهراً مِنْ نَكهةِ الفرحِ والابتهالِ والفَرادةِ. كَمْ أدهشَني وأبهجنَي مُعدَّلُها ونجاحُها وتحصيلُها العلميُّ، رَغمَ مُرورِها بظروفٍ صَعبةٍ جدّاً ضمنَ فَترةِ امتحاناتِها، إضافةً إلى كونِها كفيفةً، (ترى 10% فقط)، وكلُّ هذا لَمْ يُثنِها عَن مُواصلةِ دراستِها وتحقيقِ طُمُوحاتِها رَغمَ نزوحِها عَنِ المَوصلِ أثناءَ دُخولِ داعشَ في الموصلِ والمُدُنِ والقرى المُجاورةِ، لكنَّ إرادتَها الصُّلبةَ جعلَتْها تُبصِرُ عَبرَ عَقلِها وقلبِها ومِخيالِها وطُمُوحِها الخلَّاقِ، كلُّ هذا جعلَها تنجحُ بتفوُّقٍ فريدٍ مِنْ نوعِهِ، وتحقِّقُ التّرتيبَ الأوَّلَ، وبعدَ أنْ أخذَ صيتُها ينتشرُ عَبرَ الشَّبكةِ خِلالَ أربعٍ وعشرينَ ساعةً، بَعدَ أنْ رفضَ طبيبٌ في اللّجنةِ الطّبّيّةِ الخاصّةِ، منحَها وثيقةً طبّيّةً لاستكمالِ أوراقِها الثّبوتيّةِ لتعيينِها، تفاجأتْ بعدمِ مَنْحِ الطّبيبِ لها شهادةً طبّيّةً، قائلاً لها أنتِ لا تصلحينَ للعملِ لأنَّكِ "عمياء"! فتأثَّرْتُ جدّاً، واندهشْتُ كما اندهشَ ملايينُ المُتابعينَ لموقفِ الطَّبيبِ اللّاإنساني، كيفَ تَخضَعُ هي لفحصِ العيونِ وهي كفيفةٌ، ولَمْ يسألِ الطَّبيبُ نفسَهُ، كيفَ حصلَتْ على المعدَّلِ الأوَّلِ وهي كفيفةٌ؟! وأعجبَني طموحُها وقوّةُ إرادتِها وإصرارُها على مُتابعةِ المُطالبةِ في حقِّها، وتواصلَتْ مَعَ وزيرِ التّعليمِ العالي، وطلبَتْ مِنْهُ تطبيقَ القانونِ الَّذي يُخوّلُ الطَّالبةَ الَّتي تحقّقُ التَّرتيبَ الأوَّلَ بتوظيفِها في الكلّيّةِ الَّتي تخرَّجَتْ منها، وحَصلَتْ على موافقةٍ استثنائيّةٍ بتوظيفِها في الجامعةِ كمُعيدةٍ، وقَدْ وقفَ معَها الكثيرون وأخَصُّهم بالذِّكرِ نيافةُ مطرانِ الموصلِ مار نيقوديموس داؤود متّي شرف، رئيسِ أبرشيّةِ الموصلِ وكركوكَ وإقليمِ كوردستان للسريان الأرثوذكس، وقَدْ عقدَ مؤتمراً صحافيّاً مُخاطباً وزيرَ التَّعليمِ العالي والجهاتِ المعنيّةَ لمحاسبةِ الطَّبيبِ الّذي رفضَ منْحَ مينا شهادةً طبّيّةً لاستكمالِ أوراقِها، ورفضَ تعيينَها

كمعيدةٍ في جامعةِ الموصلِ رَغمَ حصولِها على المُعدَّلِ الأوَّلِ، وقَدْ استجابَ وزيرُ التَّعليمِ العالي لطلبِ مينا وتوجُّهاتِ نيافةِ المطرانِ وكلِّ مَنْ دافعَ عَنْ مينا بتعيينِها مُعيدةً في كلِّيَّةِ الموصلِ.

ترعرَعَتْ مينا في بيئةٍ راقيةٍ، تَعشَقُ العلمَ، فاهتمَّ الوالدانِ بها اهتماماً باهراً، وكأنَّهما مُتخصِّصَانِ في رعايةِ شخصيّاتٍ مِثلِ وضعِها بأمسِّ الحاجةِ للرعايةِ والاهتمامِ والتَّوجيهِ. وقَدْ كانَ لديها حُبُّ الاستطلاعِ، تسألُ الكثيرَ مِنَ الأسئلةِ منذُ بواكيرِ عُمرِها، كانَتْ مُنذُ طفولتِها فضوليّةً لمعرفةِ ما يدورُ حولَها، تسألُ كثيراً، تُريدُ أنْ تعرِفَ كلَّ شاردةٍ وواردةٍ، وكانَ لهذا الفضولِ وهذهِ التَّساؤلاتِ دورٌ كبيرٌ في زيادةِ مَعلوماتِها، فقدْ كانَتْ تُخزِّنُ ما تتلقَّاهُ مِنْ إجاباتٍ في ذاكرتِها مُنذُ طفولتِها، وتحفظُهُ وتردِّدُهُ، وكأَنَّها في سياقِ بناءِ ذاكرةٍ عجيبةٍ مِنْ دونِ أيِّ تخطيطٍ منها، سوى هذا الجُموحِ نحوَ حبِّ الاستطلاعِ ومعرفةِ ما يُصادفُها في طفولتِها، وهذا النّزوعُ نحوَ المعرفةِ والاستطلاعِ رافقَها وتعمَّقَ لديها طوالَ مرحلتِها الدِّراسيّةِ، وتنامى شيئاً فشيئاً، مِمَّا ساعدَها في زيادةِ وإغناءِ مخزونِها للمعلوماتِ الّتي تتلقَّاها يوماً بَعدَ يومٍ وعاماً بعدَ عامٍ.

وُلِدَتْ مينا فاقدةَ البصرِ، ضمنَ حالةٍ يُطلقُ عليها "ضمورُ الشَّبكيّةِ الوراثيُّ"، وترى بنسبةٍ قليلةٍ جدَّاً عشرة بالمئة، فهي فاقدة للرؤية، وليسَتْ فاقدةَ البصرِ، كانتْ دائماً برفقةِ أهلِها، وقَدْ حقَّقتْ نَجاحاً في دراساتِها مُنذُ المرحلةِ الابتدائيّةِ مُروراً بالمرحلةِ الإعداديّةِ والثَّانويّةِ بفضلِ رعايةِ أهلِها ومعلِّميها ومعلِّماتِها، وتعايشَتْ مَعَ حالتِها، وقبلَ أنْ تلتحقَ بالمدرسةِ وهي في سنِّ الرابعةِ مِنْ عمرِها، أعدَّ لها والدُها سبّورةً سوداءَ صغيرةً كي تكتبَ عليها الحروفَ وراحَ يعلِّمُها الحروفَ على مِساحةِ السَّبُّورةِ، فيكتبُ لها حرفَ الألفِ بحجمٍ كبيرٍ مُردِّدَاً لها: هذا الحرفُ هو أ، ألف يُكتَبُ هكذا في بدايةِ الكلمةِ، وفي وسطِ الكلمةِ وفي نهايةِ الكلمةِ، ويعلِّمُها كيفَ تكتبُ الحرفَ ويُمْسِكُ يدَها ويكتبُهُ لها ثُمَّ تقومُ هي بكتابةِ الحرفِ بنفسِها، وهكذا علَّمَها الحروفَ حرفاً حرفاً، كيفُ يُكتَبُ الحرفُ في بدايةِ ووسطِ ونهايةِ الكلمةِ، كلُّ هذا علَّمَها قبلَ أنْ تلتحقَ بالمدرسةِ، وكانَتْ تستوعبُ لفظَ الحروفِ وكتابتَها حرفاً حرفاً في كلِّ مواقعِها. ثمَّ علَّمَها كيفَ تتشكَّلُ الكلمةُ مِنْ عدَّةِ حُروفٍ ولها معنىً معيَّنٌ، وعلَّمَها كتابَ القراءةِ للصفِّ الأوَّلِ قبلَ التحاقِها بالمدرسةِ. وقد هيَّأها والداها أنْ تكونَ مينا مُتميّزةً قبلَ أنْ تلتحقَ بالمدرسةِ وساعداها على مدى مراحلِ دراستِها الأولى.

ما كانَتْ تَمَلُّ في المَراحلِ الأولى مِنَ التَّعليمِ، بَل كانَتْ شغوفةً في تلقِّي المَزيدِ مِنَ المَعلوماتِ والكلماتِ الجديدةِ. مينا تلميذةٌ طموحةٌ، شغوفةٌ، صبورةٌ وفضوليّةٌ لمعرفةِ المزيدِ مِنَ الكلماتِ والمَعلوماتِ والأفكارِ، تَحفظُ الكلمةَ لفظاً ومعنىً، مُعتمدةً على الاستماعِ لحفظِ ما تتعلَّمُهُ، كما كانَتْ تعتمدُ على لمْسِ الأشياءِ الَّتي تُشرَحُ لها كي تترسَخَ في ذاكرتِها. وعندما كانَ يُصادِفُها التباسٌ ما في معنى كلمةٍ مُعيّنةٍ، كانَتْ تسألُ عَنْ مَعنى الكلمةِ، فكانَتْ تتلقَّى شرْحَ الكلمةِ وتحفظُها في مَخزونِ ذاكرتِها العجيبةِ. تفوَّقَتْ على أقرانِها مُنذُ مراحلِها الدِّراسيّةِ الأولى، وصمَّمَتْ خلالَ المرحلةِ الثَّانويّةِ أنْ تكونَ مِنَ الطَّالباتِ الأوائلِ، والمُتفوّقاتِ، وقرَّرَتْ الالتحاقَ بكليّةِ الآدابِ قسمِ اللُّغةِ العربيّةِ لِما كانَ لديها شغفٌ في الأدبِ وحَفظِ القصائدِ الشِّعريّةِ.

فاجأتِ الطَّالبةُ النَّجيبةُ مينا رغيد عسكر المُعلّماتِ والمعلّمينَ بتفوُّقِها النَّادرِ، وقُدرتِها المُبهرةِ على حفظِ المُفرداتِ والمَعلوماتِ عبر كافَّةِ مَراحلِها الدِّراسيّةِ، واتّبعَتْ أسلوبَ ترديدِ المَعلوماتِ كي تحفظَها وتُرسِّخَها في ذهنِها ولا تنساها. كَمْ كانتْ مُجتهدةً ومُواظبةً على حفظِ دُروسِها وإعدادِ وظائفِها المدرسيّةِ يوميّاً، كانتْ تتفاعلُ مَعَ المُعلّمينَ والمعلّماتِ في قاعةِ الصَّفِ. قرأَتْ في المرحلةِ الثَّانويّةِ قصيدةً طويلةً مِنْ إحدى وعشرينَ بيتاً غيباً أمامَ الطُّلَّابِ والطّالباتِ، وادهَشتِ الأساتذةَ على قدرتِها في تلاوةِ القَصيدةِ غيباً مِنْ دُونِ أيِّ خطأٍ، وكانَ لديها قدرةٌ عاليةٌ في الحفظِ واستعادةِ المَعلوماتِ الَّتي تحفظُها، وفي تمييزِ الأصواتِ أيضاً، حيثُ كانَتْ تعرفُ الأشخاصَ مِنْ زملاءٍ وزميلاتٍ ومدرّسينَ ومُدرّساتٍ مِنْ خِلالِ الاستماعِ إلى أصواتِهم.

تطوَّرَتْ لُغتُها مِنْ خِلالِ قراءَتِها واطلاعِها، والاستماعِ إلى المُحاضَراتِ وإلى الكتابِ المَسموعِ، ومَعَ كلِّ ما وصلَتْ إليه من تقدُّمٍ وتفوّقٍ على جَميعِ أقرانِها، فهي غيرُ راضيةٍ على حدِّ قولِها على لُغتِها، لأنَّ سَقفَ طُموحِها على ما يبدو عالٍ جدّاً، وعندما الْتحقَتْ بالجامعةِ، بدأتْ تحضِّرُ مقرَّراتِها مِنْ خِلالِ الاستماعِ إلى شرحِ محاضراتِ الأساتذةِ، فقد كانَتْ تستوعبُ مضمونَ المُحاضراتِ بعُمقٍ، وعَمَّقَتْ معلوماتِها مِنْ خلالِ الاستماعِ إلى برامج الكتبِ المَسموعةِ، وساعدَتْها جدّاً في تعميقِ مستواها المَعرفي، لأنَّها أتاحَتْ لها الاستماعَ إلى الكُتبِ متى ما تشاءُ وكما تشاءُ، وترى أنَّ الحفظَ عَنْ طَريقِ السَّمْعِ تترسَّخُ المعلومةُ أكثرَ في الذِّهنِ، لأنَّهُ يُتاحُ لها أنْ تسمعَ الكتابَ بالطَّريقةِ والأوقاتِ الّتي تّناسِبُها. وقد تبيّنَ لي مِنْ خِلالِ تواصلي مَعَها أنَّ لديها تفاؤلاً كبيراً رَغمَ أوضاعِها الصّحيّةِ الَّتي تُعاني مِنها، لأنَّها تحدَّتْ بإرادَتِها القويّة كُلَّ الصُّعوباتِ الَّتي تعترضُها، كي تحقّقَ النَّجاحَ الأمثلَ، وقرَّرَتْ أنْ تكونَ مِنَ الأوائلِ عَلى أقرانِها، وحقَّقَتْ مُرادَها وهدفَها الَّذي تصبو إليهِ بكلِّ إرادةٍ قويّةٍ، وصبرٍ منقطعِ النَّظيرِ.

ترى مينا رغيد عسكر مِنْ خِلالِ الصَّوتِ، أكثرَ مِمَّنْ يرونَ بعيونِهم، فهي تمتلكُ ذهناً وقّاداً وقَدْ ساعدَها الصَّوتُ كثيراً في تخزينِ المَعلوماتِ وكأنَّها نُقِشَتْ على أحجارِ الصَّوانِ بكلِّ وضوحٍ، وحفظَتِ الثَّوابتَ فيما تحتاجُها مِنْ مَعلوماتٍ خلالَ مَسيرتِها الدِّراسيّةِ، مُركِّزةً على التَّسجيلاتِ الّتي كانَتْ تُسجِّلُها لها أمُّها في الكثيرِ مِنْ مَراحلِ دراساتِها، وعلى الكتابِ المَسموعِ لاحقاً في ترسيخ معلوماتِها، وكانَتْ تُحضِّرُ مُقرَّراتِها الجَامعيّةَ مِنْ خلالِ الاستماعِ إلى المُحاضراتِ، وتسجيلِ ما هو مهمٌّ في المقرَّراتِ الجامعيّةِ، ثمَّ الاستماعِ إليها لاحقاً كي ترسّخَها في الذِّهنِ. تمتازُ مينا بتفاؤلِها الكبيرِ، وصبرِها الطَّويلِ، وإرادتِها الصُّلبةِ في تَحمُّلِ ظروفِها واجتيازِها بمهارةٍ عاليةٍ، حاملةً فوقَ أجنحتِها طُموحاً شاهقاً كي تتابعَ دراساتِها الجامعيّةَ وتستكملَ بحوثَها ودراساتِها لتقديمِ رسالةِ الماجستيرِ بتميُّزٍ ومعدّلٍ عاليينِ، وبعد حصولِها على الماجستير بامتيازٍ، تخطّطُ لمتابعةِ دراسةِ الدّكتوراه كي تحقّقَ أهدافَها المنشودةَ على الوجهِ الأكملِ، وتُصبحَ أستاذةً في جامعةِ الموصلِ، هذهِ الجامعةُ المُحبّبَةُ لها، والَّتي تلقَّتْ كلَّ الرَّعايةِ والاهتمامِ مِنْ حَرَمِها، ابتداءً مِنْ عميدِ الكليّةِ مروراً بطاقمِ الأساتذةِ، إضافةً إلى كلِّ مَنْ عملَ في إلوظائفِ الإداريّةِ المتنوّعةِ.

حرصَتْ أسرةُ مينا على الاهتمامِ بها ورعايتِها رعايةً خاصّةً، واستغلَّتْ مينا قدراتِها المُدهشةَ في الاسيعابِ، وراحَتْ تُعمّقُ آفاقَ رؤاها في اللُّغةِ العَربيّةِ بعدَ أنْ تخصَّصَتْ فيها، إلى أنْ تقدَّمَتْ على أقرانِها ببراعةٍ عاليةٍ، فقد عَشِقَتِ اللُّغةَ العربيّةَ وهذا سهَّل عليها الولوجَ عميقاً في فضاءَاتِها، وقد تذوَّقتْ الفرحَ مِنْ أوَّلِ محاضرةٍ حضرَتْها في الجامعةِ، وخلالَ فترةِ دراستِها الجامعيّة، لم تشعرْ أنَّها مِنْ ذوي الاحتياجاتِ الخاصّةِ، فقَدْ كانَتْ متفائِلةً ومتبصِّرةً في ذهنِها وعقلِها وطُمُوحِها وتتصرَّفُ بشكلٍ طبيعيٍّ. وحقَّقَتْ تفوُّقاً لَمْ يحقِّقْهُ المُبصِرونَ والمُبصِراتُ. وتنظرُ إلى قواعدِ اللُّغةِ العربيّةِ، على أنَّها عِلمٌ مِنَ العلومِ وليسَتْ مادّةً نظريَّةً بقدرِ ما هي مادّةٌ نظريَّةٌ علميّةٌ، لأنَّها تعتمدُ على قواعدَ نحويَّةٍ دقيقةٍ للغايةِ!

كانَتْ آليَةُ الامتحانِ، تتطلَّبُ مشاركةَ أستاذٍ جامعي معَها، يقرأُ السُّؤالَ، وهي تُملي عليهِ الجوابَ، إلى أنْ تنتهيَ مِنْ كلِّ الإجاباتِ، ثمَّ يقرأُ الإجاباتِ كلَّها فيما إذا لديها إضافاتٌ مُعيّنةٌ، وتُسلَّمُ الورقةَ. وتابعَتْ دراساتِها العليا بعدَ المرحلةِ الجامعيَّةِ، وحصَلَتْ على شهادةِ الماجستيرِ في اللُّغةِ العربيّةِ، عنوانُ الرِّسالة "الجملةُ الشَّرطيَّةُ المسبوقةُ بجازم في شِعرِ الأخطلِ الصَّغيرِ، تراكيبُها ودلالاتُها" بتقديرِ امتياز في الرِّسالة.

ونظراً لأنّها حقَّقتْ نجاحاً وتميُّزاً في دراساتِها الأكاديميَّةِ، فقَدْ تمَّ تكريمُها بشهادةٍ تقديريَّةٍ وجائزةٍ نقديَّةٍ مِنْ قبلِ السَّيدِ رئيس جامعةِ الموصل الأستاذ الدُّكتور أبي سعيد الديوه جي وبهديّةٍ أخرى مِنْ قبلِ وكيل عميد كلّيّة الآداب أ . م . د. أسماء الخطّاب. كما كُرِّمَتْ مِنْ قبلِ معالي وزير التَّعليم العالي والبحثِ العلمي الدُّكتور عبد الرّزاق العيسى بشهادةٍ تقديريَّةٍ لتفوقِها وحصولِها على تقديرِ امتيازٍ في كافَةِ الموادِّ الدِّراسيَّةِ. وتمَّ تكريمُها أيضاً بدرعٍ وشهادةٍ تقديريَّةٍ مِنْ قِبلِ جمعيّةِ حدياب للكفاءَاتِ في أربيل.

شاركَتْ مينا في ورشةِ العملِ الَّتي أُقيمَتْ تحتَ عنوانِ (مفاهيم التَّعايش السِّلمي) في كلِّيةِ التَّربيةِ للعلومِ الإنسانيّة. وحصلَتْ على العديدِ مِنْ شهاداتِ التَّقديرِ والدُّروعِ الثّقافيَّةِ لمشاركتِها بالنّدوةِ العلميّةِ الَّتي أُقيمَتْ في كلّيّةِ الآدابِ بعنوانِ (مستقبلُ نينوى في ظلِّ النّكبةِ وآفاقِ النُّهوضِ). وشارَكَتْ بإلقاءِ كلمةِ الافتتاحِ في المهرجانِ الثَّقافي الأوَّلِ لدعمِ إعادةِ إعمارِ المكتبةِ المركزيّةِ لجامعةِ الموصلِ. وتمَّ إجراءُ عدَّةِ مقابلاتٍ معَها عبرَ فضائياتٍ تلفزيونيّةٍ ومنصّاتٍ ثقافيّةٍ حولَ تفوُّقِها الدِّراسي وتميُّزِها. وأجرَتْ قناةُ السَّلام الدَّوليّة لقاءً معَها على حلقتَينِ أثناءَ تخرُّجِها مِنَ الجامعةِ وحصولِها على المرتبةِ الأولى على مستوى جامعاتِ المَوصلِ، وأجرَتْ لقاءً ثالثاً معَها لتفوُّقِها وحصولِها على الماجستير بتقديرِ امتيازٍ!

مينا رغيد عسكر قامةٌ إبداعيّةٌ متفرّدةٌ في تفوُّقِها الأكاديمي، وهي مِثالٌ يُحتذى بِها في تذليلِ الصُّعوباتِ!

ستوكهولم: حزيران (يونيو) 2024

أيقظَتْ أغاني الفنَّان آلان دريعي بي حنيناً عميقاً إلى ذاتي،
تُبلسِمُ أغانيهِ جراحَنا الغائرةَ مِنْ هولِ تصدُّعاتِ هذا الزّمانِ



آلان دريعي

98

أكتبُ في الآونةِ الأخيرةِ وأقرأُ طوالَ الوقتِ، أعيشُ حالةَ انغماسٍ في هذهِ العوالمِ، كمَنْ ترهْبَنَ للقراءَةِ والكتابةِ. الحياةُ شهقةٌ عابرةٌ فوقَ خُدودِ الأرضِ، حياتُنا رحلةٌ مُتتاليةٌ مِنَ المفاجآتِ، لا ندري أينَ سينتهي بِنا المَطافُ؟! أنْ تفكّرَ، أنْ تقرأَ، أنْ تكتبَ ما يجولُ في خاطرِكَ مِنْ مشاعرَ وهواجسَ وأفكارٍ ورؤىً، وتكونَ شغوفاً للغايةِ، إلى درجةِ الإدمانِ على الكتابةِ والبحثِ عَنْ فضاءٍ جَديدٍ في عَالمِ الكتابةِ وانبعاثِ الحَرفِ، يعني أنَّكَ في حالةِ تجدُّدٍ وعَطاءٍ دائِمَينِ في فضاءِ التَّجلّي. الكتابةُ رحلةُ بحثٍ عَنْ أعماقِ الذَّاتِ، لغةٌ مجدولةٌ بأشهى الأحلامِ! أراني مُنذُ عُقودٍ مِنَ الزَّمنِ، في حَالةٍ انْهماكٍ مَعَ عوالمِ كتاباتي وقراءَاتي. أصبحَتِ الكتابةُ شُغلِيَ الشَّاغلَ، تمنَحُنِي الكتابةُ مُتعةً ما بعدَها مُتعةٌ، تجدّدُ حياتي ويومي وكياني، وتفتحُ آفاقي عميقاً في مَرامي الحرفِ، كأنّي وُلِدْتُ منذوراً لأكتبَ وأكتبَ إلى آخرِ يومٍ في حياتي. وتَبعَتْها مراجعةُ كتاباتي، وصياغتُها وإخراجُها، بهدوءٍ كبيرٍ، وإعدادُ الكتبِ الجديدةِ لإدراجِها للنشرِ ككتبٍ الكترونيّةٍ أولاً، ثمَّ نشرِها ككتبٍ ورقيّةٍ ثانياً. كلُّ هذا الانغماسِ في عالمِ الكتابةِ، جعلَ لحياتي معنىً بهيجاً، بديعاً، ومُنعِشاً للغايةِ.

الحياةُ مِنْ دونِ أنْ يقدّمَ المرءُ فيها أثراً رصيناً مُهمّاً، ورؤيةً تنويريَّةً خلّاقةً، لا تعني شيئاً، وتُصبِحُ حياةً هَشّةً مُمِلَّةً لا معنى لها، وفارغةً مِنْ مَضمونِها الحقيقي ومِنْ جوهرِ وجودِنا في الحَياةِ، لهذا أشتغلُ بتركيزٍ كبيرٍ على كتابةِ أكبرِ قَدْرٍ مِمّا يراودُني مِنْ أفكارٍ ورؤىً كي أصوغَها في فضاءِ الشِّعرِ، والقصصِ، والرِّواياتِ، والنُّصوصِ، والمَقالاتِ والحِوارِ مَعَ الذَّاتِ، ومَعَ الآخرينَ، وأُهَدهِدُ اللَّونَ وهوَ في أوجِ تراقُصاتِهِ فوقَ بياضِ القُماشِ، كي أشعرَ أنَّني عُشتُ الحياةَ كما يجبُ قبلَ أنْ أحُلَّ في ضيافةِ السَّماءِ، لأنَّ ما يبقى على وجنةِ الحياةِ هو الحرفُ، الأثرُ، الكتابةُ بمختلفِ صنوفِها وأجناسِها ومناراتِ الفنونِ بكلِّ تجلّياتِ ألوانِها وأنغامِها، فهذهِ العطاءَاتُ الخلّاقةُ هي أثرُنا الباقي مِنْ بعدِ رَحيلِنا، وما أجملَ هذا الأثرَ الباقي على مرِّ الأجيالِ!

الموسيقى لغةُ الرُّوحِ المِمْراحةُ فوقَ مَدارجِ الحياةِ، تُبلسِمُ صباحاتِنا ونهارَنا وأماسينا بالفرحِ والغِبطةِ، كأنَّها بلسمُ الوجودِ، وأرقى ما في رحيقِ العُمرِ، تصفّي كينونتَنا مِنْ شوائبِ الحياةِ وترسُّباتِ الغُبارِ، في زمَنِ تَهافُتِ الكثيرِ مِنْ علاقاتِ البشرِ عَبرَ صيرورةِ الحياةِ، فهي أصفى شهيقٍ نستنشقُهُ في مَحطَّاتِ العبورِ في رِحابِ الزَّمنِ، وتَمنحُنا الموسيقى راحةً واسترخاءً بَهيجاً ومُنعِشاً، وتجدّدُ شغفَنا في رحلاتِنا المتتاليةِ فوقَ طينِ الحياةِ. نهضْتُ مِنْ نومي صبيحةَ يومِ (14. 11. 2023)، وأنا غارقٌ بأفكارٍ لا تُحصى للكتابةِ، وإذْ بي أستقبلُ عبرَ موبايلي أغنيةَ (Te Hemêz kim) للفنّانِ السُّوري الكوردي آلان دريعي على صفحتي في الفيس بوك، ضمنَ منشوراتِ "اخترنا لك". عادةً أستمعُ في مِثلِ هذهِ الحَالاتِ إلى استهلالِ الأغنيةِ، فلو استهوتْني، أتابعُ الاستماعَ إليها، استهوتْني جدّاً هذهِ الأغنيةُ، فاستمَعْتُ إليها ثلاثَ مرّاتٍ وأنا ما أزالُ في السَّريرِ، أيقظَتِ الأغنيةُ بي، مِنْ خلالِ انسيابيّةِ أدائِها الرَّهيفِ، حنيناً عميقاً إلى ذاتي، إلى نفسي المعتّقةِ بانكساراتِ الحنينِ إلى مُروجِ الرُّوحِ، وكنوزِ الشَّمالِ المتربّعةِ في أشهى هِلالاتِ الخيالِ، وأيقظَتْ ذكرياتي المفروشةَ على مِساحاتِ غُربتي المفتوحةِ على شَهقاتِ الكونِ، أنا المولعُ بالأغنيةِ الكورديّةِ، عندما تنبعثُ بهذهِ الأنغامِ الرَّخيمةِ والأداءِ المُبهرِ برهافةِ اللَّحنِ الجميلِ، واستمَعْتُ إليها بعدَ نهوضي مرّاتٍ ومرّاتٍ، وفي كلِّ مَرّةٍ كنْتُ أشعرُ وكأنَّها ملحَّنةٌ لي، أجلْ لي أنا المُتهاطلُ فوقَ مَنابعِ الكلمةِ الخلّاقةِ، المُعَمَّدُ على إيقاعِ حنينِ الموسيقى المُنسابةِ مِنْ أعماقِ الرُّوحِ، المترعرعُ في كنَفِ إشراقاتِ بوحِ القصيدةِ، وأغاني الشَّمالِ السُّوري بمُختلفِ أنواعِها، الماردليّةِ والسّريانيّةِ والكُورديّةِ والعربيّةِ والتُّركيّةِ والهنديّةِ أيضاً، يجرفُني الحنينُ إلى الأغاني الهنديّةِ، أيّامَ كُنَّا نحضرُ الأفلامَ الهنديّةَ ونستمعُ بكلِّ شغفٍ إلى الأغاني الهنديّةِ الموغلةِ في الرُّومانسيّةِ.

عانقتْني أغنيةُ (Te Hemêz kim) "تا همّزْ كُمْ بچَعْفا بْلَى قيامَةْ رابا" المُفعِمةُ بالأحاسيسِ، واستطاعَ الفنَّانُ "آلان دريعي" أنْ يستحوذَ على مَذاقِ حَرفي، أنا المجنّحُ نحوَ إيقاعِ هَدهداتِ الحرفِ الملظّى مِنْ جنونِ هذا الزَّمانِ، ووضَعَني في أزهى مَرامي السُّؤالِ، ما هذا اللَّحنُ الجَميلُ المُستنبتُ مِنْ شَهوةِ الرُّوحِ الغافيةِ في حنايا الحُلُمِ؟ لحنٌ طافحٌ بأهازيجِ الشَّوقِ إلى ربوعِ ديريكَ وبراري الشَّمَالِ، شَمالِ الرُّوحِ والقلبِ وأصفى تجلّياتِ الخيالِ، يُهدهدُ بمهارةٍ عاليةٍ خصوبةَ الرُّوحِ، ويناجي سهولَ القلبِ، وكأنّي أنا الَّذي لحَّنَ هذهِ الأغنيةَ في ليلةٍ مَكسوَّةٍ بأهازيجِ الشَّوقِ إلى كينونتي الغافيةِ هناكَ بينَ سهولِ القَمْحِ وكُرومِ ديريكَ في أوجِ انبعاثِ الأغاني في مواسمِ جَني الحَصادِ ولَمْلَمةِ سِلالِ العِنَبِ، وقَدْ جاءَ تلحينُها على مَزاجِ انبهاري وحنيني إلى خصوبةِ هذا النَّوعِ مِنَ الغِناءِ، وعلى مَقاسِ أشواقي المُشتعلةِ إلى الذَّاكرةِ البعيدةِ، إلى أصدقاءَ مُعبَّقينَ بأصفى دندناتِ زخّاتِ المَطرِ. أغنيةٌ مكثَّفةٌ بالمشاعرِ والأحاسيسِ المبهجةِ للروحِ المضطربةِ في زمَنِ تفاقُمِ الانكساراتِ. كَمْ نَحتاجُ إلى صَفاءِ الرُّوحِ والذِّهنِ والخيالِ. المُوسيقى تُطهّرُ قلوبَنا مِنَ الغُبارِ المُتناثرِ في صباحِنا ونهارِنا ولَيلِنا، والغناءُ يُبلسمُ جراحَنا الغائرةَ مِنْ هولِ جُنونِ الصَّولجانِ، تُحاصرُنا صولجاناتٌ مجنّحةٌ نحوَ لهيبِ النَّارِ والقُبحِ والغدْرِ والانهيارِ، فتأتي الموسيقى بكلِّ شموخٍ تقفُ في وجهِ الصَّولجاناتِ، وتصدُّ لهيبَ النِّيرانِ المتاخمةِ لأجنحةِ أحلامِنا ووجودِنا وكينونتِنا، وتخفّفُ علينا الكثيرَ مِنَ الأوجاعِ المُستفحلةِ فوقَ خُدودِ الأرضِ.

الموسيقى لغةُ الأرضِ المتعانقةُ مَعَ بهاءِ السَّماءِ، لغةٌ مَشحونةٌ بطاقاتٍ فرحيَّةٍ مُضمّخةٍ بِبَلسمِ الحياةِ، تُحلّقُ بأنغامِها نحوَ صَفاءِ الأعالي، ينبلجُ مِنْ ظِلالِ عطاياها أصفى حبورِ المسرّاتِ، تنبعثُ دندناتُها مِنْ رهافةِ الطَّبيعةِ، ومِنْ هديلِ اليمامِ المرفرفِ نحوَ آفاقِ الوئامِ، وتتماهى مَعَ تغاريدِ الطُّيورِ، وتتناغمُ مَعَ هُبوبِ الرّيحِ وتلاطُماتِ أمواجِ البحرِ، وتنسابُ في آذانِنا مَثلَ انسيابِ زخّاتِ المَطرِ في بدايةِ صباحاتِ الرّبيعِ. الموسيقى هبةٌ مِنَ الأعالي، لغةٌ ساحرةٌ في تجلّياتِ حُبورِها وتناغماتِ انبعاثِها، تمنحُنا مُتعةً غامرةً، وتُغدِقُ علينا فرحاً عميقاً، وتُزيلُ عَنْ يومِنا الأحزانَ المتطايرةَ فوقَ صُدغِنا. تُريّحُ أعصابَنا مِنْ تَعبِ الأيّامِ لِما فيها مِنْ تأثيرٍ مُبهِجٍ على آهاتِنا وعوالمِنا المكلَّلةِ بالأحزانِ. الموسيقى حاجةٌ حياتيّةٌ لا غنى عنها، تزرعُ في قلوبِنا بذورَ الهناءِ وأشهى حالاتِ الابتهالِ، وتَمحَقُ تَرسُّباتِ الجفاءِ والملَلِ الَّتي نصادفُها في مِعراجِ الحياةِ.

تمتَّعْتُ بأداءِ الفنّانِ آلان دريعي وهو يقدّمُ لنا أجملَ الأغاني الكورديّة، يُغنّي بإحساسٍ رهيفٍ وحنونٍ وكأنَّهُ يتلو علينا أشواقَهُ إلى أزاهيرِ الرَّبيعِ. استمتعتُ كثيراً بالإستماعِ إليهِ، ورُحتُ أبحثُ عَبرَ اليوتيوب عَنْ أغانيهِ، واستمعْتُ إلى بعضِ أغانيهِ والأغاني الَّتي كانَ يؤدّيها لفنانينَ آخرينَ، وامتازَ بأداءِ أغانيهم بأسلوبِهِ المُبهرِ، ولَمْ أجِدْ في أدائِهِ لغيرِهِ مُقلِّداً، بَلْ وجدْتُهُ وكأنَّ الأغنيةَ لَهُ وهوَ أوَّلُ مَنْ غنّاها، لِمَا كانَ مُتفاعِلاً ومُنغمساً في أداءِ الأغاني بكلِّ مَشاعرِهِ وأحاسيسِهِ المرهفةِ، فهو يَمتلكُ صوتاً حَنوناً عَذباً طَافحاً بالفرحِ، والتَّجلّي والصَّفاءِ والعذوبةِ. يغنّي برهافةٍ مُبهرةٍ، منصهراً مَعَ أنغامِ موسيقاهُ، كأنَّهُ الشّاعرُ الَّذي ألّفَ القصيدةَ، يعزفُ كمَنْ ينطقُ بهجةً وألقاً دافئاً بأبهى بزوغِ التَّجلّي، ينتقي القصيدةَ المعبّرةَ الّتي تحملُ معانيَ عميقةً وكأنَّ فضاءَاتِ القصيدةِ مفصَّلةٌ ومُصاغةٌ على طبقاتِ وعوالمِ صوتِهِ، وقَدْ غنَّى أغنيةً للفنّانِ "هوزان برادر" (Dema Tu Dikenî) "عندما تضحكين"، أجادَها وكأنَّ الأغنيةَ أغنيتُهُ، فهو ينتقي الأغاني الّتي يغنّيها بمهارةٍ عاليةٍ، وينغمسُ عميقاً في أدائِها وعزفِها إلى حدِّ الانبهارِ، وهو مِنَ المولعينَ بأغاني الفنَّان الرّاحل "آرام ديكران" هذا الأرمنيُّ البارعُ الَّذي غنَّى أغانيَهُ بالكورديَّةِ بتقنياتٍ بارعةٍ، وتأثَّر "آلان" بأسلوبِهِ وعوالمِهِ. لم أسمعْ أغنيةً مِنْ أغاني "آلان"، إلّا وشعرْتُ أنّني أمام فنّانٍ عميقِ الإحساسِ والآفاقِ في تطلُّعاتِهِ الفنّيّةِ ومهاراتِهِ الصَّوتيّةِ والموسيقيّةِ.

ما هذا الأداءُ المشحونُ بإحساسٍ مُرهفٍ للغايةِ يا عزيزي آلان؟ تغنّي كمَنْ يُناجي مشاعرَنا المبلَّلةَ برحيقِ أزاهيرِ الحنينِ، إحساسُكَ المفعمُ بأرقى جُموحاتِ التَّجلّي، يُشبِهُ أداءَ عاشقٍ مِنْ حيثُ الرُّغبةُ الكامنةُ في أعماقِكَ، هذهِ الرُّغبةُ المجبولةُ بالأغاني المَمْهورةِ برهافةِ الفَراشاتِ وهي تحلّقُ قربَ نوافذِنا في صَباحِ العيدِ، في صَباحِ الفرحِ، في صَباحٍ مبلَّلٍ ببسْمةِ الأمَّهاتِ، وسهولِ القمحِ المُتعانقةِ مَعَ صباحاتِ غُربتي المفتوحةِ على مِساحاتِ عَطشِ الرُّوحِ للأزمنةِ المطرّزةِ بأبهى الأغاني؟ وأشعرُ وكأنّي أنا أعزفُ وأغنّي لنفسي بأقصى مِساحاتِ الحنانِ، وقدْ تمكَّنْتَ أنْ تغوصَ في أعماقِ رغباتي الخفيَّةِ، وتُهدهدَ أشواقيَ العَطشى لهذا النّوعِ مِنَ الغناءِ الَّذي يلامسُ مُهجةَ الرُّوحِ، وهذا نادراً ما يحقّقُهُ المُغنّي، إلَّا إذا كانَ رهيفاً للغايةِ في أدائِهِ، فيتلقَّى المستمعُ هذهِ الرَّهافةَ بمُتعةٍ مُنقطعةِ النَّظيرِ، لِما في هذهِ الجموحاتِ الفنّيَّةِ المبهرةِ مِنْ تجلّياتٍ خلَّاقةٍ!

يسعى الفنّان "آلان دريعي" أنْ يقدّمَ لنا موسيقى رهيفةً، متناغمةً مَعَ خريرِ السَّواقي المُفعمةِ بأسئلةٍ موشومةٍ بالجمالِ والهُدوءِ والفَرحِ والحَنينِ، مُلخّصاً الكثيرَ مِمّا ينتابُهُ مِنْ مَشاعرَ وأفكارٍ في حَنايا الأغاني عبرَ ألحانٍ تُناجي القلوبَ بأداءٍ رخيمٍ مُبهجٍ للأذنِ والقلبِ ورفرفاتِ أجنحةِ الرُّوحِ، مُركّزاً على مُناجاةِ غربةِ الإنسانِ مَعَ أخيهِ الإنسانِ، منطلقاً مِنْ رؤيةٍ فنّيةٍ جديدةٍ، تصبُّ في فضاءَاتٍ رومانسيَّةٍ حنينيَّةٍ عِشقيَّةٍ كي يضيفَ للأغنيةِ الكورديّةِ مذاقاً حنوناً، لعلَّهُ ينعشُ صباحَنا ويومَنا المكثَّفَ بالجراحِ والآهاتِ، مِمَّا ينتابُنا في مَساراتِ دُروبِ الأيَّامِ، صوتٌ يُناجي القلبَ والرُّوحَ، ويحلّقُ في فضاءَاتٍ شاهقةٍ، مُلَملِماً تشظّياتِ الانشطارِ المُحدِقِ بنا مُنذُ زمنٍ بَعيدٍ، ويفجّرُ بِنا حناناً عَميقاً إلى الزّمنِ الهَاربِ نَحوَ شهقاتِ الانكسارِ، ونحوَ ظِلالِ بيوتِنا العتيقةِ، المكتنزةِ بأسئلةٍ منبعثةٍ مِنْ أصفى وأبهى الأغاني.

تُشبِهُ أغانيهِ حبقَ القصيدةِ، حبورَ الحبِّ، زقزقاتِ العصافيرِ فوقَ الأفنانِ، وأزهى لقاءَاتِ العُمرِ في حفلات الأعيادِ والأفراحِ وزغاريدِ الزِّفافِ. يتجلّى في الغناءِ، مبدّداً غُربةَ ما يعترينا في هذا الزَّمانِ. أغانيهِ منبعثةٌ مِنْ رِضابِ الحبِّ، ومِنْ نداوةِ النَّسيمِ، ترحّبُ بها بكلِّ اعتزازٍ أذواقُ الأجيالِ، وهي باذخةٌ في روعةِ الألحانِ، مضمّخةٌ بجموحاتِ حُلُمٍ متناثرٍ فوقَ حنينِ الصَّباحِ. كَمْ أشعرُ بالفرحِ وشغفِ التَّواصلِ مَعَ أصدقاءَ مِنْ نكهةِ الحِنطةِ وأنا أستمعُ إلى هذا الصَّوتِ الغارقِ في ابتهالاتِ الحنينِ. كم أسعدَتْني هذه الأغاني واستنهضَتْ مِنْ أعماقي أشواقاً مُفعمةً بالحبورِ ومنبلجةً مِنِ اخْضرارِ الحقولِ. الموسيقى غذاءُ الرُّوحِ العطشى لمرامي القصيدةِ، الغناءُ صوتُ السَّماءِ المتهاطلُ فوقَ أحلامِ الصَّباحِ، الكتابةُ ترجمةُ آهاتِ الشَّوقِ إلى دُنيا من بُكاءٍ. أشعرُ أنّني بحاجةٍ ماسَّةٍ للبكاءِ، للفرحِ، للغناءِ، للعناقِ، للكتابةِ، لجمالِ الوجودِ، وللتواصلِ مَعَ كينونةِ الكونِ.

الموسيقى تبهجُ حرفي وبوحي وآفاقَ جموحي، والكتابةُ تترجمُ تجلّياتِ الموسيقى والغناءِ على مَدى أشواقِ الحنينِ إلى محطَّاتِ العمرِ الَّتي طواها الزّمنُ، وظلَّتْ معشّشةً بينَ تجاعيدِ الحُلُمِ. فرحٌ يسطعُ في سماءِ روحي. حرفي صديقُ يومي وليلي، شهيقُ ورودٍ مُتعانقةٍ فوقَ مُروجِ الجبالِ، حرفي أغنيةُ عِشقٍ مَمْهورةٌ بأصفى جموحِ البوحِ. أكتبُ حرفيَ لأنغامِ أغانٍ مُنسابةٍ مِنْ شهوةِ الحُلُمِ، مِنْ ألحانِ شِعرٍ مُندلقٍ مِنْ خاصرةِ السَّماءِ. كِمْ أبهجتني أغاني الفنَّان الرَّهيفِ آلان دريعي، وكَمْ أنعشتْني موسيقاه. تستهويني الموسيقى الخلَّاقةُ ويبهرُني الغناءُ الَّذي يناجي القلبَ والرُّوحَ. تحرّضُني هذهِ العوالمُ الفنّيَّةُ على الكتابةِ وعلى الرَّقصِ في أغلبِ الأحيانِ، مِراراً رقصْتُ على إيقاعِ أرقى الأغاني وأنا في ذروةِ انتعاشي. الموسيقى صديقةُ يومي وبوحي وحرفي، والكتابةُ صديقةُ عُمري الأشهى في الحياةِ! ..

ستوكهولم: 14. 11. 2023 صياغة أولى
نيسان (أبريل) 2024 صياغة نهائيّة

تنتقدُ الرّوائيّةُ التُّركيّةُ إليف شافاق
الاعوجاجاتِ والأخطاءَ المستشريةَ في الأوساطِ التُّركيّةِ



إليف شافاق

99

تكتبُ الرّوائيّةُ التُّركيّةُ إليف شافاق أعمالَها ببراعةٍ لِمَا لديها مِنْ فكرٍ خَلّاقٍ، وخيالٍ مُنسابٍ نحوَ أبهى آفاقِ التَّجلّي، تُحلّقُ عالياً في جُموحاتِ رؤاها، خارقةً سلطةَ الأبِ وسُلطةَ الذُّكورةِ المَشرقيّةِ، فقدْ انفصلَ والدُها عَنْ والدتِها وهي في عامِها الأوَّلِ، لهذا تحرَّرَتْ كُلّياً مِنْ سُلطةِ الأبِ ومِنْ كلِّ السُّلطاتِ الَّتي مِنَ المُمْكنِ أنْ تكبحَها أو تتحكَّمَ في تجلّياتِ رؤاها. لَمْ تعِشْ في كنفِ الأبوّةِ المعروفةِ في دُنيا الشَّرقِ بالسُّلطةِ البطريركيّة والضَّغطِ على المرأةِ أو التَّحكُّمِ فيها. عاشَتْ إليف وحيدةً، لمْ تعِشْ بين أقرانِها في أسرةٍ كبيرةٍ، فلا أعمامٌ ولا أخوالٌ ولا خالاتٌ ولا عمَّاتُ ولا إخوةٌ أو أخواتٌ لها، ترعرَعَتْ في كنفِ أُمِّها وحيدةً ورعايةِ جدَّتِها، تقضي ساعاتٍ وحدَها في المنزلِ، فما وجدَتْ حولَها إلَّا الكتابَ فاتّخذتْهُ صَديقاً حميماً لها مُنذُ أنْ فكَّتِ الحرفَ، وراحَتْ تقرأُ وتقرأُ مُنذُ نعومةِ أظفارِها كي تقضي على مَلَلِها ووحدتِها المكوَّرةِ بينَ الجدرانِ الأربعةِ، كانَتْ حياتُها مُملّةً للغايةِ على حدِّ قولِها، فراحَتْ تخترعُ الحكاياتِ وهي ما تزالُ طِفلةً في الثّامنةِ مِنَ العُمرِ، كي تقضيَ على المَلَلِ الَّذي كانَ يُهيمنُ على يومِها، وما كانَتْ تعلمُ أنَّ هذهِ الحِكاياتِ الَّتي تخترعُها مِنْ خيالِها الطُّفولي يُمكنُ أنْ تكونَ البذرةَ الَّتي ستنمو في أعماقِها في مستقبلِ الأيّامِ وتصبُّ في عالمِ السَّردِ الرّوائي الخلّاقِ. هذا ما كانُ يخطرُ على بالِها نهائيّاً، إلَّا أنَّ بقاءَها وحيدةً في المنزلِ لفتراتٍ طويلةٍ، وسعيَها المستمرَّ في اختراعِ الحكاياتِ للقضاءِ على ملَلِها، خلقَ في أعماقِها وفي لاشعورِها الضُّمني شَغفاً في فضاءِ الكتابةِ حتَّى وإن لم تخطِّطْ لهذا الأمرِ في طُفولتِها، لأنَّ هذهِ الطُّفولةَ الَّتي عاشَتْها ظلَّتْ قابعةً في آفاقِ الخيالِ، والذّاكرةِ، واللّاشعورِ، تتحيَّنُ الفُرَصَ للتعبيرِ عنها وعنْ مُنعكساتِها، لأنَّ السَّنواتِ الأولى مِنْ عُمرِها لها دورٌ كبيرٌ في تشكيلِ الكثيرِ مِنْ اهتماماتِها وشغفِها وتوجُّهاتِها، خاصَّةً ما يتعلَّقُ في فضاءَاتِ الكتابةِ!

اشترَتْ أمُّها لها مفكَّرةً في طفولتِها، كي تكتبَ فيها ما يحلو لها، وبدأتْ إليفُ تكتبُ حكاياتٍ مِنْ خيالِها الطُّفوليّ، كي تبدِّدَ المَلَلَ القاتلَ الَّذي كانَ ينتابُها في عزلتِها ووحدتِها، وقَدْ كانَتْ هذهِ الحكاياتُ على ما يبدو البذرةَ الَّتي ترعرَعَتْ شيئاً فشيئاً إلى أنْ بدأَتْ تكتبُ قِصصاً، ثمَّ تنامَتْ لديها الأفكارُ وانتقلَتْ رويداً رويداً إلى فَضاءِ الرِّوايةِ، فقَدْ كانَتْ وحدتُها وعزلتُها وملَلُها ويأسُها بمثابةِ البذورِ الَّتي تنامَتْ مَعَها وتبرعمَتْ في عوالمِها إلى أنْ أمسكَتِ القلمَ بكلِّ شَغفٍ وراحَتْ تكتُبُ رواياتِها كما يُملي عليها خيالُها السَّيَّالُ، وقَدْ مَنحَتْها كتابةُ الرِّوايةِ الأُلفةَ والرَّاحةَ والتَّأمُّلَ، وساعدَتْها ثقافتُها الواسعةُ على تَعميقِ رؤاها السَّرديَّةِ الجامحةِ، فهي تحملُ شهادةَ البكالوريوس في العلومِ السِّياسيّةِ مِنْ جامعةِ الشَّرقِ الأوسطِ التقنيَّةِ في تركيا وشهادةَ الماجستير في الجندرِ والدِّراساتِ النِّسويَّةِ والدُّكتوراه في العلومِ السِّياسيَّةِ، وفلسفةِ السِّياسةِ. ونالَتْ عَنْ أطروحتِها لنيلِ الماجستير في موضوعِ الإسلامِ، والنِّساءِ، والتَّصوُّفِ، فقَدْ جاءَتْ هذهِ الرّوائيَّةُ البارعةُ مِنْ خلفيّةٍ أكاديميّةٍ مُنوّعةٍ، ومُتشرّبةٍ بثقافةٍ عاليةٍ ومُجنَّحةٍ نحوَ فضاءِ الفردانيّةِ ونقدِ ما لا يستهويها، وكلُّ هذا ساهمَ في تعميقِ رؤاها الفكريّةِ وجُموحِها الشّاهقِ في السَّردِ الرّوائي، فراحَتْ تُفرّغُ ما في أعماقِها مِنْ رؤىً تموجُ في كينونتِها فوقَ ناصيةِ الورقِ، وأصبحَتِ الكتابةُ في الفضاءِ الرّوائيّ ديدنَها الأشهى والأبقى، ومَصبّاً مُنعِشاً لعوالمِها الشّاهقةِ كي تفرّغَ فيهِ آفاقَ رؤاها وأفكارَها الغزيرةَ الّتي كانَتْ تُجابِهُ عَبرَها الاعوجاجاتِ والأخطاءَ الّتي تراها تستشري في الأوساطِ التُّركيّةِ، مُنتقِدةً ما يقعُ مِنْ غُبنٍ على المرأةِ، فجسَّدَتْ رؤاها ومشاعرَها وحالاتِها وحالةَ أُمّها وأمِّ الكثيراتِ بمَهارةٍ عاليةٍ في فضاءَاتِ مُتونِ الرُّواياتِ، برؤيةٍ طافحةٍ بأصفى مرامي الإبداعِ!

إليف شافاق روائيَّةٌ فضوليّةٌ شغوفةٌ، تحملُ أعمالُها بُعداً إنسانيّاً وفكراً رائداً في مرامي العَدالةِ وحقوقِ الإنسانِ، تُناصرُ الحقَّ أينما كانَ، مُدافعةً عَنِ المرأةِ بكلِّ ما لديها مِنْ عُمقٍ فكريٍّ، ومهتمَّةً بالأقلّياتِ وبالَّذين لا تُسمَعُ أصواتُهم، ومهتمّةً بالآخرِ الَّذي لا يجدُ مَنْ يُدافعُ عنهُ، مؤكِّدةً على أنَّ مُهمَّةَ الأدبِ والفنِّ هي إلقاءُ الضَّوءِ على الهامشيينَ المَنسيينَ والمَقموعينَ. وكلُّ هذا الاهتمامِ ينمُّ عَنْ رَحابةِ رؤاها الإنسانيّةِ ونزوعِها العَميقِ نحوَ أصفى مرافئِ العدالةِ والحقوقِ لكلِّ إنسانٍ، بغضِّ النّظرِ عَنْ مَنبتِهِ ودينِهِ وقوميَّتِهِ ومذهبِهِ وطائفتِهِ، لمجرَّدِ كونِهِ إنساناً، كافٍ للدفاعِ عنْهُ فيما إذا كانَ مَظلوماً، فهي تدافعُ بكلِّ ما تملكُ مِنْ قوّةٍ في رؤاها عَنْ كلِّ مَنْ يَشعُرُ أنَّهُ وحيدٌ، فهي عاشَتْ وحيدةً وتشعُرُ بمرارةِ الوحدةِ، وهذهِ المرارةُ الّتي ذاقتْها، طهّرَتْها مِنَ التَّرسُّباتِ العالقةِ في أذهانِ الكثيرينَ في دُنيا الشَّرقِ، وجنّبتْها مِنَ الانزلاقِ في تخندُقاتِ بعضِ الكتَّابِ والكاتباتِ وأصحابِ الرُّؤيةِ الضَّيقةِ والمتعصّبةِ، وجنّبتها أيضاً مِنَ الانحيازاتِ المُكتنزةِ بالغُبارِ في الكثيرِ مِنْ مَناحي الحياةِ، وقَدْ تخلَّصَتْ مِنْ هذهِ الفخاخِ، وركَّزَتْ على كلِّ ما هو إنسانيٌّ، وعادلٌ، وحرٌّ، ودافعَتْ عنْها عبرَ كتاباتِها الرّوائيَّةِ ومواقفِها في الحياةِ. ولا تتوانى إليف عَنْ قولِ الحقيقةِ، حيثُ تقولُ إنَّ ماضينا فيهِ الكثيرُ مِنَ الجمالِ، وفيهِ الكثيرُ مِنَ القُبْحِ والأغلاطِ المريرةِ أيضاً، ولا تؤمِنُ بالهويّاتِ الجماعيَّةِ، أي بالعقلِ الجمعيِّ، أو ما يُطلقُ عليه اصطلاحاً العقلُ القطيعيُّ، بَلْ تؤمِنُ بالفردانيّةِ، وترى مِنَ الضَّروريِّ تعزيزَ البُعدِ الفردانيِّ لدى الفردِ كي يقدِّمَ أرقى ما لديهِ، بعيداً عَنِ الانسياقِ إلى الرُّؤيةِ الجمعيّةِ القطيعيّةِ الفضفاضةِ.

أصدرَتْ إليف شافاق تسعة عشرة كتاباً، منها اثنتا عشرةَ روايةً، وكلُّ أعمالِها تتضمَّنُ فِكراً عميقاً وأهدافاً تسعى إلى ترويجِها ونشرِها بينَ القرَّاءِ والقارئاتِ، ففي روايتِها "قواعدُ العشقِ الأربعون" تسردُ عوالمَ الرِّوايةِ ضمنَ خمسِ فصولٍ في مُنتهى الأهمَّيةِ والعُمقِ، وتضمَّنَتْ هذه الفصول تباعاً: الأرضَ، الماءَ، الرِّيحَ، النَّارَ والعدمَ، واستعرضَتْ عَبرَ هذهِ الفصولِ أربعينَ قاعدةً للحبِّ. وفي روايةِ "لقيطةُ اسطنبول" الّتي تُعدُّ روايةً مُعاصِرةً، تدورُ أحداثُها عَنْ نساءِ عائلةِ قزانجي: زليخة، وهي الأختُ الصُّغرى، تُديرُ صالوناً خاصَّاً بالوشْمِ وهي أمُّ آسيا اللَّقيطةِ، وبانو، الموهوبة في التَّنجيمِ، وسيزي، أرملةٌ ومدرِّسةٌ، وفريدة، كانَتْ مهووسةً بالكوارثِ؛ ولديهم أخٌ وحيدٌ يعيشُ في أميريكا. وخلالَ أحداثِ الرِّوايةِ تمَّ الكشفُ عَنْ تاريخِ تركيا الحديثِ. حقَّقَتِ الكاتبةُ إليف شافاق عَبرَ روايةِ "لقيطة اسطنبول" نجوميَّةً عاليةً، وضعَتْها في مَصافِ نُجومِ الرَّوايةِ العالميّةِ. وتستعرضُ عبرَ روايةِ "شرف 1" صفحاتٍ مِنَ البؤسِ الاجتماعي والإثني والقومي على الصَّعيدِ الثَّقافي والاقتصادي والنَّفسي، والَّذي يشملُ أجزاءً مِن تركيا المعاصرةِ، حيثُ يعيشُ فيها الشَّعبُ الكوردي بكلِّ ما لديهِ مِنْ عاداتٍ وتقاليدَ ويبدو واضحاً آثارُ الإهمالِ طاغياً في هذهِ الأجزاءِ. ثمَّ تتابعُ الرِّوائيَّةُ تقديمَ روايةِ "شرف 2" في قراءَةٍ عميقةٍ فيما يتعلَّقُ في عالمِ الأقلّياتِ، وأثارَ تقديمُها لهذهِ الرِّوايةِ إعجابَ القُرّاءِ، لِما في رؤاها السَّرديَّةِ مِنْ عُمقٍ مَعرفيٍّ وثقافيٍّ حولَ عَوالمِ الكُوردِ، فحَقَقَتِ الرِّوايةُ نجاحاً في بناءِ عوالمِها السَّرديَّةِ. وفي روايةِ "الفتى المتيّمُ والمعلّمُ" تسردُ شافاق أحداثَ الرِّوايةِ المتمحورةِ حولَ شخصيّةِ جهان، الفتى الهندي البالغِ اثني عشرَ عاماً، يصلُ إلى قصرِ توبكاني حاملاً مَعهُ هديّةً للسلطانِ، وتتغيَّرُ شخصيَّتُهُ مِنْ تأثيرِ ابنةِ السُّلطانِ مهرماه والمعماري سنان الَّذي علَّمَهُ بِناءَ المَساجدِ والقصورِ والحمَّاماتِ والمدارسِ والجُسورِ، مُركِّزاً على الغوصِ عميقاً في رحابِ الذَّاتِ وبناءِ الرُّوحِ، روايةٌ مُدهشةٌ في بنائِها الفنّيِّ المُتعدِّدِ العوالمِ. وفي روايتِها "حليبٌ أَسودُ" تطرَّقَتْ شافاق إلى حالةِ الاكتئابِ الّتي رافقَتْها، بعدَ ولادةِ ابنتِها "شهرزاد زيلدا"، واستمرَّ الاكتئابُ لمدَّةِ عشرةِ شهورٍ تقريباً، وتقصدُ بالحليبِ الأسودِ، حليبَ الرِّضاعةِ، وقَدْ نجحَتْ في اجتيازِ حالةِ الاكتئابِ، وحوَّلَتْ حليبَ الأمومةِ الأسودِ إلى تدفُّقاتِ الحِبرِ، بانسيابيّةٍ عاليةٍ، وحوَّلَتْ حالتَها الكئيبةَ إلى حالةٍ إبداعيَّةٍ، ونسجَتْ مِنْ تجربتِها سرداً روائيّاً باهراً. وتتطرَّقُ في روايتِها "قصر القمل" إلى فضاءِ قصرٍ بناهُ مهاجرٌ روسيٌّ، لزوجِهِ، ولعشرِ شخصيّاتٍ مَعَ عائلاتِهم، وقَدْ تحوَّلَتْ الشّققُ في القصرِ إلى خرابٍ، وتكاثرَ فيها القَمْلُ، كتبَتْ شافاق الرِّوايةَ بأسلوبِ "ألف ليلة وليلة" حيثُ تولدُ قصّةٌ مِنْ أحداثِ سابقتِها، نسجَتْ الرِّوائيّةُ عبرَ روايتِها بُعْداً كوميديّاً وتراجيديّاً، مُركِّزةً على العدالةِ الاجتماعيّةِ، وحققّتِ الرِّوايةُ نجاحاً كبيراً. وأمَّا رواية "قصرُ الحلوى" فتتناولُ تصارعاتِ المُجتمعِ الاسطنبولي بينَ المهاجرينَ والأقلّياتِ والمُهمّشينَ والمجانينَ، وهي روايةٌ عَنِ الظُّلمِ الاجتماعيّ، والخوفِ مِنْ فُقدانِ الهويّةِ وسيطرةِ القدرِ على مَصائرِ النَّاسِ. وفي روايةِ "بناتُ حواء الثّلاث" تضعُنا الرِّوائيّةُ في فضاءِ رحلةِ البحثِ عَنْ طريقٍ ثالثٍ، لا تتحدَّثُ الرِّوايةُ عَنِ الإله، بَلْ تتحدَّثُ عَنْ كيفيّةِ الوصولِ إلى العقيدةِ الصَّحيحةِ، مِنْ خلالِ تساؤلاتٍ تطرحُها عَبرَ شخصيّاتِ روايتِها المتناقضةِ مَعَ بعضِها بعضاً. شخصيَّةٌ مؤمنةٌ ومُلحِدةٌ ومتردَّدةٌ، تدورُ أحداثُها بينَ تركيا وأوروبا وبينَ الماضي والحاضرِ، وهي مِنَ الرِّواياتِ الَّتي تثيرُ جدلاً ونقاشاً ليسَ مِنَ السُّهولةِ الرُّكونُ إلى إجاباتٍ نهائيّةٍ!

وفي روايةِ "البنت الَّتي لا تحبُّ اسمها"، تتحدَّثُ عَنْ شخصيّةِ ساردونيا وهي فتاةٌ ذكيّةٌ للغايةِ، لكنَّها تكرهُ اسمها، الَّذي بسببِهِ يسخرُ منها تلاميذُ صفِّها، فتُصبِحُ الكتبُ والحكاياتُ والخيالُ أصدقاءَها الأوفياءَ. وتطرَحُ في روايةِ "10 دقائق و38 ثانية في هذا العالمِ الغريبِ"، سؤالاً عميقاً: تُرى، ماذا سيحدث لو أنَّ العقلَ البشري يظلُ على قيدِ العملِ لبضعِ دقائقَ، بُعيدَ لحظةِ الوفاةِ؟ تساؤلها فيهِ الكثيرُ مِنْ جُموحاتِ الخيالِ. وأمَّا في روايةِ "جزيرةُ الأشجارِ المفقودةِ" تعودُ شافاق لتتناول فترةَ الصِّراعِ التُّركي القبرصي وما تمخّضَ عنْهُ مِنْ انقساماتٍ وكَراهيَّةٍ، عبرَ عِدّةِ أجيالٍ، وفي هذا السِّياقِ تقولُ شافاق: "يوجدُ فى قبرصَ خطٌّ فاصلٌ يحرسُهُ ذوو الخوذِ الزُّرقِ. إنَّها حدودٌ تَفصِلُ الجزيرةَ وتَفصِلُ بينَ المسيحيينَ والمسلمينَ واليونانيينَ والأتراكِ. ومِنْ ثُمَّ فإنَّ التَّقسيمَ ترسمُهُ الحدودُ الدِّينيّةُ والوطنيَّةُ والعرقيَّةُ، لكنَّ الأدبَ بالنِّسبةِ لي هو وسيلةٌ للارتقاءِ إلى ما وراءِ كلِّ الحواجزِ والتَّجزئةِ مِنْ أجلِ وضعِ أصابعِنا على الأشياءِ المشتركةِ بينَنا كبشرٍ. لهذا السَّببِ أتحدَّثُ عَنْ أشياءَ تنتقلُ عَبرَ الحدودِ، مِثلَ القصصِ والخُرافاتِ والطَّعامِ والموسيقى والطُّيورِ المُهاجرةِ، وغيرَ ذلكَ".

إليف شافاق هي كاتبةٌ روائيَّةٌ تركيَّةٌ–بريطانيّةٌ، صاحبةُ الرِّوايةِ الشَّهيرةِ "قواعدُ العشق الأربعون"، شغلَتْ عدّةَ مناصبَ في جامعاتٍ مختلفةٍ في تركيا والولاياتِ المتَّحدةِ والأممِ المتَّحدةِ، وحصلَتْ على أستاذة زائرة في جامعةِ أكسفورد، وتمَّ اختيارُها مِنْ بينِ أكثرِ مِنْ 100 امرأةٍ تُلهمُ وتؤثِّرُ مِنْ قِبلِ هيئةِ الإذاعةِ البريطانيّةِ. وُلدَتْ إليف في فرنسا عام 1971 وقضَتْ فترةَ مراهقتِها في مدريدَ قبلَ أنَ تعودَ إلى بلدِها الأمِّ تركيا، عاشَتْ حياةً مُتنقِّلةً بينَ المدنِ والولاياتِ فتنقلَّتْ بين أنقرة وكولونيا وعمان ومدريد وبوسطن وغيرِها مِن الدُّولِ، وساهمَ هذا التَّنقُّلُ على خلقِ تعدُّديّةٍ ثقافيّةٍ لديها وانعكسَتْ على كتاباتها وكتبتْ أعمالَها الإبداعيّة بالتُّركيّةِ والإنكليزيّةِ. حصلَتْ روايتُها الأولى على جائزةِ أفضل عمل في الأدبِ الصُّوفيِّ في تركيا عام 1998. نالَتْ جائزةَ اتّحادِ الكتَّابِ الأتراكِ عَنْ روايتِها "النَّظرةُ الثَّاقبةُ" عام 2000. لعبَتْ الصُّوفيةُ دورًا مهمًا بمؤلَّفاتِها، وكانَتْ روايةُ "قواعدُ العشقِ الأربعون" (عن جلال الدِّين الرومي) مِنْ أكثرِ الرِّواياتِ انتشارًا، فقَدْ أصبحَتِ الرِّوايةُ الأكثرُ مَبيعًا في تركيا؛ حيثُ بلغَ عددُ النُّسخِ المُباعةِ مِنها أكثرَ مِنْ 150000 نُسخةٍ خلالَ شهرٍ. شغلَتْ إيليف منصبَ نائبةِ رئيسِ الجمعيَّةِ الملكيّةِ للأدبِ. وكانتْ عُضواً في مَجلسِ الأجندةِ العالميَّةِ للاقتصادِ والإبداعِ وعضو مؤسِّس للمجلسِ الأوروبيِّ للعلاقاتِ الخارجيَّةِ. حصلَتْ على العديدِ مِنَ الجوائزِ الأدبيَّةِ، منها جائزةُ هالدورلاكسنس الدَّوليّة للأدبِ لمساهمتِها في تجديدِ السَّردِ القِصَصي. تُرجمَتْ أعمالُها إلى أكثرِ مِنْ 20 لغةً، تقولُ شافاق "إنَّ النِّساءَ هنَّ أعظمُ مَنْ يروي القِصَصَ، لَمْ أنشأ في أسرةٍ تقليديَّةٍ ذاتِ نظامٍ أبويٍّ وذلكَ جعلَني أكثرَ استقلاليَّةً وأتاحَ لي فرصةَ القيامِ بأشياءَ كثيرةٍ ربَّما مُنِعَتْ مِنها مَثيلاتي مِمَّنْ عشْنَ تحتَ سلطةِ الأب".

ستوكهولم: تموُّز (يوليو) 2024



الزّعيم الرّوحي للهند والسِّياسي البارز المهاتما غاندي

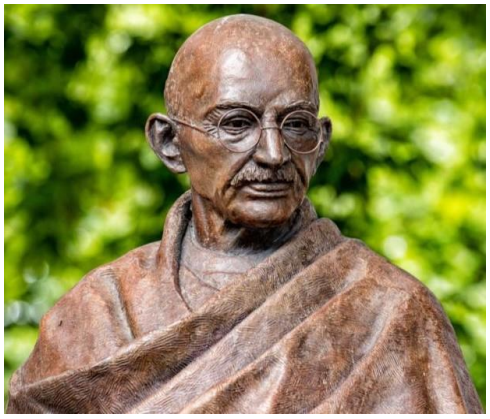

المهاتما غاندي

100

جنحَ السِّياسي الهندي المهاتما غاندي خلالَ نضالِهِ السِّياسيِّ الطَّويلِ نحوَ فضاءِ السِّلمِ أكثرَ مِنْ أغلبِ سياسيي العالمِ، فقَدْ تشبَّعَ بثقافةٍ عَميقةٍ في فضاءَاتٍ روحانيّةٍ إنسانيّةٍ كونيّةٍ في ترسيخِ دعائمِ السَّلامِ والوئامِ بينَ البشرِ، ولهذا اعتُبرَ الزَّعيمَ الرُّوحيَّ للهندِ مِنْ خِلالِ نشاطاتِهِ وعملِهِ المتواصلِ في سبيلِ استقلالِ الهندِ بطريقةِ اللّاعنفِ، فلَمْ يستخدمِ العنفَ في توجُّهاتِهِ النِّضاليّةِ ضدَّ خصومِهِ نهائيّاً، مُركِّزاً على لُغةِ السِّلم والوئامِ منهاجَ حياةٍ ورؤيةٍ نضاليّةٍ في تحقيقِ طُموحاتِ بلادِهِ، وحقَّقَ نجاحاً باهراً في رؤاهُ السِّلميّةِ الوئاميّةِ، وقَدْ تأثَّرَ الكثيرونَ مِنَ المفكّرينَ والمفكّراتِ بأفكارِهِ ورؤاهُ لِما فيها مِنْ بُعْدٍ إنسانيٍّ وأخلاقيٍّ وفكريٍّ، كما تأثَّرَ الكثيرونَ مِنَ الَّذينَ قادوا حركاتِ التَّحرُّرِ ومنظّماتِ الحقوقِ المدنيّةِ والدِّفاعِ عَنِ الحرّيّةِ والاستقلالِ في العديدِ مِنْ بُلدانِ العالمِ، وقَدْ أطلقَ عليهِ طاغور شاعرُ الهندِ الأكبرِ اسم "المهاتما" ويعني هذا اللَّقب: "الرُّوح العظيمة"، كما أُطْلِقَ عليهِ في الهندِ اسم بابو أي الأب: أبو الأمّة الهنديّة، وقَدْ تمَّ الاحتفالُ بعيدِ ميلادِهِ في الثَّاني مِنْ أكتوبر (كانون الأوَّل) كعيدٍ وطني في بلادِهِ، ثمَّ أصبحَ عيداً عالميّاً تحتَ عنوانِ: اليوم الدَّولي للَّاعنفِ، وأصبحَ رمزاً عالميّاً للسلمِ، ونبراساً فكريّاً رائداً يُحتفى بِهِ، لِمَا كانَتْ رؤاهُ سلميّةً وإنسانيّةً في حَلِّ كلِّ المَشاكلِ والخِلافَاتِ والصِّراعاتِ بينَ بلادِهِ ودُولٍ أخرى مِنَ العالمِ.

هذا النَّجاحُ الَّذي حقَّقَهُ الزَّعيمُ الهندي المُلهم "المهاتما غاندي" في رِحابِ السِّلمِ لبلادِهِ وبلادِ العالمِ، أفضلُ مِنْ ألفِ كتابٍ يكتبُهُ المفكّرونَ في طيَّاتِ الكتبِ، لأنَّهُ حقَّقَ بتطلُّعاتِهِ ما يصبو إليه لِبلادِهِ، كما حقَقَ حضوراً وانتشاراً عالميّاً، وأصبحَ عيدُ ميلادِهِ عيداً عالميّا كأحدِ رموزِ رافعي لواءَ السَّلامِ في العالمِ. ناضلَ مِنْ أجلِ استقلالِ الهندِ مِنْ خلالِ العِصيانِ المَدنيِّ الشَّاملِ، مُركِّزاً على الاعتمادِ على الذَّاتِ لتطويرِ البِلادِ. دافعَ عن حقوقِ المرأةِ، لِما لديها مِنْ إمكانياتٍ تستطيعُ أنْ تُقدِّمَها في الكثيرِ مِنْ مَجالاتِ الحياةِ، كانَ مُتواضعاً للغايةِ،

نباتيّاً زاهداً، يأكلُ طعاماً بسيطاً، كما كانَ يصومُ بينَ الحينِ والآخرِ، مُحافظاً على تنقيةِ نفسِهِ، وحافظَ على ارتداءِ اللّباسِ الهندي التَّقليدي "الدوتي والشَّال". شخصيّةٌ عُصاميّةٌ رصينةٌ، حملَ فِكراً وئاميَّاً إنسانيّاً مُستنيراً. وُلِدَ المهاتما غاندي في بلدةِ بوربندر الواقعةِ على السَّاحلِ مِنْ شبهِ جزيرةِ كاثياوار، مُنحدراً مِنْ عائلةٍ غوجاراتيّة هندوسيّة، وقَدْ كانَ لعائلتِهِ اهتمامٌ كبيرٌ بالعَمَلِ السَّياسيّ. كانَ مولِعاً بقراءَةِ القصصِ الكلاسيكيّة الهنديّة، وقرأ: "قصص شرافانا والملك هاريشاندرا"، وأثَّرَتْ هذهِ القصصُ عليهِ كثيراً، وترَكَتْ انطباعاً لا يُمحى في أعماقِهِ لِما كانَتْ تتضمَّنُ مِنْ مَغزى وأهدافٍ عَميقةٍ في الكثيرِ مِنْ قضايا الحياةِ.

كانَ والدُهُ هندوسيَّاً مِنْ طبقةِ "مودا بانيا"، وأمَّا والدتُهُ فقَدْ كانَتْ فيشنويةً تتبعُ تقليدَ برانامي وكريشنا، تأثَّرَ غاندي كثيراً بتقوى والدتِهِ، وتشرَّبَ مِنْ والدِهِ الصِّدقَ والصَّلابةَ. وحالما وصلَ سنَّ التَّعليمِ، التحقَ بمدرسةٍ في مدينة راجكوت، درسَ فيها الحسابَ والتَّاريخَ والجغرافيا واللُّغةَ الغوجاراتيّة، ثمَّ التحقَ بالمدرسةِ الثَّانويّةِ، وقَدْ كانَ خجولاً ومُنعزلاً لا صديقَ لَهُ سوى الكتابِ وقراءَةِ دروسِهِ، تزوَّجَ مِنْ كاستوربا في الثّالثةَ عشرةَ مِنْ عمرِهِ وهو ما يزالُ طِفلاً، كما جرَتِ العاداتُ والأعرافُ الهنديّةُ آنذاك، وقبلَ أنْ يبلغَ العشرينَ مِنْ عمرِهِ أنجبَ أربعةَ أطفالٍ. وبعدَ أنْ أنهى دراسةَ الثَّانويّةِ، التحقَ بكلّيةِ ساملداس في هافناغار.

فكَّر غاندي مليَّاً في السَّفرِ إلى بريطانيا مُنطلقاً مِنْ نصيحةِ صديقِ العائلةِ: "مافجي دافي" كي يدرسَ القانونَ في العاصمةِ البريطانيّة لندن، لكنَّهُ وجدَ معارضةً مِنْ أهلِهِ، لأنَّ أهلَهُ كانوا قلقينَ عليهِ مِنَ الغواياتِ المنتشرةِ في لندن، ولكنَّ أُمَّهُ سمحَتْ لَهُ بالسَّفرِ بعدَ أنْ تعهّدَ لها أنَّهُ لَنْ يشربَ الخمرَ ولَنْ يأكلَ اللُّحومَ، وسيتجنَّبُ النِّساءَ. وتوجَّهَ غاندي نحوَ بومباي وهناكَ التقى مَعَ طائفتِهِ ضمنَ اجتماعٍ كبيرٍ، وقالوا لَهُ إنّهم غيرُ موافقينَ على ذهابِهِ إلى لندن، لأنَّ هذهِ الرِّحلةَ تخالفُ مُعتقداتِهم ودينَهم، ومِنَ المُستحيلِ أنْ يلتزمَ بالدِّينِ في ربوعِ لندن. ولَمْ تَقبلْ طائفتُهُ مبرّراتِهِ ولا موافقَةَ أُمِّهِ، لكِنَّ غاندي لَمْ يبقَ مكتوفَ الأيدي، وسرعانَ ما طلبَ مِنْهم عدمَ التَّدخُّلِ في شأنِهِ، وهذا ما دفعَهم أنْ يعتبروهُ قَدْ خرجَ عِنِ الطَّائفةِ، وفرضوا غرامةً ماليَّةً على كلِّ مَنْ يساعدُهُ في رحلةِ سفرِهِ. ومَعَ كلِّ هذهِ الممانعاتِ والمُحاولاتِ مِنْ طائفتِهِ، سافرَ غاندي بومباي مُتوجّهاً إلى لندن، وقَدْ عانى كثيراً لاختيارِ طعامِهِ المُناسبِ، لأنَّ أغلبَ النَّاسِ في لندن كانَتْ تتناولُ اللُّحومَ، لكنَّهُ حالما عرفَ مَطعَماً نباتيّاً، وجَّهَ أنظارَهُ إليهِ وكانَ يتناولُ طعامَهُ هناكَ طوالَ فترةِ إقامتِهِ ودراستِهِ القانونِ في لندن.

حصلَ غاندي على شهادةٍ في القانونِ في الثَّانيةِ والعشرينَ من عمرِهِ، ثمَّ عادَ إلى وطنِهِ، وكانَ يدافعُ عَنِ الفقراءِ لتحقيقِ العدالةِ لمواطنيهِ، وسافرَ إلى جنوبِ افريقيا ليكونَ محاميَّاً مَعَ "شّركَةِ دادا عبد الله وشركائِهِ"، وَكَانَ يبلغُ مِنَ العُمرِ آنذاكَ 23 عامًا، وأمضى في جَنُوبِ إفريقيا 21 عامًا، ورأى أنَّ هناكَ تمييزٌ عنصريٌّ في جنوبِ أفريقيا، ولَمْ يتوانَ دقيقةً واحةً عَنِ الدِّفاعِ عَنْ حقوقِ المظلومينَ،، إذْ سرعانَ ما واجهَ العنصريَّةَ بكلِّ صَلابةٍ. وقَدْ لاحَظَ غاندي هذهِ العنصريّةَ مُنذُ نزولِهِ مِنَ السَّفينةِ في مَدِينَةِ دربان، حيثُ ما كانَ يتمُّ مُعاملةُ الهنودِ بالاحترامِ اللَّازِمِ، وَفِي "محكمة دربان" طلبَ القاضي منْهُ نزعَ عمامتِهِ، لكنَّهُ لَمْ يستجِبْ لطلبِ

القاضي وغادرَ المحكمةَ، وفيما كانَ يسافرُ إلى بريتوريا ليُمثِّلَ إحدى الشَّركاتِ في المحكمةِ، وتمَّ حجزُ مقعدٍ لَهُ في الدَّرجةِ الأولى، وفي الطَّريقِ إلى بريتوريا طلبَ مِنهُ موظَّفو القطارِ مُغادرةَ عربةِ الدَّرجةِ الأولى، والذَّهابَ إلى عربةٍ مخصَّصةٍ للملوّنينَ، فرفضَ ذلكَ، مِمّا جعلَ الشُّرطيَّ يدفَعُهُ إلى خارجِ العربةِ، فأمضى بقيَّةَ الرِّحلةِ في غرفةِ الانتظارِ وهوَ يفكِّرُ هَلْ يُوَاصِلُ الرِّحلةَ ويصبرُ على الإهاناتِ الّتِي يتعرَّضُ لَهَا، أمْ يعودُ إلى الهندِ ويُغادرُ البلادَ، وأدركَ حِينَهَا أنَّ مَا واجهَهُ مَا هُو إلَّا إشارةٌ للتمييزِ العنصريِّ في جَنُوبِ إفريقيا، وشعرَ بمسؤوليتِهِ لإصلاحِ الأوضاعِ المختلَّةِ في البلادِ والتَّخلُّصِ مِنَ التَّمييزِ العُنصريِّ، وسُرعانَ ما أرسلَ شكواهُ إلى رَئِيسِ السُّككِ الحديديَّةِ، وأخبرَ السَّيّد عبد الله بِمَا جرى معَهُ، وسُمحَ لَهُ بإكمال رحلتِهِ إلى تشارلز تاون.

وحثَّ غاندي الهنودَ على تحدِّي القَوانينِ الجائرةِ في جنوبِ أفريقيا، ، وظهرَتْ أفكارُ غاندي عَنِ الاحتجاجاتِ ومهاراتِ الإقناعِ والعلاقاتِ العامَّةِ، وأَسّسَ غاندي بمساعدةِ صديقِهِ هيرمان كالينباخ، مُجتمعًا مِثاليًا أطلقوا عليهِ اسم "مزرعة تولستوي" بالقربِ مِنْ جوهانسبرج، وفيها طوَّرَ سياستَهُ في المُقاومةِ السِّلميّةِ. وبَعدَ حُصُولِ السُّودِ في جَنُوبِ إفريقيا على حَقِّ التَّصويتِ، أُعلِنَ غاندي بطلاً قوميّاً، وأُقيمَتْ لَهُ عدَّةُ معالمَ أثريّةٍ.
عادَ غاندي عام 1915 مِنْ جنوبِ إفريقيا إلى الهندِ، وخلالَ فترةٍ قصيرةٍ مِنَ العملِ الوطنيِّ أصبحَ الزَّعيمَ الأكثرَ شعبيَّةً في الهندِ. وركَّزَ على النِّضالِ ضدَّ الظُّلمِ الاجتماعي وضدَّ الاستعمارِ، وأَولى اهتماماً كبيراً بمشاكلِ العمَّالِ والفلّاحينَ والمنبوذينَ.

كانَ غاندي كاتباً غزيرَ الانتاجِ وتمّيزَ بأسلوبِهِ البسيطِ، الواضحِ والمعبّرِ في طرحِ أفكارِهِ. أصدرَ في عامِ 1909 أوَّلَ كتابٍ لَهُ "هند سواراج" باللُّغةِ الغوجاراتيّة، وقَدْ تُرجمَ كتابُهُ "المخطّط الفكري" لحركةِ استِقلالِ الهندِ إلى اللُّغةِ الإنجليزيَّةِ، وعَمَل على تَحريرِ العديدِ مِنَ الصُّحفِ، منها منبوذون باللُّغةِ الغوجاراتيةِ والهنديَّة والإنجليزيَّة، وعَمَل أثناءَ وجودِهِ في جَنُوب إفريقيا على تَحرير "رَأي هندي"، و"يونغ إنديا"، باللُّغةِ الإنجليزيَّةِ، و"نافاجيفان" الشَّهريّةِ بالغوجاراتيّةِ بَعدَ عودتِهِ إلى الهندِ، ونشرَ "نافاجيفان" باللُّغةِ الهنديَّةِ، وَكَانَ يَكتبُ بشكلٍ يومي في الصُّحفِ آنذاك. كتبَ غاندي العديدَ مِنَ الكتبِ ومنها سيرتُهُ الذّاتيّةُ "قصّةُ تجاربي معَ الحقيقةِ". ودوَّنَ كفاحَهُ في جَنُوبِ أفريقيا في سيرتِهِ الذَّاتيّةِ الأُخرى "ساتياغراها في جَنُوبِ إفريقيا"، ولَهُ كُتيّبٌ سياسيٌّ بعنوانِ "هند سواراج أو الحكم المحلّي الهندي". وكتبَ عَنِ النِّظَامِ الغذائي والصّحةِ والدِّينِ والإصلاحاتِ الاجتماعيَّةِ. كتبَ باللُّغة الغوجاراتيةِ، وعملَ على مراجعةِ التَّرجماتِ الهنديَّةِ والإنجليزيَّةِ لكتبِهِ. ونشرَتِ الحُكومةُ الهنديَّةُ أَعمَالَهُ الكَامِلَةَ بعنوانِ: "الأَعمَالُ المجمعةُ للمهاتما غاندي" في السِّتينيّاتِ، وشملَتِ الأَعمَالُ حوالي 50 خمسينَ ألفَ صفحةٍ في مئةٍ مجلّدٍ.

كَمْ نحتاجُ الآنَ إلى أفكارِ المهاتما غاندي، هذا الَّذي أحبَّ واحترمَ كلَّ الأديانِ، وقَدْ استخدمَ العِصيانَ المدني اللّاعنفي في جنوبِ أفريقيا وفي الهندِ أسلوباً لَهُ، وقَدْ تضامَنَ مَعَ الفلّاحينَ والعمّالِ للدفاعِ عَنْ حقوقِهم

المدنيّةِ، كما دافعَ عَنْ حقوقِ المرأةِ، وركَّزَ على تعميقِ علاقاتٍ وئاميّةٍ دينيّةٍ ووطنيّةٍ بينَ جميعِ المواطنينِ في الهندِ، ساعياً إلى تحقيقِ استقلالِ الهندِ، وقَدْ سُجنَ عدّةَ مرّاتٍ في جنوبِ أفريقيا والهندِ؛ بسببِ مواقفِهِ ودفاعِهِ عَنْ حقوقِ الطَّبقةِ الفقيرةِ وحقوقِ بلادِهِ، وتظاهرَ ضدَّ بريطانيا كي تخرجَ مِنَ الهندِ، وقَدْ كانَ معروفاً بتواضعِهِ الكبيرِ، وقطعَ عهداً على نفسِهِ أنْ يقولَ الحقيقةَ ويدافعَ عَنِ الحقِّ والعدالةِ وحرّيّةِ بلادِهِ، وكانَ نباتيَّاً يميلُ إلى الصَّومِ لفترةٍ طويلةٍ؛ كي يحافظَ على نقائِهِ، وكانَ صيامُهُ دلالةً على احتجاجِهِ على ما يراهُ خطأً، وأسَّسَ أسلوباً جديداً في المقاومةِ في السِّياسةِ أطلقَ عليها: المقاومةَ السِّلميّةَ؛ لأنَّ شخصيّتَهُ سلميّةٌ روحانيّةٌ مجنّحةٌ نحوَ اللّاعنفِ، وقَدْ تشرّبَ هذهِ الرُّؤيةَ مِنَ الآفاقِ الرُّوحيّةِ الدِّينيّةِ، وهي مِنْ أجملِ المبادئِ عندما يتمُّ إدراجُها في تطلُّعاتِهِ السِّيّاسيّةِ مُركّزاً على أنْ يتغلَّبَ على خصمِهِ عبرَ أسلوبٍ إنسانيٍّ سلسٍ، ليوقظَ ضميرَ الخصمِ ويجعلَهُ موافِقاً على حوارٍ حضاريٍّ موضوعيٍّ سلميٍّ!

تأثَّر غاندي بعدّةِ كتبٍ وأفكارٍ منها "نشيد الطُّوباوي" وهو ملحمةٌ هندوسيّةٌ شعريّةٌ، تتضمّنَ ينبوعاً روحيّاً شاملاً، كما تأثّرَ بالدّينِ المسيحيّ الحافلِ بسنابلِ السَّلامِ، خاصّةً "موعظةُ الجبلِ"، وغيرِها مِنَ الكتبِ الدِّينيّةِ والفلسفيّةِ والفكريّةِ ودافعَ عَنِ الأديانِ، واغترفَ مِنَ البراهمانيّةِ الَّتي تساعدُ المرءَ على السَّيطرةِ على أهوائِهِ وحواسِهِ مِنْ خلالِ الزُّهدِ والتَّعفُّفِ والتَّنسُّكِ والتَّركيزِ على الصِّيامِ والصَّلاةِ والتَّأمُّلِ والخشوعِ، والصَّمتِ يوماً واحداً مِنْ كلِّ أسبوعٍ، وكلُّ هذا جعلَهُ أنْ يكونَ الأبَ الرُّوحيَّ للهندِ، وأوّلَ زعيمٍ في العالمِ يدافعُ عَنِ الحقِّ والعدالةِ والمساواةِ عبرَ المقاومةِ السِّلميّةِ: اللّاعنف!

لماذا لا يقرأُ سياسيّو هذا الزّمانِ أفكارَ وتطلُّعاتِ المهاتما غاندي؛ لعلَّهم يتشرّبونَ مِنْ عوالمِ وآفاقِ فكرِهِ التّواضعَ والرُّوحانيّةَ الصَّافيةَ والعدالةَ والمساواةَ والسَّلامَ؟! لأنّ أفكارَهُ تقودُ إلى تحقيقِ روحِ الوئامِ في أبجديّاتِ الحوارِ الّذي يقودُنا إلى تحقيقِ الأهدافِ المنشودةِ عبرَ برنامجِهِ الرّاقي: اللّاعنف! أليسَ مِنَ الخطأِ الفادحِ أنْ يبقى سياسيُّو أغلبِ دولِ العالمِ بعيداً عن لُغةِ الحوارِ الخلّاقِ الَّذي يقودُنا إلى حالةِ وئامٍ بينَ البشرِ، ويحقّقُ السَّلامَ بينَ البشرِ في كلِّ بقاعِ الدُّنيا، مِنْ أنْ تبقى هذهِ السِّياساتُ رهينةَ الحروبِ والعُنفِ والعنفِ المضادِّ، إلى أن وصلَتِ الكرةُ الأرضيّةُ برمَّتِها إلى حالةِ غليانٍ، وكأنَّها تتأرجحُ على كفِّ عفريت، وتتأجَّجُ في ذروةِ صراعاتِها وكأنَّ سياسيي هذا العالمِ خارجَ جغرافيّةِ الكونِ، ولا يهمُّهم لو اشتعلَتْ أوطانُ الكونِ عَنْ بَكرةِ أبيها، فإلى متى ستغلي سياساتُ العالمِ وتنطحُ بعضُها بعضاً كأنّنا في العصورِ الحجريّةِ، أينَ أنتَ يا غاندي كي تلقّنَ سياسيي هذا العالمِ درساً بليغاً في لغةِ الوئامِ الكونيّ لعلَّهم يبصرونَ دربَ الخلاصِ؟!



ستوكهولم: نيسان (أبريل) 2024

***. المصادر:**

استمدّيتُ الكثير مِنَ الأفكارِ وممَّا جاء في مقالي من الويكيبيديا العالميّة.

باب الشعر



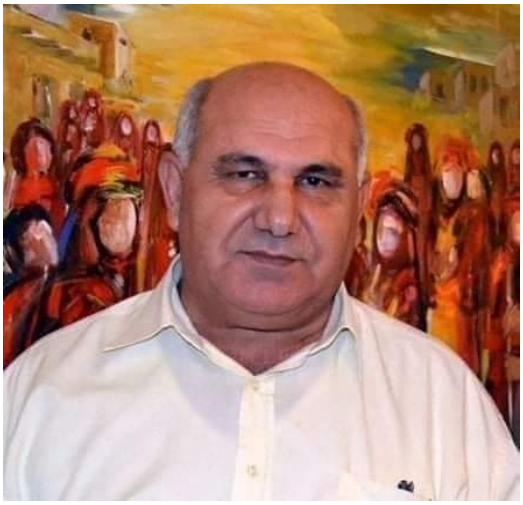

قصائد للشاعر السُّوري الكردي جميل داري

1

وضعَ البحرَ في عُلبةٍ
أحرقَ السُّفنا
وعلى ظهريَ المنحني
وضعَ الزَّمنا
وضعَ النَّايَ في حُفرةٍ
وأهالَ عليهِ المواطنَ والوطنا
...
نلتقي ثمَّ نفترقُ
حبرُنا كاذبٌ
مثلُهُ الورقُ
...
يا لهُ من أجاجْ
شجرٌ ميّتٌ
وهواءٌ زجاجْ
...
تفاءلْ قليلًا.. قليلا
ترى الطِّينَ نورًا
ترى الشَّوكَ وردًا جميلا
تفقَّدْ حضورَكَ وانهضْ
وكنْ للسُّكارى دليلا

جميل داري



أسيرُ اتجاهَكِ أنتِ
لماذا تسيرينَ عكسَ اتجاهي؟
أسيرُ وبي ظمأٌ لا يُحدُّ
وغيضَتْ مياهي
أعانقُ طيفَكِ كي لا أظلَّ وحيدًا
وأصرخُ ملءَ جنوني:
ترفَّقْ بنا.. يا إلهي
أسيرُ.. نجوميَ حُبلى بضوءٍعليلِ وواهِ
أعبِّر عنِّي بحرفينِ: آهِ
أسير ورائي
أسير أمامي
فدربيَ لا متناهِ
أدافعُ عنِّي بلا طائلٍ
تحتَ أرجلِهم ضاعَ شاهي
على كتفيَّ مراكبُ من حجرٍ
في طريقي إلى جبلي
ألفُ عصفورةٍ ميْتةٍ
دُفنَتْ في شفاهي
على حجرِ الوقتِ يغفو السرابُ
وصوتيَ مرٌّ
تعافُ صداهُ شياهي
تغيَّرَ حتى الذي ما تغير
كلُّ الفصولِ
وظلَّتْ فصولي كما هي

جميل داري

لا سفينةَ لي أيها البحرُ.. لا
وأجاجُكَ يسقي مواتي
هذهِ الأرضُ ماضٍ من الترهاتِ
فإذًا
لا غرابةَ أنْ يأتيَ الغدُ أو ليس ياتي
لا غرابةَ أنْ يولدَ الفجرُ ميْتًا
ويجعلَني في مهبِّ الشتاتِ ..
أيها البحرُ
أنتَ الذي كنتَ لي موجةً من لهيبٍ
وأضحيْتَ لي زبدًا تورَّمَ بالمعجزاتِ؟
هذه الأرضُ محضُ عجوزٍ عقيمٍ
والسماءُ بلا نجمةٍ
كيفَ لي أنْ أثورَ على هذهِ الظلماتِ؟
والقوافي التي ولدَتْ فيَّ
صارتْ تموتُ رويدًا رويدًا
وحلَّ الذبابُ محلَّ النوارسِ والقبّراتِ
..
لا سفينة لي
غرقَ البحرُ في البحرِ
واختلطَ النزفُ بالنزفِ
ضاعَتْ جهاتي
..
العيونُ–المخارزُ– ثمَّ الجنائزُ– ثمَّ الرهابُ
بأيِّ نشيدٍ أغطِّي على نغمِ الطلقاتِ ..
من غروبِ البلادِ إلى الشرقِ
أبحثُ عن قطرةٍ من حياةِ ..
ليسَ ثمَّةَ أيُّ إلهٍ
لمَن كلُّ هذي الصلاةِ؟

جميل داري

في غياهبِ الظهيرةِ

...

لا بدَّ من قصيدةٍ أخيرهْ

لتنتهي علاقتي بالشّعرِ

والسّماءِ والكواكبِ الضريرهْ

من أينَ هذي الرّيحُ

قبضُ الرّيحِ في غياهبِ الظّهيرهْ؟

لا بدَّ من منفىً جديدٍ

فيهِ نفسيَ المأمورةُ الأميرهْ

ذاكرتي مملوءةٌ بالجرادِ

قد تفحَّمتْ عيونُها القريرهْ

فآهِ... ما أقلّني

في هذهِ الهواجسِ الكثيرهْ

جميل داري

شاعر سوري كردي مقيم في الشارقة



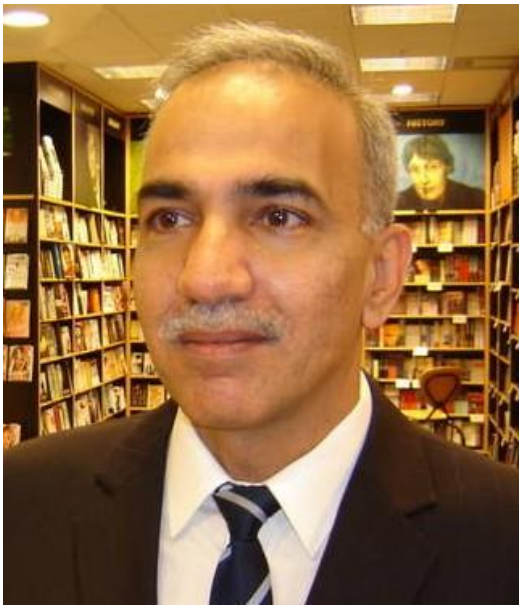

الشاعر العراقي عدنان الصائغ

2

سيرة ذاتيَّة لكاتم صوت

(1)

لماذا يُلمّعني هذا السيِّدُ الأنيقُ
كلَّ صباحٍ
وهو يمضي إلى مهمّتهِ الغامضة

(2)

وراءَ زجاجِ إحدى المكتبات
ظلَّ صاحبي يختلسُ النظراتِ إلى
وَجْهِ رجلٍ
كان يقلّبُ كتاباً
حين وقعتْ عيناهُ على مُؤخّرةِ
بنطلونِ صاحبي ارتبكَ
هل خافني الرجلُ؟!
سألتُ صاحبي، فلكزني بحذرٍ
أنْ أسكتَ
لكنَّ الرجلَ الذي التفتَ فجأةً إليَّ
ورآني
اصفَرَّ وَجْهُهُ
تركَ الكتابَ
وانسلَّ مسرعاً بين الزِحامِ
تاركاً صاحبي
يبحثُ عنه بغضبٍ

(3)

كيف يَعرِفُ سيّدي يا ترى
ضحيَّتَهُ
وسطَ هذا الحشدِ من الأعناق؟

(4)

ذاتَ مساءٍ
وبينما كان المطرُ ينهمرُ
في شوارعِ المدينةِ
أَخرجَني من دفءِ جيبِهِ
حَرَّكَني ببرودِ أعصابٍ
وَوَجَّهَني إلى ظهرِ رجلٍ
كان منحنياً لالتقاطِ شيءٍ لمْ أَرَهُ
إذ تكوّمَ الرجلُ فوقه فجأةً
بينما اتَّسَعَتْ خطواتُ صاحبي

(5)

بعدَ سنواتٍ من عملي
أصبتُ بمرضٍ عضال
فأَخَذَني صاحبي إلى دُكَّانِ رجلٍ
ملطّخٍ بالزيتِ
نظرَ لي طويلاً
ثم قطّبَ شفتيه بأسفٍ
متمتماً بأنَّنِي لم أعدْ أصلحُ لشيءٍ
تركني صاحبي بلا رفَّةِ قلبٍ أو مبالاةٍ
دون أنْ يدري أنَّهم سيرمونه مثلي
ذاتَ يومٍ

(6)

بين كومةٍ من عظامٍ وأشلاء
حديديَّة
التفَتُّ بحذرٍ
رأيتُ حولي عشراتٍ من زملاء
المهنة
بهيئاتٍ وحشرجاتٍ مختلفةٍ
تبادلنا أطرافَ الأحاديثِ قبلَ
أنْ ننامَ
عن جولاتِنا الليليَّةِ
عن العيونِ التي أَطْفَأنا فيها البصيصَ
عن الأعناقِ التي كنّا نراها مزهوّةً
ونعجبُ
كيف ترتجفُ أمامَنا فجأةً
وتتلوَّى كسَنَابِل في الريحِ،
بينما كنّا نضحكُ ؟!
عن تلك الحياةِ الشاسعةِ التي.....
لم تكن تعني لنا سوى ضغطةِ زناد

عدنان الصائغ
شاعر عراقي مقيم في لندن





زهرةٌ فوق كفِّ امرأة

3

" من العدلِ أن يأتي الفرحُ بين وقتٍ وآخر على الأقل"
من حدَّثكَ عن وجودِ "عدلٍ" يا كامو ؟



كلما ماتَ رجلٌ
نبتتْ زهرةٌ
فوق كفِّ امرأة.
****
يقشّرُني ورقةً ورقةْ
فيتعثّرُ القطارُ في ظلِّه.
****
باقةُ الوردِ التي
ستأتي بعد دقيقة
تحملُها يدٌ تتقنُ الكلامْ
هي اليدُ التي
تعلمتِ الاستعاراتِ و الحروفَ
وعلمتْني أن الورودَ
تكذِبُ أيضًا .
****
في النهارِ
النساءُ يجررن أطفالَهن
و الشمسُ تحرّضُ الحقائبَ
على الركضِ صوبَ الشجرْ،
أطفالي نيامْ
فلماذا انشقَّ القمر؟
****
سنتانِ من العزفِ المنفرد
تصنعانِ بالتأكيد شاعرًا مهمًّا.
اِشكرْها.
****
وماذا عن السِّتة وعشرين حرفًا الباقية
أيها اللص ؟
****
غيابُكَ
يأتي منكَّسَ الرأس دائمًا،
يتجولُ في الغُرفِ كعادته
قبل أن يطلبَ العشاءَ والقهوةَ،
يتأكدُ من وجود الصغارِ في أحشائي
والغفرانِ خلف أذُني
ثم يدنو من الشرفة
يطردُ الملائكةَ الذين تكاثروا خلفَ الزجاج.
كلَّ مرةٍ
يعِدُ برفعِ السقفِ بضعةَ سنتيمتراتٍ

و لا يفعل.
هل قلتُ أنه منكّسَ الرأسِ يأتي؟
ربما بالغتُ قليلا
غيابُكَ لا يأتي.
هو هنا.
****
فوضويٌّ، عبثيٌّ،
تتثاءبْ،
ماذا أيضًا يميزُكَ
لتكونَ جديرًا بي؟
****
البلاهةُ التي تراها على وجهي
حين تحدثني عن الماركسيّة
لا تعني أني أحاولُ أن أفهم،
أنا أحاولُ أن أتذكّر من تكونْ.
****
كقطعةٍ من التاريخِ
أخبّئُكَ الآن
في درجِ مكتبي.
****
بوسعي أن أكونَ
أكثر من عُشبةٍ ضارّةٍ
تتلصصُ من شقوق الحجر،
بوسعي أكونُ بَرْدًا
وكوفيةً وصليبًا؛
لو علّمتَ غيابَكَ
أن يتوقفَ عن التحديقِ في دفاتري
على هذا النحو العدوانيّ.
****
لا تأتي الليلةَ !
الغيابُ
(كاملُ العدد).
****
التعساءُ
نسوا أن خلفَ آذانِهم خياشيمَ
و أمعنوا في التنفس .
****
يا عُطيل
تلصصْ على ملفاتِ ديدمونة
على الحاسوب .
****
لا تستسلمْ لرغباتي
الطعامُ سيحترق !

****
تجاربُ ثلاثْ،
لا في البرية
لكن على بُعدِ فنجان قهوةٍ واحد
من البحر.
****
انمحاءُ الحروفِ فوق الرملْ،
نفادُ السجائرِ وانطفاءُ الشمعةْ،
لم يكن أيٌّ من هذا
سببا وراءَ تعطُّلِ المترو في شارعنا
ربما السببُ تلصصُ بائعِ الجرائد علينا.
****
ماتَ السقّاءُ اليوم
السقاءُ الذي لم يروِ امرأتَه
فحملتْ عنه القربةَ
و أطلقتها في الصحراء.
****
في المرة القادمة
سأختارُ أن أكون مشجبًا
لأشنقَ الأثوابَ التي عذبتني.
****
النافذةُ أشاحتْ عن العالمِ
وراحتْ تتأملني.
****
المربيّةُ لن تأتي غدًا
قالت:
أريد أن أرى كيف سيدخلُ الفستانُ في الدولاب
بعدما تخرجين منه.
****
ابنةُ لير الكبرى
مثلتِ الدورَ على نحوٍ بشع
ليس لأسبابٍ فنيّة
لكن لأنني أكره أن أؤدي عملا مرتين.
****
فيما يستسلمُ لملقط الطبيب
وثرثرتِه
غافلتُ ضرسَه المخلوع
وسرقتُ ذاكرتَه.
الرجلُ الذي وزّع أمجادَه
بين الهاشميّ وباني مصرَ الأول.
****
هل تعلمْ أن البحرَ يتبعنا ؟
لا تنظر إلى الخلف.

****
في مطارِ الملك خالد،
في انتظار تنقية طائرةٍ مفخّخة
يمكنُك - في ثمان ساعات –
أن تقرأَ الشِّعرَ على نحوٍ برئ،
بينما في عيادة الأسنان
العميانُ يبصرون.
****
"الخليفة العُمانيّ "
الذي بشَّرَ بالرسالة
لم يعرفْ أن هاتفَه
دوَّنَ " نصفَ النوتةِ " الآخر.
****
امرأةٌ جميلة ..... (شخوص)
مدينةٌ جميلة ..... (مكان)
نداهتان.
يلزمُكَ بعضُ الزمنِ،
(الجميل)
كي تكتملَ مفردات البنيوية .
لك الزمانُ كله.
****
قلْ لي متى يخرجُ هذا الغُفْلُ منك
حتى أُخْرِجَ له حواء.
****
جسدُكَ أتلفتْهُ النساءُ
جسدي أتلفَهُ الصدأ .
****
ترى ماذا يفعلون الآن:
الكلابُ الثلاثةُ
والقطتان ؟
تراه ماذا يفعلُ البحرُ؟
****
تجوسُ في الليل
تتفقدُ أثرَكَ بين الغرفْ
تبحثُ عن تبغِكَ وقميصِكَ المرميّ بإهمال
جوار السرير.
الراقصةُ النحاسيّة
ما أن تراني
حتى تعاودَ التجمدَ داخلَ الدائرة.
****
الكنائسُ في عينيكَ
تراهنُ على رقصتي،
أنا "أزميرالدا " أيها الكاهنُ.

****
القلمُ الذي ضاعَ من يومين
غدا من " الأحرار"
سيكتبُ كلَّ ما لم أستطعْ.
****
أيها الباقي من القرآن والإنجيل
أيها الخارجُ لتوّك من زرقةِ المحبرة
لا تغلقْ الكتابَ الآن
ثمة أحرفٌ تنتظرُ المخلِّص
ثمة مدادٌ أحرى به أن يتمدد على الورق
لا تغلقْ الكتابَ
لكن اشتعلْ أرقًا عند ناصية الصفح
وانتظر مسيحًا يحمل الكلمة الناقصة.
****
ثمة يعاسيبُ تنبؤنا عن المغفرة الوشيكة
ثمة بقعةٌ في أقصى الأرض بعدُ لم تلوثها الخطيئة
ثمة مرآة تترقب امرأةً
تحكي لها قصةَ الحياة
ثمَّ تربتُ على كتفها،
ثمة طائرٌ حرٌّ
يعرف كيف يكون النغمُ
نصفُه حزنٌ
ونصفه ورق.
****
هي الصلاةُ فوقَ الطاولة
أو تحت سفحِ الهضبة
لا يهمُّ
مادام في القلب عصيرُ الكتابة
فلتذهب الجغرافيا ألف غيبة وغيبة.
****
هناك
حيث الزمن مخاتلٌ
كما لونِ وردةٍ جافة في كتاب
وحيث الثقوبُ أوسعُ من خطيئة
وأكثر ضيقًا من خواء
ثمة أشعةٌ تتسلل من متن القصيدة
تربك اللغةَ على لسان العابرين.
****

أصابعُ باردة
فارقتْ لتوِّها راحةَ يدٍ
لم تتدرب بما يكفي على الغفران،
سألت صديقي يوما

من منّا يستحقُ الحياة ؟
قال: الحياةُ لا تستحق أيًّا منا.
ثم أشار إلى البراق الذي ينتظر عند الناصية
حيث تعويذةٌ صامتةٌ
تتدلى من جيْده.
****
ستكسرُنا المرآةُ ذات شرود
تشظّي وجوهَنا المحدِّقة
وتبدّل ملامحَنا التي تدربتْ جيدًا على النسيان
لكن يومًا يختبئُ خلف الشرفة
يرتبُ المِحَنْ .
لا فائدة
****
النقطة تحت باء الغضب
تنتظرُ يمامةً ترفعُها
تنقرُ النقطةَ الوسطى كذلك
ثم تحمل "الغصن" بمنقارِها إلى حيث الزيتونة
في آخر السطر.
****
منديلُ حرير،
عقدُ ياسمين،
وألفُ بهجةٍ،
تسكن فوق حافةِ المحبرة .
****
الراهبُ ينتظرُ أيضًا
رجْعَ صوتِ أجراسِه .
****
ما حيلةَ رنينِ الجرَس
حين ينأى الصدى عن مسمعِه !
للموتِ ألوانٌ.
****
مرةً مررتُ بكوكبِكم
يا الله ! .. كلُّ هذا التعب !
****
وضع مدينةَ النورِ في كفي
ثم راح يفتّشُ داخلي
عن ميدانٍ غير موصد
وإبريقٍ فخاريّ.

د. فاطمة ناعوت
شاعرة وأديبة مصرية

قصائد للشّاعرة التُّونسية ليلة عطاء الله

أغنيّة البارحة

4



الرّجل الّذي ينسحب
كلّما عنه كتبت
الرّجل الّذي يغمض عينيه
كي لا يراني
ينسى وهو يوصد بابه
أنّني عالقة بين أصابعه
وحين يشرع في الاغتسال
من الطِّين الَّذي ملأ فمه
أمرّ على شفتيه
أعيد إليه رائحة الكرز
وأنّني حين يكتب
أنسكب مع الحبر
الرّجل الذي ينام وحيداً
يتساءلُ كلّ صباح
من أين جاءت أغنية البارحة؟!
المفاتيح على الجدار
والصَّفحات ترفرفُ
ينصت إلى خطاي
لكنّه.. لا يراني

ليلى عطاء الله

رحلة صيف

أستيقظ فجراً، يغمرني الضَّوء المتسلِّل من النَّوافذ المسترخية على السَّقف، أنزل السلّم الخشبي على مهل حتى لا أوقظ حفيدي. وأخرج إلى الشّرفة المزدانة بخشب تفوح منه رائحة الغابات، تستقبلني الشَّمس باردة متردّدة بين السُّحب، والهواء الّذي اعتلّ رقّة.

يرتفع صوت عذب قادم من الكنيسة هناك، أطرب حدّ الخشوع، وأدرك أنَّ الله واحد في كل مكان، تقرع أجراس معلنة عن بدء قدَّاس الأحد.

تغتسل عيناي بالجمال، الورود في كلِّ ركن، معلّقة في الشُّرفات، والأشجار تتطاول، أرتشف قهوتي وأتملّى الخضرة الّتي لانهاية لها، حيث تتوحّد مع زرقة السَّماء، وبياض السّحب، أتوقّف عن التّفكير،
أحاول أنْ أقطف العطر، والزّقزقة، والألوان.
أحمل حفيدي بين ذراعي، وأتذكّر أباه طفلاً،
هذا الَّذي كبر فجأةً،
و يسألني ماذا تفعلين
وحيدة في الشُّرفةِ
أنظر إلى الجمال، أقول
لستُ وحيدةً أنا آهلة بهذا العالم ..

ليلى عطاء الله
رحلة إلى ألمانيا
23 جوان 2024

مواقف ملوّنة

أستميت في الدِّفاع
عن قصيدة النَّثر
لأنّك تكتبها
أنت تجيد التَّشظِّي
تتوزّع بحرفيّة عليهن
الصَّفحات البيضاء
تسوّد خطوطاً
منكسرة كالخاطر
ومستديرة كعنق
سيّدة أرستقراطيّة
تحاذر أنْ تلتفت
إلى عشّاق قدامى
كي لا يلمحوا خطوط
الوهم

أنّ العشق غير الحب
وأنّ الزَّوج آوّل من يعلم
وأخرى نصف دائريّة
لتطفئ
في سرابها أحلامهنّ
الشَّاعرات
حديثات الكتابة
اللَّائي يأخذن قلوب الرُّمّان
على محمل الجدّ
ويبكين بدمعات دقيقة
لا تفسد زينة الخط
وأنا الشّاعرة الكبيرة
عجوز بما يكفي
لأجمّع شظاياك
وخطوطك الرَّديئة
على إيقاع خبب
لحصان من شجر البلّوط
أسمّيها نص الدّهشة
ألوّن خواتيمها
يذهل الشُّعراء
أمام المواقف الملوّنة
وتقطّع الشَّاعرات
أياديهنّ أمام تفاحك
وأنا أجتهد في إخفاءِ الدّود
وأضحك بمكر العجائز
في هذه المدينة الواقعة
شمال خطِّ النَّار ولا أحترق

ليلى عطاءالله
شاعرة من تونس


Sabri Yousef
2011

قصائد للشاعر العراقي صلاح فائق

5



اتجهُ كل يومٍ صوبَ مباهج جديدة
ابدأوها بكلماتٍ وفيض أحلام
جبهتي طبلة هذا الرأس الكبير
وأظنهُ كان في الأصلِ من خزف
لكنّ هيجانهُ الليلي يعيدُ , كل مرة , ترتيبَ نباتاتٍ تتسلّقُ الى علوّهِ الفارغ . يهبّ نسيمٌ ليعتذر عن تاخرهِ تمجيد منحدرات حياتك الشرسة ويدورُ حول احواضٌ نبيذٍ
بعد ان هاجرتْ مدنها نحو ذكرياتٍ بعثرتها احجار . شعارات الأمهاتِ امامي لألفظَ ابجدية النحاسِ وعجلاته وما زالت عند انقاضِ زقوراتٍ لأنها بعيدة دائماً عن المرافىء . اكتشفُ مصدوماً ان أملي عطرٌ يزولُ بعد ان يعبرُ رعاةٌ الى نهاية مواسمهم .

*

سأقيمُ مأدبة كبرى لأساتذتي من حملة اقلامٍ وتأملاتٍ تتداعى نحو هاوية ولا تختفي .
هذا يدهشني ويعلمني . صرخاتِ ربابنةٍ في الليل تهدّدُ كل برقٍ انتظرهُ لأعثرَ على مفاتيح لبواباتِ حقول الزعفران . إلى هناكَ تتلهف حروفي . وحدي امثلُ باتقان هذه المسرحية .جمهوري في الخارج واقفٌ مستعدٌ ليوآزرَ مآثري باوسمة يقلّدني بها الهواء .نعم لكتابٍ صابرٍ في شرفة وبلا جليس ولشبح يصل بعد قليل ليرفعَ شعلةً الممثلين

*

علينا الانتباه الى خلايا في أدمغتنا
تحتفظُ بأفلامٍ ثمينة عن طفولتنا ,
وتفاصيل رحلات قامت بها فراشة
اثناء احدى الحروب .

*

يلائمني أن يضحي بلدي من أجلي
يشتري لي معطفاً يحميني من هذا الشتاء ، يقيني من بروقٍ , ويمنع القدرَ من قتلي بأحد أمراضه المميتة . ألآنَ , حباً بي , أريدهُ ان يوقف هذا المطر كي أخرجَ وأتجولَ .

***

انا محاطٌ بسياجٍ لا أراه ,ريحٌ تعوي خارجهُ , لا تصلني .هذا ما اشعرُ واشاهدُ غيوماً تمرّ متجهةً إلى جزيرة قريبة , في إحداها وثائقُ تخصني .اقولهُ متيقناً , واحدة عن ولادتي وثانية عن ريفيين يلتهمونَ كتابي الأول كأنه نعمة مفاجئة .
هذا وقتٌ يطولُ بلا سبب ضد خروجي من هذا السرد لأهدي قرون أيائل الى حطابين فشلوا
في اسرّة فنادق

*

من اجلك ايها الشاعراحرقنا مسرح المدينة ,أقفلنا ابواب المعابد وتركنا ليلاً يصرخُ في الغرف طالباً ماءً دافئاً

*

هناك استلقي الآن , كما حلمتُ ,
بين عظام اسماك قرش وهياكل سمّاكين

*

وأتركُ قميصي مفتوحاً لأمزجة نسائم ودويّ إنفجاراتٍ وسط الأمواج : في هذا الصدرِ كثرَ لقاح الأزهار مع النحل بينما كنتُ ارتّبُ تحتَ لساني مآثر شعبٍ ضائع
حراسهُ عميان عميانه حراس .
تخليتُ عن حبي للذكريات
من اجل غناء فمٍ توحش
حين اتعبُ ظلّي يتغطى بي



صلاح فائق
شاعر عراقي مقيم في لندن

الشاعرة والأديبة العراقيّة وفاء عبدالرّزاق

6



تقول في قصيدتها «قل هات»:

لا تكونوا كلمة

سيروا نحو النافذة

نحو أصوات البحر

لأولاده البحارين

لإبريق الوضوء

وأعيدوا لحليب الأمهات

زئير عيون الضحايا

الصباية في السجون القاحلة.

لا تكونوا كلمة

اقطعوا ذيول البغي

وأقسموا:

بالحق يا قدس فيضي.

وقدمت نصاً آخر بعنوان «كينونتي هواك»، تسكب فيه دفقاً عاطفياً حزيناً إذ تقول:

كينونتي هواك

قلبي الذي لا حول له سواك

ولا جدران لسجني معك

قلبي الذي لا قوة له إلا بك
قطعت الرياح حبله السري
وتركته لنهب الغيب،
حين اهتزت نافذتي بخضرة الأشياء
كانت الشمس مجعدة
والسماء بلا أجنحة.
كيف ستحلق زرقتها
حين يتمادى الكون
في موكب المحرقة؟

وفي نص «تلك النخلة العرجاء»، تقدم الشاعرة الأسئلة الصعبة والحارقة، فلا يجيبها سوى صدى النشيد المفعم بالألم والآهات والزفرات، فتقول:

من كسر ساقها؟
ذات جرح سألتها
عن جرس جبان
من كسر نبوءة الفقراء؟
من أكرم الماء سواك؟
أهذا وجهك يصعد من أناي؟
أما من متماد في شريان الجواب؟

د. وفاء عبدالرزاق
أديبة وروائيّة عراقيّة مقيمة في لندن
رئيسة المنظّمة العالميّة للإبداع من أجل السَّلام/ لندن

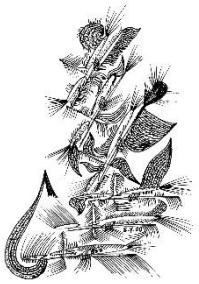

قصائد للشاعرة اللّبنانيّة دورين نصر

7



لن أرتدي الأسود

لم أكتب الى جانب أيّامي الممزّقة
إلّا عبارة وحيدة:
مدينتي تشتعل...
الفجر الذي أيقظ الكون،
صار رمادًا،
الأفق تحوّل إلى ذخيرة،
السماء صارت وسادة محشوّة بألغام الباعة،
ما عدت أؤمن بك يا طائر الفينيق،
الانبعاث مات على رصيف الجثث الهامدة،
والبحر قدّست قذارته حرقة الأبرياء،
فتحجّر ملحه على قارعة الوطن...
لن أبكيك يا مدينتي،
لن أرتدي الأسود على رحيلك،
لن أعزّي الموتى الذين سقطوا،
لن أصغي الى خرير الضوء فوق تلك الرابية القديمة،
وأنت يا عشتروت،

لن ألفظ اسمك بعد الآن...
سأعصر حزني في قارورة عتيقة،
وأشمّ رائحة مدينتي في عطر الأوفياء،
أراكِ يا غاليتي تشعلين بصمتك: شهوة الحياة...
***

لا حبر عندي اليوم

لا حبر عندي اليوم، لأشدّ ما تراخى على أطراف
القصيدة،
تركتها تكتب نفسها بما توافر من ضوضاء ووجع...
تركتها تندسّ في الهواء وحيدة،
بين الممرّات وفُتحات الغيوم...
تركتها تعبر فوق صحراء عارية،
فوق جسد امرأة عجوز،
ضاق مسام جلدها
واستيقظت في أعماقها شهوة صفراء...
أهملت قصيدتي،
وما شئت أن أوقظها...
لعنةٌ حلّت على الأبجديّة،
وشحّت الرغبة...
غرابٌ، فوق السطور يحوم،
يصغي إلى خرير الضوء،
يعلك الحروف، يمزّقها، يقتات من دمي، يلوّث
ورقتي،
يحجب العطر ويغلق الممرّ...
تركته يعزف على قصيدتي
فتساقطت ظلّا كالتماعة برق في حضن المطر...

دورين نصر
شاعرة وناقدة لبنانيّة

قصيدتان للشاعرة اللّبنانيّة حياة قالوش

8



يا ماسحَ الدّمع

.... الثّلجُ أَسْوَدُ فوق مَدينتنَا لَمْ نَعُدْ قادرين على الْيأْس أكْثرَ مما يَئسْنا.. (م.د)

.....

يا ماسحَ الدمعِ عن قلبي تُواسيهِ ... وناثرَ الوردِ تحنانًا تُناغيهِ

إنّي ظمئتُ وصوتُ الماء أكتمُهُ ... لا شيءَ يُطلقهُ لا شيءَ يَسقيهِ

كَأَنَّما كُلُّ أحلاميْ قَدِ انطفأتْ ... وحاملُ الحبّ مُبديهِ كمُخْفيهِ

فلستُ أرغبُ في غيمٍ بلا وطنٍ ... ولستُ أعشقُ نجمًا دائمَ التيهِ

هو السؤالُ ولكنْ مَنْ سَيفْتَحُهُ ... ولمْ تكنْ هكذا يومًا معانيهِ

فأيُّ وقتٍ يُعرّي الوقتَ من صَخَبٍ ... والحلْمُ راسٍ غريقٌ في ثوانيهِ

عُدْ يارَبيعُ فَقَدْ زادَ الجفافُ بِنَا ... ولمْ تَهبْني الدُّنى ما كنتُ أبغيهِ

أحسُّ في جسدي سرًّا يعمّدُهُ ... وكلّ ما لاذَ خلْف السرّ يُجليهِ

لقدْ تحرّرتُ دمْعي صار زنبقتي ... ما رجّع النوْحُ مسلوبًا لأهليهِ

فكلُّ قَلبٍ كَقَلبي في تمزقّهِ ... وإنّما الحبُّ لا شيءٌ يُواريهِ

ومثلَ طير الرؤى أستلُّ أُغْنيَتي ... حُبلى بوعدٍ مياهُ الدّهر ترويهِ

٢٠٢٤/٩/٢٢

سَئِمْتُ الذكريات ..

"إذا ما الحبُّ لمْ يجعلْكَ نسرًا فبئسَ الحبُّ في ماءٍ وعُشْبِ"

قصيدتي غناء والحان المطرب السوري فريد باشا استمتعوا بهذا الصوت الساحر وبهذه الكلمات لو اخذت قليلا من الوقت تستحق للاستماع الضغط على الصورة

سئمتُ الذّكرياتِ ولونَ ثوبي وعجزيَ أنْ أُعيدَ إليَّ قلبي
نأَتْ عن ظلمتي الأقمارُ قسرًا وليلٌ نابغيٌّ لفَّ دربي
فأولمْتُ الطّيورَ شهيَّ شِعري وأَخْفيْتُ الهوى في عمْقِ غيبي
هباءً ضاعَتِ الأيّامُ منّي وما نعِمَتْ خميلاتي بسُحْبِ
أتيتُ الدّارَ والذّكرى ورائي رأيتُ الحلْمَ يحيا بَيْنَ هُدْبي
وروحي في حِمى صمتٍ تجلّتْ كمَنْ أنِستْ لأشواقِ المحبِّ
وتأخذُني بلا ذنبٍ إليهِ أمدُّ يدي، ولا أحدٌ بقربي
مسحْتُ عَنِ الجفونِ رذاذَ دمعي وقلبي راعشٌ من دونِ قَلْبِ
فمثليَ لا يليقُ بهِ رجوعٌ ليقبسَ بعض جذْواتٍ ويَسبي
وَفيْتُ وفِي وفائي كنْتُ "ليلى" بِهِ واجهْتُ أقداري وتُربي
سأجهلُ بعْدَ هذا اليومِ "قيْسي" ومن ذوْبِ الحنينِ أُعدُّ حبِّي
وأفديهِ بروحي إنْ أتاني وأقسمُ لا سواهُ بعْدَ ربّي
إذا ما الحبُّ لمْ يجعلْكَ نسرًا فبئسَ الحبُّ في ماءٍ وعُشْبِ

٢٠٢٤/٩/٨

حياة قالوش
شاعرة لبنانيّة



الشّاعرة اللّبنانيّة لورا مقدسي

9



بعد هذا الطوفان

كم تودُّ احتضانَ النعامة الشاردة في أرض الخراب
والجيران
والحيطان
والملاك الذي يرتمي أمام النافذة
كم علي على تخوم المعركة
كم حسين
يأبى أناشيد الإهانة
والحمامة البيضاء تشهد
من أنت،
ممسكًا بالهزيمة
بحوافر الجمر ووحل الأنفاق
تهب جمجمتك إلى الله
وتقاوم موتك
لا تعثر بين الدروب بيتًا
أو يدًا تشير إلى البلاد.

***

في عينيك
يحترقُ بحر صور
ليس من مركب في الميناء يختصر
المسافات
ليس من موج يصير سريرًا
أو ملاءة
كم من مجزرة تحت الركام
كم من غضب!
تنتحب الأشجار
وبناتُ آوى في الوادي يندبن الرفاق
آه، ماذا عساه يحدثُ بعد؟
الحزن سحابة حبلى بماء العين
والموتى
صامتون تمامًا.

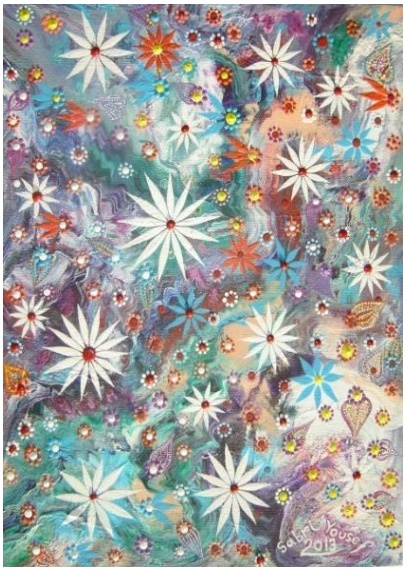

(نوفمبر/ تشرين الثاني 2024)
شاعرة وإعلامية لبنانيّة



قصائد للشَّاعرة التُّونسيّة فاطمة حافظي

10



تزهو بربيع الاحساس الكامن وراء لا وعينا..
الغارق في العتمة .
يتدفق الأمل ريانا
يعانق الغد في محبة وسلام .
يسقي الغيث الطاهر
آمالنا المخبئة وراء المجهول
فتزدهر اغصانا حبلى
وثمرات طيبات
من رحم شجرة معطاء.
يأتي الغيث رحمة
لارض طيبة تزهو بكل زوج بهيج ..
أرض من طينها بعثت فينا الحياة
وإلى صلبها نعود .
رحلة تزدان بكل عمق الإيمان
وتتنور بالرضاء بالقدر .
***

تحتويني الطُّفولة في أعماقها
تسكن داخلي
يقتلني الشَّوق..
فأرسم الكلمات .
إنَّها شجرة اللَّوز المورقة بأزهارها البيضاء ..
إنَّه وجه أمِّي المتدفِّق خيراً وطيبةً وعطاءً
تحتويني بذراعيها الدّافئينِ
في عناقٍ لا ينتهي
إنّها همساتها وصوتها الرَّقيق ..
غناؤها في ليالي الشِّتاء الطَّويلة
إنَّه بيتنا ...
بكلِّ ما يحتويه مِن بساطة ومحبّة
إنَّها العصافيرُ الشَّادية في الصَّباحاتِ الباكرةِ
أتذكَّرُ الورودَ الحمراءَ ..
ونباتاتِ الحبقِ والنَّعناعِ
اتذكَّرُ العائلةَ حولَ مائدةِ الصَّباحِ
القهوةَ اللَّذيذةَ مَعَ الفطائرِ السَّاخنةِ
زيت الزَّيتونِ والبيضَ والمربّى
كيفَ تراني أنسى في دروبِ الحياةِ تلكَ الذّكرياتِ
الَّتي تشدَّني إلى هناكَ ..
قريتي وأسرتي..
اختي الكبرى والصغرى
اخي وكل أحباب أمّي وأبي
هناكَ حيثُ نشأتُ وكبرتُ وترعرعتُ
هي الذّكرياتُ ...
تهبنا الدَّفقُ المتجدّدُ مِنَ الانتماءِ والفخرِ
أتذكَّر (أنا) الطّفلةُ الّتي كنتُ ..
هي تعيش داخلي بكلِّ عمقٍ وحبورٍ ..
أصغي إليها تحكي عشرات الحكايا ..
بكلِّ حماسٍ تلك السَّنوات الهاربة في مهبِّ الأيّامِ :

بياضُ الثَّلجِ
عقلة الاصبح
سندريلا
الاميرة والثعبان
وأليس في بلاد العجائب .
ما أجملها صور ورؤى ...
ذاك ما كان يجنح بخيالها بعيداً ...
تلكَ العوالم السِّحريّة تذهلها
تحملها على بساطٍ سحريٍّ ...
تحلّقُ بها وتحلّق في فضاءَات لا نهاية لها ..
تدخلها دنيا سكّانها عصافير ملوّنة ...
تغرّد في الصَّباحِ والمساءِ
تتمثل نفسها البطلة في كل قصة من هذه القصص .
يبقى الطّفل داخلها مستيقظاً ..
لا يغفو إلّا ليصحو مِنْ جديد ليسعد بجمال الرَّبيعِ
ونسمات الصَّيف الحالمة .
مَن قال إنَّنا نكبر وننسى؟
نحن نكبر لنتذكّر بإدراك وقناعة .

فاطمة حافظي

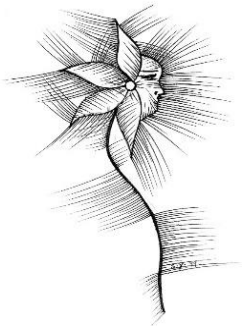

يسقي المطر احلامنا فتنتعش...
تزهو بربيع الاحساس الكامن وراء لا وعينا..
الغارق في العتمة .
يتدفق الأمل ريانا
يعانق الغد في محبة وسلام .
يسقي الغيث الطاهر
آمالنا المخبئة وراء المجهول
فتزدهر اغصانا حبلى
وثمرات طيبات
من رحم شجرة معطاء.
يأتي الغيث رحمة
لارض طيبة تزهو بكل زوج بهيج ..
أرض من طينها بعثت فينا الحياة
وإلى صلبها نعود .
رحلة تزدان بكل عمق الإيمان
وتتنور بالرضاء بالقدر .

فاطمة حافظي
شاعرة ومترجمة تونسية مقيمة في فرنسا

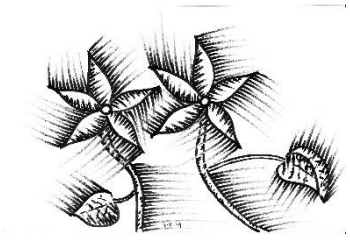

قصائد للشاعرة المغربيّة زهرة الطَّاهري

11

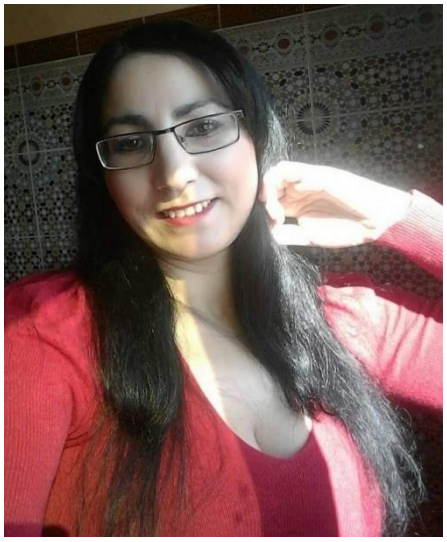

"من حظ الأنين "

كأن حزنك لا يلين
لأنه بُنِي على قسوة الزمان
وعلى هدر الروح
من كثرة الحرمان
كأن حزنك
أكثر من حزين
أُغلقتْ عليه الأبواب والنوافذ في العراء
وفُتحتُ له رياح الخذلان
لا تبتسمُ إلا جرحا
لا ترقص
إلا والخشبة أحزان
هل رأيت يدا تمتد فراشة
لا رأيت فقط أرجل فوق نفسي تضغط
حتى يخلو جسدي
من الجسد والمكان
كأن قلبك من حظ الأنين
يتوجع وهو يضحك
ويبكي من فرح وحنين

زهرة الطاهري

أحب ذاك الشعر المتدلي
لو كان فعلا خيال
ماصدقت انه خيال
رفات الأطفال

كسماء من الجبال
الإنسانية ملوثة
والوجوه البشرية ملطخة بالاوحال
موت يتساقط
كألف فصل من الشتاء في دقائق
أطفال ونساء في مرمى الحرائق
ما هذا الموت الجماعي للضمير
ما هذه الوحشية المنغرسة في القلوب
ما هذا العالم الذي يجرم الضحية
ويهدي القتلة سلاحا
وتصفيقا وتصفير
أمام اطنان المتفجرات؟! ..
لا أحب التعبير
لكني أقف أمام شجرة الأرز
واسمعها تغني
بلا خوف ولا ارتياب
احب ذاك الحزن الكبير الذي اسيجه
بالبنفسج
أحب تلك الابتسامة المنهارة
التي أغطيها بالشفاه الأحمر
أحب تلك العيون التي تلمع ذهبا
من شدة العذاب
أحب تلك الخدود
التي تضع نفسها على غصن الخراب
وتقفل عليها الباب
أحب ذاك الشعر المتدلي
كنار القذائف والضباب

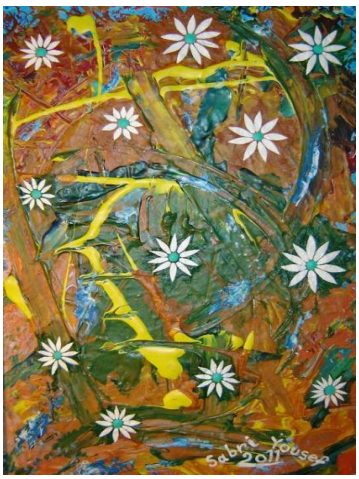

زهرة الطاهري

شاعرة من المغرب

الشاعرة السُّعوديّة فايزة سعيد

12



على جسد القصيدة

على جسد القصيدة:

كل صباح أقيم أعراسي الوجودية

وعلى جسد حبك فيها أعانق

الضوء الرغبة

الطبيعة

الحياة

الوجود

العالم

الروح

الإنسان

اللون

الرمز

البحر

رائحة الحبر على الورق

أمارس جنون اللذة

بشبقية امرأة تقتل عشاقها في الضوء

بقلم رصاص

تحت سطوة الحب
وعنفوان اللحظة
امراة من قبيلة الفراشات
العصافير
لا يحلو لها الغناء
إلا على جسد القصيدة
ولا يطيب لها النوم والمقام
إلا على صدر الحروف
وحدها القصيدة وطن من العشاق
دولة من الأحلام
بلاد من الياسمين
أرض من الحنان
سماء من الكلمات
بحر من الجنون
وحدها القصيدة منفى لأنوثة
تشتهي الحب والعشق والغرام
تشتهي الماء
والمطر والأرض والسماء
واللغة والأبجدية وقواعدها
تشتهي التسكع
العبثي دون توقف
تشتهي الموت العاري
على صدر قصيدة
من حروف وردية اللون
متَّشحا بالغيوم البيضاء
تحت سماء زرقاء صافية
في عناق حار لها مع الحب.

فايزة سعيد
شاعرة من السُّعوديّة



الشَّاعرة السُّوريّة ليلى غبرا

13

رغم المعاناة والوجع نعيش



تحت وطأةِ المُعاناةِ
وفي خِضَمِّ الوجعِ
برغم الخِذلان و الحِرمان ..
تهبُّ رياحُ الحَنين
تُغري لهفةَ قولبنا
إلى الأمسِ النضير
وما كان يحفل به من ذكريات
يعتاشُ عليها وجداننا
وعلى أجنة الشوق
نعودُ أدراجنا إلى الماضي
والزمن الجميل بكل ما فيه
إلى لحظات فرح بريئة ..
وحتى لحظات حزنٍ
نشتاقها أحياناً ..
و نهمس للماضي ..
أن يعود ..
لنصفح .. و نسامح من أساء إلينا ..
و نعيد النظر فيما كان منّا
نعيد ترتيب دفاترنا العتيقة
نهتمُّ .. و نشعرُ بمن أهملناهم ذات انشغال
حين ساقتنا الحياةُ معها ..
نعود
لنفتح صفحاتِ حبٍّ جديدة ..
مع الزمن .. و الذكريات ..
و نمسك يد الراحلين بقوة ..

و نوقف ساعات الوجع و الألم ..
و نهرول كالأطفال ..
لِنَذُقَّ أجراسَ الفرح و السعادة ...
ونرسمَ عرائسَ أحلامَنا من جديد
ألا ليت الماضي يعودُ
بما اكتنزَهُ من ذكريات
وما ازدانَ به من مشاعرَ وأحاسيسٍ
بِتنا اليومَ أكثرَ حاجةً لها
لِنعتصِمَ بها
لتَسُدَّ رمَقَ بقائنا
ولِنُعيد بها ومعها تشكيلَ ذواتِنا من جديد
ليلى غبرا

٢٠٢٣/١٢/١٠
ليلى غبرا



أحبك ..

سأحاول
وبكل ما أمتلك من حب
وما في جعبة روحي من طاقة للعطاء
أن أكتب القصيدة

أُعَبِّد دروبها
بالقلوب وتقلباتها
وأن أرسم غيماً
شارداً في السماء
منفلتاً من قبضة الريح
أرسمه
كاستعارة
لأيامنا الحبلى
بالمطر
وسأضع كلمة (أحبك)
عنواناً للقصيدة
وفاتحةً لنعيمها
لتكون حاضراً فيها
منغمساً في تفاصيلها
ومعتَّقة حروفها باسمك
حتى لا تتوه خطاك
ولا تنزلق إلى الفراغ
ما بين السطور
***
سأملأ سلال القصيدة
بيانع الثمرات
من صفاتك
وأبهى الزهور من سجاياك
وبكثيرٍ من عناقيد حبك
لأوزعها على العاشقين
الهائمين في دروب الوله
وأصنع من زهور سلالي قلائدَ للغانيات
يتنفسنَ عطرها
وشذاها
فتفوح أروحهنّ بعطر الحب

وتتندّى قلوبهن
بندى الكلمات العاشقة
وتترنم عصافير الربيع
بما تعزفه قصيدتي
من ألحان الهيام
فيسكر الكون
وينتشي
طرباً
وعشقاً
ويبدأ اكتمال القمر
من جديد

ليلى غبرا
شاعرة من سورية



قصائد للشاعرة السُّورية ريما آل كلزلي

14



ريما آل كلزلي: صهيلُ الكبرياءِ

ليس للعتمةِ ظلٌّ وليس من ظلٍّ للنّور..
هو الحزنُ أشجارٌ تتفرع أغصانها بسراب الفرحِ.
ومثل سرّ أزلي يخترقُ الجدار ليذيبَ ثمارَ المحّارة، ويصوغَها حنينًا إلى البعيد، هذا الحنينُ يشدّني لظلّ روحٍ مازجت دمي تتفرّع منه ظلالنا ونعود بروح الكبرياء..

للنّفسِ من الكبرياءِ غابةٌ
تحرسُ أسرارَها العتيقةَ
فتستولي على كلّ لحظةٍ فيها
وتدّعي استقلالَها
الكبرياءُ قصيدةٌ
تنبتُ في صحراءِ اليأسِ
بعزمِ وجبروتِ الموجِ
لتطهّر أديمَ النّفوسِ من دمعةِ استسلامٍ
ومن بقايا صرخةٍ مهزومةٍ
كأنّها أضواءٌ تحتضنُ عِهْنَ الغرامِ
في ساحةٍ تمتدّ حتى أطرافِ السّماءِ
تعانقُ أفكارًا وثنيةً

تملؤها العتمةُ أحلامًا بيضاءَ
تغزوها الأوهامُ المخفيّةُ
تركضُ في السّاحات نحو الغرباءِ
ما أفظعَ الكبرياءَ خارج عقولِ الفلاسفةِ
أو قلوبِ الشّعراء
والكبرياءُ حبيبةٌ
كالنّجم في سماءٍ
وهي مرصودةٌ لآلهةِ الشّرقِ
ونفوسٍ تهوى المُلكَ
مستذكرةً إرثَ الفردوسِ المفقودِ
وللكبرياءِ نُدبةٌ
تختمُ في الأعماقِ جُرحًا عميقًا
كأسطورةٍ لديها كلُّ شيء
وأُخِذَ منها كلُّ شيء في الكبرياء
تقولُ أمّةٌ أنّها ستعودُ في نسيجِ التّاريخِ
تستعيدُ ماءَ وجهِها
وتُصلحُ الأزمنةَ الرّاحلةَ في معركتها
بين العزةِ والانكسارِ
والكبرياءُ حكايتي
حين التقيتُ بظلّي
تجاوزتُ فيهِ حدودَ النّورِ والعتمات
مثل قيثارة
تقطّعت أوتارُها
ما عادت تذكرُ من بقايا نغمةٍ
إلا ترنيمةَ الروحِ
فتعيد تشكيليَ من جديد.

ريما آل كلزلي
شاعرة وروائيّة سوريّة

قصيدة للشّاعر والنَّاقد السوري الكردي لقمان محمود

15



رعبٌ يدفع القلوب إلى المجهول
إذ لم يعد أحدٌ ينتظر شيئاً
طالما حصل كل شيء.
أنظرُ إلى السماء السوداء
لا أرى سوى نشوة الرايات.
رعبٌ يجعل الموتى يعزفون على أبواقٍ وهمية
كي يتحرر الموت من ثقل الأرض.
إنْ قرّرتَ الذهاب إلى الشمال
لا تحمل معكَ قلبك
إتركهُ يُمارس وظيفته في جسد الأشياء الهالكة.
و إن قررتَ الذهاب إلى الجنوب
لا تحمل معكَ روحك
اتركها معصوبة العينين، قبل أن تختفي عن أنظارها
إلى الأبد.
أما إذا قررت الذهاب إلى الشرق
فلا تحمل معكَ دمك
إتركه مذبوحاً يبكي الجسد.
و إذا قررت الذهاب إلى الغرب
لا تحمل معك جسدك
إتركه على سجيته يجري كنهرٍ، لا كبيحيرةٍ
في كمين.

لا شيء يُفيد هنا
سوى إلحاح الرياح
وبعد معركة طويلة ينتصر العدم.
هنا، عمر الغابة لا يقاس بالأشجار.
هنا، البحر ميت، والقوارب مقتولة.
هنا، الفقر عدّاءٌ، يركض ولا يصل.
هنا، الموتى يمشون دون أن تترك أقدامهم أثراً.
وهنا، الضجيج أبيضٌ
يخدع الأمل فقط.
يا آلاف الأعوام اليائسة
إنّ الجريمة القديمة التي لم تبصر الضوء
مشت إلى آخر العتمة
مشت كمن لا يعرف الموت أبداً.
الجدران في كل مكان
والحرية محاطة بأسلاكٍ شائكة
[هنا،
ضيّعتُ
حياتي]
يقول الضوء البعيد
ويلتمع فوق الأحلام.
يا للظلام الرحيم
دائماً يحتفظ بمظاهر الثراء
ودائماً يوصف بأنه نباتي.
فاليوم، في عصر الخوف من المستقبل
يبدو من بعيد، كل شيء متساوياً.



لقمان محمود*

***(لقمان محمود:** شاعر وناقد كردي – سوري، يحمل الجنسية السويدية. عمل في مجال الصحافة الثقافية كمحرر في مجلة سردم العربي، ومجلة اشراقات كردية، كما عمل كمحرر في القسم الثقافي لجريدة التآخي. يقيم حالياً في السويد، وهو عضو اتحاد الكتّاب السويديين).

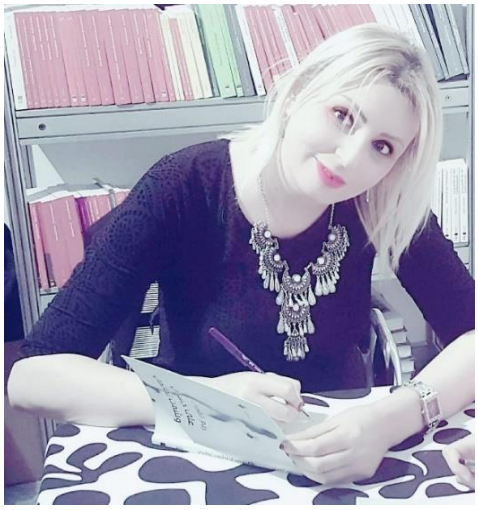

الشاعرة التُّونسيّة ريم القمري

16

قصائد ومقاطع شعريّة

وإن يكن الغد بعيدًا
والطريق ضبابية كأحلام الطفولة
وإن أثقلت غيوم الخريف
خطواتنا البطيئة،
فإن في العين وهجًا خافتًا
لا يزال يتسع للحلم.

***

ما عرفتني في وجوه المارّة،
كأنّي قناع يلبس فكرة وجوده،
بعيدًا شاحبًا كالشفق المنطفئ قلبي،
والبيت ضيّق ككفّك المغلقة،
يختنق فيه النور،
وأدور حول نفسي،
البيت يهمس بأسماء الصمت والغياب،
روحي شارع طويل يصعد نحو وجهةٍ مجهولة،
يحملنا بعيدًا عنّا،
حين كنّا هنا وهناك تلاشى الزمن في مرآة النافذة،
لم تعد عيناكِ تنظران إليّ.
المدينة باتت غريبةً عنّا، أنكرت خطانا.
ذاك البرد الذي كان يهاجمنا من أطراف المعاطف،
ذاك الشارع أخفى اعترافاتنا تحت الأقدام العابرة،
صور تعبث بها يد الريح.
كأنّ خطانا لم تمرّ من هنا،
كأنّنا لم نتّحد في عناق طويل.
صرنا غائبين... ما زلنا غائبين.
أتوارى الآن خلف النافذة المغلقة،

أتحاشى انتظارك و أتأمّل وجه السماء الحزين،
في الجهة الأخرى من البلاد،
جدارٌ فاصل يمتد بينا،
و أنا هنا ،أبحث عنا في اللاوجود.
***
لم أعد قادرةً على فعل أكثر من ذلك،
ربما أحتاج إلى حياةٍ أخرى في جسدٍ أكثر صلابةً،
وروحٍ أقل هشاشة.
أو أن أُبعثَ في هيئة طيرٍ أو وردة،
أحتاج إلى حياةٍ أقصرَ وأسرع.
حياةٍ لا تشبه ما عرفته حتى الآن من عثراتٍ وسقطات،
حياةٍ أضحك فيها كثيراً وأحب فيها قليلاً.
أحتاج أن يعود الزمن إلى الخلف،
حيث لا أكون أنا ذاتها، بل ذرةً في هذا الكون،
علّني أصير أسعد.
***

حصار

تحاصرني المدن، وتضيق الأرض بروحي
أفرّ من خوفي، أعبر طرقًا طويلة
وأبحث عن اسم مدينةٍ
أعلّقها تميمةً على صدري.
قلت: سأمضي نحو الجبال
تعصمني من الفُرقة،
لكنّ الماء سخر من خطواتي
وأحاطني في كل الاتجاهات.
بحثت عن نبيٍّ لخلاصي،
يمنحني وعدًا بالجنة أو النار،
لكنّي ما عرفتُ إلّا رسلًا
اتّبعوا ظلالًا زائفة، فأغوتهم إلى التيه.
***

إليك الطريق،
إنه أشد ظلمة الآن،
أكثر وحشة.
لن تحتاج أفكارًا عظيمة،
ستعبر وحيدًا،
وسيكون عليك أن تدوس على جثتك.
لا تتوقف للبكاء عليك،
فلن يكون لديك ما يكفي من الوقت،
ولا تملك ترف الحزن أيضًا.
انظر، إنهم يسقطون ،
ولم يكن الفصل خريفًا.
فروا من فكرة الموت داخل الحياة،
مثلك تمامًا،
يبحثون عن نهاية للإنسانية،
كي تتوقف الحرب أخيرًا.
***
لم أكن دائمًا هنا
كنت أتحجج بالغياب
أدعي أني لا أحتاج روائح
قد تسكن الذاكرة.
حاولت تحرير حواسي
غلفني السكون كما يغلف الليل النجوم.

نسيت أن أنزع ذاكرتي
فصارت بئرًا عميقًا،
يستدعي أطياف الماضي
أصوات بعيدة تدعوني للعودة
تشدني نحو ثغرة في القلب تكبر
و أغرق في مائها.
***

فلنحدِّق معاً
في ذات الاتّجاه
ألسنةُ اللّهبِ
مازالت تتصاعد
وكل الغيوم انقشعتْ
لونُ السَّماءِ أحمرٌ
وأنتَ تراهُ أسود
العاصفةُ مرَّتْ
لكنّ الموتَ ما غادر
يجلس قربك
يخفي نواياه تجاهك
لا تنظر إليه
تحسّس أطرافك المتفحمة
أغمضْ عينيك
ابتسمْ
وارتقِ في صعودِكَ الأبديّ
الآنَ تصبحُ نجمةً.

ريم القمري
شاعرة وقاصّة من تونس





الشاعرة اللّبنانيّة ندى الحاج

17

مقاطع شعريّة

تسترُها نُدَفُ البياض
تخفقُ بسراديب البحار
وتضيئُها شموعُ الخيال
بلوريةٌ تتسللُ منها رموزٌ وألوان
لا رفيقَ لها سوى كلمات
وبعضِ أزهارِ الحديقة
وأذكارٍ صديقة
على بابها حارسٌ يطرقُ
ليستفيقَ القلبُ في كهف الشتاء
ولا ينسى نبضَه والأسماء
والوجوهَ والأشياء
فجوةٌ يتسللُ منها نورٌ وماء

***

لا تحجبُ الحروبُ الشوقَ
ولا يمنعُه المستحيلُ
ولا الممكنُ ولا الصمتُ
ولا أيُ شيء
يسكنُ بطانةَ القلبِ
في الليل والنهار
يحفرُ عميقاً في صخور البحار
متغلغلاً في نسغِ الأشجار
خاشعاً مدوياً .. خفياً ساطعاً
تمتماتُه تعاويذ
لا تُرى ولا تُسمع
تلفُّ الكونَ ولا أحد يدري بها

***

لا تأسرِ الجرحَ في القفص
ضعهُ في مزهريةٍ ملوّنة
اسقهِ بماء الزَّهر .. وارقدْ في ظلِّ عطره
الجرحُ يذوي ويهوي كورقِ الخريف
يذوبُ مع الثَّلج ويغذِّي الينابيع
ينطلقُ زَفرةً زَفرةً مع العصافير
يسامركَ ويؤاخيك
لا تكبته ولا تعصره
يتبعُ مساره ويحتويك
قبّل جِراحك واحداً واحداً
قبلةً قبلةً، بعذوبةٍ وترَوٍّ
حتى تزهرَ وتبرعمَ غفورةً معتذرة
وزهرةً زهرةً، تذوبُ فيك

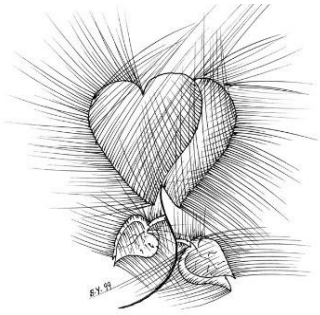

***

هل للخوفِ لون وللسؤالِ طَعم
حين تُشلَّعُ الأوطان؟
أنمشي على ترابٍ أم سراب؟
وندوسُ أرضاً أم خراب؟
عالَمٌ يترنحُ وعالَمٌ ينفجر
دوارٌ عالٍ ودوارٌ عنيف
هل من قفزةٍ في السديم
تزيلُ كوابيسَ اللهيب؟
وقفازاتٍ من حرير تمحو رمادَ الحريق؟
قم وامشِ!
الحياةُ أرحبُ من رمادٍ ورغيف
وأسطعُ من ظلامٍ مخيف
حين تَنشلُ الرحماتُ عالَماً غريق.

ندى الحاج
شاعرة لبنانيّة



الشاعر الكردي خضر سلفيج

18

مقاطع شعريّة

كلما أدركني الوجد
ورأيت الزهور باكية
نافضة الندى على شوك التأويل
انحنيت لكي أحرر كلامي من يد أعدائي.
***
بعد نسيان الكلام
وانتظار العصفور على النافذة طويلا
أعضّ شفتيّ
وأرمي بحواسي في جبّ الألم
في هذا الحصن المتصّوف
تركت الكلام يكتشف سرّك
وينثر ذاكرتك
كل هذا لأنك ذلك الذي لا يَني يقرع الطبول
في حلقات ذِكري البعيدة!
***
نسيان الكلام هو أيضا
جديرٌ بالذاكرة!
***
أيها الغريبُ المصلوبُ على حافة الحكاية،
تحفرُ في الصخرِ معناكَ،
ولا تعرف أين ينبتُ صوتُك.
***
انحنيت أطل على النهر
وفي مياهه دقّقت النظر كي أعثر عليه
فرأيت في التيار
جسدي الشاحب يمضي.

***

حين يمضي الغريب،
يتركُ خلفه ظلالًا
تَبحث عن منفى آخر.

***

حصان يرعى الغروب
فيه الطفولة تتحدث البرد
والشمسُ على وشك أن تنسى ذاكرتها.

*

أضع مخدة تحت رأس البرد
أغطيه بلحافِ صوفٍ
لعله ينام.

*

عباد شمسٍ
ينوسُ في تطريز الملاءة
يريد أن ينام.

*

لم تكن الشمس في
منزله الغريب صباح الأحد
ولم يكن له أحد
يرتب بعضه
بعضه الذي بعثرته يد الوقت في نزق المنفى.

*

كان على الغريب أن يتأمل نبض الأمس
وهو يرتدي اليقظة:
كل الصباحات في ذمتك
وبعضا من الهواء للذكرى.

خضر سلفيج
شاعر وباحث كردي مقيم في رومانيا



الشاعرة السُورية الكرديّة نارين عمر

19

مقاطع شعريّة

فوق تلك التّلة الشّاهدة
على ولادة برا بافت
أهدتنا أمواج دجلة منديلاً
ما يزال يتنفّس بعطر
مم و زين
لمحت الشّمس المنديل
شطّرت النّهر بين الغسق والشّفق
ليكونا برزخين يلتقيان على الوداد
ويكون برا بافت
الصّراط المستقيم
لكلّ مَنْ تحتضن كفيه
أبجدية الحبّ.

***

الحلم كالقدر
كلّما شاء وهبنا القدرة
على اعتلاء جناحيه.

***

عندما يقبّل نسيم الطّفولة
شجرة ذاكرتي
روح "بيت البيوت"
تفرد لنا أجنحتها
تسعدنا في حضن البراءة والطّمأنينة.

***

أجنحة المسافات
تعطّر دروبنا
بعطر ابتسامات
فرّت من سحابة
تهدي قطرات النّدى
دموع فرح وتفاؤل
فنودعها في
مقل المارين
وراح المتعبين
***
لا تتشابه البصمات
حتى للتّوأمين
وحدها بصمات المحبّين
متشابهة إلى حدّ التّطابق.
***
كلّما تلتقي أخيلة قلقنا
في فيافي الحيرة
تتهاطل ندف النّدى من أجنحة طيور
عائدة إلى مستقرّها
حين الدّفء يلاطفها من جديد
الرّذاذ الهجين من لحظات
وداع الشّمس للضّباب
يتسرّب إلى شرايين الأرض
بعد توحّدها مع ندف النّدى
تولّد نبعاً به تولد للفيافي
خريطة تدوّنها
بمداد عمر
دائم الاخضرار.
***

مدارات العمر

أخبّئ ذاتي في ذاتي
أرتوي من طقوس تعقّلي وجنوني
ألاطف الزّمن والزّمان
أغازل حضور الفصول كلّ في أوانه

تستهويني الطّفولة كلّما أحنّ
إلى شغب الأيّام
أنفث الرّوح في رميم الصّبا
حين تنتشي عينا قلبي بحكايات
الحبّ الأوّل من ثنايا سطوح الجيران.
في حضرة الشّباب
تدغدغني مواسم الحبّ
في تناغم أمواجه
بين الغلوّ والخفوت
وما بين اللحظتين
أنتشي بعبق النّرجس والنّعناع
تغزلان لي قصائد
سعادتي المرئية في مرايا لونيهما

أهدهد ضجيج التّاريخ
أتفاوض مع تكهّنات الغد.
في الدهر الذي يليها:
أراني أعانق الشّمس في غيابها
كما في حضورها

أسامر القمر في هلاله وبدره
وتظلّ النّجوم خلّاني
في غفوتي وانشراحي.

اختبأتْ ذاتي في ذاتي
هي دون سواها
تفكّ طلاسم ضجيجها
تقبّل جبين نجواها في
مدارات العمر المرسوم
في مراياها الخفيّة.

نارين عمر
شاعرة وروائية وقاصة سورية كردية مقيمة في ألمانيا



الشاعرة المصريّة فوزية شاهين

20



نساءٌ من نور..

لسورةِ مريمَ قدرٌ وشان ... بآي الكتابِ عظيمِ البيان
تجلت بها وصف أنثى طهورٍ ... ك لؤلؤةٍ فوق تاج الزمان
عن البوحِ صامت، وقامت تصلي ... بمحرابها كي تنالَ الأمان
أيا أخت هارون إنَّ الأمومةَ ... قد جسدتكِ لكل العيان
كأمٍّ وأختٍ وبنتٍ تسامت ... بأصلٍ كريمٍ وعِرضٍ مُصان
ومازالَ ذكرُكِ عطرًا وطيبًا ... يردده ياسمينُ اللسان
فأمٌّ هنا أنجبت أنبياءً ... وكانت لها في الدنا جنتان
وأمٌّ هنالك ربت رجالا ... على الدين هديًا بلا ترجمان
ومرَّ الزمانُ بنا في هدوءٍ ... مرورَ السحابِ بنا في ثوان
وجاءت نساءٌ بعقل حكيم ... صنعن الحضاراتِ والصولجان
كفاطمَ من مغربِ العزِّ جاءت ... تريقُ المعارفَ ملءَ الدِّنان

فأعطت من الوقت والجهد ما لا ... يناكبُها فيه إنسٌ وجان
وأعطت حياةً لحرفٍ أصيلٍ ... ليصبحَ للشعر قدرٌ وشان
على الصعب تمشي تنير الدروب ... لمن تاه بين الثرى والعَنان
بتعطيرها حرفِ من يزرعون ... لأوطانهم مجدَ هذا الزمان
فصارت لنا مثلَ أمٍّ وأختٍ ... زكا الفلُّ في كفها والجمان
وأضحت لنا ومضَ شمسٍ وأمست ... كنجمٍ أضاءَ سطورَ البيان
ف (فاطمةٌ بنتُ بوهراكةٍ) قد ... تسامت إلى العلم دون امتهان
لكِ المجدُ والعزُّ رمزَ العطاء ... دعونا الإله بسبع مثان
تنالين تاج الإمارة مجدًا ... ونورًا وهديًا من الله حان
ف نونُ الأنوثةِ تحيا بعزٍّ ... ويرقى الزمانُ بها والمكان

فوزية شاهين
شاعرة مصريّة



قصائد للشّاعرة الفلسطينية هتاف عريقات

21



مرآة فكري

لأجلِكَ أنتَ يكونُ ربيعُ الحياةِ
وليس لغيرِكَ عندي
سوى ذكرياتِ
وليسَ بغيرِكَ تأتي الزُّهورُ..
سماتُ الرُّجولةِ..
عنفُ الشَّبابِ..
وأنتَ الأماني..
وأنتَ صفاءُ الأضاةِ
فمن لي سواكَ
إذا ما طَمِحْتُ؟
لِغَرسِ الرَّجاءِ،
وبَذْرِ النُّفوسِ..
وبَذْرِ المُنى..
وافتِكاكِ الضَّفائرِ،
نثرِ العُطورِ،
وعزفِ اللُّحونِ؟
وكيفَ أعيشُكَ

في عنفوانٍ
وفي كبرِياءٍ..
وفي نَظَراتي..
وأيِّ الْتِفاتِ ؟ ...
ومَنْ لي على الصَّحوِ والسُّكْرِ
غيرَكْ؟
تهزُّ كياني،
وتبهرُني،
لستُ أعرِفُ كُنهَكْ..
وإمَّا بحثتُ عليكَ كثيراً،
أتابِعُ خطْوَك،
ولكنَّني مَحْضُ جاهِلَةٍ،
ليسَ تقنَعُ
قَطُّ
لأعرِفَ أيْنَكْ ...
كتبتُ
حكايا الحنينِ..
وجاوزتُ
لهثَ السِّنينِ..
وحين تعانِقُ كفَّاكَ خصري
وتلهو بعيداً..
رُويداً
رُويداً
إلى أبَدِ الآبدين
أُحِبُّكَ..
أعشقُ كلَّ الَّذي فيكَ أنتَ..
حياتِيَ أنتَ..
وروحيَ أنتَ..
وعشقي المُفَدَّى..
وعنكَ

فإنّي أنا لا أُطيقُ معَ العِشْقِ بُعْدا ...
وأنتَ تجدّفُ ضمنَ مِياهي..
فتلهو على نهريَ اليومَ..
نهريَ بالوجْدِ صافي..
وقد زادَ فيكَ صفاءً..
وزادَ اشتياقا ليشدو بحُبّكَ..
صوتاً شجِيًّا
تجلّى ربيعاً شهيًّا
على شفَتَيَّ
لأرجُفَ منكَ..
بقلبٍ يُنادي
وأزدادَ شوقاً
لألقى مع البُعْدِ
ضمنَ التَّغرُّبِ
عشقاً ثوى في فؤادي..
لتلكَ الرُّبوعِ..
وتلكَ البلادِ..
أراكَ مليًّاً..
فتنثُرُ بعضَ بذورِ اليقينِ ...
وأطلبُ منكَ
إعادةَ بعضِ اتّزاني..
فيشدو الجُموحُ..
وألقى لديَّ طيوراً ...
وفيها
يطيرُ الطُّموحُ
ولكنْ تعودُ اللُّحونُ
تُغَنّي.. بصوتٍ حزينِ ...
تُغنّي إليكَ
أغارُ عليكَ
إذا ما وجدتُ الشَّذا

ضمنَ جِسمي
وفوقَ ثِيابي..
عليكَ دلالةُ عشقٍ،
قويٍّ،
كبيرٍ،
عنيفٍ،
شديدٍ،
مُبينِ ...
فلا أرتدي معطفاً للتَّبلُّدِ..
هذا الغطاءُ قِناعٌ
يخبِّئُ دفءَ الحياةِ..
إذا أوغَلَ البردُ فيها
ستمحو الأماني من الذِّكرياتِ ...
ولم أنسَ يوماً..
بأنِّي بكيتُ اشتياقاً..
بِهِ..
في نَشيجٍ..
لدى رؤيةِ الطَّيفِ،
في عُمقِ ذِكرى،
لقربٍ.. تجلَّى..
لوجهٍ جميلٍ.. وفكرٍ رصينِ ...
تذكَّرْ بأنِّي بكيتُكَ عِشْقاً..
وأبكيتُ فيَّ اللَّيالي ...
وما زلتَ مرآةَ فكري
وبؤبُؤَ عيني ...
ومُرتَسَمَ البَسَماتِ ...

هُتاف عريقات
شاعرة فلسطينية

قصائد للشاعرة السُّورية الكردية فدوى الكيلاني

22



وطن لا يشبهني

على حافة الوقت أقف
مثقلة بالهمس الذي تركته الريح
بركام أحلام كانت يوما أعلى من السحاب
أستجدي خطوة تأخذني
نحو طفولة نسيها العمر
نحو أغان
كتبت على جدران البيوت القديمة
حين كان للصوت نكهة الزيتون
وللطرقات رائحة المطر الأول
أبحث في جيوب الغيب
عن قرص شمس لم يتلفه المساء
عن شرفة تطل على غد لم يأت
عن وطن
لم يحاصره الغبار
أنا الممدودة بين مرافي الحنين
وخطوط التماس

أرقع المسافة بالانتظار
وأرسم في خيالي
سماء لا تغادرها الطيور
ودروبا لا تنبت الفقد

فدوى كيلاني

إلى أمي... المحشوة بالحنين

أمي التي تقطف الحنين
من شجرة الوقت
وتحشو به قلوبنا
كما تحشو الورق والقرع
بالحب والملح والدموع
أمي التي تقيم مأدبة كبيرة
لكل شهقة شوق
تمر بها من طيف أبي
ولا تصدق أن الزمن يُشبه الموت
وأننا في الغياب نصبح نصف أحياء
أبي الذي تراني صورة عنه
وتقول لي:
أنتِ هو... لكنكِ هنا
وهو هناك.
كيف أقول لها
إنّ هناك وهنا أصبحا مسافة غصّة
لا تنتهي إلا بالموت أو بالوطن
أمي
لا تضحكي منّي اليوم
حين أقول:
أنا عائدة

صدقيني
أنا عائدة مع العائدين
مع الموجوعين
الذين خبزوا الخيبة
حتى أصبحت خبزاً يومياً
وأكلوها بألمٍ وأمل
أمي
حضّري لنا الأطعمة
التي تتفننين في إعدادها
دعينا نعود إلى البيت الكبير
نلتمّ حول مائدة الذكريات
كما لو أنّ الحرب لم تكن
كما لو أن الدار
لم تُترك وحيدة
لتأنّ تحت أقدام الزمن
أمي
لن أضحك حين أبكي بين يديكِ
فقط هذه المرة
دعيني أصدّق أنّ سوريا
تستطيع أن تُعيد لنا
ما كسرته الحرب.

فدوى كيلاني



همس لي التراب بصوتٍ مختنق

همس لي التراب بصوتٍ مختنق
وتنهّدتِ الجبالُ في حضن الغياب
نامت الطرقاتُ على وجع المسافات
وتثاءبت مفردات الوطن
في انتظارِ الخطوات...
ستعودين:
قالتها لي الريحُ بنبرةٍ خافتة
عانقت الأشجار ظلالها في صمتٍ ثقيل
ارتجفت الطرقات من بردِ الانتظار
وأغمضَ الوطن عينيه على حلمِ اللقاء.
ستعودين:
همس لي النهرُ بأنينٍ شفيف
وتمايلت ضفتاه بغنج
تنفّسَ الغيابُ صبرًا
وأضاءت سماءُ الوطن
نجمةً....
ستعودين
قالها الأفقُ بحنينٍ ممتد
وغنّت الحقولُ
رغم صمت السنابل
ارتجفت الأزقةُ فرحًا
وفتح الوطن ذراعيه
الحانية ....
ستعودين ..ستعودين ....

فدوى كيلاني
شاعرة وقاصة سورية كردية مقيمة في ألمانيا

قصائد للشاعر اللبناني تيسير حيدر

23



النّصفُ الملآن من القمر...

أغرقُ في سلام الروح كمنجيرة الراعي
كالاغنامِ الشاعرة وهي تُصغي إلى الحنين المُنبعث
لماذا يُلاحقني هذا الصَّخبُ في بعض الأحيان الجافة ؟!
لماذا لا اتبادلُ مع النسيم مجوهرات العناق ؟!
الشِّعر ساحرٌ خصبُ الانبعاثات كالنهر
كمراهقةٍ تعتني بأُبَّهة مفاتنها
تُهيّء جدائلها للزيت
زيتِ الحُب
كالجبال وهي تستجدي الندى
لماذا لا أسْبَح في هذا المَدى الجَبَلي كاسراب الحساسين؟!
لا تنقصني الأجنحة ولا ابياتُ القصيدةالجاهزة للتحليق
أتكونُ الحياة لحظاتٍ نستمتعُ فيها برحيق خُلَّب يُغذي القلم بحبرِقوس قزح ؟!
أَشعِلْ اوكسجين قلبك وتمادَ في عِشقِ النّصف الملآن من القمر..!

تيسير حيدر_لبنان

يَتوارثون الفَقْرَ ...

يَتَناسَلُ الفُقراءُ ،ألطِّيْبةُ ذَاتُها ،ألوانُ القَلْبِ نَفْسُها ،ألْغُموضُ ،القَهْرُ ،ألحُزْنُ،ألمُعاناةُ
نَعْرِفُهُم من سِماتِ الوَجَناتِ المُتَهَدِّلة كالْجُدرانِ المُنْهارة
مِن الشَّعَثِ في الرَّأسِ ،من الغُبارِ ،من الثِّيابِ المُسْتَغِيْثة،من القَهْرِ المُتَدَحْرِجِ كالْزجاجات الفارِغة
يَتَوارَثونَ اليَأْسَ والعَزيْمةَ والأمل والألَم
لَهُم نَفْسُ الصُّوَر ،نفْسُ البَسماتِ الهَزِيلة
نَعْرِفُهم من آبائهِم ،يَمُرُّونَ فَتَمُرُّ العَذاباتُ البائدة
يُعَمِّرون عذاباتِ العَصْرِ الحَديث
يَهْربون في شَوارِعِ العُمْرِ ،يَسيْلون كالنَّهْرِ
كُلُّ خُطوطِ الطُّولِ والعَرْضِ تَعْرِفُهم ،علاماتُ اسْتفْهام ،تَعَجُّب
مَشْروعُهُم البَقاءُ على هذهِ الأرضِ الَّتي تُعَذّبهُم
يَغْتَنون كُلَّ يومٍ بعَبيْرٍ ،عَبيْرِ الفُقراءِ ،حِيْنَ يَحْلو الجَوُّ لَهُم وَيَبْسمون على دروب الإسْتِمرارِ وَالمُغالَبةِ والصِّراع !!

تيسير حيدر_لبنان

البَدر...

عازفُ ناي
يُغرقُ قلبي بالألحان
تائهٌ في السماء كحسُّون
يجذبني إلى مراهقةِ الروح
يومَ كانت السماء مُهرة زرقاء للحُب
ألعازفُ ماهرٌ كعرزال في أودية الروح
مَن علَّمكَ العزف أيها النبي ؟!
مَن شدَّ على يدكَ الغضَّةَ الفَن ؟!
مَن جمَّعَ كلَّ آهاتِ العُشاق ووزَّعها ألحانَ عِناق ؟!
خُذني إلى همومكَ الصغيرةَ
كأنْ ينقطعَ الوتر
خُذني إلى طفولتكَ وأنت تستعرُ بجانب الموقدِ والدَّاخونُ يُغرد

يا الله..ما اجملَ حياتكَ !!
اسرقني إلى متاهاتِكَ
أَلَستَ غجرياَ عاشقا
وأنا جذوةُ شِعر...؟!

تيسير حيدر_لبنان

خُلود...

خُذْ معكَ عَيني الأُولى
ولتَبقَ معي الثانية أُودِّعُكَ بها بدمعِ الشَّجن
خُذ قميصي يَغمرُ قلبكَ بأحمرِ شقائق نعمان لبنان الحَرَّى
خُذ أناملَ يدي واتركْ لي الثانية اتَّلَمَّسُ بها خَدَّيكَ المترعين بلهيب الحرب
خذ قلبي الذي سيبقى ينبضُ في الثرى مع جذور السنديان والزيتون والأرز لِنُزهرَ معاُ كالحنين المستدام
كَقُمصانِ أرضنا الخضراء في ربيع آتٍ لا يعرفُ الوجع والحرب
يَرفلُ بالسلام الذي رَسمتَهُ أنتَ نشيداً وطنياً
يا أيُّها الحبيبُ الرَّاحلُ نحو الخُلود..!

تيسير حيدر_لبنان

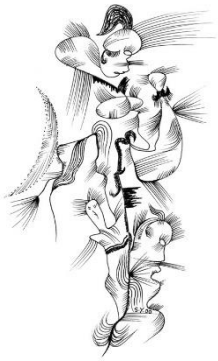

طبيبُ العيون...

أغوصُ في عمقها الروحي
في السماء الزرقاء التي كنتُ ألتحف مذاقها في أحلام اليقظة
أقُضُّ مضجعَ آلامي الساحرة
ألتفتُ ذات اليمين وذات اليسار لا أصَدِّقُ ما يدور أمامي
غزالةٌ حرَّى
أقحوانةٌ حُبلى بحنين مستعر
نهرٌ يجرفني بين جلول التفاح الناضج كقبلات الشوق
لسانُها هو هو في لذاذته المعهودة
جيشُ حربها
جذوةُ عنادها
وردةُ نداها
بسمتُها المفروشةُ باخضرارِ النعناع
حصيرةُ صدرها المثقوب عشقا
الزمن الذي يبسَ كبحر ..
قلبي الذي يلهو بمفاتن السباحة في عُمقِ عينيها..!

تيسير حيدر
شاعر لبناني

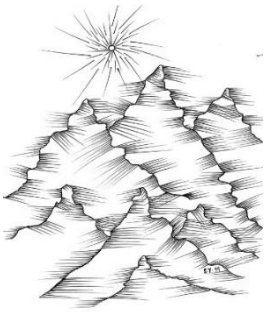

قصائد للشاعر الفلسطيني نمر سعدي

24



يا زهرةَ الكرزِ المضاءةَ بالقصائدِ والغيومِ
وبالنجومِ على الروابي والأهلَّةِ في السفوحِ
توهَّجي ليلاً وشدِّي في الظلامِ جراحَ روحي
أنتِ الحديقةُ والصديقةُ.. برعمُ الرَّمانِ
أو شهدُ الينابيعِ الصغيرةِ
والزنابقُ في خريفِ العمرِ
عطرُ القُبلةِ الأولى وطعمُ النارِ في حبقِ الجليلِ
ولهفةٌ بقصائدِ العشَّاقِ والأحلامِ توحي
لأبوسَ صوتكِ أو أجسَّ يديكِ ينقصني فمٌ
كفراشةٍ عمياءَ تبحثُ في قميصِ الجمرِ عن ماءٍ..
ويلزمني اشتهاءٌ في الشتاءِ بلا انطفاءِ
أو أبجدياتٌ تفتِّشُ في تباريحِ الأنوثةِ عن شروحِ
وأنا الصدى الجبليُّ في نبضِ الأغاني
والفراشةُ أنتِ في قلبي.. وروحُ يمامةٍ
ضلَّت طريقَ رجوعها للشمسِ في أقصى دمائي
أشتاقُ.. يا قمرَ الحنينِ إلى ضفافكِ كادَ يمحوني
ويا مطرَ السنينِ يسحُّ فوقَ قصائدي..

نمر سعدي

مرَّ الخريفُ على حُلمي، سمعتُ صدىً
من آخرِ الأرضِ يأتيني، هو المطرُ
يهبُّ في ذكرياتي، كلُّهُ عبقُ
فوقَ القصائدِ غيماً راحَ ينتشرُ
على حوافِ شفاهي لهفتي ورقُ
تجرُّهُ الريحُ ليلاً وهو يستعرُ
من قُبلتي فيهِ أو من زفرتي حبقُ
حرائقُ الماءِ في عينيهِ، أو شجرُ
في القلبِ أحملهُ، غابتْ خطايَ وفي
روحي من المطرِ المنسيِّ أجنحةٌ
وفي دمي من وصايا عشقهِ وترُ

***

القصائدُ في قبضةِ الريحِ والريحُ في القلبِ
والقلبُ خبطٌ لأجنحةٍ غيرِ مرئيَّةٍ لطيورٍ من النارِ راحَ يعانقها الماءُ..
بريَّتي لغتي وأنا هائمٌ في مداها
أنادي على الناسِ في جلوةِ الفجرِ أو تحتَ شمسِ الظهيرةِ
ليلاً نهاراً.. مساءً صباحاً.. صباحاً مساءْ
من يضمِّدُ جيتارتي؟ من يشدُّ جراحَ الندى في دمي؟
من يهزُّ النخيلَ الذي في عروقي ويطلقُ حقلَ العصافيرِ من جسدي؟
من يعانقني في الظلامِ؟
ومن يشتري توبتي من كتابةِ هذا الهراءْ؟

***

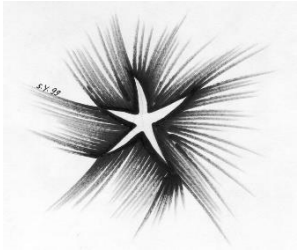

نقوشٌ على حجرِ الورد

شاهد ذكرياتكَ كلَّها
ندمٌ عليهِ دمٌ تناسلَ من غبارِ الطلعِ
سبعُ قصائدٍ لحبيبةٍ ثكلى وللغضبِ المقدَّسِ
وردةٌ جوريَّةٌ قد أصبحتْ حجراً
وبنتٌ وردةً جوريَّةً صارتْ
وماءٌ في إناءِ الحزنِ
أغنيةُ المسافرِ للمسافرِ
والعصافيرُ النحيلةُ في الخريفِ
وذكرياتُكَ... ذكرياتُكَ كلُّها...
أنا آسفٌ لا ذكرياتَ الآنَ لي
كم الساعةُ الآنَ؟
كم قلبُكِ الآنَ؟
والقلقُ البيولوجيُّ كمْ؟
نجمةٌ غيرُ مرئيَّةٍ في ثيابكِ..
فضيَّةٌ مثلُ دمعِ البحارِمجرَّدةٌ من مرايا الصدى
وحقيقيَّةٌ كالتفاتِ التماثيلِ نحوَ العدَمْ
كم الألمُ الآنَ يا قلبُ...
كمْ؟

يا مهاةَ فلسطينَ
يا فرسَ الزنبقِ الساحليّ
خذي ليلَ بارفانكِ المتوجّسَ مني
ومُرّي لكي أنحني
للقصيدةِ في لازوَرْدِ يديكِ المقدَّستينِ
خذي قمرَ الدمعِ والبرتقالِ لعينينِ كالزهرتينِ
خذي ما يقولُ الحصى لنحيبِ البحيراتِ
والاستعارةُ للقلقِ المطمئنِ
خذي من حنينيَ منديلَ ماءٍ

وكوفيَّةً لنعاسِ التماعاتِ شَعرِكِ
في ملكوتِ التمنّي
يا غزالةَ قلبي وشمسَ دمي
لستُ أكثرَ من شاعرٍ عابرٍ
كانَ يبكي على سفحِ غرناطةٍ وحدَهُ
حينَ هبَّ الغبارُ على الأقحوانِ
وكانَ يغنّي:
خذي آخرَ البحرِ يا بنتُ مني
لا أفسّرُ عمري سوى بإضاءةِ ليلكةٍ
في حديقةِ ليلكِ
أو بغموضِ حنيني إلى كلّ شيءٍ
وبالولهِ الأبيضِ المشتبهْ

آهِ سيَّدةَ الحبقِ الأنثويّ وسيَّدتي
انفرطَ القلبُ خلفيَ فوقَ طريقِ الغناءِ
وضاعَ ولم أنتبهْ
قلبي الآنَ يُوجعني
لأني لم أبُس أرضيَّةً ذهبيَّةً
تُفضي إلى السوقِ القديمِ
ولا مصاطبَ للرخامِ الحيّ
حولَ المسجدِ الأقصى..
ويوجعني كثيراً لا لأني
لم أزرها كلَّ أسبوعٍ
لأعرجَ في طريقِ الغيمِ والبَّخورِ
أو أمشي على دربٍ من الآلامِ
بل لهشاشةٍ بقصيدتي وفراشةٍ في القلبِ تدميني
إذا ما كنتُ خارجَ سورها الأزليّ
فالقدسُ القديمةُ أقربُ الطُرُقِ القليلةِ للسماءِ
وسِفرُ رؤيايَ الأخيرُ
وأوَّلُ الفرحِ الحقيقيّ المغمَّسِ بالبكاءْ

أيها المنتهى
سترى كيفَ تسقطُ أوراقُكَ الحجريَّةُ عن سدرةِ المشتهى
شوكةٌ واحدةْ
لم تزلْ تتثاءبُ في دمِ أفعى وفي قُبلةٍ مُرَّةٍ باردةْ
حيرةُ الهامشيّينَ ضوءٌ فقيرٌ
يضيءُ الرمادَ وكرمَ العنَبْ
ليعبرَ طيفُ خلاسيَّةٍ من أنينِ القصَبْ
الفوضى التي لا تمَلُّ من الرقصِ داخلي
تريدُ مني أن أنسى كلَّ شيءٍ
أوَّلَ القصيدةِ وآخرَ الليلِ
ثرثرةَ النساءِ الغريباتِ في مكانٍ ما
أثرَ يدِ نجمةٍ على يدي
وهو يمتدُّ كالدانتيلا على شرفةِ العالمِ
قميصَ الفراشةِ الكستنائيَّ المشجَّرَ
حكاياتِ ألفِ ليلةٍ وليلةٍ
التفاصيلَ الصغيرةَ جداً لشاعرةٍ لا تكتبُ الشِعرَ
قدراً أخطأ قلبي وهو في الطريقِ لأغنيةٍ
قمراً شجَّ رأسي في الطفولةِ
الفوضى التي لا تمَلُّ من الرقصِ
ترمي بكلِّ العشَّاقِ والشعراءِ المجهولينَ
الذينَ يسكنونَ جسدي إلى اليمِّ
وتشيرُ لي أن أعودَ إلى الحياةِ وحدي
أغلقْ كتابَ الليالي.. ما من امرأةٍ
كشهرزادَ.. أضاءَ العمرَ لي فمُها
تذوي أنوثتها العنقاءُ مطفأةً
لأنَّ قلبَ ابنِ آوى ليسَ يفهمُها
يا من تحوّلُ أحلى وردةٍ طلعتْ
لجمرةٍ يأسُكَ الشعريُّ يقضمُها
شِعري الحياديُّ لن يرقى إليكِ سوى
ندى وشاحٍ على صلصالكِ النضرِ

يقولُ بنتٌ بلونِ الماءِ.. يوجعني
حريرُها وعلى أجفانها قمري
بنتٌ بعمرِ فراشاتٍ مقدَّسةٍ
تطيرُ في الريحِ أو تغفو على الشجَرِ
بنتٌ كما يكتبُ الرائي قصيدتَهُ
لكي تنقِّطَ عشبَ الوجهِ بالمطَرِ
بنتٌ كخفقِ نيونِ القلبِ.. غامضةٌ
كنقشِ أنثى من الدفلى على حجَرِ
بنتٌ إذا وخزتها شوكةٌ كذِبٌ
تمرُّ فوقيَ آلافٌ من القُطُرِ
بحجمِ دمعةِ هذي الأرضِ.. موغلةٌ
في الصخرِ مثلُ خطى روحٍ على سفَرِ
بحريَّةُ القلبِ.. ماورديةٌ سكنتْ
شمسَ الترابِ.. فلسطينيَّةُ القدَرِ

نمر سعدي
شاعر فلسطيني



قصائد للشاعرة المصريّة هدى عزَّالدين

25



ومضاتٌ من نبض

مذ استيقظتْ حروفُك
بوجهِ النور المخالفِ لمصابيحِ الظلام،
أرسلتُ رسالتي لأديسون
تحت عنوان
(عجوز الفكر).
عينُ الظلام تبكي
جمعتْ دموعَها
شلالَ موجبٍ.
فارغةٌ بطارياتُ
عشقِك لا ومضَ فيها
اسلبُ القلبَ ضجيجَ
خفقِه.
ربما الأنوثةُ تجيدُ شحنَ العقول
ثم أعودُ لمنحنى تضاريسٍ بتلالِ الوهم. أُقيّم جبالَ الحب
ببحرِ الرمال المتحركة.
وحروفُ الوهن القويةِ
تبني قاعدةَ الشتات.

هدى عز الدين

بعيدًا عن أعين العاشقين،
وتحت سماءٍ تُمطِرُ صبرًا،
هنا بين ضلعيَّ رجلٌ أجاد
لغةَ الغرام.
وأنا على عهدِكَ أيها النهرُ أُجيدُ
شواءَ سمكتِكَ.
عندَ انتهاءِ النهارِ أخلعُ ثوبَ غروري،
ومعَ أولِ الليلِ أَطهو خبزَكَ الساخنَ،
كي نأكلَ أصابعَ الوقت،
وتجمعنا الأيامُ بين يديّ الحبّ.
***
أُرطِّبُ أَنفِي حينَ أَتَنَفَّسُ مِن رِئَتَيِ الثِّقَةِ،
وأَضَعُ حَبَّاتِ قَمحِكَ فِي صَوَامِعِ الخَرِيفِ.
تَحتَ قَدَمَيَّ اللَّيلِ هَزَّةٌ أَرضِيَّةٌ،
لَعَلَّهَا تُخرِجُ مِن عَقلِكَ رَوَابِطَ المَاضِي،
أَو تُسقِطُ مِن عَلَى حَوَائِطِ قَلبِكَ امرَأَةَ العَزِيزِ
حِينَ قَدَّ قَمِيصَ حُبِّكَ مِن دُبُرِ قَسْوَتِكَ.
وَجُنُونُكَ الجَنُوبِيُّ صَاحَ بِالهِجَاءِ،
وَمَا أَنَا عَلَى أَبوَابِ النَّجَاةِ،
أَشحَذُ كِسرَاتِ خُبزِكَ المُرِّ.
قَالَهَا الكِبَرُ: وَالعَجَبُ كُلَّ العَجَبِ، أَيُّهَا الطِّفلُ،
تَركُضُ خَلفَ حُلوَتِكَ
وَنَسِيتَ أَنَّهَا مِن يَدَي ابنَةِ عِزٍّ.
تَعَالَ،
وَاقسِمْ عَجَائِبَ هِجَائِكَ عَلَى أَسطُحِ شَاشَتِكَ الزَّرقَاءِ،
وَقُل لِلعَوَامّ: إِنَّ أَنثاكَ لا تُجِيدُ طَهيَ الكَلِمَاتِ.
ثُمَّ دَاعِبْ أَنَامِلَكَ بِالثَّنَاءِ،
وَاستَخرِجْ مِن غُرُورِكَ مُوَّالًا
يَبدَأُ بِالأَلِفِ وَيَنتَهِي بِاليَاءِ.
***

أَعْطِرْ قَلْبِي بِمِسْكِ جَبِينِ أَبِي،
وَامْسَحْ خَاطِرِي بِكَلِمَاتِهِ حِينَ طَبَعَتْ مَلَامِحَهُ عَلَى وَجْهِي.
يَا حُمْرَةَ الثِّقَةِ، أَنَا نُطْفَةٌ مِنْ ظَهْرِكَ.
عَفْوِيَّةً أُثْنِرُ بَهْجَتِي فِي أَزِقَّةِ خَوْفِهِمْ.
ابْنَةَ الصَّبْرِ، لَا أُمَزِّقُ دَفْتَرَ الْعَطَاءِ،
بَلْ أَجْعَلُ لَهُ هَوَامِشَ تَرْقِيمٍ.
وَأُعِدُّ مِنْ وَحْدَتِي أَلْفَ أَلْفِ زَهْرَةٍ لَيْمُونٍ.
هُنَا تُوضَعُ كَأْسُ سُكَّرِهِمْ، وَلَا كَسَرْتُ قَارُورَةَ تَمَرُّدِي.

***

قلمي المحفوفُ بالخطرِ يقطرُ حُبًّا،
يملأُ القصيدةَ بالرّيحانِ،
واقتلعُ الغيمةَ بالمطرِ ثمَّ أكتُبُكَ ربيعًا.
وأنتَ أيُّها الشاعرُ تقفُ على بوّاباتِ الحياء،
تُعلّقُ شُعورَهُنَّ المُستعارةَ فوقَ عقلي.
أمشطُ شَعري وأزيدُ من صبغةِ الظنّ
كي أُخفِيَ شَيبَ الحقيقةِ.
بعضُ المارّةِ يلتقطونَ من نصّك كنايةً عن عشقي،
يرتّبونَ غُرفَ التأويلِ،
وأنا أرتّبُ خِصالي وأسكنُكَ فوقَ قلبي.

هدى عز الدين

وجهُ الشمس

قالَ العِتابُ: يجمعُنا
أيَّتُها النِّساءُ، هُنا زُليخةُ،
وفوقَ المُتَّكَإِ سِكّينٌ.
أَعِدّي وَلِيمةَ عَشاءٍ لرَجُلٍ واحِدٍ،
اطهُ الصَّبرَ كي يأكُلَ قَلبي،
وبَعدَ الجوعِ لا أُطعِمُ إلّا إيّاهُ.
ما زالَ يكتُبُ وينظُرُ إلى اللواتِي قطَّعنَ أيدِيَهُنَّ،
مَسجونةٌ أنا، وأنتَ تُمارِسُ عاداتِكَ.

قلتُها لمن يُخْبِئُ حقيقتَه تحت طاولتِهِ:

وأنا أَنْهَمُ شِواءً صغيرًا،
لم يُشبِعْ أنيابِي،
ولم تَتَمَكَّنْ قَواطِعي من تقسيمِهِ.
رَكَنَ داخلَ فمي، وتَتَأَوَّهُ الكلماتُ من رائحتِهِ،
لكنني بدأتُ الكتابة، مَحَوْتُ الحروفَ واحدةً تلو الأخرى،
ثم تحرَّكتُ مع الوطن،
ونسيتُ مَن كان يركنُ داخلي،
وكأنَّ الكتابةَ كانت مدخلًا لفضاءٍ أوسعَ،
لا يضيقُ بثقلِه.
يتابعُ سيرَه ويدَّعِي أنَّهُ النور،
وأنا مَن تَعَمَّدْتُ الإبحارَ في ظلامِ الكلام،
بحثًا عن لغةٍ تُشبِعُ صمتي.
وقال وقال، وحين انتهى قال لي: اصمتي.
لكنَّ الفئرانَ التي تجمَّعَتْ حولَ كلماتِهِ،
ظَلَّتْ تُراقِبُنِي.

هدى عزّالدّين
شاعرة مصرية

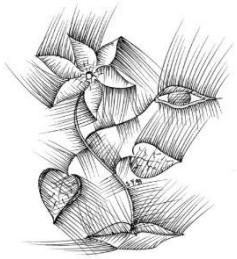

قصائد للشّاعر العراقي عادل حمدي الشَّرقي

26

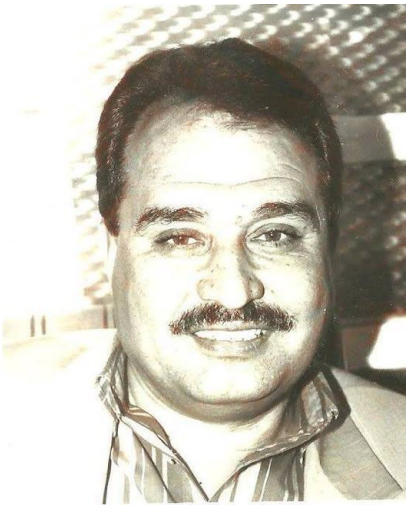

ربَّما انبثقتْ من هديل الحمامْ

ربَّما ستجيءْ
ذاتَ فجر مُضيءْ
وهي محفوفةٌ بالطيورْ
والطواويسُ من حولها
مثل شمسٍ تدورْ
ربَّما ربَّما
سوفَ تأتي هنا
من هديلِ الحمامْ
ربَّما انبثقتْ
من سنا ماسةٍ
أو حنايا رخامْ
ربَّما انسربتْ
من هطول الغمامْ
ربَّما طلعتْ
من هوى شاعر
ألبسَ البحرّ أشعارهُ
ثم نامْ
ربَّما أقبلتْ من بعيدْ

من بحور القصيدْ
ربَّما تستفيقُ على
صوتِها القبراتْ
ربَّما ترتمي
عند أقدامها الفاتناتْ
حيثُ أبصرُها
وهي مبثوثةٌ في الهواءْ
من أريجٍ وماءْ
وجهها العذبُ
تخجلُ منه المرايا
والشفاهُ الندية
تتلو علينا الحكايا
ثم من حولها
يحملُ العاشقون الهدايا
ربّما انبثقتْ
من رحيقٍ وطيبْ
وهي مكتظة
بالحضور الرهيبْ
شعرُها من سواد وليلْ
والضياءُ الذي
شعَّ من وجهها
صار يشفي
الفؤاد العليلْ
ربَّما يعلنُ اللهُ
أن التي خلِقتْ
لم تكنْ
مثل كلِّ النساءْ
إنَّما صاغَها
من جمانٍ وماءْ
ربَّما

هي واحدةٌ
من نجوم السماءْ
ولهذا بكيتْ
مثل سهمٍ أتيتْ
كي أصلي عليها
ثم قررت من بعد ذا
أن أموتَ على ساعديها
غير أني نسيتْ
أن أقبلَ أهدابَها
ثم من بعد ذا
وجنتيها
ثم أهدي لها
وردةً
من أنيني الذي
كان يبكي لها
في المنامْ
كان يبحثُ عن ظلها
في غناء الطيور
وبوح اليمامْ
قيل لي :
ذات ليلٍ حزينْ
إنَّها ربَّما
سوف تأتي إليكْ
ربَّما
تحتسي حلمَها من يديكْ
غير أني انتظرتُ طويلا
ولم يُبقي مني زمانيَ
في العمر
إلّا قليلا

عادل حمدي الشرقي

يا أيُّها البدرُ التَّمام

إجابة على رسالتي الأولى
كتب لي وطني الغالي

يا أيُّها الشّاعرُ شكراً
سرَّني سؤالكْ
أنا بخيرٍ صاحبي
وأنتَ كيفَ حالُكْ ؟
إنَّ الحياةَ ما لها
من بعدكم
طعمٌ وأيُّ لونْ
يا صاحبي
قُل لي متى
يوماً سترجِعونْ ؟
لقد قرأتُ أمسِ ما كتبتَ لي
يا شاعري الحبيبْ
وقُلتُ لابُدَّ بأن أجيبْ
يا صاحبي :
طُعِنتُ ألف مَرَّةٍ
لكنني بخير
ومُتُّ ألفَ مَرةٍ
لكنّنيَ لمّا أزلْ
أقوى على المسيرْ
أسألُ عن أهليَ أينَ سافروا
وأينَ يسكنونْ ؟
أينَ ينامُونَ ويُصبِحونْ ؟
سمِعتُ أن بعضَكم
ينامُ في العراء
وأن بعضَ أهلنا

يلتحفُ السَّماءْ
وقيلَ إن بعضَكم
في غربةٍ حزينة
يسكنُ في البيدِ
ولا يعرفُ مُذ غادرني
شيئاً عن المدينة
وكم حلُمتُ أن أرى
أحبتي قربيَ يجلِسونْ
ويحتسونَ في الصباحِ قهوةً
معي ويضحكونْ
أنا العراقُ يا صديقي
لا أضيعُ صُحبتي
فلترجعوا لقلبيَ الحنونْ
أعرفُ يا صديقيَ الشاعر
أدري أنكم
في الغربة الدكناء تذكروني
وأنكم تدرون
أني لم ازل أضمكم
مآ بين أضلاعي
وفي عيوني
لكنني أسألُ كلَّ ساعةٍ
وحين أستيقظ
في الصباح ثم أمسحُ
الجفون

عادل حمدي الشرقي

أنا وحَمامَتي

بلغنا في الحلم

سَماءَ بغداد

دعي جناحيكِ قربي كي نطير معا ... ولتُمسكي الخيطَ في قلبي إذا انقطعا

أنا بقلبي اشتياقٌ ليس يُطفئُـــهُ ... عَصفٌ من الرّيحِ أو برقٌ إذا التَمَعا

الكونُ أفقٌ صغيرٌ سوفَ نقطَعــهُ ... وسوفَ يَصغُرُ مهمـا امتَدَّ واتَّسعـا

طيري معي قد قطعناها بأضلُعِنــا ... سنُبصرُ الليلِ مثلَ البرقِ قد قُشِـعا

ولا تَخافي المدى ، أهوالُــهُ كَذِبٌ ... ومثلنا لا يَخاف الهَولَ والفَزَعــا

وجهي ووجهُكِ في الآفاقِ قد بِرَقـا ... فَلتَنظُري كيفَ في الآفاقِ قد لَمَعـا

ولتَصبري صبرَ يعقوبٍ بِمِحنتِــهِ ... فالعينُ فيهِ قد ابيَضَّتْ وما جزعــا

صُفّي جناحيكِ قُربي أرضُنا اقتَرَبَتْ ... ألا تَرينَ سَنا بغدادَ قد سَطعــا؟

إنّي لأسمَعُ صَوتاً كنتُ أسمَعُــهُ ... قبلَ الصَّلاةِ لهُ الإنسانُ قد خشَعــا

تلكَ المآذنُ ، ها قد لاحَ باسِقُهــا ... صوتُ الحَمامِ على أكتافِها سَجَعــا

والفَجرُ من فوقِها يَهمي بطلعَتــهِ ... ما أجملَ الفجر في أرضي إذا طَلَعا

عادل حمدي الشرقي

شاعر عراقي



تشمُّ رائحة القسوة في الطين العتيق

27



الشاعرة السُّوريّة وداد سلوم

قل لي ماذا تفعلُ بنا الذكريات؟
مغرورة بيقين امتلائها
تسل مخرزَها وتقنصُ عينَ الراحة
فتأتي مدماةً.
تضحك،
وتسخرُ من الآه الرابضة في القاع.
.
من أيّ أرض تأتي؟
ماذا تشربُ أقدامها لتضيءَ مدن السراب
أيّ زمن يمرّ هناك؟ وكيف لا يشيخُ سكانُها؟
تثمرُ بالنحيب، بنشيج الليل
تعيش صباها كلما نهضت
وتمنح ثديَها للحسرة بشبق
تقتل صورةَ الأنا المرتعشة في الالتفات
إذ خلعت ثوبَها توًّا وارتدت ابتسامة الغَواية.
*
أعطوني دواءً يحيلها لليباس
ويقتلُ أذرع الوحش الغامض

أعطوني عشبةً تمنحُها النومَ الأبديّ وليس الخلود.
وسأحرس بوابة الماضي من أفاعي الندم.
أعطوني مرآة سوداء تمتصّ وجهَها
وتجيبُ عن حيرة الظلمة.
*
أسمعُ الأرواح في سراديبها
أسمع هسيسَ الخوف
وأشمُّ رائحة القسوة
في اختبار الطين
في اختمار الشهوة
وجرحِ الضوء في الضرورة.
أيتها الأيامُ الفاسدة! لمَ لا تقطعين حبلَ السرة؟
ألم تتلف الأحكامُ بالتقادم؟
حتى أعمدةُ الكلس تعبت من حملك
وأنا تعبت من القفز بين نبوءات وجهك
اذهبي للنوم، خذي حلمك
ودعي أحلامي تنام، أو حتى تموت.
ولكن اتركي لي يومًا واحدًا للسؤال:
قل لي ماذا نفعلُ بالذكريات؟

وداد سلّوم
شاعرة من سورية

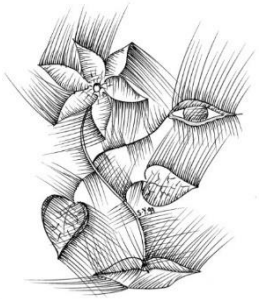

أنا ما كنتُ إلا فتاها...؟!

28



الشّاعر السُّوري ألياس قومي

وَ مَا كُنْتُ فِي الدَهْر إلاَّ فَتَاهَا
وَذُقْتُ الهَوَى مِنْ كُؤُوسِ طِلاَهَا

فَمَا عَنْكَ أُخْفِيهِ يَا رَبُّ حَالِي
فَقَدْ هِمْتُ كَالطِفْلِ أَبْغِي رِضَاهَا

أَنَا مَا عَرَفْتُ سِوَاهَا بِقَلْبِي
وَ هَذَا التَنَائِي يُزِيدُ لَظَاهَا

لَدَيْهَا اشْتِيَاقِي يَزِيدُ وَ يَحْلُو
وَيَنْسَى فُؤَادِي الأَسَى إِنْ يَرَاهَا

وَ تِلْكَ اللَيَالِي أَنَا مَا عَدَدْتُ
وَ كَمْ لَيْلَةً مَا عَدَدْتُ سِوَاهَا

وَ كَمْ فِي هَوَاهَا سَأَلْتُ النُجُومَ
إِذَا مَا تَوَارَتْ بِأَعْلَى سَمَاهَا

حَسَدْتُ البَلَابِلَ إِذْ فِيهِ تَشْدُو
تَنَامَى الجَمَالُ لَدَيْهَا وَ تَاهَا

وَ فِي كَفِّهَا أَزْهَرَ اليَوْمَ رَوْضِي
وَكَوْنِيْ تَعَطَّرَ مِنْهُ شَذَاهَا

وَ فِي البُعْدِ عَنْهَا أَنَا مَا عَرَفْتُ
حَلاَوَةَ عَيْشِي بِطِيبِ حِمِاهَا

وَهَذِيْ الخَلِيقَةُ يَا رَبُّ قُلْ لِيْ
لِمَاذَا تَذُوبُ بِنَارِ رُؤَاهَا

مَعَ البُعْدِ نِيْرَانُ شَوْقِي تَزِيدُ
بِبَلْوَى مُصَابٍ إِذَا مَا ابْتَلاَهَا

فخُذْ يَا حَمَامِي إِلَيهَا سَلاَمِي
فَإِنِّي بِشَوْقٍ إِذَا مَا أَتَاهَا

ألياس قومي
شاعر سوري مقيم في كندا



طيف أحلام للكاتبة والشَّاعرة السُّوريّة حوريّة الصَّفدي

29

همس نسمات ترجم صقيع الأرواح بالورد، وتنثر رذاذ العشق رحيقا بأثواب النَّدى
أحلام تسري بغفوة العطر والمطر وتهدي الوسائد وميض فرح من ثغر السَّماء
أحلام تؤرشف ذاكرتنا بسحابة خيال تهطل حزناً من هفيف الوجع
حروف خرساء تبحر بضجيج السُّطور وتروي عفونة الأزمان
عزف نبض مشبَّع بتعويذات الوجع والقهر والحرمان



أحلام عابرة لضفاف السَّراب فوق أنين الرّقاد
نطارد طيفاً بهزيع اللَّيل وحلكة ستائره
شريان محبّة وسلام يرنو لنوافذ الفردوس
أحلام تأبى النُّزوح من ذاكرة مبتلَّة بالشَّغف والحنين
ذاكرة ابتعلت كل هذا الألم وأودعته عروق الوجدان
حلام تعانق الزَّهر والرَّحيق
تداعب عزف النَّحلات في الصباحات الدافئة
احلام بخمرة قهوة معتَّقة ترشف أهداب البنفسج
سندس من خبايا الشَّهد وموسيقا الجمال بمناسك الرَّبيع ...
لم يبقَ من أحلامنا سوى دمعة انتظار على حافّة الجنون
لم يبقَ إلّا حشرجة حناجر تدمن الصَّمت والأنين، وقلوب ترنو لندى الخمائل كمطر يسكب الأمل بأقداح السَّرائر
أحلامنا شتات وجد أودع حكاياه بظلمة المحابر
أحلامنا رثاء ناي لمنجل السّنابل وفيض محبّة بسقيم الفصول .
الأحلام وديعة السَّماء
لحن السَّلام بعرين الملائكة
بسمة الطُّفولة بخصلةِ الشَّمس
لون الحياة بفرشاة الأمل
ستزهر يوماً وتنصف البشر .

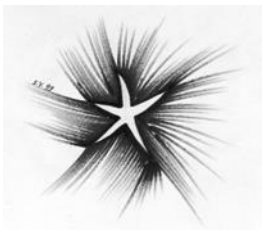

حورية الصَّفدي
كاتبة من سوريا

الشَّاعرة السُّوريّة مديحة باراوي

30



على شاطئ الذكريات

للذكرياتِ بخافقي وقعُ المطرْ ... للدّمعِ في أجفانِنا شجو الوترْ
للذكرياتِ معَ الغروبِ نسائمٌ ... راحَتْ تُناجيها البلابلُ في الشَّجرْ
للذكرياتِ رنينُها وأنينُها ... في عزلتي والظلُّ/ يا عُمْرَ / انحسرْ
للذكرياتِ بدمعِ عينيَّ الشّذا ... ولها بقلبي كلُّ ما باحَ السّهَرْ
وبيَ الحنينُ إلى الرّوابي في المدى ... والشّوقُ في قلبي لهاتيكَ الصُّوَرْ
وليَ الحنينُ إلى مرابعِ جنّةٍ ... لطوائفِ الأطيارِ تشدو للنّهَرْ
لي في رياضِكِ كعبتي , وتولُّهي ... مهما عتا الإعصارُ أو جارَ القدَرْ
لي في ربوعِكَ كعبةٌ عشقيّةٌ ... ولي الهوى والبّوحُ يا أغلى الذِّكَرْ
وليَ المرابعِ والمطالعِ والرُّؤى ... والشّادياتُ وكلُّ حلمٍ قد خطرْ
آثرْتُ حُبّكِ – يا شآمُ – على الورى ... وشممْتُ عطرَكِ في أفنانينِ الزَّهَرْ
وأرقْتُ للأرضِ الحبيبةِ مُهجتي ... كي أحمي الوطنَ المُهدّدَ بالخطر
وهوايَ للشامِ الجميلةِ ناضرٌ ... ولغوطةٍ خضراءَ ما امتدَّ البصرْ



عَلى عَهْدي

مَنْ يَعْشَقُ الأَسْفارَ مِثْلي يَاتُرى ... وَلَكَمْ رَجانِي الجِسْرُ حَتّى أَعْبُرا
وَأَنا عَلى الوَعْدِ الّذي أُعْطَيْتُهُ ... لا لَنْ أَحِيْدَ وَإِنْ تَأَخَّرَ أَشْهُرا
أَتَرَقَّبُ الدَّرْبَ القَرِيْبَ وَقَدْ بَدا ... في عَيْنِ أَحْلامِي بَعِيْداً مُقْفِرا
الشَّوْقُ يَسْلُبُني دَمِي وَحَشاشَتي ... مَازالَ في قَلْبي الغَرامُ مُؤَثِّرا
لَوْ كانَ عَتْمُ الدَّرْبِ يُمْسِكُ خُطْوَتي ... لَوَجَدْتُ في عَيْنَيْكَ لَيْلاً مُقْمِرا
والغَيْمُ تَخْتَبِئُ النُّجُومُ بِثَوْبِهِ ... شَوْقَاً إِلى الغَيْثِ الكَرِيْمِ إِذا جَرى
إِنّي أَراكَ بِكُلِّ وَجْهٍ عَابِرٍ ... كَالبَدْرِ في كَبِدِ السَّماءِ مُنَوِّرا
وَرِمالُ حُبِّكَ تَسْتَقِرُّ بِشاطِئي ... تَنْسى مُحِيطاتٍ وَتَلْفُظُ أَبْحُرا
إِنّي أُحِبُكَ ما سَأَلْتُكَ مَرَّةً ... إِنْ كُنْتُ يَوْمَاً في هَواكَ مُقَصِّرا
لَوْلايَ مَا عَبَقَ العَبِيْرُ بِرَبْوَةٍ ... أَبَدَاً وَلا وَرَدَ الخَمِيْلَةَ أَزْهُرَا

غصون الحبّ

عنقودُكَ الريَّانُ أصبحَ حانيا ... وعلى غصونِ الحبِّ عرَّشَ زاهيا
سلّمتُ أمريَ للغرامِ وقد اتى ... صوبي يئنُّ على الموائدِ باكيا
كُنْ ما تشاءُ فذاك ريشُ جوانحي ... مازلتُ في الدّنيا أحلّقُ عاليا
لولا الملمّاتُ الّتي عانيتُها ... ما كانَ في الدّنيا يجيءُ مناديا
الحبُّ يسكنُني ويمسكُ في يديْ ... وله من الحظِّ المعذَّبِ ما ليا
لا أرتضي يوماً وتغربُ شمسُه ... إلّا إذا كان الطريقُ محاذيا
غنّيتُ للنّسرينِ أغنيةَ الشّذا ... فغفا على كفّيْ يتمتمُ شاكيا
إنّي وإنْ كنتُ الشّقيقةَ للنّوى ... فالقربُ أجملُ أن أكونَ مُخاويا
ناديتُ حتّى ملَّ من صوتي الصّدى ... ماذا فعلتِ يا جراحُ بحاليا
أنا ما حنيتُ لغيرِ ربّي هامتي ... مادام هذا الشّعرُ عنديَ ساريا

مديحة براوي
شاعرة من سورية

I am a woman chosen by the Creator



Adibeh Abdo Attia

31

Why did you invade my solitude
And read the alphabet of my life
And the riddles of my sorrow with wandering eyes?
And you journeyed into the depths of my torments
And deprivations for ages?
No, my lover,
Pack your bags and go to the worlds of joy,
Because sorrow is engraved in my body.
I am tired.
I am burdened.
I am a woman whose history was recorded
By tyrants before her birth.
I am a woman chosen by the Creator
To bear the tortures of the ancestors.
Go away,
For your name is etched in my memory,
And you will remain my love and my refuge in my moments of ecstasy.
It doesn't matter whether we meet or do not meet.
You, my beloved, are my knight.
I will wait for you on the shores of time
Until you come from the dawn of our estrangement
Or until I write you a passionate poem
And go to sleep among the plains of your love
And in my dreamy worlds.

By: Adibeh Abdo Attia

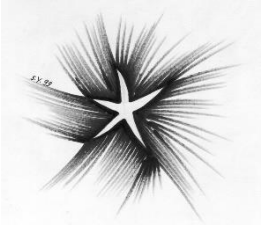

أَنا امرأةٌ انتقاها الخالق

لِمَ اقتَحمْتَ وحْدَتي
وقرأْتَ أَبجديّـةَ عُمري
وطلاسمَ حُزني بعيونٍ شاردةْ؛
ورَحَلْتَ في أَعْماقِ عَذاباتي
وحرماني دهورًا ؟
لا يا عاشقي
لَمْلِمْ رِحالكَ، وٱذهَبْ إلى عوالمِ الفرحِ
لأنَّ الحزنَ محفورٌ في جَسدي
أَنا متعبةٌ
أَنا مثقلةٌ
أَنا امرأَةٌ سَجَّلَ الطّواغيتُ
تاريخَ موتِها قبلَ ولادَتِها
أَنا امرأَةٌ انتقاها الخالقُ
لتحملَ عذابات الأَولياءِ ..
إرْحَلْ
فٱسمُكَ منقوشٌ بذاكرتي
وستبقى حُـبّي ومَلاذي عند نَشوَتي
لا يَهمُّ، سواءً إلتقينا، أَمْ لا نَلتَقي
أَنتَ أَيُّها العاشقُ فارسي
سأَنتَظرُكَ على مَرافىءِ العُمرِ
حتّى تجيءَ من فَجْرِ غُرْبتِنا
أَو حتّى أَكتبَ لكَ قصيدةً عاشقةً
وأَمضي لأَنَام بينَ سهولِ هواكَ
وعَوالِمي الحالمة

أديبة عبدو عطية
كاتبة وشاعرة سوريّة مقيمة في استراليا

ܐܢܐ ܐܝܬ ܠܝ ܚܒܝܒ ܕܐܠܗܐ ܕܒܪܐ
ܠܟܠ ܚܕ ܒܥܠܡܐ
ܕܐܢܐ ܐܝܬ ܠܝ ܚܒܝܒ ܕܐܠܗܐ ܕܒܪܐ
ܠܟܠ ܚܕ ܒܥܠܡܐ

أنا أمراة انتقاها الخالق، باللغة الفرنسيّة

"In Frech"

Je suis une femme choisie par le Créateur.

Pourquoi as-tu envahi ma solitude
Et lis l'alphabet de ma vie
Et les énigmes de mon chagrin aux yeux errants?
Et tu as voyagé dans les profondeurs de mes tourments
Et des privations depuis des lustres?
Non, mon amant,
Faites vos valises et partez vers les mondes de joie,
Parce que le chagrin est gravé dans mon corps.
Je suis fatigue.
Je suis accablé.
Je suis une femme dont l'histoire a été enregistrée
Par les tyrans avant sa naissance.
Je suis une femme choisie par le Créateur
Supporter les tortures des ancêtres.
S'en aller,
Car ton nom est gravé dans ma mémoire,
Et tu resteras mon amour et mon refuge dans mes moments d'extase.
Peu importe que nous nous rencontrions ou non.
Toi, ma bien-aimée, tu es mon chevalier.
Je t'attendrai sur les rives du temps
Jusqu'à ce que tu viennes de l'aube de notre éloignement
Ou jusqu'à ce que je t'écrive un poème passionné
Et va dormir parmi les plaines de ton amour
Et dans mon monde de rêve

أديبة عبدو عطيّة
كاتبة وشاعرة من سوريا مقيمة في استراليا



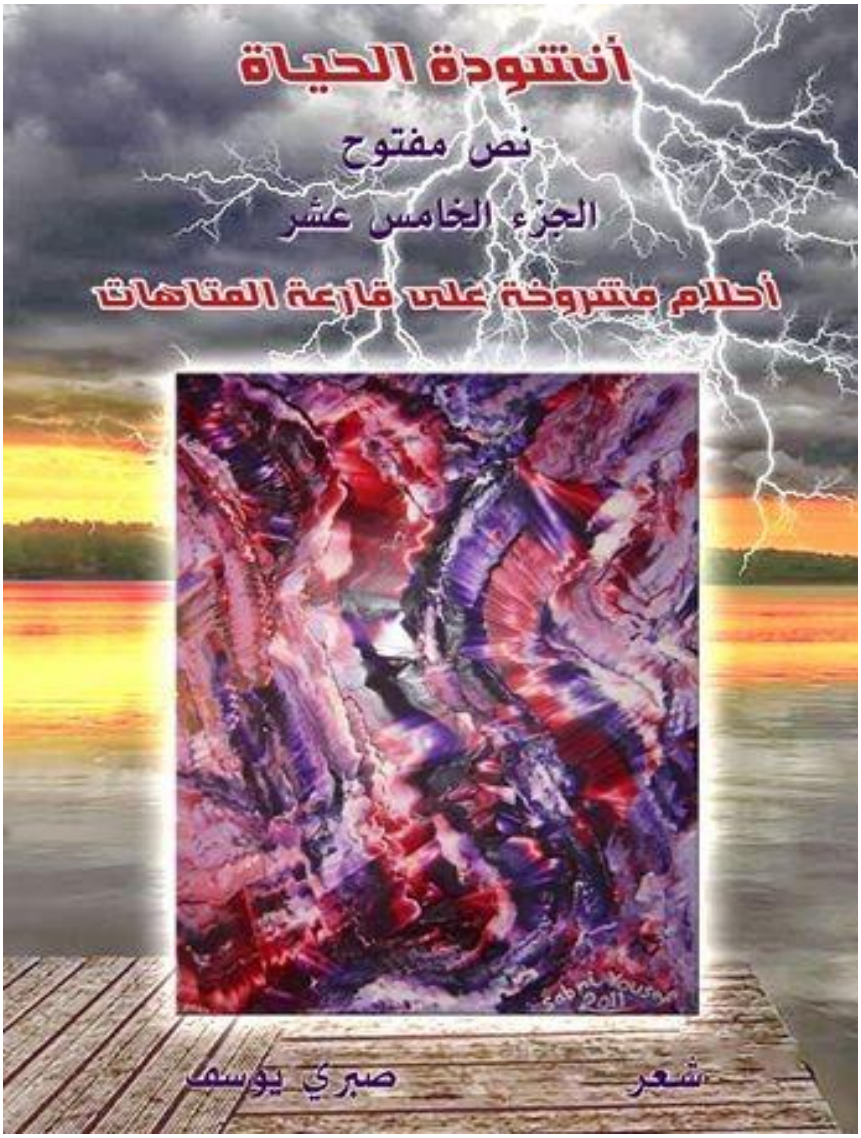
أنشودة الحياة
نص مفتوح
الجزء الخامس عشر
أحلام منشورة على قارعة المتاهات
شعر
صبري يوسف

أحلام مشروخة على قارعةِ المتاهاتِ، أنشودةُ الحياة، الجزء 15، شعر
اسم المؤلِّف: صبري يوسف
الطَّبعة الأولى: ستوكهولم 2020
الإخراج والتَّنضيد الإلكتروني (المؤلِّف)
تصميم الغلاف الفنّان التّشكيلي جان استيفو
لوحة الغلاف والتّخطيطات الدّاخلية للمؤلّف
© حقوق الطَّبع والنَّشر محفوظة للمؤلِّف



دار نشر صبري يوسف
sabriyousef56@hotmail.com
https://www.facebook.com/sabriyousef1000
FB: Sabri Yousef
(محرّر مجلّة السّلام الدَّوليّة)

إهداء :

إلى كلّ إنسانٍ تجرّعَ مراراتِ الأنين وشهقاتِ الاشتعالِ
ويسعى أنْ يقولَ كلمةَ الحقِّ في دنيا مِنْ حجرٍ!



استهلال

نهضْتُ صبيحةَ هذا اليومِ، أفرشُ تجلّياتِ نصٍّ مفتوحٍ يحملُ عنوانَ: "**أحلام مشروخة على قارعةِ المتاهاتِ**"، للاشتغالِ على صياغتِهِ صياغةً نهائيّةً، ... وهو الجزءُ الخامسُ عشرَ مِنْ أنشودَةِ الحياةِ، أستوحيْتُ فضاءَاتِهِ مِنْ جنونِ الحروبِ والاشتعالاتِ والصِّراعاتِ المقيتةِ في بلادِ الشَّرقِ، والعديدِ مِنْ بقاعِ الدُّنيا، تاركاً قلمي يغترفُ مِنْ شَراهاتِ الاشتعالِ آهاتِ بوحِ القصائدِ!

ستوكهولم: 12. 3. 2013



أحلام مشروخة على قارعةِ المتاهاتِ

أنشودةُ الحياة

نصّ مفتوح

الجزء الخامس عشر

يفترُ الشَّوقُ إلى مناسكِ وطنٍ
غارقٍ في متاهاتِ سيوفٍ مَسنونةٍ
فوقَ رقابِ الشُّبَّانِ
تهرَّشَتِ الرُّوحُ مِنْ رُعونَةِ القُبْحِ
مِنْ شراسةِ القتلِ
مِنْ ضَراوةِ الغدْرِ
مِنْ تفشِّي البُهتانِ!

هَربَتْ أوطانُنا بعيداً عنّا
تاهَتْ في دهاليزِ الدَّمارِ
تمرَّغَتْ في متاهاتِ القتلِ
ترنَّحَتْ في أتونِ النِّيرانِ!

غاصَتِ الأوطانُ بفجاجةٍ مريرةٍ
في أجيجِ النّارِ
لا ترتوي مِنْ شراهاتِ الاشتعالِ
داختْ مِنْ تقعُّراتِ الحوارِ
مِنْ خشونةِ الانجرافِ
نحوَ القاعِ
تكوَّرتْ بعيداً
عَنْ لُغةِ الوِئامِ!

جُنَّ جُنونُ الأشجارِ
مِنْ شراهاتِ الدَّمارِ
احمرَّتْ عيونُ الجِبالِ أسىً

اكفهرَّتْ مآقي الصَّباحِ
وازدادتْ عيونُ الطَّبيعةِ جُحوظاً
حتّى الحشراتُ الصَّغيرةُ
ارتعبَتْ خوفاً
لاذَتْ في شقوقِ الأرضِ
بعيداً عَنْ مَرمى القَباحاتِ!

تخلخلَ الجمالُ في ربوعِ الغَاباتِ
وتهدَّلَتْ أجنحةُ المدائنِ
على مِساحاتِ البلادِ!

تهشَّمَتْ جماجمُ الأطفالِ الطَّريّةُ
نارٌ تزدادُ اشتعالاً في بؤرةِ الحُلْمِ
أزقَّةٌ مبقّعةٌ بالشَّظايا
ارتعدَتْ مفاصلُ الكهولِ
مِنْ استفحالِ شَراهةِ الغدرِ!

اغبرَّتْ مآقي الصَّباحاتِ
وغدا اللَّيلُ مَوئلاً لأنيابِ الضَّواري
هيمنَ الضَّجرُ
على أجواءِ المكانِ
أوجاعٌ لا تندملُ
مِنْ كلِّ الجهاتِ!

معادلاتٌ مخرومةٌ بعيدةٌ
عَنْ ضِياءِ الحياةِ
بعيدةٌ عَنْ مرامي العمرِ !

توارتِ البسْمةُ عَنْ حُبورِ الطُّفولةِ
خروجٌ بغيضٌ عَنْ أبجديَّاتِ التَّنويرِ

موتٌ مريرٌ يلاحِقُنا
مُنذُ أنْ نُلَفَّ في قِماطِ المَهدِ
حتَّى بعدَ أنْ يشتدَّ عودُ الشُّبَّانِ!

تراخَتْ أجنحةُ اللَّيلِ
فوقَ جَبينِ الأرضِ
تنهَّدَتِ الرِّيحُ مِنْ نزيفِ الجِراحِ
تبخّرَ العمرُ كدُخانِ المدافئِ القديمةِ
اسوداداً مَصحوبٌ بمُلوحةِ الدُّموعِ
تناثرَ فوقَ وَداعةِ البساتينِ
قُبْحٌ لا يُطاقُ يقطرُ
مِنْ شَراهةِ السُّيوفِ!

لغةُ مَمْجُوجةٌ تغلّفُ نسيمَ الصَّباحِ
غابَتِ البسْمةُ مِنْ ثُغورِ الأزاهيرِ
وَجَعٌ لا يفارقُ مآقي الرُّوحِ
عيونُ الآباءِ اغرورقَتْ دَمْعاً
آهاتٌ لا تُحصى تنهمرُ
فوقَ كاهلِ الأُمَّهاتِ!

تلبَّدَتْ وجوهُ الغاباتِ
بُكاءٌ يزدادُ انسياباً على خدودِ اللَّيلِ
تغلغلَ الحزنُ في حليبِ السَّنابلِ
وجعٌ يزدادُ تهاطلاً فوقَ قُبَّةِ القلبِ!

أنينُ القبورِ يتناهى
إلى آمالِ الأحياءِ
تستكينُ طموحاتُ الأجيالِ
شرارةٌ مِنْ لظى الحربِ
هشّمَتْ قيثارةَ العِشقِ

تقلَّصَ عنفوانُ الشَّبابِ
تصدَّعَتْ قاماتُ الجِبالِ!

أينَ المفرُّ مِنْ هولِ الجِراحِ
مِنِ اشْتعالِ ليالي العُمرِ
مِنِ افْتراسِ خُصوبةِ الأرضِ؟!

ماتَتِ الأجنَّةُ في رَحِمِ الأُمَّهاتِ
مِنْ هديرِ المَدافعِ
مِنْ لَعلَعاتِ الطَّائراتِ
صِراعُ الإنسانِ ضِياعٌ
في مَهبِّ الانهيارِ
انحدارٌ نحوَ بحيراتِ البُغضِ
نحوَ سُيوفِ الغدرِ
تصدُّعٌ مريعٌ في أركانِ الدِّيارِ!

اصفرارٌ مميتٌ خيَّمَ
على اخضرارِ الغاباتِ
انكسرَ ظهرُ البلادِ
مِنِ اسْتفحالِ شَراسةِ الحروبِ
قَحطٌ تفشَّى في بيوتِ العِبادِ

هجرَتِ الطُّيورُ أعشاشَها
بعيداً عَنْ حبّاتِ الحِنطةِ
انشطاراتٌ مُرعِبةٌ نحوَ بُركِ الدَمِ
نحوَ هاوياتِ الجَحيمِ
تناحراتٌ قميئةٌ تكالبَتْ
في صَدرِ الميدانِ!

صِراعاتٌ لا تخطرُ على بالِ الجنّ
اكتسحَتْ براءَةَ الحياةِ
حرَقَتْ ما تبقَّى مِنْ بذورِ الخَيرِ
عقولٌ مُجبصَنةٌ بِدَبقِ القيرِ
انحدارٌ نحوَ قيظِ الصَّحارى
نحوَ حَدَباتِ البعيرِ!

حروبٌ مجذَّرةٌ بأنيابٍ
تُضاهي أنيابَ الضَّواري
رؤىً مغبرّةٌ بسَمَاكاتِ الرَّمادِ
صِراعاتٌ مُتلظِّيةٌ بالمَراراتِ
تصُبُّ في مرامي الأشرارِ!

تَصدَّعَتْ خاصِراتُ الأوطانِ
مِنْ أعماقِ جُذورِها
من بهاءِ أحلامِها
انسابتْ دُموعُ القهرِ مِنْ مآقيها
مِنْ خُدودِ أنهارِها
ومِنْ أقصى أقاصي بِحارِها

أنينٌ لا يُطاقُ
على مَدى اللَّيلِ والنّهارِ
اضمحلَّتِ الرُّؤى الخلَّاقة
انزلقَ الصِّراعُ
في خضمِّ الضَّياعِ

لا أرى في نهايةِ النَّفقِ
إلَّا لهيبَ النَّارِ
في أوجِ الاشتعالِ!

أوطانٌ مهيضةُ الأجنحةِ
مُحشْرَجةُ الرُّوحِ
في مَهَبِّ الانزِلاقِ
نحوَ شَفيرِ الفَناءِ

أوطانٌ مَحشورةٌ في مَتاهاتِ القهرِ
أُصيبَتْ بهَوسِ الانجِرارِ
نحوَ غديرِ الغَباءِ
رؤى مغطوسةٌ بالخُرافاتِ
كأنَّها مُصابَةٌ بِعِمى الألوانِ
خروجٌ حارِقٌ عَنْ مَذاقِ الحياةِ

يبسَ اخضرارُ المدائنِ
تفحَّمَتْ أزقَّةُ العمرِ
أينَّ المَفرُّ عَنْ أنيابِ القَحطِ
تخشَّبَتِ الرُّؤى على مَدَى فيافي الحُلْمِ
حَيرةٌ مُخيفةٌ غمرَتْ ضياءَ الأملِ
أوطانٌ مهروسةٌ بينَ ضغائنِ الحروبِ
تمرّغَتْ صَرعى فوقَ أنقاضِ الخَرابِ!

تهرَّشَتْ خُدودُ الأوطانِ
مِنْ هَولِ استفحالِ الجُنونِ
حضاراتٌ في أوجِ شُموخِها
تلاشتْ على أيدي القبحِ نحوَ القاعِ
غشاوةٌ سميكةٌ تصلَّبَتْ
فوقَ ضِياءِ العيونِ
تكلَّسَتْ عُذوبةُ الأنهارِ
مِنِ انْشراخاتِ الرُّؤى
مِنْ تشظِّياتِ غُبارِ الانشطارِ!

تَلظَّتِ الرُّوحُ عندَ انبلاجِ الصَّباحِ
في أوجِ الظَّهيرةِ
على مِساحاتِ اللَّيلِ
تخدَّرَتْ أجنحةُ اللَّيلِ والنَّهارِ
مِنْ شَراهاتِ الاقتتالِ
جفَّتِ الدُّموعُ في مآقي الأطفالِ
فرَّ الشُّبّانُ بعيداً عَنْ شَبحِ الموتِ
حَيرةٌ كُبرى غلَّفَتْ أجنحةَ البلادِ
وجَعٌ لا يفارقُ أجنحةَ اليمامِ!

حماقةُ الحَماقاتِ كلُّ هذا العُبورِ
في دُكنةِ الأنفاقِ
ضَجرٌ تجذَّرَ على مِساحاتِ الحَنينِ
غابَتِ البسْمةُ عَنْ وجْهِ الصَّباحِ
تعفّرَ مِنْ اكتظاظِ أكوامِ الغُبارِ
بكاءٌ تناهى في أعماقِ البساتينِ
تهدَّمَتْ شاهِداتُ القبورِ
مِنْ هُطولِ القاذفاتِ
تَهشَّمَتْ جماجمُ الموتى
مِنْ غورِ صِراعاتِ الانْحِدارِ!

احترقَتْ أعصابُ الرَّعايا كلِّ الرَّعايا
مستقبلٌ كالِحٌ تفهرَسَ
على صُدْغِ البلادِ
تيهٌ لا يخطرُ على بالٍ
هيمنَ على قبابِ العمرِ
اجتاحَ الجُوعُ أفواهَ الكبارِ والصِّغارِ
رطوبةُ الأقبيةِ كانَتْ في الانتظارِ
توهانٌ في سراديبِ الضَّياعِ!
تقعَّرَتِ الأحلامُ عندَ هديرِ النِّيرانِ

نفقُ العبورِ في مَتاهاتِ الحُروبِ
مفتوحٌ على تُخومِ الانكسارِ
انكسرَتْ أَحلامُ الإنسانِ
تفشَّتْ آفاتُ الكراهيّةِ
عُبورٌ في أعماقِ السَّرابِ

صِراعٌ مفتوحٌ على منائرِ الحِقدِ
لغةٌ مشحونةٌ بشهوةِ الانتقامِ
تهرَّأَتْ حفاوةُ الوِئامِ
أهدافٌ معلَّقةٌ في لُجينِ الهَشيمِ
آفاقٌ عقيمةٌ مُستولدةٌ
مِنْ ظِلالِ الأوهامِ
هيمنَتْ على فضاءَاتِ التّأمُّلِ
هشَّمَتْ رَصانَةَ العقلِ
صِراعٌ على استفحالِ الغَباءِ
استمطرَ فوقَ طينِ البلادِ
مزّقَ بشائرَ الفرحِ وبهاءَ الضّياءِ!

شاخَتْ أحلامُ الشَّبابِ
تهشَّمتِ الطُّموحاتُ
على أوجاعِ البنينَ
تاهَتِ الأهدافُ عَنْ منارةِ الأفراحِ
توغَّلَتْ في مَتاهاتِ الأنينِ!

طائراتٌ مُرصْرصَةٌ بشراهاتِ الاختراقِ
فوقَ صدورِ الأطفالِ
فوقَ أحزانِ الكُهولِ
فوقَ ضفائرِ الأُمَّهاتِ

جُنَّ جنونُ الأجدادِ
تَخلخلَتْ آمالُ الآباءِ
انجرافٌ نحوَ شفيرِ الجَحيمِ
انزلاقٌ نحوَ موجاتِ الأنينِ
جفَّتْ ينابيعُ الخيرِ
ضَاعَتِ الأوطانُ بينَ حِرابِ الاقتتالِ
بينَ هديرِ الغَدرِ
بينَ لظى كمائنِ الاشتعالِ

كَمْ مِنَ القتلى دَفنّا
كَمْ مِنَ الهجراتِ هَجَرْنا
كَمْ مِنَ الصَّحارى عبرْنا
كَمْ مِنَ البحارِ مَخرْنا
جِراحُنا تزدادُ غوراً مُنذُ أنْ وُلِدْنا!

مَاتَتِ الطُّفولةُ عِندَ غشاوةِ الغَسَقِ
مَاتَتِ الأُمَّهاتُ قبلَ انبلاجِ الفَجرِ
وَجَعٌ على مِساحاتِ النَّهارِ
جِراحُ الرُّوحِ أوشكَتْ
أنْ تُلامِسَ حافّاتِ الغَمامِ

عَبَرَ الآباءُ في أوجِ غيظِهم
أعماقَ البحارِ
تاهوا في خِضمّ غُربةٍ معتّقةٍ
بدموعٍ مالحةٍ
تركوا وراءَهم ذكرياتٍ محفورةً
في رِحابِ ذاكرةٍ لا تَنامُ
تُلاحِقُنا مرابعُ البلادِ في أعماقِ غربتِنا
حنينٌ جارفٌ إلى ملاعبِ الصِّبا
إلى أصدقاءِ الحيّ القديمِ

تخندقَتِ الصَّداقاتُ
تخرذَقَتِ الرُّوحُ بشظايا
مِنْ كلِّ الجِهاتِ
حنَّتِ البِحارُ إلى طينِ البِلادِ
رَذاذاتُ المطرِ تُعانِقُ مُروجاً ممتدّةً
على مِساحاتِ وَهْجِ العِناقِ

وَطَنٌ مُرصْرصٌ بالآهاتِ
وَحدَها القصيدةُ تهفو إلى هديلِ الوئامِ
إلى ضياءِ شُموعِ السَّلامِ!

تاهَ العُشَّاقُ على مِساحاتِ انْشراخِ الرُّوحِ
تَخضَّبَ أريجُ النَّرجس البرّي
برائحةِ البارودِ
تناثَرَتْ قَطراتُ الدِّماءِ فوقَ ضفائرِ الأزاهيرِ
فوقَ أعشابِ المُروجِ!

شَللٌ مُخيفٌ هيمَنَ
على أجنحةِ البلادِ
تبخَّرَتْ عذوبةُ الماءِ
توارَتْ بسْمةُ الأطفالِ
رعبٌ تفشّى في جُدرانِ الدِّيارِ
بَكَتِ النَّوافذُ مِنْ جُنونِ الحَربِ
مِنْ أجيجِ النَّارِ!

جِراحٌ تزدادُ أنيناً
مَاتَتِ الآمالُ عِندَ انْبلاجِ الفَجرِ
تمرَّغَتْ في مساراتِ الانْحدارِ
انخفَسَتِ البيوتُ العتيقةُ
فوقَ مصاطبَ مُدلدلةٍ في مآقي الذَّاكرةِ

تلظَّتْ أجنحةُ العِشقِ
في مَهبِّ غُربةِ هذا الزَّمانِ
اكفهرَّ وجْهُ الصَّباحِ
الأطفالُ غَرقى في بُرَكٍ مِنْ رَمادٍ
حَضارةٌ مُهشَّمَةٌ
تناثرَتْ فوقَ الأنقاضِ!

احترقَتْ أشواكُ القنافذِ
قبلَ أنْ تخرُجَ مِنْ جُحورِها
مَاتَتْ فِراخُ الحَمائمِ في أعشاشِها
ارتعدَتْ فرائِصُ المَدائِنِ
اكفهرَّتْ خُدودُ الأزقَّةِ
أزيزُ الرَّصاصِ
لا يفارقُ هدوءَ اللَّيلِ

صباحاتٌ مَبحوحَةُ الرُّوحِ مِنْ أنينِ القَهرِ
توارَتْ دَندناتُ فيروزَ
في صَباحِ العيدِ
وجعٌ لا يُبارحُ حبورَ الأطفالِ
في كلِّ الأعيادِ!

أكتُبُ أنيني فوقَ ضِياءِ القمرِ
فوقَ أمواجِ البِحارِ
أنقشُ آهاتي فوقَ خُدودِ الفَجرِ
لعلَّها تتطهَّرُ مِنْ أوجاعِ الجِراحِ
تحلِّقُ عالياً بينَ نسائمِ الوئامِ!

بلادٌ تَتهاطلُ أوجاعاً مُحتبِكَةً
بشهوةِ الغَدرِ
انهارَتِ القيمُ مِنْ شَراهةِ الانشطارِ

تخلخَلتْ أبراجُ الحياةِ
انجرارٌ مُخيفٌ نحوَ مناحي العُقمِ
انقرفَ ظهرُ المدائنِ
مِنْ شفيرِ الانهيارِ!

اكفهرَّ وجهُ الصَّباحِ
مِنْ دُخانِ أجيجِ النَّارِ
غُربةُ الرُّوحِ تَزدادُ اشتعالاً
عبورٌ في لظى الهَشيمِ

زمَنٌ مُنسابٌ
نَحوَ شَهقاتِ البُكاءِ
انشطرَتْ غُربةُ الإنسانِ
إلى غُرباتٍ مُعشَّشَةٍ
في جَمراتِ الرَّحيلِ

زمنٌ مِنْ لُجينِ البُكاءِ
لا مفرَّ مِنْ سُيوفِ القَهرِ
مِنْ ضَراوةِ الشَّقاءِ!

في أوجِ أفراحِنا تُزهَقُ الأرواحُ سُدىً
رؤيةٌ مشروخةٌ
تُهيمنُ على وَداعةِ الحَياةِ
عبورٌ نحوَ قيعانِ الجَحيمِ
تجمَّدَتْ بسْمةُ الأفراحِ
فوقَ شِفاهِ الصَّباحِ
تفخَّخَتْ أفراحُنا بقيحِ السُّمومِ
تخضّبَتْ دِماءُ الأبرياءِ
كلونِ الأقاحي

جُنونٌ حتَّى النُّخَاعِ
أنْ يَحْصُدَ أهوجُ أرواحَ بشرٍ
في أوجِ الأفراحِ!

انطفأَتْ شُموعُ الفرحِ
ألمٌ توغَّلَ في مُخِّ العِظامِ
خيّمَ الحُزنُ فوقَ هاماتِ المدائنِ
أنينٌ حارقٌ استشرى
في ثُغورِ الحَنينِ!
تلظَّتِ المحبَّةُ
مِنْ تفشِّي هولِ البغضِ
مِنْ تفاقمِ شراهةِ القبْحِ! ..

أفكارٌ متعطِّشةٌ لهدرِ الدِّماءِ تنمو
كأنَّها مستولدةٌ مِنْ أعتى غدرٍ
مِنْ شراهاتِ الزَّمانِ!

بلادٌ في مَهبِّ نِصالِ السُّيوفِ
غاصَتْ في دروبِ التِّيهِ
تساقَطَتْ في مُنزلقاتِ الموتِ
كسقوطِ وُريقاتِ الخريفِ!

هَطلَ الجَمرُ فوقَ جُفونِ البلادِ
تحوَّلت خيراتُ الأرضِ إلى سُمومٍ
فَوق صَدرِ العِبادِ
احترقَتِ الحضارةُ
على أتونِ الغَباءِ
تَحوَّلَتْ إلى تلالٍ مفحَّمةٍ
مِنْ ذرّاتِ الرَّمادِ!

رُعبٌ تفشَّى في رحابِ الأماني
في ما تبقَّى مِنَ الأحلامِ
حَيرةٌ مَريرةٌ ارتسمَتْ
على وجوهِ البنينَ
على صُدورِ الأشجارِ
فرَّتِ العصافيرُ بعيداً
خوفاً مِنِ احتراقِ أعشاشِ الفِراخِ
تخلخلَتْ موازينُ العدالةِ
تيبَّسَ اخضرارُ البساتينِ
مِنِ اشْتعالِ فتيلِ الأنينِ!

لَمْ ينجُ حتَّى دبيبُ الأرضِ
مِنْ هَولِ السَّلاطينِ
سَلاطينِ الحروبِ
سَلاطينِ الدَّمارِ
سَلاطينِ القتلِ
كأنَّهم مَعَ جميعِ تناحراتِ المحاربينِ
مِنْ مَشاربِ الأشرارِ
مِنْ فصائلِ المجانينِ!

أكتبُ حَرفي بقلبٍ مُدمى
قلبي يَئِنُّ
مِنِ اسْتفحالِ ضَراوةِ الغدْرِ

لا تفارقُ بوحي
جراحاتُ حُزني الدَّفينِ
إلى متى سيبقى هؤلاءِ
خارجَ مسارِ الحضاراتِ
يزجّونَ نورَ الحياةِ في أغوارِ الزَّنازينِ؟!

تهشَّمتْ ألعابُ الأطفالِ المعلَّقةِ
فوقَ مُهودِهِم الصَّغيرةِ
جُنَّ جُنونُ الأمَّهاتِ
لما حَلَّ مِنْ دَمارٍ
في عَرينِ البلادِ!

الرِّيحُ غضبى
بلابلُ الخميلةِ فرَّتْ بعيداً
عبرَتِ الحشراتُ الصَّغيرةُ
شقوقَ الأرضِ

هرباً مِنْ هديرِ الرُّعبِ
راودَها إلى متى سنبقى
في عتْمةِ الجُحورِ
بعيداً عَنْ دِفءِ الشَّمسِ؟!

إلى متى سيسحقُ بنو البشرِ
براءَةَ الأرضِ
دبيبَ الأرضِ
جمالَ الأرضِ؟!

تهرَّشَ صُدْغُ الأرضِ
مِنْ هولِ الجِراحِ
شفيرُ الرُّعبِ امتدَّ إلى أعشاشِ الطُّيورِ
إلى بهاءِ الأقاحي!
ضفائرُ الرُّوحِ عطشى
إلى ظلالِ البيوتِ العتيقةِ
يتساءَلُ طفلٌ في طورِ الاخضرارِ
متى يا أبي ستعودُ أمّي
مِنْ تحتِ الأنقاضِ؟

متى ستنمو أزاهيرُ حوشِنا
على مِساحاتِ الحنينِ
وتملأُ قلوبَنا شذاً
في الصَّباحاتِ الباكرةِ؟!

اكفهَرَّتْ صباحاتُ العيدِ
تعفَّرَتْ وجْنةُ الصَّباحِ
قَحطٌ يزدادُ تفشّياً فوقَ جبينِ النَّهارِ
خللٌ يموجُ بينَ أحضانِ العاشقينَ
جراحُ العُشَّاقِ تضاهي جراحَ الجُنودِ!

دموعٌ ساخنةٌ تنسابُ فوقَ خدودِ الجُدودِ
غَرِقَ الآباءُ في مستنقعاتِ الحروبِ
ضجرٌ لا يطاقُ توغَّلَ في بؤرةِ الحُلْمِ
تفاقمَتْ جراحُ الانشراخِ
على مِساحاتِ الحُدودِ!

عُمرُنا مُفخَّخٌ بأجيجِ الجَمرِ
جرفَتْنا الأحزانُ نحوَ هديرِ المتاهاتِ
قذفَتْنا الأوجاعُ في جوفِ المآسي
لماذا يغوصُ الشَّرقُ في بؤرةِ النَّارِ
كأنَّهُ في رحلةِ أسىً
في سراديبِ الأنينِ؟!

آهٍ .. تاهَ الشَّرقُ بينَ زوابعِ الغبارِ
عابراً في خضمِّ الحروبِ
كأنَّهُ مصابٌ بِعمى الحياةِ
لا يرى ضياءَ الشَّمسِ ولا مذاقَ التِّينِ
غابَ عنْهُ حبورُ المطرِ
ماتَتِ الأهدافُ على مَرِّ السِّنينَ!

تاهَ وتُهنا معَهُ بينَ صليلِ السُّيوفِ
لا يرتدعُ مِنِ اسْتفحالِ الجِراحِ
ولا مِنْ حشرجَاتِ الجنينِ

لم تَعُدْ عذوبةُ الصَّباحاتِ
ولا حتَّى فيافي الصَّحارى
تُطيقُ اشتعالَ أجنحةِ البنينَ!

هربَتِ الأوطانُ في دنيا الشَّرقِ
مِنْ جورِ الاشتعالِ
خرجَتْ مِنْ جِلدِها
لا ترى سوى زوابعَ الغُبارِ
لَمْ تعُدْ تُطيقُ دهاليزَ الغدرِ
جفاءٌ مريرٌ غَطّى خصوبةَ البلادِ

تهاطلَ البُكاءُ فوقَ هدوءِ المساءِ
فوقَ ملاعبِ الصِّبا

أوجاعُ الرُّوحِ تُضاهي
انكسارَ جذوعِ الأشجارِ
تصدَّعَتِ الأحلامُ في ربوعِ البلادِ
انخفسَتْ عميقاً
كانخفاسِ شُموخِ الجِبالِ!

ضاعَتِ الأحلامُ
بينَ أزيزِ الشَّظايا
غاصَتِ الكائناتُ
في شقوقِ الأرضِ
لاذتْ بعيداً عَنْ لظى الاحتراقِ

أينَ المفرُّ مِنْ دَبقِ القيرِ
مِنْ شفيرِ الانحدارِ
مِنَ الانزلاقِ في أتونِ الغديرِ
نحوَ أعماقِ السَّواقي؟!
اجتاحَتِ الحروبُ حبورَ الأغاني
خلخلَتْ مذاقَ العِشقِ في عزِّ النّهارِ
تاهَ الآباءُ والأمّهاتُ في خضمِّ الآهاتِ
انزلاقٌ مُريعٌ في دهاليزِ الأنينِ
أينَ المفرُّ مِن دبقِ الانغماسِ
في أكوامِ الطِّينِ؟!
الحروبُ خاناتُ فشلٍ في وِهادِ الجحيمِ!

نامَ اللَّيلُ بعيداً عَنْ أجيجِ النَّارِ
نامَ فوقَ جفونِ الغاباتِ
أحزانُ الشَّرقِ تجاوزتْ حدودَ المراراتِ
غاصَتْ في سراديبِ القُبحِ!

عبرَتْ أمواجَ البحرِ
تاهَتْ في أعماقِ القارّاتِ
أحزانٌ مجذّرةٌ بلظى القَهرِ
مخضّبةٌ بحشرجاتِ الموتِ
مِنْ تفاقمِ هَولِ الآهاتِ!

شرقٌ مُشرْشرٌ بلُغةِ الغدْرِ
غدْرِ الذّاتِ جرحٌ
مِنْ أبلغِ جراحِ الحياةِ
شرْقٌ مندَّى بأشهى الخيراتِ
يحومُ حَولَ نفسِهِ
لا يرتوي إلَّا مِنَ الغوصِ
في صراعِ التُّرّهاتِ!

شرْقٌ مغموسٌ بشراهاتِ الجُنونِ
موبوءٌ باستفحالِ الغبارِ
تائهٌ في مراراتِ الضَّياعِ
شرْقٌ يزدادُ انزلاقاً
كأنَّهُ مركونٌ على آفاقِ السُّكارى

شرْقٌ غائصٌ في غَيِّهِ
لا يعي مناراتِ الوئامِ
يتشظّى هولاً رَغمَ دِفءِ النَّهارِ
رَغمَ ضِياءِ الشَّمسِ
رَغمَ انبهارِ جمالِ الأنهارِ!
شرْقٌ مِنْ أشهى مروجِ الإشراقِ
غاصَ في عواصفِ التّيهِ
تجصَّصَ على رؤىً هلاميّةٍ
لا يواكبُ إيقاعَ العصرِ
يجنحُ نحوَ دُكْنةِ اللَّيلِ
كأنَّهُ مُستولدٌ مِنْ حواشي السَّرابِ
مِنْ قيعانِ الأحاجي

شرْقٌ مَحبوكٌ مِنْ تَشابكاتِ الغدْرِ
مِنْ شَراهاتِ هَدرِ الدّماءِ
من تفاقمِ هديرِ الدِّمارِ!

أكتبُ حرفي مِنْ نزيفِ الجرحِ
وجَعٌ على مدى غَمامِ اللَّيلِ
زمَنٌ غائصٌ في أتونِ الضَّياعِ
زمنٌ مُشرئبٌّ بدماءِ الثَّكالى
مشروخٌ على مِساحاتِ الحَنينِ!

تاهَ البنونَ بينَ أنينِ العمرِ
وتاهَتِ البناتُ بينَ أجيجِ الجَمرِ
اغتاظوا مِنْ لهيبِ الحربِ
عبروا قواربَ الموتِ
في خِضمِّ البِحارِ

حصارٌ مَريرٌ مِنْ كلِّ الجِهاتِ
أسْماكُ القِرشِ تَنتظرُ طراوةَ اللَّحمِ
تهدَّلَتْ أجنحةُ القَوارِبِ
غَرِقَ الأطفالُ في جوفِ البِحارِ
أنيابُ القِرشِ تَنهَشُ اللُّحومَ الطَّرِيّةَ
توارَتِ الطُّموحاتُ في عَتْمِ اللَّيلِ

أكتبُ حرفي مِنْ وحي الجِراحِ
مِنْ أوجاعِ الانكسارِ
أكتبُ انسيابَ مدادي
مِنْ دِماءٍ
روَتْ بتْلاتِ الأقاحي!

انشطارٌ نحوَ أعماقِ القِفارِ
أفكارٌ مقعّرةٌ تخلخلُ صَفاءَ الصَّباحِ
نيرانٌ تزدادُ اشتعالاً
فوقَ بهاءِ التُّرابِ
فوقَ عُذوبةِ الماءِ
فوقَ سديمٍ مُلظّى في لُجينِ الهواءِ !

تصدَّعَتْ أركانُ العمرِ
على قارعةِ الأحزانِ
هامَتِ البلادُ على وجهِهَا
غيرَ قادرةٍ على صدِّ أهوالِ البَلاءِ!

دَمارٌ على مدى أنينِ الآهاتِ
شاخَتِ الرُّوحُ مِنْ هَولِ النِّيرانِ المتفاقمةِ
فوقَ هِلالاتِ الصَّباحِ

وجعٌ عميقُ الجِراحِ
لا يبارحُ قلوبَ القاطنينَ هناكَ
في مآقي الأوطانِ
وجعٌ لا يبارحُ أعماقَ الكائناتِ
بكَتِ الجِبالُ مِنْ هَولِ القتالِ
قتلى على مَدى اللَّيلِ والنَّهارِ
حُشِرَتْ جثامينُهم في شُقوقِ الأدْغالِ
مَنْ يستطيعُ أنْ يَمحَقَ هديرَ الحَربِ
ويهدّئَ مِنْ تفشّي رعونةِ هذا الزَّمانِ؟!

تجذَّرَتْ رؤىً مُسرطنةٌ فوقَ خدودِ المدائنِ
كأنَّها مستولدةٌ مِنْ شراهاتِ الطُّوفانِ!

آهٍ .. ترنَّحَتِ الأشجارُ
مِنْ هَولِ اشتعالِ الدَّمارِ
تهرَّسَتْ كينونةُ الإنسانِ
انزلاقٌ نحوَ قيعانِ الجَحيمِ

كَمْ مِنَ الأنينِ
حتَّى اكفهرَّتْ خدودُ السَّماءِ
كَمْ مِنَ القهرِ
حتّى جُنَّ جنونُ الأوطانِ!

لَمْ يعُدْ في القلوبِ مِساحةُ فرحٍ
ولا أرى شغفاً أستريحُ عبرَهُ
على مِساحاتِ الشُّطآنِ

أوطانٌ مفخَّخةٌ بدُخانِ الغدْرِ
أوطانٌ شاخَتْ قبلَ الأوانِ
داخَتْ مِنْ تفاقُمِ هَولِ النّيرانِ
أوطانٌ مشروخَةُ الرُّوحِ
غائصةٌ في التِّيهِ
في أقصى مساراتِ الجِراحِ!

أوطانٌ معجونةٌ بشفيرِ الأسى
مصهورةٌ بِبُرَكِ الدَّمِ
أوطانٌ غافيةٌ على شهقاتِ البُكاءِ
تنهضُ على استفحالِ شراهاتِ الجُنونِ
لا ترى إلَّا سُموماً
تُحاصِرُ خاصراتِ الأوطانِ
بأعتى ضَراواتِ الغباءِ
تاهَتْ في صِراعاتِ العِنفِ
والعنفِ المضادِّ!

أوطانٌ مُرصرصةٌ ببراكينِ الانفجارِ
لِمَ كلُّ هذا الاشتعالِ
مؤجَّجاً في وَضَحِ النَّهارِ؟! ..
قلبي يزدادُ تَلظِّياً ليلَ نهارٍ
تخشَّبَتِ الرُّوحُ
مِنْ إحْراقِ مآقي الجَمالِ

أوطانٌ متأرجحةٌ على كفوفِ العفاريتِ
على شَراهاتِ جُنونِ الصَّولجانِ
غائصةٌ فوقَ أفواهِ براكينَ مفخَّخَةٍ
بمتاهاتِ الشَّقاءِ

أوطانٌ موبوءةٌ برياحٍ مهتاجةٍ
نحوَ أقاصي العَراءِ
معفَّرةٌ باسودادِ القيرِ
مغرورقةٌ بدموعٍ طافحةٍ بالمُلوحةِ
مهووسةٌ بسماكاتِ الدِّماءِ
أوطانٌ مجذَّرةٌ بالقهرِ
بشراسةٍ مميتةٍ على دُخانِ الغدْرِ

أوطانٌ مركونةٌ لكلِّ أنواعِ العذابِ
يتهاطلُ فوقَ ترابِها شفيرُ الحروبِ
أوطانٌ تزدادُ ارتجافاً
في رحابِ التّيهِ
توغَّلتْ في أتونِ البكاءِ
تبحثُ عَنْ قِلاعٍ تصونُ الطُّفولةَ
تصونُ شيخوخةَ العمرِ
تحمي كرامةَ الأُمَّهاتِ
مِنْ جنونِ الاشتعالِ
فلا تلقى سوى صفيرِ الأشباحِ
يخيّمُ فوقَ هاماتِ المدائنِ!

أوطانٌ تنوءُ بينَ كهوفِ الأشباحِ
معلّقةٌ مِنْ خاصراتِها في حروبٍ لا نهايةَ لها
تَنهَشُ نضارةَ الرُّوحِ
تجتاحُ خميرةَ العمرِ
غيرَ مباليةٍ بانهيارِ البلادِ
على رؤوسِ العبادِ!

أوطانٌ معشَّشةٌ بانبلاجِ ظُلمةٍ داكنةٍ
مشروخةٌ على مرامي الدَّمارِ
معلّقةٌ مِنْ مآقيها بشفيرِ الظُّلُماتِ

أوطانٌ مخردقةٌ مِنْ صُدوغِها
لا ترى ثُخْنَ الجِراحِ
غائصةٌ في مَهبِّ الانكسارِ!

مَنْ سيحمي الطُّفولةَ
مِنْ أتونِ النَّارِ
مِنْ سُيوفِ الغدرِ ..
مِنْ شَراهاتِ شَفيرِ القارِ

مَنْ يستطيعُ أنْ يخفِّفَ
مِنْ ضَجرِ الحياةِ
مِنْ استفحالِ الأسى
مِنْ كآباتِ النَّهارِ؟!

أوطانٌ مُفخَّخةٌ بآفاتِ الخَرابِ
مُهدَّدةٌ باجتياحِ الخُرافاتِ
تنوءُ تحتَ تكلُّساتِ المخيخِ
أوطانٌ تزدادُ غوصاً
في قاعِ الانهيارِ!

ازدادَ فوقَ تلالِها نعيقُ البومِ
تهاوَتِ الحمائمُ مِنَ الأعالي
مَهيضةَ الأجنحةِ!
صباحٌ مِنْ غُبارٍ
نهارٌ مِنْ غُبارٍ
ليلٌ غارقٌ في أتونِ الدَّمارِ
تخشَّبَتِ الرُّؤى
مَحقَتْ نضارةَ النَّدى
تهرَّأَ بهاءُ الاخضرارِ!

يولدُ الإنسانُ على صوتِ
زغاريدِ الأُمَّهاتِ
ترقصُ الأُمَّهاتُ
كلَّما وَلَدْنَ شَهيقاً جديداً

ويَنبُتُ الأطفالُ
على حَافّاتِ الانزلاقِ
وِهادٌ عميقةٌ تنتظرُ طراوةَ الخُدودِ
خُدودِ الأطفالِ الطَّريَّةِ
لا تجاري اندلاعَ أزيزِ النَّارِ!

يكبرُ الأطفالُ على اندلاقِ
رعونةِ الجنونِ
كهوفُ الرُّعبِ تحاصرُهم
مِنْ كلِّ الجهاتِ
مذهولونَ مِنْ صليلِ السُّيوفِ
مِنْ تفاقمِ قَرقَعاتِ اللَّيلِ
مِنْ فَحيحِ الأفاعي
مِنْ أعماقِ الجحورِ

تلاشَتْ أخلاقياتُ الكثيرِ مِنَ البشرِ
تصدَّعَتِ الأحلامُ مِنْ خِضمِّ الشَّقاءِ
وتبدَّدَتْ في مهبِّ التّيهِ أشهى الأماني!

مَنْ يستطيعُ أنْ ينقذَ الأنهارَ
مِنْ سُمومِ الغدرِ
مِنْ هَرطقاتِ العصرِ
مِنْ شفيرِ الانحدارِ
مِنْ ترويجِ بولِ البعيرِ!

تلظَّتِ خدودُ الأوطانِ
في أوجِ الرَّبيع
مِنِ اسْتفحالِ شهوةِ البُغضِ
إلى متى سيجولُ هديرُ الغباءِ
فوقَ رِقابِ الأوطانِ
فوقَ عرينِ الذّكاءِ
دونَ إيقاظِ الضَّميرِ؟!

أينَ تبخَّرَ وميضُ الحضاراتِ
أينَ توارَتْ شُموعُ الضِّياءِ
في عِزِّ النّهارِ؟
انزلاقٌ مريرٌ نحوَ أغوارِ الشَّفيرِ!

تاهَتِ الأوطانُ في مَهبِّ الرّياءِ
أحلامٌ مُفخّخةٌ بالأورامِ
أوجاعٌ موصولةٌ على ذبذباتِ الشَّهيقِ
تجهَّمَتْ وجنةُ السَّماءِ
وناحَتِ الحمائمُ
مِنْ تفاقماتِ هولِ الهديرِ!
يختالُ جنونُ العصرِ
في أرجاءِ المَكانِ
في أركانِ قلبِ الحضاراتِ
طفولةٌ مُستباحةٌ لطوفانِ الغَدرِ
مذاهبُ متصارعةٌ فوقَ بيارقِ الرُّعبِ

صراعٌ يزدادُ تفاقُماً
مِنْ شدَّةِ اهتراءِ تجاويفِ القَحْفِ
قَحْفٍ لا يناسبُ أبجديّاتِ بزوغِ الشَّمسِ
بعيدٌ عَنْ نِعمةِ النُّورِ
قَحْفٍ مرصرصٍ بكتلٍ مُجوَّفةٍ ببقايا التِّبنِ

توغَّلَ الغبارُ في مرافِئِ الذِّهنِ
تصدَّعَتْ طراوةُ الرُّوحِ
تَهشَّمَتْ قيثارةُ القلبِ
وتخشَّبَتْ أوتارُ الحنينِ

وجعٌ لا يفارقُ سماءَ الرُّوحِ
ضاعَ العُمرُ في متاهاتِ الغدرِ
جشاعةٌ خرقاءُ تطفحُ فوقَ المروجِ
تحرقُ جفونَ اللَّيلِ
على مرأى مِنْ ضياءِ النّجومِ
وطنٌ ينوحُ عَلى مِساحاتِ الحَنينِ!

تاهَ المرءُ في دَوَّامةٍ مُتصالبةٍ
مَعَ خُيوطِ العناكبِ
ماتَتِ الأحلامُ عندَ هداهدِ المهدِ
بكَتِ الطَّبيعةُ مِنْ لظى الاشتعالِ
فتحَتْ براكينُ النَّارِ أفواهَهَا
في وَجهِ البراري
لم يَعُدْ في دوائرِ العمرِ شهوةُ الانتظارِ
تهدّلَتْ جفونُ الأحلامِ
أينَ توارَتْ أغصانُ الشَّوقِ؟

فرَّ المَرءُ بعيداً عَنْ أنينِ الانشطارِ
انشطارِ الرُّؤى فوقَ قاماتِ البلادِ
فوقَ خُدودِ الغاباتِ!
تاهَتِ البلادُ بينَ أسرارِ اللَّيلِ
غاصَتْ في شراهةِ الآهاتِ
أوجاعٌ طغَتْ على شَهقاتِ البكاءِ
عبورٌ في مُنزلقاتِ الجنونِ
حروبٌ داسَتْ في عَصرِ الظُّلماتِ

ماتَتِ الآمالُ بينَ أزيزِ النّيرانِ
رؤيةٌ عقيمةٌ مُستفحَلةٌ بالوباءِ
مُشبَّعةٌ بدُخانِ كهوفِ الرّياءِ!

حُلْمٌ مُدمى يَسترخي فوقَ رِقابِ العِبادِ
أملٌ مُجصَّصٌ بِسماكاتِ القيرِ
ضاعَتِ الأفراحُ بينَ أنيابِ الصِّراعِ
رقابٌ مدلدلةٌ في أعماقِ القِفارِ

وقفَ الحزنُ عندَ بوَّاباتِ الحَنينِ
مترنّصاً ببسمةِ الأطفالِ
ماسحاً عَنْ خدودِهم حفاوةَ الاخضرارِ
ماتَتِ الأُمَّهاتُ قبلَ أنْ تتبرعمَ أزاهيرُ الصَّباحِ!

حروبٌ على مدى شَراهاتِ الجُنونِ
عَطشٌ في قلبِ الدّيارِ
جُوعٌ استفحلَ في جُذوعِ النَّخيلِ
في مُنحدراتِ الغديرِ
قتلٌ على مدى اللَّيلِ والنّهارِ
رعبٌ على امتدادِ فُسحاتِ الهديلِ
تاهَتِ الحياةُ في مَهبِّ الغباءِ
متى ستُزْهِرُ في أغصانِ القلبِ
قداسةُ بَخورٍ مُندَّى بهفهفاتِ النَّسيمِ العليلِ؟!

بكَتِ الأشجارُ مِنْ تصدُّعات صُخورِ البراري
مِنْ انشراخِ عَرينِ العِشقِ
مِنْ أنينِ البِحارِ
أنَّتِ الرُّوحُ مِنْ طُغيانِ الأسى فوقَ مُروجِ القَلبِ
مِنْ اندلاعِ لهيبِ الدَّمارِ!

تراخى وجْهُ الضُّحى
مِنْ قيظِ الصِّراعِ
مِنْ تَفاقمِ شَفيرِ النَّارِ
جُنونٌ حتَّى النُّخاعِ
أنْ نلقى غَدراً مِنْ أهلِ الدَّارِ!

وطنٌ دائخٌ مِنِ اسْتفحالِ ضَراوةِ الغَباءِ
وطنٌ يزدادُ غوصاً في دَبقِ الشَّقاءِ
قلوبٌ مشدودةٌ إلى أوطانٍ متربّعةٍ
فوقَ تيجانِ الهناءِ
تاهَتِ الأوطانُ بعيداً عَنْ قُبلةِ الحُبِّ
غاصَتْ في قَيظِ الصَّحارى
تَئِنُّ مِنْ هبوبِ لَظى الجفاءِ!

أوطانٌ متمايلةٌ على تُخومِ أوجاعِ الرُّوحِ
مسترخيةٌ على شواطئَ مكتنفةٍ
بشراهاتِ الشَّوكِ
أوطانٌ مَعجونةٌ على شهوةِ النَّارِ
ثمَّةَ جِراحٌ تنمو في خبايا الأزقّةِ
تترعرعُ بينَ أجنحةِ الطُّفولةِ
تخلخلَتْ أجنحةُ الطُّفولةِ
برصاصِ القبيلةِ

جُنَّ جنونُ البلادِ مِنْ هَولِ الغباءِ
وقفَ عجوزٌ فوقَ قِمَّةِ جبلٍ
ينظرُ إلى عمرِهِ المُرصْرصِ بالآهاتِ
يتمعَّنَ في جَوفِ المغائرِ
ينظرُ إلى قلبِهِ المعجونِ بالأسى
فيرى أيامَه تنضحُ بدموعِ الأيّامِ القادماتِ

كَمْ مِنْ وعودٍ تاهَتْ
في سَراديبَ مُهلهلةٍ
قلوبٌ مَرميّةٌ في مَهبِّ المَتاهاتِ
قلوبٌ ملتاعةٌ بينَ قيعانِ الانحدارِ!

تلوذُ الأحلامُ بعيداً
عَنْ عَرينِ الحياةِ
تبحثُ عَنْ غاباتِ الأرزِ
عَنْ شُموخِ النَّخيلِ
عَنْ رؤىً جانحةٍ
نحوَ أبجدياتِ الأصيلِ

ضاعَتِ الأصالةُ في خِضمِّ التِّيهِ
في خِضمِّ جنونِ الصَّولجانِ
وَجَعٌ على رحابةِ الحُلْمِ
وَجَعٌ مجذّرٌ فوقَ قامَاتِ البلادِ

تخلخلَتْ قيافةُ الرُّوحِ
قلوبٌ في طَورِ الإنكسارِ
وأخرى في أتونِ النَّارِ!

تقلَّصَتْ نضارةُ الخيرِ
وتهرّشَتْ مآقي الأخلاقِ
تَغلغلَتْ في أتونِ الشَّقاءِ
وجعٌ لا يفارِقُ سَماءَ حَلقي
لا ينجو مِنْ أنيابِ الدَّهاءِ
دَمعتي تنسابُ فوقَ ضَفائرِ ليلي
وجَعٌ يزدادُ اشتعالاً
نحوَ أقاصي السَّماءِ!

صباحٌ مدبّقٌ بالأسى
غبشٌ على مدى النَّهارِ
تلظّتِ الرُّوحُ
مِنْ هَولِ الشَّقاءِ

مَطرٌ معجونٌ بالغبارِ
تغضَّنَ بغازِ ثاني أوكسيدِ الموتِ
مَطرٌ مغطوسٌ بمُلوحةِ الدَّمْعِ
مَطرٌ مُرصْرصٌ بتِرياقِ الغَدْرِ
تهاطلَ فوقَ مُروجِ العُمرِ
تَهاطلَ فوقَ بساتينِ الحَنينِ
اكتسحَ بيوتَنا العتيقةَ
غاصَ في لُبِّ القصيدةِ

مَطرٌ مِنْ أجيجِ الجَمرِ
يَغمُرُ أحلامَ الصَّباحِ
يَمحَقُ تِيجانَ الغدِ الآتي
ماتَتِ الأُمَّهاتُ
مِنْ تَفاقُمِ المَراراتِ
شاخَتِ الرُّوحُ قبلَ الأوانِ
تلظَّتْ مِنْ هَولِ شَراهاتِ الانشراخِ
وَجَعٌ لا يُفارقُ تُخومَ الرُّوحِ!

تزدادُ غُربتي غَوصاً
في أعماقِ الأنينِ
ماجَتْ سماؤنا بالأوجاعِ
لامَسَتْ خُدودَ الرُّوحِ
استرخَتْ فوقَ دَهشةِ بنينِ البنينَ

كُلَّما بحثْتُ عَنْ تجاويفِ غُربتي
وجدْتُنِي مُحاصَراً
بارتفاعِ مَنسوبِ شَفيرِ السِّنينَ

كُلَّما عَبرْتُ
في مَتاهاتِ حرفي
وجدْتُ دَمْعتي مُنسابةً
فوقَ فيافي السَّرابِ
عُمرٌ مُفخَّخٌ بمَتاهاتِ السَّرابِ
وَطنٌ مُبرقعٌ بالسَّرابِ
حُروبٌ مُعفَّرةٌ بهديرِ السَّرابِ

تهدَّلَتِ الأفواهُ على غيرِ هُدىً
مِنْ شَراهاتِ الخَرابِ
إلى مَتى ستغُوصُ أوطانُنا
في مرامي الضَّياعِ
كأنَّها مُستولَدةٌ مِنْ تيهِ السَّرابِ!

بِلادُ الحَضاراتِ تَزدادُ انكماشَاً
نحوَ شَخيرِ البَعيرِ
تشطحُ نحوَ قيعانِ الغَدرِ
نحوَ آفاقِ الغَباءِ

بِلادُ الحَضاراتِ تَنهارُ
أمامَ شفيرِ الظَّلامِ
وَحدَهَا القصيدةُ قادرةٌ على ليِّ الرِّقابِ
رِقابِ الغدرِ ..
رِقابِ الجَفاءِ
رِقابِ الدَّهاءِ!

وحدَهَا القصيدةُ تجولُ ألقاً
في مرامي السَّماءِ
بحثاً عَنْ حمورابي
عَنْ شريعةِ الشَّرائعِ
بحثاً عَنْ جلجامشَ
بحثاً عَنْ اخضرارِ الحياةِ
عَنْ عُشبةِ الخَلاصِ
لا خلاصَ في دنيا الشَّرقِ
بعيداً عَنْ وَهْجِ النُّورِ
عَنْ رحيقِ الحَضاراتِ!

تُطارِدُني تَساؤلاتٌ منبعثةٌ مِنْ دُكْنةِ اللَّيلِ
مِنِ اشتِعالاتِ العُمرِ
إلى أينَ سينتهي بنا مَسارُ غُربةِ الرُّوحِ
تتوقُ روحُنا إلى نومٍ عميقٍ
تحتَ أشجارِ النَّخيلِ
روحُنا تائهةٌ خلفَ أسرارِ البحارِ
مفهرسةٌ في طينِ الحضاراتِ؟!
أينَ أنتِ يا شاميرامَ
كي تمنَحي أجيالاً تشتَّتَتْ
على وجهِ الدُّنيا بهجةَ حُبٍّ
كي تمنحَيهِم لأرضٍ مُباركةٍ
لأرضٍ تعفَّرَتْ بهَلوساتِ الصَّولجانِ
لأرضٍ مُكتنزةٍ بخيراتِ الدُّنيا
لأرضٍ كانَتْ وستبقى مَهدَ الحَضارَاتِ

تَعالي يا خَميرةَ الأرضِ
نَزرعُ فوقَ هامَاتِ الأوطانِ أغصانَ الزَّيتونِ
ننثرُها نوراً فوقَ جنائنَ عشقٍ
معلّقةٍ في نَهْدِ السَّماءِ!

تبتهلُ أرواحُنا شوقاً إلى نَضارةِ المَطرِ
إلى جُموحِ غَزالةٍ برّيّةٍ
في أعماقِ الغاباتِ؟!

وجعٌ لا ينزاحُ عَنْ رِحابِ العمرِ
يَمحَقُ قبَّةَ الشَّوقِ
نارٌ حارقةٌ تتربَّصُ بجُموحِ البوحِ
جنونٌ طاحشٌ على رِقابِ الأوطانِ

أينَ أنتَ يا سركونَ الأكّادي
كي ترى شفيرَ الموتِ
جاثماً فوقَ صَدرِ الضِّياءِ
كي ترى شراهاتِ الصَّولجانِ
كيفَ تزرعُ غدراً مِنْ كلِّ الجِهاتِ
ينثرُ جوعاً على مِساحاتِ الاخضرارِ

تعالَ شامخاً فوقَ طينِ الحضاراتِ
تعالَ يا سركونُ على أجنحةِ الرِّيحِ
تعالَ كي تزرعَ فوقَ جباهِنا العطشى
دَندناتِ الانتصارِ
تعالَ كي تطهِّرَ غاباتِ الرُّوحِ
مِنْ قيحِ شراهاتِ الدَّمارِ!

ينوحُ القلبُ مِنْ اندلاقِ شراهاتِ الأنينِ
مدنُ العراقةِ تتهاوى
فوقَ أحلامِ العمرِ
اشتعلَتْ خدودُ المدائنِ مِنِ انْهمارِ النَّارِ
تحوَّلتْ نوافذُ الأملِ إلى رمادٍ
تصدَّعتْ بوَّاباتُ الحَنينِ
فوقَ منائرِ الرُّوحِ

صراعٌ يضاهي أنيابَ الحيتانِ
يتفاقمُ فوقَ طينِ الحضاراتِ
صراعٌ مِنْ ضَراوةِ الافتراسِ
يهرسُ حكمةَ الحياةِ
يدمّرُ اخضرارَ الغدِ الآتي

تاهَ البنونَ في خِضمّ الانشراخِ
غاصوا في متاهاتِ البراري
ضلُّوا طريقَ البِرِ .. طريقَ الخَيرِ
طريقَ الحُبّ
عبروا في أعماقِ دُكنةِ السّوادِ
شرورٌ فاقَتْ أجيجَ الانتحارِ
داسَتْ في جَوفِ حماقةِ الحَماقاتِ
فاقَتْ أجرامَ أعتى الأشرارِ!

انحرافٌ مُخيفٌ نحوَ عِمى الألوانِ
تلاشى هديلُ اليمامِ
مِنْ تصدُّعاتِ الأوطانِ
مِنْ هَولِ تشظّي القُبْحِ
تَئِنُّ الجِراحُ في قاعِ الزَّنازينِ
نزدادُ حِصاراً بينَ أدغالِ الخُرافاتِ
نغلي مِنْ أوجاعِ الأسى
مِنْ ضُمورِ الوئامِ

وطنٌ في طورِ الإنسلاخِ
عَنْ نضارةِ الماءِ
وطنٌ مُبقَّعٌ بأنيابِ السُّمومِ
تاهَ في دَهاليزِ القَحْطِ وفي دروبِ الجنونِ
وَطنٌ مُلظّى بينَ نيرانِ القبائلِ
بينَ لُغاتٍ مُرتهنةٍ لأعتى الهلوساتِ

وَطنٌ يزدادُ عُبوراً في تِلالِ الرَّمادِ
وَطنٌ لا يعرفُ دَربَ الخَلاصِ
إلَّا عبرَ طينِ المَحبّةِ
إلَّا عبرَ رفرفاتِ أجنحةِ الحمامِ!

تاهَتِ الوردةُ عَنْ نورِ اليراعِ
عَنْ قيثارةِ العِشقِ
تكلَّسَتْ أحلامُ العُمرِ
شاخَتِ الرُّوحُ مِنْ لظى أجيجِ الحُروبِ
مِنْ ضُمورِ وَميضِ الشُّموخِ
تلظَّتْ في دَهاليزِ الموتِ
فاضَتْ عِندَ انبلاجِ الفَجرِ
عبرَتْ سموَّ السَّماءِ
بَحثاً عَنْ بَسْمةِ طِفلٍ
يَحملُ بينَ جناحيهِ ابتهالاتِ السَّلامِ!

كَمْ مِنَ الانتظارِ على استفحالِ الجِراحِ
وشفيرُ القَحْطِ مازالَ مهيمناً
على ضِياءِ خُيوطِ الصَّباحِ
كَمْ مِنَ الآهاتِ تناهَتْ إلى احمرارِ الأقاحي
كَمْ مِنْ فخاخِ الأنينِ تناثرَتْ
فوقَ ظِلالِ العمرِ
على خشخشاتِ الرِّياحِ!

تبدَّدَتْ مِساحاتُ الفرحِ
هناكَ عندَ البيوتِ العتيقة
مسترخياً فوقَ أجنحةِ حُلْمٍ مُتماهٍ
مَعَ وميضِ قصيدةٍ مبلَّلةٍ
بمذاقِ الحنينِ إلى مروجِ الرُّوحِ

أنتظرُ زرقةَ السَّماءِ
تفرشُ حبورَها فوقَ ضَجرِ العمرِ
مبدِّدةً ولو قليلاً مِنْ منغِّصَاتِ الحياةِ!

أرسمُ وردةً حالمةً
متعطِّشةً إلى حنايا موجاتِ البحرِ
أنتظرُ خيوطَ الشَّفقِ
تبهجُني لحظةُ الإنبلاجِ
أبهى مِنْ تجلّياتِ نورِ اليراعِ !

وطنٌ معرَّشٌ بالياسمينِ
يرزحُ تحتَ قُبَّةِ الأحزانِ
ينزلقُ نحوَ شَراهاتِ قصّ الرّقابِ
يتأرجحُ على مسارِ الاندِحارِ
يزدادُ ترنُّحاً كأنَّهُ غارقٌ في شفيرِ الزّمهريرِ!

وقفَ الحُلْمُ على قارعةِ المتاهاتِ
فاغراً آهاتِهِ على مدى سُكونِ اللَّيلِ
عجباً أرى لَمْ يَعُدْ لليلِ سكونٌ
فرَّ السُّكونُ بعيداً حيثُ ضجرُ الانتظارِ
مخيّمٌ على هِلالاتِ الشَّفقِ
وقفَ الحُلْمُ بينَ دُخانِ اللَّيلِ والنَّهارِ
وقفَ حائراً بينَ مُناغاةِ الطُّفولةِ
وشيخوخةِ هذا الزّمانِ
وقفَ الحُلْمُ بينَ غُبارِ السِّنينَ
مَذهولاً مِنْ سَماكاتِ الغُبارِ
مِنْ عبوسِ النّهارِ
مِنْ بوحِ القَلبِ للقلبِ
مِنْ لوعةِ الأسى المعرَّشِ في تجاعيدِ الرُّوحِ

آهٍ .. زمنٌ غريبٌ عَنْ هذا الزَّمانِ
زمنٌ مضرَّجٌ بالبكاءِ
زمنٌ شاخَ قبلَ الأوانِ!

زمنٌ مُهلهلٌ كأنَّهُ يسيرُ على فقاعاتٍ
على رحابةِ حُلْمٍ مُرصرصٍ
ببُخارٍ مُكثَّفٍ بغازِ أوكسيدِ البُكاءِ
بُكاءٍ مِنَ المهدِ إلى اللَّحدِ
بُكاءٍ منْذُ أنْ تشكَّلْنا في تكويرةِ الرَّحمِ
بكاءٍ على مدى العُمرِ
زمنٌ مُعتَّقٌ ببكاءٍ مملَّحٍ بضَجرٍ
مفتوحٍ على جَشاعةِ هذا الزَّمانِ
نجومُ اللَّيلِ غَرقى في بُحيراتِ الأحزانِ
دُخانٌ مُلبّدٌ فوقَ سَماءِ المدائنِ
تكلَّسَتْ أجنحةُ النَّهارِ
وجَعٌ على مِساحاتِ الحَنينِ
اكفهرَّتْ خاصراتُ السَّماءِ
مِنْ هُبوبِ مُويجاتِ الغبارِ!

صَمْتٌ جَارحٌ مخيِّمٌ
على شاهداتِ القُبورِ
حيرةٌ طافحةٌ بالآهاتِ
فوقَ مآقي الغاباتِ
تشتعلُ في أعماقِ انبلاجِ الخيالِ
أوجاعٌ مثقلةٌ بسَماكاتِ الأنينِ!

صباحاتٌ مكفهرَّةٌ بطلاسمِ الرُّعبِ
تزدادُ أهدافُنا انحساراً
فرَّتْ أفراحُنا بعيداً مُتغلغلةً في قافلةِ الرَّحيلِ
تخلخلَتْ أجنحةُ اليمامِ على مدى انبعاثِ الحُلْمِ

هجومٌ مفتوحٌ على جحورِ القبورِ
حتَّى الموتى لَمْ تنجُ
مِنْ غدْرِ الحروبِ
رغبةٌ هائجةٌ في مَتاهاتِ العُبورِ
غباءٌ مستطيرٌ يلازمُ شَهيقَ العابرينَ

وقفَ الحُلْمُ بينَ أنيابِ الحيتانِ
مَذهولاً مِنْ ذُبولِ الأقاحي
هربَتْ غزالةُ الرُّوحِ بعيداً
عَنْ منأى طُغيانِ الغَباءِ
على نسيمِ الصَّباحِ
على ذاكرةٍ مَجبولةٍ بالورودِ
حتَّى الوُرودُ لَمْ يَعُدْ لها نكهةُ الورودِ
تبدّدَتِ النَّكهةُ مِنْ هَولِ المآسي
مِنْ سُمومِ الحروبِ
مِنْ هُطولِ نيرانِ الجنونِ!

تفاقمَ كلُّ أنواعِ القَحْطِ فوقَ أغصانِ البلادِ
تبرعمَ القَحْطُ بكلِّ شَراهةٍ
فوقُ رقابِ العِبادِ
قَحْطُ الأخلاقِ
قَحْطُ السِّياساتِ
قَحْطُ الحوارِ
قَحْطُ المحبّة وأزاهيرُ البناءِ
قَحْطُ الحَرفِ ولونُ الوفاءِ
قَحْطٌ مُستفحلٌ في بؤرةِ الرُّوحِ
رَغمَ زخّاتِ الأمطارِ!

قَحْطٌ مفتوحٌ على مدى جغرافيّةِ الكونِ
قَحْطٌ مُعرّشٌ في مَرامي مُخيخٍ

يحملُ سَفاهةً في تكويرةِ القاعِ
رؤىً مدبّقةٌ بالسُّمومِ
خلخلَتْ براءَةَ الأطفالِ
دمَّرَتْ جَمالَ الغاباتِ
ولَّتِ الكائناتُ بعيداً عَنْ ثمارِ المُروجِ
لا تطمئنُّ مِنَ البقاءِ بَينَ شراهاتِ النّارِ!

رعبٌ لا يفارقُ أعماقَ القِلاعِ
تخلخلَتْ أشرعةُ الأمانِ
لَمْ يَعُدْ فوقَ طِينِ البلادِ
غمائمُ المحبّةِ
ولا دندناتُ الوئامِ

لا أرى حِكمةً ولا بذورَ عَدْلٍ
تحمي أجنحةَ اليمامِ

مُخيخٌ مؤكسَدٌ بالتُّرّهاتِ
غيرُ قادرٍ على زَرعِ قِيمِ الخيرِ
قيمِ الضّياءِ
تاهَتْ بعيداً قيمُ العناقِ
توارَتْ بكلِّ فجاجةٍ
قيمُ الحكمةِ الرَّاسخة
في شراعِ الوفاقِ
رؤىً مهووسةٌ بالرُّعونةِ
اجتاحَتْ جُفونَ البلادِ
شوَّهَتْ بكلِّ قباحةٍ شُموخَ الأخلاقِ!

سَطعَ الحزنُ مَعَ إشراقةِ الصَّباحِ
تغلغلَ فوقَ مآقي المدائن
تاهَ العقلُ عَنْ مرامي السَّماءِ

وَجعٌ لا يفارقُ ليلي
تاهَتْ رؤى سادةِ القومِ
في خضمِّ الهَباءِ!

دمعةٌ إثرَ دَمْعةٍ تَنسابُ فوقَ الجِراحِ
مِنْ هَولِ الدَّهاءِ!

رؤىً مشرئبّةٌ بشفيرِ القُبْحِ
توغَّلتْ في عِظامِ البلادِ
تفشَّتْ في صُدْغِ الأوطانِ
مِثلَ انتشارِ الوباءِ
رؤىً مجوَّفةٌ بأنيابِ البُغْضِ
تفرّخُ الكراهيَّةَ مِنْ ضَرْعِ الغباءِ
رؤىً مستفحلةٌ بشَراهةِ القتلِ
ترشرشُ فوقَ صباحاتِنا
دَجلاً مَحبوكاً بأعتى أنواعِ الرِّياءِ!
تصدَّعَتْ وجنةُ الحضارةِ
انزلقَتْ في شَفيرِ الجَحيمِ
مَنْ يستطيعُ أنْ ينقذَ الطُّفولةَ
مِنْ غدرِ هذا الزَّمانِ
مِنْ ظُلمةِ اللَّيلِ البهيمِ؟!

توارَتْ سُموُّ الرُّوحِ
مِنْ استفحالِ سُمومِ التِّرياقِ
تبدَّدَ مَذاقُ الحُبِّ المتناثرِ
فوقَ خُدودِ الصَّباحِ!

حضارةٌ مَحشوَّةٌ بروثِ البقرِ تنمو
فوقَ سُفوحِ الكونِ
حضارةٌ خاليةٌ مِنْ نَضارةِ اللَّونِ

حضارةٌ تزدادُ تحجُّراً فوقَ عِظامِ القَحْفِ
مهووسةٌ في تعميقِ أغوارِ الجِراحِ
تزدادُ عبوراً في جوفِ الرُّعونةِ
مُؤَكْسَدةٌ بسماكاتِ الغبارِ
غائصةٌ في منافسةِ أغلظِ القباحاتِ
حضارةٌ قابعةٌ في مُخيخٍ محشوٍّ
بأورامِ فسادٍ تفشَّى مِنْ كلِّ الجهاتِ!

يفرّخُ الفسادُ على دَندناتِ أسرارِ اللَّيلِ
فسادُ الشَّرقِ والغربِ
فسادٌ يقودُ البلادَ
على رِقابِ العِبادِ

فسادٌ يتدلَّى فوقَ جُفونِ الطُّفولةِ
تنمو الجِراحُ فوقَ مروجِ العمرِ
مُنذُ هُبوطِ اللَّيلِ
حتّى انبلاجِ خيوطِ الشَّفقِ

فسادٌ على شَساعةِ البحرِ
فسادٌ في لُبِّ النَّهارِ
يستشري كذيولِ الثّعالبِ
في أعماقِ كائناتٍ
تنافسُ جَحافلَ التَّنانينِ!

لا بدَّ أنْ نَمحَقَ رُعونةَ
مَنْ زَرعَ كلَّ هذا الأسى
كي نجنِّبَ الكونَ مِنْ شَفيرِ الإنحدارِ
مِنْ ضَجرِ العُمرِ
مِنْ تَفاقماتِ لَظى الأنينِ؟!

غدرٌ على مدى العُمرِ
بكاءٌ لا يفارقُ حتّى خفايا الحُلْمِ
غوصٌ مريرٌ في قَاعِ الكآباتِ
توارَتْ سَنابلُ الرُّوحِ في خِضَمِّ التِّيهِ!

أينَ المفرُّ مِنْ كآباتِ الغدِ الآتي
غدٍ مُكتظٍّ بالآهاتِ
غدٍ مُستفحلٍ بجنونِ القارّاتِ
قارّاتٍ تنطحُ جبينَ العهدِ
عهدِ الطُّفولةِ
عهدِ المحبّةِ .. عهدِ بناءِ الإنسانِ
ها قَدْ حلَّ علينا عهدٌ ولا كلَّ العُهودِ
عَهدِ الاعوجاجاتِ ..
اعوجاجاتٍ لا تخطرُ على بالِ الجِنِّ
عهدٍ ملفّحٌ بجنونِ البقرِ
أمَا كانَ عَهدُ البداوةِ وركوبِ الخيلِ
أكثرَ صفاءً وأقلَّ ضَجراً
مِنْ عهدِ غزوِ الفضاءِ
متى سيعودُ عَهدُ المَحبَّةِ
عَهدُ الوئامِ وأصفى الكَلامِ؟!

لا أرى في سَماءِ الشَّرقِ
سوى غزوِ براءَةِ الأطفالِ
يصنعونَ ملوكاً وسلاطينَ
يصنعونَ قادةً على مَقاساتِ حُروبِهم
فجأةً يَمَلُّونَ مِنَ الملوكِ
ومِنْ تَماثيلِهِم العاليةِ
يحطِّمونَ التَّماثيلَ
ويعلّقون مشانقَ قادةٍ
تبرعموا مِنْ رحابِ رؤاهم!

يُزيلونَ وَهْجَ الحضارةِ
يُخلخلونَ ما تبقَّى
مِنْ عِظامِ الحَضارةِ
لا يطيقونَ شهيقَ الحَضارةِ
يُبيدونَ الأخضرَ واليابسَ
على حسابِ تَفاقُمِ جُوعِ الفُقراءِ
على حِسابِ جَماجمِ الأطفالِ
على حِسابِ انْدلاعِ نِيرانِ الجَحيمِ
فوقَ عَرينِ البِلادِ !

يُريدونَ شَرقاً بلا ذَاكرةٍ مَمْهورةٍ بالسُّموّ
بلا جذورٍ معرَّشةٍ بعذوبةِ النَّدى
يُخيفُهم أنْ نَزدانَ ألقاً
مِنْ شموخِ الحَضارةِ
أنْ نستمدَّ نوراً مِنْ تيجانِ الحَضاراتِ!
أينَ أنتَ يا جلجامشُ
يا جدِّي الألفَ
يا صديقي المعرَّشَ
فوقَ أشهى مروجِ الإبداعِ؟!
بلّغِ التّحيّةَ أسمى التَّحيّةِ إلى أنكيدو
لا تقلقا في عَرينِ السَّماءِ
ها أنا آتٍ
حاملاً بينَ أجنحتي عُشبةَ الخلاصِ
حَاملاً بذورَ المَحبّةِ وهَديلَ الحمامِ!

لا تقلقا .. آتٍ على أجنحةِ المَحبّةِ
على أجنحةِ الخَلاصِ
المَحبّةُ ماءُ الحياةِ
عُشبةُ خَلاصي وخَلاصِ أنبلِ الكائناتِ
المحبَّةُ حِبري المُعرَّشُ في حَبقِ السَّمَاءِ

لا تقلقْ يا جلجامشُ
يا جدّيَ الأزليَّ
آتٍ بكلِّ شُموخٍ
حاملاً أريجَ المَحبّةِ
في أوجِ تَجلّياتِ الإبداعِ!

لا تنقذُ الأوطانَ مِنْ جَحيمِ الحُروبِ
إلَّا المَحبَّةُ
لا تَمحَقُ شرورَ هذا العالمِ
إلَّا المَحبّةُ
لا تنصفُ البشرَ
إلَّا شموعُ المحبّةِ

وحدَها المحبَّةُ تُطهّرُ الرُّوحَ
مِنْ سُمومِ هذا الزَّمانِ
وحدَها المحبّةُ تنقّي القلوبَ
مِنْ تكلُّسَاتِ هذا الزَّمان
وحدَها المحبّةُ
تصفّي ينابيعَ الأوطانِ
مِنْ شوائبِ هذا الزّمانِ
وحدَها المحبّةُ تزيّنُ وجهَ الضُّحى
ببراءةِ ابتساماتِ الأطفال!

أيَّتُها الأوطانُ الخيّرةُ
أيَّتُها الأرضُ الطَّيّبةُ
يا أرضَ القداساتِ
فوقَ تُرابِكِ أزرعُ حنينَ القصيدةِ
على هِلالاتِ شُموعِ المَحبّة
ثمَّ تُضيءُ الدُّنيا بأبهى الابتهالِ!

تخورُ الأوطانُ
على نِصالِ الإنقسامِ
على إيقاعِ الحِرابِ

تزدَادُ تمزُّقاً كُلَّما قصَّتْ
تيجانَ الغَرامِ
كُلّما تاهَتْ عَنْ لبِّ السَّلامِ
كلّما ارتدَّتْ عَنْ هِلالاتِ الوئامِ
كُلّما غاصَتْ
في شَراهاتِ الخِصَامِ!

تخورُ الأوطانُ
في شَفيرِ الحُروبِ
تغوصُ في آبارِ الهَوانِ
في مَتاهاتِ الطُّغيانِ
لا ترى سوى هَدرِ الدِّماءِ
هدْرِ مرامي الإنسانِ!

الحروبُ لَطخاتُ عارٍ
في جبينِ فاعليها
في جبينِ مموّليها
في جبينِ أعقلِ عقلاءِ مُهندسيها!

الحروبُ جنونٌ مِنَ العيارِ الثَّقيلِ
كيفَ يَغوصُ إنسانُ هذا الزَّمانِ
في أوجِ تواصلِنا الكوني
في أعماقِ أجيجِ النِّيرانِ؟!

عهدٌ يزدادُ توغُّلاً في خلخلةِ أجنحةِ الشُّبَّانِ
عهدٌ مشروخٌ مِنْ كلِّ الجهاتِ
في انشراخِ خُدودِ الأوطانِ
غباءٌ أزليٌّ يُروِّجُ لثقافَةِ المَوتِ
يَرسمُ الموتَ كأنَّهُ بشارةُ خَلاصٍ
مِنْ أعتى براكينِ الوديانِ!

غباءٌ مَريرٌ يستفحلُ في أعماقِ الرُّؤى
عالمٌ في طَورِ الإنهيارِ
يَمحَقُ ما تبقَّى مِنْ يراعِ الرَّبيعِ
مِنْ بهاءِ الرَّيحانِ!

رؤىً مَحشوّةٌ بصَليلِ السُّيوفِ
مرتكزةٌ على فُنونِ الغدرِ
غدرٍ مَفتوحٍ على مَتاهاتِ الاحتراقِ
غدرٍ يزدادُ هبوباً
كأنَّهُ مُنبعثٌ مِنْ ضَراوةِ الرِّيحِ
مِنْ أنيابِ التَّماسيحِ

رؤىً حارقةٌ
أكثرُ ضراوةً مِنْ افتراسِ الوحوشِ
مِنْ شراهاتِ التِّيجانِ!

غدرٌ يُطيحُ بعذوبةِ النَّدى
وقفَ الجِرحُ شاهراً دمَهُ
على مِساحاتِ المَدى

حروبٌ غادرةٌ تفرشُ شظاياها
فوقَ جفونِ الأوطانِ

تتلظَّى أوطانٌ بينَ أنيابِ الحِيتانِ
حيتانٍ مِنْ كلِّ الجِهاتِ
مِنَ الشَّرقِ
مِنَ الغربِ
مِنَ الشَّمالِ
مِنَ الجُنوبِ
مِنْ أعماقِ البحارِ

تجتاحُ جشاعةُ الحيتانِ أحلامَ الأوطانِ
تبيدُ دبيبَ الأرضِ
تُحرِقُ طُموحَ الإنسانِ كأنَّها ألسنةُ نارٍ
مُتشرشرةً مِنْ شَراهاتِ الشَّيطانِ!

وقفَ جُنونُ هذا الزَّمانِ جاحظاً عينيهِ
غيرَ آبهٍ بالطُّفولةِ
ولا بشيخوخةٍ طاعنةٍ
فارشاً شراهاتِهِ المَمْجوجةَ
فوقَ طموحِ وآمالِ الإنسانِ!

ماتَتِ الأحلامُ في مُقتبلِ العمرِ
أثناءَ الولادةِ
قبلَ الولادةِ

ماتَتْ في أحشاءِ الأملِ
وَجعٌ على مِساحاتِ الحُلْمِ
تاهَتِ الأحلامُ في مَهبِّ الضّجرِ
اغبرَّتِ الرُّؤى
ولَمْ يَعُدْ هناكَ بصيصُ أملٍ
يقودُ الشَّرقَ إلى ضياءِ القمرِ!

ماتَتِ الأحلامُ
قبلَ أنْ تعلوَ قاماتُ الشَّبابِ
غدرٌ في جبينِ العمرِ يلهو
تخلخلَتْ أجنحةُ الأوطانِ
عندَ بزوغِ الشَّفقِ

ما قيمةُ الجنّاتِ وفراديسِ النَّعيمِ
لو تمرَّغَ المرءُ
في طِينِ الحياةِ
في قاعِ الجحيمِ؟!

معادلاتٌ مخرومةُ البنيانِ
تُحاكُ في عَتْمِ اللَّيلِ
لطَمسِ اسْتناراتِ الرُّؤى
في مرامي الكواليسِ
كي نبقى ممرَّغينَ
في بُرَكِ الطِّينِ!

وقفَ قاسم حدّاد مذهولاً
مِنْ هَولِ الدَّمارِ
تلظَّتِ القصيدةُ مِنْ أنينِ الجِراحِ
مِنْ استيلادِ لُغةِ المَوتِ
مِنْ استشراءِ أجيجِ النَّارِ!

وَجَعٌ في مُروجِ الرُّوحِ ينمو
ضَاعتِ الأحلامُ بينَ شَهوةِ الشَّراهاتِ
شراهاتٍ مَفتوحةٍ على أشداقِ القُبْحِ
جنونٌ حتَّى النُّخاعِ!

إلى متى يجتاحُ الدَّمارُ قلوبَ الفقراءِ؟!
إلى متى ستُهْدَرُ فوقَ أرضِ الحضاراتِ
براكينُ الدِّماءِ؟!

آهٍ .. تَهشَّمتْ خاصراتُ المدائنِ
احترقَتْ أجنحةُ الحَمامِ
توارى العُشَّاقُ بعيداً
بينَ جُفونِ اللَّيلِ
وحدَها القصيدةُ قادرةٌ على أنْ تُبلسمَ
قلوبَ الحُزانى
تخفِّفُ مِنْ لَظى الاشتعالِ!

تلَظّتْ رُوحُ الماغوطِ
مِنْ تفشِّي شَفيرِ الخَرابِ
مُتسائلةً بكلِّ أسىً
أينَ توارَتْ حمائمُ بيتِنا العَتيقِ؟

اكفهرَّ وَجْهُ الشَّفَقِ
أنينٌ متواصلٌ
لا يُبارحُ قلوبَ الأُمَّهاتِ
وَجَعٌ تَغلغلَ في رِحابِ البِلادِ
اندهشَ الكُهولُ
وجنَّ جُنونُ العَجائِزِ
مِنْ هَولِ انْشراخاتِ العَذابِ!

مَنْ هشَّمَ بوّاباتِ العُبورِ
إلى مروجِ الغَاباتِ
مَنْ عفَّرَ وَجْهَ الضَّياءِ
مَنْ غَرسَ في جَسدِ البِلادِ
هواجسَ الارتيابِ؟!

وَجَعٌ يَزدادُ انْدلاعاً
في أَسرابِ الطُّيورِ
في أوجِ بهاءِ الغاباتِ
تفاقمَ في طولِ البلادِ
نعيقُ الغُرابِ؟!

تساءَلَتْ جمانة حدّاد بمرارةٍ حارقةٍ
ما هذا القَحْطُ الكونيُّ
الَّذي يُغلِّفُ خاصرةَ العالمِ؟!

جنونٌ مَاحِقٌ يمورُ
فوقَ زَغبِ القصائدِ
يُحرِقُ تدفُّقاتِ الخيال
تاهَتِ المدائنُ عَنْ ضَرعِ المحبّةِ
لاذتْ نحوَ هَفهفاتِ القصائدِ
وحْدَها القصيدةُ قادرةٌ بكلِّ ابتهالٍ
أنْ تَمسَحَ الأسى
عَنْ أحزانِ المَدائِنِ!

مَنْ أدمى جبينَ الشِّعرِ
مَنْ أحْرقَ أزاهيرَ الحيِّ
قَبلَ بُزوغِ الفَجرِ
مَنْ أغرقَ أحْلامَنا
في جَمرِ النَّارِ؟!

وحْدَها المحبّةُ تُعيدُ لقاماتِ البلادِ
بهجةَ البهجاتِ
وحدَهُ الوئامُ يُضيءُ مَنارةَ الرُّوحِ
يخفِّفُ مِنْ ارتصاصِ الآهاتِ!

غليانٌ مُريعٌ يخيّمُ
على خيالِ أدونيسَ
على مسائِهِ العاجّ بأسئلةٍ مُعرَّشةٍ
في اشتعالاتِ صُدورِ الأوطانِ
أوطانٍ على قابِ قوسَينِ
مِنْ تُخومِ الافتراسِ
مِنْ جُنونِ هذا الزَّمانِ
مِنْ هَلوساتِ الصَّولجانِ!

هَلْ تلمَّسَتْ مُقلتَاكَ راحةَ بالٍ
إزاءَ ما تفشَّى مِنْ قُبْحٍ
في دُروعِ الصَّولجانِ؟!

صَولجاناتُ الغربِ
تزدادُ تكالباً على جَماجمِ الشَّرقِ
وصَولجاناتُ الشَّرقِ
تزدادُ غَيَّاً في مَهبِّ التِّيهِ؟!
شراهةٌ مُريبةٌ تَقدحُ
مِنْ صَهيلِ الصَّولجانِ

تَاهَتْ سياساتُ الشَّرقِ عَنْ مَنارةِ الحياةِ
غَاصَتْ في غُبارِ التُّرَّهاتِ
مِنذُ اندلاعِ أَجيجِ الصِّراعِ!

أينَ أنتَ يا طاغورُ
كي ترى انحِدارَاتِ هذا الزَّمانِ
كي ترى ضُمورَ حَضاراتِ الإنسانِ
كي ترى تفشّيَ أبجدياتِ الطُّغيانِ
على فقراءِ هذا العالمِ؟!

تقعَّرَتْ يقظةُ الرُّوحِ وصَفاءُ القَلبِ
تراخى وهْجُ الضَّميرِ الحيّ
حصارٌ مَريرٌ لحِكمةِ العَقلِ
انحدارٌ نَحوَ شَفيرِ الهَلاكِ

تتنامى الآهاتُ ولا تلوحُ في الأفقِ
تباشيرُ انبلاجِ عَقلٍ مُستنيرٍ
ضمورٌ بغيضٌ في مَنارةِ الأخْلاقِ
كيفَ لَمْ يقرأْ ساسةُ هذا الزَّمانِ
أبجدياتِ الحكمةِ عِندَ طاغورَ؟!

انزياحٌ مخيفٌ عَنْ مرامي الخيرِ
انقشعَتْ قِيمُ المحبَّةِ
فوقَ وجْنةِ الأرضِ
تعالوا يا مبدعي هذا العالمِ
نزرعُ روحَ المُسامَحةِ والوِئامِ
روحَ الودادِ والسَّلامِ في نفوسِ البَشرِ
نستمدُّ مِنْ رؤى طاغورَ سَعادةَ البشرِ!

وحْدَهُ الشِّعرُ صَديقُ الكائناتِ
صَديقُ البرِّ والبحرِ وأقاصي السَّماءِ
صَديقُ شاعرةٍ مِنْ نضارةِ النَّدى
شامخٌ كنورِ الضِّياءِ!

أينَ أنتَ يا أراغونُ
يا وهجَ الشِّعرِ المتناثرِ
فوقَ حنينِ المَحبّةِ
فوقَ حنينِ "إلسا"
روحُكَ تحلّقُ فوقَ غُربةِ هذا الزَّمانِ
مَذْهُولةً مِنْ تَفاقُمِ الآهاتِ

شِعرُكَ بَلْسَمُ فَرحٍ يَشْفي القُلوبَ المَكلومةَ
مِنْ الجِراحِ المستولدةِ
مِنْ شراهاتِ الصَّولجانِ!

مندهشٌ ممَّا أراهُ
تاهَتْ أخلاقيّاتُ قُرونٍ مِنَ الزَّمانِ
في مَهبِّ الضِّياعِ
كأنَّ الزَّمنَ في حالةِ تِيهٍ وعُبورٍ
في أنينِ الأسى
في مرامي الطُّغيانِ!

حروبٌ حارقةٌ
تطحنُ أغصانَ الحنينِ
تُفرّخُ أشواكَ الأنينِ
فوقَ رقابِ البَنينَ
تنخرُ في جنباتِها سُمومُ الطُّغيانِ
طُغيانِ الغَباءِ على صَفاءِ الإيمانِ
طُغيانِ الحِيتانِ الكبيرةِ
عَلَى مَلايينِ الغُزلانِ
طغيانِ جشاعةِ الإنسانِ
على صَلاةِ الرُّهبانِ
وخلخلةِ أخلاقياتِ الأديانِ!

أينَ ولَّتْ حِكمةُ الحُكَماءِ
المتناميةُ عَبرَ تاريخِ الإنسانِ
أينَ تلاشَتْ رؤى التّنويرِ
على مدى الأزمانِ؟!

انزلاقٌ نحوَ أغوارِ الجحيمِ
جنونٌ حتّى النُّخاعِ
أنْ أرى مَنْ يطرحونَ أنفُسَهم
جبابرةَ العصرِ
أكثرُ ضراوةً مِنْ أنيابِ الضَّواري
ذئابٌ آدميّةٌ
أكثرَ افتراساً
مِنْ وحوشِ البراري!

رصاصٌ أخرقُ يموجُ
فوقَ خارطةِ الطُّفولةِ
يَمحَقُ طُموحَ الشُّبَّانِ

سقطَتِ الحضارةُ مِنْ شَراهاتِ الطُّغيانِ
طُغيانِ الدُّولارِ فوقَ رِقابِ الأوطانِ
أوطانٍ تتأرجحُ على مَتاهاتِ القُبْحِ
تتهاوى فَوقَ شَراهاتِ التِّيجانِ!

لماذا أوطانُ الشَّرقِ تتلظَّى دائماً
في مرمى النِّيرانِ
تُزهَقُ الأرواحُ بكلِّ رعونةٍ
وتنسابُ الدِّماءُ مِنْ قلبِ الإنسانِ؟!

يئزُّ الرَّصاصُ أزيزاً مُدبَّقاً بالموتِ
رصاصٌ غادرٌ يصحّرُ الرُّوحَ
قبلَ حُلولِ الأوانِ
رصاصٌ ينهمرُ
فوقَ مسارِ الأحلامِ
يهرسُ دونَ وَجلٍ عيونَ الوئامِ

يَخترِقُ بكورةَ الصَّباحِ
يُسمِّمُ عذوبةَ النَّدى
فوقَ خُدودِ الرَّيحانِ
موتٌ يجلجلُ في قلوبِ الأُمَّهاتِ
يطحنُ دونَ رحمةٍ عظامَ الشُّبّانِ!

رصاصٌ غادرٌ يضعُ حدّاً لدقَّاتِ القلبِ
لرحابةِ الحلمِ
لحنينِ الشَّوقِ
لهديلِ الحمامِ

رصاصٌ يتهاطلُ
فوقَ قاماتِ المدائن
مُرتكزٌ على جنوحِ الجُنونِ
رصاصٌ يُدمي بَسمةَ الوطنِ
وَطنٍ أبدعَ الحرفَ
مِنْ خُصوبةِ السَّنابلِ

وَطنٍ مجبولٍ بالشُّموخِ
بكنوزِ الدُّنيا
بتراتيلِ المَحبّة
ببَخورِ الإيمانِ

الوطنُ مُعرَّشٌ
في أريجِ الحَضاراتِ
مَمْهورٌ بسموِّ رَنينِ الأجراسِ
وطنٌ مفخَّخٌ بآفاقِ الشَّيطانِ
تتهاطلُ شظايا الغَدرِ فَوقَ هاماتِهِ
ماتَتْ أهازيجُ الرُّوحِ
مِنْ تكاثُرِ سُمومِ الإنسانِ!

غباءٌ مستشرٍ في أرجاءِ المكانِ
لَمْ تَعُدْ للحكمةِ منارةُ بوحٍ
اخترقَ الغباءُ برعونةٍ ماحقةٍ
أزاهيرَ الرَّبيعِ
مُهرِّشاً أغصانَ الأشجارِ
مبدِّداً ظلالَ الأدغالِ!

رصاصةُ الغَدرِ والخياناتِ
عَبرَتْ في أعماقِ البراري
خَلخلَتْ أعناقَ المدائنِ
هتكَتْ حُرمةَ البُيوتِ
أَحرقَتْ بكلِّ فَجاجةٍ
آخرَ ما تبقَّى
مِنْ شُموخِ الصَّلصالِ!

وطنٌ مُعشَّشٌ بالأشباحِ
أُمَّهاتٌ على شفيرِ الجُنونِ
بكاءٌ لا يُفارقُ خيوطَ الصَّباحِ
نامَتِ المدائنُ على أنينِ الأحزانِ
فَرَّتِ الغزلانُ بعيداً
عَنْ شراهةِ الافتراسِ
ليلٌ مُرصرصٌ بالكوابيسِ
شراهاتُ رؤىً
تُضاهي صِراعاتِ الأدغالِ!

بَلادةُ أفكارٍ تقتحمُ ضياءَ الرُّوحِ
تُزمْجِرُ بافتراسٍ في لُبِّ الحياةِ
تُدْمي وجْنةَ الهواءِ
مُفحِّمةً طراوةَ العُشبِ
تنثرُ شراهةَ الرَّصاصِ في وجْهِ الصَّباحِ

تُعفِّرُ حُبورَ العُمرِ
تُمرّغُهُ بِكلِّ شُرورٍ
فَوقَ نَضارةِ التُّرابِ!

ألمٌ لا يفارقُ نُفوسَ الأُمَّهاتِ
وَطنٌ غَافٍ على أنيابِ الافتراسِ
وُحوشٌ آدميّةٌ
تجتاحُ أعماقَ الحُلْمِ
تُدمي خواصرَ الأرضِ والسَّماءِ
تَغوصُ في قاعِ البحرِ
تُسمِّمُ بسْمةَ الصَّباحِ!

جِراحٌ على امتدادِ المُحيطِ
اكتسحَتِ الآفاتُ مَنائرَ العُمرِ
لَمْ تترُكْ بيتاً على بيتٍ
إلَّا وفتكَتْ بِهِ وازدادَ فيه أجيجُ الجمْرِ!

حضارةُ آلافِ السِّنينَ تَنزلِقُ
نحوَ شفيرِ النَّارِ

يهجمونَ على شُموخِ الحَضارةِ
يفترسونَ أبهى ما في الفنونِ
يتربَّصونَ في عَرينِ الحَجارةِ
يُخلخلونَ جَمالَ الحَضاراتِ

يحرقونَ كُتباً مُنبعثةً مِنْ روحِ الأعالي
مِنْ أسمى تَهاطلاتِ السَّماءِ!

ينشرونَ فكراً معفَّراً بوَخَمِ الرَّمادِ
لا تَفلَتُ مِنْ شُرورِهم نوارسُ البحارِ..

يقتلونَ الموتى في قبورِهِم
فرَّتِ البلادُ بعيداً مِنْ جَحيمِ الحياةِ
تاركةً خلفَها خَلخلاتِ العِظامِ

موتٌ في ظِلالِ البُيوتِ العتيقةِ
موتٌ في أعماقِ الأزقَّةِ
في بؤرةِ الأحلامِ
في قلبِ الغاباتِ

ماتَتِ الأحلامُ
في هَدهداتِ المهدِ
جُنَّ جُنونُ الأرضِ
وتاهتِ النُّجومُ بعيداً
عَنْ مَسارِ الصَّبَاحِ!

اقشعرَّتْ قلوبُ الجَانحينَ
نحوَ هديلِ اليمامِ
مذهولةٌ مِنْ تفاقمِ لغةِ النَّحيبِ

تخلخلَتِ الرُّؤى المعبّقةُ بنداوةِ المَطرِ
وتهاوَتْ لُغةُ المحبَّةِ
فضاقَتْ فُسحةُ الأحلامِ!

أوطانٌ مهووسةٌ بلُغةِ التَّصدُّعاتِ
مصابةٌ بشراهاتٍ مفتوحةٍ
على أبجديَّاتِ القتلِ
مهووسةٌ بلغةِ الغَدرِ وهَدرِ الدِّماءِ
لا تفقهُ معنى الشَّهيقِ
بعيدةٌ عَنْ رَفْرفاتِ سُموِّ الحياةِ!

أوطانٌ متدلدلةٌ في قيعانِ البؤسِ
تقبعُ بكلِّ فظاظةٍ في أقبحِ الصِّراعاتِ
بعدَ أنْ أبدعَتْ أولى
أبجدياتِ الكونِ
بعدَ أنْ كانتْ مَنبعَ الحضاراتِ
غدَتْ مَرتعاً لأقذعِ الضَّحالاتِ
أوطانٌ مفخَّخةٌ بظُلمةٍ ظالمةٍ
غاصَتْ في صِراعِ التُّرَّهاتِ!
شاخَتْ رؤى سادةِ القومِ
مِنْ طُغيانِ شَهوةِ الانغلاقِ

أوطانٌ غارقةٌ
في قاعِ الكآباتِ
بعيدةٌ عَنْ اخضرارِ مُروجِ العُمرِ
ضلَّتِ الطَريقَ
إلى عُذوبةِ المَاءِ الزُّلالِ

أوطانٌ معلَّقةٌ مِنْ خاصراتِها
آفاقٌ عقيمةٌ تُهيمنُ
على تجاعيدِ العُقولِ
لا تقرأُ شَفيرَ الحُروبِ
على مرِّ العُصورِ
ولا تَرسمُ مَعالمَ الغَدِ الآتي
تاهَتْ في دهاليزِ المَوتِ
تَصُبُّ رؤاها في عَتْمةِ القُبورِ!

ذاكرةُ مشتعلةُ بالآهاتِ
مَنْ يستطيعُ أنْ يُخفِّفَ
مِنْ ضجرِ الصَّباحاتِ

انقرفَ ظهرُ الجِبالِ
تهرّأتْ جُذوعُ الأشجارِ
تصحَّرَتِ الآفاقُ
مَاتَتِ الكائناتُ مِنْ هَولِ الدَّمارِ
فرَّ الشُّبَّانُ عالياً
بعيداً عَنْ غَدْرِ البِحارِ!

نهاية الجزء الخامس عشر،
يتبع الجزء السَّادس عشر!

ستوكهولم: 2013، 2015، 2016، 2020

* أنشودة الحياة: نصّ مفتوح، قصيدة شعريّة ذات نَفَس ملحمي، تتألّف من عدّة أجزاء، كلّ جزء (مئة صفحة) بمثابة ديوان مستقل، ومرتبط مع الأجزاء اللَّاحقة. أنجزتُ المجلّد الأوّل، (عشرة أجزاء)، وأشتغلُ على أجزاءِ المجلَّدِ الثَّاني، يتناولُ النَّصُّ قضايا إنسانيّة وحياتيّة عديدة، مركّزاً على علاقةِ الإنسانِ مَعَ أخيهِ الإنسانِ، مَعَ الطَّبيعةِ، مَعَ الكائناتِ، مَعَ الأرضِ والسَّماءِ كمحورٍ لبناءِ هذا النَّصّ ـ الأنشودةِ المرَفْرِفةِ فوقَ وجنةِ الحياةِ، وقَدْ استلهمْتُ تدفُّقاتِ هذا الجزءِ "الخامس عشر" مِنْ فضاءَاتِ وعوالم جنونِ الحُروبِ والاشتعالاتِ والصِّراعات المَقيتةِ في بلادِ الشَّرقِ، تاركاً قلمي يغترفُ مِنْ شراهاتِ الاشتعالِ آهاتِ بوحِ القصائدِ! وحملَ هذا الجزءُ عنوانَ:

"أحلامٌ مشروخةٌ على قارعةِ المتاهاتِ"!





نامَ اللّيلُ بعيداً عن شفيرِ النّارِ
بعيداً عن جلافةِ الحروبِ
نامَ فوقَ جفونِ الغاباتِ
أحزانُ الشّرقِ تجاوزت حدودَ الأنينِ
صبّتْ في قاعِ المرارات!

عبرتْ الأحزانُ أمواجَ البحرِ
تاهتْ في أعماقِ القاراتِ
أحزانٌ مجذّرة بلظى القهرِ
مخضّبةٌ بحشرجاتِ الموتِ
مشرّبةٌ بالجَراحِ من تفاقمِ هولِ الآهات!

شرقٌ مُشرشرٌ بلغةِ الغدرِ
غدرِ الذّاتِ جرحٌ من أبلغِ جراحِ الحياةِ
شرقٌ مندّى بأشهى الخيراتِ
يحومُ حولَ نفسِه
لا يرتوي إلّا من الغوصِ
في صراعِ التُرّهات!

صبري يوسف

Designed By Jan Sushi
www.jansushi.com

دار نشر
صبري يوسف

باب القصَّة





قصّة قصيرة للقاص العراقي هيثم بهنام بردى

1

[الصورة الأخيرة]

بحدقتين أرمدهما الرمل الحار اللزج الوخم، وأضناهما ثقل يرسف من مؤخرة جمجمته منحدراً من جبينه المقدّد بالشمس العاصرة وأبهرهما سطوع السماء الدائم، يرسم خطاً دائرياً وهمياً، يحاول من خلاله استجلاء معالم الأفق علّ صبيرةً أو هيكلاً عظمياً لحيوان أو بعير نافق يستدعيانه للتفيؤ في ظلالهما، وربما يجد ما يخرس رياح الجوع التي تقتلع أمعاءه وسياط الظمأ التي تلسع أحشاءه... المدى يترامى أمامه سجادة عسجدية من رمل فائرٍ تعوي في كينونته مثل ذئب عافه القطيع، ينتظر مخالب الموت، يسحب نظره المنداح نحو الأفق ويرميه بوهن حواليه، لا شيء سوى الرمل، رمل لا يحده نظر، وبحر يتلاطم أمامه متسارعاً نحو الأفق، أمواجه سراب متكاثف تحلّق في فضاءه نوارس تبتكره أخيلته المبتلية في إيجاد تفسير منطقي لوجوده الفريد والرومنطيقي في هذه البقعة النائية من الكون، يجمع شتات بصيرته ويحاول أن يجلي هذا الساتر الضبابي الذي يسلفن تفكيره ويشّله، ولكن دون جدوى فالخواء يفضي إلى آخر أكثر كثافة، وحين أعيته الحيلة، أو توقف تفكيره في البحث عن الحل، استظل غيمة التشوش التي تمطر فوق وجدانه زخات من الضياع والخوف من الآتي المتمثّل بكائن يحمل جسداً غابت عنه الذاكرة، يقضقض أيامه وسنينه في البحث عنها، يشعر إن قواه تنسل من بدنه فتخور عزيمته ويستلقي على ظهره، يشعر أن الرمل يلتصق بظهره فتلسعه حرارة كاوية، يرفع رأسه مشكلا مع جسده الراكن على الرمل كقشة لا معنى لها زاوية قائمة ويقذف نظرة عجلى متسائلة فيكتشف عري صدره وبطنه وبنطاله الممزق عند الركبة اليمنى تتلمه بقع من دم متخثر في أرجاء شائهة منه، يهمس لنفسه وهو يلقي رأسه ثانية على الرمل...

– ما الذي أتى بي إلى هنا...؟

يرتحل ثانية إلى عالم الذاكرة، يفلح في اقتحام غيوم الضباب الواحدة تلو الأخرى فتتهاوم في أعطافها صور لا يربطها رابط ولكنها تبدو مثل سالب رديء لصور مصّور فوتوغرافي أفني سنينه في توثيق واقعه اليومي إلى ذكريات، فتدخل ذاكرته صندوقها العجيب لتجلو أمامها سوالب صور تتراءى أمامه ذكريات بعيدة مشّوشة: بيت... بيت يغلفه الغموض على أطراف الغابة، غابة أشجارها باسقة، أهي أشجار الصنوبر أم السنديان أم النخيل، وامرأة... امرأة متلفعة بالضباب والغبار، أهي عجوز أم يافعة، متزوجة أم صبية، تحمل إناءً مملوءاً بالحب، أهو الذرة أم الشعير أم فتات الخبز، تغرف منه بكفها ثم تلقيه إلى أسراب الوز والبط

والدجاج والديك الرومي وغيمة متساقطة من الحساسين والقبرات والحمائم غير الداجنة، وطفل تشوشه الذاكرة بحيث لا يعرف إن كان ولداً أم بنتاً يركض خلف كلب سلوقي يتقافز فرحاً وغبطةً ويقعي إزاء حصان مربوط في جذع شجرة يحمحم ويزنخر كلما شمّ أو رأى شاباً يقطع أفنان الأشجار المتيبسة قرب بئر يركن بجانبها دلو قديم.... وتتشوش الرؤية ثم تختفي حين تكوي عينيه حرقة لاسعة جراء تطاير ذرات الرمل الرامضة إلى وجهه، يتساءل متجاهلاً الألم...

– من هؤلاء...؟

يحاول أن ينهض جسده، يعجز... يطرح تساؤلا على نفسه.

– لم أنا متعب لهذا الحد...؟

يرفع سبابته ويحك أنفه، يتحسّس شفتيه المتيبستين كشقوق مفتوحة لأرض ممحلة خنقها الظمأ فتحولت إلى أخاديد موات تنتظر القطر أو الغيث أو السيل لتروي ظمأها لفترة وجيزة ومن ثم فليحل التصّحر أو الطوفان... تستدعيه جمجمته للولوج إلى صندوق المصور الفوتوغرافي الشائب، يتملى تفاصيله بإمعان، انه يشبهه كثيرا، ولكن السنين قد تركت فيه إبداعها فحصدت شعره الأسود وحولت هامته إلى صحراء مديدة تنتشر في بعض جوانبها شجيرات الصبير تعبث بها الريح أنى ما شاءت، وعيناه سجينتا نظارات طبية سميكة تركتها إحدى ماسكاتها فاستعاض عنها بمطاط أسود يحصر صلمة أذنه المشعرة بشدة، وفي رقبته حبال لحمية تعزف لحن الزمن الذي يجعل كل من يسمعه يشيخ باستثنائه هو فهو دائم الشبوة، لمح المصور يبتسم عن فم نصف أسنانه مقلوع والنصف الآخر منخور، وبصوت موسيقي يقول.

– هيا... سأريك صورتك الأخيرة.

ويخرج من فتحة جانبية من الصندوق صوراً يضعها في سطل به ماء أصفر ثم يدخل كفه ويرج الصور حتى يخرجها أخيرا ويعلقها بقراصات على السيقان الطويلة التي يقف عليها الصندوق، يبتسم بغموض يستشف منه بعض التفاؤل ثم يلملم عدته، يضع الصندوق الخشبي على كتفه ويتنكب بكتفه الآخر الحامل الخشبي ويحمل بيده الطليقة السطل المليء بماء تفوح منه رائحة حامضية ثم يتسلم الطريق صاعداً نحو الأفق وقبل أن يغيب يلتفت، يبتسم، ثم يستمر وكفاه تلقيان صوراً تتطاير نحوي الواحدة إثر الأخرى... التقطها ثم رتبها وحاول أن يسلسها فتنجلي بعض الأشياء بشكل مشّوش:

غزالة مذعورة، روحها تسابق سيقانها التي تجلد الأعشاب والأدغال والشجيرات الغضة الطفلة والرغوة الكثيفة تتشّكل في زاويتي فمها وتتماهى مع الدموع المنسابة من العينين الساحرتين، وفي جريها المحموم تحاول أن تبتعد عن سنابك الفرس التي تلاحقها والملبية لصراخ رجل يمتطي صهوتها ويحثها على اقتناص الطريدة، وفي نهاية الصورة كلب سلوقي يحاول الموازنة في المسافة المحصورة بين أقدامه وذيل الغزالة... صور تتالى في ذاكرته تجعل المقارنة بين الفارس الذي يتّقنع كيانه ووجهه المصلوب على الصور المفترضة أمام

رؤاه المضبّبة شيئا أشبه بالحلم، وكذلك وجه المقاربة أو التذكير أو التشبيه بين عيني الغزالة وعيني زوجته المنتظرة، قابل للتحّقق كون الاثنتين، الغزالة والزوجة، تحملان نفس السمات، وثمة في إطار الصورة مقاربة أخرى أقل جنوحاً للخيال ولكنها ليست صعبة التحقّق سيما وأن السعي لتحقيقها جار في الواقع في الاثنين معاً... فالأول الرشيق الرهوان يحلم بعلف من دريس الشعير والتبن، والثاني الرشيق السلوقي يحلم بعظمة هذا الفخذ الشهي الراكض أمامه بتلك السرعة الخارقة التي أنهكته وهو الخبير بفنون المطاردة وجعلته يفكر في الكف عن المطاردة، بيد أن عظمة الفخذ الشهية للغزالة شحنته بقوة مضاعفة للانقضاض على الجسد الجميل وأسره بين فكيه....

انتهت الصور وتوضح الموقف ماعدا النهاية، ثمة صورة ناقصة تكشف نتيجة ما حدث، فهو لا يتذكر كيف اختفت الغزالة والحصان والسلوقي والغابة والطموح، هو... فقط صحا على نفسه وجسده أسير الشمس والرمال والتيه والعطش والوهن والخوف، هو وحده بقي يعالج سكرات الضياع معانقاً الدبق والرمضاء وانتظار المجهول...

عيناه بندولان يتراقصان بإيقاع رتيب ويحتويان المدى المترامي الأزرق الصافي كعيني طفل وليد أو عيني الديك، تحاولان أن تبحثان عن غيمة، أيا كان لونها، بيضاء، رصاصية، سوداء، ولكن ليس ثمة غير سماء ذات ازرقاق حاد، وتذكر طرفة رواها أحد أصدقاءه عن الغيم والمطر وهما يحتسيان الحليب الساخن في المقهى فأفلتت الضحكة من شفتيه عفواً... صافية، جهراء، واهنة، وهو يستنبط غموض النفس الإنسانية وشطحات الروح، فبوضعه الفريد والمأساوي هذا، كيف يعّن لتفكيره التحليق إلى هذه الآماد، ما يحصل له الآن من ابتكار الأخيّلة، مصور شائب، مقهى، يمكن أن يحلم المرء بكل هذا وأكثر لو تهيأت له كل وسائل الراحة من مأكل ومشرب وهناء واسترخاء و... ماء، وهاجمته لظى الفرن الذي يفري أمعاءه والذي ينتظر رشفة أو حتى قطرة من ماء، صرخ بقوى واهنة.

– ماء.

وبعد أن هصر أسفل بطنه.

– يفريني الظمأ.

فيستجيب لصرخاته كائن ما كان يتصور أن يراه في حياته على حقيقته بهذا الجلاء وهذا الوضوح، كيف لم يعاينه حين حدق في السماء رغم أن الفضاء ملعبه ومرصده، ومنها تنطلق صولاته الناجحة، يقترب منه ببطء، ربما يجتهد بعينيه الصفراوين الحادتين، أن يتيقن من حقيقة هذا الرجل نصف العاري الذي يلتحم بالرمل، هل هو حي أم ميت؟... مخالبه الحادة كنصل الحربة تنغرز في الرمل ثم ترتفع نافضة عنها ذرات الرمل الجريحة وبدنه العملاق يتحرك نحو الأمام استجابة لتعاقب الرجلين العضلتين النافرتين المريشّتين مثل فرسان القرون الغابرة، يسمع نبرة المصور الهازئة.

(نهاية رومانطيقية منطقية غاية في الجمال.)

تأمله بعينين لا تستكينان، يقف على رأسه، يصير مظلةً تطرد أسياخ الشمس عنه، يتمنى أن يكون هذا الشيء حجراً من ريش أو عموداً من ملح أو يقطينةً تسّور وتسّقف جسده الوسنان الباحث عن الراحة، راحة آنية أم أبدية، لا فرق، لا أهمية لماهيتها البتة، المهم أن تطفئ ظمأه، إلى الدعة، أو الارتواء من الماء، أو الطعام، أو أي شيء ينسيه الشواظ الذي يشوي جسده وروحه... أحلامه التي شيّدها في وجدانه خلال اللحظات الفائتة تقوضت بغتة حالما تحركت المخالب ترسم في خطاها الواثقة دائرة حول جسمه، تابع حركته بلا إحساس، فليس خائفاً أو متوجساً، بل أن بلادة وعدم اكتراث شّعا من كيانه وبات موقنا بأن الأمر لا يعنيه البتة، توقف الطائر خلف رأسه، كاد منقاره الحاد المعقوف يلامس جبينه وحدق في تفاصيل وجهه بعينيه الصفراويين، تصّور هذا الاصفرار بحراً يقتلعه من أوتاده الرملية وتضمه إلى وسائد من ماء رغوي بارد تميس فوقه النوارس وغيوم متزاحمة تتوالد من أرحامها جيش من الأنهار، رفع أنامله ومدها نحو المنقار المتراجع ولهج...

– ماء..

رفع الطير رأسه وتملى الكف الممدودة ونهض الجسد العملاق فارشاً جناحيه الهائلين مشّكلاً فيئاً دائرياً لوهلة خاطفة في المدى الذي يهصره ثم ارتفع محلّقا في شعاف السماء.

– ماذا يفعل النسر في الصحراء..؟

وبعد برهة.

– لِمَ لَمْ يقطعّني ويلتهمني...؟

ويتراءى له المصور الشائب وفي يده صورة مشوشة، يتملى تفاصيلها المغلفة بالضباب وقشرة الذاكرة المشّوشة، يلمح جسداً أشبه بالغزال وكتلتين سوداوتين غير واضحتي المعالم ولكن تبدوان كحيوانين، ربما جمل أو حصان، كلب أو جحش، حاول أن يتقصى التفاصيل ولكن المصور يضعها في جيب معطفه ويتنكب الدرب خارج أبعاد الذاكرة.

أجال عينين مرمدتين في الأرجاء، رمل، رمل... ولا شيء سوى الرمل المجّبب بالصهد الثاوي، وعراء لا يحّده حدود إلاّ من كثبان رملية بعيدة، وهطل عليه سؤال.

– لم لا تقترض الصحراء من الواحات مياهها..؟

وضحك لهذا الخاطر الغريب وتساءل.

– هل أنا أهذي....؟!!

..... وبوغت بهم يملئون الفضاء بطيرانهم الرشيق، أجساد أربعة يشقّون عباب الفضاء بأجسادهم المغزلية العملاقة الرشيقة وأجنحتهم الممدودة على سعتها، يرسمون في السماء دربا مستقيما مثل موكب جنائزي،

وعندما استقروا فوقه انحدروا بأجنحة لا تريم ورؤوس محنية نحو الأسفل وقوادم معقوفة ناصلة حادة وكأنها دواليب طائرات ممدودة تحت الصدور والبطون، فغر فاه وقال لنفسه.

– ما أحّد أظفارهم...؟!!!

ثم استتلى بنبرة تهكمية.

– يا له من نسر ناكر لذاته، أبت نفسه النقية أن تستحوذ على الفريسة لوحده فدعا أقرانه وبطيب خاطر لوليمة دسمة.

توزعت النسور حول جسده،... ينادي خلّه، المصور الشيخ فيلبى الآخر النداء على الفور، يتوسل إليه.

– أرني الصورة الأخيرة..؟

يبتسم الآخر ولم ينبس ببنت شفة.

وقف اثنان عند قدميه والآخران عند كتفيه، هيأ نفسه ذبيحةً، أغمض عينيه يترقب الآتي الرهيب، ويرى ابتسامة المصور تتسع وفي يده الصورة، يهمس برجاء.

– أرجوك...؟؟

يضع الآخر سبابته غلى شفتيه، وعيناه تبتسمان سخريةً أو شماتةً، ثم يهّز رأسه يمنة ويسرة، ويدس الصورة مقلوبة فوق الصندوق الخشبي.

– النهاية؟!! أتوسل إليك...

يفرد الآخر ذراعيه ثم يستدير ويغيب عن ناظريه وابتسامته الغامضة تنساح مغطية الصحراء والسماء والأفق،.... وصحا على نفسه وهو يطير في السماء، لم يصدق عينيه السابحتين بلجاحة وسعير لا يستكينان حين لمح أمام مد بصره نسران يمسكان بمخالبهما بقايا قميصه وعيناهما تستقرآن عينيه، لمح فيهما إمارات الحكمة والعطف والألفة، رفع رأسه وحدق في قدميه، فوجد نفسه مربعا بأربعة زوايا يقبض على كل منها نسر يسعى مع رفاقه في طيران متناغم حثيث متمهل والعيون شاخصة بخط مستقيم صوب هدف مشترك، لا يدري من أين أتته النبرة التهكمية هذه لأول مرة في حياته حين وجد نفسه يقول.

– لا بد أنهم يطيرون نحو الأعشاش حيث الفراخ الجائعة.

وغّب فترة تأمل.

– ترى هل ستكون قسمة ضيزى..؟!! أم أنكم ستختلفون كما نحن البشر، وسيستأثر أحدكم بعد صراع دامٍ بي وليمة كاملة غير منقوصة، أم سيتفق اثنان منكما على تحريم الاثنين الآخرين، أم أن أحدكم سيستأسد على الآخرين ويظفر بالغنيمة لوحده.

وشعر أن البساط الطائر المكّون من هذا التشكيل غير المعقول يهبط بتمهل ورفق، أغمض طرفه موقنا نفسه بقبول ما سيأتي، فيزوره المصور هابطاً من الأفق وفي وجهه بسمة لم يستشف سجاياها، يهمس.

– الصورة الأخيرة..؟

يهز المصور رأسه دلالة الرفض،... فتح عينيه ثانية، تهيأ له ونظرات النسر الأيمن تعانق روحه، أن العينين... عينا النسر والمصور متشابهتان بل متطابقتان.

– ما الذي يجري..؟؟

قامت النسور الأربعة بحركة مشتركة موحدة هبط على أثرها هبوطا سريعا، فابتهل إلى الرب أن يمنحه ميتة سريعة خاطفة دون ألم، وانغمر..... في الماء، اصطدمت قدماه الواهنتان بالقعر، دق أقدامه في القاع وصعد نحو الأعلى، استوى فوق سطح الماء، صار كيانه كلّه فماً مفتوحاً يعّب جرعات الماء، فسقطت شآبيب المطر تملأ الأخاديد المشرعة للأرض الممحلة داخله، زغردت حواسه وامتلأت خلاياه الفارغة بالماء، غاص ثانية في طيات هذا الأزرق الحبيب النفيس وطاف ثانية، همس بارتواء وقناعة تامة.

– الآن اقتسموني ذبيحة مكتملة.

وجاس عينيه مستقصياً أبعاد المكان، على مد البصر وجد حدود الواحة التي تخّرمها أشجار النخيل من كل حدودها، واحة من مياهٍ سلسبيل، متفردة كنقطة بيضاء صافية وسط قماشة كالحة، والطيور تفر طائرة مذعورة نحو الصحراء... والنسور الأربعة على الأشجار تقطف بمناقيرها البلح الطازج من عثوقه الذهبية وتلقيه على جذاذات السيقان المحّززة الشاهقة، فيتدحرج قسم منه وينغمر في الماء، فيما الباقي يشّكل سجادة من ذهب مصفّى،.... ومن ثم وبتوقيت واحد طارت النسور الأربعة وشكلّت سهماً، نهايته فوق الواحة، ومقدمته في عمق الصحراء،... واختفت، واختفى المصور الفوتوغرافي في نفس الأفق، بعد أن منحه الصورة الأخيرة.

هيثم بهنام بردى

قاص وروائي عراقي مقيم في استراليا



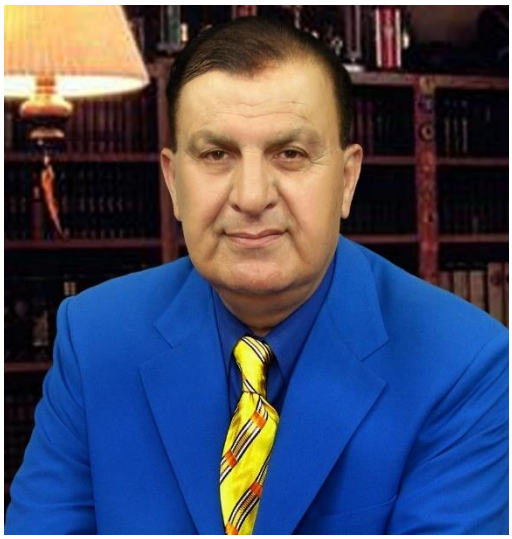

قصّة قصيرة للقاص العراقي إبراهيم سليمان نادر

2

إطار لقلب في الظل

جلست قبالتي وخوف يرش جسدها النحيل ، تتأبط حقيبة بنية اللون تحتضنها في إطباقة حانية ، إطباقة تضع فيها كل ما لديها من أسرار وطلاسم خشية الضياع ، إطباقة تنعش فيها كل رغباتها بالدفء والاتصال والتجلي .

على المقعد الحجري ، قرب (السنتر) في مدينة (براغ) ، جلست ترنو إليّ بأرتجاف ورغبة ، خوف ما يشدها بين البقاء والفرار ، وشوق يصطلي فيه مزيد من التودد نحوي .

إقتربت قليلا وتفرست وجهي بعينيها الخضراوتين ثم سألتني بحنان ودفء :

– أنت تشبهه تماما .

– من ..... ؟

– حبيبي .

– ممكن .

– أنت أجنبي ؟

– نعم .....

– من اين ؟

– من بلاد النخيل والرافدين والحضارات العظيمة .

– أووه ، بلاد الحضارات العظيمة ؟.

اقتربت مني حتى لامس فستانها ذراعي وعطرها يغسل كل شيء ، يغطي شذاه كل أرجاء المدينة العريضة.

همست لي بدفء ورغبة :

– أطلال حبي نسيتها ، خرائط موتي أجهلها ، وحين لفظني اعصار الزمن الجائر ، حكموا علي أن أذوب تسكعا تحت أشعة الشمس ، وأن أهديهم اسمي بخط يدي في غبش كل صباح .

رسموا لي دائرة وهمية بطبشورة صفراء ، خطوا حدودها ، ثم قالوا لي

(لا تبرحي هذا المكان والا .....) .

تركت كل شيء هناك وجئت هاربة ، أشياء قليلة هي التي حملتها معي ... صورة لملامح حبيبي ، وسلسلة امي ، وأيقونة من بحر الاغريق القديم .

كل المدن أصبحت باردة بدونه ، في كل معالم البشر فتشت عنه ، احتضنت كل الرجال بحثا عن دفئه الغائب ، حطمت كل الحواجز والسدود أمامي ، حتى الثلج حلمت أن اتمطى عارية فوق مساماته ولا أرتعش ، جبت كل الارصفة وزوايا الطرق وطفت في المدن (براغ وبرنو وكارلوفيفاري وجسكاليبا حتى نوفي بور وكهوف ماتسوخا المظلمة) ، ذرعت (جيكوسلوفاكيا) من الشرق الى الغرب .

صرت طفلة يائسة ضالة مازالت تبحث عن هويتها ، فقدت قدرتي على التلذذ بالاشياء . تجولت في الشوارع العريضة ، الصاخبة بالفنادق والمطاعم ومحلات بيع الالبسة وأفخاذ النساء .

يتصلب وجهي على وجه رجل ، أي رجل يومض لي (في .... سكراسنا) أي (أنت حلوة وجميلة) ، فيتوهج أمامي قليلا ، لكنه يبهت ثم يتلاشى مثل سمكة عجوز في بركة مليئة بالطحالب والفطر وأعشاب الماء .
أركض ، ألاحق هذا الرجل ، أختصر المسافات بيني وبينه ، تجف حنجرتي ، نظراتي تحتك بوجهه ، يخرج اليه صمتي عواء مبحوحا غامض التقاطيع ، داكن القسمات ، ثم يطل عليّ وجه غريب وعيون مملوءة بالتوجس والارتياب . أتراجع ببلاهة دونما اعتذار . يضحك بوجهي ويقسم بداخله انني مجنونة ، يزلزلني انكسار مفاجيء ، أقف مكتنزة بالاحباط والانهيار ، كل وجوه الناس نحاسية في حدقتيّ ، أجسادهم لامعة ، ملتصقة بعناية ، بين ذاك كله يتنفس التوهج ويسطع الامل على وجه رجل آخر ، أي رجل يبتسم رغم حزني المدمى ، وكعادته يفر مني الوجه ويخبو مرة أخرى .

العالم جريح في داخلي ، نزفه لا ينقطع ابدا ، قمري صامت صار يبلله الخجل والخوف من المجهول . هرولت في كل الدروب الخلفية

لـ (براغ) أو (براها) كما يسمونها هم . شوارع غاب عنها الضوء ففقدت ملامحها الحقيقية . دخلت في دهاليز قديمة وأزقة سوداء . كان وجهي يضيء لي للحظة على وجه امرأة تبيع الحب ، تطل عليّ من نافذة شحيحة الضوء ، أو من شرفة منسية على بناء عتيق أحاول اصطياده لكي أبقيه في ذاكرتي ولو لرمشة هدب أو رجفة جفن .

تنظر المرأة نحوي ضاحكة بأستخفاف مقيت (هل تبحثين عن رجل تتدفئين به حتى الصباح) .
أهرب بعيدا عنها ويفر مرة اخرى كل شيء مني ويبقى بعض الحماس يتنفس وئيدا في داخلي .
في شوارع تلك المدينة ، في الزمن الذي يتقمص فيه الخوف هيئة كائن غبي ، كنت وحبيبي نسير . نتوقف فجأة أقول له بغضب شهي (قبلني) يقول لي ضاحكا (هنا بالذات ... يمنع العناق وحمل الكتب والسلاح).

نضحك بصخب ، ثم أميل نحو شفتيه بنشوة وعنف، فأتنفس فيهما عطر تراب الحقول وصهيل الدم الفائر، ثم نحترق سويا بهدوء وصمت .

في المدن الاخرى ، رأيت اسمي وصورتي على ملصقات الشوارع وحيطان الازقة الخرساء (حبيبة ضالة ، لم تنل بعد شرف الشهادة والحب) .

كان حلما أو لحظة قريبة من الحلم . يطل وجه حبيبي من بين زحام الوجوه وتدفق الاجساد ، قمرا يتوضأ بالبسمة والاحزان ، تتمزق كل الملصقات أمامي وتسقط كل الجدران ، ثم يغور الجميع تحت جلد الارصفة الطابوقية المرصوصة باعتناء وفن مجهول المضامين والالوان .

قلت لها باسما :

– ما اسمك ايتها الضالة ؟

أجابت بابتسامة ماكرة :

– وما شأنك بي .

– معذرة ... لعلي اتمكن من مساعدتك في البحث عنه .

قالت :

– عن من ؟.

قلت :

– عن الحبيب الضال .

تنهدت ببعض ارتياح :

– ممكن هذا ... جائز ... حسنا ، فانا (روبيرتا .... روبيرتا جوستافا) طفولتي عذبة، لكن كآبتي قاسية، تمنع عينيّ من بكاء الماضي .

تموت وحشة العالم في حضني وأمتليء بدفق من لهيب يتأجج في المنام ، فيحرق ستائر نافذي . قال لي حبيبي (لا تقرأي صحف الغد ، ففيها اعلان عن موتي) . هذا النعي كاذب من أساسه ، يريد فقط الافلات والتملص مني . حبيبي معي طيلة الفصول والازمان .

مع صهيل ليل الدروب ومدينتي تنزف الضوء والحب والضياع . تغوص قدماي معه في عري الشوارع ، نغرق معا في الليل والتعب .

نتداعى ، نسقط اعياء على أرصفة (المترو) ، تتمخض في داخلنا أحلام شديدة التوهج لارض بعيدة وأطفال خضر ، وسنابل قمح بلون الذهب ، حتى ولو كانت حبلى بالشوك والصبار . نذهب الى فندق أو بنسيون صغير . نطلب حجرة بسرير واحد . أوراقنا الثبوتية ذابت بعد ان بللها العرق رغم لسعات البرد .

لا نحمل قسيمة زواج . تطردنا الوجوه واقدامنا الخائرة تعود ثانية لتصافح الشوارع من جديد . نعانق الموت والتعب . نسير دونما هدف . حبيبي والحزن وانا وشوارع (براغ) يتسرب الليل في جسدها دما اسود . كل المدن قاسية امامنا . فنحن نمارس أصعب مهنة كونية . سرطانات برية تخرج الينا من كل الزوايا والجحور. قرب ضواحي المدينة ، قرب التلال الداكنة ، طريق تمتد بعيدا . وقفنا معا ، أقصد أنا وحبيبي . لن أحدد المكان . أنا اعلم جيدا انك لست أجنبيا ، بل من المخبرين القساة . كانت (براغ) من بعيد مغموسة بالعتمة والشهوة ، لكنها مع ازدياد التصاقنا كانت تقترب ، تقترب نحونا بفزع مجنون . كان حبيبي مهر جامح يصهل بالفحولة والدفء والانقضاض . مرعبة هي السماء حينما تطل علينا من بعيد . مساحة داكنة ، غريبة الاشكال ، بلا زرقة أو كتل غيوم .

وجوه المخبرين ترعبني ، تثير في داخلي المغص والقيء . كابوس قاتم يلاحقنا اينما نحل . عيونهم تعصرني ، تتقافز حولي في المقاهي والحانات وفي قطار ليل عجوز ، حتى في دورات المياه . أفر بعيدا مع الاجساد المتعبة والسعال ورائحة التبغ الرديء وعفونة الاقدام . يحملني من مدينة لم اعرفها الى مدينة أجهل كل وجه فيها .

تركت كل شيء هناك ، كل شيء يذكرني به . فساتيني الخاصة ، أوراقي ، رسائلي ، سريري ، فنجان قهوتي مازال ساخنا ، لكني أريد حبيبي .... فقط أريد حبيبي.. هه .... هل رأيت صورته أيها الاجنبي ؟

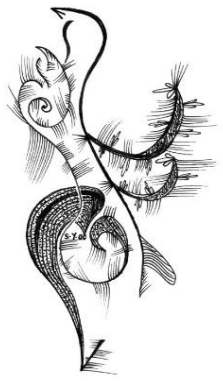

– أتمنى ذلك .

فتحت حقيبتها ثم أظهرت لي عن بعد صورة لشاب وسيم يرتدي ملابس الطيران.

حين هممت ان ألمسها لا تمعن في ملامحها ، هتفت بخوف وحدة :

– كلا ... أيها اللعين ... لا تسرق مني ملامح حبيبي .

نهضت السيدة العجوز عن مقعدها الحجري ، تحتضن حقيبتها في اطباقة حانية ، اطباقة غريبة تضع فيها كل ما عندها من قدرة على الدفء والحب والاتصال . اطباقة ينصهر فيها الجسد وتختنق من خلالها مسارات الدم الراكض وتموت الرغبات ، فيحيا في خلاياها العقل ويتجدد الأمل الضال . بقيت وحيدا ألاحقها بنظرات ساهمة وشرود ودهشتي تصفعني حتى اختفت بعيدا بين الوجوه المتلاطمة، بينما كانت عيناي تجاهدان سدى لحبس دمعتين انفلتتا من محجرين ملتهبين.

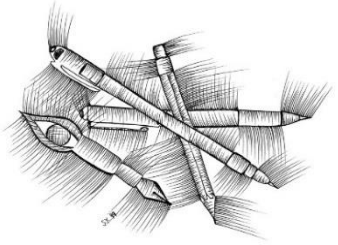

إبراهيم سليمان نادر

روائي وقاص عراقي

الإهداء، التمهيد، كلمة النّاشر، والفصل الأول
من رواية رحيل نحو المجهول: محطّات زمنيّة،
للروائي والقاص السّوري فريد مراد
3



الإهداء

إلى كلِّ مَنْ أتيتُ على ذِكرِهِ، في محطّاتي الزّمنيّة هذه
سلباً كان أو إيجاباً، بالاسم أو تنويهاً،
بشكلٍ مباشر أو غيرِ مباشر،
منهم ما يزالُ على قيدِ الحياةِ، ومنهم مِنْ رحَلَ عنها.

تمهيد

في روايتي هذه – محطّات زمنيّة – قد تقع في بعض الحَيرة عزيزي القارئ، فيما يتعلّق بالزمن. وقد يستصعب عليك بعض الشيء معرفة الماضي من الحاضر، وفي أيّ الموقعَين أكون. حيث أنّي في بعض الأحيان أذهب وبشكلٍ خاطف إلى الماضي البعيد، لأكتشف بعدها مغادرتي لموقعي الّذي كنت فيه، لأعود من جديد وأتمركز حيث كنتُ، وأكمل حديثي.
رواية "رحيل نحو المجهول"، هي محطّات زمنيّة وهي جزءٌ يسير من بعض المحطّات التي توقّفت عندها في مسيرتي الزمنيّة، كان لها أهميّتها في حياتي الكفاحيّة على هذه الأرض، ما يزيد عن نصف قرن من الزَّمن.
أتمنّى لك عزيزي القارئ وقتاً طيّباً، وقراءة ممتعة.

فريد مراد

كلمة النَّاشر

في رواية فريد مراد الجديدة، "رحيل نحو المجهول، محطّات زمنيّة"، نسافرُ معهُ في رحلةٍ سياحيّةٍ فيها الكثيرُ مِنْ تشابكاتِ الأحداثِ، عبرَ محطَّاتٍ متنوّعةٍ في سياقِ سردِ روايَتِهِ المتشعّبةِ، فيأخذُكَ إلى مِساحاتٍ زمنيةٍ فسيحةٍ، تمتدُّ لأكثرَ مِنْ نصفِ قرنٍ مِنَ الزَّمنِ، وقد جسّدَ لنا عبرَ محطَّاتِهِ أبهى خيوطِ الحنينِ، تاركاً بينَ متونِ السَّردِ الكثيرَ مِنَ التَّساؤلاتِ للقارئِ، وسلّطَ قلمَهُ على بعضِ الاعوجاجاتِ السَّائدةِ في المجتمعِ الَّذي عاشَ فيهِ قرابةَ عقدينِ مِنَ الزَّمنِ، ثمَّ عبرَ البحارَ، وعادَ بعدَ أكثرِ مِنْ أربعةِ عقودٍ يلملمُ ما تعلَّقَ في الذَّاكرةِ مِنْ أحداثِ تجربتِهِ في الوطنِ الأمِّ ودنيا الاغترابِ، وكتبَ بحنينٍ عميقٍ الكثيرَ مِنْ هذهِ الذِّكريات الّتي عاشَها في الوطنِ الأمِّ، بكلِّ أفراحِها وأتراحِها، مِمّا بقيَتْ مرسَّخةً في الذَّاكرةِ، تاركاً خيالهُ يموجُ في هذهِ المحطَّاتِ، وجسَّدَها بإيقاعٍ شاهقٍ وبلغةٍ سلسلةٍ وسهلةٍ، ولم يتقيّدْ في روايته بتسلسلٍ زمنيٍّ بحسبِ سيرِ أحداثِ المَحطّاتِ، بل اتَّبعَ أسلوباً أشبهَ ما يكونُ بالتَّأمُّلاتِ والتّداعياتِ الانسيابيّةِ في استرجاعِ أحداثٍ ومواقفَ معيّنةٍ مخزَّنةٍ في رحابِ ذاكرتِهِ ومخيَّلتِهِ، وصَاغ منها فصولاً متناغمةً مَعَ رشاقةِ عرضِ رؤاه في السَّردِ الرّوائي، وكأنَّهُ يحكي لنا مقتطفاتٍ مصطفاةً مِنْ حكاياتِهِ وذكرياتِهِ بطريقتِهِ الخاصّةِ، فوجدَ نفسَهَ أمامَ شلَّالٍ متدفّقٍ مِنَ الأحداثِ والحكاياتِ، فانتقى ما رآهُ مناسباً لفضاءاتِ الرّوايةِ الّتي قادتْهُ إلى رحيلٍ مفتوحٍ نحوَ المجهولِ، وراحَ يتلمَّسُ هذا المجهولَ محطّةً محطّةً، وكأنَّهُ يقومُ برحلةٍ فسيحةٍ في ماضيهِ البعيدِ والقريبِ، كي يقدّمَ عصارةَ تجربتِهِ ورؤاهُ ويصوغَها مِنْ خلالِ توهُّجاتِ خيالِهِ السَّيالِ، كي تأتي أحداثُ الرّوايةِ محبوكةً بطريقةٍ سلسةٍ دافئةٍ وبلغةٍ رشيقةٍ سهلةٍ، ويُمكنُ أنْ ندرجَ هذا النَّوعَ مِنَ الأعمالِ الرّوائيّةِ في فضاءِ السِّير ذاتية منْ حيثُ منابعُ استلهامِ وقائعِ السَّردِ، مِنْ خلالِ ما نقرَؤهُ مِنْ أحداثٍ وأمكنةٍ وأسماءٍ مسرودةٍ بدقَّةٍ متناهيةٍ، لكنَّها ليسَتْ بالسِّيرةِ الذَّاتيّةِ، بقدر ما هي مُستلهَمةٌ مِنْ محطَّاتِ حياتِهِ، وقَدْ عرفَ كيفَ يستفيدُ مِنْ هذهِ المحطَّاتِ ويحوّلُها إلى عملٍ روائيٍّ شيّقٍ، فأوجدَ احتباكاً ما بينَ منعطفاتِ محطَّاتِ حياتِهِ، وتدفُّقاتِ خيالِهِ في الكثيرِ مِنْ انسيابيةِ البوحِ السَّرديّ، فجاءَتِ الرّوايةُ معجونةً بانبعاثاتِ الذَّاكرةِ ووهْجِ الخيالِ المتعانقِ مَعَ حيثياتِ الأحداثِ، مَعَ أنّهُ دوَّن أسماءَ الكثيرِ مِنَ الشَّخصيّاتِ الأساسيّةِ والفرعيّةِ كما هي، لكنَّهُ صاغَ الأحداثَ بطريقةٍ سرديّةٍ مجنَّحةٍ نحوَ آفاقِ الخيالِ في الكثيرِ مِنْ منعطفاتِ البوحِ الرّوائيّ، وكأنَّهُ يحاولُ استرجاعَ الماضي بطريقةٍ ملائمةٍ لبوحِهِ، أو القيامَ برحلةٍ في فضاءِ الطُّفولةِ والمراهقةِ والشَّبابِ ورحلةِ الاغترابِ الرَّحبةِ، فجاءَتْ محطّاتُهُ عبرَ رحيلِهِ إلى المجهولِ، مفتوحةً على مساراتٍ عديدةٍ، وطرحَ علينا الكثيرَ مِنَ الأسئلةِ، لعلَّنا نحنُ القرّاءُ بمختلفِ الأجيالِ نستخلصُ بعضَ العِبرِ الَّتي ساقَها في فضاءَاتِ روايتِهِ، وقَدْ عبَّرَ عَنْ نجاحاتِهِ واخفاقاتِهِ وانكساراتِهِ، ومراميهِ خلالَ رحلةِ العبورِ في أعماقِ المجهولِ في دُنيا الاغترابِ، ولو تمعَّنا فيما وراءَ السُّطورِ ممَّا يقصدُهُ الرّوائيُّ فريد مراد، وكأنّهُ يقولُ لنا: إنَّ الحياةَ مجرَّدُ مجموعةٍ مِنَ المحطّاتِ، وأحياناً كثيرةً نعبرُ متاهاتِ هذهِ المحطّاتِ عَنِ قصدٍ أو مِنْ دونِ قصدٍ أو بحسبِ ظروفِنا وما يمكنُ أنْ تقودَنا الحياةُ إليها، وبعضُ المحطَّاتِ أشبهُ ما تكونُ أقدارَنا الَّتي لا بدَّ مِنْ الدُّخولِ في معتركِها.

تضمّنتِ الرّوايةُ خمسَ عشرَ فصلاً حملَتِ العناوينَ التَّاليةَ:
"اتّخاذ القرار، عائلة أمّي، هكذا كان الحال في بلدتي، ليلة الرَّحيل، وقوع عمّي في الأسر، استقبال الأسير، من دمشق إلى برلين، السَّاعات الأولى في برلين، لقائي الأوّل مع خالي، النَّادي الآثوري في برلين، من برلين إلى هامبورغ، من هامبورغ إلى السُّويد، الزّيارة الأولى للوطن، وتتالت الأيَّامُ، دردشة مع جدّي".

وتصدَّرَ الرّوايةَ إهداءٌ مقتضبٌ واستهلالٌ مِنَ الرّوائي، وفي نهاية الرّواية تمَّ تقديم الرّوائي في سطور مِنْ قبلِ النّاشرِ.

عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة:
هذهِ الرّوايةُ هي حكايةُ كلِّ مغتربٍ وكلِّ مغتربةٍ مِنْ بعضِ الوجوهِ، وحكايةُ الكثيرينَ ممّنْ يُقيمونَ في الوطنِ الأمِّ أو خارجَ الوطنِ، أيّاً كانَ وطنُ القارئِ والقارئةِ، مَعَ بعضِ الفروقاتِ لتجربةِ كلٍّ منَّا. وقدْ جاءَتِ الرّوايةُ محمّلةً بوهْجِ الحنينِ والشَّوقِ إلى مسقطِ الرّأسِ والوطنِ بكلِّ جمالياتِهِ وانكساراتِهِ، وإلى الأهلِ الَّذينَ هم على قيدِ الحياةِ والّذينَ رحلوا، حيثُ كانَتْ أحداثُ الرّوايةِ تعبقُ بحميميَّةٍ عميقةٍ إلى المكانِ الأوَّلِ، مسترجعاً الكثيرَ مِن حواراتِهِ ولقائِهِ مَعَ جدّهِ الرَّاحلِ يعقوب سارة، وعمّهِ الخوري شكري مراد، وعمّه الأستاذ عيسى مراد، وخالِهِ جميل سارة وغيرهم مِنَ الأهلِ، والأصدقاءِ وأسرتِهِ ومحبيهِ، وأصدقاءِ رحلتِهِ الاغترابيّةِ، متحسّراً على الحميميّةِ الّتي كانَتْ سائدةً بينَ الأهلِ والأحبّةِ والأصدقاءِ، والّتي خفَّتْ كثيراً في عالمِ اليومِ سواءً في دنيا الاغترابِ أو في ربوعِ الوطنِ، لأنَّ متغيّراتِ ومتطلّباتِ الحياةِ تغيَّرتْ وتوجَّهتْ نحو مساراتٍ أخرى!
آملاً أنْ تجدوا في قراءَةِ هذهِ الرّوايةِ الفائدةَ والمُتعةَ معاً!

ستوكهولم: 2. 11. 2023

صبري يوسف
أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم

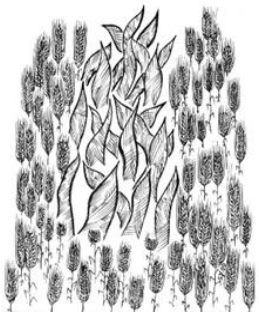

اتّخاذ القرار

الفصل الأوّل من رواية رحيل نحو المجهول: محطّات زمنيّة

كانت المرَّة الأولى الّتي أستقلُّ بها متنَ طائرة.
مازلتُ أذكر ونحن صغار، عندما كانت تعبر طائرة نفَّاثة أجواء منطقتنا، على ارتفاعٍ شاهق، مخلِّفةً وراءَها دخاناً أبيضَ كثيفاً، كيف كنّا نبتهج ونفرح لرؤيتها، وكيف كنا نرقبها بأنظارنا حتّى تغيب، وفي بعض الأحيان لم نكُنْ نرَى منها سوى ذلك الخطِّ الأبيضِ الّذي كان يمتدُّ ويمتدُّ، ثمَّ يتلاشى. ولا تغيب عن ذاكرتي أبداً اللّحظة الّتي رأيت بها أوّل طائرة تمرُّ بارتفاعٍ منخفضٍ فوق أسطحة مدينتي التُّرابيّة، كانت حينذاك بالنّسبة لنا كأطفال في بدايةِ أعمارنا، أشبه بأعجوبة. قالوا لنا إنّها طائرة رشِّ المبيدات للزرع. وطال بي الزمن حتى عرفت أخيراً معنى كلمة "مبيدات" .

عندما قرَّرتُ الرَّحيل نحو المجهول، لم أكُنْ أملك سوى ستّةِ آلاف ليرة سوريّة.

في ذاك الزّمان، في السَّبعينيَّات من القرن المنصرم، لم يكن هذا المبلغ بالمستهان به أبداً. وهذا كان ما حصلتُ عليه من نصيبي في قِسمة المنزل، مناصفةً مع عمَّيَّ الاثنين وجدِّي. كان منزلنا يتكوّن من قسمَين: منزلٌ ترابيٌّ مكوّن من غرفتَين ومطبخ. غرفة مخصّصة للقعدة والمنامة، وغرفة للضيوف. لم يكُنْ لدينا وقتذاك ما يسمّى اليوم بحمّام. كنا نستحم عند عتبة باب غرفة القعدة والمنامة. كانت جدّتي في أيّام الشِّتاء القارصة، تسدلُ على الباب ستارة سميكة، حتّى لا يتسرّب الهواء البارد عبر شقوق الباب الواسعة. كانت رحمها الله تجلسني "بالطَّشت" مرغماً. كان الطَّشت عبارة عن إناءٍ مدوّرٍ واسعٍ، يجلسُ فيهِ الطّفل بكلِّ أريحيّة. أمّا الكبار كانوا يجلسون على " الطبليّة " أو" تختاية" كما كنّا نسمّيها. وهي عبارة عن كرسي صغير قليل الارتفاع، ليس له جوانب. كنتُ في بعض الأحيان أتذمّر من الاستحمام، وأحاول بشتّى الطُّرق كي أتفاداه. لكن جدّتي طيَّب الله مثواها، كانت صارمة. كانت في بعض الأحيان تخلع ملابسي بالقوّة، وتجلسني مرغماً في هذا الطَّشت. ثمّ تبدأ بسكب المياه فوق رأسي، ليأتي دور الدعك باللِّيفة الخشنة، وصابون الغار. وهذا كان أصعب الأدوار بالنّسبة لي. كانت كلُّ قطعة من صابون الغار، تزن نصف كيلو غرام، وربّما أكثر. ما زلت أذكر جيّداً كيف أنّني في إحدى المرّات عندما رفضت أن تحمّمني جدّتي. قلت لها: لقد كبرتُ، أستطيع أن أستحمَّ وحدي. فتركتني عند إرادتي، بعد أن جهّزت لي الماء الملائم، لكي لا أحرق جسدي بالماء الشَّديد الغليان. كانت العادة أن يسخّن الماء على (البابور) لدرجة الغليان. وكانت توضع بجانبه آنية مملوءة بالماء البارد. ثم يخلط الماء الساخن بالماء البارد على حسب الطلب. ملأتُ الطاسة

بالمياه الفاترة التي كانت قد أعدّتها مسبقاً جدّتي، وسكبتها على رأسي، ثمّ قبضت بيدي اليمنى الصغيرة على قطعة الصابون، التي يزيد وزنها على نصف كيلو غرام. وما أن شرعت بفرك رأسي بها، حتّى انزلقت من يدي، وسقطت من فوق رأسي، لتصطدم بإبهام رجلي الأيسر. ممّا جعلني أطلقُ صرخة عالية، هُرِعَتْ على أثرها جدّتي تستكشف الأمر. عندما أشرت لها إلى إصبَع رجلي، وأنا في تلك الحالة الهيستيريّة، وكيف تحوّل لونه إلى الزّرقة، ضحكت وقالت: " مليح يصيبك ". وكأنّها تعني بقولها: هذا جزاء من لا يسمع كلام الأكبر منه. وهذه كانت إحدى ذكريات البيت الترابي الذي كنّا نقطنه. أمّا البيت المقابل له في الطرف الآخر من الحوش، كان مبنيّاً من الحجارة السوداء. وأيضاً كان مقسّماً إلى غرفتين ومطبخ. كان الدُّخول إليه من المطبخ الذي كان بنفس الوقت يُستخدم كحمّام. إلى يمين المطبخ كانت غرفة استقبال الضُّيوف. وإلى الشَّمال كانت غرفة المنامة. هذا البيت كان في أغلب الأحيان يُؤجَّرُ للاستفادة من دخله الشَّهري. خصوصاً بعد وفاة والدي الذي كان ووالدتي يسكنانِهِ. عندما رحل هو إلى العالم الآخر، وانتقلت والدتي إلى بيت أبويها. أمّا أنا كنت ما أزال في الأشهر الأولى من عمري. وهنا لابدّ أن أشير إلى أنَّ والدتي لم تترك البيت وتلتحق ببيت والديها، إلّا بعد مرور سبعِ سنوات. كانت حينذاك في حوالي الواحدِ والعشرين من عمرها، أو ما يزيد عن ذلك بقليل.

بالنسبة لي كشاب في سن المراهقة، لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره ، كان هذا المبلغ، وأقصد المبلغ الذي كان من نصيبي في ورثة البيت، كان بمثابة ثروة هائلة أتتني هكذا من باب الله كما يُقال، كأنّها نزلت عليّ من السَّماء. ماذا يطلب المراهق في مثل هذا السَّن؟ أليس المال؟. بالتَّأكيد المال. المال الّذي هو أساس كل شيء في حياة المراهق. ربّما لم أكُنْ أحلم وقتذاك ببضعة ليرات سوريّة في جيبي. ها هي الآن آلاف اللّيرات السُّوريّة تحت تصرّفي، أفعل بها ما أشاء. إنّها لي. إنّها ملكٌ لي وحدي. لا ينازعني عليها أحد. ولهذا كانت أوَّل قراراتي شراء درّاجة ناريّة (موتور سيكل). وهذه كانت إحدى أمنياتي. كان الفتى بمثل سنّي حينذاك، يحلمُ أن يمتلك درّاجة هوائيّة "بسكليت". كنت أنا أتباهى بالموتور سيكّل في شوارع "ديريك" وطرقاتها. ليس فقط ديريك، بل كنت أتنقّل به إلى أبعد من ذلك كالقامشلي والحسكة. كانت ماركته (Yamaha). ابتعته بربع المبلغ الذي كنت أمتلكه. أي بألف وخمس مئة ليرة سوريّة. وهنا لا بدّ أن أشير إلى أنّه في تلك الفترة الزَّمنيّة كانت قد مُنعت سياقة الموتورسيكلات في المدن الكبيرة من سوريّة، كدمشق وحلب وحمص واللّاذقيّة ..إلخ، بسبب الاغتيالات الّتي كانت تُرتكب لشخصيّات هامّة، يقوم بتنفيذها أشخاص يقودون درّاجات ناريّة. يغتالون ويفرّون ويختفون في لمحِ البصر. لهذا السبب مُنع استخدامها في الدَّاخل. أمّا منطقة الجزيرة، فلم يشملها القرار. مع الأسف الشديد، هكذا كانت منطقة الجزيرة، وكأنّها مقاطعة نائية مَنسيّة. لهذا كانت الدرّاجات النَّاريّة تُباع عندنا بأسعار منخفضة. ألف وخمس مئة ليرة سوريّة بالنّسبة لي كنت أراه سعراً منخفضاً. ربّما لأنّني لم أتعب وأكافح في تحصيل هذه النُّقود. أو قد يكون عنفوان الشّباب الّذي أبعدني عن مثل هذا التَّفكير. فالحياة حينها كانت مجرّدَ لهوٍ، وعشقٍ، وغراميّاتٍ، لا أكثر. لتذهب

النُّقود إلى الجحيم لطالما أنا سعيد. هكذا كنت أقول. أمّا المستقبل فلم يكُنْ له أثرٌ في قاموس حياتي. نعم هكذا كنت حتّى راودتني فكرة الهجرة.

في البداية أردت الرَّحيل إلى السُّويد، حيث كان قد سبقني إليها عددٌ قليل من شباب بلدتي، إنّما لم يحالفني الحظ حينذاك لأسباب ماديّة، فالمبلغ بحوزتي ينقصه ألف ليرة سوريّة أخرى، للحصول على " ڤيزا مزوَّرة " إذْ كانت قيمتها وقتذاك سبعةَ آلاف ليرة سوريّة تُسلَّم عدَّاً ونقداً إلى "الشخص الفلاني" في الفندق الفلاني " بمدينة حلب. وأنا لا أملك سوى ستة آلاف ليرة فقط. بعد أن قمت ببيع الموتورسيكّل العزيز جدّاً على قلبي. ولكن ما العمل، كنت مضطرّاً لبيعه. فهاجس الهجرة لا يفارقني لحظة. سأهاجر .. سأرحل ..لا بدَّ من الرَّحيل. كلمات كنتُ أردِّدها في صحوتي ومنامي.

لم أكن ذاك الخبير آنذاك بالعوالم الخارجية. فخارج نطاق بلدي لم أرَ حينها إلَّا لبنان، وأنا في حوالي السَّابعة عشرة من عمري. لبنان الّذي كان وقتذاك يخوض غمار حرب أهليّة عنيفة. كانت بدايتها. وكان البعض يرى فيها مجرّد أحداث متفرّقة، يفتعلها بعض "الزّعران". بينما كان البعض الآخر يتخوّف من امتدادها وميلها إلى الطَّائفيّة والدِّينيّة. وكان الأخير على صوابٍ في ذلك. فسرعان ما تحوّلت الأحداث الخاصّة، إلى عامّة. ولم تعُدْ هناك حلول وسطيّة.. إمّا معنا، وإمّا علينا.

في تلك الظُّروف الصَّعبة، والمرحلة الخطيرة. حيثُ النّاس كانت تلوذ بالفرار خوفاً من الموت، وحفاظاً على حياتها، وكان القتل على الهويّة، قرّرتُ أنا الرَّحيل إلى لبنان. وكانت وجهتي بيروت.
هناك في شوارع بيروت كنت وحيداً أسير. إلى أين؟ لا أدري؟.

–ما زال بضعُ ساعاتٍ على اللّيل وحلول الظّلام. قلت لنفسي وأنا أسير في شارعٍ يعجّ بالنَّاس، حيث الدَّكاكين بمختلف أنواعها مرصوصة على طرفي الشّارع. في هذا الشّارع " شارع الحمراء " كما قرأت في اللّوحة المعلّقة عند إحدى زواياه. كنت أسير ببطءٍ شديد، منهوك القوى، شريداً، غريباً، لا حول لي ولا قوّة، أنظر في عيون المارّة، علّني ألتقي بمَنْ أعرفه، ولكن دونما جدوى.

–شارع الحمراء!؟. قلت لنفسي مستفسراً.. إذاً أنا الآن في شارع الحمراء. هذا الاسم سمعته كثيراً. وهذا الشَّارع مشهور جدّاً. هكذا كانوا يقولون. هنا تجد ما تشتهيه نفسك أو ما لا تشتهيه. يعني هو شارع " بتاع كلّو". هنا المقاهي، والمسارح، ودور السِّينما، والمراقص والكباريهات، وبنات الهوى، والقوّادون، والباعة، والمحتالون، والزّعران، والبلطجيّة... وهلمَّ جرَّ. إذن أنا في ورطة. هنا لا أستطيع أن أبحث عن فندق أبداً. هنا كل شيء "هاي، هاي". أكيد أسعار الفنادق ستكون مرتفعة جدّاً. لا، لا الأفضل أن أبحث عن مكانٍ آخر تكون فيه الفنادق أرخص. هكذا كنت أدمدم مع نفسي ورجلايَ تسيران بي إلى حيث لا أدري.
في لبنان لم تطل مدّة إقامتي، ثلاثة أشهر فقط. كنت خلال هذه المدّة قد التقيت بأحد الأصدقاء الأقارب، فسكنت عنده. اشتغلت خلال هذه الفترة في مهنة الدهان. كان أوّل عمل لي في منطقة جونيه، وفي "سينما

جونيه" بالتَّحديد. كنّا نقوم بطلائها من الخارج. هناك أنقذني الله من الموت. إذ كنت سأهوي من على الأرجوحة المعلّقة الّتي كنت واقفاً عليها وأنا أطلي الحائط. كانت المرّة الأولى والأخيرة الّتي أصعدها. لأنَّ خبرتي بها كانت شبه معدومة. هذه الأرجوحة هي عبارة عن خشبة مسطّحة مستطيلة. تتدلَّى من فوق، بأربعة حبال. وحبلٌ آخر في الوسط، يتمسّك به عند الحاجة من يكون فوق الأرجوحة، أو إذا ما أراد التَّنقّل من مكانٍ إلى آخر فوقها. لم أكن أعلم مطلقاً أن الاستناد باليدين على الحائط ممنوع بتاتاً، لأنّه يشكل خطراً على الشَّخص، يؤدّي إلى سقوطه من فوق. لأنّك عندما تستند إلى الحائط بيديك، تنحرف الأرجوحة إلى الوراء، فيهوي من كان فوقها. وهذا ما حدث لي بالضّبط. ولكن الحمد لله استطعت بقدرة قادر أن أتمسّك في اللَّحظات الأخيرة بالحبل الأوسط، فأنقذتُ حياتي من الموت المؤكّد. لكن ما لم استطع إنقاذه، كان سطل الدهان. وكانت هذه غلطتي عندما سألني المعلم:

–هل عملت فوق الأرجوحة قبل ذلك؟ فأجبته بنعم. بينما بالحقيقة كانت المرّة الأولى لي.
في هذه الفترة زرت منطقة الرَّوشة بضعَ مرّات، حيث صخرة الرَّوشة الشّهيرة، أو ما يسمّونها بصخرة الموت، أو الانتحار. وسبحت في مياه البحر المالحة للمرّة الأولى في حياتي. فنحن أبناء الجزيرة لسنا أبناء البحار، بل الأنهار. أبناء المياه الحلوة، وليس المالحة.

وفي هذه الفترة أيضاً تردَّدْت مراراً عديدة على شارع الحمراء. ولكن هذه المرّات بثقة واطمئنان أكثر بكثير من المرّة الأولى. وكانت ساحة البرج أيضاً من الأماكن التي تستطيب نفسي الذَّهاب إليها، والتَّدرّج فيها.
وفي هذه الفترة أيضاً صعدت مع بعض الأصدقاء، إلى "تل الزّعتر" الّذي شهد أعنف المعارك الدَّمويّة خلال الحرب الأهليّة. كان خالياً من السّكّان. بل كانَ معظمهُ قد سُوّيَ مع الأرض. كان مجرّد أنقاض، كانت الأفواجُ البشريّةُ قد نهبتهُ وأفرغت أحشاءَه وتركته نسياً منسيّا. هناك رأيت بأمّ عيني وحشيّة الإنسان، لا يهمّني هنا مَنْ كان يقتل مَنْ؟ أتكلّم عن الإنسان، وكيف ينقلب إلى حيوان حقيقي عندما يفقد إنسانيّته. أجل رأيت أهوال الحرب بعيني، وأدركت مدى وحشيّة الإنسان لأخيه الإنسان. فقرّرت الرُّجوع إلى سوريّة، ورجعت.
ولكي أكون معكم ومع نفسي صادقاً أكثر، لم يكُنْ لبنان الوحيد الذي زرته. كنت وأنا في قرابة الثامنة من عمري، قد زرت برفقة أمّي، وجدّي، وجدَّتي لأمّي، وجدي لأمّي، وعمّي، ومجموعة من الأهل والمعارف " آزخ " في تركيَّا، مدينة آبائي وأجدادي، قبل أن يهجروها، أو يُهجَّروا منها إلى سوريا وبلدان أخرى.

هذه الزِّيارة برغم قصر المسافة بين البلدتين "ديريك و آزخ" الأولى من الجهة السُّوريّة، والثَّانية من الجهة التُّركيّة. حيث يفصل بينهما نهر الدّجلة. أذكر أنَّنا قطعنا أكثر من نصف المسافة سيراً على الأقدام. كانت برغم صغر سنّي، حدثاً تاريخيَّاً، تركَتْ في أعماق نفسي الكثير من الذِّكريات الّتي لم أعرف قيمتها وقتذاك، إلى أن بلغتُ سنَّ الرشدِ. تمنّيت أن تتكرّر. لكن يظهر أنَّ أمنياتي ذهبت أدراج الرِّيح. فها أنا على مشارف السَّادسة والسِّتِّين من عمري، ولم تتحقّق أمنيتي هذه بعد.

في ذاك البيت الّذي كان يقطنه جدّي، وأبوه، وأمّه، وإخوته، حلَلْنا ضيوفاً. على الأقل جدّي الذي كان من سكّانِ البيتِ في يومٍ من الأيّام، قبل أن يُلاحق من قبل السُّلطات العثمانيّة، بسبب عدم التحاقه بالخدمة الإلزاميّة. نزل اليوم ضيفاً في بيته وبيت أخته. كانت أخته، "خاتون" عمّة أبي، وكانت تلقّب "طوپلانه" أي العرجاء باللُّغة التّركيّة. كانت إحدى ساقيها أقصر من الأخرى. هي الّتي كانت قد استقرّت وزوجها وأولادها في هذا البيت وملكته. بعد نزوح كل أفراد الأسرة إلى سوريّة.

استقبلتنا العمّة خاتون برحابة صدر، وفرحت بقدومنا، خاصة أنا، لأنّي كنت الأصغر في المجموعة.
قالت العمّة خاتون، بعد مرور بضعة أيّام ونحن في ضيافتها:
– هذه لك. لعبة، عملتها من أجلك. ستأخذها معك عندما تعود إلى البيت.
أخذتها بين يدي، ونظرت إليها من كل الجهات، وقلت بحيرة:
– ما هذه اللعبة يا عمّة؟
ضحكت العمّة خاتون وقالت:

– هذه اسمها "غزالوكِه". هي شبهُ الغزالة كما ترى، مصنوعة من القش، ومطعّمة بالتِّينِ المجفَّفِ. كلّما لعِبت بها، تستطيع أكل إحدى التِّينات.

في اليوم التّالي استقلّينا شاحنة، واتّجهنا إلى دير مار كبرئيل "القديس كبرئيل" أو ما يسمّى بدير عمر الواقع في منطقة مديات بطور عابدين. وهو واحد من أقدم الأديرة السّريانيّة، يعود تاريخ وجوده إلى حوالي القرن الرَّابع الميلادي. والذَّهاب إليه، كان من ضمن مخطّط الرِّحلة. هناك قضينا ليلتنا لنتبارك من المبيت في رحاب هذا الدِّير المقدّس.

كل ما أتذكرّه الآن من تلك الزِّيارة، بل قُل الّذي لا أستطيع نسيانه. أنّني في ذاك الصَّباح المشمس، هبطْتُ درجات الدِّير وفي يدي اليمنى قطعةٌ من الخبز، وفي اليسرى قطعة من الجبن. كان في بالي النّزول إلى حوش الدِّير لأسرح، وألعب قليلاً. كانت بعض الدُّجاجات، وبعض الحمامات والعصافير تتنقّل هنا وهناك في فناء الحوش. هذا كان كل ما رأيته في تلك اللّحظة. ولكن الَّذي حدث، ما أن انتهيتُ إلى الدّرجة الأخيرة، وصرت في فناء الحوش، وأنا مستلذٌ بما بين يدي من الخبز والجبن. أقضم قليلاً من الخبز، ثمّ قليلاً من الجبن، محاولاً قدر الإمكان التّسوية بينهما. كنت حريصاً جدّاً أن ينتهي أكل الخبز مع انتهاء أكل الجبن. وهذه عادةٌ كنّا قد تدرّجنا عليها. كانت كمعادلة حسابيّة بالنّسبة لنا كأطفالٍ، في تلك الأثناء وأنا منهمك في حل معادلتي الحسابيّة، والتّوفيق بين قطعتَي الخبز والجبن حيناً، والنَّظر إلى تلك الطُّيور والحمامات الجميلة الّتي كانت تتنقّل وتقفز سعيدة هنا وهناك حيناً آخر. فجأةً ومن دونِ أيّ إنذار، ومن حيث لا أدري، هجم علي هجوم الكواسر، مجموعة من "الديوك الرُّوميّة". كانوا يعلونَني قامةً. من أين أتوا؟..الله أعلم. لماذا هذا

الهجوم العنيف عليّ؟ أيضاً لم أكُنْ أعلم؟. حتى علِمتُ لاحقاً من الذين أسرعوا وأنقذوني من بين براثنِها القويّة. قالوا:

–لو رميت لها الخبز والجبن، لتركتْكَ بسلام. لكنّكَ يظهر أنّك تمسّكت بهما، وأبيت تركهما، فأرادوا أخذهما منك بالقوّة.

في طريق العودة إلى سوريّة، كنّا نفس المجموعة. كنت أسير معهم بنشاط، وأنا أحمل متباهياً "الغزالوكه" التي صنعتها لي العمّة خاتون، أو" طوپلانه " كما كانوا يلقّبونها. وكنت مصرّاً أن لا آكل من تلك التِّينات حتّى وصولي إلى البيت. لكي أتباهى بها أمام رفاقي أوّلاً، ثمّ أباشر بأكلِها.

فريد مراد

قاص وروائي سوري مقيم في ستوكهولم





قصص قصيرة جداً

للكاتب والناقد العراقي طالب زعيان

اسم [4]

كان فرحا حين اتصل يبشره بولادة ابنه البكر : أخيراً يا أبي .. رزقتُ بمولودي المنتظر، أحب أن تختار له اسمه .. لم يتأخر أبوه بالإجابة .. لا يا ولدي.. دعه آمنا بلا اسم ولا هويّة ..

ظمأ

تردّد كثيراً في عودته إلى دياره الّتي فارقها تحت تهديد السَّلاح .. كان يشعر بالذّنب وهو يتذكّر شجرة الزَّيتون الّتي تركها ظامئة ..

هوية

تنفّس الحياة أخيراً وهو يرى بيته مرّة أخرى بعد أن عانى من التَّهجير والنُّزوح .. لم تدم فرحته طويلاً وهو يبدأ بمراجعة الدَّوائر الحكوميّة لإثبات هويَّته الّتي احترقت مع كلِّ شيء ..

جدار

سحبت ريشتها بعد منتصف اللَّيل مع دمعة حارّة سقطت على خدِّها، صورة أبيها الّتي تلاشت ألوانها، رسمتها بتأنٍّ ودقّةٍ.. في الصَّباح قالت لها أختها.. ما أروعها لكن لا حائط لدينا.

هجرة

راح يبحث عن حقيبته بين المسافرين أوقفهم.. أخّرهم .. أزعجهم.. حينها تذكَّر أنَّ والدته قد أحرقتها ..

عاصفة

وهو في المنفى يسألها كيف تسقط الجسور ولا عواصف لديكم ؟ تجيبه لأنّنا في هدوء كافر ..

حب

كانت معلّمتي تضربني حين أكتب كلمةَ (حبيبتي) في دفتري، بعد سنوات سألتني : كيفَ حالها حبيبتِك؟ لم أجبها.. كانت شوارعها قد اغتصبت.

رفقة

كانا يتناوبان على سرير واحد في منامهما.. طلبا أن يأتي لهما بسرير ثان.. اعتذر منهما السّجّان بأنّه لا توجد أسرة زائدة .. ردَّا عليه : أقتل أحدنا إذن

وصية

مات نزيهاً عادلاً ، حين دفنوه كان قد أوصى زوجته بوضع سلاح معه ليدافع عن نفسه .

طالب زعيان

كاتب وناقد عراقي

قصّة قصيرة للقاصة المغربية سعيدة الرغيوي

5



ضفيرةُ الثلْجِ..

تنمو الْأشياء في تلك الْبقعة على جِبلِتِها لا تحتاج لرعاية كبيرة ولا لمساحيق ..
قرب النّهر الْهادِئ أزهار بريةٌ وبعض النّباتات الشائكة وأحجار تنهضُ كَمُجَسّماتٍ منْحُوتَة بإتقان تعانق النهر كحَارسةٍ أمينةٍ..تتوجه الْفتايات كل صباح صوب النّهْر راكضات تحْملن فوقَ أكتَافهَنَّ الصّغيرة صُحُوناً نحاسيةً وفضيةً وأخرى من الألمنيوم تتَدلّى منها خُيوطُ الصّوفِ وبعض الْملاَبس التي تحتاجُ إلى تنْظيفٍ وتلْمِيعٍ.

تَضَعْنْ ما على أكتافهن ورُؤوسهنّ وتبدأن في ممارسة رياضتهن الْمفَضّلة؛ تَسْبَحنَ في ماءِ النّهرِ كفراشاتٍ مُضيئَةٍ ..تُحْدِثْنَ أصواتاً كما الشّراغيفِ الصَّغيرةِ التي تنتشرُ على طُولِ النّهرِ السّاكنِ الْوديعِ ..وبُعيْد الإنتهاءِ منْ طَقْسهِن الْيَوْمِي يُبَاشِرْنَ الْعملَ على الصُّوفِ؛ إذ ينْزعنَ ماعلقَ به من شوائبَ وأشْواك ويبدأنَ في غسله بِكُلّ مهارةٍ وتصفيفهِ بشَكلٍ جميلٍ بديعٍ ليُهَيّئْنهُ للعَملِ والصّباغَةِ بعد أن يجِفَّ تماماً..

كما خلية نحْلٍ يَشْتغِلْنَ ويَنْسُجْنَ خُيوطَ الْجَمالِ وعند الانتهاء من الْعَملِ يتركن الصّوف يجف في صفائحَ نُحاسية وُضعتْ فوق مُجسّماتٍ الأحجارِ ..في حين ينشغلنَ مُجدداً بالسباحةِ والرّكْضِ على جنباتِ النّهرِ

الذي لا يقتربُ منهُ الرجال لأنه ملاذ للنساءِ والْفتياتِ فقطْ وقد ارتبط اسْمهُ بِهِنَّ ..فهو النّهر الْمعروف بنهرِ "الْحُوريات"..

شيءٌ ما يتحركُ ..يطفو ويخْتفِي ..تتوقفُ الْفتيات عن السّباحةِ وتقتربنَ شيئا فشيئاً من مكانِ الْجسْمِ الْغريبِ الذي طفا أخيراً على سطح الْماءِ ..تَصْرخُ إحداهُنَّ مُحَذِّرةً من الاقتراب منه: ((تزَيّثْنَ لا تقتربنَ .. لاَ تقتربنَ..قد يكونُ وحش النّهر الذي حَدثتني عنهُ الْجَدة " علياء" ..إنه خطرٌ علينا جميعاً ..)).

بيْدَ أن التحذير لا يصلُ إلى أسْماعِهنَّ فتحاولُ إحداهُنّ الاقتراب أكثر فأكثرَ ..ويتعالى صراخ التّحذِيرِ دُونما جدوى ..

" ضفيرةُ الثّلجِ" تقتربُ من الْجسْمِ الْغريبِ الذي طفا من سطحِ الْماء ..تُحاولُ بكلِّ قوتها رفعهُ بين يديها الصّغيرتينِ ..لكنّها تفقدُ توازُنَها وتحِس بأنّ الْجسم يسحبها بقوةٍ ..تبدأ بالْمقاومة والتجذيف بيديها الصّغيرتين..

لكنّ الْجسم الْغريب تنمو له أيدي ويلتصقُ بضَفِيرتها..تبدأ في الصّراخِ وطلب النّجدة ..الصديقات يقتربنَ منها فيُصابْنَ بالذّهول..

إنّهُ جسمٌ غريب لكنهُ يشبهُ إلى حدٍّ كرة ثلجٍ لولبية نمت لها أيدي صُوفية..

تحاول إحْدَاهنّ لمسهُ بحذرٍ والْاقتراب منه، لكن " ضفيرة الثّلج" تطلبُ منها الابتعاد ..وتُطَمئِنُها بقولها : " لاشيء خطير..

أتُصدقنَ تلكَ الْخرافات الْبَائدة ..الْوحوشُ لا تنمو في الْماء ..علَيْكُنّ بالتّعقلِ صديقاتي..لما تصدقْن هاته الْأساطير والْخرافات ..أينَ أنتُنَّ من الْحِكْمةِ ..إنّهُ نهر الْحوريات النّائمات هاهنا منذُ أمدٍ بعيدٍ ..هذا النّهر مِلكٌ لهنّ ..لا وحشَ هنا يا ناسجات الْجمال..!!.

اقْتربْنَ أكثر صديقاتي..بدوري أُصِيبتْ بالْهلعِ لما اقتربتُ منه وخلتهُ في الْبدء وتحت تأثير مخدِّر الْوهم يجْدبُني نحو الْأعماق ..لم يكنْ ذاك الْجسمُ الْغريبُ إلاّ صوت الْوهم الذي زُرِعَ فينا واستوطنَنا ..فلما أحسستُ بالْخطرِ بدأتُ بمقاومَتِهِ ومحاولة التّملصِ من خيوطهِ الْلولبية الْعنكبوتية.

سعيدة الرغيوي

قاصة وناقدة مغربية



العطّار

6



الكاتب والقاص السُّوري باسم سليمان

ابتسم الطبيب في وجه أحمد الذي لم تسجل عوارض مرضه في المعاجم الطبية، وقال له: إنّ ما تطلبه، ليس مستحيلًا، فقط أريد منك أولًا، الصبر، ومن ثَمّ الإرادة. لقد تطوّر طبّ التجميل كثيرًا، إنّه يشبه آلة زمن تعيد إلى وجهك شبابه، إنّه يصلح ما أفسده الدهر.

نظر إلى الصورة التي مرّ على التقاطها بكاميرا كانون ست عشرة سنة، وهمهم بكلمات فهم منها الطبيب، أنّه يقصد أيضًا، كرشه المتدلّي فوق حزامه. ضحك الطبيب ومن بين قهقهاته لفظ كلمة: "أبراكادبرا"، هذا الكرش لن يهزم إلّا بالرياضة وريجيم قاس، وبعدها ستغيّر، أحزمتك وبنطلوناتك وقمصانك، ولربما زوجتك.

كانت علائم التوتر ظاهرة بقوة على سيماء وجه أحمد، ولم يستطع أن يخفيها على الرغم من تهوين طبيب التجميل لكلّ ما سيخضع له من عمليات، وحقن بوتكس، وفيلر، وزراعة شعر. هذه التفاصيل لم تكن تقلقه حقًا، فما يجعله مترددًا وعلى حافة الانهيار، ليس مبضع الطبيب، ولا إبره، بل زوجته التي غادرت بيت الزوجية إلى بيت أهلها بعد شجار لم يكن فيه قادرًا على إقناعها بصحّة ما يفعله، على الرغم من الأسباب الوجيهة التي قدّمها لها. لم تر زوجته في إقدامه على عمليات التجميل إلّا تصابيًا، سيقوده إلى الزواج بأخرى ومن ثم الفراق، لذلك حفاظًا على كرامتها، قالت له: أنتظر منك ورقة الطلاق.

إنّ ما خفّف عليه محنته، كان موقف ابنه وابنته الداعمين له، واللذين اعتبرا أن عمليات التجميل لا تختلف عن اختراعات هذا الزمن من إنترنت وموبايلات. وعندما ناقشا أمّهما ردّت على ابنتها بأنّها لا تعرف الرجال حقًا، وعلى ابنها بأنّه ذكر، وما الغرابة، بأن يقف في صفّ أبيه.

بعد أخذ وردّ حدثت الهدنة بين الزوجين، وبدأ أحمد رحلة التمرينات الرياضية والريجيم القاسي بناء على نصيحة طبيب التجميل، الذي لن يشحذ مشرطه إلّا بعد أن يضمر كرش مريضه ويفقد أكثر من 15 كيلو غرامًا من وزنه. وعند الوصول إلى هذه العتبة، سيصبح من الممكن البدء في عمليات تجميل الوجه بالشدّ، وحقن البوتكس، والفيلر، حتى يتطابق مع الصورة التي التقطت منذ ست عشرة سنة.

كانت السنوات تتبخّر مع العرق الذي ينضح من جسده مع كلّ تمرين، وكأنّ الزمن يطوى مع تغيّر حركة الإبزيم على سكّة الحزام الذي يحيط بكرشه. مرت ثلاثة أشهر عاد بها جسده ممشوقًا كأنّه ابن الثلاثين، حركته لا تشبه من هم في عمره. رجع إلى شغفه القديم في الركض خلف الكرة، وعلى عكس ما كان سينتهي إليه الخصام مع زوجته، أصبحت زوجته شبه مقتنعة بما أراده، فقد عاد كما كان في أحلامها، ولن يمانع أبدًا في أن تسلك الطريق الذي سلكه في عمليات التجميل.

بدأت أولى العمليات بزراعة الشعر في مقدمة رأسه، وكرّت بعدها عملية تجميل الأنف، ثم استئصال الأكياس الدهنية من تحت عينيه، وشدّ الوجنتين وبعد ثلاثة أشهر وعدّة أيام أخر، خرج من حجرة العودة في الزمن ابن ثلاثين سنة يشبه تلك الصورة التي حملها بين يديه في اللقاء الأول مع طبيب التجميل.

لم يذهب إلى بيت الزوجية بل إلى أحد محال شراء حقائب السفر التي ملأها بالملابس الجديدة. صعد سيارته الجديدة البيضاء بعد أن باع سيارته السوداء وتوجّه إلى بيت العائلة التي تسكنه أخته مع أمّه المصابة بمرض الزهايمر.

قرع الباب، فتحت أخته، وصرخت: لقد عاد مازن من السفر يا أمي. نادرًا ما كانت الأم تستجيب لأي نداء، فقد أخذ منها الزهايمر كلّ ذاكرتها، ولم يبق لها إلّا ذكرى اليوم الذي سافر فيه ابنها مازن خارج البلاد. اندفعت الأم من غرفتها تستند إلى عكازها. كان مازن واقفًا في منتصف الصالون فاتحًا ذراعيه اللذين احتضنا أمّه بعد الغياب. همست الأم: أخيرًا عدت من السفر. أجاب مازن: نعم يا أمي، ولن أسافر أبدًا بعد اليوم.

تحلّقوا حول الأم وابنها العائد من السفر، أو عيادة طبيب التجميل؛ كلّ من أخته وولديه وزوجته. كان أحمد الأخ التوأم لمازن؛ مازن الذي مات في حادث سير، وهو عائد من المطار منذ خمس عشرة سنة.

باسم سليمان

كاتب وقاص سوري

دمعتان مِنْ وهجِ الحنين

7



إهداء : إلى أختي كريمة

نهضْتُ مِنْ نومي صبيحةَ هذا اليومِ، وأنا غارقٌ في بَحرٍ مِنَ الذِّكرياتِ، تُلاحقُني في رِحابِ غُربتي الطَّويلةِ، تهدهدُ انكساراتي المتتاليةَ، وتُبلسمُ آفاقَ الخيالِ. ذكرياتي خزينٌ لا ينضبُ لتدفُّقاتِ بوحِ الحرفِ، انفرشَتْ أمامي دُفعةً واحدةً ذكرياتُ عُقودٍ مِنَ الزَّمانِ. آلافُ الصُّورِ تراءَتْ لي على امتدادِ الذَّاكرةِ المُخضّبةِ برحلةٍ طافحةٍ بحميميَّاتٍ مُرسَّخَةٍ في آفاقِ الخيالِ. أينَ سأخبّئُ حميمياتِ الزَّمنِ الجميلِ، أشعرُ أحياناً أنَّني تائهٌ في خضمِّ غُربةِ هذا الزَّمانِ، غريبٌ عَنْ ذاتي، وعَنْ حُبورِ ذكرياتِ الماضي البعيدِ والقريبِ، حتّى حاضري غدا بعيداً عَنْ تناغُمِ ألواني. فجأةً فيما أنا في أوجِ تلظّياتِ غُربتي وانبعاثِ مُهجةِ الشَّوقِ إلى أحضانِ الأحبّةِ، تراءَتْ لي أختي كريمة ما بينَ الحُلمِ واليقظةِ، كانَتْ ضعيفةً، مَهمومةً، ومضمّخةً بالحنينِ، اقتربْتُ نحوَها كي أعانقَها، فمَا وجدْتُ نفسي إلَّا وأنا أبكي مِثلَ طفلٍ بينَ يديها، كانَتْ مُغرورِقةً هي الأخرى بالدُّموعِ، فقلْتُ لها وأنا أشهقُ: مَاتَتْ أُمِّي يا أختي وأنا في أعماقِ غُربتي، وبكيْتُ عليها بُكاءً مُرّاً، وتراءَتْ لي قبلَ رحيلِها بساعاتٍ وهي تطلبُ منِّي أنْ أودِّعَها الوداعَ الأخيرَ، وقَدْ ودَّعْتُها عَبرَ مشاعري وكتبْتُ مِن وحي عوالمِها في تلكَ اللَّحظاتِ الَّتي تراءَتْ لي قصَّةً وأنا في أعماقِ غُربتي، كنتُ أبكي وأنا أسطِّرُ سُطورَ القصَّةِ، وما كنْتُ أشعرُ أثناءَ البكاءِ أنَّني أبكي، لأنّني كنْتُ غائصاً في آفاقِ المشاعرِ الفيّاضةِ الّتي راودَتْني على مِساحاتِ بوحِ الحنينِ، وبعدَ أنِ انتهيتُ مِنْ كتابتِها، وجدْتُ صَفحاتِ الأوراقِ الَّتي كتبتُها مَمْلوءَةً بقطراتِ دُموعي، عندها عرفْتُ أنَّني كنْتُ غائصاً بالبُكاءِ طوالَ فترةِ الكتابةِ، وفي حالةِ انصهارٍ مَعَ خُيوطِ الحنينِ. وعندما ماتَ والدي، تراءَى لي أيضاً قبلَ رحيلِهِ، ولَمْ أبكِ عليهِ دمعةً واحدةً، ربَّما لأنَّهُ ارتاحَ مِنَ العذاباتِ الَّتي كانَ يُعاني منها، وارتحْتُ معَهُ، لهذا لَمْ يصدمْني فراقُهُ. وكما تعلمينَ، انكسرَتْ ساقُهُ قبلَ وفاتِهِ، وتعذَّبَ

عذاباً مريراً، وتراءَى لي قبلَ موتِهِ وكأنَّهُ كانَ يودِّعُني الوداعَ الأخيرَ وهو مرتاحٌ برحيلِهِ، فلَمْ أشعُرْ بالحزنِ لأنَّهُ ارتاحَ مِنْ أوجاعِ هذا الزَّمانِ. كَمْ كانَ الوالدُ فُكاهيَّاً، طيّبَ المَعشرِ، ودَّعَ عذاباتِ وأوجاعَ هذا الزَّمانِ. آهٍ يا أختي، تعفَّرَتْ علاقاتُ الكثيرِ مِنَ البشرِ في هذا الزَّمانِ بكلِّ أنواعِ القُبْحِ والبُغضِ والدَّهاءِ، غابَتْ حالاتُ الوئامِ والحنانِ بعيداً عَمَّا كانَتْ عليهِ أيَّامَ زمان. أصبحنا غرباءَ عَنْ أسرتِنا، عَنْ أنفُسِنا، وعَنْ أبسطِ حميميَّاتِ الحياةِ. ذكرياتٌ مؤلمةٌ تموجُ أمامي، أحزانٌ مُرصرصةٌ تربَّعَتْ فوقَ كاهلي، لا أستطيعُ أنْ أزيحَها عَنْ آفاقِ خيالي. آهٍ يا أُختي ماتَ أخي كريم في مُقتبلِ الشَّبابِ بحادثٍ أليمٍ عندَ منعطفِ طريقِ خان شيخون القريبِ مِنْ إدلب. حتَّى الآنَ يا أختي، عقلي لا يتقبَّلُ موتَهُ، مَعَ أنَّني شاهدْتُهُ في التَّابوتِ، وبكيتُ عليهِ بُكاءً مُرّاً، مَعَ هذا عقلي يرفضُ موتَهُ، وأتخيَّلُهُ مُسافراً إلى تشيلي وهو يعيشُ هناكَ، وأعيشُ على هذا الحُلُمِ – المُستحيلِ، ويتراءَى لي بينَ الحينِ والآخرِ، أسمعُ رنينَ صوتِهِ، أكثرُنا حناناً يا أختي كانَ أخي كريم!

آهٍ .. عبرْتُ البحارَ مُنذُ عُقودٍ مِنَ الزَّمانِ، تمرمرْتُ في محطَّاتِ غربتي ولا كلَّ المرمراتِ، قلّةٌ قليلةٌ مِنَ المغتربينَ تمرمرَتْ في سَماءِ الغربةِ مثلما تمرمرْتُ، ولا أخفي عليكِ أنَّ ثلاثةَ أرباعِ مرمراتي ناجمةٌ عَنْ طيبةِ قلبي وثقتي بمَنْ كنتُ أتعاملُ معَهُم. أجل يا أختي، الطَّيّبونَ غالباً يتمرمرون، اسأليني فأنا لديَّ حصَّةٌ كبيرةٌ في عالمِ الآهاتِ والمرمراتِ. تتراءَينَ أمامي في الكثيرِ مِنَ المواقفِ، أتذكَّر جيّداً فيما كنتُ في إحدى زياراتي إلى القامشلي في بيتِكم الجديدِ، لاحظتُ بعضَ الأطفالِ بينَ حينٍ وآخر يدخلونَ إلى المطبخِ ويخرجونَ، فلفتَ انتباهي دخولُ وخروجُ الأطفالِ وهم يتحدَّثون معَكِ، وبعدَ خروجِهم، تعودينَ إلى غرفةِ الصَّالونِ، فسألتُكَ آنذاكَ: ماذا يُريدُ هؤلاءِ الأطفالُ؟! فضحكْتِ وقلتِ يشترون البوظة. نظرْتُ إليكِ مُندهشاً، أيَّة بوظة.! هل عندكِ بوظة تبيعينها؟ أيوه عندي. ومن أينَ تشترينَها وأينَ تضعينَها؟! فقلتِ لي لا أشتريها، أنا أصنّعُها بنفسي. كيف تصنّعينها بنفسكِ؟ فقلتِ لي أشتري دواءَ البوظة، المسحوق الخاص باللَّيمونِ والكرزِ والكاكاو، واشتريتُ قوالبَ خاصّة بالبوظةِ وأقومُ بوضعِ المسحوقِ بالماء وأخلطُهُ ثمَّ أضعُهُ في القوالبِ، وأشتري العيدان الخاصّة بالبوظةِ، وأضعُ القوالب في الثَّلاجةِ، ولدي مِساحةٌ تتّسعُ لأربعينَ أو خمسينَ قطعةً مِنَ البوظةِ، فيأتي الأولادُ ويشترونها، ودائماً أجهّزُها في اللّيلِ، وغالباً ما تكفي الكمّيةُ التي أجهّزُها ليومٍ كاملٍ، وهكذا عندما أجدُ أنَّها لا تكفي ويتمُّ بيعُها، أزيدُ مِنَ الكمّيّةِ السّابقةِ ويساعدُني برّادي، لأنَّ المكانَ الخاصَّ بالثَّلّاجةِ كبيرٌ نوعاً ما، وهكذا أستطيعُ أنْ أبيعَ يوميّاً وأربحَ بحدودِ 60 ليرةً، يعني أستطيعُ القولَ: إنَّ مصروفَ البيتِ يوميّاً هو مِنَ البوظةِ. نظرْتُ إليكِ وقلْتُ لكِ معقول تُنتِجينَ يوميّاً ما يُقاربُ مِنْ ستّينَ ليرةً، ابتداءً مِنْ بدايةِ الرَّبيعِ حتَّى نهايةِ الصَّيفِ؟! فقلتِ لي نعم يا أخي، معقول، وأحياناً أربحُ مئةَ ليرةً في اليومِ. ما شاءَ الله عليكِ، إنَّكِ تُعيلينَ أسرتَكِ أكثرَ مِمَّا يُعيلُها زوجُكِ. لا أعتمدُ على زوجي في إعالةِ الأسرةِ، أنا أعيلُها فعلاً.

وقبلَ هذهِ المرحلةِ مِنْ بيعِ البوظة، كُنتِ تعملينَ في إعدادِ الألحفةِ والدَّواشكِ والمخدّاتِ، حيثُ كنْتِ تمتلكينَ مهارةً في خياطةِ وشدِّ ألحفةِ الصُّوفِ بحرفيَّةٍ ودقَّةٍ عاليتَينِ، وتمكّنْتِ مِنْ خلالِ خياطةِ وتجهيزِ الألحفةِ

والدَّواشِكِ والمخدَّاتِ، وتصنيعِ وبيعِ البوظةِ في المنزلِ مِنْ شراءِ قطعةِ أرضٍ في الجنوبِ الغربيّ مِنَ القامشلي وبناءِ منزلٍ فيها، وكلُّ هذا قُمْتِ بِهِ بانتاجِكِ، وأشرَفْتِ على تربيةِ أولادِكِ تربيةً جيّدةً بحيثُ لا يحتاجونَ أحداً. مَنْ كانَ يُصدِّقُ يا أختي أنَّكِ ستعبرينَ البحارَ والمُحيطاتِ، وتُوجِّهينَ أنظارَكِ مِنْ سَماءِ القامشلي إلى ربوعِ لبنانَ، ثمَّ تحلِّقينَ عالياً نحوَ سَماءِ استراليا وتُهاجرينَ هجرةً دائمةً. غربةٌ مريرةٌ تجتاحُ كياني، تجرفُني إلى عوالمِ طُفولتي، إلى حميميَّاتِ الأسرةِ. وتوالَتِ الآهاتُ على أسرتِنا يا أختي، وقَدْ عانى أخي نعيم معاناةً طويلةً، كانَ على فِراشِ الموتِ، بعدَ عذابٍ طويلٍ، ما كنْتُ ناوياً وداعَهُ الوداعَ الأخيرَ، تخلخلَتْ يا أختي أركانُ الأسرةِ خلخلةً ما بعدَها خلخلةٌ، وهيمنَتْ غربةُ الإنسانِ عَنْ أخيهِ الإنسانِ هيمنةً لا تُصدَّقُ. اتَّصلْتُ في حينِها مَعَ أختي نظيرة في ديريك، مسقطِ الرَّأسِ، وتحدَّثْنا عَنِ اقترابِ رحيلِ أخي نعيم إلى رِحابِ السَّماءِ، بكَتْ نظيرةُ بُكاءً مُرّاً عبرَ الاتِّصالِ، ورجْتني أنْ أذهبَ إلى نورشوبينغ وأودِّعَ أخي نعيم قبلَ رحيلِهِ، كنْتُ غاضباً لعشراتِ الأسبابِ، وحزيناً بنفسِ الوقتِ على تشتُّتِنا في بلادِ اللهِ الواسعةِ، وتطرّقْتُ إلى أحزاني وانكساراتي وغُربتي المفتوحةِ على شهيقِ الحياةِ، فقالَتْ لي: أرجوكَ يا أخي اذهبْ وودِّعْ نعيم قبلَ رحيلِهِ، ستندمُ يا أخي لو لَمْ تودِّعْهُ وهو على قيدِ الحياةِ. كنْتُ قاسياً للغايةِ على موقفي بأنّي لنْ أذهبَ إلَّا بعدَ رحيلِهِ، سأذهبُ لحضورِ مجلسِ العزاءِ ومراسيمِ الدَّفنِ، لكنّي بعدَ أنْ أغلقْتُ الهاتفَ، تراءتْ أمامي مئاتُ المشاهدِ مِن ذكرياتِ الطُّفولةِ والشَّبابِ، وبدأْتُ أبكي مِثلَ طفلٍ فقدَ أجملَ ألعابِهِ، وإذْ بِكِ تتراءَينَ لي مِنْ سَماءِ استراليا وتقولينَ لي بكلِّ حَزْمٍ: كيفَ لا تذهبُ وتودِّعُ نعيم المدلَّل قبلَ وفاتِهِ وهو على مقربةٍ مِنكَ؟ فازدَدْتُ بُكاءً، وحزمْتُ أمتعتي وحقيبتي في صباحِ اليومِ التَّالي، وتوجَّهْتُ نحوَ أخي نعيم، حيثُ كانَ مُلقى فوقَ فراشِ المَوتِ بينَ أولادِهِ وبناتِهِ وزوجتِهِ وأهلِهِ. استقبلوني بفرحٍ وحبٍّ وحنانٍ عميقٍ. بكيتُ بُكاءً مُرّاً، مُرّاً للغايةِ. مئاتُ الأسئلةِ تبادَرَتْ إلى ذهني، وتراءَتْ لي مِثلَ فيلمٍ سينمائي آلافُ الصُّورِ، أدهشَتْني ذاكرتي وهي تموجُ بكلِّ هذهِ الصُّورِ الحميميَّةِ. تراءَتْ أمامي ذكرياتُ الماضي، ونحنُ نلعبُ في ديريكَ العتيقةِ. كَمْ كان أخي نعيم سريعاً في الرَّكضِ، نلعبُ "الحين كاليو" أي "الدَّاربولكة". كم كنَّا سُعداءَ ونحنُ نلعبُ "الدَّاربولكة"، و"البرّي والصلّابة والمختبوية والتُّوش". ألعابٌ بسيطةٌ، كانَتْ تمنحُنا فرحاً كبيراً وبهجةً غامرةً.

يا إلهي: كيفَ تتحمَّلُ ذاكرتُنا ضمورَ تلكَ الحميميَّاتِ، وتبعثُرَها في حنايا الخيالِ؟ كيفَ يتحمَّلُ المرءُ كلَّ هذا الانشطارِ؟! نحنُ في حالةِ انشطارٍ مُريعٍ يا أختي، مقارنةً بما كُنَّا عليهِ أيَّامَ زمانٍ مِنْ علاقاتٍ حميميَّةٍ، نأكلُ مِنْ صحنٍ واحدٍ، ونرضى بما هو متاحٌ لنا، نتعاونُ في السَّرَّاءِ والضرَّاءِ. كَمْ كنْتِ متعاونةً ونشيطةً في احتضانِ أجنحةِ الأسرةِ! لا تبارحُ ذاكرتي صورُ الذِّكرياتِ في أيَّامِ الحَصَادِ، يا إلهي كَم كانَتْ تلكَ الأيَّامُ جَميلةً، رَغمَ عذاباتِها ورَغمَ التَّعبِ الَّذي كُنّا نتعبُهُ. كُنّا بكلِّ شَغفٍ نبذُلُ جهوداً لا يمكنُ أنْ يتحمَّلَها جيلُ هذا الزَّمانِ. نحصدُ تحتَ شمْسِ آبَ وتمّوزَ في الظّهيرةِ الحارقةِ. مِراراً نهضْنا باكراً ووجَّهْنا أنظارَنا نحوَ أرضِ "الجلّكيّة"، وأرض "كڤري حارّو"، القريبةِ مِنْ حقولِ النَّرجسِ البرّي. نعشفُ حقولَ "الوُروزِ" أحياناً، ونحصدُ العدسَ أحياناً أخرى، تتراءى أمامي الآنَ أرضُ "الجلّكيّة" عندما كنّا نزرَعُها بالجبسِ والبطّيخِ والشّمّامِ

و"التَّرعوزِ" أي القتّي! أيَّامَ الخيراتِ والعزِّ والفرحِ رَغمَ كلِّ التَّعبِ الَّذي كُنَّا نتعبُهُ. وتنهضُ في مخيلتي تفاصيلُ الأرضِ الواقعةِ في طريقِ "بانى قصر" والأرضِ الواقعةِ في طريقِ "كاني نعمة"، نحصدُ بكلِّ همّةٍ وشغفٍ باقاتِ العدسِ والحمّصِ والشَّعيرِ والحنطةِ. كنْتُ أصغرَ البنينَ، غالباً ما كنْتُ ألملمُ باقاتِ العدسِ، أو أكوامَ العدسِ الصَّغيرةِ، وكنَّا نطلقُ عليها "الملّوات" وأنقلُها مَعَ أُمّي إلى "الكديسِ". و"الكديسُ" هو كومةٌ كبيرةٌ مِنَ العدسِ والمحصولِ الّذي نحصدُهُ إلى أنْ ننتهي مِنْ حصادِ الأرضِ، نحصدُ الأرضَ الواحدةَ على مَدى أيَّامٍ، ثمَّ ننتقلُ إلى أرضِ الحمّصِ والشّعيرِ ونحصدُ الحُمَّصَ والشَّعيرَ ونلملمُ الباقاتِ ونصفُّها في أكداسٍ كبيرةٍ، وفي النِّهايةِ نتوجَّهُ إلى أرضِ الحِنطةِ ونحصدُ الحنطةَ لمدَّةٍ أطولَ، لأنَّها كانَتْ أكثرَ المواسمِ مِساحةً.

كنْتِ أكثرَ الحاصوديَّاتِ نشاطاً بينَ كلِّ إخوتي، صبورةً جدَّاً، تستمرّينَ في الحصادِ بهدوءٍ وبشكلٍ مُتواصلٍ، وكأنَّكِ لا تتعبينَ أبداً. يا إلهي كَمْ بذلْتِ جهداً وكَمْ تعبْتِ في مواسمِ الحَصادِ، وفي نقلِ "أكداسِ" العدسِ والشَّعيرِ والحنطةِ. كنَّا ننقلُها في عربةِ العمِّ الرَّاحلِ عيسى أسمر أبو صهرنا المرحوم كوري، ثمَّ ندرسُ العدسَ والشَّعيرَ والحنطةَ بالجرجرِ على مدى أسابيعَ، والجرجرُ هو النَّورجُ. كُنتِ تشرفينَ على "الجرجر" برفقةِ الوالدِ وإخوتي. ما هذا الصَّبرُ الَّذي كنْتِ تتحلَّينَ بِهِ؟ لا تفارقُني لحظاتُ الحصادِ وأيَّامُ الجراجرِ، وأيَّامُ التَّذريةِ ونقلُ شالاتِ التِّبنِ على البغالِ، ونضعُها في حَضرتِنا الكبيرةِ، علفاً لبغالِنا وبقراتِنا للشتاءِ الطَّويلِ، وننقلُ أكياسَ الحِنطةِ والشَّعيرِ والعدسِ، على مدى أيَّامٍ وأيَّامٍ.

ولا تفارقُ ذاكرتي أيَّامُ النُّهوضِ باكراً والذَّهابِ إلى كرمِنا الكبيرِ، الواقعِ في شرقِ دير/ مار يعقوب، ونسيمُ الصَّباحِ يهبُّ علينا وينعشُ صباحنا، وكنّا نشاهدُ بزوغَ الفجرِ، كَمْ كان بزوغُها جميلاً، نصلُ إلى كرمِنا الكبيرِ، ونقطفُ أشهى أنواعِ العِنبِ ونملأُ سِلالَ العِنَبِ مِنْ كرمِنا وننقلُ أربعَ سِلالٍ مِنَ العِنبِ على ظهرِ حمارتِنا "حيصة" إلى سوقِ المدينةِ يوميَّاً، نُخصّصُ سلّةً لنا كي نتناولَ العنبَ اللّذيذَ، والباقي نبيعُهُ في سوقِ المدينةِ. كنْتُ أساعدُ أمّي في بيعِ العِنبِ. أيَّامٌ جميلةٌ لا تُنسى، ولا تمحوها الذَّاكرةُ، ظلَّتْ مُعرَّشةً ومرسَّخةً في حنايا الذَّاكرةِ وستبقى غافيةً بينَ مُروجِ الخيالِ طويلاً. ولا أنسى يا أختي أيَّامَ "العشيفة"، كنَّا نذهبُ صغاراً وكباراً إلى "عشيفةِ" القطنِ مَعَ المُزارعِ "أحمد حديد"، والعشيفة هي عبارةٌ عَنْ لَمَلمةِ الأعشابِ بكلِّ أنواعِها مِنْ حقولِ القُطنِ، كُنّا نشتغلُ عُمّالاً، كلٌّ عاملٍ يقبضُ بحسبِ عُمرِهِ، كنتِ تقبضينَ أكبرَ سعرٍ، فقد كانَ أجركِ في اليومِ الواحدِ بحدودِ خمسِ ليراتٍ سوريّة في سبعينياتِ القرنِ الماضي. وكم كنتِ بارعةً في لَمِّ القُطنِ، فعندما كانَ القُطنُ في أوجِ نموّهِ وتفتّحِهِ، ويصبحُ جاهزاً للمّهِ وقطفِهِ، كانَ صاحبهُ يبحثُ عَنِ العُمَّالِ كي يلمُّوا قطنَهُ، فكنَّا نحنُ عُمّالُ العشيفةِ نقومُ بلمِّ القطنِ أيضاً، وكنّا نلمُّ القطنَ آنذاكَ بالكيلو، كلُّ كيلو بفرنك سوري، كنْتِ تلمّينَ ما يقارب 200 كيلو قطن يوميّاً، في شالاتٍ كبيرةٍ. كانَ صاحبُ القطنِ يقولُ لكِ ما شاءَ الله أنتِ لمَّيتِ أكثرَ مِنْ ثلاثةِ عُمَّالٍ لوحدِكِ! وأنا بصعوبةٍ كنتُ ألمُّ بحدود 60 كيلو مَعَ أنَّني كنْتُ مراهقاً في حدودِ الرّابعةَ عشرةَ مِنْ عمري! ناهيكِ عَنْ عملِكِ في الخَرجِ والنَّقشِ وإعداد محراماتٍ مِنَ الحجمِ الكبيرِ، كَمْ كنتِ نشيطةً وبديعةً في الأعمالِ اليدويّةِ المتعلّقةِ بالأبرةِ والخيطِ والمغزلِ الرَّفيعِ الصَّغيرِ.

كَمْ أشعرُ بالافتخارِ بكِ وبكلِّ ما قمْتِ بِهِ عَبرَ محطَّاتِ رحلتِكِ في الحياةِ، كنْتِ أُمّيَّةً لا تفكّينَ الحرفَ، لكنَّكِ كنتِ تخلقينَ العملَ خَلقاً، وتُنتِجينَ أكثرَ مِنْ موظَّفٍ براتبٍ ثابتٍ. وحقَّقْتِ ما يحقِّقُهُ الرِّجالُ الأوفياءُ لأُسَرِهم، وقبلَ أنْ تعبري البحارَ، بعْتِ بيتَكِ الَّذي اشتريتِ أرضَهُ وعمَّرتِيهِ مِنْ إنتاجِ بيعِ البوظةِ المصنوعةِ في المنزلِ، ومِنْ إنتاجِ إعداد الألحفةِ والدَّواشكِ والمخدَّاتِ، بعتيهِ بستِّينَ ألف دولار منذُ قرابةِ ستِّ سنواتٍ. والآنَ تُقيمينَ مَعَ زوجِكِ في ربوع استراليا، وابنك نبيل وابنتكِ شاميران على مقربةٍ منكِ بعد أن تزوَّجا وشقّا طريقَيهما في الحياةِ، وابنُكِ طوني البكرُ عبرَ البحارَ قبلَكِ إلى ربوعِ اليونان، وانتشلْتُهُ مِنْ هناكَ إلى ربوعِ السُّويدِ.

ستوكهولم: أيلول (سبتمبر) 2024

صبري يوسف

أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم




Sabri Yousef
2009

دراسات نقدية

ومقالات


Sabri Youssef
2012

قراءة في ديوان أحلام حيارى للشاعر عصمت شاهين الدوسكي

1

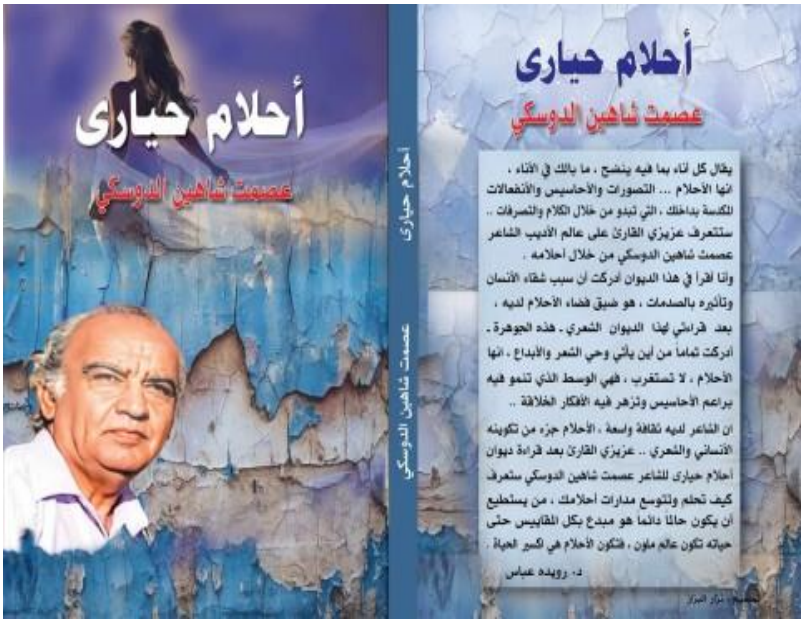

الناقدة والكاتبة السُوريّة د. رويدة عباس



* على كل واحد منا أن يستغرق في الأحلام كل يوم لمدة قصيرة
* تثار الأحلام لدى الشاعر من الشوق والنوى
* كيف تكون الأحلام في مدينة بلا نور ..؟
* هل يموت الحلم بين مواكب الغادرين والعائدين.. ؟
* يحلم الشاعر بأرض يكون الإنسان فيها إنسانا فلا يهان ولا يقتل .
* القصائد في هذا الديوان رؤى فلسفية وجدانية وقلبا مفعم بالإيمان.

عندما قرأت العنوان "أحلام حيارى" أخذني هذا التركيب بل الإبداع اللغوي، كنت في ذهول، حيرة، ماذا اكتب، وصراحة شعرت إنني أسافر إلى عالم مجهول...بماذا تفكر وأنت في الطائرة..

يقال كل آناء بما فيه ينضح، ما بالك في الآناء، إنها الأحلام...التصورات والأحاسيس والانفعالات المكدسة بداخلك، التي تبدو من خلال الكلام والتصرفات، الشاعر لديه ثقافة واسعة، الأحلام جزء من تكوينه الإنساني والشعري...إنها ليست أحلام إنها عالم حقيقي تلمسه في أغوار نفسك، يعتقد علماء النفس أن أي حدث هام أو إنجاز في حياتنا لابد أن يكون حلماً في البداية، وعلى كل واحد منا أن يستغرق في الأحلام كل يوم لمدة قصيرة قد تكون لحظات معدودة وبعد ذلك يمكنه أن يتخذ قراراً بسيطاً يكون هو خطوة البداية نحو تحقيق الحلم أو هدف كبير يسعى إليه, وغالباً ما تكون الانفعالات النفسية وراء محتوى الحلم من أحداث وشخصيات وأماكن كلها تعني شيئاً محدداً بالنسبة لصاحب الحلم.

لكل منا أحلام، من يستطيع ان يكون حالما دائما هو مبدع بكل المقاييس، حتى حياته تكون عالم ملون، فتكون هذه الأحلام هي إكسير الحياة،إن الحلم الأساسي يكون أول ما يخطر على البال، الحلم الأساسي للشاعر هو أنه عاشق، سيبقى العاشق لكل جمال.

ستتعرف عزيزي القارئ على عالم الأديب الشاعر عصمت شاهين الدوسكي من خلال مجموعة من القصائد، بصراحة كنت سأكتب ستتعرف على الشاعر من خلال أحلامه، إن الشعر هو بالأصل تخيلات،وأحلام، ورؤى وتصورات إبداعية، كل القصائد في هذا الديوان الشعري فيها أحلاما، يعبر عنها الشاعر بطرق مختلفة، وبلغة شاعرية وبرؤية فلسفية،.

الشاعر دائما في حالة حلم، فهو العاشق أبدا لملكة وهب لها كل مشاعره وأحاسيسه(قصيدة الحلم الجميل)، تثار الأحلام لدى الشاعر من البعد والنوى، (قصيدة ظلم الفؤاد بالنوى).عندما يصبح الحلم هاجسا، تثور الأحاسيس وتلتهب المشاعر في زمان الحب فيه مكتوم الأنفاس، لكن حلم الشاعر لا يتحطم تحت أقدام الأسوار العالية.(قصيدة ثورة الإحساس). الإحساس هو محرك داخلي وان كان المؤثر خارجي، وكل شيء مكنون، هو حلم، إحساس الحب حلم جميل لا ينته، يرسمه الشاعر لحن الخلود والمسرات، فهو خلاص بين القيامة والحياة. (قصيدة القيامة والحياة).أرقى الإحساس أن تتكلم بلسان حال الأخر، يتصور الشاعر أحلام المعشوق، ذلك في حوار داخلي، يبين عن رهافة حسه بالآخرين، وبراعته في التعبير عن الانفعالات من حزن، وألم وحب..(قصيدة سلطان القلب والروح)، (قصيدة ارحل أن أردت الرحيلا). أحلام الشاعر طوفان وإعصار لثورة الحرمان، يقتلع من الجذور كل أسراره، فهو المغترب في وطن الحب.(قصيدة طوفان وإعصار).

أحلام الشاعر فيها دموع، من أبكاها، أحلام الشاعر هي إحساس بكل شيء، فهو بالأحلام يرى ويسمع، يتألم، يشتاق، "إحساس بلا قيود في كل مدار(قصيدة طوفان وإعصار). أحلام الشاعر ربما لن ترى النور لكنها مسكونة بالحب مع أنواره (قصيدة طوفان وإعصار). بألوان الحب نحيا ..مع الأحلام والأمنيات(قصيدة زهرى شوقا للحياة)، اختصر فيها الشاعر الثالوث الذي تقوم عليه الحياة، .تصور ان يكون لي ولك نفس

الأحلام... هنا تكبر بذور الحب لتصبح أشجارا، يكتب الشاعر أحلامه بدموع الفقراء وآلام الأمهات ووجع اليتامى، ضد المخربين، الفاسدين!(قصيدة نسيت إنكم لا تقرؤون).

كيف تكون الأحلام في مدينة بلا نور، يحكمها الجهل والعلم فيها يغور، سلبت منها الأحلام والأمنيات، اغتصبت الآمال، يحلم الشاعر بعالم كل ما فيه نور، وكل مكروه تحت مداس.(قصيدة الحرمان الكبير).فأحلام الشاعر بريئة من كل الحروف والكلمات التي تصلب الإبداع وتلغي الفكر، (قصيدة تسألني). يدعو الشاعر في أحلامه سيد النور أن يفور التنور، وتعود الحياة، وتفتح أبواب مدينة النور.(قصيدة مدينة بلا نور). يحلم الشاعر بالسلام والأمان للعراق، كما لكل البلدان، (من قصيدة سيدة السلام)،يحلم الشاعر منذ ألف عام... بوطن بلا قيود وضباب.(قصيدة ارسميني).يحلم الشاعر بأرض يكون الإنسان فيها إنسانا فلا يهان ولا يقتل كأنه شيء كثير...رغم ذلك بقدرة القدير ستشرق الشمس هنا رغم الظلام ...(قصيدة هولير).يحلم الشاعر ان ينزل المطر على غمائم العناق الأدبي والفكري.(قصيدة أنقذوا المطر).

عندما تشقى الروح من الحزن، يصبح الأمل باللقاء حلما، والانتظار دموع تبحر بين أمواج الروح، فمتى تلتقي الأمواج (قصيدة لقاء الأمواج). تصور فجأة تصحو على أزيز الرصاص، تجد أحلامك كلها قد دمرت، كما أحلام اليتامى والثكالى، والحيارى...والأبرياء، أيا ما كنت من هؤلاء ستحلم من جديد، أنت من نور، وحبك وفاء وحياة، (قصيدة أحلام حيارى).مات الضمير، مات الفكر مات البصير، وأصبح الشيطان للإنسان وليا،فهل يموت الحلم بين مواكب الغادين والعائدين...(قصيدة الله أكبر).الشاعر في أحلامه يرفع يديه للسماء يناجي الله ورسوله ويبث شكواه وشجونه، ، إن نصر الله آت تذوي ملوك وينهار كل ظالم.(قصيدة محمد رسول الله).فليس في قلب الشاعر إلا الله (قصيدة خابور قدر ورحيل).لكن يجب أن يبقى الأمل وان كان تحقيق الأحلام صعبا، (قصيدة وفاء بعد وفاء)،يحلم الشاعر أن يصحو الضمير، لما تتحقق أحلام المساكين المعذبين على الأرض. (قصيدة معذبون على الأرض).إن حلم الشاعر ينمو ويحيا بتهور...أشبه بالجنون، رغم الاغتراب ووجع الحنين، على ان يموت بين الغادين والعائدين.....(قصيدة حلم ..الحب والجنون)

أحلام الشاعر غير محدودة كيف لا وهو " يتنفس هواء كل الأوطان، يسافر في أحلامه وبلا سبيل يدنو"، الشاعر يسافر في أحلامه بدون سفر، يحمل هموم وطنه الجريح، (قصيدة مازلت تحبيني).أحلام الشاعر بيضاء، ترحل بعيدا بعيدا، وعندما ينغمس في الحب والقوافي تتكسر القيود، أحلام الشاعر كالأنهار، يحلم بالسفر لكن لا سبيل للإبحار(قصيدة... حلم الحب والجنون).الشاعر في أحلامه يسافر عبر الزمن يوثق تاريخ، فهو بلغة شعرية يروي أساطير الملوك وأسرار المكان والزمان.(قصيدة همسات على قمة كاره). في أحلام الشاعر ..كما أي حلم تتغير نواميس الطبيعة، وتقرب المسافات، وتتبدل الأزمنة، يسافر فيه عبر الزمكان فترى الشاعر يتحدث مع نهر الخابور الذي أصبح قدر الرحيل يلتهم من يسقط به لينام نومة أبدية

في الأعماق.(قصيدة خابور قدر ورحيل).تعلم.. لما تمر عليك أحداث غير عادية او غريبة، تقول أنا في حلم، قف هنا هذا واقع، إنه واقع الشاعر، يتعجب الشاعر من ان يكتب على أوراقه مهجر بمجرد انتقل من مدينة الى اخرى اثر الاحتلال، هذا ليس حلما بل كابوس،.(قصيدة مهجر في وطني).عندما يشعر الشاعر أنه محطم، هوت أحلامه كما الصروح العاديات، تأخذه قدماه الى مكان يلقي فيه همومه، وترحل عبر جمال الحاضر وعظمة الماضي، إنها زاخو، (قصيدة زاخو). تصور أن تشتاق لأحلامك، روح الشاعر تشتاق أحلامها في بلده كوردستان، إنها رحلة الشاعر مع الزمان والمكان، عمر، غربة وأماني صبا،كوردستان أسطورة عشق تلهم الشاعر وينتظر كل فجر ان يرتمي في أحضانها....حلم لا ينته (قصيدة كوردستان).

الأحلام عند الشاعر تكون بشكل خيالات وتصورات في وقت يجلس فيه يتأمل، ربما يكون الليل الوقت هو الوقت الأمثل يكون فيه وحيدا، ينساب سيل الذكريات، وتتفتق الأشواق بين خطوط وألوان.(قصيدة تطوان).تمر فيها الأمكنة وأطياف الأشخاص، تعاد فيها القصص، فتتقد دجنة الأحزان بين الضلوع، والأنفاس حرًى وآهات وشجا وبكاء.(قصيدة روح الوفاء).الأحلام عند الشاعر قد تكون رؤى وآمال انتظار وترقب لفرحة، أو انفعالات في غربة الروح من عسر إلى عسر(قصيدة محرقة الإنسان). غربة الروح توقظ الذكريات في تجليات ورؤى، فتنزف الجراحات على وسادة الصمت في ليلة دهماء. (قصيدة لا تبكي سيدتي).لما يتأثر الشاعر بموقف، يتجلى الإحساس في الخيال على شكل قصيدة، انتبه عزيزي القارئ الشاعر يفكر شعرا، اي يفكر بلغة الشعر فتولد الكلمات من مساماته كما ينابيع الماء من شقوق الأرض (قصيدة لحن الوفاء).

عزيزي القارئ تجد في قراءة القصائد في هذا الديوان رؤى فلسفية وجدانية وقلبا مفعم بالإيمان، تعد جزء من أحلام الشاعر وخياله الواسع، تدعوك للتأمل والتفكير...." قالوا الموت أسهل الأشياء....بنظرة شوق وحنان أرجو أن لا يكون ظلي ضمن الأسماء"...) قصيدة وفاء بعد وفاء)."كأن صدى هاتف يرن.....مرة أجراس ، مرة مؤذنا...ألمح في طريقها العابر... وجوها وجمالا وأعينا أحسب الوطن أرضا "...(عن قصيدة تسألني). يرى الشاعر إن الأحلام ترسمها يد الأقدار، يمكن ان تجنح بخيالك فيمتد البصر بلا حدود، يتخطى حدود الزمان والمكان (قصيدة همسات على قمة كاره).تصور هذه المناجاة الغير عادية، القدر عند الشاعر هو أميرة الحب،"أميرة القدر الحب مثواها"، القدر هو الخير دائما، يناجي الشاعر في أحلامه ملكة القدر، ويبثها آلامه وعذاباته وانين بلده الجريح... فهل بشكواه تهدأ ثورة الجراحات..(قصيدة وفاء بعد وفاء). بنظرة عميقة ودقيقة وبلغة شعرية يقدم الشاعر لأول مرة فكرة فلسفية: "أبصر رؤى الكلمات...جمًل الروح بقلائد المسرات"الكلمات...الكلمات لها خيال لها تصور لها انفعال...حنين، صمت، بكاء، لها قصة على لسان من ينطقها، بإمكانك ان تؤلف على أي منها كتابا يحمل عواطفك وأفكارك.(قصيدة رؤى الكلمات).

أحلام الشاعر حيارى عندما تتكسر الآمال وتحرق العبرات سنابل الروابي التي لم يكتب لها الحصاد، وتهرب الأحلام بين الناس، لكن دائما نور الله موجود مهما اسودت ستائر الأحلام(قصيدة الحرمان الكبير).أحلام حيارى، صراخات، آهات، جراحات وعذابات، كيف لا والأحلام موثوقة، أخبرني كيف ستكون الأحلام لمعذب لا يجد أحيانا خبزا للأبدان...(قصيدة جنون الحب).أحلام الشاعر حيارى، كيف تكون أحلام مغترب بين حرب وحب وفناء،عندما تكتم الأفواه وعندما لا يكون للحق ميزان، والإنسان أشباه إنسان،.(قصيدة صوت مغترب).كيف تكون أحلامك وأنت عائد من الموت متجه الى التشرد، بلا مصير وقدر عسير.(قصيدة مشردون).أحلام...حيارى نعم، كيف تكون أحلام ميت بين الأحباب،.... طليق مقفلة كل الأبواب. ...ينتظر أن يرحل الضباب...(عن قصيدة حلم الحب والجنون).أحلام الشاعر حيارى في وطن فيه القتل منهجا والسلام مفقود والأمان ضائع، حيث لا حرمة للدماء والعرض والمال... (قصيدة قابيل و هابيل).

لا يمكن أن تفعل شيء إلا إذا تخيلته في مخيلتك، الخيال يوصلك للسمو البشري و الإنساني، ولا يوجد إنسان سلبي او قاسي عل نفسه او متذمر او يعيش حالة عدم طمأنينة او حالة فشل إلا ورأى فشله وعدم طمأنينته في خياله، إذا لم تتخيل لن تستطع أن تحقق شيء، وأنا أقرا في هذا الديوان أدركت إن سبب شقاء الإنسان وتأثيره بالصدمات، هو ضيق فضاء الأحلام لديه، تصور بعد قراءتي لهذا الديوان الشعري –هذه الجوهرة– أدركت تماما من أين يأتي وحي الشعر والإبداع، إنها الأحلام، لا تستغرب، فهي الوسط الذي تنمو فيه براعم الأحاسيس وتزهر فيه الأفكار الخلاقة" احتار بديع خيالي للزمان رفيع الشوق والحزن والعزاء" (قصيدة وفاء بعد وفاء). الشاعر حساس لكل شيء يراه أو يسمعه أو يقرأه، يمكن مشهد في السيارة أو قصة قرأها، أو مدينة زارها، عزيزي القارئ هل تدرك أن ذلك نوع من أدوات البحث العلمي يسمى الملاحظة، لا يتمكن أي شخص من هذا النوع من الإدراك العقلي،

كل الأحلام تبقى أحلاما، تتبدى من لمعات الأعصاب، ونزيف الذاكرة، لكن الشعر لغة ترسم عالم الأحلام بدون ريشة فنان، ليصبح الشعر الموثق للغة الأحلام، أحلام الشاعر فيها تفاصيل، كأنها حياة جديدة، مهما كان موضوعها تمر مشاعر الشوق والهيام فيها كنفحات الصباح، تعكس روحه العاشقة أبداً للحب والجمال، نظرة الشاعر في الحياة فيها الجمال والتحدي فهو بها حلما جميلا.

عزيزي القارئ: يدعوك الشاعر إلى الخيال،بلا حدود تتخطى الزمان والمكان، كأنك في حياة أخرى، قد ترسم بخيالك حلما مشتركا مع كل الناس، يدعوك الشاعر أن تتنفس حبا،وان تقاوم الخطوب والمنايا بتخيل أن الآلام تخشى الأقوياء،من رهافة حس الشاعر يدعو للجميع " الله أكبر على الظلام أمام الياسمينا ...تعمق قليلا تجد في أحلام الشاعر الحكمة "ليس هناك نعيم إلا قبله آهات".

دعونا نتعلم من الشاعر كيف يحلم دعونا، تصوروا ندخل إلى عالم أحلام الشاعر، هل نستطيع أن نكون مثل الشاعر أن نمد يدنا بين الجراحات ونمسح من العين عبرات، دعونا نحلم بتهور أشبه بالجنون كما

الشاعر، حضرة الشاعر غاية في الإحساس فهو حزين في أحلامه على كل مآسي الناس في وطنه، ولكنه بشعره يرسم البسمة، يبشر بتحقيق الأحلام، الشاعر في أحلامه لا يقبل الحلول الوسط يواجه كل الظالمين والفاسدين، أحلامه بيضاء "تسمو بكل جميل، لتصل للفضيلة والرقي الفكري حتى في أحلامك تكون كما الشاعر"لطيفة همساتي حتى عندما ابكي.. لذلك بحكمة الشاعر يطب منك أن تختار الكلمات حسب رؤاها. تعالوا ندعو مع الشاعر إلى عودة الألق للأحلام بصحوة الضمير، تعالوا ندعوا مع الشاعر إلى مدينة النور،تعالوا نتضامن مع الشاعر لا تستهينوا بأحلام المشردين النازحين، نتبنى هذه القضية لتعود كرامة الإنسانية إنسانية، تعالوا الى أحلام الفقراء والمهجرين بكسرة رغيف.. ماء ..ملجأً، تعالوا نكون مثل الشاعر عندما يثير الشوق الأحلام تتقد ثورة الإحساس فتتحطم كل الأسوار العالية...والأحلام تحلق عاليا حيث تشاء، تعالوا نتتبع أمال وأمنيات الشاعر: "لا تشتهي غير إحساسك بالحب.أن تشتاق لأحلامك في مكان يمثل لك ذكريات خاصة، أن ترم همومك وتزور الأماكن التي تشعر فيها كأنك في عالم الأحلام، تمشي كالأمير، و الرياح حولك تهب بنسيم الحياة...

اشكر حضرة الشاعر الأستاذ عصمت شاهين الدوسكي على إتاحة الفرصة لي للحصول على لآلىء من كنزه المكنون، لقد تغيرت لدي الكثير من القيم والمفاهيم بعد قرائتي لهذا الديوان أحلام حيارى، عزيزي القارئ بعد قراءة ديوان أحلام حيارى للشاعر عصمت شاهين الدوسكي ستعرف كيف تحلم وتتوسع مدارات أحلامك، لا تقلق لا يزال في الكنز لكثير الكثير من الجواهر بإمكانك ان تنهل منها متى تشاء فلا وجود أقفال على الكنز... حضرة الشاعر اسمح لي باسم القراء نتوجك ملكا على عالم الأحلام،رغم غربة الروح فينا، رغم الصوت المسجون، رغم الضعف وخجل المقام، رغم المسافات والجبال..فقد كسرت فينا كل الأصنام، وأيقظت في الروح ثورة جديدة..من شعر وقوافي...وبيوت من صدر وعجز ومقام.." وألقيت في القلوب نور الحب لنبصر رؤى الكلمات. .حضرة الشاعر نحن نعشق إحساسك إن تمرد أو تجنى. يكفي في الوجود شاعر...مثلك يزرع الأمل والحب وكفى... ترسم بشعرك ليلا... فجرا ...ونهار...أسطورة حب تذكر في ميادين الوفاء وتلهب الأشواق، وان عز الحلم وعز اللقاء ففي شغاف القلب سماء، فلا عجب حضرة الشاعر تكون من الورود والأزهار، مفعما بالحب تحيى حرا وتشع بأحلام الحيارى التي تجسد أحلام الإنسانية.

رويدة عبّاس
كاتبة وناقدة من سورية



صوت الرُّوح في زمن الدمار: الشاعر اليمني أحمد الفلاحي.. نموذجًا

2



الأديب والمخرج اليمني حميد عقبي

منذ الأزل، والشعر يمثل الصوت الإنساني القادر على اختراق حجب الزمن والظروف، مرآة صادقة تعكس المعاناة الإنسانية، وتفتح أبواب الأمل على مصراعيها. في أزمنة الحرب والدمار، لا يعود الشعر مجرد وسيلة فنية، بل يتحول إلى فعل وجودي، ينبض بالحياة في مواجهة الموت، ويصبح مقاومة رمزية تستعيد للإنسان كينونته التي تُهددها الحرب.

الحرب في جوهرها تدمير للروح وللجسد، لكنها في الشعر تتحول إلى منبع للإبداع العميق. هنا تتداخل مشاعر الألم والحب، الموت والحياة، في صور شعرية تعيد صياغة الفوضى إلى جماليات جديدة. الشعر في زمن الحرب يكتسب لغةً خاصة، قادرة على التقاط تفاصيل الحياة الهاربة من قبضة الموت، إنه صرخة الإنسان الباقي في مواجهة الخراب، ووسيلته لاستعادة صوته الذي كاد أن يضيع وسط هدير الأسلحة.

في الأدب العربي، كان هذا التفاعل بين الشعر والحرب حاضرًا بقوة. من فلسطين إلى العراق، ومن سوريا إلى اليمن، إذ تظل الحرب مهيمنة على المشهد الشعري، تنسج قصائد تنبض بالوجع، والحنين، والتمرد، فمثلا قصائد محمود درويش، بدر شاكر السياب، وأصوات معاصرة عديدة، رسمت صورة دامغة لهذه العلاقة.

وهنا نأخذ نصا للشاعر اليمني أحمد الفلاحي الذي بين أيدينا، وسوف اعرضه لاحقا فهو يندرج ضمن هذا الإطار؛ إنه نص يحمل في طياته تجربة إنسانية شديدة الخصوصية والعالمية في آنٍ واحد. يتأمل الفلاحي هشاشة الإنسان في مواجهة العنف الوحشي، ويعيد صياغة المعاناة في قوالب رمزية عميقة ومؤثرة. نصه

يعجُّ بالصور والاستعارات التي تعيد تشكيل المشهد المأساوي للحرب، وتحوله إلى تأمل فلسفي في جوهر الوجود الإنساني.

على سبيل المثال، حين يصف الفلاحي "الأنقاض وهي تُهدهد ظلال الموتى"، فإنه لا يكتفي بنقل صورة الفجيعة، بل يخلق حالة شعورية مُشبعة برمزية مُرهفة. الأنقاض ليست مجرد بقايا الخراب، بل تحمل في طياتها ذاكرة الفقد، ومحاولة للحفاظ على أثر الحياة. في مثل هذه العبارات، يتحول النص إلى ما يشبه خريطة عاطفية، تُعيد توجيه القارئ نحو التفكير في معاني البقاء والدمار.

إن قراءة نصوص كهذه تفتح أمامنا أسئلة أعمق حول طبيعة الشعر في زمن الفوضى. كيف يمكن للشعر أن يستوعب حجم المأساة؟ كيف يستطيع أن يُعيد تشكيل الواقع الممزق؟ النصوص التي كتبت في ظل الحروب لا تهدف إلى تقديم إجابات سهلة؛ بل تعمل كمرآة تعكس تناقضات الحياة وتجعل القارئ يتأمل المأساة من زوايا جديدة.

أحمد الفلاحي لا يكتب عن الحرب من الخارج، بل يغوص فيها ليُظهر لنا تناقضاتها: القبح والجمال، الفناء والحياة. وهنا تكمن قوة الشعر، في قدرته على أن يكون أداة لتوثيق الحاضر، ووسيلة لفهمه، وأحيانًا وسيلة للتغلب عليه.

إن الشعر في زمن الحرب يتجاوز كونه مجرد إبداع أدبي ليصبح فعلًا مقاومًا، يعيد ترتيب الفوضى، ويُبرز جوهر الإنسان وسط الدمار. في نصوص أحمد الفلاحي وأمثاله من الشعراء العرب الذين عاشوا في ظل الحروب، نجد هذا الامتزاج بين الألم والأمل، بين التوثيق والتجاوز، بين التراجيديا والحلم. إنها نصوص تُذكرنا بأن الحرب رغم قسوتها لا تستطيع أن تطمس صوت الشعر، ذلك الصوت الذي يبقى شاهدًا على إنسانية الإنسان.

سوف نفتح الباب لتحليل أكثر لهذا النص والتعرض بشكل مختصر لموضوع الشعر والحرب، وسوف نستعرض كيف يمكن للشعر أن يكون أداة لفهم الدمار، ولإيجاد معنى في عالم متخم بالارتباك وبالفوضى.

اليكم النص ثم سنحاول التحليق معه في رحلة تأملية

النص

تجري من تحت أقدامهم
ويبصقون في وجه الريبة
كما لو أنهم اعواد ثقاب
الخيبة وهي ترمق الدهشة بحذر .
يدلفون إلى النميمة من بابها الخلفي

يربون الاعشاب على وجهوههم
وينخرون الشجرة الواقفة في وجه الريح
يحلمون بالفراشات ويلتحفون بالماء
يسدلون الرغبة
ويتازرون بالتيه.
تتسع خطواتهم نحو هاوية الظل،
كما لو أن الغياب صار قنديلاً يتدلى من سقف البوح.
يلتحفون الصمت،
لكن أصواتهم تتكسر كزجاج هش على أرصفة الغيم.
يجمعون الحزن من بين أصابع الريح،
مثل طيور أضاعت أجنحتها
تطير على خيط الوهم
كبير هو الفقد.
يكتبون أسماءهم على الرمل
ثم يلعنون المدّ
يمضغون الوقت
ويتكئون على عظام أحلامهم المتعبة،
كما يتكئ الليل على أكتاف الغروب.
يحملون الفجر في جيوب مثقوبة،
ويمدّون للندى اياديهم
لكن أصابعهم ترتعش حين تلمس الضوء.
إنهم أعواد ثقاب مبللة
يحاولون عبثا
ان تضيء زوايا البرد في قلوب الغريب
الحالمون والراجون الاياب
قلوبهم مخضبة بالدمع
والطريق غابة شوك.

في هذا النص، يقدم أحمد الفلاحي رؤيته الشعرية العميقة عن الحرب بوصفها ليست فقط مأساة جماعية، بل تجربة فردية عميقة تنسج في تضاريسها أحلامًا ممزقة وأوجاعًا متشابكة. نصه يمزج بين الألم والحلم

في لغة تنبض بالحياة رغم سوداوية السياق، ويعيد تشكيل مشاهد الحرب العبثية برؤية شعرية تتسم بالتناقضات؛ حيث الفراشات، رمز الطبيعة والجمال، تطير في فضاء مشبع برائحة الحرائق والدخان.

حين يتحدث الفلاحي عن بشر "يحلمون بالفراشات ويلتحفون بالماء"، فإنه يخلق صورة مركبة تتجاوز الواقع المادي لتلامس أعماق الروح الإنسانية. الفراشات هنا ليست مجرد كائنات طبيعية، بل رمز للألوان الزاهية، للأمل، للحلم الذي يحلق رغم قيود الواقع. إنها شحنة رمزية تُظهر شوق الإنسان لجمال الطبيعة وسط قبح الحرب، وتُبرز التناقض بين الداخل الإنساني الذي يتوق للجمال والخارج الذي يفرض عليه البشاعة.

لكن هذا الحلم بالجمال يبدو هشًا أمام الواقع الذي "يمسخ ويشوه الجمال الداخلي للإنسان"، حيث الحرب لا تكتفي بتدمير المدن والبنى التحتية، بل تمتد لتشويه الروح الإنسانية، لتدمير الأمل نفسه. هذه الصورة الكونية التي يرسمها الفلاحي تبرز كيف تتحول الحرب إلى قوة معادية لكل ما هو جميل في العالم، محاولةً إخضاع الطبيعة والجمال البشري لهيمنتها القاسية.

الشعر كصوت الحائر والمتأمل

النص الشعري للفلاحي لا ينقل الحرب كما هي في عناوين الأخبار أو الصور الصحفية؛ بل يقدمها من خلال عدسة الروح، حيث تصبح الحرب تجربة وجودية تفوق الإحصائيات. إنه يصور الإنسان في موقف تأملي حائر أمام عبثية الدمار، محاولًا تفكيك هذه المأساة، لا من خلال التوثيق المباشر، بل عبر إعادة خلق المشهد في صياغات رمزية تتسم بالحميمية والعمق.

الشعر هنا يحاول أن يمنح الحرب معنى أبعد من مجرد القتل والهدم، إنه يصنع ذاكرة جديدة للحرب، ذاكرة تُخلد التجربة الإنسانية المرهفة أمام القسوة المفرطة. بهذا المعنى، يصبح النص محاولة لإعادة صياغة المعاناة في إطار جمالي وفني يساهم في الحفاظ على الوعي الإنساني وسط فوضى الموت.

يتجاوز نص الفلاحي التصوير السطحي للحرب ليقدمها كحالة وجودية تحتاج إلى فهم أعمق، فالألم هنا ليس مجرد أرقام أو إحصائيات؛ بل تجربة رمزية تعيد تشكيل العلاقة بين الإنسان والعالم. حين يختار الشاعر الحديث عن "الفراشات" أو "التحاف الماء"، فإنه ينقلنا إلى مستوى مختلف من التفكير، حيث الحرب ليست فقط حدثًا تاريخيًا، بل تجربة فلسفية وروحية تسعى لتفسير العبث الذي يهيمن على الحياة في لحظات التراجيديا الكبرى.

هذه اللغة الشعرية، التي تمزج بين الصور الحسية والرؤى الروحية، تؤكد أن الشعر قادر على منح الحرب بُعدًا آخر. إنه صوت لا يكتفي بالبكاء على الأطلال، بل يسعى لفهم أسباب الخراب، ولإيجاد مساحة رمزية يمكن للذاكرة الإنسانية أن تحتفظ بها عبر الأجيال. وهنا تبرز أهمية نصوص كهذه، حيث تتجاوز التوصيف المباشر وتُخلد المعاناة بطريقة فنية تجعلها جزءًا من تاريخ الإنسانية الحي.

نعلم جيدًا أن الشعر يصور ويوثق ويتوقف بوصفه شاهداً حياً على التحولات المجتمعية في زمن السلم والحرب، فهو الفن الأكثر مقدرة على استنطاق الألم الإنساني حيث يعمل أكثر من تصويره وتحويله إلى كلمات وعبارات تحمل في طياتها المشاعر المتناقضة مثل الشعور بالخسارة والضياع أو تنمية رغبة الثورة عبر التمرد والأمل. خلال زمن الحرب، قد يتحول الشعر إلى وسيلة للتوثيق العاطفي والنفسي للحظات الفناء والثورة والتحدي، هنا يلتقط الشاعر نبضات وهمسات المأساة ويخلق منها صورًا تخاطب الروح الإنسانية بشكل عام في كل أرجاء الكون.

الشعر في زمن الحرب ليس مجرد وسيلة بكائية للرثاء أو لمجرد التوثيق، بل هو مقاومة ناعمة وحالمة تُخرس صوت آلبشاعة وتُبقي على شعلة الروح الإنسانية مضاءة وعطرة.

تحمل الحرب الكثير من الفوضى والخراب، تكشف أعماق النفس البشرية بكل تعقيداتها، فتغدو أرضًا خصبة للإبداع الشعري الذي يعبر عن لحظات اليأس والأمل، الهدم والبناء، الفقد والرغبة في البقاء. الشاعر في زمن الحرب ليس فقط راوٍ وموثق للدمار البشع، بل هو خالق للذاكرة، يسجل بمداد من الألم والمقاومة ونصرة الحياة. في الحروب الطويلة والمعقدة، كما هو الحال في المنطقة العربية، يصبح الشعر مرآة للوجدان الجمعي، يصور التشظي النفسي والمادي والإرتباك، لكنه أيضًا يحمل الكثير من الأحلام الأمال ليؤكد ضرورة أن تكون حياة وحب رغم كل دمار.

في الأدب اليمني، يشغل موضوع الحرب مكانة بارزة، إذ أن الشعراء يحاولون حمل عبء نقل مأساة وطن مزقته الصراعات، ويتحولون إلى أصوات للمقاومة والأمل، وتوجد نماذج عديدة وأصوات شعرية بالداخل وفي المهجر نذكر بعض الأسماء مثل القصائد الأخيرة للشاعر عبدالعزيز المقالح، عبدالودود سيف، أحمد الفلاحي، حميد عقبي، عبدالغني المخلافي، جميل حاجب، معاذ السامعي وغيرهم وسبق أن كتبت عن هذه الأسماء وأتناول تجربة الشاعر أحمد الفلاحي للمرة الثالثة فقد سبق تناولته في مقالتين، مقالة بعنوان (التجربة الشعرية للشاعر اليمني أحمد الفلاحي ..أناشيد أورفيوسية للحرب والعشيقة) ومقالة بعنوان (التجربة الشعرية لليمني أحمد الفلاحي.. مشهدية حساسة ترسم وطنا حزينا تسحقه الحرب) وهنا نقف مجددًا مع نص جديد للشاعر اليمني أحمد الفلاحي حيث نجد أنه يكتب نصوصه كفعل احتجاج إنساني ضد عبثية الحرب.

يؤكد الفلاحي أسلوبه الشعري المليء بالرمزية والاستعارات المؤثرة، يروي لنا قصص أولئك الذين يعيشون على هامش الحياة في ظل الحرب القاسية التي يبدو أنها لن تنتهي، فيكتب عن البسطاء وحلمهم المكسور وواقعهم المرهق والثقل بالوجع والألم .
تجري من تحت أقدامهم ويبصقون في وجه الريبة

هكذا يبدأ النص، ليضعنا كقراء في مواجهة مباشرة صادمة مع هشاشة الإنسان الذي يكافح عبثية الحياة وبشاعة الحرب. يصور لنا الشاعر هؤلاء الأشخاص كأعواد ثقاب مبللة، متعبة وعاجزة عن الإضاءة، لكنها لا تتوقف عن محاولاتها لإشعال النور في زوايا البرد القارص. هذا التناقض بين فعل المحاولة المستمر والعجز الحتمي يعكس جوهر المعاناة الإنسانية في أزمنة الحروب.

من خلال نصوص مثل هذه، يصبح الشعر أكثر توهجًا وليس مجرد كلمات، إنه فعل نضالي إنساني يسعى لفهم الفوضى والدمار وإيجاد معنى آخر للحياة وسط كل العبث واللامعقول. الشعراء كأحمد الفلاحي يجعلون من النصوص مساحات تأملية، لفتح نوافذ جديدة لفهم الحرب من زاوية إنسانية. هنا، يخلق الشعر حلقة وصل بين التجربة الفردية والوجدان الجمعي، حيث يتحول الألم الشخصي للشاعر إلى رمز يعبر عن معاناة أمته بأكملها.

كلما تعمقنا في تحليل نصوص الفلاحي نستكشف كيف يعبرعن مأساة الحرب عبر نصوصه ، وكيف يجعل من الشعر صوتا لمقاومة القبح ومحاولاته خلق الأمل، مع هذا النص سوف نحاول تسليط الضوء على التمثيلات الشعرية، الدلالات الاستعارية، والحالة النفسية التي يصوغها النص.

النص يزخر بالصور الشعرية الكثيفة، التي تحمل في فضائها رمزية مدهشة وعميقة تعكس التيه الإنساني وضعفه أمام قسوة هذا العالم الذي لا ينظر ولا يهتم ببلد فقير كاليمن. التمثيلات تتحرك بشكل ديناميكي في قوالب حسية وأشكل بصرية وصوتية، نجدها تحاول أن تهيمن على النص، للتعبير عن تدفقات كل هذه المشاعر المتعددة من خلال صور نشطة، حية ومؤثرة.

تجري من تحت أقدامهم ويبصقون في وجه الريبة

هذه الصورة الديناميكية توحي بعدم استقرار الأرض تحت أقدام هؤلاء البسطاء المساكين كإشارة إلى الحيرة والضياع، بينما البصق في وجه الريبة يعبّر عن تحدٍ يائس للمخاوف والشكوك التي تحاصرهم.

كما لو أنهم أعواد ثقاب الخيبة

هذه التشبيه يوضح الروابط الهشة والضعف الإنساني ومدى استعداده للاحتراق والإندثار بسهولة وبين الخيبة التي تلتهمه. أعواد الثقاب هنا أشبه برمزية لوجود الإشتعال لكنه ضعيف جدًا أمام الحياة.
لنتامل هذا المشهد التالي: (يدلفون إلى النميمة من بابها الخلفي)

هذه الصورة تعبر بشكلٍ واضح عن استغلال الظل والتسلل إلى أعمال النميمة والأفعال المشينة أو مكائد، مع تأكيد على الطبيعة غير المباشرة لتلك الأفعال، مثل هذه الصور تعطي المزيد من الأسئلة عن الحرب

وما تُحدثه من مسخ وتشويه في الذات الإنسانية، فلسنا مع نص وصفي لحالة عابرة أو حكاية من حكايات أيام الحرب ولكن ربما تعريضنا لصعقة من آفة التدمير مما يفجر فينا الكثير من الأسئلة المربكة.

يعج النص بصور واستعارات إذ تفتح لنا الباب لتأويلات متعددة، سنلاحظ أن النص ليس طويلاً لكنه يتسم بالغموض الجمالي مما يؤدي إلى جذب القارئ ويوفر المناخ الملائم للتأمل، تعالوا لنتأمل هذا المشهد يربون الأعشاب على وجوههم.
هنا سنجد استعارة تحمل دلالات متشابكة ومتعددة، فهي تشير إلى النمو العشوائي الذي يغطي وجوههم، كناية عن فقدان الملامح الإنسانية بفعل القسوة أو التبلد، الأعشاب أيضًا ربما تحمل الرغبة من الشفاء إن كانت أعشاب طبيعية، أم أن الأرض احترقت فلا مكان لحياة الأعشاب إلا وجوههم إذا فهمنا أن الأعشاب تعني بعض مظاهر الحياة، يتضح تمامًا أن هذه الصورة الإستعارية قادرة على تنشيط مخيلتنا وتوليد الكثير من الأسئلة.

ينخرون الشجرة الواقفة في وجه الريح

هنا الشجرة الواقفة ترمز للثبات والمقاومة والحياة، والنخر فيها تعكس حالة وسلوك يشير إلى الانخراط في الهدم حتى للأشياء التي تظل تقف بصمود وتحمل معالم الجمال.

يحلمون بالفراشات ويلتحفون بالماء

هذه الصورة تتلك شعرية مدهشة تجمع بين الحلم بجمالياته البسيطة والهروب إلى عالم غير ثابت، فالماء، يمكن فهمه كرمز للغموض أو الرغبة في راحة وهدنة مؤقتة.

ثم تحدث عدة تواترات درامية لنتأمل هذه الصورة (تتسع خطواتهم نحو هاوية الظل).

الظل هنا كأنه يحمل دلالة الغموض والخوف والذي يصل حد الرعب، كلما توسعت الخطوات يتدحرجون ويقعون في الهاوية، هنا يحاول الشاعر تصوير الانغماس في المجهول أو الاستسلام له وقد نكون لا نعرف مخاطرة وما ينتظرنا بعد ذلك.

تتقافز الصور في نمط مونتاجي متسارع، لتمعن في هذا لتمثيل
مثل طيور أضاعت أجنحتها

نجد هنا براعة شعرية في خلق استعارة قوية تعبر عن الخسائر الفادحة وقسوة القيود والحرمان من الحرية، فالطيور بلا أجنحة تكون مشلولة معرضة للافتراس والموت أي أننا مع رمزية للشلل الداخلي أو فقدان الأمل وربما أيضًا التعرض للأخطار ونصبح فريسة لكل ما هو متوحش.

وفي السياق النفسي نجد أن النص يعكس حالة نفسية يتسم كيمياء فيها مزيجًا مربكًا من الحزن المؤلم والضياع العبثي. نتلمس شعورًا عميقًا بالتيه وفقدان البوصلة وعدم الجدوى، يمكننا أن نتأمل بتمعن المفردات والصور التالية:

يجمعون الحزن من بين أصابع الريح
يكتبون أسماءهم على الرمل ثم يلعنون المد
يحملون الفجر في جيوب مثقوبة
قلوبهم مخضبة بالدمع والطريق غابة شوك.

نحن نتعايش مع الحزن يصعب وصفه، كأنه متفرق وغير ملموس بشكل مباشر ولا يسعى لجلب تعاطفنا أو إثارة شفقتنا، وكأن الشخصيات تبحث عن القليل من الحياة يكون فيها بعض أمل وبعض الأحلام الصغيرة في عالم يزداد قسوة وفوضى.

ثم ننتقل إلى مشهد آخر يعكس عبثية المحاولات لإثبات الذات في عالم يندثر، حيث الرمل والمد يشيران إلى حتمية الفناء وعبثية التعلق بالزمن، الكتابة فعل جمالي وكأنها هنا جاءت في المكان والزمن الخطأ.
ثم المشهد الثالث، يحملون الفجر في جيوب مثقوبة كأن الشاعر يخلق هذه الاستعارة لتعكس فداحة فقدان الحلم رغم وجوده بين أيديهم، فالجيوب المثقوبة تشير إلى العجز وضياع فرصة الحفاظ على هذه الأحلام أو الإستفادة منها لتكون محفزًا لما بعد الفجر أي لبداية جديدة.

في المشهد الأخير، كأنه الخاتمة التي تسعى أن تلخص عمق الماسأة والحزن، فالقلب المبلل بالدمع يعكس كارثية الأحزان الشخصية العميقة، بينما الطريق المليء بالشوك يرمز إلى صعوبة استمرار الحياة في زمن الحرب والخراب البشع.

سنلاحظ أن الشاعر يهرب من تفسيرات فنية محددة وموطرة بوضوح، فمثلاً (أعواد الثقاب المبللة) يمكن فهمها كرمز للفشل المتكرر في إشعال شرارة الثورة أو بقاء المقاومة.

ثم سنجد الجمع بين (الرمل والمدّ) كدلالة على الزمن العابر وعدم الفائدة من التمسك بكل هو زائل وغير ثابت.

ثم (زوايا البرد وقلوب الغريب) تأتي كإشارة إلى تعقيدات التواصل الإنساني فالبرد يمثل الغربة، فالشاعر يقيم في السويد، يفصح هنا عن قسوة الاغتراب النفسي والغريب رمز لحالة العزلة والوطن البعيد الذي يصعب الوصول إليه.

في ختام هذه المادة نود الإشارة بشكل سريع عن البنية الفنية، نجد أنفسنا مع هذا النص حيث تمكن الشاعر أن يخلق نوعًا خاصًا من الانسجام بين الصور والتراكيب اللغوية ونجح في إبداع شعرية ونص قد يصفه البعض بأنه يتمتع بلمسات غنائية ساهمت في نقل بعض الاحاسيس بشكل يحاول البعد عن المباشرة، سنجد أن الانتقال من صورة إلى أخرى يتسم بنوعٍ من السلاسة والهدوء رغم أنه يعكس ديناميكية الحياة وتعدد أوجه المعاناة والألم والرغبات والأحلام.

تكرر بعض الصور القليلة لتؤكد الفكرة الرئيسية للنص ويمكننا تلخيصها بأنها الضعف الإنساني أمام صعوبات الحياة وخاصة في زمن الصراعات والحروب والكراهية.

سعى الفلاحي أن يُحدث نوعًا من المواجهات المتعددة بين الحلم والواقع، ظهر هذا بوضوح في بعض الجمل مثل يحلمون بالفراشات ويلتحفون بالماء، نرى هنا التناقضات بين الحلم بما يحمله من جمال ورغبات حياتية، لكن الصياغة تزج بنا إلى مناخ غامض.
ختامًا نقول إن هذا النص يدور حول معاناة مرتبكة، حيث يواجه الإنسان الضعيف الهش والفاقد للحلم حياة قاسية وحربًا وصراعات لا تتوقف، يصبح أمام محاولات الصمود أي الحياة والانهيار يعني الموت.
يقدم النص تجربة جمالية تستحق التأمل النقدي، فهذا النص يتميز بعناصروتمثيلات شعرية متعددة كما أن الشاعر أحمد الفلاحي خلق التفاصيل الصغيرة لكنها كانت دلالية ورموزًا عميقة. كأنه يدعونا للبحث عن معنى حالم داخل متاهة الحياة المضطربة في عالم يسير في طريق شائك ومادي، في زمن فقدان الروح الإنسانية.

حميد عقبي
أديب ومخرج سينمائي مقيم في باريس



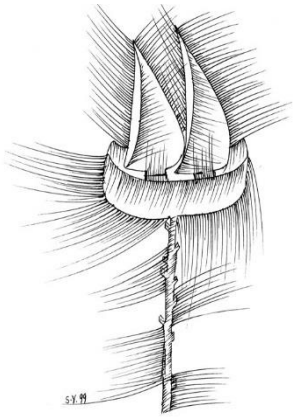



كم هذا مرهق أيّها البحر: للشاعر التونسي سمير بية ..
نص يحاكي الأثر الدائري للحرب
الكاتب والسينمائي اليمني حميد عقبي

الكتابة الشعرية اليوم ليست كنصوص الأمس، والكتابات ما بعد الحداثة تحمل الأسئلة والشك وتقدّم صورًا مبتكرة عن مواضيع كبيرة وخاصة الحرب والعنف. وهي تقدّمها من خلال التركيز على التجربة الإنسانية الداخلية، التشظّي النفسي للمبدع، والعبثية الكونية التي يصعب كسر تغوّلها وجنونها المرعب.

ديناميكية شعرية متشابكة

الشاعر التونسي سمير بية في نصه "كم هذا مرهق أيّها البحر" كمن يقذف في وجوهنا الكثير من الأسئلة المفتوحة والفوضوية، تعكس رؤية فنية كأنّه يرى أن الحرب جزء من دورة دائمة للتدمير حتى لو كانت بعيدة جغرافيًّا عنه. وأود أن نقرأ هذا النص ثم نحاول تأمله والغوص فيه.

النص

كم هذا مرهق أيّها البحر
أيّها البحر مرهق هذا الرّبو لرئتيْ الحرب
تسعل الحرب وأنت تسدل آخر ابتسامة على نافذة دامية
تسعل الحرب وأنت تشعل رغبة أغنية أرهقها الوقوف في الفراغ
تسعل الحرب وأنت تدرّب ثور النسيان الهائج على مصّ أحمر شفتيها بهدوء
تسعل الحرب وأنت ترفع يد الموت في وجه نهديْها المكتظّتيْن بالرّيح
تسعل الحرب وأنت تستعدّ لربط حبل لعابك في عنقها المتلصّص على همس الهاوية
تسعل الحرب وأنت تقذف عتمة الخواء على ظهرها المفعم بالقذارة
تسعل الحرب وأنت تتنفّس وطأة البرد على جلدها الخالي من مسامّ النّار
أن تبتسم نافذة دمك
وتسدل الحرب سعالها
أن تشتعل رغبة أغنيتك
ويرهق الفراغ سعال الحرب
أن يرقص ثور نسيانك الأسود
وتمصّ الحرب شفتيك الهائجتيْن

أن يرفع الموت وجهك في وجه الرّيح
وتكتظ نهدا الحرب بيديْك
أن يتلصّص لعابك على الهاوية
وتهمس عنق الحرب للحبل
أن تفعمك العتمة بالقذارة
وتقذف الحرب ظهرك بالخواء
أن يخلو جلدك من وطأة البرد
وتتنفّس الحرب من مسامّ النّار
كلّ هذا مرهق أيّها البحر لرئتيْك.

هذا النص يتميّز بعدة تراكيب لغويةٍ تتشابك وتتنافر من بعضها أحيانًا، مع بعض الشحنات الرمزية الصاعقة والتمثيل الشعري، بحيث سوف نلاحظ أن الشاعر يحاول أن يجعل المتلقي يشعر بوجوده وبأنّه جزء من النص وفي قلب المشهد الشعري. مما يجعلنا مع نص يقترب ثم يبتعد ويراوغ، داعيًا القارئ لتفكيك معانيه واستكشاف أعماقه. سنحاول في تأملنا النقدي لهذا النص تناول عناصر مهمة لتذوّق هذه القصيدة:

البنية والأسلوب:

الإيقاع الشعري:

هذا النص يعتمد على التكرار بنمط إيقاعي يشبه السمفونية الحزينة أو تغريد عصفور جريح وضائع، مع تكرار عبارة "تسعل الحرب"، مما يمنح النص إيقاعًا متواترًا يعبّر عن حالة من التوتر والضغط النفسي المستمر، وعدم القبول بما يحدث وكذلك العجز عن إيجاد حل أو الهروب من فكرة الحرب وهي هنا واقع يحترق به اليوم الكثير من الشعوب والمدن الكثيرة. هذا التكرار يعزّز الإحساس بثقل وتعقيدات وكارثية الحرب.

الجمل المتوازية:

والتي تساهم بفعالية وديناميكية من أجل خلق بنية يمسك بعضها ببعض لتقديم مشهدية متعددة غير مترابطة بوحدة زمنمكانية أو شخصية ثابتة، وليس لخلق كتلة بنائية محددة ذات طابع واحد وشكل واحد.

- تسعل الحرب وأنت تسدل آخر ابتسامة على نافذة دامية.
- تسعل الحرب وأنت تشعل رغبة أغنية أرهقها الوقوف في الفراغ.
- تسعل الحرب وأنت تدرّب ثور النسيان الهائج على مصّ أحمر شفتيها بهدوء.
- تسعل الحرب وأنت ترفع يد الموت في وجه نهديْها المكتظّتيْن بالريح.

كأنّنا هنا نشعر أن سعال الحرب يرتفع وتزيد حدته، ويكون هذا الفعل تدميريًا ولا يعني السعال مرض الحرب

وضعفها أو قرب نهايتها. كلما تسعل الحرب يكون أحد الأحداث المؤلمة وكأنّ الشاعر يقول إن الحرب هي التي اغتالت آخر ابتسامة وأدمت النافذة. "نافذة دامية" هنا صور مجازية خلاقة متعددة الدلالات، لا تعني فقط نافذة واحدة بل كل نوافذ المدن الموبوءة بالحروب وسكان هذه المدن من البسطاء والمدنيين المسالمين. كل مشهد في هذا النص له بنية خلاقة تربكنا، تهزّنا، ونحتاج لوقت للتعايش مع كل مشهد تدميري. وكلما أوغلنا في النص نتورّط في قضاياه وأسئلته الشائكة.

الحرب كفعل يستمر ويتضخّم ذو سمة دائرية تنعكس في جسد وروح النص. فالحرب هنا فعل بشري يُخطّط له مسبقًا، وتُجهّز له كل الإمكانيات، وتُسخّر له العلوم والتقنيات الحديثة. وليست قدرًا إلهيًّا أو عملًا تقوم به الشياطين. وهي فعل يفترس الحياة ويدمّرها. حتى أنّنا نشعر بألم الشاعر، فهو يريد أن يحلم، أن يشعل أغنية أو يتدرّب على النسيان، لكن الحرب تُفسد كل الأشياء وتشوّهها. مثال لذلك: (وأنت تشعل رغبة أغنية أرهقها الوقوف في الفراغ). الأغنية التي يحاول أن يستنجد بها فإذا به يجدها مرهقة وصامتة، مشلولة في الفراغ. يمكننا أن نفهم أن سعال الحرب قتل سحر الغناء وبهجته.

سنلاحظ في الجزء الثاني من النص شدة سير وجبروت الحرب وخلقها لتشويهات تطال الروح الإنسانية:

"أن تبتسم نافذة دمك."

فكل إنسان له قداسته، والهدم ينال الجسد والروح كما ينال الأرض والأوطان والبيوت. فالدم المراق ظلمًا دون ذنب، رغم أن الجسد وصاحب هذا الدم مسالم وغير مشارك في الحرب. "أن تبتسم نافذة دمك." كأنّها أمنية، على الأقل يخرج الدم من جرح واحد. لكننا نرى أن الكثير من الأجساد تتفحّم ولا يستطيع الدم أن يخرج من نافذة، فالموت في زمن الحرب بشع جدًا.

"أن يرقص ثور نسيانك الأسود." في الجزء الأول من النص ظهرت صورة ثور النسيان، هنا نجده تحوّل إلى أسود. لا يعني لون الجلد، قد تذهب مخيلتنا إلى أن السواد يعني الحرق والتفحّم، أي التحوّلات الصادمة من فعل استمرارية الحرب ونمو قوتها.

أن يرفع الموت وجهك في وجه الريح

كأنّنا هنا أمام مشهد انفصال الوجه عن الجسد، حيث يرفعه الموت في وجه الريح. ويتعدد التأويل هنا: هل الموت مرادف للحرب؟ هنا، رفع الوجه في وجه الريح يُفهم ببلوغ الحرب أقصى جنونها وشرّها وافتخارها بما تفعله. وإذا قلنا إن الموت قد سئم الحرب، فكأنّه يرفع الوجوه والرؤوس في وجه الريح ويسأل عن نهاية هذا العبث. ويمكن أن تتولّد معانٍ متعددة في مشهد صاخب بالرعب المدمر.

حروب اليوم أغلبها ليس لها نهاية. قد تخفت ثم تشتعل. وثمة أيادٍ بعيدة وأخرى قريبة تشارك في اللعبة البشعة. حروب الماضي الأسطورية كان فيها قصص حب وعشق، لكن حروبنا الآن لا مكان للعشق ولا للشعر ولا تعترف بالله.

الرمزية والصور الشعرية

في هذا النص أبدع سمير بية في خلق صورٍ شعرية متحركة مفعمة بالدلالات والرموز، فمثلاً العتمة والقذارة: تمثّلان عبثية الحرب وانعكاساتها المدمّرة على الحياة بشكل عام والنفس البشرية بشكل خاص. وعليه كشاعر، لا توجد حروب نظيفة، والأكثر قسوة أننا حتى الذين بعيدون عن هذه الحروب قد نعجز عن التعبير بحرية عن أصواتنا المناهضة للحرب. فالذين يتظاهرون في الشرق أو الغرب ضد الحروب تواجههم القنابل المسيلة للدموع وقوة القمع، التي تحيل نهارهم إلى ليل معتم وتنال من أجسادهم الهراوات القاسية.

كم هذا مرهق أيّها البحر
أيّها البحر مرهق هذا الرّبو لرئتيْ الحرب

البحر قد يكون هو الشاعر نفسه، حيث يضع البحر في دور المخاطَب المباشر ليصبح متلقياً للشكاوى والآلام. لكن البحر أيضاً ليس مجرد مكان، بل هو الرابط بين العوالم والقارات المتعددة، حيث تحمل البوارج والسفن الحربية والمدمرات والأسلحة من قارة إلى قارة. ورغم ذلك، يبقى البحر عاجزاً عن الرفض. فهل يسعى الشاعر إلى الشكوى للبحر مما تفعله هذه الحروب؟ هل يدعو البحر للانضمام إلى صوت الرفض؟ يصعب جداً في هذا النص تحديد إطار واضح لأي صورة أو كبح جموح المعاني المتعددة التي تتدفق بقوة.

تتدفق الدلالات بشعرية تهزّ العقل والروح، وتفجّر المزيد من الأسئلة المخيفة حول بقاء هذه الحروب. النص يحمل متناقضات عديدة في نفس المشهد. قد لا نجد أي مشهد واضح أو مفهوم بالكامل، لكن هذه هي روعة شعرية سمير بية في هذا النص: الفجيعة المعقدة المفتوحة على التأويلات المختلفة.

اتسم النص بلغة مراوغة وتجريبية، كما يظهر فيه العمق العاطفي والوجداني. الذاتي يمتزج مع الجمعي، مما يجعل النص يتطلب من القارئ التأمل الجاد والمشاركة الفاعلة في فك شفراته واستكشاف أبعاده المتعددة.

سمير بية في سياق لويس بونويل

نص سمير بية كم هذا مرهق أيها البحر يعكس بوضوح تلك الحساسية الفنية التي نجدها في عمل سينمائي مثل فيلم كلب أندلسي للويس بونويل. كلا العملين يتبنيان التشظي كنهجٍ أساسي، حيث تُعرض الصور والأفكار في تسلسل عبثي وشعري، يتم فيه هدم المعنى التقليدي وعدم تدفق الصور لتشكيل بنية واحدة. هذا يدعو القارئ لنص سمير أو المشاهد لفيلم بونويل إلى المشاركة الفاعلة في إعادة بناء المعنى.

مثل بونويل، يمزج سمير بية بين الواقع والخيال بطريقة صادمة ومربكة. تتشابه الإشارات في بعض الأحيان إلى عبثية الحرب مع الطريقة الساحرة التي يشير بها بونويل إلى عبثية الحياة وزيف المبادئ. الحرب هنا ليست مجرد خلفية، بل هي قوة مدمّرة تتخلل كل شيء، تماماً كما أن فيلم بونويل لا يروي قصة واضحة بل يدمر النسيج السردي ويبَعثره. الفيلم يوقعنا في معترك شائك وحالة نفسية فريدة.

بالتأكيد، فإنَّ تجربة لويس بونويل عبقرية ورائدة، فهو شاعر الصورة وأحد روّاد السينما الشعرية. من المفرح أن نجد في تجاربنا الشعرية العربية من يجتهد في المغامرة والتجريب، ويبحث عن الأصالة، وأن يشعر ناقد أو قارئ بأنَّ إبداعنا يلامس تجارب سينمائية عظيمة ولو بشيء بسيط. سيكون من الجيد أن يطوّر سمير بية من تجاربه، وننتظر منه تألقًا أكبر في نصوصٍ أخرى مستقبلاً.

حميد عقبي

أديب وسينمائي يمني مقيم في باريس

قراءات نقدية

بقلم: زينب خوجة

3

قراءة في رواية "موسم النزوح إلى الغرب"
للأديبة والكاتبة نارين عمر



يوجد فرق بين من يأوي إلى مكتبته يجلس على كرسيه منزوياً وراء طاولته وأمامه فنجان قهوة أو كوب شاي أو كأس عصير يكتب عن آلام وأفراح ومخاوف الآخر والحروب التي أكلت الأخضر واليابس، وبين من يكون شريك تلك الآلام والأفراح وتلك المخاوف وشاهد وجع على حرب كان هو فيها يهادنها، يصارعها يداً بيد مع أيديهم يصدها بصدره وكتفه إلى كتفهم.

ما أريد قوله إن الروائية والكاتبة نارين عمر وهي تقرأ الآخر وتكتبه في روايتها " موسم النّزوح إلى الغرب " الصادرة عن دار الخليج للطباعة والنشر عام 2018 تنتمي للثاني الذي ذكرته. هي معهم تكتب لهم عنهم، تمتطي البحر، تسكن قارب الموت كما أسمته، ويقابله البلم الحامل لمشردين مثلها، تعاين الخوف في أعينهم وهو يراقص جفنيها.

تلك المقارنات الكثيرة بين شرق الوجع وغربه، بين شرق الحياة بمتناقضاتها وغرب الحياة وازدواجيتها تبدأ من النهاية، نهاية العمر حينما يكتسي شعرها بمشيب يوغر بموعد الرحيل وتجاعيد ليست سوى دلائل على كل الخبرات المكتسبة من معركة الحياة.

تتفادى عمداً ذكر أسماء شخصياتها بل حتى اسمها وهي حاملة الشيء الوحيد الذي لا يتجزأ منها ولا يفارقها إلى نهاية الرواية دفترها توأم لسانها الذي يبادلها الأدوار للبوح قليلاً عن تفاصيلها الصغيرة والسرد كثيراً عن الخطوط العريضة لموسم العبور إلى الغرب لأنها تختصر الكل فيها، وتعمم نفسها على الكل.

لا تنسى أن تخيط من المسافة الفاصلة بين شرقها وغربها برحلة الموت والحياة وتغرس في جبينها نيسان وكانون وشباط الأحداث.

تعشق نفسها بملامحها التي تشبه أمها بانحناءة، بانحدار شغف مستخدمة لغتها اللطيفة التي تجعل فكرنا دهشاً أمام الوصف وهي تعاين بحزن صامت" ضربة الجزاء المهدورة في ملعب الوطن"

ما أرغمها مع الكثيرين للنزوح من ربيعه إلى بلاد الثلج. قصص النزوح تنساب حكايات تقضم أصابعها المتعرقة ممسكة يراعها تلوذ بدفترها لتمر بكل الزوايا التي بكي فيها إنسانها الشرقي، بل وكل من صادفتهم من أجناس وبيئات مختلفة في هذا العالم المحض بفكرة الاختلاف والتشابه، منتمية إلى زمان ومكان لا تشخّصه باسم سوى بدلالة هروب من ظلم ومعارك وشيكة، بل بآلام مخاض ما قبل الإجهاض الذي لا يبشّر بولادة وصرخة انعتاق، لذلك تحمل ذاك الرحم الذي يتلوى وجعاً إلى غرب ربما تُجرى له ولادة قيصرية ليبصر الوليد نور حياة ركل رحم أمه كثيراً ليصل إليها.

حتى الريح لم تفلت من كلماتها، هي تشبّه ضرباته" بعقاب الشيوخ للتلاميذ في الكتاتيب "مكثرة من المترادفات والعطوفات للتعبير عن شيء أو شخص ما في روايتها " الأمل والانبعاث، خوفها وفزعها" بتعابير ملفتة فتقول:

"وأنا أهدّ خفافيش الخوف والجبن."

ثم تحط الرحال في قاموس المفردات الدينية وتصبغ على الحدث بما يجعل القارئ يتعرف إلى الخلفية الدينية لعائلتها ومدى تأثرها بشخصية والدها والكتب التي تناولتها وقرأتها في صباها،

الأمر الذي جعل كلماتها تنوح بنغمة ثرّة تفوح منها رائحة القبة البيضاء وشجرة الأمنيات التي تتوسط ساحتها، الدير القديم في مدينتها ومحاولتهم إلصاق قطع الفخار الصغيرة على حائطه لتحقيق أمانيهم:

"لأن أبي كان شيخ دين، يساقون إلى الكعبة ليتمّموا واجب الرجم، تضرعاً وخيفة، على جدار الدّير الحجري وأمانيهم ترتعش."

تستطيع بحنكتها ومعايشتها لكل تفاصيل الوجع أن تتحدث عن الإنسان بكل شاردة وواردة محللة نفسيته ووضعه كإنسان تسوّغ له أحياناً وتعرّيه أحايين كثيرة، فقط لتثبت طبيعته البشرية وجانبي الخير والشر فيه دون أن تنسى الاختلاف في الطبائع وحكمة التصرف أو التحامق.

البلاد التي ساوت بين الجلاد والضحية، بين المستغِل والمستغَل، بين القاتل والقتيل، بين من يستحق ومن لا يستحق. وهي تتماهى في سرد الوقائع قبيل تجهّم البحر وأثناءه وقبيل السلام على المركب وبعده وتلك الساعة الفاصلة بين الموت وشاطئ النجاة. لا تنسى أن تذكرنا بنفسها بأنها موجودة في طوابير الانتظار مع تلك الحشود التي بلغت التراقي حيث التفت الساق بالساق وجهل الكل أين المساق في يوم حشر عظيم، وهي تدَوَّن معهم على الكمبيوترات مجرد رقم.

تؤخَذ لكل واحد منهم صورة سيئة وتدفن بين الأوراق والثبوتيات ليتم مواجهتهم بتلك الصورة بعد حين، حتى لا ينسوا أنهم كانوا لاجئين وكأنّ الحبشة ستمنّ على المهاجرين بأنها فتحت حضنها لهم دون الخوض أو

النظر في الخلفيات المهاجرة ، فتبدأ معركتها من جديد في الفصل والوصل بين إنسان في الشرق لا يقاد إلا بالسوط وآخر في الغرب تمّ تلقينه أن الشرقيين هم الدون وأنهم لا يفقهون لغة التحضر حتى في كيفية استخدام فرشاة الأسنان، فهي للتنظيف وليست للأكل وكأنها تتحدث عنا جميعاً نحن الذين نحمل صفة لاجئ.

لا بد وأن كل منا كان هناك في ذلك الطابور تحت تلك الخيام في انتظار الأكل الرديء والنظرة الدونية والخلاف والاختلاف والمعارك الجانبية بين الهاربين الذين يشبهون الكنة والحماية، الكنة التي كانت تُظلم صارت تَظلم والحماية التي كانت متسلطة أصبحت تجد نفسها الآن ضعيفة، مستكينة مع تبدل الظروف والأدوار، مستغربة كيف نهرب من الظلم لنظلم، من اللصوص لنسرق، من التطرف لنتطرف.

أجادت الوصف عندما شرحت كيف أن لحظة الموت والحياة واحدة تحدث في نفس الثانية، فالبلم الذي رمى بالنفير على شاطئ النجاة رمى بنفس النفير في نفس اللحظة في بطن البحر الذي كان قد صام دهراً وأفطر على أجساد من اللحم والدم:

"المسافة بين الحياة والموت بسمة ودمعة وأمنية لم تكتمل". الصفحة 154وهي تجعل مأساة آلان الكردي ذكرى تدق في منطق إنسانية الغرب وشاحنات الموت التي بخلت بهواء الرب ليتنفسه الواجمون في صمت مريب في رحلتهم الأخيرة نحو الموت الذي هربوا منه أخلاء الوفاض واشتروه بدولارات كثيرة.

لم تنسى أن تذكر كيف يبني الغربي أمجاد وطنه وكيف يبني الشرقي مجده الخاص فوق جثة الوطن وأنهار الدماء:

"في هذه البلاد لم يعد الزمان يقاس على ريختر الأوقات، لم يعد يخضع لقانون التجزئة والشتات. الزمن هنا قد يعاش دفعة واحدة في اليوم الواحد كما أيام هذه البلاد التي تعيش في الواحد منها الفصول الأربعة". الصفحة 159

نارين عمر المرأة التي تحدثت عن المرأة هنا وهناك والأمور الاشكالية بين الجهتين "الشرف والناموس، الطلاق والزواج، التربية والأطفال، الأبوة والأمومة، القوانين والحب، الذكر والأنثى، السبي والرق، الهشاشة هناك والقوة هنا، قتل النساء، ادعاء موتها انتحاراً وسقوطاً ووو.. إقحام الدين في التحليل والتحريم:

"تدرك أن شرقها لن يفلت من مخالب التخلف والانحطاط ما دامت المرأة هي الشرف والناموس، وعواطفها هي ميزان التأرجح بين الشرف واللاشرف، الناموس أو نقيضه. علة العلل عندهم أن الذكر يدرك بالفطرة أنه هو لوحده مالك الحس والشعور، سيد الحب وما يثيره من المتعة والجنون، اللهو والتعقل، وكأن الوجود من أجله فقط نفث الروح في الجسد، ألبسهما للأرض والسماء وما فيهما وعليهما."

سبب توق النساء للغرب لنيل حقوقهن وتحجيم دور الذكر أو إعادته إلى دوره الطبيعي والوحيد في حياتها: المرأة في هذه البلاد كائن تستمدّ كيانها من ذاتها كالنجمة التي تستمد ضوءها لا تحمل إلا وزر وجودها، لا تحمل أوزار الآخرين من الذكور والإناث ((.. الصفحة 74)).

فهم الكاتبة لسلوك البشر والطعن فيه، والتبرير له صنع لها من رحلة لجوئها مغامرة لتكون قوية ومتصالحة مع وضعها الجديد، وضعها المتقلقل غير المستقر حسب السياسات الدولية والذي يجب أن تتماشى معه لتستطيع العيش، وأمام كل ذلك تراودها فكرة الرجوع الى الوطن. تستذكر عمتها وهي جاثية على ركبتيها تنظر في عينيها الغارقتين في يمّ عميق، تسمع حديث الموت والولادة وقصصهم العائلية والمصير القديم الجديد وجدتها وحكاياتها عن البحر وعن الخير والشر، والذي لم يختلف حتى الآن. الاختلاف الوحيد هو أنها هي أصبحت الشخصية المحورية والبطلة في حكايات جدتها وتأثير كل ذلك على شخصيتها لأن معاناتها ليست إلا جزء من معاناة شعبها ووطنها، بل معاناة كل إنسان على وجه البسيطة لذلك لم تتطرق إلى ذاتها إلا من خلال بعض الايحاءات:

الدراجة بين تلتين وهجوم الكلاب عليهم، الكلب روتو والطفلة لولو

خيبة أملها من بعض الذين أحسنت إليهم، البحيرة وتأملاتها، قربها من الجهة اليسرى الذي ينبض بحبها:

"عندما أغدو بمحاذاة كتفك الأيسر، على بعد أنفاس من الجهة اليسرى لصدرك سوف أطلق العنان للوتين كي يغازل وتيني لتمهيد الدّرب بين قلبينا في مراسيم لا يحضرها سوانا، ووتين القلبين الشّاهدان الوحيدان علينا."

أعود إلى التعابير:

"مبللة بخطايا المِلَل والأجناس،

مناسك الغربة" هذه الجمل التي تحكي الكثير الذي اختصرته في:

"الأخذ بالجملة والعطاء بالتقسيط أو منقطاً، التعامل بالمثل في كل الأحوال وإشعار الآخر بمحاسنك ومآثرك" الصفحة 133

يؤلمها ما آلت إليه حال شباب بشرها كما تسميهم:

"شبان وشابات، صبايا وصبيان كانوا يدغدغون وجنتي المدى، يحرثون تراب اليوم لثمار أفضل للغد. مضغهم المدى، ابتلعهم الغد غدراً من الخلف، ولأنهم لم يكونوا يحسبون حساباً لغدرهما، أي" الغد والمدى" حصل ما حصل". الصفحة 116

هنا حبذا لو تم الاستغناء عن كلمة "أي"

عندما تحدثت عن المدى والغد.

تحدثت عن المكان "سرخت، بن خت"،

أخوة الآخرة الأبدية، جيرانها، زهرة النرجس والريحان، الحب:

"غياب خلف لي وراءه قطرات ندى تنساب كدموعي الأخيرة فوق وجنتي النرجس والريحان التي ما تزال تحتضنها حافات شرفة دارنا لحظة فراق لم نقم له مراسيم الوداع والعاشق والمعشوق بصمت أنشدا معزوفة الهجران."

الصفحة 148

دفترها الذي لا يزال يحتفظ بأسرار وردة مهداة إليها، ونظرة متلصصة من حبيب قديم، السماء عرفت مقصد الأفق، رحيل الأم.

حاولت عدم التطرق إلى دواخلها بإسهاب، ولكن الكلمات غاصت بنا بعيداً لنسبر أغوارها ونستنتج ما نرغب به أو على الأقل ما فهمناه وهنا مكمن التشويق:

"بركة الماء لما رأتني أرنو إليها وأنا أتراقص على صفحاتها، انتحلت صفة قائد اوركسترا، بدأت تعزفني سيمفونية حنان في نبض الحنين وقطرات الماء تلثم وجنتيهم. المارون أسكرتهم مشاعر السيمفونية فتراقصوا كما شاء لهم السكر والحنين" 178

المقارنات المتعبة بين الشرق والغرب وهي تورد على لسان بطلة الرواية:

"لاحظت أنه لا اختلاف جوهرياً بين بشر شرقها وسكان الأرض السّمراء وأهل شرق الغرب، أو الشرق الغربي من حيث الطباع والطبائع. أدهشتها تصرفاتهم وسبل تعاملهم، وفوق ذلك يرونها ومن ينتمي إلى أرض وطنها من شرق التخلف والانحطاط."....

الندم على الوصول للأرض الموعودة،

وباء الحقيقة في الغرب، معاناة المتعبين وسعادة المتسلقين يكاد شخير الضمير يصم الآذان.

الأسئلة المثيرة التي طرحتها بطلة الرواية، حوار الحكمة والسذاجة،

قصائد الحب بمفردات حربية، وقد آلمها ما وصلت إليه أحوال شعبها حتى العشاق والمحبين منهم:

)تفكيك لغز قلبك أشدّ صعوبة من تفكيك أرض وطني الموبوءة بالقنابل المستهترة بهم، ليتك كنتَ أحد المقاتلين المحاصرين لمدينتي كما أنت محتل محاصر لقلبي، كنت حينها تبرعت للقتال ضد قلبك، مواجهة مشاعرك، وفي لحظة انتصار كنت أسرتك، ثمّ نفيتك إلى قلبي وفرضت الإقامة الجبرية عليك فيه."

كلمة اللعنة التي تستخدم بكثرة كلعنة الحب، لعنة الابتسامة، لعنة الحرب:

"وحدها الحرب –ألا اللعنة على الحرب– إذا حلت بأرض جعلت عاليها سافلها..." الصفحة 11 تظهر الألم الدفين لديها على نفسها وشعبها.

تحاول نارين عمر أن تشير إلى أن القدر في الكثير من الأحيان يكون من صنع البشر ليكون المتهم الأول في الكوارث التي تحل بهم:

"قدر خلقناه، نفثنا فيه من روحنا الخيّرة و الشّريرة معاً، حمّلناه مهمّة اللعب معنا أو بنا"..

لتختم روايتها قائلة:

"قبل الرحيل حوم الحلم خاصرة بلاد عشنا فيها عمر الحلم

بعد الرحيل، صرنا نعيش بلادنا في حلم عمر ربما ما عاد للعمر بقية.

زينب خوجة


Sabri Yousef
2014

مقالات للكاتبة والباحثة السَّوريّة البروفيسور ريم شطيح

4



سوريا وضرورة الحراك

تقف سوريا عند مفترق طرق حرج ومستقبلها معلق في الميزان مع خروجها من أكثر من عقد من الحرب والدمار والشلل السياسي. رحل الأسد مخلّفاً وراءه دماراً في النفوس وعلى الأرض وتحت الأرض، تاركاً ندوباً للنسيج الاجتماعي والنفسية الجماعية خلّفها القمع لنظامه، مع التآكل المنهجي للثقة بين المجتمعات، وخيبة الأمل الناتجة عن ذلك.

ومع بدء سوريا عملية التعافي الطويلة والمؤلمة، يتخلّلها صور متلاحقة في الذاكرة لآلاف المساجين المعذَّبين وفرح تحريرهم وإنهاء معاناتهم، ومع احتفال السوريين بانتهاء حقبة مضطربة وبدء عهد جديد، نشأت لدى كثيرين مخاوف جديدة وأسئلة تنتظر أجوبة وتطمينات؛ هل مستقبل البلاد مهدد بسبب صعود الجماعات ذات الإيديولوجيات الجهادية الإسلامية التي يلقي وجودها بظلال طويلة على آمال المجتمع السلمي والتعددي؟ أم أنه من المبكر الحكم على مستقبل سوريا الآن؟

في أعقاب حكم الأسد العنيف والاستبدادي، تواجه سوريا تحولاً مهماً مع ملء جماعات المعارضة للفراغ في السلطة يرأسهم الجولاني من هيئة تحرير الشام المصنفة على لوائح الإرهاب، مع شعور الفرح والنصر؛ يشعر كثيرون بالقلق إزاء الاتجاه الإيديولوجي الذي قد يشكل مستقبل سوريا. ولا يشكل هذا التحول المحتمل نحو التشدد الإسلامي خطراً سياسياً فحسب، بل إنه خطر وجودي لمستقبل سوريا كمجتمع متنوع.

بالنسبة للسوريين، وخاصة أولئك الذين حلموا ذات يوم بدولة ديمقراطية شاملة، فإن هذا الواقع الجديد مفرح بزوال النظام الذي عمل على استنقاع وتجميد العمل المدني والحراك الثقافي، ومقلق بذات الوقت حيث يلوح

خطر أسلمة سوريا في الأفق معه احتمالات مستقبل يتجاهل التنوع الثقافي والديني الغني في البلاد. كانت سوريا دائماً مفترق طرق للحضارات، وموطناً لمجموعة من الأعراق والأديان التي تعايشت لقرون من الزمان، ولا نريد كسوريين أن يصبح هذا الإرث من التعددية تحت التهديد. وفي حين أن مجموعات مثل هيئة تحرير الشام قد تشكل تحدياً، فإن المشهد السياسي لا يزال متقلباً ومن السابق لأوانه استخلاص استنتاجات حاسمة حول الاتجاه المستقبلي لسوريا.

في إشارة إلى الدور المتغير لهيئة تحرير الشام والجولاني، لقد شهدت هيئة تحرير الشام، بقيادة الجولاني، تحولات أيديولوجية وسياسية كبيرة في السنوات الأخيرة، وقد يشير هذا النهج البراجماتي إلى أن هيئة تحرير الشام قد تعطي الأولوية لتأمين موقعها في سوريا بدلاً من الدفع نحو أسلمة البلاد بأكملها، مع هذا، فهي تحت المجهر العالمي ورصد سلوكها مع المكونات المتنوعة. هناك سبب آخر يجعل من السابق لأوانه الحكم على مستقبل سوريا وهو التنوع المهم داخل المعارضة السورية وضمن المجتمع السوري، بما في ذلك القوميون العلمانيون، والإسلاميون المعتدلون، والقوات الكردية، وغيرها من الجماعات العرقية والدينية، فلطالما دافعت هذه الفصائل عن سوريا علمانية وديمقراطية وشاملة.

في هذه المرحلة، يتعين على الشعب السوري أن يتّحد لتأكيد رؤيته لمستقبل البلاد، وهي الرؤية التي تتجاوز تطرف الأسد سابقاً والفصائل الجهادية. وما تحتاج إليه سوريا اليوم على وجه السرعة ليس مجرد تغيير في القيادة، بل حركة ثقافية وسياسية عميقة تجسد تطلعات مواطنيها إلى مجتمع عادل وعلماني وشامل. وهذه ليست مجرد دعوة للإصلاح؛ بل إنها مطلب لهوية سورية جديدة، هوية تحترم تنوع شعبها وتضمن الحقوق الأساسية لجميع المواطنين بغض النظر عن عرقهم أو دينهم.

يتعين على السوريين أن يظلوا يقظين ضد صعود الإسلاموية، وفي حال ظهرت أي علامات على الأسلمة أو فرض أجندة ثيوقراطية، يجب أن يكون السوريون مستعدين للتعبئة واستعادة الحراك؛ أنْ يتحدوا للمطالبة بإنشاء دولة مدنية علمانية تقدّر الحرية وحقوق الإنسان والعدالة. ويتعين على المجتمع المدني، وخاصة المنظمات غير الحكومية والمثقفين وقادة المجتمع من نُخَب وتنويريين، أن يتحملوا مسؤولية تعزيز الحوار والتعليم، ورفع مستوى الوعي بضرورة الانخراط في الحراك وعملية التغيير لرفض فكرة مفادها أن مستقبل سوريا يمكن أن تحدده الأيديولوجية الضيقة لأي مجموعة واحدة، سواء كانت نهج النظام السابق أو الفصائل الجهادية. إن الدعوة إلى دولة عَلمانية ليست هجوماً على الدين، بل هي دفاع عن تقاليد التفاهم والتعايش التي ورثتها سوريا منذ أمد بعيد وتحقيقاً للعدل والمساواة.

علاوة على ذلك، فإن المجتمع الدولي لديه دور يلعبه، يجب أن يدعم السوريين في سعيهم إلى مستقبل ديمقراطي وعَلماني، ومحاسبة أولئك الذين يواصلون تقويض النسيج الاجتماعي والسياسي في سوريا. هذه ليست مسألة تدخل، بل دعم أخلاقي وسياسي لحق الشعب السوري في تقرير مصيره. فلا يريد السوريون

شكلاً آخر من أشكال الطغيان؛ لا يريدون ديكتاتورية أخرى. إن التجربة الدينية أثبتت وتثبت فشلها كل يوم وهي الجحيم الذي لا يقل عن جحيم الديكتاتوريات السياسية. المطلوب دولة عَلمانية ديمقراطية ترفع راية الوطن وليس راية الدين. الدين موجود في أماكن العبادة وليس في الدساتير، وليس في الأعلام، وليس في سياسات الدولة.

إننا نريد ونأمل أن فصائل المعارضة هذه تريد إعادة بناء دولة علمانية تحترم تنوّع شعبنا وتكون فيها سوريا للسوريين، وعليه، فسنعمل معاً جميعاً من أجل هذا جنباً إلى جنب. أما إذا كان الهدف أسلمة البلاد، فستضطرون الشعب لثورة جديدة والمواجهة للدفاع عن الهوية التعددية لسوريا، وسيبدأ حراك جديد لاستعادة سوريا وأبنائها تتحالف فيه ليس فقط القوى العلمانية، بل وأيضاً المسلمين المعتدلين الذين يرفضون التطرف ويريدون الحفاظ على وحدة سوريا.

الثورة تنتهي عندما يتحقق الأمن والازدهار الثقافي والاقتصادي وكتابة دستور يحقق الحريات ويحترم جميع المكونات وطقوسهم ونمط حياتهم. في سوريا مسلمون ومسيحيون واسماعيليون ودروز وإيزيديون وكرد وأرمن وشركس وتركمان ومن كل المكونات يرفضون قيام دولة دينية، وسيخرجون للمواجهة لتحديد مصيرهم الثقافي والسياسي والهوياتي.

في مواجهة الشدائد، يجب على السوريين أن يظلوا ثابتين في التزامهم بمستقبل سلمي وشامل. قد يكون الطريق أمام السوريين صعباً، والتحديات هائلة، لكن بقاء روح سوريا – تراثها الثقافي الغني، وتعدديتها، ورؤيتها لمجتمع مدني علماني – يعتمد عليها. لن يتشكل مستقبل سوريا بأهواء أي رجل أو مجموعة، بل بالإرادة الجماعية لشعبها العازم على إعادة بناء بلد يحترم الحرية والكرامة وحقوق جميع مواطنيه. ربما من السذاجة التفاؤل الكامل، ولكن أيضاً من الغباء الاستسلام للمخاوف وعدم فعل شيء؛ الآن هو وقت العمل.

ريم شطيح

سياسة التدجين في المجتمعات الشرقية

في المجتمع كما في الدين والسياسة، تتلقى الشعوب الشرق أوسطية ثقافةً مُسبَقة الصنع، مُمَنهَجة، لتتوافق مع ثقافة السلطات السياسية والدينية والأنظمة الشمولية التي تحصر كل شيء في المجتمع ضمن أُطُر وقوالب جامدة تدخل في خدمة السلطة الحاكمة التي فرضت على الأفراد والمجتمعات ثقافةً هي نتيجة للقمع المُمَنهَج الذي تلقَّتْهُ على مرّ عقود من قِبل تلك السلطات؛ تلك الثقافة هي ثقافة الطاعة والولاء الأعمى.
عملَت كل المؤسسات الإجتماعية مع الأنظمة الشمولية والسلطات الدينية لعقود طويلة على مفهوم أهمية الطاعة، واعتبارها قيمة أخلاقية وضرورة إيديولوجية لعلاقة الإنسان بالإنسان والإنسان بالنظام السياسي

وبالسلطة الدينية بكلّ تجاوزاتهم؛ حيث كانت وما زالت تلك المجتمعات تُقيم الطاعة على أنها الحالة المثالية والحل الصالح لنجاح هذه العلاقات، وتضع الفِكر النقدي في موضع الفِكر الهدّام ليصبح أي مَطلَب تغييري موصوم بروح سلبية وأهداف مَشبوهة.

وحيث تُبَجَّل الطاعة في تلك المجتمعات – والتي تَكثُر فيها الرّقابة الإجتماعية والدينية والسياسية نتيجة غِياب الحُرية النّقدية؛ يزداد التشدُّد والتطرّف بالآراء والإنحياز لشخص أو لفِكرة أو لظاهرة ما قد تكون إجتماعية، سياسية أو دينية، أو لها أشكال أخرى – لتتحول لمنظومة مُتكاملة أقرب ما تكون بين ثقافة العصا والجزرة أو الترهيب المُمارس بقمع اقتصادي وفكري؛ حيث يُحرَم الفرد المواطن من كل شيء ليكون آلة قابلة للبَرمجة والعيش في روتين لا أُفُق للمستقبل فيه. وبالتالي يتحول المواطن بدوره لقامع ذاتي لنفسه وأفكاره التي تمنحه الخوف لمجرد فكرة التأمل في المحيط من حوله بفعل سنوات القمع والكبت والإرهاب الطويلة. فنجد كيف يتطرّف الناس في تأليه الأشخاص وتقديس بعض العادات والظواهر خوفاً من العقاب من جهة، ووسيلة لكسب رضا السلطات من جهة أخرى وضمانة للعيش بأقل الخسائر، فيقوم الناس بنبذ أي فكرة تُعارِض تصوّراتهم، بل ويعتبرها البعض مُوَجَّهة شخصياً لهم وطعناً في وَلائِهم للنموذج السلطوي الشمولي.

من هنا، فإنّ الفِكر المُنحاز هو فِكر قاصر وفاقد للقدرة على الإحتواء والإنفتاح على الآخر أو أي نَهج جديد وهو تماماً ما يخدم تلك الأنظمة السياسية والمؤسسات الدينية ويساهم بشكل مباشر باستمراريتها آخذة هي دور الرقيب الدائم على أي تغيير ملحوظ.

تِباعاً، ومع انعدام الحرية الإعلامية والنقدية وقمع الرأي الحُر، تحوّلَ بفضل هذه الممارسات حتى الكثير من الكُتّاب والمحسوبين على الحقل الثقافي إلى مُروِّجين لهذه الأفكار وناشرين لهذه الثقافة. فالمشكلة أنّ الكثير من الأصوات من متناولين الديمقراطية في البلدان العربية اليوم يطرحونها بشكلها السياسي فقط وبما يرتبط هذا الشكل مع كينونة نظام الحكم والسلطة الدينية وليس بشكلها الفلسفي الإنساني المُرتبِط بوجود الإنسان وقيمته وهذا يعود لأنّ المثقفين والمُبدِعين محكومون بقيود الحاكم والرقيب والسلطة الدينية، وحيث "لا يوجد خَلْق حيث لا توجد حرية"؛ فالحرية والديمقراطية شرط لبناء الإنسان السليم عقلاً وجسداً وشرط للإنسانية، ولا إنسانية أو مجتمع أخلاقي بدون حرية.

من هنا، لا يمكن بناء مجتمع سليم يُحارب الحرية والفِكر النّقدي ويقدّس بالمقابل الطاعة ويعتبرها قيمة إنسانية. فالنّقد سمة المجتمعات الإنسانية المتحضرة والتي تجاوزَت مفهوم الطاعة بهذا الشكل المريض منذ عقود طويلة، واستُعمِلَ النقد في المجتمعات المتقدمة كقيمة فِكرية وإنسانية وحاجة للتقدم والإرتقاء بالبشرية للأعلى، وبدون النّقد تخلق الأنظمة جيلاً كاملاً من القطيع يقدّس الطاعة والولاء كما حصل في المجتمعات الشرقية. الطاعة والولاء كما تطرحهما وتمارسهما شعوب الشرق الأوسط، هما أحد آفات المجتمعات هناك

وسبب مهم لما آلَت إليه الأمور من التدهور والتطرُّف بعد التهجين والتهميش الذي مارسَتْه معظم السلطات على الفرد الشرقي بكافة هويّاته القومية والإثنية والعقائدية من كل النواحي، حتى فقَد ذاته الجامعة لمعنى ومفهوم الإنتماء بين التاريخ والحاضر وأُفُق المستقبل. كلها تسببت في ضياع للهوية وللروح الوطنية ونمو الفِكر المتطرّف.

فالفِكر المُتطرّف لا يأتي من العَدَم، بل ينمو في بيئة تتبنّى معتقداتها من تلك الخُطُب الدينية وفروض الطاعة والولاء؛ من الكبت الإجتماعي والتّهميش الفكري والسياسي. هو يُغَذَّى بأفكارٍ من شأنِها استغلال حالة الفِكر المُرهَق المُهَيّأ أصلاً لاستقبال واحتواء وتبنّي هذه الأفكار.

التّهميش السياسي والفِكري والإجتماعي والضّخ الديني وقطع طريق النّقد وقمع الحريات كان لهم دوراً مهماً في تنمية الفِكر المُتطرّف وإضعاف الروح الوطنية تِباعاً. فالتهميش الفِكريّ هو أخطر أنواع التهميش؛ هو القتل للعقل والمَنطِق والتفكير السليم وإبطال التحليل والنقد، فتصبحُ الشّعوبُ كالقطيع تَهُزُّ رُؤوسَها حين تسمع صوتَ الرّاعي، ويصبحُ الراعي هو ذلك الآلِهة العالِم بكلّ شيء فلا يأتي الخلاصُ سوى به ومن خلاله؛ تتبعهُ أينما ذهب، ولا تحملُ أيَّ انتماء للأرض التي تعيش فيها، ولا تعرفها سوى بإسمه! هي كحال الشعوب التي أصبح يقودها رجال الدين وفارضين القوانين والعقوبات بإسم الله أو كل مَن جعلَ نفسه مُقدَّساً ويستوجب الطاعة المُطلَقة والولاء الأعمى.

إنها عولمة واحدة اللون والطعم والرائحة، عولمة السلطات السياسية والدينية وما تريده من رقابات مُؤدلجة تحوّل الفرد المواطن إلى آلة تفتقد لحقوق الانسان وحرياته. ولهذا نجد ثقافة الدول البوليسية تنتقد النزوع للحريات وحكم الشعوب لنفسها.

يقول المفكر والثائر الأميركي البريطاني توماس بين: [من ينكر على الآخرين حقهم في إبداء رأيهم إنما هو عبد لرأيه الحالي لأنه يسلب نفسه حق تغيير هذا الرأي]. هذا الفعل هو أحد أشكال الإرهاب الفِكري والذي يُمثّل كل أنواع الإرهاب الأخرى عند العرب. من هنا، فإنه من حق الشعوب محاربة ذلك الإرهاب الفِكري ونَزع تلك الوصاية عنها من السلطة الدينية أولاً والنظام السياسي والنُّظُم الإجتماعية، ونقد التاريخ المُزوَّر للشرق واعتبار الحرية والديمقراطية هما القِيَم التي تتفرّع منها وتُبنى على أساسها كل القِيَم الإنسانية الأخرى. كما أنّ التمرُّد على تلك النُّظُم والأعراف الإجتماعية السائدة التي تدعو للطاعة بشكلها المُتداوَل في الشرق والذي لا يندرج في قانون العدل والمساواة الإنسانية لهو مَطلَب إنساني اليوم. إنّ الطاعة الوحيدة المقبولة هي فقط الطاعة المُرتبِطة بالحِسّ الإنساني وبالقانون، وفقط حين يكون هذا القانون مُرتكِزاً على العِلم؛ مفصولاً عن الدين، ومبنياً على الفِكر الإنساني واحترام حريات الفرد وخدمة الإنسان.

ريم شطيح

الهوية وإشكالية العروبة

تلعب الهوية الوطنية دوراً عميقاً ومعقداً في تشكيل الوعي الجماعي للمواطنين ، وتُساهم في تعزيز الانتماء الوطني ، لا سيما في البلدان التي يشكل التنوع الديني والطائفي والعرقي سمة مميزة للمجتمع، كبلاد الشام مثالاً.

يعود هذا لطبيعة الهوية وطبيعة النظام السياسي ولشمولية أو حصرية الرواية الوطنية ، فتعمل الهوية على سدّ الفجوات أو تعزيز الانقسامات بين مختلف المجموعات مثل السنةوالعلويين والمسيحيين ، والدروز والكرد وغيرهم . من هنا ، فقد أدى واقع الاستبداد السياسي والطائفية والفساد في هذه البلدان إلى خلق أزمة هوية ، حيث طغت الانتماءات القبلية والطائفية والإقليمية على الولاء للدولة ، وفُقِدت الثقة في المؤسسات الوطنية. فالهوية متشابكة بشكل عميق مع النسيج الأخلاقي للمجتمع، وأكثر ما يعمل على تآكل هذا النسيج بشكل منهجي هو الطغيان السياسي بأشكاله المتعددة (رشوة ، فساد ، محسوبيات) . ورغم أنّ الهوية تتطور وتتغير ، فإن استعادة الهوية ليست بالمهمة السهلة ، لا سيما بعد الاستبداد السياسي من جهة ، ومن جهة أخرى حيث تم ربطها بالقومية العربية والإسلام فيما يسمّى "العروبة" ، ما جعل هذه الرواية تبدو حصرية أو حتى قمعية ، سيما أنها لا تعكس بشكل كافٍ تطلعات جميع المواطنين من غير العرب . فما هي العروبة؟

في جوهرها ، تدور العروبة حول تراث ثقافي ولغوي مشترك. وكما يوحّد مفهوم "الفرنكوفونية" الأشخاص الذين يتحدثون الفرنسية ، يمكن للعروبة أن تعمل كمظلة تربط بين جميع الشعوب الناطقة بالعربية . من سوريا إلى المغرب، ومن مصر إلى العراق وباقي البلدان، الأشخاص الذين يتحدثون العربية متنوعون بقدر تنوع تاريخهم ولغاتهم وأديانهم والمناظر الطبيعية التي يسكنونه ا. وقد يتماهى السوريون مع جذورهم الآرامية السريانية، واللبنانيون مع تراثهم الفينيقي ، والمصريون مع تراثهم القبطي القديم، والعراقيون مع تراثهم الآشوري، والكرد مع تراثهم الكردي، والمغربيون مع تراثهم الأمازيغي، وكل هؤلاء ليسوا عرباً ولم يكونوا مسلمين سابقاً.

فالعروبة، عندما نفهمها باعتبارها فضاءً ثقافياً، هي شيء جميل وجامع وموحِّد. لكن، عندما تتحول العروبة من كونها مفهوماً ثقافياً إلى إيديولوجية سياسية ، وخاصةً تلك التي تدعو إلى إقامة دولة قومية عربية، فإنها تصبح أكثر إشكالية. القومية العربية، التي اكتسبت زخماً في القرن العشرين، هي مشروع سياسي يسعى إلى توحيد جميع الشعوب الناطقة بالعربية تحت راية واحدة من الهوية العربية، الإسلامية الأوسع . وعلى السطح ، يبدو هذا وكأنه هدف نبيل: وحدة عربية قومية قائمة على اللغة والجغرافيا المشتركة. لكن في العمق ، فإنَّ التطبيق العملي لهذه القومية كان في كثير من الأحيان إقصائياً ومُفرّقاً ونتائجه كارثية، كتهميش

المجتمعات غير العربية وغير المسلمة وأولئك الذين لا يتناسبون بشكل محدد مع قالب الهوية اللغوية أو الثقافية العربية والإسلامية.

إذن، عندما نتحدث عن العروبة، من الضروري التمييز بين دورها كفضاء ثقافي ولغوي جامع للشعوب التي تتكلم اللغة العربية وبين طموحاتها الفاشلة كإيديولوجية سياسية ودينية يتم استخدامها كأساس للهوية السياسية والقومية والمواطنة. فتصبح إشكالية غالباً ما تكون حصرية ومفرقية واختزالية.

حزب البعث والاستثمار السياسي للعروبة

تاريخياً، كان صعود حزب البعث في سوريا مثلاً بمثابة نقطة تحول حاسمة في العلاقة بين الهوية السورية والعروبة. فقد صاغ البعثيون رؤية إيديولوجية للعروبة، والتي لم تسعَ فقط إلى تعزيز العالم العربي ككيان ثقافي وسياسي، بل ربطت هذه الرؤية أيضاً بقوة الدولة بشكل مباشر، مما أدى فعلياً إلى تهميش الأقليات العرقية والدينية المتنوعة في البلاد. أيضاً، ارتبطت العروبة بالإسلام ديناً وتاريخاً وهويةً، وتمّ تهميش تاريخ سوريا الممتد لآلاف السنين مقابل تعويم قصص العرب والإسلام في كافة المؤسسات التعليمية والإعلامية وفي الخطاب السياسي الرسمي والشعبي، واعتبار الفقه الإسلامي مصدر التشريع في الدستور. هذه سقطة في صميم الهوية، فعلاقة الدين بالدولة لها أثر على القضية الهوياتية والانتماء والمواطنة والحقوق والسياسة والاقتصاد، حيث لا يجب أن يكون للدولة دين.

في الخطاب القومي العربي، يُنظَر إلى العالم العربي غالباً باعتباره مرادفاً للعالم الإسلامي، بالرغم من وجود مجتمعات مسيحية وعلوية ويزيدية ودرزية وإسماعيلية وغيرها من المجتمعات الدينية في المنطقة، وإثنيات مختلفة مثل الكرد والأرمن والتركمان وغيرهم. فضلاً عن صعود التطرف الإسلامي وعودة الحركات القومية والطائفية والحروب التي كشفت عن الانقسامات بين الشعب الواحد، سيما بعد إرث من الاستعمار والتدخلات الخارجية وأكثر من نصف قرن من الصراع العربي الإسرائيلي. كلها عوامل أكدت فشل المشروع القومي العربي وأنتجت هويةً مشوَّشة.

هذه مفارقة القومية العربية والإسلامية، فهي ربما تبدأ بقصد التوحيد، ولكنها في الممارسة العملية تنتهي إلى الانقسام. فالهوية أو القومية القائمة على العرق واللغة والدين هي نموذج فاشل ومشروع تطهير وإقصاء وحروب. تاريخياً، استُخدمت مثل هذه الهويات في كثير من الأحيان لتبرير الاستبعاد والاضطهاد وتهميش المجتمعات المتنوعة. ويمكن لهذا النوع من القومية أن ينزلق بسهولة إلى الاستبداد، حيث تدّعي الدولة الحق في تحديد من ينتمي ومن لا ينتمي بناءً على معايير صارمة تستبعد الأشخاص الذين عاشوا في المنطقة لقرون.

من جهة أخرى، وعلى الرغم من فرض العروبة كهوية موحدة في مختلف أنحاء المنطقة، فإن الأنظمة السياسية الحاكمة كثيراً ما استَخدمت العروبة في المقام الأول كأداة محلية لتعزيز السلطة وتعبئة المشاعر

الشعبية، في حين انحرفت استراتيجياً عن التزاماتها الإيديولوجية في سياساتها الخارجية. ففي سوريا على سبيل المثال، بينما تم الترويج للعروبة باعتبارها حجر الزاوية للهوية الوطنية، فإن تحالفات النظام مع إيران وروسيا ـ وليس مع الدول العربية الأخرى ـ تؤكد على التحول البراجماتي نحو المصالح الجيوسياسية على حساب التضامن الإقليمي، أو تحالف معارضيه مع تركيا.

وتنعكس هذه المفارقة في بلدان أخرى كالعراق، حيث تم استقطاب العروبة على نحو مماثل كإيديولوجية سياسية، إلا أن التحالفات الخارجية تجاوزت في كثير من الأحيان الانتماءات الإقليمية. حيث أقامت العديد من الأنظمة علاقات على أساس المخاوف الطائفية أو الدينية أو الوطنية البراجماتية. وفي الخليج أيضاً، بينما ظلت العروبة بمثابة أداة إيديولوجية بارزة، تحوّل التركيز غالباً بين الهوية الدينية الإسلامية والهوية الوطنية، حيث تتحالف هذه البلدان بشكل متزايد مع القوى العالمية لتأمين المزايا الاستراتيجية. ويكشف هذا التفاعل المعقد بين الالتزام الإيديولوجي بالعروبة والسعي البراجماتي إلى التحالفات الأجنبية عن فجوة بين سياسات الهوية والواقع الجيوسياسي في العالم العربي.

مع هذا، فإنّ صياغة جديدة للواقع العربي يمكن أن تكون مفيدة وتعمل على لم شمل دولاً تشترك في مخزون عميق من القواسم المشتركة اللغوية والثقافية والاقتصادية التي يمكن أن تعزّز التعاون والاستقرار كدول متجاورة ناطقة باللغة العربية رغم تنوع تاريخها ونظمها السياسية وهوياتها المحلية. من هنا، يمكن لرؤية جديدة للعروبة، حاضنة وتحترم الهويات المتنوعة للشعوب، بإنشاء مساحة ثقافية ولغوية حيث يتم الاحتفاء بالتنوع وليس قمعه. هذه هي العروبة القادرة حقاً على توحيد الناس – ليس من خلال التوحيد القسري، ولكن من خلال التفاهم والإدماج والاعتراف المتبادل. ويمكن لمثل هذه الوحدة المتجذرة في البراجماتية والاحترام المتبادل للتنوع أن تعمل كقوة موازنة قوية للتأثيرات الخارجية وتساهم في تحقيق السلام والتقدم في المنطقة، حيث تحمل أهمية استراتيجية وثقافية عميقة تتجاوز إيديولوجيات القومية العربية أو فرض هوية عربية واحدة واستثمارها.

ختاماً، إنَّ إعادة بناء الهوية الوطنية تتطلب التحول بعيداً عن السياسة القائمة على الطائفية والدينية واللغوية نحو هوية وطنية مدنية، وهي الهوية التي تتجاوز الانقسامات وتركّز على الصالح العام لجميع المواطنين بغض النظر عن خلفياتهم المتنوعة. إن رؤية الدولة الديمقراطية العَلمانية تُقدّم المسار الوحيد نحو بناء مستقبل يعكس التنوع الحقيقي للبلاد بهوية وطنية متطورة تتبنى هوية المواطنة والاشتراك بالحياة والحداثة وتتخلّص من الهويات المكتسبة.

ريم شطيح

كاتبة وباحثة سورية، وأستاذة جامعية تدرس علم النفس في أكثر من جامعة أميركا

محنة التجارب الجديدة في الشِّعر الفلسطيني

5



الكاتب والشّاعر الفلسطيني نمر سعدي

نادرا ما أكتب عن غواية الشعر، لا لأنَّ المخيَّلة مقيَّدة بتفاصيل الحياة الصغيرة، بل لأنَّ هناك من يمارس هذه الكتابة بمنهجية أكاديمية بحثية لا تتاح لقلق الشاعر، ولروحه المشوبةِ بالأسئلة، خصوصا عندما يتحدَّث عن تجربته أو تجارب مجايليه. حتى أن الفكرة التي تراودني حول الموضوع لا تخرج عن كونها نوستالجيا شعرية تحن إلى الماضي الجميل، وتصبو إلى المستقبل من خلال قولبة القصيدة الفلسطينية ضمن رؤية محددة، واضحة المعالم. على الصعيد الشخصي ما زلت أبحثُ عن قصيدتي كمن يبحث في امرأةٍ عن حبق سري أو أنوثة غامضة. رغم أنَّ الشغف الشعري أحيانا ما ينكسر بعد جيل الفتوة فينحو الشاعر إلى كتابة نثرية تعبِّر أكثر عن تموجات أحلامه المنكسرة. فالكثير من الشعراء بعد سن الأربعين يصيبهم ضجرٌ ما من النفخ في ناي الغنائية أو يفتر شوقهم الشعري فيسلكون خيارين اثنين لا ثالث لهما، إما الانقطاع عن الكتابة الشعرية واللجوء إلى الصمت الأبدي، أو الوقوع في فتنة السرد والطواف في بحر الرواية أو الكتابة عبر النوعية. وهو ما حدث مع الكثيرين من الشعراء الذين تحوَّلوا الى كتابة الرواية وتركوا الشعر في مهب ريح التساؤلات. لا أستطيع أن أحكم على تجارب غيري من الشعراء الفلسطينيين الشباب ولست وصيًّا على قصيدة أو على أحد، ليس لأنني أعيش عزلة شعرية بطريقة أو بأخرى، ولكن لعدم إطلاعي بشكل كاف على تجاربهم الجديدة التي أعتبرها مبشرة بالخير بالرغم من فجاجتها أحيانا في مواضع كثيرة، فهي تحتاج للممارسة.. للوقت.. وللنار الهادئة كي تنضج، وهذا رأي شخصي لكوني لا أمارس النقد ولا تسعفني قراءاتي في أدبنا المحلي الجديد بالمستوى الذي يتيح لي أن أبدي رأيا أو أكتب متابعة، ولأن اهتمامي ينصبُّ على ما كتبه شعراء الستينيات والسبعينيات والثمانينيات. أو لأكون دقيقا أكثر، شعراء ما قبل الألفية الثانية. ما قرأته لا يعدو أن يكون أبياتا متناثرة أو قصائد قصيرة قليلة مبثوثة هنا وهناك سواء على الفيسبوك أو على بعض المواقع الالكترونية المهتمة بالشعر. ولكن ما أوقن به أن تجارب الشعر

الفلسطيني الجديدة لم تبلغ ذلك الأفق العربي وظلَّت بعيدة عن دائرة الاهتمام النقدي، ومحبوسة ضمن إطار ضيِّق من المحليَّة. تشغلني حاليا تجارب حسين البرغوثي وغسان زقطان، وليد الشيخ، زكريا محمد، وزياد خداش وسهيل كيوان وغيرهم من المبدعين الراسخين في التجربة الإبداعية الفلسطينية، في السنة الماضية قرأت سيرة الناقد اللامع والكاتب الموسوعي الفلسطيني الكبير الدكتور إحسان عباس "غربة الراعي" قرأتها بتمعن وتأمل كبيرين، لأن أعمال هذا الناقد الفذ تهمني وتفتح لي نوافذ كثيرة على ثقافات وأبعاد واشارات وأساطير، بعدها قرأت شعرا للشاعر الفلسطيني الجميل حسين مهنا، الذي أعتبره صوتا استثنائيا وصاحب عبارة منحوتة بدقة وإتقان في ساحتنا الأدبية المحلية. وأيضا أعجبني كتاب نصوص قرأته مؤخرا بعنوان "خطأ النادل" للقاص الفلسطيني الجميل والمبدع زياد خداش.

مشكلة الأدب تكمن في آلية التلقي في زمن الصورة والتكنولوجيا، ولأعترف أننا نعيش حالة استسهال كتابي سواء بالشعر أو بالنثر، ولو نلوم الفيسبوك أو تويتر أو غيره من مواقع التواصل الاجتماعي على امتلاء الفضاءات الافتراضية بالكتاب وبالشعراء والمنظِّرين الجدد، هي ثورة معلومات ونظام عولمي يخضع البشر لقوانينه، بعد الشاعرين محمود درويش وسميح القاسم نلمس فراغا شعريا كبيرا، لا أجد ذلك النص الشعري الفني المغاير، أو المختلف. لدينا أسماء كثيرة، ولكن من يكرِّس نفسه للحياة الابداعية ويخلص لمشروعه ويعيش تجربته بكل عمق ورهبنة؟ هناك تجارب فردية وذاتية لأصوات شعرية جميلة في الداخل الفلسطيني وفي الضفة الغربية والشتات ولكنها أصوات خافتة النبرة لشعراء شباب يتلمَّسون طريقهم، منهم من يمتلكون صوتهم المرهف الخاص وبصمتهم الجمالية، وآخرون ما يزالون يبحثون عن ضالتهم. لكنهم جميعا يبقون كمن يغرِّد خارج سربه أو كنخلة وحيدة في صحراء ممتدَّة.

لم تتخلص تلك التجارب الجديدة بعد من صراع الأشكال الشعرية، وتأثيراتها. هناك شاعر فلسطيني مهم بنظري أسمه أحمد حسين، هو شقيق الشاعر راشد حسين، كتب دواوين مهمة برأيي على مستوى اللغة الشعرية المتجددة، النابضة والمضيئة، أعجبتني صوره ومجازاته وطريقة كتابته للقصيدة، ولكن لم يهتم النقاد بتجربة الشاعر الفلسطيني أحمد حسين لأنه لم يكن يُحسب على حزب معيَّن ولم ينضوِ تحت أي راية أو جهة، قبل سنوات راسلتني طالبة من مدينة غزَّة طالبة مني أن أمدها بكتابات للشاعر أو دراسات عنه.. لم يكن هناك من مصدر سوى موقع الشاعر على الشبكة العنكبوتية.

خفوت الوجودي والسياسي في شعرنا الفلسطيني أصبح ملموسا وجليا لدى البعض من المبدعين الشباب، مقابل الهم الذاتي والنبرة الوجدانية والعاطفية، ولكنه اكتسب طفرة وازدهارا وتنوُّعا لدى شعراء الجيل الثاني، أقصد شعراء ما بعد مرحلة محمود درويش وسميح القاسم وعز الدين المناصرة وتوفيق زياد وراشد حسين وشقيقه أحمد حسين وغيرهم، الشعراء الشباب لديهم أحلام طموحة ولكن شعريًّا ينقصهم الكثير لتكتمل تجاربهم، على سبيل المثال نحتاج لقصائد لا نشعر ونحن نقرأها بوطأة الصراع الثقافي الايديولوجي بين

الأشكال الشعرية فيها، يتوجب نسيان هيمنة قصيدة النثر أو رفرفة التفعيلة أو صخب الشعر العمودي، نريد شعرا فحسب، شعرا مغايرا منطلقا، يتجلى عبر الأبعاد الفنية هاضما للثقافات العميقة، القراءات المتعددة، متمثلا للشعريات العالية المتوهجة، ومخترقا سطح النمطي والمتداول، ذلك أن القصيدة الفلسطينية بشكل خاص والعربية بشكل عام أصبحت فاقدة لخصوصيتها ولبصمتها الشخصية، ولحساسيتها الفنية، فالنصوص الشعرية تقريبا كلها متشابهة ويحكمها جو معيَّن وتجمعها لغة واحدة، في ظل غياب نقدي، يواكب رؤيا الشعر الفلسطيني التائهة بين استيهامات الواقع والخيال.

خلاصة القول أننا كشعراء فلسطينيين جدد أو غير جدد يتوجب علينا مواصلة السير في طريق الإبداع الصعبة المحفوفة بالشوك، والتحليق عموديا بالقصيدة خارج الفضاءات المسقوفة على يد شعراء وحالمين عظام، والالتحاق بركب الشعر العربي أو العالمي.. لا الوقوف عند نقطة الصفر والالتفات لأمجاد السابقين الأدبية، والاكتفاء بالتغنِّي بها. أو الانخراط في جدل عقيم حولَ الأشكال الشعريَّة، أن تصير شاعراً ليس مجرد حلم صيف، أو خربشة مجَّانية عابرة على جدار الفيسبوك أو تويتر.. المعادلة تغيَّرت.. وتلزم الشاعر حيوات كاملة صاخبة وجهد ثقافي جبَّار ليترك نقطة ضوء في فلاة الظلام.

نمر سعدي
شاعر وكاتب فلسطيني يقيم في الجليل

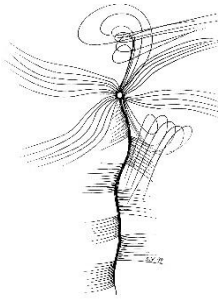



هي الحياة

6



الناقدة اللبنانية د. هدى المعدراني

هي الحياة

قصص متشعّبة ومتداخلة

تطول أو تقصر

تقسو أو تحنو

كلّ واحد منّا بطل قصّته ، يعيشها ويرويها، ما يعني أنّ الإنسان قاصّ بالفطرة.
بناء على هذا، تكون القصّة قديمة قدم التاريخ، رافقت ظهور الحياة، فبدأت مع آدم وحوّاء. وكأنّي أقول إنّ القصّة حياة انتقلت إلى التدوين والأدب فصارت فنًّا، وارتقى هذا الفن وتطوّر شأن الفنون الأدبية كافة، والقصة ليست استثناء؛ هي نوع أدبي مفتوح على مصراعيه للتجريب في الشكل والمضمون.

إذا كانت القصة، بصفتها حكاية، قديمة في الأدب وترجع إلى أقدم عهود التدوين، واعتمدت في نشأتها وتكوينها على أصول عربية مثل المقامة وحكايات ألف ليلة وليلة، فإن هذا الفن الأدبي، بعناصره وخصائصه المتجدّدة دائمًا، نشأ في رحاب الحياة الاجتماعية الغربيّة، وعبّر عن أحوالها وتقلّباتها وأفراحها وأحزانها مستخدمًا اللهجات المحليّة لتقرب من أن تكون لغة روى بها الشعب حكاياته، وصارت هذه الحكايات، ابتداء من القرن الرابع عشر، تُروى نثرًا وتقدّم جديدًا يتجدّد بتجدّد الحياة التي لا تعرف السكون ولا تخضع لقانون الثبات. وأخذت مقوّمات القصّة تكتمل في مطلع القرن التاسع عشر، وتمثّلت في أعمال قصّاصين كبار من

أمثال إدغار ألن بو، وتشيخوف وغوغول وموباسان. وبلغ من أهميّة غوغول أن قال القاصّ الروسي تورغنيف: " لقد أتينا جميعًا من معطف غوغول" في إشارة إلى أهمية غوغول وقصته "المعطف "، وقيل:" القصّة القصيرة هي موباسان، وموباسان هو القصة القصيرة"، ثم أخذت القصة القصيرة تعايش الأحداث المستجدّة، فاهتمت بقضايا الإنسان ومشكلاته، وحملت في كنهها حقيقة تاريخ كل حقبة عاصرها القاص من خلال رصده لحظة مختارة ذات دلالة وتسليط الضوء عليها، فتكشف حقيقة إنسانيّة كبرى.

هذا في الغرب، أمّا في عالمنا العربي، فتحت تأثيرالترجمة ونتيجة التفاعل العربي الغربي، وما تضمّن من انتشار للتعليم والصحافة و اطّلاع على القصص الغربي، انتقل فن القصّة إلينا، وعرف تطوّرًا ملحوظًا وما زال، ولعلّ هذا النوع الأدبي القصير هو الموائم لحياتنا الحاليّة لذا هو في تطوّر مستمر، وذو قابليّة لجذب الأقلام الحرّة لتسطر تجربتها الأدبية في ربوعه.

هذا من حيث النشأة أمّا من حيث التعريف، فقد تناقل الدارسون عدّة تعريفات للقصّة، منها: " القصة وصف الأحداث والشخصيات التي اخترعها الكاتب أو المتحدّث من أجل الترفيه" وهي" تتبّع وتقصّي أخبار الناس وأفعالهم شيئًا بعد شيء أو حادثة بعد حادثة" و " القصة أحدوثة شائقة، مرويّة أو مكتوبة، يقصد بها الإقناع أو الإفادة"، و " إنّ القصة القصيرة هي حكاية تجمع بين الحقيقة والخيال، ويمكن قراءتها في مدّة تتراوح بين ربع ساعة وثلاثة أرباع الساعة، وأن تكون على جانب من التشويق والإمتاع". يشوب هذه التعريفات النقص لأنّ القصة القصيرة نوع أدبي مراوغ، يستعصي على التعريفات الجامعة المانعة ، ويأبى أن تحتويه قوالب جامدة، فالأساس فيه الإبداع. لكن يمكننا أن نستفيد مما ورد في هذه التعريفات ونخلص إلى أنّ القصة فن سردي قصير متخيّل ذو فاعليّة جماليّة ودلاليّة، يصوّر حدثا كاملًا من زاوية معيّنة ويجلو موقفًا معيّنًا. يمثّل سعي ذات/ شخصيّة إلى تحقيق هدف في مكان وزمان معيّنين، تناوئها شخصيّات، وتساعدها أخرى، ويؤدّي هذا الحدث راوٍ من منظوره.

فضلًا عن ذلك، تمتاز القصّة بخصائص ومميزات، وأول ما يميّزها القصر ولعلّ ذلك يعود إلى الرؤية البصرية أو الحيّز البصري، إذ يربط المتلقي القصة القصيرة بالحجم القصير فلا تتعدّى القصة القصيرة عشرة الآف كلمة. لكنّ هذه الميزة الشكلية هي نتاج رصد القاص جزئية مختارة ودالّة من الحياة، وبذلك تكون القصة " فن اللحظة المهمّة وتجسيده في بناء فنّي قوامه الأساس التكثيف والتركيز والتقطير الذي يشمل كل كلمة وكل جملة وكل الشخصيّات والمواقف والوصف والحوار... وفي سبيل ذلك تنحو القصة القصيرة منحى التركيز على اللحظة المهمة المنطلق إلى الهدف– القمة؛ حيث ينبغي التوقف، ويتم التنوير أو لحظة التنبّؤ، وهي " كثيرًا ما تكون لحظة تمرّ بها الشخصيّة حيث يحدث فيها تغيّر حاسم وفاصل في موقفها من الحياة"، فالذي يعني الكاتب هو جلاء هذا الموقف الذي يريد أن يستشف منه معنى معيّنًا يريد إيصاله إلى القارئ. وبذلك، فإنّ خاتمة القصّة القصيرة تكتسب أهميّة خاصة إذ تتجمّع فيها وتنتهي إليها

خيوط الحدث كلها، فيكتسب الحدث معناه. . وبناء عليه، " ليست القصة القصيرة رشحًا من الخاطرة السهلة تعنّ لك وأنت مستلق على دثارك... بل هي صنيع فنّي، هي وليدة خيال رحب محلل" وقدرة على التقاط حدث محدد وتظهيره، وهذا لا يتأتّى إلّا من مبدع متمرّس.

ولأن غاية ملتقى الشعراء العرب الذّي أسّسه الأديب المصري المبدع الأستاذ ناصر رمضان عبد الحميد مع لفيف من المثقفين والأدباء، تشجيع الإبداع، كانت الحصة في هذا الموسم لمبدعي القصة القصيرة لأنهم قليلون نسبيًّا، وفي هذا يقول الروائي فؤاد كنعان" ما أكثر كاتبي الرواية وأقل كاتبي القصة القصيرة" ولعلّ السبب يعود إلى صعوبة كتابة القصيرة التي تفرض الإيجاز والتكثيف والرؤية الواسعة الثاقبة ويتطلب ذلك قدرات لغوية وعقلية وقدرة على التخيّل، فهي بحسب يوسف إدريس" تشبه القنبلة الذريّة في صغرها وفعاليتها... يمكن تصنيعها على أيدي أناس ذوي موهبة خاصّة". وغاية الموسوعة القصصية أساطير عابرة القارات تسليط الضوء على ذوي المواهب الخاصة، وقد صار ذلك ممكنًا إذ شحذت وسائل التواصل المكتوب والمرئي والمسموع والالكتروني همم الهواة وشكلت لهم كوّة يعبّرون فيها عن رؤاهم، ويعبرون من خلالها نحو الآخر، ومن الجدير بالذكر، أنّ القصص المنتقاة التي نشرت في هذه الموسوعة هي البداية لأقلام واعدة تحتاج منّا التشجسع والتحفيز، حاول الملتقى ممثلًا برئيسه وأعضائه أن يكونوا عونًا لهؤلاء الكتّاب حتى تنطلق تجربتهم وتعبر من الذات تجاه الآخر، ونحن أعضاء الملتقى مؤمنون بأنّ الكتابة تعلّم الكتابة، ولا بدّ من فرصة تُعطى حتى تصقل التجربة القلم الذي بدوره سيرقش بياض الصفحة برؤى غنيّة ومثمرة.

د. هدى المعدراني
أستاذة في الجامعة اللّبنانيّة

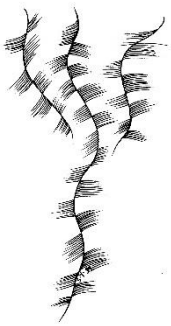

"جذور فوق التُّراب" مجموعة قصص قصيرة جديدة،
صدرت عن دار "روافد"، في بيروت ، للأديب والناقد الأدبي عبد المجيد زراقط.

تفيد قراءة قصص هذه المجموعة أنَّها تقدِّم معرفة قصصية جماليّة بالواقع المعيش ، تنطق بناها بما يمكن تسميته ، بـ" افتح يا سمسم " جديدة . لا تخفى دلالة هذه العبارة التُّراثيّة ، فقد كانت مفتاح "علي بابا " لدخول مغارة اللصوص ؛ وهي هنا مفتاح أبناء الوطن الجميل لدخول مغارات فاسدي هذا الوطن ، وعودة الجذور التي قلعوها الى حضن التراب ، لتنمو وتبرعم وتزهر وتثمر ...

تتضمن هذه المجموعة خمسًا وعشرين قصّة قصيرة، تتوزّع على حقبتين زمنيّتين ، يتّسع الفارق الزمنيّ الموضوعيّ بينهما، ليبلغ حوالى الخمسين عامًا. تتألف هذه المجموعة من قسمين ، تتضمّن الأولى ثلاث عشرة قصّة، ويتألف القسم الثاني من مجموعتين ، تحمل أولاهما عنوان : " حكايات شرحها يطول " ، وتصدر ثانيتهما ، كما القصص الأخرى عن الواقع المعيش . السؤال الذي نطرحه ، بعد قراءة هذه المجموعة هو : هل أتت قصص هذه المجموعة متشابهة أو مختلفة؟ وأيّ موضوعات طرحتها ، وما علاقتها بالعنوان، وأيُّ تمايز أو تباين طرأ على الموضوع والفنيّة الأدبيّة؟

أخذ المؤلِّف عنوان المجموعة من القصّة الثالثة ، ليتصدّرالغلاف، تظلّله شجرتان لا تظهر منهما سوى جذور تصعد في السماء، وتعانق الفضاء الجغرافي المحيط بالعنوان ، ما يجعل الصورة تعبيرًا ملموساً، واضحًا، مباشرًا، دقيقًا له ، فيشكّلان معًا توأمًا ، فتتكامل مكوّنات هذه العتبة النصية التي تشكِّل تناصًّا مع عنوان رواية " لا تنبت جذور في السماء" ليوسف حبشي الأشقر، مع ملاحظة أنَّ عنوان رواية الأشقر ينطق بدلالة مباشرة ، في حين ينطق عنوان مجموعة زراقط بدلالة غير مباشرة ، تتضمَّن ، في المسكوت عنه امكانية ، عودة هذه الجذور الى مكانها الطبيعي، في حضن التراب ، وهذا ما سوف يقوم به ممتلكو مفتاح هذه العودة .السؤال الذي يطرح، هنا ، هو : هل الجذور فوق التراب لها مقوّمات الجذور، أوأن المعنى الضمني لهذا العنوان هو في تناص عميق مع " لا تنبت جذور في السماء" ، بمعنى أنّ الجذور تحتاج إلى مقوّمات تمكّنها من النموّ، فكما أنّه من المستحيل أن تنبت الجذور في السماء كذلك من المستحيل أيضًا أن تبقى الجذور فوق الأرض وينمو الزرع والنبات.

عنوان زاخر بالمعاني من تضادٍ إلى تكامل إلى خلق فضاء يسكنه الخوف والقلق والألم والأمل معًا.
تضادٌ بارز جليّ بين كلمتي "جذور" و" فوق". تثير الجذور في القارىء/ المتلقّي التجذّر في الأرض والانغراس وصعوبة الاقتلاع، ليأتي ظرف المكان " فوق" ، وينسف هذه الدلالة. ففي حين تشير الجذور إلى الرسوخ، والمتانة والتشبّث بالأرض، توحي " فوق التراب" بالفقد والوهن والضعف وعدم الثبات وعدم استمراريّة الحياة، كما توحي بالجدب، واليباس، وعدم الارتواء، والتشقّق، والتّعرّي، فتكون هذه الجذور عرضة

للرياح والعواصف فتقتلعها، وبالتالي هذه الجذور بحاجة إلى إعادة غرس، وهذا لا يكون إلّا بقلب الأرض، وإعادة الزرع. وإذا أردنا أن نربط العنوان بالواقع انطلاقًا من فكرة أنّ القصّة القصيرة ابنة الواقع، وتعبّر عنه، عندها يبرز أمامنا واقعنا اللبناني البائس اجتماعيًّا ، وسياسيًّا، واقتصاديًّا، فهل يشير العنوان إلى الواقع اللبناني المتردّي، المتهالك، ويدعو إلى قلب هذا الواقع والثورة على صانعيه وتغييره؟

يثير العنوان" الجذور فوق التراب"، في المتلقّي، الخوف والقلق والارتياب، وعدم الأمان، فيشعر بأنَّ وجوده على المحكّ وعرضة لتجاذبات كثيرة. لكن ، وإن صبغت كلمة " فوق" العنوان بالسوداويّة والنزعة التشاؤميّة ، فإنّ كلمة " تراب" تثير في القارىء الأمل ، فالتراب ما زال ملكنا، ومهما تعاظم الضعف والظلم والقهر لا بدّ " للّيل من أن ينجلي، ولا بدّ للقيد من أن ينكسر"، فيستفزّ العنوان القارىء وينتظر أن تقدِّم له القصص ما يؤدّي إلى احتضان الجذور وعودتها إلى مكانها الحقيقي، وإلى التغيير،فهل الدعوة إلى رفض الظلم، والثورة على الفساد هو "تيمة" متكرّرة في القصص كلّها أو لم يتعدّ معنى العنوان تجربة القصة التي يحمل اسمها؟

تعالج القصص الاثنتا عشرة الأولى مشكلات المكان والزمان اللذين تنتمي إليهما، فتطرح القصص مشكلتين : اولاهما عدوان الاحتلال الاسرائيلي، وثانيتهما الحرمان الذي يعني منه الجنوب اللبنانيّ، تضافر هاتين المشكلتين يسلب مقومات الحياة الطبيعية من أبناء تلك المنطقة ، كما في "ليل"؛ حيث تقتل قوّات الاحتلال الزوجة والجنين في بطنها، وهي في طريقها الى مستشفى تفتقر اليه منطقتها ، ما يصبغ حياة الزوج بالسوداويّة : " كان هذا الحدث فجيعة للقرية وعمرًا من الحزن لسعيد" (ص. 17) ، وتُظهر القصص الهمّ المعيشيّ وسيطرة البيك وأزلامه على مقدرات العباد والبلاد، ومواسم التّبغ كما في " هكذا". وفي " جذور فوق التراب" التي حملت المجموعة عنوانها، يرى الكاتب الى الاغتراب واقتلاع الجذور وعدم القدرة على غرسها من جديد، والهوية، والانتماء، فلا تشعر مريم، أو ماغي، كما تحبّ أن تسمّي نفسها، بالانتماء إلى لبنان على الرغم من محاولة الأب تزويجها ابن أخيه لعلّ جذوراً لها تتجدَّد في هذه البلاد : " هذه جذور لابنتي تتجدّد هنا" (ص.32) لكن الأفعال تظهر حقيقة الانتماء، فالأبناء الذين ولدوا ونشأوا وترعرعوا في تلك البلاد هم أبناء تلك البلاد انتماء وثقافة، وإن عادوا إلى هذه الأرض لن يستمرّوا، لأنّ الجذور التي تربطهم بها واهية : " أبناء تلك البلاد، يا عمّي، لتلك البلاد... أنت في عملك هذا كمن يمدّ جذورًا فوق التراب" (ص.33)، وقدّمت القصص صورة عن الحبّ والصداقة والعفّة والاحترام، والعلاقات الإنسانيّة، والزواج، وبناء الذات وتحقيق الطموحات، واستثمار الظروف المناسبة واقتناص الفرص في حينها، وركّزت على الجوانب المعاكسة لها من انتهازيّة وتواطؤ وابتعاد عن القيم.

قصص القسم الثاني تتضمن مجموعتين : ترى قصص المجموعة الأولى" حكايات ، التي تتميز بقصر بنيتها وبساطتها ، واستخدامها تقنيات الحكاية والحلم والغرائبية ، الفساد والمحاصصة الطائفيّة ، فرأت

أقصوصة " حبال القبائل" الى القوى المتحكمة بالوطن الذي تسكنه عدَّة قبائل ، ويقوى الانتماء لشيخ القبيلة لا للوطن: " كان معظم أبناء كلّ قبيلة يفتدون شيخهم بالأرواح" (ص.118)، وترى أقصوصة " غزوة السوس" الى قوى الفساد الذي ينخر الوطن، فالصحف تمتلىء بـ " الفساد والفاسدين، والنهب والنّهّابين، والدَّين الكبير الكبير.. والكارثة القادمة" (ص.99)، ومن خلال تقنيّة الحلم واللجوء إلى الغرائبية تشبّه أقصوصة : " غزوة السوس " الفاسدين بالسوس، وتدعو إلى التخلّص منهم لخلاص الوطن : " سوس منتفخ، مختل. لكلّ سوسة شكل غريب، وحجم ضخم، تمدّ قرونًا كأنّها الكلاليب... واختلطت الأصوات: أنا آكولة.. أنا بالوعة... ما أحوجك يا وطني إلى عاصوفة تكنس السوس الذي ينخرك!". (98-102).

وفي قصص المجموعة الثانية ، من القسم الثاني ، نلحظ تغيُّراً في البنى القصصية ، كما في قصة المصيدة " التي تعرّي الفاسد الكبير، وتضعه في مواجهة قبره عاريًا، خاليًا من أيّ قوّة كان يتمتّع بها، وتتعذّر عليه معرفة المستفيد من موته، ويتبيّن له أن المستفيدين كثر، ويتخيّل الملكين منكرًا ونكيرًا، ويتساءل إن كان بمقدوره الإجابة الصحيحة عن أسئلتهما، ويتمنّى أن تأتي الدولة والقانون لتنتشلاه مما هو فيه مع استبعاده إمكانيّة ذلك ، والمفارقة هنا أنه كان يسرق الدولة والمواطن، ويخرج على القانون ولا يلتزم بمواده.

تنشئ بنية هذه القصة تداعيات هذا الفاسد الكبير ، بعد أن وجد نفسه عارياً أمام قبره ، وتبرز فيها سخرية مرة تتمثل في نظرة هذا الفاسد للشعر والمثقفين . بنية هذه القصة تختلف عن بنية أقصوصة " علي بابا الجديد" التي تجدِّد حكاية علي بابا التراثية ، وتكشف " المغارات الجديدة ، ومفتاحها الجديد : " افتح " يا سمسم " الجديدة ، التي تنطق بها هذه القصة والقصص الأخرى ، والمتمثلة بالعمل المنهجي المنظّم لمواجهة الفاسدين واسترداد الأموال المنهوبة : " الحلّ بسيط... أن نعرف " . و " أن نكون مثلهم... لدينا برامج عملنا وقياداتنا... فنعرف ما نريد، وكيف نحقّق ما نريد" (ص.107).

نلاحظ ، في المجموعة الأولى ، من القسم الثاني ، اعتماد الكاتب أسلوب الحكاية، لتأخذ سمة العنوان " حكايات شرحها يطول" ، ففي " فهمناها" يجتمع " الأحفاد حول جدّهم، وقالوا... بدنا حكاية" (ص. 108)، وكأنّه يريد أن تصير قصص مناهضة الفساد حكايات تتناقلها الألسن كبارًا وصغارًا، وتتكرّر عبارة " كان يا ما كان، في هذا الزمان"(ص.108) ويظهر الاستغناء عن العبارة المتداولة " في قديم الزمان" ليعي القارىء أنّ حكايات الفساد تنتمي إلى الزمان الحاضر، وبهذا يستفيد من الموروث العربي التراثي، كما في لجوئه أيضًا إلى شخصيّات قصصيّة تتجذّر في التراث الثقافي " علي بابا" .

ونلاحظ في هذا القسم اعتماد الكاتب الرمز وسيلة لبلوغ غايته فيصرّ الجدّ في " فهمناها" على استعادة " الأنهار المنهوبة" (ص. 109) رمزًا للأموال المنهوبة التي قامت المصارف بحجزها في لبنان في المكان الواقعي المرجعي، اضافة الى الأموال المهربة الى الخارج ، ويتكرر استخدام الرموز في قصص المجموعة الثانية من القسم الثاني ، فكما رمز بالسوس الى الفاسدين ، رمز بالجراد إلى هؤلاء الفاسدين الذين تخطّى

فسادهم فساد إبليس نفسه ، كما صوّرت " قهقهة إبليس"؛ حيث قال إبليس لمساعده عن الموظف الفاسد الذي تحكي القصّة حكايته : " ألا تخشى أن يأخذ مكانك؟" (ص.129)

تتبنّى القصص الثورة، وتدافع عن الثوّار، وتبيّن خطأ بعض الناس الذين يتّهمون الثوار بتخريب البلد، ويتناسون أن فساد المسؤولين هوسبب الفقر والبطالة، لذلك تصوّب " الواحد أحيانًا" (ص.11) البوصلة، فالنقمة يجب أن تكون على المسؤولين لا على الثّوار.

وكما الفساد موجود في عالم الأعمال والسياسة، فهو موجود كذلك، في عالم الثقافة ، فتسلّط قصة " إلّا الفرح" الضوء على سرقة الأعمال الأدبيّة : " وقال لي هذه تريد سرقة القصص الجيّدة" (ص. 154)، فكأن هذه الأقصوصة تقول : اسرقوا كلّ شيء الا الفرح ، أو استطعتم سرقة كل شيء الاَّ الفرح لم تستطيعوا، ولن تستطيعوا، سرقته ، وهذا ما تنطق به قصّة الجراد ، التي تكشف أنّ الفرح بالانتماء الى الوطن الحبيب الجميل لايستطيع جراد الفاسدين " أكله " . وتكشف قصّة " خذوا أسرارهم" فساد المثقفين وعلاقتهم بفاسدي الوطن الاَخرين ، كما تكشف الخداع في هذا المجال : " المخدوع... علمت أنّه هو من كتب القصّة التي نالت الجائزة... أعطني هذه القصّة وأرضيك" (ص.148). وهذا يجعل الجميع قادرًا على أن يصير كاتبًا وشاعرًا، فيجنح أصحاب الأعمال والسياسة والاقتصاد إلى جمع " المجد من أطرافه... أحبّ أن أصبح كاتبًا"(ص. 151).

تنتمي هذه القصص إلى العالم الواقعي الحالي الذي نعيش فيه، رصدت الأحداث وعايشتها، واهتمّت بقضايا الإنسان العادي الحقيقي، وما يتكرّر معه في عالم الواقع المتكرّر، وأضاءت على مخاوفه، وهمومه، وآماله وأحلامه. ولمّا كان الواقع سوداويًّا ركّزت القصص على لحظة من لحظات وجود الإنسان الصعبة.

وبالعودة إلى العنوان وارتباطه بالقصص، نلحظ أنّه يتطابق مع عنوان القصّة الثالثة، التي تحكي حكايته بشكل مباشر، إلّا أنّ القصص كلّها تدور في فلك العنوان، فهي تدعو إلى امتلاك " افتح ياسمسم الجديدة " التي تتيح لـ "ما " لم يستطع السوس / الفاسدون سرقته ، ولـ"ما " لم يستطع الجراد أكله، أي للجذور ، أن ينمو ويزهر ويثمر ، وهذا لن يكون إلّا بنموّ هذه الجذور تحت الأرض يغذّيها تراب الوطن، ووعي أبنائه وحبّهم له ، والثورة على السوس والجراد وكنسهم ، كما فعلت " عاصوفة ". ويُلاحظ ، وإن كان في العنوان والقصص كشف لبؤس الواقع ، فإن قصصاً أخرى حملت، في عناوينها الأمل، ومنها : " الولادة" و" أصدقاء" و" قبلة" ... وعلى الرغم من إضاءة القصص على الفساد وتقديمه على أنّه الطاغي في المجتمع ، انتهى جزء كبير من القصص بالأمل والتفاؤل : " وأنتم كيف ستكونون، ومن سيكون زعيمكم في هذا الوطن الجميل؟ " (ص. 26)

تشكّل بنى هذه القصص عناصر القصّة القصيرة، فتروي كلّ قصّة حدثًا / لحظة من الحياة مهمّة ذات محور واحد ، منتقى من الحياة المعيشة، رصده الكاتب، واختار وقائعه ونظمها في شريط قصصيّ قصير،

وقلّل عدد الشخصيات، ورسمها بدقّة، وهي نماذج مأخوذة من البيئة المحليّة يلمحها القارىء في حياته اليوميّة، فيرى في النّصّ الإنسان العادي، الصالح ، والسّياسي، والفاسد، والشاعر، والمثقّف، والمتباهي، والصادق، والكاذب، والأمين، والمخادع، والانتهازي... وممّا يجدر ذكره أن احدى القصص تروي وقائع من سيرة ذاتيّة للكاتب، فقصّة " الحريق " هي قصة واقعيّة حقيقيّة مأخوذة من سيرة حياة الكاتب ، وهذا ما أشار إليه في المقدمة ، وخيرًا فعل؛ إذ جاء ترتيبها في النصف، فكانت واسطة العقد، تفصل بين ما كتب في الماضي وما كتب في الحاضر. ينوّع الكاتب في زاوية الرؤية بين الراوي = الشخصيّة وهو الغالب، والراوي ≤ الشخصيّة. أمّا من حيث الزمان والمكان، فينتمي المكان مسرح الأحداث إلى القرية والمدينة، وجاء الزمان قصيرًا لا يتعدّى في معظم القصص جلسة واحدة، لذلك لجأ الكاتب إلى تعدّد التقنيّات التي تنوّعت بين استرجاع وتداعٍ وحكاية وحلم، وتغيّرت بنى النصوص ، فنلمح البنية الدائرية؛ حيث تبدأ القصّة وتنتهي في الزمن الخارجي نفسه، وتسافر الذات في زمنها الداخلي السرديّ كما في " ليل" و " صورة" و " النّاس"... ، وتظهر البنية ذات الزمن التسلسلي التعاقبي مع استرجاع يسود كما في " هكذا"، وتبرز القصص ذات الزمن التسلسليّ الممتدّ كما في" الواحد أحيانًا" و" الولادة". ويلاحظ القارىء أنّ القصص متقاربة الحجم ما عدا قصّتين يبلغ طول الواحدة منهما حوالى الصفحتين. ونلاحظ تشابه الموضوعات في القسمين، فالقصص تحمل همومًا متشابهة، كأنّها تنطق برؤية تقول إنّ المكان المرجع الذي تتناول القصص قضاياه لا يزال كما هو: الوجوه تتغيّر، والأسماء تتبدّل، لكنّ الأزمات التي يرزح الإنسان تحت وطأتها هي نفسها، فكانت هذه القصص وفيّة للبيئة التي أنتجتها، فكان البيك يتحكّم بالرقاب وما زالت السّلطة الحالية تسيطر على النّاس وتقمعهم. أضاءت المجموعة على مشكلات المجتمع من منظور الكاتب، ولمّا كان قد كتب القسم الأول في شبابه كانت الموضوعات متعلّقة ببناء الذات والزواج والحبّ والصداقة، وكتب المجموعة الثانية وهوأكبر سنًّا يتطلّع إلى المجتمع، ويحاول أن يسلِّط الضوء على مشكلاته، بوصفه رجلًا حكيمًا يعي هموم جيلين، فكتب في الفساد المتفشّي وضرورة الثورة عليه وقلب الجذور، وكتب القسم الثاني بعد تجربة مع الحياة والسلطة، فوجدها لا تزال على حالها، فدعت القصص إلى ثورة تطيح بالنظام الفاسد المهترئ، وأظهرتها بفنّيّة قصصيّة تنوّعت بنيتها وتقنيّاتها، لتقدم معرفة قصصية جمالية بواقع معيش ينخره سوس لا يشبع.

د. هدى المعدراني
أستاذة في الجامعة اللبنانية كلية الآداب



جبران خليل جبران ..

7



الأديبة الجزائريّة نوميديا جروفي

عند موته عنونت صحيفة نيويورك صن " مات النبي" حيث أقام سكان المدينة الصلوات ليومين .
جبران كما تقول الموسوعة الحرة ، يُعتبر أوسع كاتب مبيعا بعد شكسبير ، خاصة بكتاب "النبي" الذي تُرجم إلى 110 لغة .

قال عنه ميخائيل نعيمة : إنّ جبران كان يستخدم قطعة فحم ليخط بها رسومه الأولى على الجدران وإنه طمر يوما وكان عمره أربع سنوات ورقة في التراب وانتظر أن تنبت .

يبدو أنّ قسوة الحياة في بشرى و فقدان والده لعمله وإنغماسه في القمار ثم سجنه (هذا الوالد غير المبالي والشجارات) جعل" كاميليا رحمة " إمراة شديدة السمرة ، رقيقة ذات صوت شجي .

المرأة التي علمته العربية و أهدته بألبوم صور لليوناردو دافنشي .حتى أنّ جبران كان وفيّا لأمّه فكتب في "الأجنحة المتكسرة ": إنّ أعذب ما تحدثه الشفاه البشرية هو لفظة الأم .

هذا ما جعل الام تهاجر للولايات المتحدة، و هناك استقرّت العائلة في بوسطن بعد انفصالها عن الأب.
في بوسطن بدأ جبران إرتياد المدرسة و تعلّم الإنجليزية و بدأت مواهب جبران وميولاته الفنية والثقافية تظهر ...تعرف على احدهم " هولاند داي " هذا المصور آمن بموهبة الفتى ويشجعه ،جبران بدأ بتزيين الكتب و رسم الصور الشخصية ... وخشيت والدته عليه خاصّة (تردّد جبران على داي السيئ السمعة و ووقوعه في حب ثلاثينية زوجة تاجر وغيابه المتكرر عن البيت .

أعادته "كاميليا رحمة " إلى لبنان ليدرس تاريخه الشرقي ، وفي لبنان تعرّف على الكاتب يوسف حداد ابن خلدون و المتنبي وابن سينا و الشعر الصوفي... في بشرى عرف حبّه الأول والخالد "سلمى كرامة " التي أزهرت " الأجنحة المتكسرة " حتى هذه الأيام لم تكن هادئة فقد توفت سلطانة أخته بالسلّ والذي مات به أيضا في 10 أفريل 1931و مات بعدها بعام بطرس و بالسل الذي ماتت به سلطانة،وماتت والدته بالسرطان .وظل وماريا وحيدين .

أقام جبران أول معرض فنيّ له في 21 من عمره ببوسطن ،وهنا تعرّف على هاكسل التي ساعدته ودعّمته في مساره الفنّي .

جبران تأثّر بفرانسيس مراش خاصة في فكرة " الحب العالمي "، وربما بوسطن في ذلك الوقت والتي لقبت أثينا الأمريكية كانت أرضا خصبة لتفجّر طاقات جبران .

في المهجر كتب أوّل مقالة له " رؤيا" وفي باريس انتسب إلى أكادمية جوليان و أيضا تردّد على أكاديمية كولاروسي .

كان يقضي ساعات طويلة في متحف اللوفر و بدأ أيضا رسم البورتريهات .
كان كثير التدخين و كان يلتهم الكتب بنهم أيضا ،قرأ في الأداب العالمية والفلسفة وتاريخ الفنّ.

وفي نيويرك التي قال عنها جبران : نيويورك ليست مكانا يمكن أن يجد فيها المرء الراحة ،حتى أنّ صديقه الكاتب الفرنسي بيير لوتي عبّر له عن قلقه من ضخب أمريكا.
لجبران مؤلفات عديدة نذكر منها :

الأرواح المتمردة ،عرائس المروج ،الأجنحة المتكسرة ، دمعة وابتسامة ،العواصف،قصيدة الكواكب، النبي ،البدائع والطرائف ،مناجاة الأرواح ،المجنون ، رمل وزبد ،يسوع ابن الإنسان ،آلهة الارض ،مريم المجدلية،...إلخ

نوميديا جروفي
أديبة من الجزائر

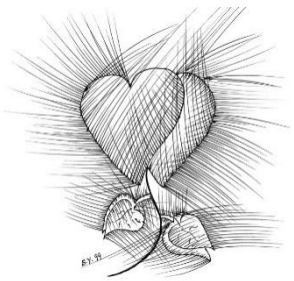

ثُنائية الخوف والتجريب!

8

قراءة في رواية جريمة على مسرح القباني للروائي باسم سليمان



الكاتبة والشاعرة السُّوريّة وداد سلوم

"في البدء كان الخوف، لا الكلمة... الخوف هو القاتل".

في البدء كان الخوف الذي رافق الإنسان منذ انفصاله عن مجتمع الغاب؛ خوف من الطبيعة وتبدل مظاهرها، خوف من الكائنات التي تقاسمه الجغرافيا وخوف من أبناء جلدته. هذا ما استدرجه إلى العنف والقتل لامتلاك أسباب البقاء، وحكَم وعيه فيما بعد، فبقي يتمظهر في أشكاله عبر العبادات والأساطير والفنون التي تعكس طريقته في التعبير ولعل أبرزها المسرح؛ الذي كان بدايةً للاحتفال والإنشاد بالأعياد الدينية في محاكاة لقصة الأسطورة، وذلك لتعزيز المقولة وحرصاً على الالتزام بها، بل خوفاً من مفارقتها. إنه تجلي الخوف العميق الذي يسكن العقل الجمعي من المجهول وأشباحه البعيدة أو القريبة وما قد يجره كسر التقديس من مخاطر لن يكون بإمكان الإنسان إيقافها، وما الاحتفالات الجارية عبر آلاف السنين في المنطقة بقيامة تموز وعودة بعل إلا نموذجاً. إذ لم تكن فقط إحياء لذكرى الفعل بل أيضاً محاولة الحفاظ على استمرار تأثير هذا الفعل على حياتهم، في آلية محاكاة لتجنب الخطر.

وها هو باسم سليمان في روايته جريمة في مسرح القباني الصادرة عن دار ميم عام 2020 يستعير المسرح لينشئ محاكاته الخاصة للواقع/ الحرب التي تلتهم الأرض السورية منذ سنوات طويلة، عبر جريمة تحدث على المسرح، وهي في الواقع حادثة موت مجهول الأسباب، ولحلها يستدعي إلى جانب المحقق شخصية إذاعية شهيرة ذاع صيتها عبر برنامج حكم العدالة الذي كان يبث من إذاعة دمشق على مدار أعوام، إنها شخصية المحقق هشام ومساعده جميل، ثم ينهي الرواية بتوقيع المساعد جميل وما يحمل ذلك من إشارات دالة ومدلولات.

الافتداء وتحويل القتيل إلى قربان

متجهاً إلى العمق أكثر، يستهل سليمان روايته بإهداء إلى السوريين في كل مكان مستعيراً قول رينييه جيرار (السلام هبة العنف). المقولة التي تستشرف النهاية الضرورة فهو لا يكتفي بقتل عبد الله البطل –الرمز، بل يحاول جعل هذا الموت افتداء، وذلك عبر الدعوة لتفكيك عجلة العنف وأسبابه، وإعادة قراءة عناصر الوعي المؤسس له، وتجديد مفهوم الافتداء بتمزيق الأثواب التاريخية الزائفة، ثم إعادة نسج خيوطها في قراءة مختلفة تعيد المقولة إلى حقيقتها في ديناميكية الفعل التاريخي. عبر تلمس واضح لذلك التشابك القديم في الثارات والمعارك الممتدة في التاريخ، والتي شكلت دوماً الجمر تحت الرماد، وحكمت عجلته كلما شاهد وثبة ما إلى المستقبل.

كان عبد الله لقيطاً مجهول النسب عثر عليه طفلاً ناجياً من تفجيرات الأزبكية في ثمانينيات القرن الماضي، فهو مولود من رحم الصراع ومثله مشوّه الوجه إذ احترق نصف وجهه من جراء التفجير وكبرت حروقه معه كتوءم، عاش في دار اللقطاء وتعرض للاعتداء ثم مارسه، وحين خرج لم يكن أمامه فرصة للعمل إلا زبالاً لتنشأ بينه، وبين بائع الكتب تحت جسر الرئيس صداقة توازيها صداقة بائع الكتب مع المحقق، الذي يكشف في أوراق عبد الله بعد توليه التحقيق في الجريمة قصة موازية لحياته ورؤية حكائية للحدث، وهو كوريث لمحنة الصراع / العنف الذي تغلغل في المجتمع وراح يتسع ويتفاقم ليهدد وجوده، يرى أن الخلاص يتم عبر التمثل الرمزي للأسطورة، فالضرورة تستدعي غسل الدم بفداء لا يستوجب ثأراً لإنهاء دورة العنف المتناسل، التي باتت تتغذى على سلسلة الانتقامات في متوالية الموت الكبيرة، مؤسساً أسطورته الخاصة ومكملًا تناسل الأسطورة منذ الجريمة الأولى في التاريخ الإنساني؛ أي منذ قتل الأخ لأخيه إلى الطوفان الكبير ثم افتداء إسماعيل بكبش. فالخيط المتواصل عبرها جميعاً؛ هو عملية الافتداء، معيداً القارئ إلى بذور الوعي التي أفرزت في كل مرحلة تاريخية مقولتها المتناسبة مع ظرفها الإنساني والتاريخي، وانطلاقاً من هذه الرؤية التي يسلط فيها سليمان الضوء على ضرورة إنتاج الوعي الجديد عبر فهم آلية الأصول العنفية للوجود البشري في علاقته مع المحيط ومحاكاتها بين أبناء النوع الواحد، ومحاولة وضع الظاهرة في سياقها التاريخي لإنتاج المقولة والانتقال من اللاتمايز العنفي، حيث تصاب فيه الأطراف بالالتياث وتبادل العنف المدمر لبنى الوجود الإنساني، وتتلاشى القيم الروحية والمادية ويجرف السيل كل شيء. تنشأ بالتالي ضرورة كبح هذه العجلة أولاً. وهكذا تدور الرواية على ألسنة الثلاثة، القتيل والمتهم (حارس مسرح القباني وهو بائع الكتب تحت جسر الرئيس)، والمحقق الذي ورث ساعة الأرمني مسيو كارنيك (والذي يعني اسمه الخروف/ الأضحية أيضاً)، ثلاثة تجمعهم بمصادفة عجيبة صداقة الكتاب والبحث، وتاريخ الميلاد وجريمة تحدث في مسرح القباني، إلا أن الجزء الأكبر منها يكون في سرد أوراق عبد الله التي يجدها المحقق في غرفة أسفل المسرح. لتتوازى الحكاية في الأوراق مع الحدث الواقع وتنامي الإدراك لأبعادها لديه. كما تشغلهم الأفكار الفلسفية وتتصارع في وعيهم بطرح أسئلة تبحث عن إجابات ملحة.

هكذا ربط سليمان عبر مقتل عبد الله بين طبقات الوعي الثقافية والسياسية والدينية باللاوعي، الذي يمتد إلى بداية التاريخ الإنساني محملًا شخصية عبد الله أبعاداً رمزية، فألبس موتها دلالات وإشارات لكيفية الخروج من دوامة العنف الحادث والصريح في المذبحة السورية، ومحاولة تحويل هذا القتل إلى تطهير أو فداء عبر تحويل القتيل عبد الله إلى فدية/ قربان للخلاص.

تنتهي الرواية في أوراق عبد الله ليعلن عبرها استشرافه للفداء الذي أوكل إليه أو أوكله لنفسه منهياً بذلك شبهة الجريمة، ومعيداً الفعل لجذره الحقيقي لتبدأ الخيوط بالتكشف لدى المحقق في عملية تنامٍ تتوازى مع هضم المقولة، ودفعه للمشاركة في تحقيقها، وإظهار تجليات محاور التجريب في رسمها، فالجريمة/الفداء تحول العنف المدنس إلى عنف مقدس ينهي فعل القتل. فالجثة في المسرحية المتضمنة داخل الرواية تقف إلى جانب القاتل وتراه منقذاً لها حتى لا تستمر بأفعالها الدنيئة التي لم تخترها بل دفعت إليها بحكم السبب والنتيجة، إنها ابنة الحرب والقاتل المجهول في قولها: (الطيور على أشكالها تقع) إن هو دليل على تعدد القَتَلى الذين كان يدفعهم الخوف لارتكاب القتل، حيث أصيب الجميع بالالتياث الذي يحول الجميع إلى أدوات، ويسلب القدرة على التمييز، وهذا ما سماه رينيه جيرار باللاتمايز العنفي. ومن هنا كان لا بُد من التمييز بين موت مهدور الدم يراكم الأشلاء والضحايا، وموت الافتداء (موت عبد الله) الاختيار الذي يقود إلى موت العنف بما تحمله شخصية عبد الله من رمزية للصراع المشوه، والذي يحدث دون خوف بفعل الوعي.

رواية عميقة تعنى بالتجريب

يذهب باسم سليمان بقوة وشجاعة في روايته إلى تجريب مختلف، وحتى أقصى ما تحتمله الرواية، فضمّنها نصاً مسرحياً / مسرحية (الجثة) التي كتبها عبد الله القتيل/ والحكاية / أقصوصة الموت/ والقصة القصيرة / قصة المقص/ وإلى طرق أبواب قليل من تجرأ وطرقها، في الإشارة لضرورة إعادة قراءة النص القرآني الكريم والتراث وتفسيره على ضوء القراءة الجديدة.

إن حرفية باسم سليمان بإتيان المخزون المعرفي والثقافي؛ هي محاولة لأخذنا ليس إلى تفنيد مرجعياته، بل البحث معه في الدلالات لإعادة إنتاج هذا المخزون وتوجيهه في الحصول على بنية معرفية ثقافية واجتماعية هي الإنسان، الذي يجب أن يولد من مقتل القديم المحطم، ليس إتيان السلم بعد الحرب؛ وإنما إتيان السلم الذي يفكك أسباب الحرب، ويوقف دورة التكرار التي تواكب التاريخ وتولد منه، فكما يقول سليمان: ليس مهما فقط إيقاف الدم في هذه الحرب، بل أن نفكك آلية الثبات في أسباب الثأر التي تفتح الجروح في كل دورة منه.

ومن هنا بدأ روايته باستعراض أفكار المحقق عن معنى عيد الأضحى في محاولة لإعادة قراءة النص القرآني بطريقة جديدة، للتغلغل في معناه الأمثل الذي يمنحه قراءة لتكوين الفكر البشري ونظرته لسيرة

الإنسان، كما في قراءته لقصة قابيل وهابيل؛ إذ ينظر إلى عملية القتل على أنها انتحال الأخ لإثم أخيه، وعليه يجب أن يدرأ الحد بالشبهات، ويتوقف الثأر عند الفعل ذاته.

هكذا في بحث عبد الله عن عائلته يتوصل إلى أنه يبحث في الحقيقة عن قاتله، ويتوقف عن ذلك حين يدرك أن البحث يحيله إلى المرآة. "وحينها أدرك معنى الأضحية، التي من خلال تتبع دلالاتها سيصبح من الممكن ردع الشبهات التي ستثور من جديد ما إن تسنح لها الفرصة" [ص: 159].

النهاية:

تأتي النهاية رمزية الحدث؛ إذ يغادر المحقق المسرح خارجاً من قلب الخشبة بعد أن قرأ أوراق عبد الله وكأنه يعيد القيامة للمسرح/ الواقع الذي يتراكم عليه تل الخردة والدمى البشرية، كما وصفه البطل في أوراقه وهو ما يوازي حركة المحقق الذي رأى في أوراق عبد الله حياة عاشها، أو يخيل له أنه سيعيشها، فتمنى لو تعرف على عبد الله قبل أن يموت حتى لا يحدث ما حدث، ويجد أن الخروج من هذه المتاهة لا يكون إلا بإعادة الحياة إلى المسرح الذي حولوه إلى خشبة مصمتة بإغلاق حجرة الملقن، وهي صلة الممثلين بالنص الحقيقي، مقاربة لصلة التجلي بالجوهر، وصلة الأصل بالانعكاس، وصلة الشكل بالفكرة. فيعلن المحقق أن خروجه من الكواليس أو من العمق الذي رغم كل عتمته أنار عقله عبر أوراق عبد الله لن يكون من الباب الخلفي، ولا من أي مكان بل من الخشبة التي يدقها برأسه حتى يدمى ليفتح حجرة التلقين خارجاً منها بما يشبه الولادة الجديدة – الخروج من الشرنقة؛ إنساناً جديداً فيتجمد الممثلون ويقف الجمهور مذهولًا.. إنها القيامة التي ينتظرها الإنسان السوري ليكتفي من الموت وينهض من جديد. ورغم إدراك الضرورة إلا أن الخوف من الجدوى ومن نجاح المحاولة يبقى حاكماً يقول باسم سليمان:

"الخوف أهم دافع في الإنسان حتى قبل الجنس، وخوفي ليس حرصاً بل ضجراً من سقم الوجود".

نميز في الرواية ليس فقط مهارة التجريب العالية بل أيضاً لغة الكاتب الخاصة، وأسلوبه الخاص المتصاعد باستمرار، والحقيقة أن مشروع باسم سليمان الفكري لا يقتصر على الإنجاز الروائي، والذي يعدنا فيه برواية ثالثة ليكمل ثلاثية كانت رواية نوكيا الصادرة عام 2013 الأولى فيها، تلاها جريمة في مسرح القباني عام 2020. بل يمتد إلى إنتاجه الثري من المقالات العديدة في التراث والفكر، مؤسساً لوعي جديد خارج عوالق التفسير والاجتهاد التي أخذته إلى أماكن أخرى فسلبته جوهره الحقيقي. ومن هنا نستطيع أن نشير إلى كاتب ومفكر له لغته الخاصة ومشروعه الذي ننتظر منه الكثير

وداد سلوم

«الفراشات البيضاء» لباسم سليمان..
ابتكار مفاهيم للمخلوقات

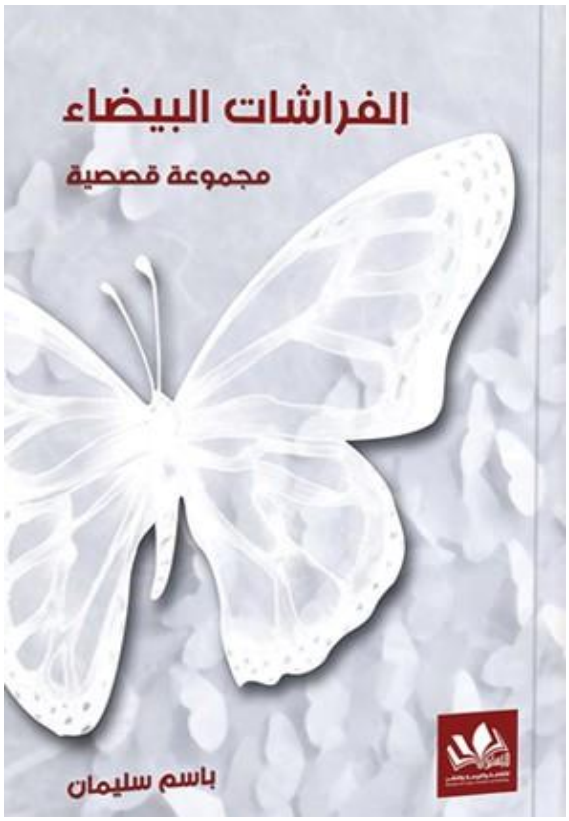

تنطوي المجموعة القصصية الجديدة لباسم سليمان وعنوانها «الفراشات البيضاء»، على ثلاثين قصة بين القصيرة والقصيرة جدًّا، وتتوالى في اتجاهين متكاملين: الأول يعتمد أسلوب الحكاية على لسان الحيوان لإيصال مقولته تارة، وتارة أخرى محاكاة للأسطورة في تفسيرها لمظاهر الطبيعة، لتفسير خصائص عالم الحيوان كتسويغ دموع التماسيح أو عدم قدرة الدجاج على الطيران، مع ذكاء استخدام الرمز واحتمالاته في النسق الحكائي، للدخول إلى عالم البشر. أما الاتجاه الثاني فيتناول عالم الإنسان المريض بالحروب والوحدة وأمراض العصر.

من كافكا إلى شهرزاد

تقول كاميلي باليا: «إن الفلسفة تكون أكثر عمقًا كلما كانت في سياق تناول الطبيعة بمظاهرها وتمثيلاتها المختلفة». من هنا، يذهب سليمان إلى الطبيعة مؤكدًا أنها الجوهر الضامن للبقاء ولتعرية الإنسان الذي جعل الخلل سلوكًا في الطبيعة ومع أبناء جنسه. ينوع سليمان بين الرمز والتهكم والفانتازيا في عرضٍ قصيرٍ مُشوّقٍ، رشيقِ اللغةِ وبسيطها؛ يجمع الرؤية الفكرية المتشبعة بالرؤية الفنية، وهو ما يمنح القارئ متعة الذائقة وإشباع العقل. يقول تيري إيغلتون: «إن العمل الأدبي الأكثر ابتكارًا يتألف من قصاصات وفضلات ما قبله من نصوص»، إشارة إلى الجرأة في إظهار القديم ثم تجاوزه في اتجاهات أعمق. وهذا ما يمكن ملاحظته

عند سليمان، فهو يبدأ مجموعته بعنوان «كافكا»؛ ليشحن ذهن القارئ بفكرة مسخ الإنسان التي أطلقها كافكا وصارت سمة حقيقية لعصر يستعبد الإنسان بيد التقنية التي اخترعها، ليعود إليه مرة أخرى ساخرًا ومعاكسًا له في قصة «عندما استيقظ غريغوري سامسا»؛ فبدلًا من مسخ الإنسان إلى صرصور يقوم العالِم باستئناس وتعليم صرصور يقود رفاقه لمحو عالم البشر بالأسلحة النووية؛ إذ ستعرف الصراصير أنها الناجي الوحيد على الكوكب.

ويستمر الكاتب في طرق أبواب من سبقوه في قصة «جبران خليل جبران» البنفسجة الطموح التي كسرتها الريح حين رفعت رأسها عاليًا، ليكمل القصة بطريقته فنرى شخصية جديدة وهي الفراشة المتعالية التي تموت بمراقصة نار الحريق معتقدة أنها تقوده إلى النهر. بهذا يثير أسئلة تستفز آليات التفكير عند القارئ لاستكناه أثر الفراشة الذي لا يزول.

أما عنوان «وسكتت الدجاجة عن الكلام المباح» فيعيدنا إلى عبارة شهرزاد؛ في إشارة للواقع العربي المستغرق في حكايات الماضي والجدل السفسطائي الذي يعطل العقل. ويتابع ذلك في قصة «رصاصة الحسد» لنرى أن الإيمان بالغيبيات والخرافات تجتمع مع القوة المتحكمة في عالمنا لتضع سقفًا للتطور، عبر حوار تديره قذيفة هاون مع القذائف عن أمنياتها؛ فتقول لخردقة الصيد التي تتمنى أن تصبح قنبلة ذرية: «نحن يا صغيرتي أسلحة العالم الثالث لا يسمح لنا أن نصبح قنابل ذرية».

ينسحب هذا القصور على علاقة الإنسان مع الآخر، والنظر إلى الاختلاف كحالة مرضية. ففي قصة «ذبابة» يشفى الطفل المصاب بالتوحد عبر صداقته مع ذبابة، بينما يفشل ذويه؛ لأنهم يحاولون دمجه بتغييره للتشابه معهم. يقول الطفل: «لماذا لا يفهمون أني أجيد الصمت أكثر من الكلام»، ليقول السارد على لسان الطفل: «الصمت تواصل من نوع آخر». فهل تشفى الإنسانية من أمراضها الكثيرة بتجديد أفكارها وقبول الاختلاف وكسر التصنيف؛ فالذبابة حشرة صغيرة بدماغ كبير وتملك جملتها العصبية قدرات مدهشة حسب علماء الحشرات.

تذكرنا هذه القصة بقصة الرئيس الجزائري أحمد بن بيلا الذي رمي في السجن في زنزانة مظلمة وكاد إحساسه بالمظلومية يجعله يفقد عقله لولا ذبابة عاشت معه في الزنزانة، فكان يأنس لها ويكلمها مما ساعده على التماسك وعدم الانهيار.

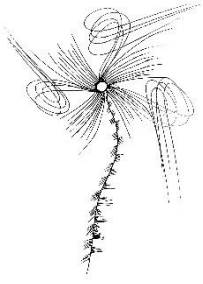

وحدة وصراع الأضداد

من قبول الآخر إلى تبادل الأدوار يعتمد سليمان على المفارقات الساخرة لتقديم مقولته؛ فلو حظي عصفور البغاث التافه بفرصة إطلاق عفريت من القمقم فما رغباته الثلاث التي قد يطلبها؟ تُحفظ الهويات في عالم الطبيعة بقوة الغريزة، أما الإنسان فهو وحده القادر على صنع هويته، فالبغاث وإن استُبدِلَ بجسده جسد النسر أو القط البري لَظَلَّ يفكر كعصفور البغاث دون أن يستوعب تبادل الأدوار، بينما حين يصبح صيادًا في الأمنية الثالثة فإنه يمتلك عقل الصياد الماكر فيعيد العفريت إلى القمقم، وسيكون آخر بغاث صاده هو الصياد.

تتفوق الفكرة أو المقولة في بعض القصص في رمزية تحتمل كثيرًا من التأويلات، لكنه يلون ذلك بالخيال الممتع كابتكار مفاهيم للمخلوقات الأخرى أو محاولة ترجمة مفاهيمها، كأن تقيس المخلوقات البحرية الزمن بعدد الموجات. مؤكدًا في أكثر من قصةٍ أهميةَ الحفاظِ على الهرم الطبيعي وبقاء ناموس الطبيعة وقانونها فاعلًا وحافظًا للوجود رغم قسوته، فالسلسلة الغذائية وحشية بامتياز؛ إذ تقوم على القتل وبقاء الأقوى، ولكن هذا لا يُسوّغ استهتار الإنسان وعدوانيته وجنونه في استغلالها.

وفي قصة «الأسماء» ينقلب السحر على الساحر، والحيوانات التي أوحت للحمار أنه حصان لترتاح من صوته في مكر وسخرية، خلقت لديه الهدف والطموح حتى صار من أشهر أحصنة السباق. أما دموع التماسيح الكاذبة فالإنسان هو العاقل الوحيد على هذه الأرض الذي صدقها ومارسها.

يعيدنا سليمان إلى قانون الديالكتيك في وحدة وصراع الأضداد؛ فالصراع هو جوهر البقاء، وهو ما يعني أن العدالة ستبقى مشروعًا غير محقق وهذا لا ينفي السعي إليها.

تحمل المجموعة عنوان «الفراشات البيضاء» وهي قصة الغريب البعيد من وطنه؛ إذ يدور في دائرة الألم من دون فكاك، إنه الكنغر الأسير في السيرك الذي يرى الثلج فراشات بيضاء تذوب على وجهه؛ فهو من بلاد تندر فيها الثلوج.

حروب وأمراض

نصل إلى الاتجاه الثاني من القص الذي يتناول عالم الإنسان بحروبه وأمراضه. فنلحظ تأثره بواقع الحرب السورية التي تخطف الأبناء. في قصتي «مقهى الأشباح» و«العطار» يكتب سليمان عن أمراض العصر، الوحدة والزهايمر، مثيرًا عواطف القارئ الجوانية ويشعلها بالتشويق والتأثير؛ فالعطار قد يصلح عبر عمليات التجميل ما أفسده الدهر، ولكنه لن يصلح العقل الذي أفسده الزمن. أما «مقهى الأشباح» فمن أجمل قصص المجموعة إذ تجمع الفكرة والمشهدية السينمائية وتحتدم بالمشاعر المؤثرة. وتنتهي المجموعة بالقصص

القصيرة جدًّا وفيها يترك الباب مفتوحًا لخيال القارئ في فك الرموز، وتلوين المشهد باحتمالاته وغرائبيته التي تؤنسن الحجر وتمنحه الحياة بيد الفنان.

حافظ باسم خلال سرده على لغته الرشيقة، رغم تنوع الأفكار وابتكارها والذهاب بها إلى رؤى ومسارب مختلفة، مبتعدًا من التجميل اللفظي ومحافظًا على الأسلوب المكتنز بالمعنى والتعبير الممشوق من دون ترهل أو زيادات.

وداد سليمان
كاتبة وشاعرة سوريّة

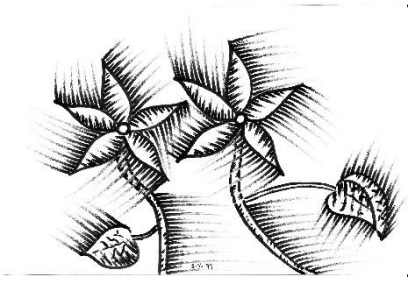



يا سادة .. نحن متخلفون بالفطرة

9

الكاتبة العراقيّة د. ناهدة محمّد علي

ولدناعلى هذه الأرض السمراء وولد معنا توأم طالما عاكسنا ويعاكسنا يسحبنا حينا يمينا واحيانا يسارا كلما امتلأت جوانبنا بالأمل ابتلانا هذا التوام بالشك والريبة حتى ننزع ارهاصاتنا ونرميها على جوانب الطريق علها تسخن وتجف وتطير هباء كانهاغربان الصحراء لكن هذا التوام لا يكل ابدا يسافر معنا يقنعنا متى ما شاء ويسقط اقنعتنا متى ما اقتنع ،،نحن نساء هذه القارة المنكودة لا نسافر. الا معه يحمل معنا مناديل امهاتنا السوداء نرتديها متى ما شاء هو ،،نخلعها فيصرخ فينا العيب العيب ننظر من حولنا،،لا نرى أحدا فممن العيب طالما وشوش في أذني انت لا تدرين ضعي شهاداتك في جيبك فانت لاتدرين شيئاً ،،،، ذات يوم رن جرس الهاتف فقعد لي ما فوق اذني،قال من هو قلت اعرفه ولا اعرفه فقال انت لا تدرين لا تجيبي ما يدريك قلت وماذا في ذلك قال هراء كلهم هكذا لا تسمحي بذلك دعي راسك إلى فوق الاستغناء فوز واي فوزقلت له لن اخسر شيئا قال ستخسرين المحبة والاحترام قلت مفزوعة لاهذا شيء كثير ،، ثم قلت له من انت حتى تديرني لقد قرات الكثير حتى تفوقت عليك قال أنا من لاتستطيعي نكرانها لو رميت بعظامك إلى البحر لن تستطيعي رميي قلت من،، قالت أنا أمك ،، امك كما علمتك لا تستديري لاتنظري امامك لا تضحكي طويلا لا تبتسمي بوجه رجل لا تفتحي ابوابك لغريب ،انا من علمك ، قلت يا امي جارتنا ترقص للصباح وغدا ستنقذ عشرات الأرواح في المشفى،،، اعطتني علبة غداءها حينما نسيت غداءي ابتسمت لي حينما كشر بوجهي الجميع ،،صرخت بوجهي وقالت قلت انت لا تعلمين دعيها ترقص للصباح فسيسود وجهها،،طاطات راسي وابتلعت ريقي ذات يوم جلست في مقهى مزدحم واظن توأمي كان معي اويراقبني حمدت الله اني وجدت مقعدين فارغين شغلت أحدهما جلست لاحتسي قهوتي المرة بشغف متأملة ضوء الشمس فنحن اينما ذهبنا نبحث عنها وكاننا قد ولدنا منها ايقظني صوت رجولي ،، قال، هل تسمحين سيدتي ،كان شابا عشرينيا لطيفا ضاقت حدقة عيني قلت وبسرعة اسفة محجوز ابتسم بلطف وأخذ فنحانه إلى الخارج ،تلفت يمينا ويسارا لارى هل لاحظ أحد باني اكذب نظرت إلى قيافتي ملابسي،،، بنطالي أخذت اردد مع نفسي وببطا شديد،، انت ياسيدتي أكذوبة وماذا سيحصل لو جلس واحتسى قهوته وقام نحن أفراد متقاطعون على الطريق نمر ببعضنا مرورا سريعا لا ضرورة للتعارف لكننا نسكن نفس الكوكب ثم ظهر توامي متمددا فوق راسي هكذا يجب وهكذا يجوز أنسيت عشيرتك وضعت يدي على المقود قلت له احب السياقة السريعة فأنزل من فضلك أو انا وانت الى الهاوية.

د. ناهدة محمّد علي
كاتبة عراقيّة



لغتنا تعيش في محنة من أهلها

عند أ.د. قاسم حسين صالح

10

الكاتب والناقد العراقي طالب زعيان

الأستاذ قاسم حسين صالح في كتابه (في سيكولوجيا الشعر والشاعر) الصادر عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق 2022، وكان الهدف منه، كما يذكر في بداية الكتاب، هو إشاعة الثقافة السيكولوجية، وتوثيق العلاقة بين الذين يصفون المشاعر والانفعالات بأرق ما في اللغة من مفردات. وأن أول ما لفتت انتباه الشعراء العرب إلى الجانب السيكولوجي هي الشاعرة نازك الملائكة في كتابها (سايكولوجية الشعر ومقالات أخرى) الصادر في القاهرة 1979.

تناول قاسم حسين الاغتراب وتعريفه عند الشاعر، ولاسيما الاغتراب النفسي الذي هو إدراك الفرد بأنه أصبح بعيدا عن الاتصال بذاته، وهنا لا يقصد بالاغتراب الغربة، حين يكون الشاعر بعيدا عن بلده أو مسقط رأسه، بل هو الصدام بين ما هو ذاتي وما هو واقعي كما يرى(هيجل)، فهو عدم السيطرة على مصيرك، وفقدان الهدف في الحياة، والانسلاخ عن القيم الإنسانية، الشعور بالوحدة والانسحاب من العلاقات الاجتماعية.

ذكر لنا الأستاذ نماذج من ذلك الاغتراب الذي أصاب بعض الشعراء، في شعر يحيى السماوي، وخالد الشطري، ومناسبة رحيل عبد الرزاق عبد الواحد، ولميعة عباس، والمرأة بين نزار قباني وبدر شاكر السياب، ومظفر النواب، وشعراء صعاليك البداوة وصعاليك الحضارة، والحب بسلة سيكولوجية، واستراحة شاعر ونغزات سيكولوجية... وغيرها.

وتناول اللغة العربية جمال وبلاغة وبيان، الذي نحن بصددها الآن، فاللغة مادة الأدب، ولذلك أثارت اهتمامي وجلب انتباهي، ما تطرق إليه الدكتور قاسم عن جمالية اللغة ومكانتها، ويشير إلى مفارقة جميلة، أن الأدب العربي بدأ بالشعر أولا ثم النثر، وهذا مغاير ما بدأت به الأمم الأخرى التي عاصرتها مثل: اليونانية، الفارسية، الرومانية، الهندية، الصينية... فالشعر هو الأصل، ويأتي لنا بدليل الاهتمام بالمعلقات السبع أو العشر، التي علقت على جدران الكعبة الشريفة.

ومما يميز لغتنا سيكولوجيا حسب رأيه، أنها تثير لدى المتلقي انفعالات الحب، الفرح، الكرامة، التضحية...وغيرها، كل هذا لأنها تمتاز بجمالية الإبداع والإيقاع الموسيقي، فهي لها القدرة على استيعاب كل هذه الانفعالات.

فهي كالعود إذا نقرت على احد أوتاره رنت لديك جميع الأوتار وخفقت، ويضيف الدكتور على ذلك أن اللغة العربية ليس لها طفولة ولا شيخوخة، أي بمعنى أنها ولدت ناضجة ومازالت لحد الآن بالرغم من آلاف السنين التي مرت بها.

وبتدخل المملكة المغربية والمملكة السعودية، وعدد من الدول العربية الأخرى لإقناع الأمم المتحدة لتصدر في عام قرارها الرقم 3190 باعتماد الثامن عشر كانون الأول يوما عالميا للغة العربية.

ومن الدول التي كانت معارضة لهذا القرار (أميركا) بحجة أن ملوك وأمراء ورؤساء العرب يجيدون التحدث بالانكليزية، وبالمناسبة الذي يتحدثون اللغة العربية مليون نسمة أكثر ممن يتحدثون الروسية والفرنسية. فضلا أنها تفوق لغات العالم من حيث مفرداتها التي تبلغ أكثر من 12 مليون كلمة في حين اللغة الانكليزية(600000) والفرنسية(1500000) والروسية (130000)، وأن الذين كتبوا عن اللغة العربية كثيرين من العرب وغيرهم.

ومن الشهادات التي قيلت عن اللغة العربية، حين سئل الشاعر الأسباني لوركا، هل تعتبر المرحلة العربية بتاريخ أسبانيا.. استعمارا؟ أجاب: المرحلة الوحيدة المضيئة في تاريخ اسبانيا هي المرحلة العربية، وما قبلها كان ظلاما.

لكن مع ذلك يرى الدكتور قاسم حسين، أن لغتنا الجميلة تعيش في محنة من أهلها منها:

ـ إن تحقيق أي تنمية اقتصادية واجتماعية في البلدان، جاءت من خلال الاعتماد على لغتها القومية، مثل كوريا الجنوبية، والصين، واليابان، ويذكر أن كوريا الجنوبية كانت من أفقر دول العالم، والآن هي سابع دولة صناعيا، فاللغة هي المعبر الأول بين حضارة سابقة وحضارة لاحقة، ولغتنا تتعرض إلى انتكاسة خطيرة.

ـ ما نعيشه الآن في الوقت الحاضر هناك إساءة وتقصير للغة العربية، نجد أخطاء كثيرة في الكتابة والقراءة ولم يقتصر هذا على الإنسان العادي بل يتعدى ذلك حتى عند المسؤولين وفي القنوات الفضائية من إعلاميين ومقدمي برامج، برفع المجرور والمضاف إليه، ونصب الفاعل وغيره، مما تفقد جمالية اللغة ورصانتها. والتأثير السلبي على المتلقي.

ـ التباهي بالتحدث باللغة الأجنبية ولاسيما الانكليزية، في بعض البلدان العربية مثل دولة الإمارات، ينبغي عليك أن تتحدث بالانكليزية حتى في (المولات) وغيرها، وانتشار ظاهرة التدريس باللغة الانكليزية من رياض الأطفال، ويضيف الدكتور قاسم نحن ليس لدينا مانع من تدريس الانكليزية، باعتبارها لغة ثانية وليست أساسية.

ـ إن العراقيين المغتربين في بلدان المهجر الذي عددهم لا يقل عن السبعة ملايين، معظم أطفالهم لا يتحدثون العربية، حتى في بيوتهم، فينبغي منهم تعليمهم والتحدث معهم باللغة العربية خاصة في البيت، ليزيد شعورهم بانتمائهم الوطني، ولا يفقدوا هويتهم العربية.

ـ ما يسمى بجيل الانترنت، أحب اللغات الأجنبية، وتأثر ببعض من ألفاظها، ونفر عن مفردات اللغة العربية، بحجة صعبة ومعقدة، عكس الأجيال السابقة، ولاسيما جيل السبعينيات، تربوا على برامج تلفزيونية للغة بالنطق السليم، مما زرع فيهم حب اللغة وحب الوطن، عبر تلك البرامج.

ـ إن جائحة كورونا فرضت على لغتنا حصارا، وأدخلت مفردات غربية علينا، منها الأكثر تأثيرا كلمة(عن بُعد)، الدراسة عن بعد، العمل عن بعد، التباعد الاجتماعي، ومنع الاختلاط، وارتداء الكمامة وغيرها. والدراسة عن بُعد أثبتت فشلها، لأنها تفقد أسس التعليم الصحيح، منها وجود الطالب والمعلم في مكان واحد في الصف أو القاعة الدراسية.

ـ عدم الاحتفاء بيوم اللغة العربية، بهذا اليوم جعلت العربية لغة رسمية أمميا إلى جانب خمس لغات عالمية، فالاحتفاء بها ليس فقط لذكرى بل هو تعزيز لها، والتمسك بها، ومعرفة فنونها النحوية والصرفية والبلاغية، والمحافظة عليها، وإعطاؤها أولوية عن باقي اللغات، فالاحتفاء بها ضروري ومهم، مثل ما تفعل باقي اللغات.. فالصين اعتمدت العشرين من نيسان يوم اللغة الصينية، وكذلك اللغة الروسية في السادس من حزيران، وبريطانيا في الثالث والعشرين من نيسان، وغيرها من اللغات، فيوم اللغة لا يمكن تجاوزه، بل ينبغي أن يكون معروفا لدى الجميع، تشارك فيه كل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية والمنظمات والمدارس، والإعلام المرئي والمسموع.

ما ذهب إليه الدكتور عن اللغة فنحن نوافقه، ونشكره على كل هذه الملاحظات القيمة التي لا بد أن نتغلب على كل هذه العقبات عندما تتوفر فينا العزيمة والإيمان المطلق بان اللغة هي هوية الفرد والوطن، بل هي ارثنا التاريخي والثقافي والحضاري والاجتماعي، كل هذا وصلنا عبر اللغة والأدب الذي هو مرآة المجتمع، ورقي الحضارات، فالحضارات بنيت على الكتابة والقراءة أي اللغة، فلا يمكن إهمالها والابتعاد عنها، فهي مسؤولية الجميع، تبدأ من الفرد، بالقراءة المستمرة التي تنير العقول، وفهم الآخر، ومعرفة حياة الشعوب، ومما تجعل اللسان فصيحا، والنطق سليما، والكتابة صحيحة خالية من الأخطاء، فضلا عن دور المدرسة والاهتمام بجميع دروس اللغة العربية وعدم إهمال بعضها، بحجج غير مقنعة، من ثم دور الإعلام والبرامج التي أشار إليها الدكتور قاسم لأنها مهمة جدا ومؤثرة، فيها شيء من التحبب للطفل وإيصالها بسرعة له، وإعطاء اهتمام حتى بالأفلام الكارتونية للصغار، التي تكون بالفصحى، يرددها الطفل كثيرا مع نفسه بحالة غير إرادية، مما يحفظها بحفظ سليم، ودور الأهل في تشجيع أولادهم للقراءة ومتابعتهم. وجعل اللغة العربية من ناحية الاهتمام بالدرجة الأولى، ومن ثم تأتي اللغات الأخرى.

طالب زعيان

كاتب وناقد عراقي



نظرة في لآلئ الشَّاعر أحمد محمود حسن

11

الكاتب والنّاقد السُّوري محمّد رستم

أن تبحث في كنوز شاعر متألق ، قد يبدو الأمر سهلا،لكن أن تكتب عن ظاهرة شعرية متفردة، فتلك قضيّة تحتاج تأملاً ورويّة. إذ يفاجئك الأمر، من أين تبدأ، وكيف لك أن تلمّ بجوانب هذه الظاهرة مجتمعة. حديثنا عن الشاعر الكبير أحمد محمود حسن، والذي يبدع في كل أنواع الشعر، (الخليلي،التفعيلة، النثري) والمحكي. كما يكتب الرواية أيضاً .هو قامة من ألق وإبداع وشعر ..

ولأنّ شاعرنا يعرف أنّ الكلمة سواء أكانت شعراً أم نثراً إنما هي رسالة تحمل مضموناً ما ، لذا فقد ذخَر فكره ، وخوابي ذاكرته ، بمعجم لغوي واسع ،وبكم هائل من المعارف والآداب والثقافة العميقة الجذور والضاربة في مهاد التراث الإنساني الثر فتمثّلها ثم قطف منها ثمار حكاياها العريقة ..

وكان لنشأته في رحاب أسرة ذات ثقافة دينيّة واسعة في التراث الإسلامي الأثر الواضح فكثيراً ما نجد التناص مع القصص القرآني في معظم قصائده. فهو مثلاً يرى أن اختلاف البشر إنما يعود إلى اختلاف الجبلة الطينيّة .يقول ..(لست من مائي وطيني) وفي الوقت ذاته نراه غير متعصّب لدين معين ، بل نسمعه يشيد بالأديان السماويّة الثلاثة يقول

(أكان لزاماً أن تحجّ قصائدي إليك
وعندي ناووس ، وركن ، ومعبد)

ونراه يغوص في حالة من الصوفيّة والعرفانيّة العميقة مؤكّداً سمة من طهارة الروح يقول

(ولا أطلب الأقداس إني شاعر
أقدس في أرض المحبّة ذاتي)

ويبيّن أنّ فكره الإيماني يرتكز على الابتعاد عن كل ما يلحق الأذى بالناس على اختلاف مشاربهم فالأذى من نهج إبليس يقول

(ليقيني إن من يتبع إبليس ...
يلاقي ربه صفر اليدين)

ولعل أهم ما يميّز قصائده هو حروفه التي تنبض بالثقافة الإسلاميّة الراقية سواء بالتلميح أم بالتناص الواضح فنراه مثلاًيضمّن أبياته معاني بعض الآيات القرآنيّة كإحضار عرش بلقيس وتعليم آدم الأسماء كلّها .. يقول

(عرش الجمال بردّ الطرف أحضره
فتستوين وحاوي الجن ما رمقا)

(فعلّمي الشاعر الأسماء إنّ به
روحاً من الله لو باللغو قد نطقا)

وكثيراً مايلجأ إلى تضمين أو اقتباس لأسماء سور قرآنية يقول

(من صب زيت القوافي نار أسئلة حتى شرحت له الإسراء والفلقا) ونراه يشير إلى قصّة موسى والوادي المقدّس طوى يقول

(ما أُطفِئت ناري على وادي طوى
أو شئت عن طور الغرام نزولا)

وهو كثيرا مايذكر بعض العبارات التراثيّة المعروفة مثلاً (ساء منقلبا)

(حبيبة الأمس ضاعت في الزمان سدى
تلك العهود وساء الحب منقلبا)

وكثيراً ما نراه يتكئ على التراث الإنساني العريق وما فيه من كم هائل من الأساطير يقول

(أنت أفروديت ..لست قيثارة أبولو...لست فينوس وقد أعطت لهيلين وباريس السفينة ... لا ولا أوذيس كي أزرع ملحا شاطئ البحر ، ولا بنلوب في القصر حزينه)

وهذا ما يعكس عمق ثقافة الشاعر وسعة معارفه

ويستعير أحيانا بعض الأمثال الشعبية ويصوغها بشكل يسحر الألباب

(لو نلتقي لوداع لم أكن سبباً
وهل يجمّع ماء بعدما انسكب)
ومن جميل شعره في مكان آخر يقول ...
(لاناقتي في الهوى كانت ولا جملي)

مما يؤكد أنه شاعر يبدع في جماليات التناص والشخصنة والاستدعاء والاسقاط الشعوري مما يبني جسور التواصل مع المتلقي بحميميّة دافئة وحين ندخل عالم الغزل لديه يسحبنا إلى فضاءات من المتعة والدهشة وكحالة من الإعجاب بالنفس وكمبالغة جميلة منه نراه يُنصِّب من نفسه إماماً ومعلماً للشعراء (ونرى أنّه لم يجاف الحقيقة في ذلك) فهو ينافسهم حتى ليسلب منهم عشيقاتهم يقول

(علَّمتُ قيسَ الهوى فاختلَّ وانشغلت
ليلاه بي ، وأردت الهجر فافترقا)
(ولو أردت جميلاً أن ينام على
جمر الغضى لقضى بالوجد محترقا)

ويزعم أنّه عاشر شعراء الغزل بعصورهم المختلفة فأخذ من طباعهم ورقة قلوبهم الكثير ..الكثير .. يقول

(قابلت قيساً في بوادي عامر
ولقيت في بعض الشعاب جميلا)
(وسمعت من عمر أحاديث الهوى

وهوالذي سلب النساء عقولا)
(ورأيت ديك الجن ينزف روحه
ندما وأمسى قاتلاً وقتيلا)
(وشربت من كأس النواسي الهوى شغفاً وأبقاني لديه طويلا)
(وجرير أسكرني بخمرة بوحه
(إن العيون)فما سمعت مثيلا)
ونراه من رتبة هؤلا ء الشعراء ويليق به مصاحبتهم .
ولأنه شديد الاعتداد بشعره وشاعريته نسمعه يقول
(لقد علمت أني من الجن أشعر
ومن كل أهل الحب بالحب أخبر)
(إذا أجدبت أرض السموات من هوى
بعثت غيوماً بالأحاسيس تُمطِر)
(تربعت كرسي المشاعر واحداً
ومأي وحدانيّة تتكرر)

في حقيقة الأمر يبدو الشاعر أحمد محمود حسن مدرسة في البوح وموسوعة في التراث الإنساني والحضاري لكثرة ما يورد من أساطير وأمثال وقضايا أدبيّة وفكرية بتناص مدهش ،

لذا تراه معتزاً واثق الخطوة يمشي ملكاً ، ويُبدي تدلله على المعجبات به يقول

(ماكل بارعة الجمال تروقني
لو أنّها تضع السنا إكليلا)

ولكنّه سرعان ما يتراجع وتفيض مشاعره ألماً حين تهجره الحبيبة يقول

(عزفت على النايات ليل مواجدي
فلم تجد النايات لحناً يعبر)
(ولم أرَ إلا سنديانة بيتنا
تُقيم على حبي إذِ الناس تغدر)

فهو يدرك أن آدم لم يكن إلّا ثاني اثنين وأنّ حواء وحدها تكمل النقص الجميل وكأن القصيدة لديه تأتي تجسيداً لحالة في حياته لذا تحس بأن لها إيقاعها النبضي الخاص .

ولشدّة بريق حرفه يكاد يقنعك بأن شعره الغزليّ إنما هو توثيق لأحداث معينة وحصيلة لتجارب عشقيّة عاشها الشاعر إذ يعرض فيها الكثير من الحوارات كما يصف دقائق لحظات اللقاء وحتى الخلافات التي تودي إلى الصد حيناً والقرب حيناً آخر ، فتاء التأنيث هي بيت القصيد لديه ، يعيدنا إلى حكاية التفاحة هذا وقد أبدع في تصوير تلك التجارب بلغة سلسة قريبة من القلب تجمع بين السهولة والعراقة والمتانة ، وعرض أدق تفاصيل اللقاءات مع حواء ، ولعلي أُطوِّبهُ إمامَ شعراءِ الغزل بلا منازع ، فهو يدرك بعمق روعة تكوين الأنثى وسحر بهاء حضورها في الحياة وجسَّد ذلك في قصائده الغزليّة خير تجسيد ، يقول

(صاغك الرحمن يوماً من قفير النحلِ
لما صاغني الخالق من ماء وطين)

هذا ويأتي غزله بلغة راقية وبقلب لوَّنه الطهر والبياض فهو يحافظ على نقاء الكلمة وطهارة الحرف فلا كلمات شاذة تجرح الحياء العام فتجده ينأى عن التصريح الفج والإيماءات الواضحة كما الأخرون ، هذا وحبّه للوطن ليس مجرّد سحابة صيف ، إنّه اشتداد الوله في المسام الظامئة للدفء وهذا الحب يبدأ من التعلّق بالبيت الذي يسكنه فالحي والقرية والجيران والدروب والأشجار بل الطبيعة بالكامل هذه مجتمعة تشكل مداميك في بنية الوطن ،

وقصائده تُشكِّل أرشيفا يوثّق مرحلة جميلة من حياتنا فهو يطرّز الحنين على شال الذكريات ويجعلنا نقف طويلا على عتبات الذاكرة المشرعة على صفحات الأيام الخوالي وأبواب الزمن الجميل زمن البساطة والطيبة والحب والفطريّة الجميلة يقول

(قريتي الضوء والهدوء وإني
شاعر الورد هل قرأت نشيدي)
(تزرع الياسمين في كل نفس
تتشهى الجمال دون حدود)
(هي والحب توأمان ، وقلبي
وهواها من موثقات العهود)
وعن أبناء ضيعته التي يهواها يقول
(كأنما الشعر من أبناء ضيعتنا
زهرٌ وعطرٌ وإلهامٌ وإبداعُ)
وعن بيته يقول
(بيتي على كتف السحاب رفعتهُ
فيه قديم للرؤى وجديد)
(فكأنّ فردوس السماء أتت به
أو لابنه قد شاده داوود)

وحين يتناول آلام الواقع العربي تراه يصارع طواحين الوجع برمح من عجين وسيف من خشب ، إذ تمور في أعماقه فتنة التصاوير الصادحة بالقهر ويغدو كلّ همه أن ينشر ضوء الكلام على حبل أرواحنا المتعبة لأنّ في أعماقه رغبة في التمرّد لحمل مرايا الروح المعذّبة وصولاً إلى أناشيد الرغبات والحلم بأعراس القيامات لذا تراه يصرخ بكلّ اللاءات لأنه من الآخر أهداب متعبة ، وحبر يتشّهى الحياة ..ففي إحدى تأوهات ألمه يخاطب السياب معارضاً قصيدته (مطر ..مطر ..وفي العراق جوع ..) يقول

(سياب من أين المطر
جفت ضروع نخيلنا
والغيم صار إلى حجر)
وفي مكان آخر يخاطب الشام قائلاً
(يابنة الشام قد تحمّلت عشقاً
لو على قاسيون ماد التراب)
(بوحِيَ الشاعريّ ليس كلاماً
إنّه أنتِ فالهوى غلَّابُ)

(وإذا بحت قد يُقَدُّ قميصي
وكثيراً ما تُظلَم الأثوابُ)
وحين يفيض غضبه يصرخ
(أشكو إليك أعارباً وأعاجما
روماً وكلّ لاطِىءٌ بمكان)
(يتهاوشون على طرائد حقدهم
حين الدروب تغصّ بالذؤبانِ)

ولأنّه يمتلك بحرفيّة عالية أثافي الإبداع (اللغة ،الفكرة ،الخيال) مسورةً بموهبة متأصّلة وثقافة واسعة وعاطفة رقيقة لذا يتدفق من يراعه نهر الكلمات المحمّلة بالصور والمعطّرة بالمعاني والمشاعر الدافئة يصوغها وفق تشكيلات تأتيك بحلّة بهيّة جديدة

فتحس أنّ قصائده ترسم لك ألف صراط نحو التألق والبهاء وبلغة عالية الرقي وكأنّ نسغها استُمدّ من نبوءة وتلفّع ببردة من طهارة الوحي كيف لا والتراث الأدبي الإنساني عامة والإسلامي خاصّة هو خوابي كنوزه التي ينهل منها ومما يدل على تمكن شاعرنا من توظيف اللغة بصورة تخدم التجربة الشعريّة لديه بل ومما تفرد به شاعرنا كثرة الإعتماد على بلاغة الإيجاز يقول ..

(كل اللقاءات التي غازلتني
هل كنت أعمى ..؟)
وأحياناً الحذف عندما تكفي الإشارة يقول
(لعلني شارب ماليس يشرحه إلّا ؟
ويعجز من في علمه نثق)
وفي مكان آخر يقول
(وجرير أسكرني بخمرة بوحه
(إنّ العيون) فما سمعت مثيلا)
بل ويعتمد الايجاز يقول
(كلّما قلت لشعري كفّ عن
صعد المنبر قبلي وشدا)
ومن جميل قوله
(أُثني عليكَ إذا فهمتَ بأنني والشمس لون ضفائري شقراء)
كما يستخدم الاختصار يقول
(وَعُدنا طَرْدَ قطعانٍ منَ المرعى
لكي نبني بيوتَ الطِّينْ)

وهذه الأساليب البلاغيّة تزيد من جمالية التعبير حيث تقود المتلقي إلى التأويل وعالم الإيحاء ، وكثيراً ما يبدع صوراً حداثيّة ومعاني جديدة يقول

(ألقيتَ شال الهوى الغالي على كتفي
ألبستني من حرير الضوء ألوانا) ويقول
(تشدو عناقيدها والكأس مترعة
والخمر في شفة العنقود يأتلق)

وهو حين يجدد في الصورة الشعريّة يُحدث عند المتلقي تلك الدهشة الواخزة المحببة يقول ..
(وأُسكِرُ الخمر من بوح الشفاه وكم
من أكؤس سكرت من بوح ساقيها)
قام الشاعر هنا بعمليّة القلب إذ قلب الفاعل إلى مفعول وبالعكس فجعل الخمر يسكر مما تبوح به الشفاه وفي مكان آخر يقول

(شبابتي غَرفَتْ من ماء فتنتها
واترعتني غراماًمن غواليها)

وهكذا نراه يبدع صوراً فيها البهاء والحداثة بآن معاً فالفتنة ماء والشبابة تغرف من هذا الماء وضمناً تحيله لحناً شجياً وبالطبع الشبابة للحن وكأن تراسلاً للحواس في هذه الصورة فالفتنة تغدو ماء وهنا اختلفت حواس إدراكها وهنا تجديد في تبديل مواقع عناصر الصورة ولعل من صوره الجميلة قوله

(وأسقي خراف الفجر من مورد السنا
وأبسط كفي للشروق فيظهر) فللفجر خراف وللسنا مورد .

وهكذا نصل إلى استنتاج أن الصورة لدى شاعرنا ليست محض اقتران إستعاري ، إنها كيان حي متكامل فهو يبدع صوراً بصريّة حركيّة حيّة دافئة ، كل ذلك وفق لغة تنفتح على خصب وغنى وسعة مخزون ثقافي وسعة في معجمه اللغوي ،

وهكذا نلمس كيف أجاد في تجسيده للظاهرة الأسلوبيّة كوسيلة وتقنيّة نظراً لإمتلاكه أدواته الفنية باحترافية عالية من خلال موهبته المتفردة ودربته وخبرته وحساسيّة ذوقه فغدا له صوته الخاص ، ونلحظ كيف تنمو الخضرة في جسد المفردات لديه وكيف يضوع العطر من ثنايا الحروف فهو بخبرته يدرك أن مايمنح المفردة أثرها الشعري هو موقعها وتشابكها مع مايجاورها وبالتالي وظيفتها في البنية الشعريّة ولأنه لم يعتد أن يشرب من إناء غيره لذا نجده يضرب في دروب الإبداع ويطرق مسالك بكراً لم يسبقه إليها أحد ، فتغدو لقصائده أجنحة تحلق بك عالياً في سماء الروح وتحملك إلى أرخبيلات الفرح والدهشة وتسعد وأنت تواكب هذا الترف الجمالي والثقافي والمعرفي وتثمل وأنت تنهل من فرات إبداعه وتدهش لبيادر الجمال التي تجنيها إذ تبدو القصيدة دالية من سحر وبهاء ..

أخيراً أقول إني لأتهم ذائقتي الشعريّة حين لا يقع بيت شعري له ضمن المدى المجدي لدهشتي وإعجابي تحيتي لك إمام الغزل.

محمد رستم

إبحار في ظلال حلم فاطمة الحسن!
محمد رستم*

وسمت الشاعرة فاطمة الحسن ديوانها «ظلال الحلم» وهو ثالث قطاف لها على الورق بعد ديوانيها «تقاسيم وطن ونسيم الروح»، وفي تسميتها «ظلال الحلم» سارعت إلى تقديم الخبر بعد أن أخفت المبتدأ في عباءة الغياب على تقدير القصائد أو الديوان، ولكي تزيد الأحلام شفافيّة ألقت عليها شيئاً من الظلال مما يُدخلنا عالم البهائيّة الجماليّة المستوطنة في الخيالات والعتبة النصيّة للديوان تحدّد هويته الإنسانيّة. فالحلم ميزة إنسانيّة بحتة وهو الخطوة الأولى في طريق الحياة المفعمة بالحركة والنهوض. وما الشعر إلّا محرّك فاعليّة خلق الأحلام كي تفتّح براعم الجمال في سهوب الواقع. فيحثنا الشعر على خلق أحلام معلّقة إن لم يكن لدينا في الواقع جسور معلّقة.

ولعلّ المحاور الأهم في الديوان هي، محور العلاقة بين حواء وأدمها ومحور الهمّ الوطني ومحور المشاعر الإنسانيّة والأحلام.

وترى الشاعرة أنّ العلاقة بين حواء وأدمها قائمة على التكامل. إنّها تكتمل به ويكتمل بها تحت شرطيّة جهة العشق الواحدة، وبذلك تحدّد مكانة الأنثى في مدارات الوجود. فنسمعها تهمس للرجل، افتح جرح المسافات، واشتقّ عبير روحي، تدرك ليلاً مقمراً آتياً، وتدعوني ربة الشوق، أسطورة الكلمات... وبالمقابل تؤكّد مكانة الرجل في الكون الإنساني. أنت قبلُ الشواطئ... منارات الأيام، موانئ الأحلام. سجعها الجميل أنت...
وفي حالة من التماهي بين ضفتي الحياة «حواء وآدم» تقول: «أعد صياغتي.. اغزلني كما تشاء الأساطير.. وتدعوه للحوار الدائم.. فهو المختلف عنها تكويناً...».
تقول: «أنا وأنت عطران مختلفان.. حاورني كما المطر.. وذر الخريف.. واختر لنا هوامش تليق بسماء مقمرة». وترى في الأنثى كامل البهاء حين يتجسّد صلصالاً.
فهي اللّازمة في نشيد الخشوع، والفاتحة في صلاة التراويح، ولأنّ العشق هو الكتاب الأقدس الذي تنبض بحرفه شرايين الإنسان كان لقاؤها بآدم هو اخضرار الربيع وإعادة صياغة الفصول على أنغام الوله، تقول:

«واعلم أنني بلغت فيك الربيع
ومن مشاعرها الإنسانيّة تتناول جانب الأسرة
إذ تجد ذاتها في ابنتها بل ترى فيها وجهها المضيء
ما زلت أقلّب صفحات روحي
فأراك تحملين وجهي المضيء
نبضي المتسارع شمسي المتوّجة».

وحين يصمّ أذنيها طنين الألم تفيض مشاعر الحزن فتبدو الشاعرة كابنة شرعيّة للوجع... تصرخ:
«لا الليل الحالك
لا الأحلام
ولا حتى السلام المفعَم الصيت يلغي كنه الحزن».

وحين ترخي آلام الواقع بصقيعها على نبض الشريان، يستبيحها الألم وتفيض خوابي عالمها الداخلي حزناً... فتلوذ بالشكوى من حياة منقوصة النبض، كل الأحلام فاتها رصد كواكبها، شيء يخالف التأويل. حتى كوكب الحظ السعيد اختار مجرة الآلام الطويلة.

وعن وطنها الذي اكتوى بلهيب المؤامرات تقول:

«كنّا الضحايا التي فاتها وشم القصائد
صدئت بياراتنا يا أمّاه».

والحلم عند شاعرتنا يتماهى مع الأمنيات ليشكّل هاجساً ملحاً دائم الحضور، في العالم الشعري للشاعرة فاطمة الحسن اذ يرد بأشكال مختلفة، لأنّه ترجمة لصهيل الرغبة الداخليّة وتوقٌ عالٍ لفجر ربيعيّ يلوح في الأفق... وهو بالتالي ترجمة لطموحات الأنا الجمعي المتماهي مع الأنا الفردي.

تقول: «أين أحلامي أيها المسافرون.. نحن موبوؤون بالأمل.. الأحلام رقدت تحت الطين.. أخرج تذكرة لحلم عابر».

والشاعرة تجيد الإمساك باللحظة التي تسدّ عليها مسارب الفرح، فالقصائد لديها بوابات تنفتح على عالمها المملوء وجعاً وبحضور قويّ للبعد الشعوري. فتبدو قصائدها حماماً زاجلاً مغمّساً بالألم ولأنّها كغيرها من الشعراء ممن يحملون شرف الكلام السامي فإنّها ترى شلالات النور وسط عتمة الدرب.. تقول: «مشيئتي أن أدوّن قصائدي على مطالع النهار.. وأن أسرق للجياع طعم فرح مدبّر».

ومن الملاحظ أن الجملة الشعرية لديها فيها من إشارات المرور ما يستوقف المتلقي فهي مفعمة بالدلالات مغمّسة بعطر المشاعر بعيداً عن الوقوع في ضبابيّة الانزياحات، وإن مارست أحياناً فن الاختباء داخل زوايا الانزياحات وركبت موجة اللغة الزئبقيّة التي لا يمكن الإمساك بحقيقة مدلولاتها وكأنّها الحلم العابر للزمن. كما في قولها: «آلهة النسيان توالي استدراك النداء

كل رموز الحب
السحب البيضاء
الرغب المستحيلة
الكيانات الجميلة للحزن
الفراغ المحتوم من جدوى الحلم
والانتظارات الطويلة على مبكى أوثاننا المقدّسة».

الشاعرة تجيد بناء الوحدة العضويّة للقصيدة النثريّة بمهارة واضحة لتؤكّد انتسابها إلى أسرة الشعر انتساباً حقيقيّاً ونلحظ تطور تجربتها الشعريّة من خلال مقارنة بسيطة بين ديوانيها الأول والثالث، مما يؤكّد أنّ خيول طموحاتها غير قابلة للترويض إذ تنتظرها آفاق لا تحدّ.

محمّد رستم
كاتب وناقد سوري

تقاسيم تشكيلية

إيقاعات .. إضاءات

(الجزء 14)

قراءة النَّاقد التَّشكيلي غريب ملّا زلال


Sabri Yousef
2014

1. بشار العيسى

يكشف عن الغرض الذي يمشي إليه ، و عن قيمته المعرفية و الجمالية



" في دار المعلمين تعلمت بفضل أستاذي ممدوح النابلسي أن الفن ليس رسم طبيعة صامتة ، أو طبيعة ، أو وجه ، الفن هو إعادة بناء العالم ، إن اللوحة يجب أن تؤدي دوراً في صياغة العلاقات بين البشر ، في إعادة تثقيف العيون بالجميل .. " هذا ما يقوله بشار العيسى (1950– غنامية ، درباسية ، سورية) الفنان المفعم بالشروط الإنسانية بهيئاتها المختلفة ، المنبثق من الحكايات الكبرى للجزيرة السورية ، الحكايات التي كانت تقمع بكل سردياتها ، الفنان الذي كان يتحدى الشروط التي كانت تنتجها معايير المدى القريب ، فكان منخرطاً في الوجع السياسي منذ طفولته ، يكفي أن نقول بأنه نال نصيبه من الضرب و هو طفل لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره حين كان يحمل لافتة كتبت عليها " عاشت الأخوة الكردية العربية " مشاركاً في مظاهرات ضد الحراك العسكري عام 1963 ، فبشار العيسى الذي تفتق وعيه في هذه السن المبكرة من الطبيعي أن يرى بأن الفن هو إعادة بناء العالم ، الطريق الأسمى للبناء و العدل ، و الأسلم و الأنقى لخلق الإنسان ، و هذه المقولة التي قالها في أحد لقاءاته تكاد تلخص فهمه للفن و للحياة ، و بالتالي للإنسان ، فهو بلا شك ليس مخطئاً في طرح هذه المقولة ، بل هي الأصح على الإطلاق ، و هو على الصواب التام ، بل هي الحقيقة الباطنة و الظاهرة و الأمر الأهم في جعل الفن الركن الأول في إعادة بناء العالم وفق أغراض توصلنا إلى نفوسنا ، و كل هذا سيتسنى لنا إدراك ذلك البناء و تفهمه بأشياء تجدي الإعتماد عليها و على مزاياها ، و ملمين بطبيعتها و وظيفتها التي تؤديها بقصد أو بغير قصد ، فالحكم الذاتي هنا يعززه الحكم الموضوعي ، و الإلهام الذي يدفع الفنان نحو هذا البناء الجميل هو ذاته الذي يدفعه إلى خلق الإنسان بكامل مفرداته ، بأخلاقه و مزاجه و ذكائه و شخصيته ، و لكن السؤال الذي يطرح نفسه ، كيف تأتى لبشار العيسى أن يستلهم هذا القدر المكثف من الأعمال المستوحاة من وجع الناس و مما يدور في خلدهم و تراثهم ، فمقولته الآنفةالذكر و عبر توسيعه لها يدفعه إلى ارتياد آفاق تخييلية بإيقاعات في المد و القطع و الرفع و الخفض ، فهو ينبئنا على الغالب بالشيء الذي نطمئن إليه السبب الأهم الذي

من أجله يوجد العمل الفني ، و السبب الأهم الذي جعل العمل الفني الدعامة الأولى في إعادة بناء العالم ، في إعادة بناء الإنسان ، له الأثر الفعال في ذلك ، و لهذا رأى بشار العيسى فيه آداته في الحضور ، و في السير في الطريق القويم و الطويل نحو طموحاته و تحقيقها ، رأى فيها القدرة على الاحتجاج على تلك القواعد العامة الجامدة المجردة من كل روح ، و بعبارة أخرى وجد فيه ما يساعده في الكشف عن الغرض الذي يمشي إليه ، و عن قيمته المعرفية و الجمالية و بالتالي البنائية ، و لعل كل عمل من أعماله هو خطوة نحو الهدف المنشود ، نحو الإنسان ، هو خطوة تحتوي في ثناياها المفاتيح التي بها ستفتح كل ما هو محكم من ناحيتي الحرية و المسؤولية ، ستفتح بها كل الأسئلة التي يمكن إستنباط عالم جديد منها و من الأجوبة التي رسمت لها ، و هذا يساعد الفنان و أقصد هنا العيسى في أن يعرض موضوعه قي لونه و شكله ، و في أن يبلغ المدى الذي هو رهين أدواته التي يستخدمها بقواعده الخاصة به ، لا بالقواعد التي قد تفرض عليه وفق صحة ما يمكن أن يعمل ، و هذه حرية لا يمكن أن يستغنى عنها أي فنان ، فكيف إذا كان هذا الفنان بشار العيسى عاشق هذه الحرية و المدافع العنيد عنها ، و الدافع و المضحي سنوات من عمره و ريشته و ألوانه و قلمه كي تكون .

أكثر من نصف قرن و بشار العيسى يمضي إلى مشهده البصري ليرسمه ، متخذاً من نظرته الخاصة و التي هي نظرة أشد تحدياً و أقل تقبلاً لكل تقليد ، فيتيح لنفسه تلك الطريقة التي بها يتواصل و بعناصر جلّها تكمن خارج التقليد مع ما يعزز تعاطفه المسبق لتناوله افتراضات موضوعية تقيم من خلالها مزيداً من الأرضية المشتركة ، من الفعل التواصلي كعماد لعمله الفني المنتج ، نصف قرن و أكثر و العيسى يرسم لوحته التي لم ينته منها بعد ، و كأن حاله يقول لنا بأن الفنان الحقيقي لا يرسم على إمتداد عمره غير لوحة واحدة غير مكتملة ، بدءاً من عمله الأول إلى عمله الذي بين يديه و الذي لم ينجز بعد ، ما هي إلا تفاصيل من لوحته الكبرى ، لوحته الوحيدة ، و يثبت لنا ذلك حين نراه يقول في أحد لقاءاته : " بعد عشرات المعارض ، أكتشف أنني أرسم لوحة واحدة ، لا تنتهي حين أنتهي منها ، و إنما تتوالد في التي بعدها و التي تستولد من التي قبلها ، أكتشف أنني أعيد إنتاج المشهد عينه ، و الشخوص ذاتهم ، إن وجدوا ، و آثارهم إن غابوا ، بإضافة تفاصيل و حذف بعضها تتلون فضاءات بالأحمر و الأصفر ، و تعاد ثانية بالرمادي أو الأزرق ، أو تذوب كلها في كثافة الأبيض ، تخطط لها مسافات و خطوط و مشاهد بصرية برؤى مختلفة لكنها ذاتها . " ، فعلى هذا النحو يتحدث العيسى و بأن ما يدفعه إلى قول ذلك هو تحقيق قدر من السيطرة على هذا الوجه من أوجه الواقع ، و الذي بات محتوماً إلى حد ما من ملامح الحياة البشرية ، فلو لم تكن لديه مثل هذه المقدرة من الإبداع لما بقي على قيد الحياة ، فالعمل المبدع هو روح الحياة ، بل هو روح الفنان ذاته ، به يتبارى الوقائع بكل معاييرها ، و نتيجة لهذا الاحتدام العذب بينه و بين عمله الذي لم يكتمل بعد ، والذي لن يكتمل على ما يبدو ، سيبقى للمتلقي حيزه لملىء الفراغات بألوانه و خطوطه هو ، وكأن اللوحة باتت عملاً تشاركياً بينهما، بين الفنان والمتلقي، عملاً تشاركياً في الخلق وفي القراءة على حد سواء، أقول نتيجة لهذا الإحتدام العذب بينهما سيتم عكس حاجاتهما و مطالبهما وفق قدرتهما على

التحرك وتغيير الإتجاه تبعاً للطبيعة العابرة ولأهمية الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، فثمة لغة تجمعهم و تبدو مكتظة لدرجة عدم وجود أية هوة بين ما يقولون و ما يفعلون ، بين ما يرسمون و ما يقرؤون .
رغم أن الحياة التشكيلية السورية في السبعينات من القرن الفائت كانت لها ما يميزها ، مقارنة بالعقود الأخرى ، سواء أكانت في غناها بالإتجاهات و التجارب ، أو في مجموعة من الأفكار المتعالقة التي تتيح لها أن تتمازج أو تتنافذ واحدتها مع الأخرى دون أي اختزال لسيرورتها ، و وجدت شيئاً فشيئاً حتى كادت أن تكون الزناد الذي يقدح ما تنطوي عليه من تغييرات حتى باتت تلفت الإنتباه بإستخدامهم لأبجديات جديدة إن كان في المناخ و الألوان ، أو في التقنيات ، و كانت لهذه المرحلة الممتدة تاريخياً على عقدين قبلها ، و المبنية عليها ، كان لها أسماءها التي إستطاع كل منهم أن يأخذ حيزه من المشهد ، و أن يؤثر فيه ، نذكر منهم : فاتح المدرس (1922–1999) ، لؤي كيالي (1934–1978) ، ممدوح قشلان (1929–2022) ، أسعد عرابي (1941 — —)، منذر كم نقش (1935–2019)، غياث الأخرس (1937— —)، نعيم اسماعيل (1930–1979)، نشأت الزعبي (1939— —)، سامي برهان (1929–2021)، غسان السباعي (1939–2015)، عبدالقادر أرناؤوط (1928–2004)، نذير نبعة (1938–2016) ، خزيمة علواني (1934— —)، و آخرين ، بين هذا البحر الهائج إستطاع بشار العيسى إلى جانب توأمه عمر حمدي –مالفا – (1951–2015)، فلا نكاد نذكر أحدهما حتى يحضر الآخر تلقائياً ، توأمان في الإنتماء إلى المكان ، و في تلقي الصدمة من دمشق و فنانيها في المرة الأولى حين سافر كل منهما إليها على أمل تقديم تجربتهما ، كل منهما على حدا ، توأمان في المعاناة و الإغتراب ، تجربتان غنيتان استطاعتا أن تكونا أنموذجاً ناجحاً و مشرفاً لنا في أرجاء المعمورة ، استطاع كل منهما أن يحتل حيزه الذي يليق به ، و لا يمكن القفز فوقهما ، فشاب ترعرع في الجزيرة السورية ، بعيداً عن العاصمة المركز الصاخب للفن و الفنانين و يحرز بينهم مكانة ، تعتبر بحد ذاتها جزماً مبرراً على الحضور و النجاح ، بيد أن الوقت كان ميالاً و على نحو ما إلى الأهمية التي تسبغها العلاقات بين الوقائع ، تلك الوقائع التي تتكلم من تلقاء ذاتها ، يكفي أن ندع أخاه حسين العيسى يروي لنا ما رواه لعامر أحمد و الذي نشرها في مادة حملت عنوان (بشار العيسى و حكاية اللوحة الأم) في أواخر عام 2008 ، هذه الواقعة حتى ندرك التحدي الكبير الذي كان يحمله بشار كي يكون ، يقول حسين و هو يروي حكاية دخول لوحات بشار العيسى أول مرة إلى دمشق : " ما زال ذلك الانكسار و التمزق يملآن حلق بشار حين رفض البواب أن يدخل لوحاته المغبرة إلى الصالة الأنيقة إلا بعد صراخ و جلبة أطل بعدها موظف أنيق ، كان فناناً أنيقاً من فناني العاصمة ، و سألناه ماذا تريد و من تكون ، و على مضض قبل بدخول لوحاته ، منذ ذلك اليوم و إلى اليوم لم تقم أية صداقة بين لوحاته و فناني العاصمة و مسؤوليها .. " ، فتلك هي القصة ، تلك هي بدايتها ، و قد تكون هي المنعطف بذاته ، و يدخل العيسى مغامرة الرحلة ، الرحلة الصعبة و كأنها صحراوية ، يظهر في أوقات الشدة ، يجمع ذبائحه ، أقصد أعماله ، ليحل ضيفاً على تجمع ما ، على غاليري مثلاً ، و بحدس مجهول يحاكي المكان و قبائلها ، يبحث عن كائنات بشرية خالصة كان قد بعثرها

على فضاءاته ، كان يعرف أن تلك الكائنات تهمس بتمائم السحرة ، و هو على يقين بأنه كسارد للمشهد سيحسم الأمر ، و بأن الأرض ستحمله من أرض إلى أرض حتى يعود صبياً شقياً ، يستيقظ في الصباح ليجد نفسه وحيداً في العراء ، المنفى عراء ، و الغربة عراء ، فيستبدل قصة الخلق بقصته التي بدأت و لما تنته ، فثمة شخصية فيه ترافقه ، من حقيقة إلى أخرى ، شخصية إستثنائية قريبة من الوحي ، تعلن عنه و عن خضوعه للعشق النائم فيه ، لتحدث المعجزة بأبجديته هو فيضمن خلاصه ، و يمضي في طريق غربته الأبدية دون أن يتحقق النذر ، و دون أن تزف البشارة ، و يدخل العيسى مغامرة الإغتراب القسري ، يجد نفسه داخلها رغماً عنه ، جريحاً يتخبط بين أزقتها ، تهيمن عليه معالم مجهولة ،يخرج الموت من بين ملفاته ، دون أن تثبط عزيمته ، أو تعطله من السير نحو الحياة في مواجهة مباشرة ، لا يسمح للأفكار المحبطة و السديمية أن تصادر منه عبق الحلم ، صحيح أنه يمضي بأنفاسه و صخبها و تياراتها المتقاطعة ، و يمسك دموعه ما استطاع إليها سبيلاً ، و هو يدخل المتاهة ، متاهة الرحلة القسرية ، متاهة اللجوء و الاغتراب ، ففي عام 1980 غادر سورية مجبراً بإتجاه بيروت ، و لكن في حصارها أقصد في حصار بيروت عام 1982 ، حاله كحال معظم المثقفين ركب سفينة الرحيل ، ليستقر به لاحقاً في باريس ، فرنسا حيث يعيش إلى الآن .

يعتبر بحق من أهم الرموز التشكيلية السورية ، منذ السبعينات القرن الماضي و إلى الآن ، رغم أن الهم السياسي كان يشغله كثيراً و ما يزال ، و أبعده و لو جزئياً من الحراك الفني ، و ربما هذا هو السبب ، فلم نر له عملاً يهز هذا الحراك منذ زمن ، أقول رغم ذلك ، فما زرعه بات شامخاً و مثمراً على إمتداد العقود ، و ما أنتجه غدا حالة منها ينهل الكثير من الفنانين التشكيليين الشباب ، فإذا كان يزاوج بين العيسى الفنان ، و العيسى السياسي ، و في خضم حماسه لذلك فإنه في هذه التزاوج و في هذه المحاكاة ، يحاول أن يلخص السجال الدائر في دواخله ، في جوهره بأن ذلك منفذه الوحيد للوصول إلى حقيقة الواقع ، بمشاعره و تأكيداته يتعدى الأساس الذي عليه تبنى كل وجه من وجوه الحياة ، فهو لا يعيد إنتاج الواقع بوصفها أسئلة تبحث عن إجابات ، بل بوصفها ثمرة للجمال و ما تتوق نفسه إليها ، و لهذا جاءت رؤيته غير مقيدة ، تهتم بالحقائق ، و تأبه لها ، و هذا ما يدفعه إلى رسم مشهده الفني ، لا بوصفه أفكار مبعثرة يدفع منتجه إلى تشيؤ الذات بإلحاح ، بل بوصفه قطعة من الحياة ، يرمي جل مفرداته في الجزء العلوي من العمل الفني أو ما يمكن أن نسميه الأفق ، و يدفع بزومه ، و بعدسة تكبيره على بقعة منها يقدمها في الجزء المتبقي من العمل بكل تفاصيلها ، فالعلاقة بين الجزء و الكل تستمد وجودها من العلاقة بين المفردات ، فثمة لغة عنده هي خارج اللغات المعروفة ، متموضعة عميقاً و تعمل كعمل قوانين الطبيعة ، و هي تلح عليه حين يتخذها أن تكون أشكاله متغيرة بوصفها نتاجاً للغته الخاصة ، و هي تحتفي به بقدوم هذا النوع الجديد من الخلق ، و ما يلفت فيها أيضاً غياب الثبات عن معنى الأشياء ، و بذلك يتجاوز النزعات المدرسية ، مكتفياً بالإنحياز إلى الذات ، و جعل هذه الذات غير عاجزة في تحريك الركود بغية الحفاظ على ذاتها بكل خصوصيتها و الإبقاء عليها .

زوم صغير :

1972 قدم معرضه الفردي الأول في صالة الشعب بدمشق .

1975 في صالة الشعب بدمشق .

1975 في المتحف الوطني بحلب .

1977 في صالة الشعب بدمشق .

1989 في صالة الشعب بدمشق .

1984 في غاليري أوليفيه بجنيف في سويسرا .

1989 في مركز الأمم المتحدة بجنيف في سويسرا .

1990 في غاليري كول غوبو بباريس في فرنسا .

1991 في أورو آرت المهرجان الدولي للفنون بفيرونا في إيطاليا .

1991 في غاليري أم البرج بكنغشلوتر في ألمانيا .

1993 في غاليري غي كرتييه بباريس في فرنسا .

1994 في غاليري إيماج بنيس في فرنسا .

كما شارك بعشرات المرات في معارض جماعية على امتداد الخارطة .

أعمال الفنَّان التَّشكيلي بشار العيسى

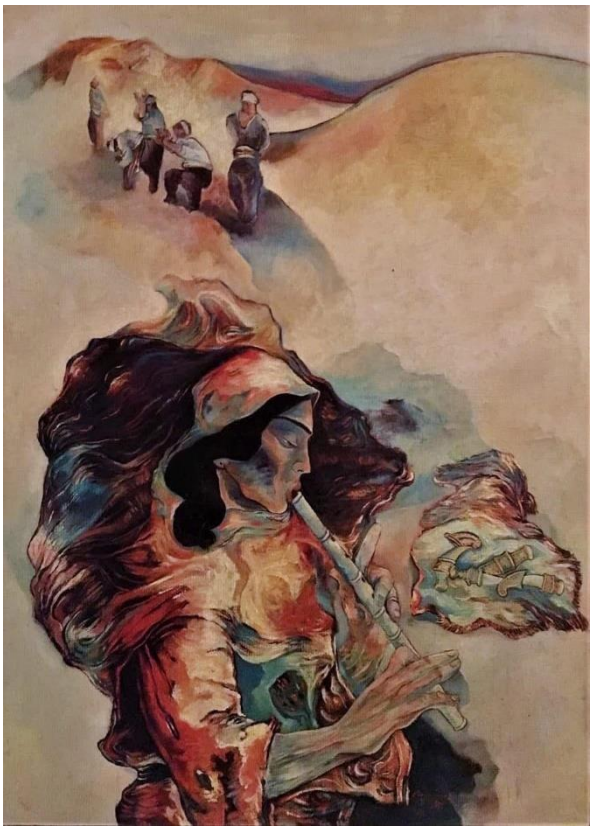

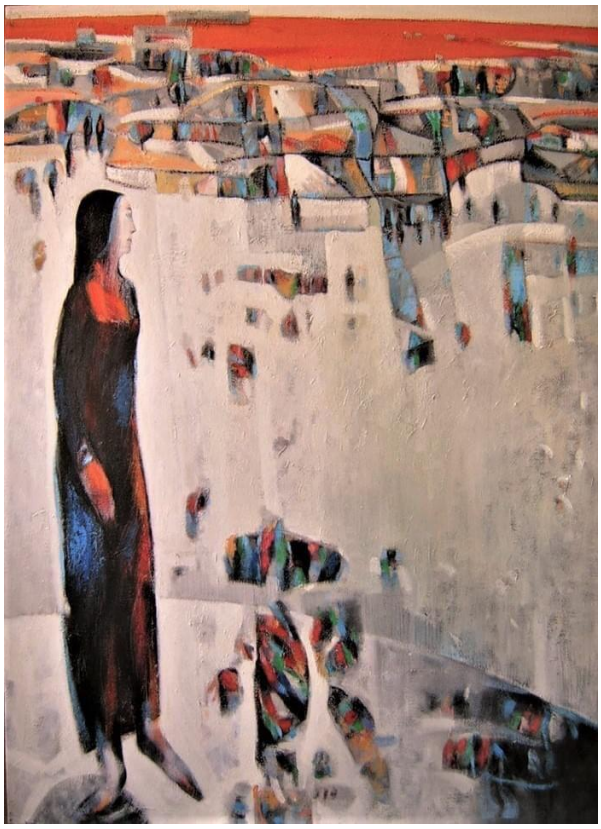





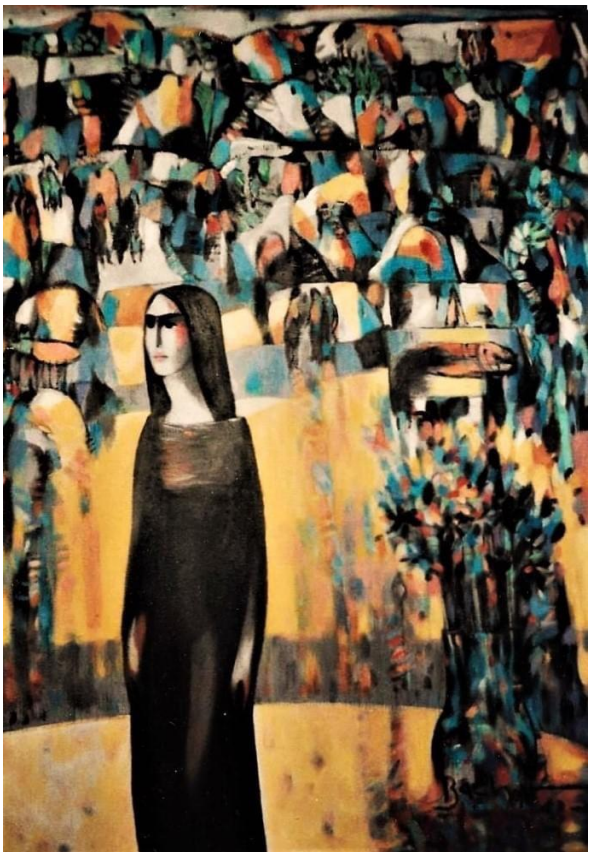



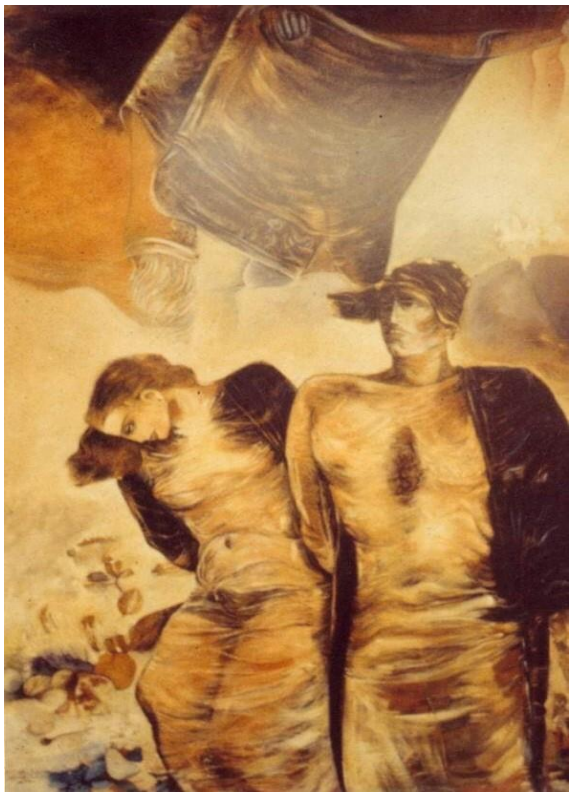

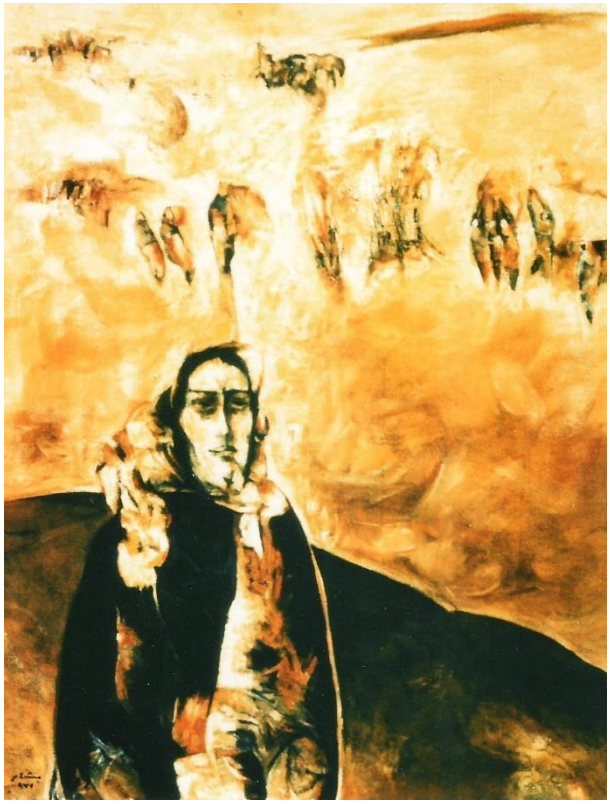

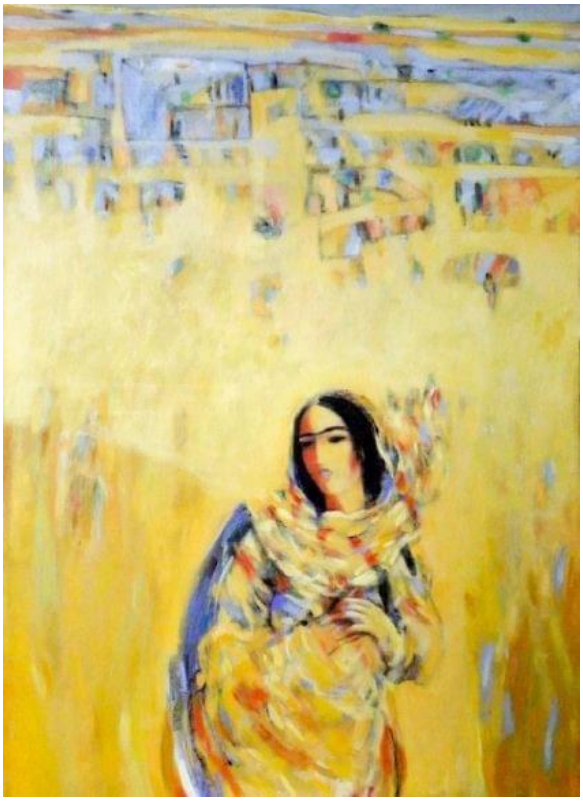

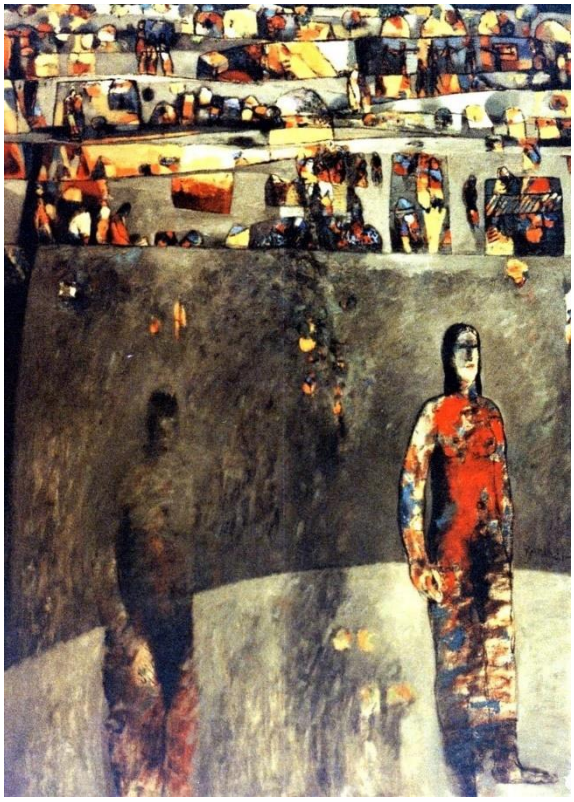

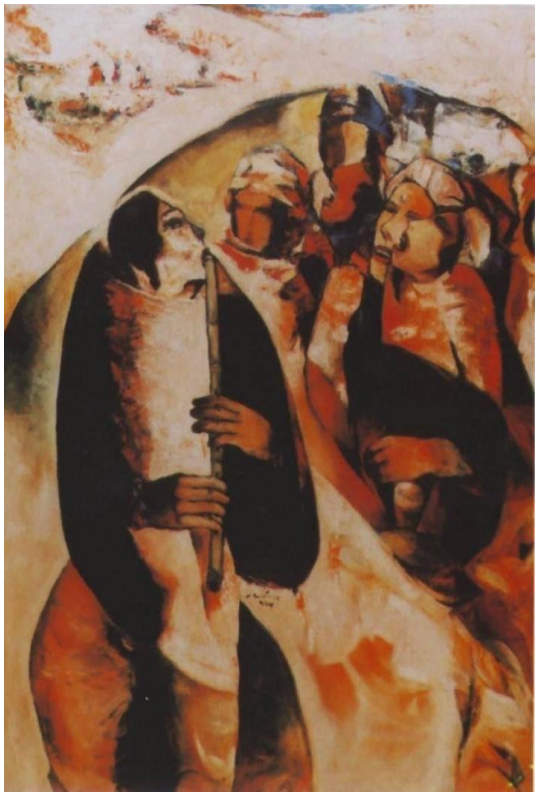



2. أحمد العوض

بين دهشة الفرح الأول و دهشة الحزن الأخير



أحزنني جداً ، و أوجعني الطريقة التي رحل بها الفنان أحمد العوض ، كان ذلك في 23-3-2014 ، حيث كان يسكن في حي الدويلعة بدمشق حين تعرض لنزيف بالدماغ ، تم إسعافه إلى مشفى المجتهد ، لكن لم يجد من يسعفه أو يقدم له يد الرحمة و العلاج ، بقي ثلاثة أيام في قسم الإسعاف و الإهمال يلفه من كل جانب ، لا رعاية طبية ، و لا عناية إنسانية ، هو إنموذج من الضحايا و ما أكثرهم الذين يقدمون كل شيء ، يقدمون عرقهم و دمهم و أقلامهم و ألوانهم و ريشهم كي يبقى الكائن الذي ينبضون بينهم إنساناً ، لكن لا صوت يسمع ، و لا جرح يلتئم ، فالمهزلة كبيرة ، و المخرجون بارعون في تقديمها ، نعم أوجعني هذه الطريقة في قبض الأرواح و و دفنها في الريح ، المكان الذي لا يحترم فيه الإنسان لا يستحق العيش فيه ، فكيف إذا كان هذا الإنسان فناناً بكامل أحاسيسه و نقائه ، و تفانيه ، هي مرّة هذه الحياة التي باتت تنهش من قبل أبنائها الإنسان ، الإنسان الذي يعتبر كما قيل عنه مراراً و تكراراً بأنه من أقذر الحيوانات و أكثرها وحوشة ، نعم الإنسان وحش كبير ، فمن أجل تحقيق غايات معينة ، صغيرة و خاصة و تافهة مثله مستعد أن يعلن الحرب العالمية الثالثة على كل شيء ، نعم الإنسان كائن غير صالح و غير جدير بهذه الحياة و العيش فيها ، و لا بهذه الأرض و الدبيب عليها ، الإنسان كائن خرافي يحمل في داخله كل نفايات الأرض و موبقاتها ، فكل الرسل و كل الرسائل ، كل الفلاسفة و كل المفكرين ، كل الأدباء و كل الفنانين ، كل الآلهة و كل الكهان لم تستطع ترويضه و لجمه ، فوحشيته تفوق كل ذلك ، فما أتعسنا و نحن ننتمي إلى هذا الحيوان ، ربما سقت كل ذلك كرد فعل على الموت المفجع للفنان العوض و اللاإنسانية في ذلك ، و ربما من هول ما أصابنا حتى بتنا جميعاً غرباء و مشردين و نازحين حتى من ذاكرتنا و أنفسنا ، كأنه كتب علينا كي لا نكون ، و لا يكون ما يليق بنا و بكرتنا الأرضية و بحياتنا ، نفرش أرصفة الآخرين و

نقتات منها بردنا و نقتات فتاتنا من حاوياتهم ، فيا لبؤسنا و شقائنا ، و يا لتعاستنا التي باتت جديرة بالدخول إلى الغينيس كأرقام قياسية بها ، يا لهول العاصفة التي جرفتنا إلى البعيد ، البعيد البعيد لتبتلعنا .

أحمد العوض ابن مدينة الحسكة ، ولد فيها ، كان ذلك في عام 1960 ، شرب من خابورها دون يرتوي منه ، و زرع في شوارعها و في قلوب ناسها ذاكرة تسرد ألوانه و حكايتها دون أن تنتهي ، خطا بإتجاه الرسم و هو صغير لم يتجاوز العاشرة من عمره ، كانت تهويه ألوان المساحات الشاسعة لحلم بعيد المنال ، و تغريه صفحات وجوه والديه ، و أخوته ، و كل محبيه من حوله و ملامحها و كأنها من دفتر تعبير خطه طالب عاشق و مجتهد ، لا يحمل في قلبه و ريشه إلا الحب ، الحب الذي منحه حائزاً نحو الإبداع و الرسم ، الحب الذي أيقظ طاقاته و قدراته كي يصبح شخصاً مميزاً ، إنساناً ذا موهبة يصنع و يخط سلالم الصعود إلى حلمه ، الحلم الذي يجوب في السموات و تنتظره كي يقبض على جزيئاته كبداية لتحقيق شيىء ما ، فهو العالم و العارف بأن الحياة دون أحلام صحراء قاحلة ، بل جحيم لا يطاق ، فبدأ العوض يبحث عن كل ما يقربه من أحلامه و جرها أو الصعود إليها ، فتوجه إلى ما يثري هذا الطريق ثراء عظيماً ، و يغنيه غنى لا يتألم على القيم ، توجه بمودة قديمة ، نقية ، إلى قصره المنيب ، إلى بابه المرصود ليخرج أكياسه الكبيرة و الكثيرة المليئة بالنفيس ، بألوان و أفكار و ريش ، و الدهشة تعلو و تهفهف من خلف ستائر الروح ، توجه إلى ما يجلها و تجله هي ، يبتاعها و يرفع بها قوامه و قلبه و مشاعره و يمضي في الطريق ، لا كغريب ، بل كعاشق يعرف تماماً أن حبيبته تنتظره قبل نهاية ذات الطريق .

كل شيء بما في ذلك اللوحة الأخيرة ، أو اللوحة غير المكتملة التي تركها لنا ، لإبنته من بعده ، لمتلقيه أن يكملها بالطريقة التي يشاء بها ، اللوحة التي تجتاحنا بأوسع نظراتها ، و كأنها بمهارتها ترغب في السيطرة علينا و التحكم بنا لنقول ما لم يقله راحلنا العوض ، و كأنه يترك لنا النهايات مفتوحة و بأن الفن رسالته خالدة لا تنتهي ، حتى لو مضى الفنان إلى سبيله ، فأعماله تبقى طالما هناك من يتأملها ، و يقرأها ، و يؤرخها ، و يفك شيفراتها حتى تعكس كل الافتراضات للسياقات التي ولدتها و التي ستولدها ، أقول كل شيء بما في ذلك اللوحة غير المكتملة ، تحدد لحظاته و دورها في فهم الأشياء التي كانت تواجهه ، و التي تعكس بالضرورة تلك المعرفة الجديدة التي توصل إليها كجزء من سياقات أخرى كانت تدفعه ليخوض بها مواجهة كل ما يعيقه في فهم الواقع ، و كل ما يمنعه من رؤية حقيقة الأشياء على الرغم مما قد ينكشف عن ذلك ، أقصد عن تلك المواجهة و ذلك الاعتراض إخفاق ما ، كالتعشيق الزائف بين نطاقات الحياة المختلفة ، فالعوض يميز و بحساسية عالية بين مفاتيح الحاجات الحقيقية و الحاجات الزائفة في ظروفه آنذاك ، و التي هي ظروفنا الآن و على نحو أعمق ، و يعرف تماماً ماهية تلك الحاجات الدقيقة و الذي تبدو فيه إمكانية التغيير أضعف ما تكون ، و التي لها الأثر الدافع بإتجاه السواد و التي يرفضها العوض بإبداء حساسية عالية و واضحة تجاه ذلك و تجاه كل ما تنطوي عليه الافتراضات السائدة ذاتها ، و يدرك بوعيه الذاتي أن قبول ذلك ما هو إلا تكرار لسواه و هذا ما يرفضه تماماً ، و يمكن له أن يلقي الضوء أو

بعضه إلى الذات الملهمة التي تحيله على نحو دائم إلى الحاجة الإنسانية كملاذ ، و بأن الاهتمام بها هو ضرب عذب للذات برمتها .

أحمد العوض رسّام يستعمل طريقة التنقيط في الرسم ، و هي طريقة تعتمد على فصل الألوان و تقسيمها إلى نقط صغيرة ، أو هي طريقة أو " أسلوب فني يعتمد على وضع الألوان على سطح اللوحة على شكل نقاط صغيرة جنباً إلى جنب "و هي طريقة ليست جديدة ، اشتغل بها و عليها رسامون معروفون كجورج سورات (1859–1891) و الذي يعتبر الأب الروحي للتقنية التنقيطية ، و تشارلز انغراند (1854–1926) و فان كوخ (1853–1890) ، و آخرين ، و من الفنانين المعاصرين الذين استخدموا الرسم بالتنقيط نذكر البريطاني نورمان بلامر (1924–1999) ، و الأمريكي دان كريستين (1942–2007) ، و الأمريكية جوان ميتشيل (1925–1992) ، الكندي رودني غراهام (1949–2022) ، و آخرين ، أما من عالمنا المنكوب بثروته و فقره ، و على أمره و كل قيمه فنذكر المغربي عبدالعزيز العباسي ، و العراقي عزيز الحسك ، و الفلسطيني شهاب قواسمي ، و المصرية حنان النحراوي ، و الإماراتية أمل الغصين ، و السعوديين أحمد السلامة ، و زينب أبو فارع ، و الأردني أحمد اصبيح ، و السوري أحمد العوض الذي نحن في محرابه و عنه نتلو قراءتنا هذه ، و القائمة طويلة بطول الزمان و المكان ، و قد يكون من المفيد أن نذكر أشهر اللوحات التنقيطية التي عرفناها ، كلوحة بعد ظهر يوم الأحد في جزيرة لاغراند جات لجورج سورات ، و لوحة شجرة الصنوبر في سان تروبيه لبول سينياك (1863–1935) ، و بوتريه ذاتي لفان كوخ ، و لوحة الشاطىء في سان كلير (1856–1910) ، و لوحة رجل و امرأة في الطريق لتشارلز أنغراند ، و مشهد طبيعي شتوي لألبرت دوبويس (1846–1890)....إلخ ، فأحمدالعوض و بالإعتماد على هذا الأسلوب يأخذ منحى من التبسيط الذي يفيد موضوعاته ، و به يعيد تحديد طبيعتها و طبيعة مخلوقاته ، معلناً أن الواقع غير ثابت ، و إن كانت الحالات لا تكاد تلبث من فرط الواقع أن تبرز إلى الوجود بالتدريج ، معلناً أن أي عنصر لا يحل محل أي عنصر آخر مهما غدا هذا الواقع محاكاة لسياق حقبة ما منه ، و في قراءتنا الأولى لأعماله أحالتنا عبر دهشة الفرح الأول إلى تثبيت الجهة و المكان ، إلى دفء بيته و أمانه و استقراره ، إلى حدوده الحسية ، فكيف لا يحافظ على روحه ، و سحرها و عنفوانها ، التي هي بالتالي روح المكان الذي يحكي حقيقة ألوانه و سردها ، فهو يولي عناية خاصة بعمليات الإنشطار ، إنشطار الوجوه و متنها ، إنشطار الإنسان و عدم قدرته على تجاوز محنه بحثاً عن الإنسجام و عتباته ، و كأنه في محفل عام يعيد فيه إنتاجه مقروناً بحضوره و مداراته .

و في الختام أحب أن أشير بأن أحمد العوض قدم العديد من المعارض الفردية ، و له مشاركاته في معارض جماعية كثيرة ، في أكثر المحافظات السورية ، في كل من الحسكة و الرقة و حمص و دمشق و حلب و طرطوس و اللاذقية ..إلخ ، و كان له دوره في إقامة فرع لنقابة الفنانين التشكيليين في الحسكة .

أعمال الفنَّان التَّشكيلي أحمد العوض



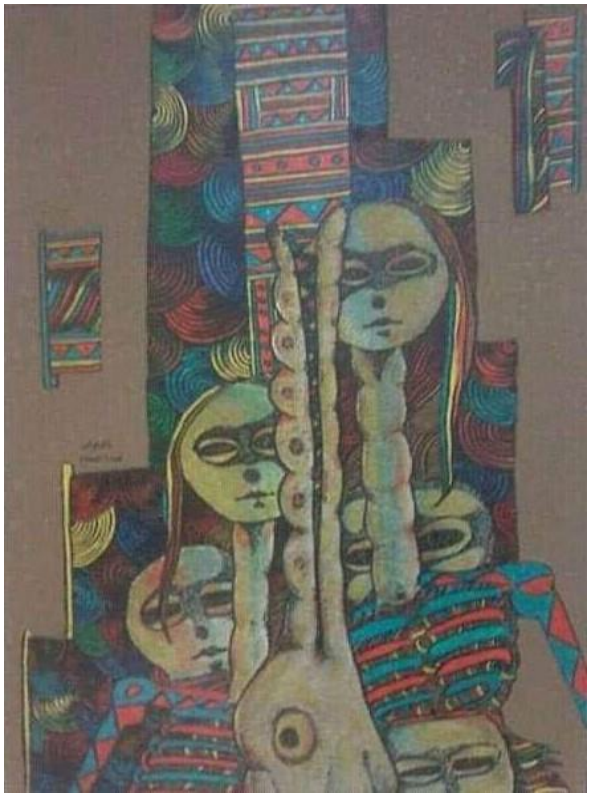







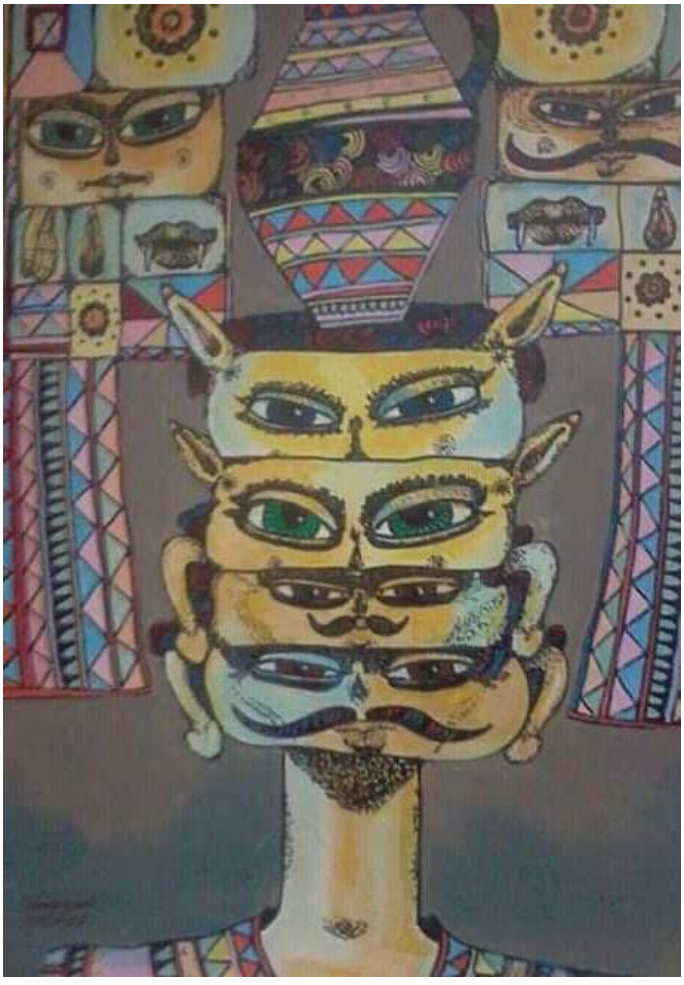





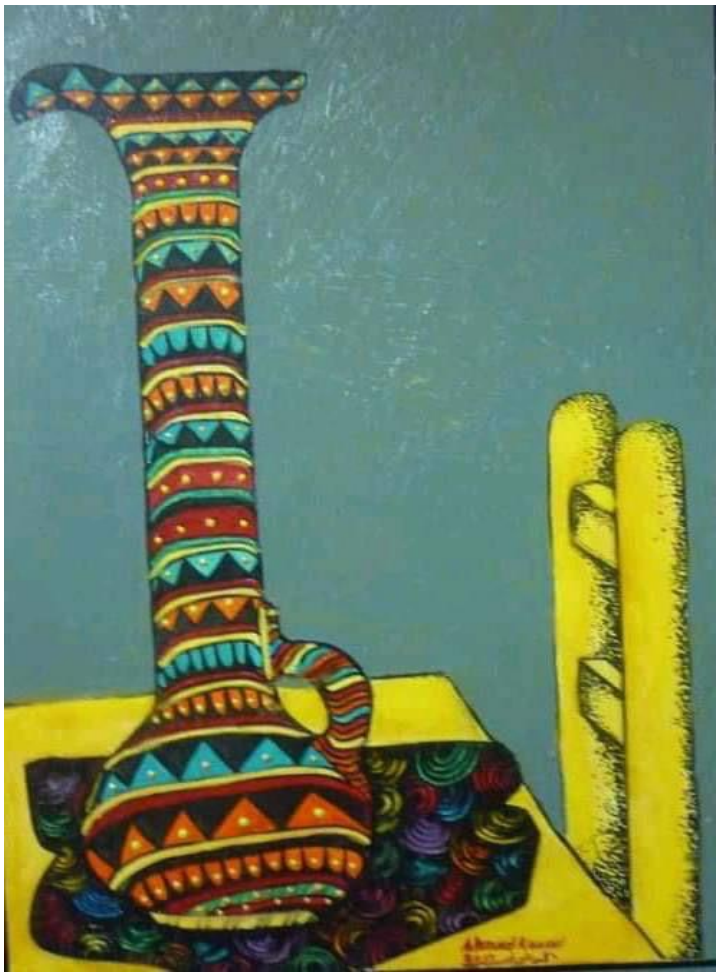

3. سعد يكن

من ترويض الفضاءات إلى كشف أسرارها



خمسون عاماً و نيف و الفنان التشكيلي سعد يكن في بحث دؤوب و متواصل لترسيخ تجربته التي لها حيّز جميل في المشهد التشكيل السوري ، خمسون عاماً و نيف و هو يزرع الفضاءات بمرايا عاكسة للتحولات الساخنة منها و المتنامية فهو يتعامل مع الوقائع الذاتية بدأب و صمت فلا يكتفي بنقل الجواني على السطح بل يترك القسم الأكبر للمتلقي كي يغور في المغيبة منها عله يستعيد الكينونة المفقودة أو ما يشي بذلك حيث يستدرك تلك التساؤلات المتراكمة في الأفق أو المعلقة في سماء ما ليلامس ظاهرته و أقصد ظاهرة سعد يكن حين يمتزج المناخ الذاتي الداخلي مع المناخ الخارجي فتتعزز تلك السيرورة التي لا تزال تستوحي معضلاتها من عدم كبح ذلك الخطاب الجميل الحافر في الروح أزقة عذبة تستوعب كل الكلام الممنوع ، من الأسطوري إلى الواقعي بمفهوم جديد إلى المحلوم به بفعل تعزيز بُعد يستوحي مفرداته من صخب الحواف ، و في هذا الإتجاه يعيد سعد إحياء تلك الحركة الكاشفة ببراعة العصف كل تلك التقنيات الطامحة للإحتجاج على شروط الخلق فهو يحيط مطامحه بهيمنة ألوان تخصه هو و على نحو أكثر الأحمر و الأبيض و الأسود الثلاثي الذي بها يعزف مقطوعاته العذبة في أكثر الأحيان ، فهو يعمل منذ زمن بعيد على تحقيق معادل إبداعي يجعله يروض فضاءاته بكشف أسرارها لخلطته اللونية السحرية فيدخل إلى قمقم الحكايات بتوجهات ذي خطوات إبداعية موازية بالضرورة لسعيه نحو تحطيم جدران التقوقع الذي يحيط بالطبيعة السردية لمشاهده البصرية فيلجأ إلى التعبيرية التجريدية بجسارة الهارب من مشاكل حيوية قد تؤرق خياراته وحينها لا بد من القليل من السيريالية التي تهذب أعماله في بابه الرمزي ، فرغم أن سعد يكن متجاوب إلى حد بعيد بالواقعية الجديدة إلا أن هطول علامات من أماكن أخرى لا تعكر جوه العام بل يزيده رونقاً و حيوية ، فبحثه مفصل جيداً ضمن محاور تهتم جداً بإشارات جميلة ناضجة خاطفة غير

متعثرة أبداً و بهذا يتواصل سعد بمقولات جمالية حديثة تتجانس مع مقارناته التقنية التي تكاد تصبح نوعاً من التماس في العلاقات بين دلالات لغته في مفرداتها المختلفة والمتمركزة على توالدات قد توحي بالحاجة إلى تفاعلات شديدة التوافق لتساهم في تأسيس جماليات الصورة لديه فأداته خيالات منشطرة تمكنه و بعنفوان تلك التقنيات تفصيل مواقع أخرى تميزه من بين أقرانه ، و بإشارة أخرى سعد يكن يترك الأثر الكبير في تقاطعات متلقيه جميعها تؤكد مشروعية بحثه في عمقها الأبعد من كل الإحالات الموحية .

" أنا أرسم أنا موجود " ، قالها سعد يكن مرة فباتت تلاحقه كلما جئنا على ذكره ، مقولة تتقاطع مع مقولة فان كوخ إلى حد كبير و التي يقول فيها : مقولة تعني الكثير ، و تقول الكثير ، و تختصر الكثير ، تكاد توجز مفهومه للحياة ، و للوجود ، و للإنسان ، مفهوماً أشبه بنظرية المعيار فيها تبيان الكيفية التي بها تغذي أفكاره و طروحاته الخاصة ، تبيان الكيفية التي يرتبط بها كل ذلك بشخصيته و ظهورها بوصفها ملامح خاصة من ملامح الحياة التي يعيشها ، مفهوماً أشبه بنظرية حديثة من الواجب أن تزود بضرب سببي من التفسير ، خاصة أنها تتسم بالمصلحة المعرفية و الجمالية الخاصة التي تجمع تأملاته كلها دون أي التباس ، فثمة ما يعززها ، و ما يعزز تصوراته أيضاً ، فهو يدرك الوقائع بسعي تحرري ، لا تقيده الممارسات الحياتية ، و لا تلك المفاهيم التي قد تلح على لاوعيه بالإستيقاظ ، فهو يسعى نحو المعرفة التأويلية و ما تتسم بها من فروع جميعها تصب ما تحيي المعطيات الإنسانية و الإنسان لديه ، و قد تكون الوحيدة التي تطرح تفرده ، إن كانت في ينابيعه الغزيرة الغنية بالطاقة و بقدر كبير من التمرد ، أو في رؤيته المعاصرة المتعلقة بالإنسان و الحياة و تغييرهما ، فهو مرن مع استنباطاته كموضوعات غير مألوفة ما عدا القيمة الضمنية لكل منها فهي تحوز على رعايته بنسبة أعلى حتى غدت ذرات فاعلة غير معزولة لتحديد هويته الفنية و التعرف عليها ، و من أجل المزيد من القراءة ، المزيد من إلقاء الضوء على أعماله و على مختلف المؤثرات التي فعلت فعلها لدى الجيل اللاحق ، فهو في الأساس تاريخ للأفكار و الاتجاهات التي راحت تشق طريقها و تقدم نفسها كعناوين لسعد يكن ، الفنان الذي لا يعنى بالأفكار تلك العناية الجوهرية ، و لا يغرق متلقيه بها ، فغنى أعماله ، و تنامي معلوماته ، يجعل من ذلك المتلقي عنصراً مهماً من العمل ذاته ، لا يتيه فيه و في فضاءاته ، بل يجمع ما تيسر له من لحظات هي بحد ذاتها ضوء آخر يشع من بين مفرداته ، و مع ذلك فمتلقيه لا يسارع إلى التكهنات و الإستنتاجات تبعاً لمزاجه الكئيب أو السعيد ، بل يمضي مع الخطوط و التشكيلات التي تميز يكن عن غيره بوصفها مجال تأثير و نفوذ جدير به ، يمضي معها بمزيد من التفصيل متجاوزاً العقبات الكثيرة نحو تفسيرات و شروحات و تعليقات تكون هي زاده الذي عاد به .

حين يشتغل سعد يكن على موضوع ما ، لا يسرع في ذلك ، و لا يهرول نحوه ، بل يتساءل عنه كثيراً ، و يبحث فيه و في تفاصيله ، لا يشتغل عليه إذا لم يضع أصابعه على مفاتيحه جميعها ، فهو هنا باحث ، إذا لم يلم موضوعه من كل جوانبه ، لا يطبخه ، و لا يضعه على النار ، نعم هو هنا باحث ، يجمع كل التفاصيل عنه ، و يصبح المشهد أمامه عارياً حين يبدأ ، قد يستغرق عمليتي القراءة و البحث أكثر من

سنة ، يستغرق في ذلك طويلاً و كأنه يقول لنا القراءة التي لا تحرض على تحدي الوضع القائم لا خير فيها و لا يعول عليها ، و البحث الذي لا يمنحك أسرار خطواتك لا يستحق هدر الوقت من أجله ، جاعلاً منه ، أقصد موضوعه كمشروع تخرج حسب قوله ، عليه أن يشتغل عليه بروية و دقة و بعقلنة و توافق حتى يكتمل المولود ، فتتمثل الضروب أمام رؤياه ، و تكتنف الحالات حب حميمي ، و ترتدي ملابس معينة و هي تقدم نفسها للعالم كواقعة جديدة تستحق كل الرعاية و الاهتمام ، و لهذا نفهم تماماً حين نسمع يكن يقول بأنه أصبح كلكامش حين اشتغل عليه في معرض فردي ، قدمه حين أدرك حقيقة أمرها تماماً ، و بأنه أصبح شهريار حين اشتغل على ألف ليلة و ليلة في معرض فردي آخر ، و أصبح المسيح حين قدم أيقونة حلبية حديث في معرض ثالث ، و بأنه تردد عاماً كاملاً على الكباريه حين راوده فكرة معرض عن الكباريه ، أقصد من ما تقدم بأن سعد يكن يعرف تماماً أين يقف ، و متى يخطو خطوته ، و متى يتلو آياته ، التقصي و المتابعة و الاقتراب من جوانب ما سيقدمه كلها ، و الغوص فيها ، حينها يقول كلمته ، و يمضي مع ألوانه و ريشه ، و يبدأ بسرد حكايته ، تلك هي أداته التي تروق له ، و تلك هي حكمته في إعادة ترتيب مفردات تلك الحكاية و إيماءاتها ، ذلك هو صوته الذي به تجاوز الفصول و الحدود ، سالكاً على نحو استراتيجي تماماً لكي يحقق النجاح المطلوب .

كلكامش، ألف ليلة وليلة، نساء وطوفان، نحو أيقونة حلبية حديثة، الآخر، الموسيقا، قضية العائلة الفلسطينية ، الكباريه، طرب في حلب إلخ، هي ليست عناوين لمعارضه الشخصية فحسب، بل هي عناوين لمشاريع فنية انخرط في إنجازها بجدية عالية، وهذا ما يجعله يرتفع بإنتاجه فوق السياقات العامة التي تحمل إفتراضات لتلك السياقات و كأنها هالات تحيط بدوائره التي يبدي فيها إستعداداً ما للمخاطرة ببعض أفكاره بوصفها خمائر تشجعه أن يكون معنياً بها لا في مرحلة من المراحل ، بل في في مراحلها جميعاً ، فهو في هذه المشاريع المهمة كحلقات بارزة في رحلته الفنية لا يكتفي بكشفها و إبرازها ، بل يطلق عنانها لتقول حقيقة ما يفعل و ما يجري ، على نحو ما يبرر تحديه لكثير من الأشياء التي قد تعترض طريقه في الإرتقاء بتنبؤاته و تثبيتها ، و في طريقته في البناء التي بها يصوغ توقعاته و تأملاته ، و يمثل ذلك أعلى مرحلة من إستغراقاته و هو يمضي في رحلته الجميلة ، فهو بالفعل يتجه صوب إتفاق أو توافق مشترك مع منتجه بطريقة تقوم على ربط أجزائه و شظاياه في كل واحد ، فمعرفته العالية ، و نظرته الواسعة للأشياء ، و طريقته في طرحها تجعله يلتقط الأشياء بكامل بزوغها ، و تجعل من حدسه حاضراً بقوة ، و بأن ما تناوله سابقاً قد يحضر و يحصل لاحقاً ، هي قراءات لفنان غارق في التفاصيل و تاريخه ، فعناصر تكويناته قد تعمل عملها بإنسجام و تناغم ، و تكمن أهمية ذلك في قدرته على الإدراك ، بأن لكل منها واقعها و حضورها المميز ، و بأن كل منها مكون من مستويات مختلفة ترتبط بعضها ببعض ، كما تكمن أهمية ذلك في التنبؤات بوصفها قراءات فنية جمالية للغد ، أي أنه قادر أن يرسم الحدث قبل وقوعه ، و الكثير من أعماله تقول ذلك ، و لكن سنذكر لوحته بيروت بين الولادة و الموت ، رسمها قبل الحدوث بست سنوات ، و كذلك لوحاته عن مرفأ بيروت و الإنفجار الكبير كان قد رسمها عن الأزمة اللبنانية حينها ، قبل وقوع

الإنفجار بأربع سنوات ، و للذكر فقط فهو لم يرسم بعد الإنفجار عن الإنفجار إلى الآن ، فالإطلاق عنده واضح و الدوافع هي إقامة صلات جمالية ، معرفية بين الظواهر ، و بذلك يحقق السيطرة عليها ، أقصد على الأشياء بوصفها أشكال معرفية تتسم بقيم مختلفة ، بقيم يفترض بها أن تجعل حياتها ذات شأن .

ما يشبه التعريف :

منذ البدء كان سعد يكن مختلفاً ، منذ البدء كان يبحث عن التغاير ، حتى و هو على المقاعد الدراسية الأولى كان يصر أن يكون مختلفاً ، ألا يشبه أحداً إلا نفسه ، نفسه فقط ، و ربما اهتمامه بالفن جاء من هذا الباب ، فانتسب إلى المركز التشكيلي بحلب و عمره لم يتجاوز الثانية عشر ، و تخرج منه عام 1964 ، فهو من مواليد حلب عام 1950 ، انتسب إلى كلية الفنون الجميلة بدمشق عام 1970 ، و كان ترتيبه الأول في مسابقة القبول ، لكنه تركها بعد عامين بعد أن أيقن بأنها لن تقدم له شيئاً ، و لن تضيف على ريشته ما يعتقها و ما يلهمها نقطة واحدة ، و منذ عام 1965 و هو يشترك في المعارض الرسمية ، إلا أن معرضه الفردي الأول كان في عام 1969 ، في صالة المتحف الوطني بحلب ، له تجربة جميلة مع الأطفال المعوقين امتدت لخمس سنوات ، أقام أكثر من خمسين معرضاً فردياً في سورية و في العالم العربي و العالم ، و له أكثر من مائة مشاركة في معارض جماعية ، عرض مع لؤي كيالي عام 1972 في بيروت المدينة التي سافر إليها و لما يزل فيها بعد حرائق البلاد ، و بعد أن استحل السوداويون و الظلاميون مرسمه و أحرقوا لوحاته و كتبه ، لكن بقيت علاقاته مع الفن من علاقته مع الإنسان ، و الفن هو علاقة مع العالم ، هذا ما قاله ملخصاً بها رؤيته و رؤياه للفن و الإنسان و الحياة و العالم .

أعمال الفنان التشكيلي سعد يكن








YAGANTE



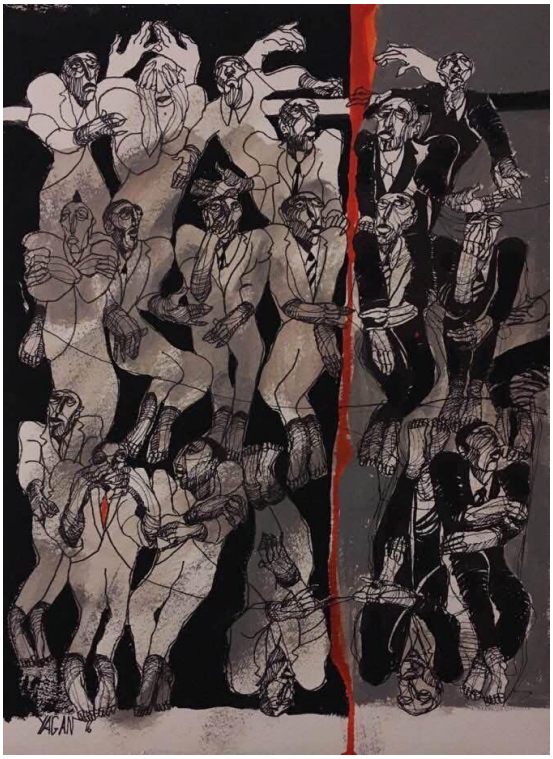

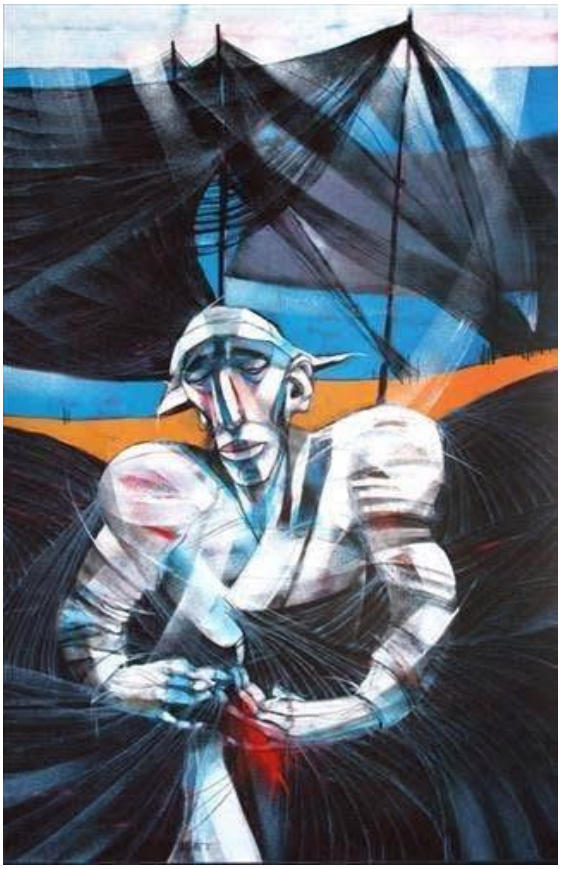

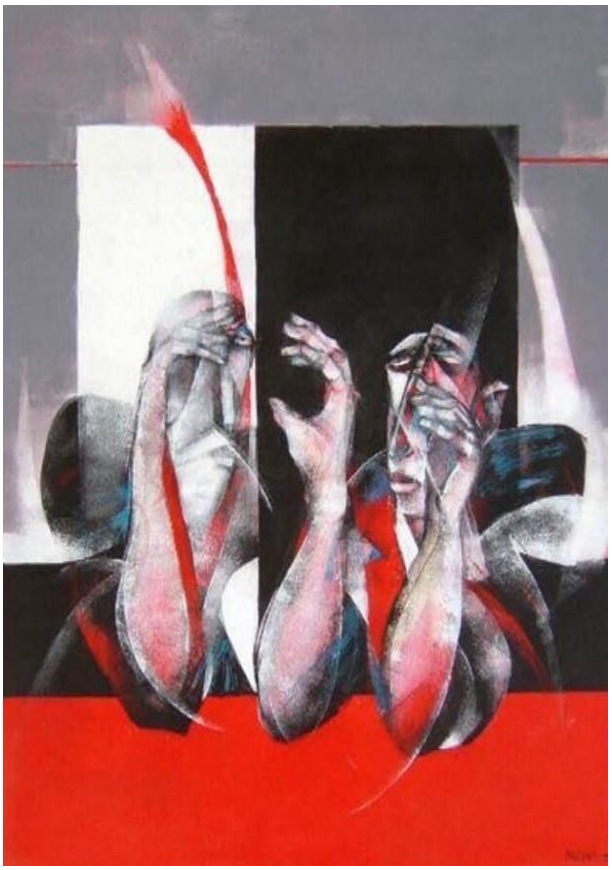

4. عباس الزهاوي

يعمل بأدوات خاصة تخدمنا جداً في التفسير و التأويل

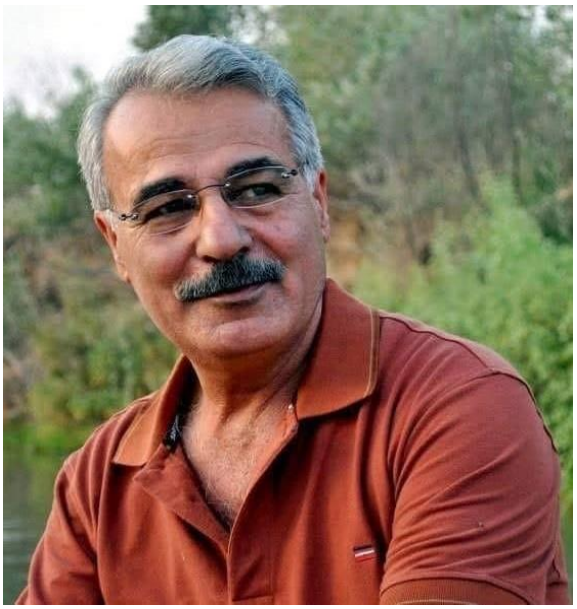

من يعش في كردستان العراق لا بد أن يعشق ناسها ، مدنها ، هواءها ، طبيعتها ، لا في عشق مفاصلها بتفصيلاتها كلها فحسب ، بل في تبيان كيفية إستعادة تلك الكنوز ، تلك الطبيعة بجمالها و جنانها و بصدى صوتها الحقيقي الأصيل ، الصوت الذي يروي التاريخ و تحولاته ، برائحته و آلامه المقدسة ، نعم للطبيعة صوت كما لها الحواس الأخرى كلها ، من يعش في ربوع كردستان العراق ، بين جبالها و أنهارها ، بين عشبها و أشجارها ، لا بد أن يتحول إلى مم و هي إلى زين ، فكيف إذا كان هذا الأحد فناناً ولد و حبا و تنفس و ركض فيها و بين جوانحها ، كيف لا يكون عاشقاً ، متيماً بها إلى درجة الذوبان و التلاشي ، أتحدث هنا عن الفنان التشكيلي عباس محي الدين مصطفى الزهاوي سليل اللون و الحب و الجمال ، إبن مدينة الخانقين ، مدينة الفن و أقواسه القزحية ، حيث ولد فيها عام 1956 ، درس في كلية التربية الفنية ببغداد و تخرج منها ليعمل مدرساً لهذه المادة في مدارس المدينة التي أطلقته للحياة ، المدينة التي احتضنت صرخته الأولى و لما تزل ، و التي بها أعلن عن حضوره إلى هذه الحياة لا كثيمة عامة كما لدى الجميع ، و لا كتقليد وفق وجهة الكل بأجمعه، بل لتوسيع فضاءاته التي سيعوم فيها بأجنحة خفافة لا تكل و لا تكد نحو اكتشاف فردانيته ، و توفير مداخل لتلك الفردانية بالنهوض نحو ثيمات و أفكار ستبرز له و لنا فيما بعد مرة بعد أخرى ، ستبرز على نحو متزايد إلى الأهمية التي ستسبغها على العلاقات بين مفرداتها بكل وقائعها ، أود هنا و في هذا الضرب من السياق أن أشير من خلاله إلى إطلالاته الواسعة على هذه الطبيعة الساحرة بخطوطها و ملامحها و تحولاتها ، مع إشارات إلى تلك اللحظات الخاصة في وجد إقتناصها و تدوينها باللون و الشعور و كأنها حياة قائمة بذاتها ، قائمة على أن الوقائع يجب أن تلتقط ، لا بما تفهم فحسب بل بما تختزل من القدرات الجمالية التي تقتضي التركيز على إمكانية الانعتاق لديها ، فالزهاوي هنا

و في هذا المجال يتحدى السطوات الكثيرة التي تتربص به من المحيط و عقباته ، فيعمل جاهداً للتخلص منها ، محايثاً للظروف البيئية التي تنطوي عليها توليد الحياة الاجتماعية ، و هذا ما يجعله يلقي الضوء شيئاً فشيئاً على كل تأملاته بصور طبيعية ترتبط فيما بينها بإدراكات وثيقة الصِّلة بالكيفية التي يرى بها العالم ، فليس مصادفة أن يختار الطبيعة كأبجدية للغته التي ستصنع قدره و رسالته و ستبرز مسؤوليته من الحرية و البقاء .

و الحال أننا لم نبدأ بعد بفهم ما يشغل الزهاوي و ما يشتغل عليه ، فما زلنا نجاهد في التبصر إلى ما مفاده أن من الممكن أن نقبض على إستغراقاته لحظة بلحظة و ما بينها من قرابات بعيدة ، أن نقبض على ما يسود عوالمه دون أن يعلن عنها ، و في هذا شيء يلفت الانتباه على الرغم ما تنطوي عليه من منغصات تعترض سبلنا إليها و إلى مواردها الغنية ، و ما من مسألة إلا و تحمل صفاتها في ذاتها ، و ما ترمي إليها من أغراض إلا و تحمل قيمها في قصديتها ، فما عسى أن يفعله الزهاوي و له كل المقدرة على التعبير عنها ، فما يملكه من مزايا يجعله يبسط أمامنا ما يكترث به خيالنا ، فيتناول صور على أنها مسألة مسلمة بها ، لكنها بغض النظر عن أغراضها و التي لا تقبل إلا أن تكون فناً ، و مقدرته العالية عن التعبير عنها ، أقول يتناول صور على أنها مسألة مسلمة لكنها ليست آنية بل غارقة في دوائر يعجبنا منها التعبير لنفسها و لذاتها ، فنتساءل نحن المتأملين فيها ، في مناظره ، أقصد في لوحاته و التي نقبلها كتعبير مقصود لذاتها ، و نقدرها كتجربة يمكن أن ننعتها بالخالصة أو الصرفة ، أقول نتساءل نحن المتأملين فيها بوصفها تجربة بطبيعتها لا يمكن أن تكون إلا نفسها ماذا عن ماهيتها ، و ماهية الأشياء التي تنبض بها و التي ترغب بإيصالها لنا ، لا كمجرد إيصال فقط ، بل كتجربة مكتفية بذاتها تعبيراً و ممارسة ، تجربة تحمل قيمتها و قيمها في ذاتها ، و إذا كان من السهل تصورها و على نحو أخص في الأمور التي ترجع إلى الحواس و العاطفة ، فهي أبلغ بهاء و أوفر جمالاً حين نفكر بتأويلاتها دون الاشتعال بالحكم عليها ، بل بما ترمي إليها من مقاصد ، و بمجرد إبانتها حتى نجد أنفسنا في تتبعها و قراءتها بكل متعة و لذة ، فهناك دائماً ما تتركه في نفوسنا من آثر الذي يتعمده الفنان عن قصد أو دون قصد و الذ أقل ما يقال عنه بأنه مثمر و ممتع ، و هذا نابع مما نعده من تجربة ممتعة في ذاتها .

عباس الزهاوي يعيش في مدار خانقين، بل في مدار كردستان، وفي جولة سريعة بين عناوين أعماله (شناشيل، بساتين خانقين، جسر خانقين القديم، سوق الخضراوات في السليمانية، بساتين بهرز ديالى، نهر الوند، منظر من خانقين القديمةً 1958، أبواب قديمة تراثية، سوق خانقين، ساحة كرندي في خانقين 1956، منظر من كردستان إلخ) حتى يبدو لنا حجم العشق الذي يعيشه الزهاوي للمكان، بتأكيد قدرته على التجاوز المتواصل والتنويع المستمر، ولا شك أننا كقراء ومتلقين نستطيع أن نحدد المقولات العديدة والمتنوعة التي تحضر في عمله والتي لا تغيب لا عنا ولا عنه، ولا نختلف في شأنها، فهي مقولات مشتركة يقدمها بوعي و فعل، بإبتكار بعيد عن التخبط، ومحاكاة مع النفس، مقولات هي رهانه في التجريب، كسعيه إلى عرض تجارب مخصوصة عن الطبيعة، وإنتاج خطاب انطباعي جديد بتقنيات معهودة ، وكذلك في تشظي

السرد اللوني الذي يوظف لخدمة أبعاد نفسية و تاريخية حيناً، وحيناً لخدمة أغراض يمضي إليها بهدوء وترو، و هي من مقومات حداثته و قد تكون كافية لديه لإنشاء نص جمالي جديد ، و هذا ما يجعله يبتدع مقومات إضافية لإنتاج و خلق ما تسمى جمالية الإبهار ، و هي جمالية بؤرتها النص ذاته ، و تتصل بكل من الفنان و المتلقي معاً ، و هكذا يكون لدينا مجموعة أشكال تدل عليها إشارات هي بطبعها غير محدودة المدى ، و لهذا لا بد لأعمال الزهاوي أن تضج بالحيوية حيث المدلول مبني على عدة أمور و ليس على عين الكاميرا التي تلتقط فقط ، فالإحساسات التي تجيش بها و أقصد أعماله تنقل إلى الأذهان أدق المشاعر ، فهو يعتمد على مقدرته في الابتكار و الحماس و التي لا غنى منها ما لم ترافقها فوة في التعبير و هذا ما يميز الزهاوي ، و هذا ما دفعته إلى الطبيعة كي يكون مصوراً يستجيب لألفاظها الخاصة تحت تأثير خاص في الخيال الذي لا يتوقف على قرائن الموضوع ، بل يمضي إلى إيجاد نواة لذاته حولها يجتمع كل الإشعاعات التي ترتبط كل منها بالآخر إرتباطاً لا يقبل إلا ما يشتمل على خاصيتي التأمل و الإيحاء .

لقد رأينا أن الزهاوي يستطيع أن يبلغ غرضه كتعبير وتصوير و توصيل بأكثر من تجربة، فرغم أنه لا يرسم من الخارج فحسب، بل ما يملك عليه حسه وخياله ووهمه، فليست مصادفة أن يمنح الشكل أهمية فهو على دراية تامة بأنه المدخل إلى الجمال بجزيئاته التي كل منها تبلغ من الحسن مبلغاً كبيراً ، نعم ليست مصادفة فالشكل الجميل يفتح في النفس وأقصد هنا نفس اللوحة ونفس الفنان ونفس متلقيه طاقات جميلة تغوص فيها بعمق شديد وكأنك ماض في حلم طويل والذي لا تتمنى الاستيقاظ منه، وهو يميل كثيراً إلى الإنطباعية متأثراً بمفردات مدينته خانقين على نحو خاص والتراث الكردي بكل رونقه وجماله على نحو عام، وإن كان لديه الكثير من الأعمال التي تصنف في باب التجريد أو التعبير، أو متزاوجاً بينهما، أردت هنا أن أقول بأن الزهاوي يحب البحث والتجديد، وله في كل باب أكثر من طرقة جميلة تترك أثره عليه، يحب التنوع الذي يأخذه في الطريق الحر، مستخدماً مقدرته بأوسع معانيها، ينبئنا بالغالب بالشيء الذي يمكن أن نطمئن إليه، ويطمئن هو معنا، فهو يستطيع أن يعبر عما يرى، وكذلك عما في نفسه مؤثراً في نفوس متلقيه بقدر ما يستطيع أن يستوعبه، وبقدر ما يستطيع أن يستجيب إليه، فهو في الحقيقة يرجع إلى أكثر من ركن يسري في عمله والذي يوصله إلى ما هو أهم وفق تحقيق ما يجدي موجوداته لا ما يتسنى له إدراكاته فحسب، بل ما يفرض عليه من إلهامات تدفعه إلى الخلق ، و هذا يعزز في حكمنا الذاتي البحث على قيمة أثر من الآثار التي تثبت مهاراته الفنية التي يتمسك بها كثيراً ، و هذا لا يتوقف على قيمة الحكم فقط ، بل على أخلاقياته و ذكائه و طبيعته، أي باختصار هو يعمل بأدوات خاصة تخدمنا جداً في التفسير والتأويل.

عباس الزعتري هو رئيس تجمع الفنانين التشكيليين في مدينة خانقين بكردستان العراق، وعضو اتحاد فناني كردستان / فرع خانقين، وعضو نقابة الفنانين التشكيليين العراقيين، حصل على "درع الإبداع و التميز" على أثر مشاركته في المهرجان الدولي للفنون (الوجه الآخر للفوضى المنتظمة) والذي أقيم في مدينة استانبول بتركيا في اغسطس 2019، له أكثر من خمسة عشر معرضاً فردياً، الأول منها كان في عام 2004 في ديالى/خانقين، وكذلك له العشرات من المشاركات الجماعية في كردستان العراق، وفي داخل العراق وخارجه.

أعمال الفنان التشكيلي عباس الزهاوي



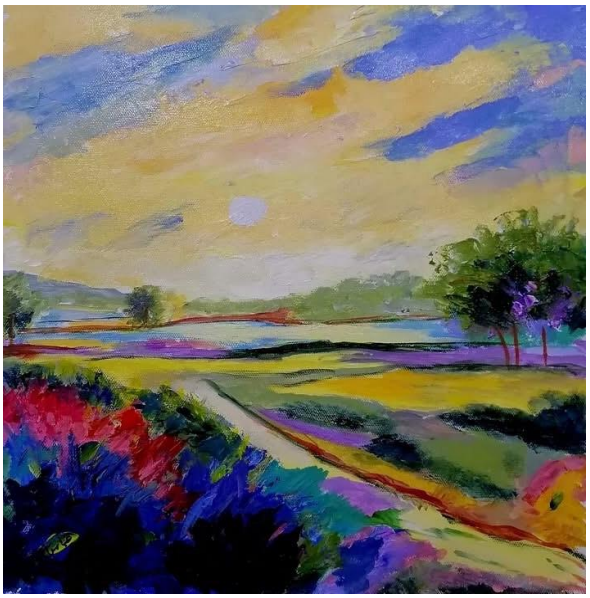













5. هل كشف الرسام بشير مسلم (آرمانج) ذاتيته في بورتريهاته



بشير مسلم أو أرمانج آرمانج الإسم الذي يود أن يعرف به في الوسط الفني و الثقافي ، تبدأ رحلته من مدينة كوباني في أقصى الشمال السوري ، على الحدود التركية ، فيها رأى النور ، في إحدى قراها (تلك) ، إلى الرقة المدينة التي وضعت إصبعها على موهبته ، و تفتقت على نحو أكثر ، و فيها قدم معرضه الفردي الأول في صالة اتحاد الكتاب العرب عام 2010 ، و الثاني في المركز الثقافي عام 2011 ، فكيف لا يمضي إلى الأمام في مدينة كانت تولع بالفن التشكيلي و بالفنانين التشكيليين ، و كان لمتحف طه طه الدور الأبرز في هذا النشاط غير الطبيعي ، إضافة إلى وجود أسماء فيها كان لها دورها في الحراك التشكيلي لا في الرقة فحسب بل في عموم سورية نذكر منهم : عبدالحميد فياض ، فواز يونس ، محمد يصفوت ، عنايت عطار ، طلال معلا ... إلخ ، القافلة تمتد في الزمن لعقود كثيرة ، في هذا الوسط عاش مسلم و احتك به ، فكان لا بد أن يكون مثابراً فلا مكان هنا لأنصاف المواهب ، و من الجدير أن نذكر أيضاً بأن هذه المدينة احتضنت أولى مشاركاته ، كان ذلك في متحف طه طه عام 1995 ، و حين بدأ الوجع السوري ، حمل نفسه و حاله كحال المئات بل الآلاف من السوريين ، خرج من البلاد إلى تركيا ، لم يمكث فيها طويلاً ، ربما أحس بأنها لن تلبي طموحاته و لن تكون قادرة أن تكون حضناً دافئاً له ، فخرج إلى كردستان العراق في عام 2014 حيث يقيم فيها مع عائلته إلى الآن ، رسم بداية في أسواق مدينة أربيل محطته الأولى فيها ، إلى أن اتخذ لنفسه زاوية قريبة من قلعتها ، حاملاً ريشه و ألوانه يرسم حسب الطلب الصور الشخصية و ما يلائم ذوق العامة و السواح ، فالعثور على لقمة نظيفة للاجيء ليس هيناً ، فهو الحامل لهمومه و آلامه و أحزانه حين غادر سورية ، لم يكن يملك شيئاً غير ريشته و ألوانه كما يقول

هو ، فقد يكون عادياً ما فعل ، و ربما اجتهاداً ، و نضالاً من أجل الحياة ، قد يكون على حساب مشروعه الفني ، الجمالي ، لكن يبقى الانسان أغلى ما خلق الرب ، و هو غاية الحياة .

قد نصيب إلى حد ما حين نقول بأن الفن هو ما يلتقط ما تعجز عن إلتقاطه عدسة الكاميرا ، فالفنان الحقيقي هو الذي يرى أبعد من الكاميرا ، و يشاهد ما تعجز عدسة الكاميرا على مشاهدته و تصويره ، فرسم اللامرئي هو الطريق القويم للفن الحقيقي بكافة أنواعه ، و هو ما يعبر عن المثل العليا للفن الحر ، و الذي يهمنا من كل ذلك و ما دفعنا أن نشير إليه هنا أن العظمة الحقيقية في الفن يصحبها عادة شيء من الغموض في الفكرة المراد تصويرها ، أي أن الحياة الباطنية للأشياء تثبت تفوقها على الحياة الظاهرية لها على نحو عام ، أي أن الناحية الذاتية تبغي التغلب على الناحية الموضوعية ،و بلغة أخرى التركيز على ما يؤثر في العاطفة ، أسوق هذا الكلام و أنا مقبل لقراءة رسومات جلّها بورتريهات للرسام بشير مسلم لأقول بأن البورتريه لا تعني رسم أشخاص معروفة أو غير معروفة ، بل هي مواجهة بين الرسام و تلك الصورة لتلك الشخصية ، أي هي رسم الشخصية من وجهة نظر الرسام نفسه ، و لا تعني النسخ أبداً ، فكل بورتريه تخلو من ذاتية الرسام و أسلوبه ، تخلو من الجرعة السحرية للعواطف لا داع لها ، بل تصب في إضاعة الوقت ، فمهما اتقن الفنان لن ينافس الكاميرا أبداً ، عليه أن يبحث عن نفسه فيها ، و أن يطلق سراح أفكاره التي يجب ألا تخضع لحكم الحقائق الظاهرية للأشياء ، بل أن تغوص في اللانهاية حتى تكسب المسافات سحرها و جمالها ، فيتسع قواها الباطنية حتى تمتد في الضوء ، و لا نعتبر ذلك نصراً على حساب الجمال الهائل للواقع و للطبيعة ، بل بحثاً في ذلك الجمال و جلاله حتى يظهر ذلك الإرتياح الذي يسببه للمبدع و لمتلقيه أيضاً ، مضافاً إليها ذلك الغرض المبهم الذي يرافق العملية الإبداعية بكل شكوكها و حسنها و غموضها ، و في مقابل ذلك ألا يحق لنا بأن نصرح كما للرسام حريته في خلق رسوماته ، لنا أيضاً رؤيتنا و قولنا ، لنا حواسنا و ما تنقله لنا من ترجمات تتحول فيما بعد إلى رؤيا عامة تلفح تلك الحواس و الروح التي تنبض فيها ، أي باختصار أن رسم البورتريه ليست بتلك البساطة التي يلجأ إليها معظم الفنانين ، قد يكون ذلك مبرراً فقط في المراحل الأولى من أبجدياتها و إلا سيبقون يتراوحون في أماكنهم دون أن يضيفوا شيئاً و لو امتد العمر بهم مائة عام ، فالبورتريه يجب أن يكشف ذاتية الفنان فيها إضافة إلى الكشف فيها و عبرها عن ملامح زمنية و تاريخية تشي بالفن و الجمال و لغته ، و هي ليست فقط في تقديم الشخصية بتفاصيل وجهه ، بل في القدرة على إكساب تلك التفاصيل ملامح تحكي بمجملها قصصها الكثيرة بكل عواطفها التي تنبض بالفنان و بالحياة معاً ، و إذا كان الفرنسي بول سيزان (1839-1906) يرى أن ذروة الفن كله يكمن في رسم الوجه البشري ، ولا يعني ذلك أنه مجرد سجل ، بل بناء للقيم التعبيرية و التشكيلية الجديدة التي يجب أن تمتاز بها ، فإذا كان الفن إبن التغيير كما قيل ، فالبورتريه كأحد أنواع الرسم ، و غصن مهم من الفن ، أي أن التغيير و التجديد من أبنائه ، لا يجب على الفنان الذي يشتغل على هذا الغصن أن يقع في مطبات النسخ و النقل و بالتالي في التكرار الذي يعتبر بحق موت الفنان ، أو كالذي يصنع تابوته بيده و يحفر قبره باليد الأخرى ، و كل محاولة مما قلناه كمن يذرف

التراب على نفسه ، أي هي محاولات عقيمة لا جدوى فني جمالي منها ، و كثيرون من الرسامين يدورون في هذا الفلك المميت و القاتل .

رسم بشير مسلم بورتريهات لكثير من الأسماء و الشخصيات الثقافية و الفنية التي تنتمي إلى القرنين العشرين و الحادي و العشرين ، و لا نكاد نذكر اسماً إلا و مسلم قد أنجز له عملاً ، فرسم لكل من فيروز ، و مخائيل نعيمة ، و نجيب محفوظ ، و توفيق الحكيم ، و طه حسين و جبران خليل جبران ، و عبدالسلام العجيلي ، و محمد مهدي الجواهري ، و محمد الماغوط ، و حنا مينه ، و أدونيس ، نزار قباني ، وليد إخلاصي ، ممدوح عدوان ، نصير شما ، مارسيل خليفة ، سليم بركات ، شفان برور ، رشيد الصوفي ، عمر حمدي / مالفا ، يلماز غوني ... إلخ ، و القائمة طويلة نسبياً، فيكاد لم يترك اسماً مؤثراً و عاماً إلا و كان له نصيباً من ريشه و أقلامه ، و إن كانت كلها جديرة بمنتهى الحب ، كما كانت جديرة أن تكون بمنتهى العناية و الدرس ، فمسلم ليس مضطراً أن يختار منها ما يدفعه أن يضل السبيل ، فإنها في الحقيقة لا تكاد تجد ما يطابقها من الناحية التمثيلية و تبدأ التوطئة بينهما و التي هي في الأساس نواح ممتع و هام حتى و إن كانت في منتهى الإيجاز و هذا يستحق الذكر حتى تبدأ شعور الرأفة و الخوف بالحضور ، فإن لم تطهر الروح بغزارة أمازونية تثير العواطف و تريح النفس و تعيد للمشهد صحته و عافيته ، و تطرد منه زوائده فالأولى ألا تكون ، أي ليس غاية الفنان ان يعطي مادة تشابهها بمقادير خاصة ، بل أن يثبت المعنى و المبنى بالشكل الذي يرغب هو ، فلا إفراط في نظره ذات التأثير الفعال في تهدئة حالة الهياج التي يمكن استبعادها بإدخال العاطفة المماثلة لها في النفوس و المصحوبة بشيء كثير من الارتياح ، و مما يستحق الذكر أن نقول بأن الإفراط في كل شيء ضار ، فكيف إذا كان هذا الإفراط في النسخ و النقل ، هنا قد يحضر الجسد لكن الروح هيهات أن تحضر .

كما نريد في كل تجربة نقف عندها أن تتكلم هي عن نفسها ، و ألا تكون ظلاً باهتاً لأخرى ، أن تكون ضرباً من البراعة في قياس ما هو ملائم تقنياً على الأقل ، و ما يلفت انتباهنا بأن السجال الذي يخلقه بشير مسلم في فضاءاته سجال ذو بعد واحد يفرض عليه إعطاء الأولوية لكيانات جمعية بأصوات عدة فيها من التقليد ما ينبغي علينا الإبتعاد عن التوقعات و المفاجآت التي تتسم بها الأعمال الفنية عادة ، و بالتالي الإبتعاد عن الفردانية التي هي من أهم مواصفات المبدع الحقيقي ، قد تشتمل على تشكيلة واسعة من الوجوه الخاضعة لتأثيراته و اهتماماته ، و له القدرة في تغطية مجال واسع و متنوع من الموضوعات ، لكنها في أي لحظة من لحظاتها قد تخطف من بين ألوانه و خطوطه ، فتتكشف له و لنا المدى الذي كانت تطوله أفكارها ، فهو و بصور إستثنائية يحاول الكشف عن تفاعل أبعاد الحياة الشخصية ، و الاقتصادية ، و الثقافية في الرسومات و البورتريهات التي يشتغل عليها ، و هي من وجهة نظره أمر لافت ، لكن في وجهة نظر متلقيه هي هوامش خاصة به ، يبرز من خلالها و من حين إلى آخر وقائع ندرك وجودها ، وقائع لأوضاع معينة تعمل على تقييد الفكر لا إطلاق سراحه بالشكل الذي يجب أن يكون عليه ، و قد ترتبت على ذلك نتائج مماثلة ولدت حين تم تصورها على نحو أداتي ، و هذا حكم من الأحكام التي يمكن إصدارها

على كل شكل من أشكاله التي تتناغم إلى حد كبير مع توجهاته الفنية ، فهو لا يزال واقعاً في شراك العمليات التقليدية في الخلق و في مقدمتها عمليات النسخ و النقل رغم ما يضج في دواخله و ما يخفق بين جوانحه من طاقات تحتاج فقط إلى تحريرها و إطلاق سراحها ، فهو في هذا الجانب يمارس نوعاً من الديكتاتورية في حقها و بالتالي في حقه ، فرغم وعيه الصائب و إمتلاكه لصوته الحقيقي الأصيل إلا أن المهمة التي تتمثل في تبيان الكيفية التي تجري بها عملية الخلق مقترنة إلى حد كبير بعمليات عدم الإخفاء و الحجب لكل تلك العلاقات التي تحافظ على أهمية ما يخلق ، و إذا جئنا بمثال صغير قد تسجل له سنذكر رسمه للوحة الطفل آلان حين عجز عن رسم البحر و تلوينه بالأزرق لأن هذا البحر أضحى بالنسبة له مارداً ابتلع أرواح الآلاف من المهجرين السوريين.

أعمال الفنان التشكيلي بشير مسلم (آرمانج)

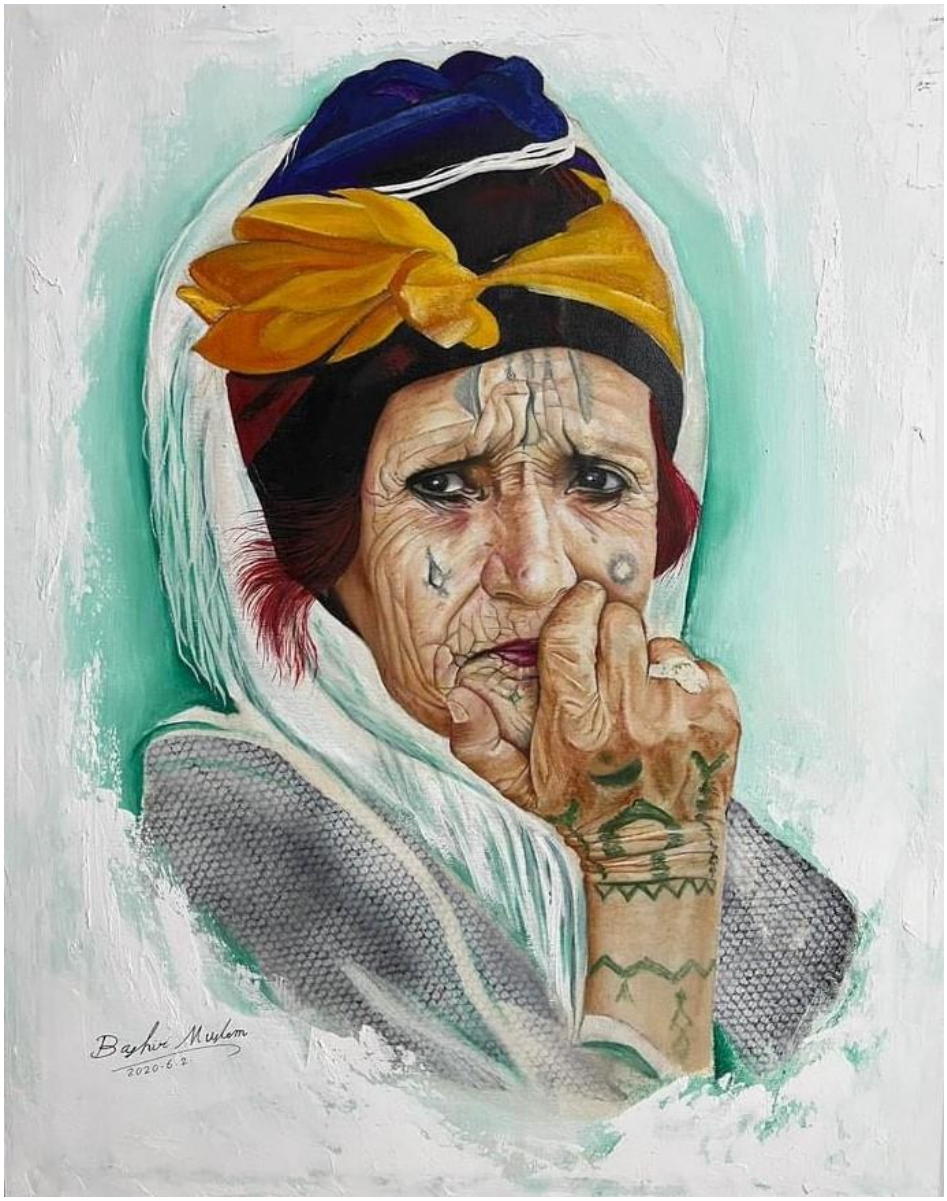

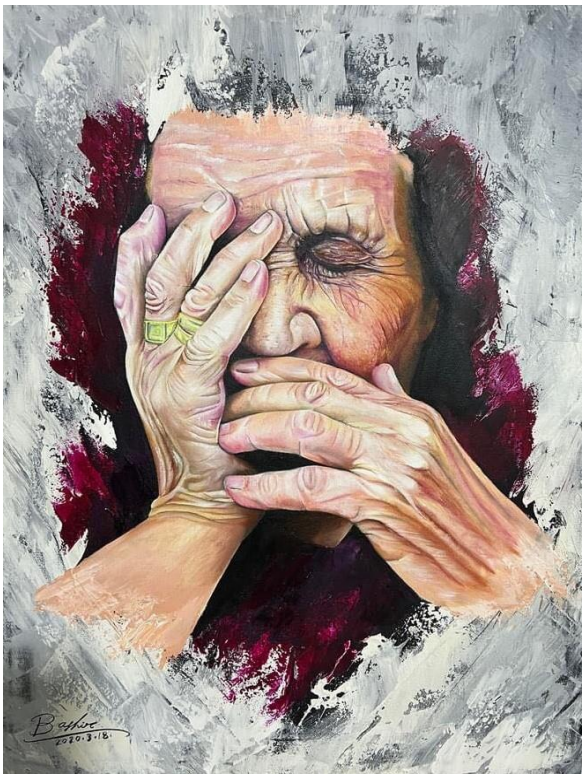







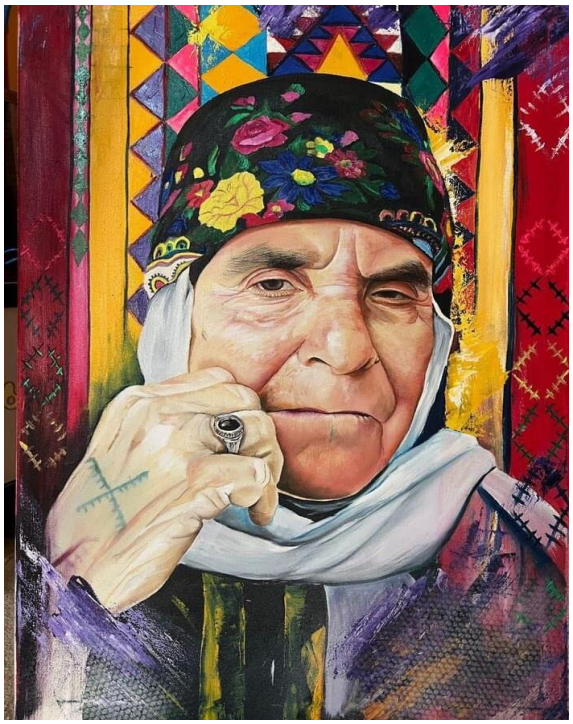



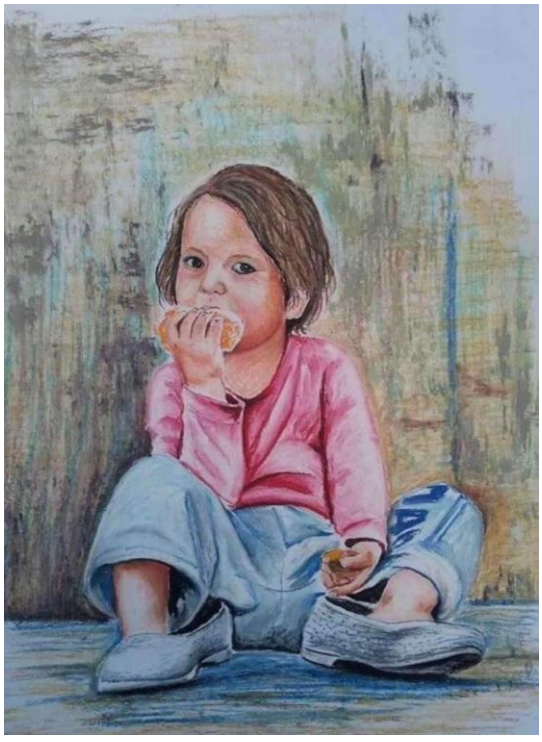

6. نساء في مرسم ابراهيم دندل
وحوار يمتد في المسافات كلها



سبق ، قبل أكثر من سنة كتبت قراءة مستفيضة عن أعماله و ما تنبض بها تحت عنوان ابراهيم دندل سليل مدينة غائرة في الزمن يحملها معه في كل لوحاته ، و قصدت حينها مدينته ، مدينة تدمر ، المدينة التي احتضنت أرقى الحضارات القديمة و تشهد عليها و على إستثناء أبنائها و عبقريتهم آثارها التي مازالت تنطق المكان بروحها ، المدينة التي احتضنت ولادته و طفولته و يقظته و نضوجه و موهبته ، و وجعه و غربته ، المدينة التي تكفي أن تنتمي إليها حتى تكون جديراً بالحياة ، و بأن عبقك سيكون مختلفاً ، و بأن ما ستقدمه فيها سنكون ممتعة و هامة ، و يجب أن ننظر إليها كقنديل قادر أن يضيء الأزقة المعتمة في دواخلنا ، و ما أكثرها ، قادر أن يشير إلى المآسي التي عشناها و لما نزل ، و النجاح الذي قد يلد لأحد أبنائها ليس ثقباً في الهواء ، بل مشاركة للعواطف و الخواطر و حسن الإدراك ، و إقراراً بمقدرة عالية على التعبير و بلباقة و جمال و قوة ، أتحدث هنا عن إبراهيم دندل (1973–تدمر) الذي يقام معرضه الفردي الآن تحت عنوان (نساء في المرسم) ، ما بين 9 كانون الأول و 19 كانون الأول من هذا العام 2023 في غاليري أوبن آرت " Open Art Galerie "بمدينة بازل السويسرية و التي تعتبر بحق عاصمة الفن الحديث ، بلغة جديدة تنسج طموحه في عمليات الخلق ، بأسلوب مغاير يقص قصصه الكثيرة و الموجعة ، و يحمل من الأدوات الفنية ما تخدم المدى الذي يجاهد كي يبلغه ، و الذي يفرض عليه نوعاً من كسر الحدود التي تفصل بين الخفاء و الغموض من جهة ، و بين الفنون على نحو عام من جهة ثانية ، خاصة

إذا علمنا أن المعرض الذي حمل عنوان " نساء في المرسم كان يرافق كل لوحة من لوحاته نصاً نثرياً يمضي بالتقاطع مع النص البصري ، كل منهما يسرد للآخر حكايته التي لا تنتهي ، و التي تتحد جميعها فيما بعد بحكاية واحدة تجمع الكل ، ببوحها و وجعها ، ببؤس الطريق و قضاياها التي لا تقتصر على الكلام بل على فصولها التي تمتاز بصفات فائقة الدقة ، و التي توجز الحكاية بأحكامها و أحاسيسها ، فيسترشد بها المتلقي على الغالب ، و هنا يضيف دندل طائفة من القيم التي تجري في مشهده مجرى الأمثال في حسن صياغتها .

نساء في المرسم العنوان الذي اختاره دندل لمعرضه الأخير ، و هذا الاختيار ليس اعتباطاً ، بل مدروساً بعناية ، تحكمها معايير دقيقة من خلال حالاتها و مسعاها لشد الواقع صوب ما ينبغي أن يكون ، يجعل للكينونة الإنسانية سماتها غير المحددة ، إذ يكون في لحظة ما ذاتاً بالمعنى الإنساني المميز ، إن كان من حيث إدراكه لما يفعله ، أو ما يذهب به المناخ العام ، فهو وحده القادر على أن يكون ذاتاً محددة بذاتها في جميع حالات الحوار ، هكذا يكون دندل متمادياً مع نسائه ، أقصد مع تلك النسوة اللواتي كن يمررن عليه في مرسمه ، و يشعلن حوارات لا تنتهي ، فهو لديه إمكانية تقرير مصيرهن ، إن كن في أعماله ، أو حضورهن المعرض و دخولهن في حوار طويل مع الفنان ، هذا الحوار الافتراضي الذي جعله دندل ركيزته في كسر الصندوق الأسود لهن و السماع إليهن و هن يسردن له و بالتالي لنا مواقفهن و رؤيتهن و أحلامهن ، و وجعهن ، يسردن بحرية مطلقة فيها من الإدهاش بقدر ما فيها من إرتباط وثيق بالإنعتاق ، دون أي تهديد بإستئصال حقهن في الحديث و هن يمضين في الحياة و نحو الحياة ، و كل الوقائع الراهنة منها و التاريخية ماهي سوى لحظات تم قنصها من الحقائق العامة ، و يمكن رصد ذلك في متن الحوارات الافتراضية المرتبطة بشرطها الإنساني بالضرورة ، فلا وهم هنا ، بل وعود يبحث عن آليات لتحقيقها .

يبدأ المعرض بكلمة للفنان يلخص فيها هدف المعرض و موضوعاته ، و مرحباً بالحضور ، و بتلك النسوة اللواتي سيكون لهن الأهمية الكبرى ، و بأن الحديث معهن يحمل نكهة خاصة و مميزة ، و يبدأ الحوار بحرية من تبدأ ، و لها الحرية المطلقة في الحديث عن الموضوع الذي تشاء ، فتتحدث الأولى عن الأمومة ، و الثانية عن الثورة ، و الثالثة عن الحياة ، و الرابعة عن المجتمع ، و الخامسة عن ....إلخ ، و يسردن طويلاً في أحاديثهن ، و يدخل الفنان معهن بحوار غني و مشبع بالمسؤولية الأخلاقية التي هي بوصلة داخلية لكل منهن و له و لنا ، و بأنها تتجاوز ما يتطلبه القانون ، و بأن الحقيقة مفهوم معقد و متعدد الطبقات ، و بأن الإنسانية هي نوع رائع من التطور و على نحو مستمر على مدى آلاف السنين ، ثم أنهى الفنان حديثه عن منفاه القسري بكل آلامها و حزنها و معاناتها ، و تعود النسوة كل منهن إلى مكانها في لوحتها التي تنتظرها على الحائط ، و يبدأ الجمهور الجميل بالتأمل بتلك الحوارات التي كانت أشبه بمسرحية بين الفنان و النساء في مرسمه ، في أعماله ، يتركن اللوحة و يقفزن إلى الصالة مع الجمهور و بينه ، و ما أن تنتهي المسرحية ، أقصد الحوار حتى يسرعن إلى مكانهن حيث يغدون السبب الأهم في وجود العمل

و تجميله ، فإذا كانت جميع الأشياء الأخرى متكافئة ، تلبي حاجات العمل الفني ، فهن كن روحه التي تأبين حاجته إلى العدالة و الحرية .

لعله ليس من الغريب أن تكون أعمال دندل ، تلك الأعمال الأكثر إبداعاً في تصور الفعل ، أن تكون سفيرتنا إلى صالات الغرب ، و لسان حالنا ، فيها من التناغم و الانسجام المفرطين مع حالنا و الوجع الذي نحمله في دواخلنا ، إلى جانب اهتمامها بكل دوافعنا و ما نحمله من آلام و آمال ، فهي تحقق وحدة صادقة بمصالحتها مع المجتمع بوصفه عنواناً للحياة ، فدندل له طريقته الخاصة في الإبداع و إمتثالها ، طريقة تعبر عن إيمان متفائل إلى أبعد الحدود و خال من الإشكاليات التي قد تلد هنا أو هناك ، فبمقدوره أن يفلح ، فالحقيقة قد تنطوي على مفارقات تلائم مقولاته التي تختزل بدورها تصوراته لأشياء جديدة في إطار من الفعل الإبداعي الجديد الذي يتسم بتحولات كالحة في توجه ما من ضروبها ، غير أن الأهمية الكامنة هنا تضل واضحة على الرغم من قتامتها ، فمفهومه للإستكشاف يشير إلى تلك الحاجات المعرفية التي تمضي به إلى أبعد من مظاهر الأشياء ، إلى أبعد من الوقائع بحد ذاتها صوب رؤية كلية تخصه ، و هو الأمر الغائب الحاضر بوضوح ، فهو يتقن الهدف الذي يمضي إليه ، و يفهم جيداً كيفيتها و كيفية الوقائع التي تظهر على مشهده البصري ، و الدافع لدى دندل هو التقاط التعالق بين الأشياء و وحدتها الصميمية ، و كأنه يركن إلى مقاربة الظواهر الإجتماعية التي تنطوي على رفض الواقع و الوضع الراهن ، حيث يواصل في الإنتاج بإيقاع خاص به و بالطريقة التي لا تعزله عن الكل بأغراضها الخاصة ، و هذا ينتج لنا خطط متعددة يمكن لنا تلمسها في أفكارها المتشظية داخل الفروع المعرفية التي تقتضي الربط بين أدواتها المختلفة ، و من المؤكد أن دندل يجهد بجدارة لتثبيت ذلك و ابعادها عن الوهم التي قد تسقط فيه إذا لم يكن الفنان ماهراً في العوم في بحارها .

ابراهيم دندل لا يريد أن يتقيد بمدرسة معينة ، دائماً له حريته المطلقة في الإبحار ، و إن كان الأقرب إليه التعبيرية و التجريدية و التزاوج بينهما ، فإذا كانت تدمر مدينته علمته الرسم ، فالحياة علمته أن يكون حرّاً مهما كان السوط معلقاً في سمواته ، فهو القادر بفرشاته و ألوانه أن يلفت انتباهنا إلى ما أفرزته تجربته القادمة من سنوات طويلة من الظلم و الاضطهاد و البؤس ، تجربته التي تحمل مناهل من العشق للإنسان و الحياة و التاريخ ، فهي تجيد التعبير بلغتها الخاصة و بتعدد مضاربها و بالتصريح الدائم داخل نطاق الإبداع الذي يظهره بأحاسيس و مشاعر تنبىء بذاكرة ينبغي عليها أن تصان ، و إن كان على غرار ما تنبعث من بين أصابعه لغة ، موقفاً ، فناً ، جمالاً بأبواب مفتوحة على التاريخ و الذاكرة من ناحية ، و على الواقع و مشاهده التي تمتلىء بعمليات التكبيل و الإلغاء ، فدندل يسعى لتفكيك الخطاب المتداول أولاً ، ثم بطاقة إبداعية يعيد ترتيبها بالشكل الذي يراه ، و الذي يجب أن يكون ، فهذا الترتيب ، بل هذا التقويض يفتح أمامه مجالات للتساؤل عن تبعات ذلك في الماضي و الحاضر و المستقبل ، فيدحرج بألوانه نحو أشكال توقظ فيها مشاهد استحضرت ما علق في ذاكرة بلده بمقاربات مجازية تستمد دلالاتها من ذات الفنان في أوج حالة تشكله ، فتفكيره بطبعه مستمر حول عمليات الإبداع التي تسعى بدورها لقلبه على كافة أوجهه

حيث الرشاقة و الحكمة حاضرة بين حقوله أقصد حقول عمله الفني ، تمنحه قوة بها يخوض مغامرته الجميلة المتعبة .

حري بنا أن نقول في النهاية و بعد وقفتنا و استعراضنا جملة العناصر التي اعتقدنا بأهميتها في أعمال دندل ، و في الأسلوب المختلف الذي قدمه لنا في معرضه هذا – نساء في المرسم – و الحوار الافتراضي العذب الذي حرك المعرض و مضى به إلى حالة ، بل إلى لحظات لا تنفصل فيما بين بعضها بعضاً تدل على عمق دلالة البحث لدى دندل التي جعلت لغته و وسائلها تمارس أبعادها بقوة حضورها ، تعرف لنفسها على كم من المرجعيات الخاصة بدندل التي يتكىء عليها ، أقول حري بنا أن نقول بأن معرضه هذا كان يضم احدى و عشرين عملاًبقياسات متقاربة (x9070) و الذي كان يرافق فيه مع كل عمل من أعماله نصاً نثريا يغني العمل و يفتح للمتلقي طاقات نحو التأمل و وضع اليد على مفاصله ، خلق صدى عذباً في الإعلام السويسري ، و بأن السوري لا يبحث عن لقمة العيش ، بل عن الحياة و كرامته ، و خلقها و الفعل فيها بما يمنح له من مساحات بيضاء ، و أعيد لأقول إذا كانت تدمر علمت دندل الرسم كما يقول ، فالرسم علمته الحياة و الانسان و الطريق إليهما .

أعمال الفنان التشكيلي ابراهيم دندل















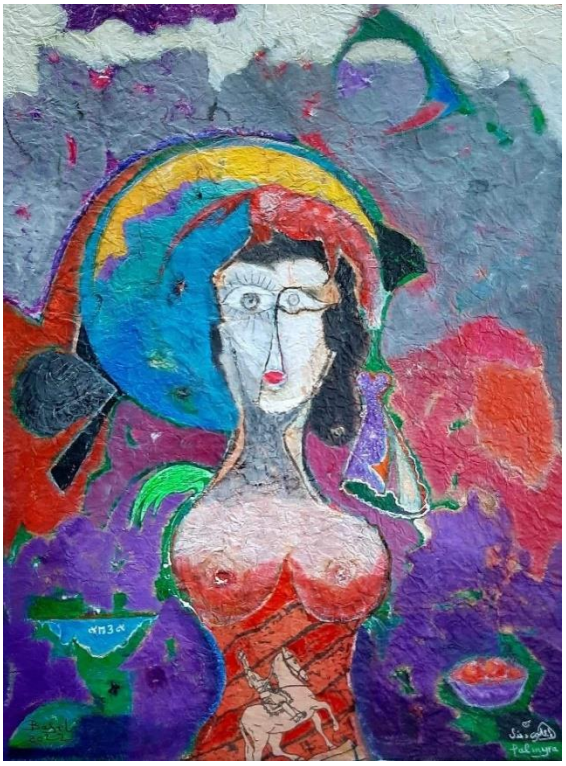



7. عمران شيخموس

يضبط متطلبات الحالة قبل خروجها عن حدودها



بينت في مادة سابقة عنه، قبل عدة سنوات حملت عنوان (عمران شيخموس والتدافع نحو مشهدية العمل)، ونشرت حينها على صفحات كل من الصدى نت و صحيفة كردستان، بينت فيها ما كان لديه من مطامح أساسية تجلت في رؤيته كشيء إيجابي مشتق من مقتضيات الحالة الفنية عنده، وأشرت حينها إلى آماله التي كانت ومازالت تتحرك وفق أشكال مختلفة من الفعل الجمالي، إن كانت على مستوى الفاعلية الفنية التي كانت تهدف بدورها إلى تبيان أهمية التوجه نحو توضيحات تراثية، تاريخية تلخص أفكاره، أو كان على مستوى الممارسة التي بها كان يتناول التحولات الأساسية بغنى موضوعاتها، وما أريده من هذه المقدمة هو أن أستكشف كيف غدا رؤية شيخموس بعد هذه السنوات و في هذا العالم المتبدل ، هل لا يزال ينزع بها ، أقصد برؤيته إلى كل ما من شأنه يرفع جرعات تفاؤله بعيدة عن أي من المطبات التشاؤمية ، فهو قد تمكن حينها من تقديم بعض من أبرز تبصراته في طبيعة الضبط الفني و الجمالي حاسماً في إحداث تغيير ما ، و هي بالنسبة له ليست عسيرة ، فهو يفضي شيئاً فشيئاً إلى ما ينبغي أن تكون عليه نظرته ، و هي تنازع تدريجياً لتحل داخل ظلاله ، فتكون أكثر دقة ، و أكثر رهافة في بناءاتها حول علاقاتها و بين مجالاتها المختلفة ، فيتناول واحدة بعد أخرى حتى يدفع بها جميعاً صوب ضروب محددة قائمة على التركز الزائد على تلك السمات الأساسية التي تميز أشكاله الجديدة ، و بذلك فهو يلعب دور الضابط لمتطلبات الحالة التي ترغب الخروج عن حدودها ، أقصد حدود ذاتها ، و هنا سيبدو العمل الفني بحد ذاته بعيداً عن الإستفزاز و اللاسيطرة ، فهو مرسوم بأسلوب تعبيري رشيق ، فيه من التجريد ما يجعلك أن تتناوله بمقدرة عالية و أنت تلملم أفكاره من جوهره ، و على الرغم من كل ذلك فهو يكشف للذوات طرقاً للتعامل مع بعضها بعضاً ، و بمعناه الواسع يكشف النقاب عن موضوعات إنسانية أقل ما يقال عنها بزوغ الحياة و أسلوبها ، بزوغ النظرة التي ترى إلى العالم على أنه مؤلف من أشياء تشمل الموضوعات الآنفة الذكر.

لا يجب أن نغض الطرف عن إستكشافاتنا لبعض الأفكار الأولى التي اشتغل عليها عمران شيخموس ، و التي تطورت فيما بعد حتى غدت في أعماله أساساً يتيح لنا كقراء بعضاً من التبصر في البيئة الفكرية و الإجتماعية و الثقافية التي انبثقت منها تلك الأفكار التي يضعها في سياقها الجمالي ، فهو يهتم إلى حد كبير بالفجوات بين المرئي و اللامرئي من جهة ، و بين الشكل و الواقع من جهة أخرى ، و هذا قد يوفر له و لنا مدخلاً إلى ثيمات و أفكار هي الأبرز في أعماله ، كتوسيع مفهوم ذبول الفرد في المجتمعات التي كانت قائمة على الفردانية ، مع الإشارة إلى تلك التحولات التي قد تظهر في عمليات الإنتقال من جيل إلى آخر ، فشيخموس يلقي الضوء على قضايا كانت تحتل مكانة مركزية يوماً ما ، و يترك أثر ذلك على مجمل أعماله ، فهو من جهة يلقي الضوء على الحاجة المتنامية لديه و لدى أبناء جلدته إلى الحياة ، إلى الأمكنة و الشخصيات التي تؤلف و تسجل يومياته ، بتاريخه و ميثاقها ، و ما تحمله من إحالا مرجعية يغلب عليها ما تقربه من التخيّيل الذاتي ، و من جهة أخرى يصور تلك الممارسات التي تنطوي على موضوعات عن الذات الإنسانية و هي في أشد نشاطها و في أعمق فعلها و فاعليتها ، و الحال و تبعاً للكيفية التي ينظر بها شيخموس في تقديم افتراضاته ، فإنه يقرر بنظرات إسترجاعية قاتمة ما الذي كان عليه القيام به و ما الذي لم يكن ، و بإعتقادي أن الأهم هنا و نحن نمعن ، بل و نحن نبحر في أعماله أن نعتبرها نتاجات لسياقات حياتية منتجة ، حتى تستيقظ من ألوانها ، الألوان بوصفها كلمات و معان و أصوات ، و توقظنا و نحن نسرد الحكاية بتفاصيلها و جزيئاتها طيلة سنوات الحلم ، و تشعل فينا كل التبصرات التي قد تلد في سياق تشكلها ، فعلينا أن نتذكر على نحو دائم كيفية تبدد الإنفعالات و هي تتصالح مع ذاتها و مع تلك الفطنة المتقدة في تلك الخطوات المصانة التي ستوصل شيخموس إلى ما يمكن أن نسميه تموجات لونية مموسقة ، تمضي تدريجياً نحو لغة يستطيع بها أن يوصل تجربته الخاصة بمنتهى القوة النافذة مع التصوير الدقيق للتفاصيل الدقيقة إلى أسمى منازلها ، و من المسلم به أنه في كثير من الأحيان و هو يمضي بتعبيراته تلك بمنتهى دقتها حتى تعتريه نوع من الإستعانة الإضطرارية لخاصتي الارتفاع و الانخفاض في الصفة الصوتية لمقاطعه اللونية و ما فيها من حركات و سكنات تثري إيحاءاته و تثير في الخيال صوراً خاصة كأن يجمع في وقت واحد التعبير و التصوير و التوصيل ، و هذه تسجل له ، و تجعله ينقل تجربته إلى الآخرين كتفاهمات جزئية مع الرأي الذي يتبناه ضمن الفضاءات المغلقة و الفضاءات المفتوحة على حد سواء ، و يواصل بثقة و حزم ، و غير مبال بمشقة الصعود ، و لا بثقل العبء ، يواصل ضمن مسؤوليته الإنسانية في البحث عن عوالم جديدة تخرجه من مكان العتمة ، و تدخله إلى منطقة التحقق الفعلي و ملامسة جملة النتائج التي ستساهم في كسر الكثير من القيود و زحزحتها من طريقه ، و من قفص ذكرياته ، فيبتدع مرويات جديدة ، بزمنها و شخوصها ، و كائناتها و حكاياتها ، و برؤية فنية جديدة تجعلنا نهتم بهذه التجربة و ننظر في طاقاتها الإبداعية و نحدد سماتها الأساسية و التي يمكن اختزالها بأنها مجموعة من الوقائع صنعها كائناته و التي تؤسس لحكاية تتصل بالخلق و تروي على نحو دائم كيفية ظهورها إلى الوجود بكل شيء من أشيائها ، و بكل عنصر من عناصرها ، وفق إرادتها ،

تتحرك ، تذهب و تجيء ، تتحول و تتبدل حتى تمثل الحقيقة الأزلية بكل ضعفها و قوتها بأن الإنسان هو محور العالم حوله تحوم أغلب هذه الأعمال ، و حوله تتعدد الأساطير حتى يجد فردوسه المفقود .

عمران شيخموس منذ أن ولد في مدينة عامودا (196)، المدينة الغافية على الحدود التركية بحزن، بمكنونات تترك أشد الأثر على قلوب أبنائها على نحو عام ، و الراحلين عنها رغماً عنهم على نحو خاص، المدينة التي ساعدت على الانعتاق الإنساني على مر التاريخ، ولهذا تنبض بالحب والشعر والموسيقا والفن و كل شكل من أشكال الجمال ، المدينة التي باتت غريبة الآن عن نفسها ، راحت تسيطر عليها الرماد بصورة متزايدة ، و تقارع الحياة على نحو متعاظم ، و كأنها تردد مع جبران خليل جبران ؛ " أهذه هي الحياة التي كنت أركل بطن أمي لأجلها " ، أقول منذ أن ولد عمران شيخموس في هذه المدينة و هي قبلته و قبلة أبنائها الذين باتوا مبعثرين في جهات الأرض العشرة ، فهم طوال الوقت يحاكونها كشيء مهم في حد ذاتها ، و يستحوذون عبرها بذاكرة تمضي بهم نحوها ، درس في مدارسها ، لينتقل إلى دمشق بعد حصوله على الثانوية العامة ، لينتسب إلى كلية الفنون الجميلة فيها ، الفرع الذ يحرك شغفه للحياة ، و بعد عام دراسي تأتيه منحة دراسية من الاتحاد السوفياتي آنذاك ، فيترك دمشق ليتوجه إلى كازخستان احدى الجمهوريات السوفياتية آنذاك ، و يتابع دراسته ، لكن هذه المرة بإختصاص آخر ، هندسة نفط و غاز ، ليتخرج منها عام 1995 ، و لكن بقي الرسم عشقه الذي يرسل الروح فيه ، فبقيت الصِّلة الداخلية بينهما ، و بقيت العلاقة في أوج شروقها ، لهذا اشتغل كثيراً ، و بقيت الريش و الألوان ينبوعه العذب ، منه ينهل حتى يطفيء ظمأه و غليله ، اشتغل على نفسه كثيراً و ما يزال ، حتى بات يفرض نفسه على الآخر و يرغمه على الإصغاء و المشاهدة ، قدم معارض سنوية مشتركة مع فنانين من كازخستان و روسيا و على نحو أخص في أعياد نوروز ، و كذلك قدم معرضاً في فيليج بدسلدورف ، و في متحف الفن الحديث في قبرص عام 2020 ، و يقوم الآن بتحضير لمعرض آخر في نوروز 2024 في كل من كازخستان و جورجيا .

أعمال الفنان التشكيلي عمران شيخموس







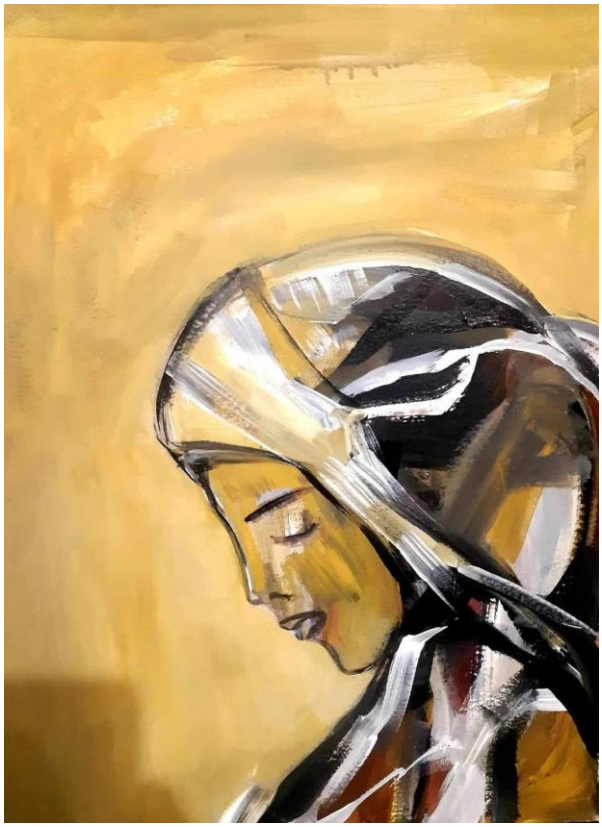

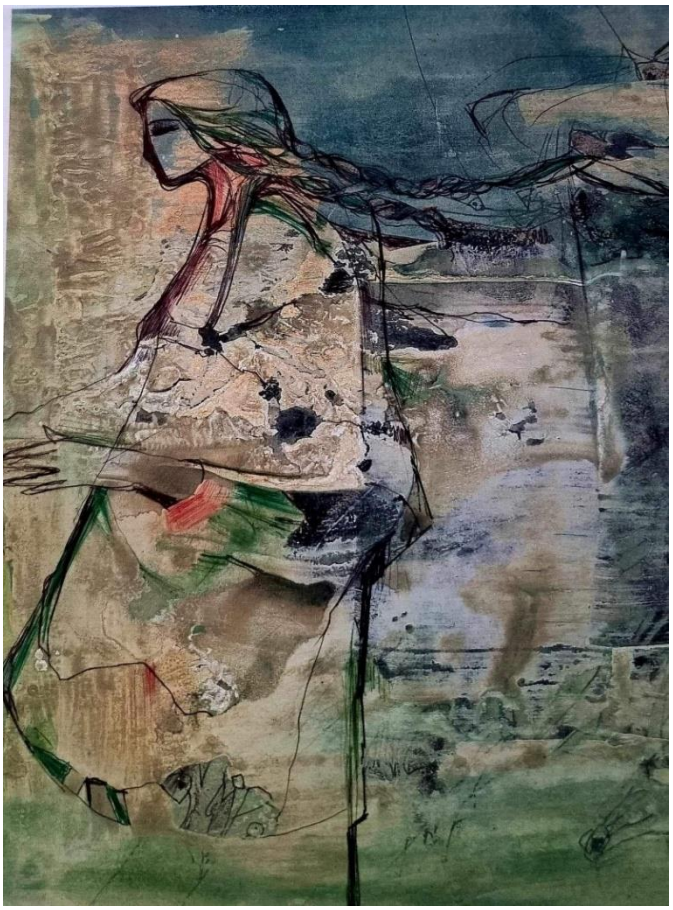

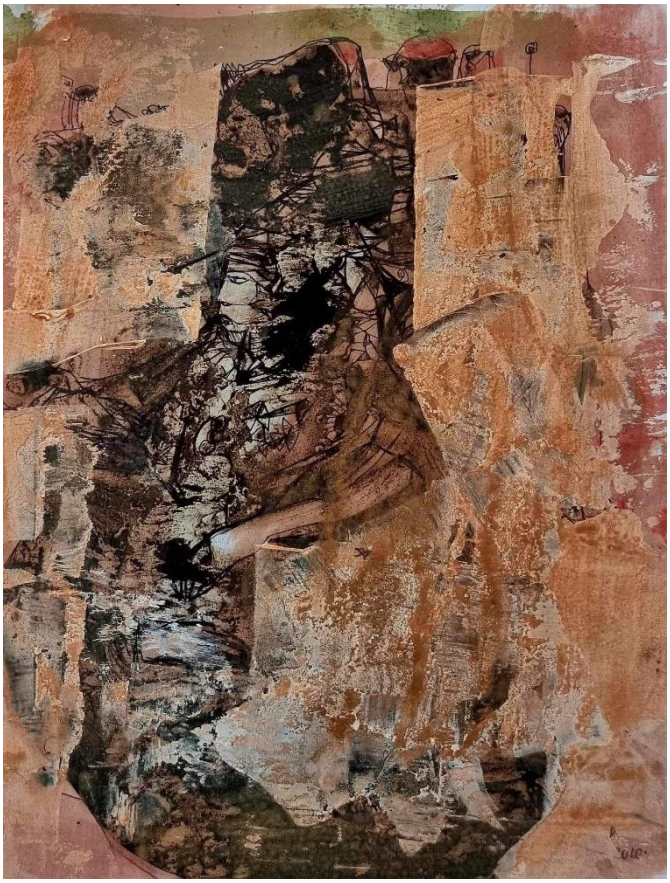

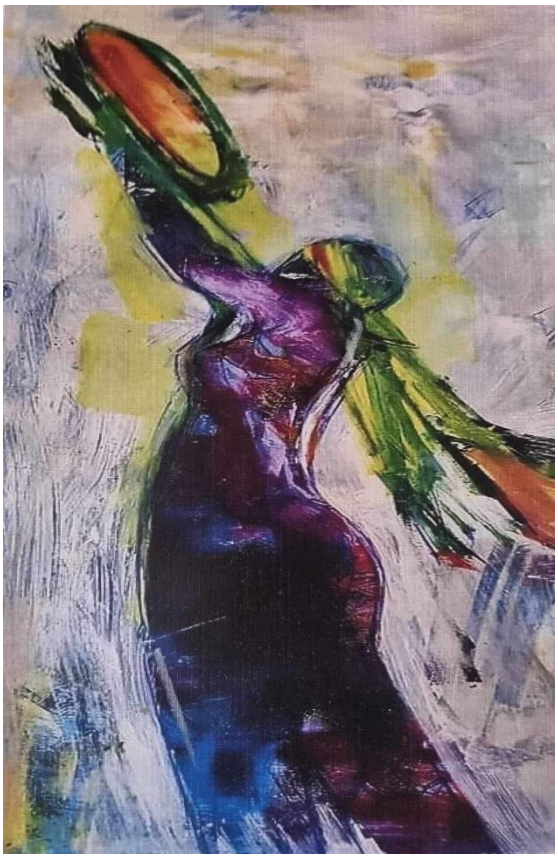



8. صالح النجار يقبض على الزمن مخافة أن يهرب منه



كتبت عن تجربته قبل ست سنوات تقريباً، كان ذلك تزامناً مع مشاركته في المعرض المشترك لفناني كردستان و فلسطين و الذي أقيم في أيار 2017 في قاعة قصر الثقافة بمدينة السليمانية في كردستان العراق ضمن أسبوع الصداقة و التضامن بين شعبي فلسطين و كردستان ، قلت حينها بأنه يبتدع نقليات نوعية للإنطلاق بمشهده البصري بإجتهاد ، و بأنه يسعى جاهداً لتحقيق قيم فنية جمالية لها أهمية كبرى في ملامسة أفقه المتحول ، و بأن مملكته منفتحة صيغياً ، قلت كل ذلك قبل سنوات و أنا أراه الآن يمضي ضمن النسق الذي تحدثت عنه ، و يثبت يوماً عن يوم بأنه من أكثر فناني كردستان إجتهاداً ، فهو لا يهدأ ، قد تجده اليوم في بغداد ، أو في بابل ، و غدا في أربيل أو في السليمانية ، أو بعد غد في كركوك أو في خانقين ، و تجده طائراً إلى اسطنبول ، هذا النشاط الكبير و بهذه الحيوية لا بد أن يقطف ثمار ذلك ، و هو من أكثر الفنانين الذي يشتغلون على أنفسهم ، فلا يترك دقيقة تمضي دون أن يتنفسها فناً ، أتحدث هنا عن صالح النجار (خانقين 1968) ، الفنان الذي التقيت به على هامش سيمبوزيوم السليمانية الثالث الذي أقيم في أيلول 2021 ، برفقة الفنان ستار علي و آخرين لم تعد تسعفي الذاكرة بأسمائهم ، و كان هذا الحماس يعيش فيه ، تجده و كأنه ينبض بالفن ، أو كأنه خارج من طبخة ألوان و يمضي للغرق بأخرى ، قرأت هذا الإجتهاد و هذا الحماس في حركيته التي لا تهدأ ، و كأنه يصر أن يقبض على الزمن مخافة أن يفلت منه ، و هذه الحالة التي يعيشها تدفعه من بناء إلى آخر ، و من بحث إلى آخر ، فالتجريب هاجسه ، لا يخشى الغرق في بحيرات لونية معينة ، كما لا يخشى من الجدران التي قد تعترضه ، فروحه المتمردة تمنحه طاقة مجنحة تمضي به إلى أفقه المتحول ، الأفق الذي لا يهدأ بدوره ، الأفق الذي يحاول الهرب بعيداً كلما أوشك النجار على ملامسته ، الأفق الذي يجعل النجار يرقص إنجازاً ضمن شعائر جمالية غير معهودة إلا لديه ، شعائر أشبه بتلك الشعائر الخاصة بالعبادة ، فهو الذي مر على التاريخ بحركات متزامنة مع ممارساته في مناطق الخلق ، فضلاً عن أنه يرسم صورة حقيقية لصعوده ، فنزوعه نحو إستخداماته

لوسائل الإنسان تجعله يثير بها مشاعره و عواطفه و على نحو خاص عاطفة الجمال بموسيقاها و إيقاعاتها ، و هنا تبرز مهاراته التي تحكمها الطاقة التي لا تنام في دواخله .

إذا كان في الإبداع عادة حب استطلاع و إستكشاف ، فإن صالح النجار يعيش الإبداع ذاته ، و يمارسه بدرجاته كلها ، المنخفضة منها و المرتفعة ، لا يخاف من الجديد بل يبحث عنه ، و يسعى إليه ، له قدرة على التلاعب بالعناصر و المفاهيم و الإنفتاح ، يساعده في ذلك خبرته و نشاطه و بحثه ، و لهذا يبتعد عن الأشكال المألوفة ، و يهتم بالجمال الشكلي إلى بعد ما ، و بالإستثارة التي تحدثها مشهده البصري الجمالي لدى المتلقي ، و أيضاً بالعناصر البسيطة لهذا المشهد كالخطوط و الألوان و النغمات و بالجوانب المركبة منها كالتكوين و الأسلوب و ما شابه ذلك ، لا يتردد في خوض المغامرات مهما كانت عناصرها غامضة بالنسبة إليه ، و مهما كانت عسيرة في جوانب منها ، بل ذلك يزيده شوقاً في الإبحار فيها ، فجرأته مبنية على ثقته بريشته و بدواخله و ما تحتوي ، لا يقفز فيها ، بل يمضي معها بكل قوامه ، و بكل حواسه و حدسه ، يمضي بهدوء و كأنه يتحين للإنقضاض على فريسته ، يأبى أن يعود إلا و سلاله ملأى بثمار جناه بفهمه الصحيح لخطواته ، حتى يبدأ بالكشف التدريجي لها ، و لمعانيها ، حتى يتلاشى ذلك الغموض المرتبط أصلاً بمسائل احتمالية هو بغنى عنها ، يتعامل معها في الوقت ذاته كباحث عن جمال ملائم لشهيقه و زفيره ، ملائم للمنزلة الرفيعة التي خلقها بين الذوق الخاص ، و الذوق المتولد بالمشاهدة في قاعات العرض ، فالهيمنة هنا نسبية و إن كانت كفتها تتأرجح إلى جهته ، أقول نسبية لأن الأذواق المتوالدة ستتمايز من خلال عوامل عديدة كالإنتماء و الزمن و المكان ، و هذا يجعله يدرك غمار خوضه في هذا البحر دفعة واحدة ، يتقن العوم فيه ، و يتقن لغة كائناتها و حيواتها التي على الغالب هي التي ستعلو بالقيمة الفنية لما سيجنيه في آخر مطافه و هو يعود فرحاً من عومه ذلك ، و هو في كل ذلك يعتمد منحى يستطيع فيه أن يتبنى الوسائل المناسبة للوصول إلى هذه الصياغات ، بتأويلاتها المختلفة ، و من خلال محاولتنا لتحليل بعضها سنرى كيف أنه يفك المعنى الإنفعالي إلى مكونات عدة منها شعوره هو نحو الموضوع الذي يعالجه لونياً ، و النغمة السائدة فيها و الموجهة نحونا كمتلقين ، و مقاصده من ورائها و وراء مؤثراتها ، فمن خلال مشهده الفني نستطيع أن نشتق كل ذلك .

صالح النجار يميز اللون والشكل والملمس بإجتهاد عال، ويعالج المواد الفنية بعناية، و لهذا فهو يقدم مشاهد جمالية تكتسب قرابتها الزمنية من تلك التطورات المتوازية لإستكشافاته بالتفصيل ، ولنشاطاته الشعورية واللاشعورية بقوتهما الإضافية، فيسهم إسهاماً خاصاً في صقل فهمنا كمتلقين للخصائص الشكلية لتجربته، وبالطبع يمكننا أن نكتشف وجود مسارات فرعية صغيرة أو كبيرة تربط بينها، أقصد بين تلك الخصائص، وهي مسارات قد نهتم خلالها بدراسة أكثر من منحى موضوعي لها كعلاقة شخصية النجار كفنان بإبداعه، أو علاقة سمات شخصية المتلقي بتفضيلاته الفنية، أو علاقة طفولة الفنان بإبداعه، أو دراسة دوافعها وإنفعالاتها وصورها وقيمها أو غير ذلك من موضوعات أخرى، المقصد من دلك إلتقاط بعض من تلك العلاقات الخاصة التي يهتم بها المتلقي كباحث عن مقولاتها المشتركة التي ستؤمن بدورها له معايشة ما

ينبغي العودة إليها، بما في ذلك الأكثر بدائية للجمال والحرية معاً، وثمة إمكانية لديه في تجديد و تشذيب إنتاجه بما يتلائم مع روح العصر، سواء أكانت على مستوى الأجواء والمقولات الجمالية وموضوعاتها، أو على مستوى رؤيته ومكوناتها وملامحها، أو على مستوى آليات بحثه وتفكيره، فهو يعالج لوازمه ومترتباتها من حيث موقعها المتأرجح بين الثبات والتغيير، الثبات الذي بخرج منه، والتغيير الذي يمضي إليه متجاوزاً للزمني ، و مترفعاً عن الانحصار في الأساس ، حتى يشكل اللامنطق بحثه أو موضوعه الذي يشتغل عليه في بناءاته و محدداتها ، و التي تتصف بالسيرورة و الدوام و التعالي بمعزل عن أي اعتبار آخر .

حين يغدو صالح النجار محوراً أساسياً للحراك التشكيلي العراقي على نحو عام و الكردستاني على نحو خاص ، و من المهمين الذين يقدمون هويتهم الفنية على نحو مختلف تماماً ، إنطلاقاً من فهمه الدقيق لمجمل المعطيات و المشارب التي يتشكل منها تجربته ، و بالنظر إلى طبيعة الإرتباط الذي يجمع بين تلك المعطيات بوصفها منظومات متكاملة بمعزل عن التمييز بين مختلف أبعاد مشهده الجمالي ، فنستطيع أن ندرجه في خانة ما ، خانة ستساعدنا في إعادة قراءة أعماله ، نبرز فيها هويته أو منهجه ، و تعدد عناصره ما يمكنه من إنتاج مضامين جديدة بأشكال جديدة ، و بما يمكن أن تحاكي روح العصر بغاياتها و بمبانيها ، بآلياتها و معياريتها ، مشكلاً سياقه الخاص الممتد معرفياً في البعد التاريخي للتجربة ، فهو يقوم بمنظومته على أساس الثقة و وجود علاقات ودية فيما بينها ، رغم أنها علاقات تصادم و هي التي ستكسر كل الأطر الضيقة لديه ، فرؤاه جديدة رغم أنها مازالت غامضة ، يمتزج معاييره بثقافة محلية حيناً ، و حيناً بالوافدة لإعادة إنتاج القيم الجمالية بكل تداعياتها ، فهو يتناول التناقضات عند الإنسان بدلالاتها ، و إشكالياتها ، يرسخ بها هويته الخاصة و رؤاه الخاصة ، ففطرته سليمة ، بها يزداد شوقاً إلى المعارف الحقة التي ستمضي به إلى حقول خاصة لا يمكن التقرب منها ما لم يسبقنا إليها النجار .

ينتقل النجار بتجربته خطوة فخطوة، ومع كل خطوة يعلن عن ذاته، ويترك أثره ليمضي نحو الخطوة الأخرى، الخطوة التي تليها، والإعلان الذي يليه، والجديد الذي لديه، فهو منذ معرضه الفردي الأول في خانقين في عام 1980 و هو يصر أن يكون مختلفاً ، و المعرض الفردي لديه هو إعلان عن شيء يقوله، عن شيء أنجزه، عن شيء سيبقى له رائحته إلى يوم الدين، نعم يصر أنه لن يكون رقماً عابراً بل فاعلاً وبقوة، نعم فهو منذ معرضه الفردي الأول ويذكرنا بمشاريعه، ذاك المعرض الذي خصصه لخانقين، المدينة التي أنجبته وحضنته حتى شق طريقه، عن طبيعتها وجمالها ومعالمها الطبيعية والثقافية، عن أشجار نخيلها، ونهرها الذي يقسم المدينة إلى نصفين، بضفتين جميلتين، فهو دائماً يبحث عن أفكار جديدة كمشروعه للوحة الصغيرة، أو المصغرات كما سماها والتي أتت أصغر من طوابع البريد حسب قوله، وبكامل المواصفات التي للوحة الكبيرة، دون أن يضحي بألوانه أو خطوطه أو تقنياته، ومن أفكاره الجديدة أيضاً نقل اللوحة من الصالات المغلقة إلى حيث يوجد المتلقي فكانت فكرة لوحة في مصعد ، ترافق المتلقي في الصعود و النزول وهي فكرة جديدة ومثمرة، وفي 2018 أقام معرضاً فردياً في مدينة السليمانية بعنوان الأقنعة، افتتح له الفنان اسماعيل خياط، ومن عنوانه ندرك إلى أن يمضي وأين يضع قدمه، فهو على دراية تامة بأن التجريب

هي التي ستفتح له أبواباً، وعبرها سيلج عالماً يبحث عنه على إمتداد نفسه، وسبق قدم أسود 23 في شارع المتنبي ببغداد ، في دكانة رؤيا التابعة لمؤسسة رؤيا فون ديشن ، و كذلك له تجربة أخرى (بوك آرت) حين جسد قصيدة محمود درويش / أحد عشر كوكباً في لوحات باتت من مقتنيات دار و غاليري الكلمات ، المقصد من كل ما تقدم هو أن نقول لا يشرب صالح النجار من بحيرة راكدة ، و لا يعوم فيها ، بل هو كالنهر تماماً ، يشق طريقه بماء جديد في كل حين ، و لهذا فهو يفاجئنا بجديده في كل مرة ، و ما أعماله الأخيرة التي سيقدمها لنا في دار و غاليري الكلمات إلا مثالاً آخر يؤكد رأينا بأنه لا يعيد نفسه ، و إذا لم يكن لديه جديد لا يمكن أن يخاطر ، فنحن أمام تجربة جديدة لا في كردستان العراق فحسب ، بل في عموم العراق ، تجربة سيبقى لها أثرها و أهميتها في المشهد التشكيلي العام ، فهو العارف بأحكام الطريق ، و لا أجلَّ عنده من التجريب ، و بمقتضى الحال يرفض التقليد و التشبيه ، و خياله خصب و يُحْيي القلب ، لا يقترب من النهايات ، كما لا ينهي عمله بعلامات ما ، بل يبعثر وصاياه بين ثناياه ، يترك الظلال تخيم بين الأخباث ، فقبح الإنسان موجب للشفاء ، و مميت للروح ، و قبح الحيوات وجهة أخرى لما يعاني منه مجتمعنا من أمراض الفساد و الانحراف ، فالنجار يدفع العملية الإبداعية نحو العمق الإنساني و يستحضر منها كائنات أخرى تشبهه ، كل منها تجره إلى جهة ، و كل منها ملون به ، لدرجة أنك تتيه في معرفة الأصل منه ، و هو أمام واجب مقدس كي يقول جملته المفيدة ، فكان لا بد من اللجوء إلى الكولاج و إلى تلك الشبكة المقسمة إلى المربعات ليسدل بها أعماله ، و كأنها مغشية على ذاتها ، بصفاتها و شفافيتها ، بأفعالها و تأويلاتها ، و إذا أمعنا النظر في المشهد الجديد سنشرع في المجاهدة لإكمال المعرفة التي نبحث عنها، لنستشف مخاطبات روحانية في ذم الدنيا وأهلها، وبتوضيح آخر لنستشف الحيوات، والإنسان منها ومخاطباتهم من خلال الظلال وكلامها عن التفاوت الجميل في البنية بين نمطي البحث وجدوى البحث الدائر حول التجربة و خصائصها ، محاولين تحديد السبل و الآليات المناسبة لهذا اللون من التجربة .

أعمال الفنَّان التشكيلي صالح النجار

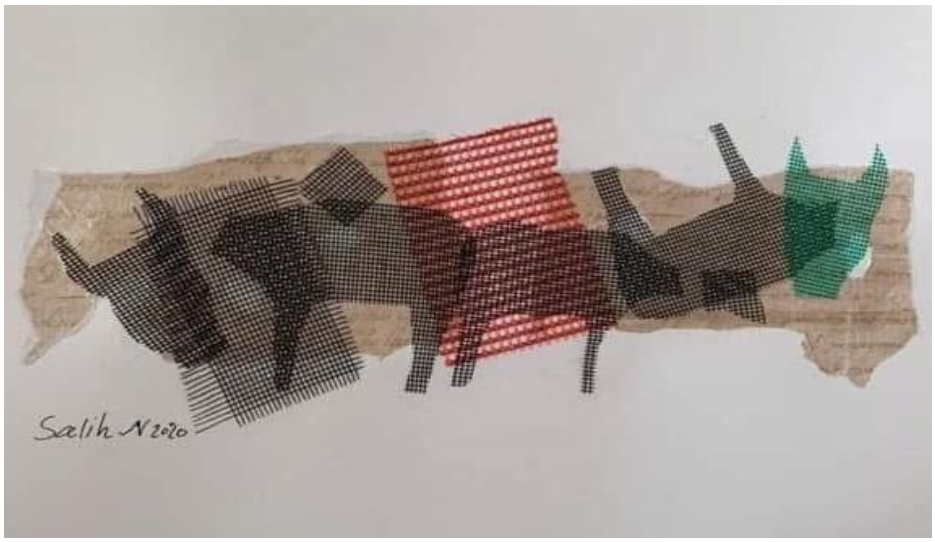



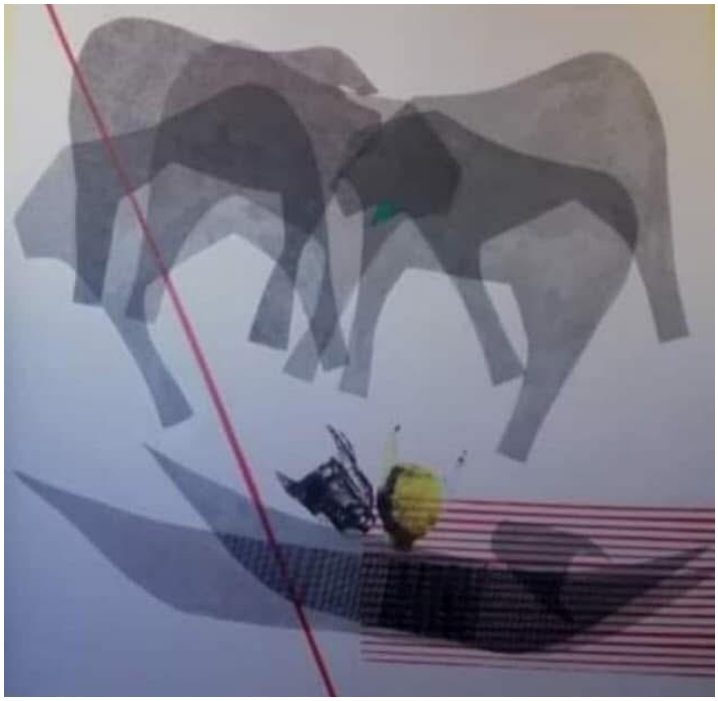



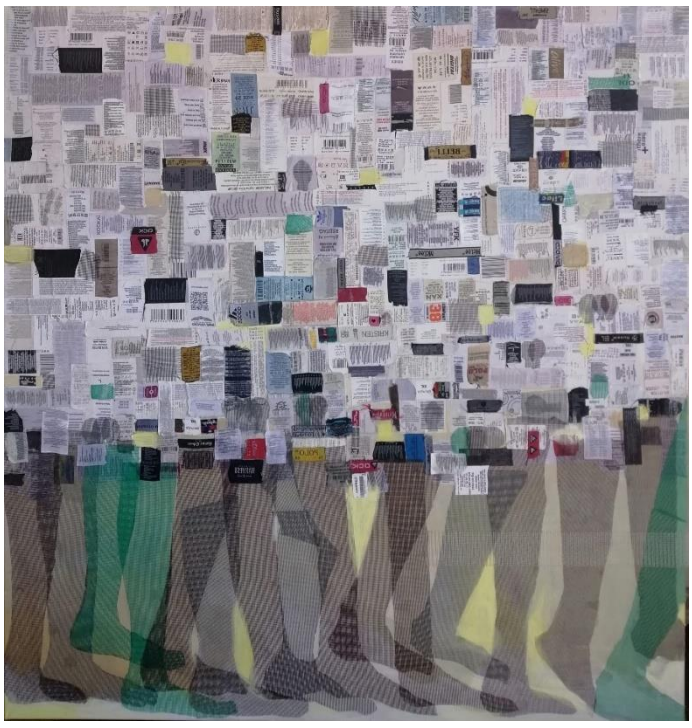


Salih al Najar 24


Salih al Najar 2023

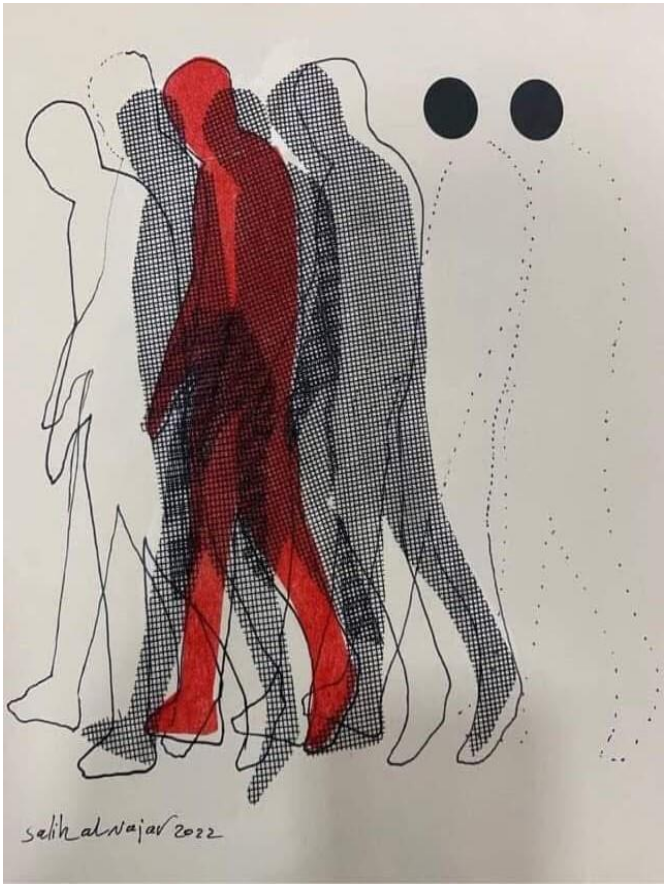
salih al najar 2022



9. عدنان الأحمد يفتتح غاليري 'مرسمي' في الرياض برؤية تشكيلية سعودية شابة



"الفن علمني أن أكون إنساناً قبل كل شيء، علمني كيف أحب، وكيف أنام، وكيف أكبر، وكيف أواجه القدر كلما إقترب من بابي، الفن هو إمتداد لهذا الخلق الكبير"، تذكرت مقولة عمر حمدي /مالفا (1951-2015) هذه وأنا أتابع مجريات الإنجاز الجديد الذي يخطه عدنان الأحمد، هذا الرجل الذي أقول عنه دائماً بأنه مؤسسة ثقافية متنقلة ضمن رجل (وأقولها أيضاً عن بختيار سعيد مدير وصاحب غاليري 7 رنك في السليمانية بكردستان العراق) فما يجمعها الكثير، وما بينهما من المفردات المتقاطعة ما لا تحصى، عدنان الأحمد، هذا الرجل الذي لا يتعب مهما كانت الطرق التي يمضي فيها وعرة، ولا ينكسر مهما كانت هذه الطرق مفروشة بالصعاب، فالذي يعشق الجمال بألوانه، ويكون الفن امتداده لهذا الخلق الكبير لا يمكن أن ينحني، أو يجلس في منتصف الطريق، لا يمكن أن ينهزم، فيرسم لنفسه آفاقاً كثيرة، ويحدد أحدها ليشتغل عليه ويمضي إليه.

فمن لا يتذكر دار وغاليري الكلمات بحلب، الذي أطلقه عدنان الأحمد عام 2002، الدار الذي كان له أثره في تنشيط الدورة الدموية للحركة التشكيلية وللفنانين التشكيليين لا بحلب فحسب بل في عموم البلاد، وعلى نحو أخص إطلاقه مشروعه الأجمل "رؤية تشكيلية شابة" والتي بموجبه مهد الطريق لأسماء كانت مغمورة وباتت لها ضوءها، وحين اهتزت البلاد في النصف الأول من عام 2011، حين هز الثور رأسه معلناً إنتقال البلاد من فوق أحد قرنيه إلى الآخر، وأصبحت في مهب السواد، وأصبح الأمن والأمان في حالة غياب، كان من البداهة أن يحمل نفسه وحلمه ويمضي في الشتات، حاله كحال معظم السوريين وهم يخطون تغريبتهم، فحط به الترحال في اسطنبول ويبدأ في ترجمة الحلم، وإحياء الكلمات كدار نشر وصالة عرض من جديد، رغم صعوبة الحال وما يحيط به من أوجاع، ورغم اللغة الغريبة والمختلفة، إلا أنه استطاع

أن يمضي في إحياء مشروعه الأهم "رؤية تشكيلية شابة" ونجح في ذلك وقدم أسماء استطاعت أن تكون لكل منها حيزها من الوسط الجميل، لكل منها عطرها ولونها الذي يميزها عن الآخر، أقول رغم الإختلاف في اللغة، ورغم المكان الذي قد يكون أشبه بمثلث برمودا يبلع كل من يقترب منه ومن حدوده، وأقصد هنا اسطنبول، أقول رغم ذلك فعدنان الأحمد لم يبلع، ولم ينحن، ولم تجرفه رياح اليأس، فهو يدرك تماماً بأن إمتلاكه للغة الفن وحدها تكفيه، وهي لغة الخلاص، فكيف إذا كان مدججاً بحلم كبير وبإرادة الرجل العاشق، فهو حتماً سيقهر الظروف كلها مهما كانت درجة قساوتها، ومهما كانت أنيابها بارزة، وفعلها، فهو يتكىء على غابة من الفن والتاريخ والتجربة لا تنسج إلا بمكوّنات فاعلة، وفي سنوات قليلة قد تقترب من عقد من الزمان استطاع أن يضع غاليري الكلمات في مصاف الغاليريات وفي مقدمتها على امتداد اسطنبول، والتي يتمنى العرض فيها كل فنان لأنه يعلم بأن ذلك سيضيف من رصيده ، فهذا العرض وحده سيمنحه وساماً سيبقى معلقاً في قبعات تجاربهم وصدور مسيراتهم، ولا يمكن نكران ذلك .

عدنان الأحمد، الإنسان الذي قلت عنه سابقاً، في مادة منشورة منذ سنوات بأنه إنسان عملي، إنسان فعل لا إنسان خواء، إنسان الإنجازات الجميلة والكثيرة، فإنجازاته وفعله تسبقه في الحديث عنه، وهي دعاماته في هذا الطريق، في هذه الحياة، ولهذا ما إن أحس بأن اسطنبول لم تعد تكفيه، أقصد لم تعد تستوعب حلمه الكبير حتى أسرع إلى مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية، لينثر فيها أيضاً رذاذات من ذلك الحلم ليجمع ثمارها فيما بعد، أسرع إلى رياض لتكون جناحه الثاني بعد الكلمات في اسطنبول جناحه الأول، وحينها يبدأ بالتحليق بجناحيه، وبالشكل الذي يليق بطير حر وهو يجوب الأجواء، ملوناً ومجملاً إياها بطموحه الكبير، ومن هنا ولد مشروعه الجديد الذي عنونه بإسم "مرسمي" وهو إسم موفق جداً، ويوحي بالكثير وإن كنت أرغب بأن يكون الإسم كلمات 2، كلمات التي باتت عنوانه، التي باتت تلازم إسمه أينما حل، وأينما ذكر، أطلقه تحت عنوان جميل وبمفردات تكاد تلخص فكرته بمؤشراتها الكثيرة والدالة على معنى الفن والحياة في دواخله، وبرؤية جديدة تكشف له الطريق إلى الحب والحياة: "مرسمي مكان واحد يجمعنا، مرسمي غاليري للفنون، دعوة للحياة ودعوة للفن، رؤية جديدة للحياة .. وعلى مساحة سبعمائة متر مربع تنطلق غاليري مرسمي" ولتكون أولى مشاريعه الفنية والتشكيلية بمعرض رؤية تشكيلية سعودية شابة لخمسة فنانين شباب جمعتهم رؤية جديدة للحياة والفن، فنان واحد وأربع فنانات، ولهذا رفده بعنوان فرعي أسماه 4+1، الفنان هو عبدالله البقمي، والفنانات الأربعة هن : عيدة الزهراني، مشاعل العطاوي، حنان الحازمي، ندى العلي، فنانون يجمعهم روح المواجهة، وروح التجريب، روح المغامرة والمغايرة، فمقولات اللوحة التقليدية وإظهارها بمظهر الجدة لم تعد تجديهم، فيحلو لهم أن يطرحوا أنفسهم بمصوغات إبداعية تثير الإنتباه ويمكن إدراجها في سياق ما بعد الحداثة، وهذا قد يعيدنا لبعض الوقت إلى إشكالية العلاقة بين الإتجاهات التجريبية المختلفة بوصفها رهاناً فنياً خالصاً، ولكن ما يبذله هؤلاء الفنانون الشباب هو قدوم ذاتية جديدة تشترك جميعها بتكثيف الإدراك والعمل فيما بعد على تغييره بصياغات أسلوبية تبحث بدورها عن نهجها الخاص، رافضين لجمالية الأنموذج، مؤسسين لقوانين ذاتية، السلطة فيها للخيال وتبني قوانين التجاوز، وقد تكون

هذه ردات فعل على مقولات تم إستهلاكها تماماً، واستنفذت مسوغاتها الإبداعية، وهنا قد تكمن أهمية الحركة الناشئة التي تبهر بنصوصها البصرية والتي تستقطب متلقين ومتابعين عجزت على استقطابهم الكثير من الحركات الفنية الأخرى.

أعود إلى عدنان الأحمد ومشروعه الجديد، الجميل، فزراعة القمح والورود في الصحراء ليست سهلة أبداً، ولهذا فالعبء الذي سيحمله سيكون مضاعفاً بمرات ومرات، وقالوا له بأن المهمة ستكون ثقيلة، فهو أشبه بمن يحرث في الصخر، ولكن ها هو هنا ينجح في الحرث، وفي الزرع أيضاً، وسينجح بكل تأكيد في القطف لأن حرثه سيجدي، والصعوبات كلها ستقهر أمام تحديه الكبير، فها هو يبدأ بأولى نشاطاته، معلناً عنها، وعن خطه الذي يسير عليه فرؤية تشكيلية سعودية شابة التي يبدأ بها هنا في الرياض هو امتداد لمشروعه في كلمات حلب حين بدأ برؤية تشكيلية سورية شابة، وفعلها في اسطنبول أيضاً، فخطه يخدم مشروعه الذي يشتغل عليه منذ عقود طويلة، فكما نجح في كل من حلب واسطنبول كذلك سينجح في الرياض، ف "مرسمي" الذي أعلن عنه مؤخراً، والذي سيديره كمدير، هو لصديقيه المعماريين السيد عبدالله الغفيلي والسيد خالد الحسينان، وسيكون بمقدوره أن يقود الدفة إلى منحى التأكيد وما يسعى إليه عن كيفية بناء عالم الجمال الذي سيروي كخطاب حكايته التي تحمل كل عناصر التشويق والتمايز وبالتالي النجاح، سيكون بمقدوره أن يكون قبطاناً ناجحاً فهو صاحب الخطط الاستراتيجية، وبعيداً عن خلط الصكوك، فهو الشخصية التي تنجز الكلام والفعل معاً، الشخصية التي لا تخضع للتعيين، والبعيدة عن التقلبات، وتكتفي بتقديم نفسها للمتلقي كشخصية متواجدة في قلب كل حكاية فنية يكشفها ويقدمها لنا، وهو إنجاز فعل وتجسيد كلام وسيبقى شخصية فاعلة في الحدث بهوية نهضوية، دينامية لا ترفض الصياغات الجديدة، بل يبحث عنها ليضعها في المكان المناسب، المكان الذي سيليق بها حتماً

20-06-2024، أي على امتداد عشرين يوماً، سيبقى غاليري مرسمي مجملاً بمعرض فني، هو باكورته، وإعلانه عن ولادته الجديدة، سيبقى مجملاً بمعرض فني لخمسة فنانين شباب، (فنان واحد وأربعة فنانات)، وسيضم خمسة وعشرين عملاً، أي خمسة أعمال لكل فنان أو فنانة، تحت يافطة عريضة " رؤية تشكيلية سعودية جديدة "، والتي تكاد تكشف لنا خطة الأحمد في تبنيه وتقديمه لأصوات لا تخفي هسيسها الضمني، ولا بعدها عن الرتابة ووطأتها، لأصوات لا تجنح نحو إشكاليات كلاسيكية ذات الطابع العقلاني، بل نحو خلق إشكالياتها الخاصة بها، والتي تحمل كل ذرائعها في تكوين صياغات تشغل بدورها من زمن الخطاب الخاص بهم ومن مساحته حتى يكاد يشكل بحثاً جمالياً له المقاييس الداخلية الخاصة به، إن كان بما تمارسه من وظيفة معرفية وفكرية. أو من وظيفة فنية محدثة لها منظورها الجمالي وما يربطها بنشأتها، فإفتتاحية مرسمي ستكون بخمسة أسماء، خمسة أصوات يجتمعون على مائدة واحدة، يقومون بتمثيل المستحيل والمتخيل، ويمنحون اللامتناهي أشكالاً دون أن تفقد صفتها، ذلك أنهم يرتادون العتبات في رحابها، ويحتمون بالصمت الصارخ حتى تنتشل الأبعاد جميعاً من عقالها، فيستدعون النصوص في شكل شظايا، ويبعثرون الألوان الطافحة باللامعنى، لا لتتلاقى الأبعاد وتقتل التشيؤ الذي بات يطال الواقع برمته،

بل لإنتشال المفردات من يقظتها، والكائنات من تفسخها وإنحلالها، هكذا يصبح الفن بين أصابعهم وريشهم إلى إنتشال الموجودات التي تبني عوالمهم، الموجودات التي تبدو وكأنها خاوية وخالية من كل ما تطفح بالحياة، الموجودات الغارقة في الفوضى وفي العبث واللامعنى، خمسة أصوات يحلقون في سماء واحدة، يتلقفون الجديد من أبعادها المحجبة، ليستعيدوا ما يجب أن يحتفى به وبفاعليته، فلا يمكن في قراءتنا هذه أن نكشف عن طرائق كل منهم، وما يخصهم، عن الذرى التي طالما حلموا ببلوغها، وعن الرحاب التي طالما يمضون للإرتقاء إليها، فكل شيء يعنينا هنا، بدءاً من الإيقاعات التي تهب من أغانيهم، أقصد من أعمالهم، وصولاً إلى الممارسة الفنية في حضرة مآزق يجب الحذر منها، وإلا قادتهم إلى يتمهم، فخمسة تجارب سعودية شبابية قد تكون كافية وكفيلة برسم بانوراما المشهد البصري الشبابي في السعودية، بعيدة عن صخب الحياة العادية وبعيدة عن قضايا المجتمع وقد تكون تلك الطريق المؤدية إلى جمالية المشهد وإبداعيته، خمسة أصوات، خمسة تجارب، تقدم نفسها في معرض مشترك على مساحات غاليري مرسمي والتي تقدر بسبعمائة متر مربع، وتبني حشوداً من الدلالات لتكون في أوج كثافتها وأوج جريانها، والحال أنهم يتوسلون المقاصد باللمح والإشارة وبكل ما يحقق تجلّياتهم، إن كان على المستوى الأسلوبي، أو ما يفتح قريحة خيالاتهم نحو تضمين الدفق الدلالي.

أفيش وأعمال الفنانين السعوديين الخمسة عبر معرضهم المشترك في الرّياض



















10. مهدي الحسين لا يهرب من الواقع ولا يتوسل الرموز والألغاز



الفنان الملقب 'ويندا' مازال يتساءل من يحرق من، هل هو الذي يحرق على الخشب أم أن الخشب يحرق عليه.

إذا كان الحرق على الخشب مهارة وإتقان، فهو فن أيضاً، وهو إحدى تقنيات الرسم الكثيرة، له ما يميزه بجمعه بين الرسم والخط والزخرفة، وإن كان يميل بعضهم إلى اعتباره حرفة، وهذه التقنية تحتاج إلى الدقة الزائدة، فمن لا يملك هذه الدقة لا يمكن أن يبدع فيه، فأي تعثر هنا له حساباته، يرفض الخطأ، فلا تراجع هنا، فالحرص على تجنب الخطأ من أولى الأشياء التي يجب أن يتحلى بها كل من يغامر في السير في طريقه، ولا نبالغ إذا قلنا إن التلكع هنا مرفوض، وقد يجعلك ترمي إنتاجك بعيداً إذا وقعت فيه، وكذلك تحتاج هذه التقنية إلى صبر أيوب، وإذا لم تتحلى بذلك لا يمكن أن تنجح فيها، فالأمر هنا يتطلب بالضرورة وقتاً طويلاً، فصبرك وشغفك بما تنجزه إلى جانب دقتك العالية حين العمل هي التي ستسهل بولادة مولودك سالماً ومعافى، ولهذا قليلون جداً من يخوضون هذا المضمار، مقارنة بالتقنيات الأخرى التي يمضي إليها الفنانون، ومهدي الحسين أو ويندا (Wendy) كما يحب الحسين أن يعرف به كاسم فني من الأسماء القليلة التي جعلت من هذا الجانب من الرسم مضماره الذي سيخوض فيه حروبه الحياتية والفنية.

وتشاء الصدف أن أكون حاضراً في أربيل عاصمة إقليم كردستان العراق حين قدم الحسين معرضه الخامس فيها تحت عنوان "باقة من النجوم الذهبية"، وذلك على مدار يومين وتحديداً في 22–23 من نوفمبر/تشرين الثاني 2024، في قاعة كلكامش بالمركز الاجتماعي بعين كاوا، وبحضور جماهيري واعلامي مميز، ومن خلال العنوان سندرك بأن تلك الباقة من النجوم الذهبية يقصد بها الحسين تلك الأسماء من المبدعين الكورد الذين أثبتوا وجودهم لا في وسطهم الكردي فحسب، بل في الأوساط الأخرى فهم سفرائهم في هذه الأرض، في هذه الحياة ،لهم فعلهم المؤثر في شؤون مواطنيهم، ولهم وزنهم عند قومهم، منهم الشعراء، والأدباء، والفنانين التشكيليين، والمغنيين والموسيقيين، والسينمائيين، كان لهم حضورهم الكبير في الشارع الكردي،

كان لهم أثرهم في رسم خرائط معرفة وثقافة هذا الشارع، فكل منهم بات نجماً ذهبياً يزين سموات البلاد ويضيء لياليها، وإذا عرفنا أن مجمل معرض الحسين كان يضم ستون عملاً، كان نصيب المبدعون منها خمسة وأربعين عملاً سيطيل بنا البحث إذا دونا أسماءهم جميعاً، لكن لا بد أن نذكر أسماء بعضها : محمد شيخو، رفعت داري، تحسين طه، جميل هورو، آرام ديكران، محمود عزيز، شفان برور، بافي صلاح، سعيد كابوري، سعيد يوسف، جكرخوين، تيريز، يوسف برازي، ملاي جزيري، أحمد خاني، صالح حيدو، شيركو بيكس، حامد بدرخان، سليم بركات، عمر حمدي (مالفا)، يلماز غوني ... إلخ، فكل اسم من هؤلاء الأسماء هو حكاية طويلة لشعب عانى وما يزال من تيه لا يفهمه إلا من عاشه وذاق منه، هو حكاية تحررت إلى حد بعيد من طلاسمها حتى عانقت آفاقاً كثيرة، وكل فصل من تلك الحكاية، بتفاصيلها وقيمها مغرية لنا أن نقف عندها بعمق، وبرهانات فنية تؤسس جمالية الإبهار عندهم، فهيمنة مقام كل نجم من نجوم تلك الباقة لها مقوماتها التي لا تخفى علينا، أما الأعمال الخمسة عشر الأخرى فكان منها لقادة سياسيين لهم ظلالهم على التاريخ والواقع، لهم فعلهم الذي يكاد ينطق بصداها في كل الأمكنة في الخارطة الكردستانية، ولكن الأعمال التي كانت تلفت النظر أكثر، والتي كانت تعتبر سيدة المعرض فهي تلك اللوحة التي كانت تتصدر الصالة، والتي تمثل بالأساس عما جرى ويجري في البلاد . وأشارت إلى الموضوع الأهم، موضوع المفقودين لدى الجهات جميعها، والتي بلغت مئة وخمسين ألفاً لم يعرف مصيرهم إلى الآن، وذلك برسم بورتريه لشخصية معروفة داخل الأصفار الأربعة المرسومة إلى جانب الرقم 15، أخذها كعينة أو أنموذج من كل حالة لدى جهة معينة، وهؤلاء الأربعة هم : حسين عيسو، وباولو دالوليو، ورزان زيتونة، وبهزاد دورسن، أما اللوحة الثانية فكانت منفذة بصورة كولاجية لمجموعة مفاتيح تعود وتشير إلى هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم، وبالتحديد من رأس العين، المدينة التي ينتمي الحسين إليها، ولم يحملوا معهم غير ذلك المفتاح الذي قد يجدد الآمال لديهم بالعودة إلى ديارهم وبيوتهم وموطن ذاكرتهم وعشقهم، ولا يجب أن ننسى مفتاح الحسين نفسه والذي وضعه داخل شكل أسطواني شفاف، معلقاً فيه، قائلاً عنها : هذا ما تبقى لي، ترافقه في مجمل معارضه التي قدمها، كرمز إلهامي أولاً، وكتلويح بأن " أجراس العودة لا بد أن تقرع " فلا يجب النسيان، رغم يقيني بأن مدينته ووجعها قد تكون زمرته الدموية من كثرة ما يضج كل منهما بالآخر، فهي تضج به، وهو يضج بها، تجري في عروقه، فلا تهدأ ولا تستكين.

مهدي الحسين لا يهرب من الواقع، ولا يتوسل الرموز والألغاز، وليس شغوفاً بالإغراب لغواية متلقيه، أو الترويج لرسوماته بقصد البيع أو الإفلات من الرقابات الكثيرة التي تصادف كل من يعمل ويتحرك في هذا المجال، فهو على استعداد لتلقي كل التبعات، ويلتقط كل الأخبار والآهات المرسومة على الوجوه بلا غربال، يطوف بين أصقاعها المتباعدة، والمتقاربة بآن واحد، يعرف تماماً بأن ما يرويه ليس مختلفاً، ما هي إلا تراكمات معلقة في رأسه منها ما يعرفه، ومنها ما لا يعرفه، منها ما أخبره به الآخرون، ومنها ما يضج في دواخله، ما هي إلا تراكمات تحمل أسئلة كثيرة لا حدود لطرحها، أسئلة لا سبيل للوصول إلى معرفة أجوبتها إلا حين تعمم الغيوم سموات البلاد، وتبهت شموسها، فحكاية الحسين هي ليست حكايته لوحده، بل هي

حكاية سرب كبير، حكاية تقرأ ذاتها، وتفسر نفسها، ولا عجب هنا إن وصلت الحال به إلى هذا الإنتقال والتداخل بين وجوه سقت بدمائمها قمم الجبال حتى باتت أكثر شموخاً وأكثر سطوعاً، وبين من هز قلمه أو ريشته أو صوته وآلته الموسيقية، أو كاميرته حتى اهتزت الأماكن بكل محسوسياتها، فلم تخنه الذاكرة حول ما حدث، ولا حول من مر بها وترك أثر، فالواقع بأحداثه الغريبة التي تقارب الخيال، يلتجئ إليها الحسين في سردها، عبر عرضه على متلقيه قراءته في مرويات الوجوه التي اقتنصها من هذا الواقع المر والمرعب، عبر عرضه لتقاسيم تلك الوجوه الشاهدة وهي تدلو بشهادتها لتوثق بشكل من الأشكال أحداث ذلك الواقع وتحدد رؤية السارد لها على نحو خاص، وللعالم على نحو عام، رغم يقيننا بأن الكثير منها تفسر مروياتها من داخل النص ذاته، والحقيقة أن ما ينتجه الحسين ليس مجرد وجوه لمشاهير كردية لها وزنها فحسب، بل هو اقتراف، وانطلاق، وتعاقد، اقتراف بأنه ناقل أمين وبريء، أمين لأحوال الآخرين، وبريء من المبالغة والتحريف والتهويل، وانطلاق نحو شخصياته ليقف أمامها، مردداً صدى ملامحها، يفسح المجال لها كي تتلفظ صوتها مفرداً حيناً، وجمعاً حيناً آخر، فعندما نقرأ وجوهه، أقصد وجوه شخصياته ستحيلنا بنفسها على ذاتها، بما تحملها من نحيب وحزن، أو بما تديرها من لجام أوصالها، وتعاقد ممكن بينه وبين متلقيه أساسه البساطة والوضوح بعيداً عن كل ما هو مناورة وتربص وخداع، فهو يسارع كي يتخذ من الوجوه وحكاياها مسنداً، يلتقي بها جميعاً، ويروي عنها للآخرين، لا لبس لديه ولا التباس، لا صعوبة لديه في تحديد احتمالات القراءة، ولكنه يرمي بها إلى وضع مريح ومطمئن، حتى تتحول تلك القراءة إلى ضرب من فك شفرة لا عسر في فكها، دون أن يضع متلقيه في أتون الحيرة والعجز، فلا ألغاز هنا ولا رموز، فكل الدروب التي يسلكها تحول أي التباس إلى بداهة قائمة، ويمكن في هذا السياق أن نقف عند منتجه بأنها نصوص مفتوحة، لا مداورة فيها ولا غموض، جميعها قائمة على مخاطبة قارئ ضمني يتحول بدوره إلى سارد يسرد مروياتها، بنهاياتها وإضاءاتها، وبكل ما يساعدها على ترتيب كل العلاقات بين وجوه شخصياته، لا ليضع حداً لاسترسالها، بل لفتح ينابيعها تتدفق في كل الأحوال والمصائر.

من يحرق من، هل الحسين الذي يحرق على الخشب حقاً يحرقها، هل هو قادر على تسجيل كل شيء، هل هو قادر على تفسير كل ما لحق العالم من تخلخل واهتزاز بهذا الحرق، أم أن الحقيقة غير ذلك تماماً، بل قد تكون معكوسة، فكل حواراتنا مع وجوهه المحروقة تشي به، تشي بشظاياه المحروقة، ففيه حيز من الواقع والحقيقة تحترق معه، مهما حاول من تحويلها إلى رسومات لوجوه محروقة، فهو يتعامل مع تلك الوجوه لتلك الشخصيات من باب الحوار معها، وترجمة التقاطعات بينه وبينها ليتم حرقها، إن كانت على الخشب، أم كانت في دواخله، فمهما انخرط فيها، فهو لا يجد صعوبة في اكتشاف بعضها على الأقل، وهذا يذكرنا بتفاصيلهم، لا بأسمائهم، وألقابهم، يذكرنا بهيئاتهم وأفعالهم، وبتقاسيمهم بكل مقاطعها، وهذا يجعل الحسين يمارس عملية الحرق بكل وقائعها، فهو يتعامل مع الشخصيات المختارة للحرق بنزعة من النرجسية الواضحة، فثمة هوس كبير للحرق لديه، وهو بالعموم شكل من أشكال إخراج حرائقه هو، وهذا يجعله حاضراً في نصه على نحو دائم، فها هو باسترخاء يتآلف مع شخصياته بطريقة غير محايدة، حتى أنه لا يقوض

علاقاته التقليدية بها، فلا فرار لديه من قيود واقعية وسط بقعة من الحريق، كما لديه استمتاع كبير بهذا الحرق وكأنه يعالج ثآليل وبثور ودمّل قبل أن تتحول إلى أمور خبيثة، أو كأنه يقف أمام جروح مفتوحة بعد أن تم تنظيفها من كل ما تجمع فيها من قيح ودم فاسد، فيسرع ليذر الرمل الساخن عليها، هنا لا يخرج عن المألوف فهو ما زال يتساءل من يحرق من، هل هو الذي يحرق على الخشب، أم أن الخشب يحرق عليه.

زوم صغير:

مهدي داؤود الحسين– وندا يقيم في أربيل.

10-11-1971 / رأس العين – سري كانيه– الحسكة.

قدم العديد من المعارض الفردية، وله الكثير من المشاركات في المعارض الجماعية نذكر منها :

2006 معرض فردي ي المركز الثقافي الفرنسي بدمشق .

2009 معرض فردي في المركز الثقافي بالحسكة.

2010 معرض فردي بركن الدين بدمشق بالتعاون مع المفوضية السامية للاجئين .

2019 معرض فردي في المركز الثقافي برأس العين – سري كانيه.

2024 معرض فردي بقاعة كلكامش في المركز الاجتماعي في عين كاوا بأربيل .

2003 معرض مشترك في المركز الثقافي برأس العين – سري كانيه.

2008 معرض مشترك في المركز الثقافي الروسي بدمشق .

2013 معرض مشترك في فامي مول بأربيل في كردستان العراق .

2021 معرض مشترك في مكتب حزب اليكيتي الكردستاني بأربيل

2022 معرض مشترك في مدرسة فان بأربيل – مام زاوه .

2022 معرض مشترك في صالة ميديا بأربيل .

2022 معرض مشترك في حديقة شمندر بأربيل .

أعمال الفنّان التَّشكيلي مهدي الحسين



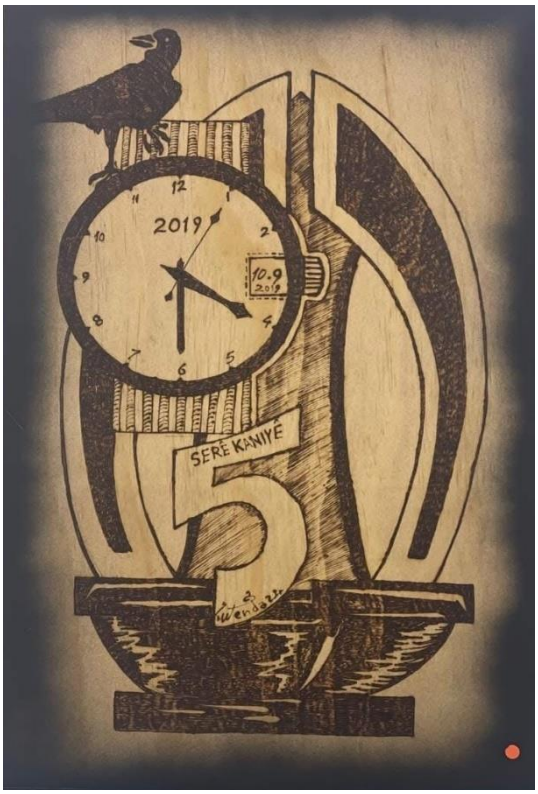
2019
10.9
2019
SERÊ KANIYÊ
5











11- حسن حمام يحرك فضاءاته ويفتت عليها ألوانه كأنه يفتت قطعة موسيقية إلى معانيها



ابن الرقة يلح في اعماله التشكيلية على تقصي البواطن كإلحاحه على تجنب الإبهام الواقعي في أدائه كنوع من سعيه إلى التذويب الفني في الأسلوب.

تصويرات متلاحقة شغوفة بالتخييل

تشكل القراءة التالية محاولة للوقوق على تجربة الفنان التشكيلي والنحات حسن حمام (الرقة 1973)، التجربة التي تمتد لربع قرن وربما أكثر بقليل، وتتجلى هذه القراءة في سعة الدائرة التي تحاول الأخذ منها وبها في سبيل إنتاج رؤية لا تحصر مهمتها في وظيفة ساعي البريد، بل بما يمكن النظر إليها بوصفها أداة تعبيرية، تواصلية مع الآخرين، أو حيثية من الحيثيات التي تنطلق من الذات أولاً، وتشيد عليها فلسفة الإنسان ورؤاه في علاقاته بذاته، وبالوجود ثانياً، لتجيب على أبرز التساؤلات الدائرة حولها، بحيث تبقى هذه الرؤية في حالة السريان لا في الممكنات فحسب، بل في كسوة تلك الممكنات أيضاً التي ترتبط ببعضها ربطاً حكمياً ينتظم بعناية دائمة. فالموجودات إن كانت بعضها معلولات فستصدر عنها معلولات أخرى، وإن كانت بعضها الآخر فيض من الماهيات التي توحي بالميل نحو تجليات متفاوتة، قاصدة لمعلولها، وملتفتة لعلو ذاتها عن ذات المعلول، فلا محال بأنها مريدة ذاتها بعينها، هي كمال المعلول وتمامها، أو بلغة أخرى لا بد من ربط حقيقي بين المعلول والعلة الغائبة، فلو لم يكن بينهما هذا الارتباط الذي يحتفظ بالموجودات الجمالية ككنوز مخفية لما كان حضور الذات هو المقام المنزه عن كل التعيينات، ومن هنا فإن الأمر في المنظومة نفسها لا يعتبر بعداً تراتبياً بين الأشياء في سياق العلاقة المتبادلة فيما بينها أولاً، وبينها وبين تحديداتها الداخلية ثانياً، وإنما بعداً زمكانياً يستبطن معاني وأسرار ودلالات من الممكن إحالتها على آفاق جمالية، معرفية تبصر مستويات الألوان كمفردات بصرية تشكل جملة الحراك الداخلي فيما بين بعضها بعضاً من جهة، وبينها وبين الذات المعتبرة والمتبصرة من جهة ثانية، في ضوء هذه الفكرة ينطلق حسن حمام في عدد لا يحصى من الإتجاهات بشكل تعيينات ملموسة كل منها أشبه بمرآة تشف منها في كل

وضع من أوضاعها، وفي كل حركة من حركاتها، وفي كل شكل أو صورة من أشكالها أو صورها، عن معنى أو دلالة، أو مستوى من مستويات حركات الفعل، والانفعال، تنفتح على بعضها كمقامات لحالات وأشكال تتحقق بها، وتستنير بكل ما يرمز إليها، إشارة إلى كل ما تتكشف عنه وما تشير إليه، فكل شكل حسي، أو صورة، أو فعل من مشهده البصري هو علامة على مقام نفسي، أو مستوى جمالي يشف عنه، وهو مدخله ومرآته، وطريقة تبصره ونفاذه إلى الخفي المستتر، بدلالات أشكاله ومعانيها ومقاصدها وأسرارها، حتى يذهب بها إلى مداها الأرحب، والأبعد غوراً والأعمق مدى، إلى البواطن التي ستكشف له ولنا كل منازلها.

فهو وأقصد حسن حمام يلح في تقصي تلك البواطن كإلحاحه على تجنب الإبهام الواقعي في أدائه كنوع من سعيه إلى التذويب الفني في الأسلوب، فالحقيقة المنشودة لديه ليست الموضوع الوضعي الفكري الذي قد يحمله لعمله الفني، بل هي العمل الفني نفسه كنص جمالي يقوم أساساً على عدم التحديد المكاني، وعلى عدم التحديد الزماني، أو بعبارة أدق فإن أهمية وحقيقة هذه الأعمال الفنية التي أنتجها حمام لا تكمن في مواضيعها بقدر ما تكمن في الأعمال الفنية ذاتها، وهذه ليست إلا إشارة إلى قدرته للامتزاج بينه ككائن إنساني بكامل أحاسيسه ومشاعره، وبين أعماله الفنية، فهو يرويها بأصابعه النازفة المغروسة بها، يصوغ أقفالها، ومفاتيحها بمميزات مماثلة تحمل كل خصائصها، يجعلها تنبئك بأنك أمام مهمة ليست مستحيلة، مهمة عليك أن تجتاز عتباتها أولاً مهما كانت تلك العتبات عالية وشاهقة، ثم تبحث عن فجوة فيها لتلج منها نحو الباب، وحينها قد تضع اصبعك على السر كله، أو على بعضه على الأقل، لتكون أمام انفتاح آخر وعلى الآخر، حيث الشاعرية القاسية التي تحمل كل النقائض، كل المفارقات، من ألم الحياة إلى ألمها، من سعة الحياة إلى ضيقها، دون أن تحتاج إلى أي دليل، ها هي الأعمال الفنية تتابع داخلك لتثبت شيئاً واحداً هو أنك قادر على التقاط تمزقاتها الظاهرة منها والباطنة، فأنت هنا تحتاج إلى لغة تتنفس بها حتى تفصح لك عن مفاتنها التي هي مزيج من مقامات لونية منسجمة، تراعي النسق الذي يوسع الآفاق، لا التي يضيقها، وهذا يقتضي منك كمتلق أن تجمع كل ما يتشظى أمام رؤياك، ومنك كحسن حمام الفنان المنتج أن تمنع أي شرخ في تكويناتك، حتى وإن احتاج الأمر منك أن تقفز إلى ضفة أخرى، وهذا أشبه بتصعيد درامي يؤكد بؤر المغزى، وعدم فقدان المعالم الخاصة به، فهو يشق طريقه بإخلاص وإجتهاد مؤكداً أن هذا الإخلاص وهذا الاجتهاد يكمنان في كل من أسلوبه ومادته، فهو لا يمرر رسائل خاصة عبرها فحسب، بل يحيل متلقيه إلى الدهشة الأولى، دهشة الفرح الأول التي ستكون بمثابة إعادة إنتاج للتعبير غير السائد، بلغتها وحكاياها، بمقولاتها ومؤثراتها، محاولاً الدنو من عوالمها ما أمكن آخذاً بعين الاعتبار الانفتاح على الآخر المختلف تماماً، ليقول بلغة أخرى، لغته الخاصة به، والتي هي بالنهاية لغة أخرى بها يرسم مفرداته هو، فله هوس خاص بالاختلاف، بكل ما يميزه عن غيره، وهو لايؤطر رؤيته السردية أبداً، فهناك دائماً ما يدفعه إلى القيام بخلق أشكال فيها من التداخل السيميائي ما يلفت نظرنا ونحن نغوص في ثنايا نصوصه، أقصد أعماله، وهناك على امتداد عملية الخلق ما يستلهمه، وعلى نحو أخص تلك التأثيرات التاريخية

والإجتماعية والإنسانية التي تشكل علاقاته بذاته وبهويته، وهذا ما يستثمره المبدعون الحقيقيون في خلق جديد يتجاوز سابقه ويتفوق عليه، وإذا كان هذا ما يعلنه حمام بوصفه حقيقة يمضي إليها، يتعين عليه إقرارها ببساطة، ويبدو أنه يهتم بذلك، إن كان بخصوصية أسلوبية وبنائية، أو بموضوعاته الإنسانية بكل أوجاعها وتعبها ومعاناتها، فلا يصعب عليه أن يفجرها جمالياً، كاشفاً عنها في غير قليل من الحالات .

من جهة أخرى لا يزال حسن حمام يسعى في هذا الإتجاه حيناً، وحيناً يبحث عن آفاق جديدة بنسق جديد، ليبث تصويراته بكل تفاصيلها، بكل موسيقاها، فهو غير عاجز عن البيان والافصاح في هذا الحقل، بل يكسيها بفهمه، وبمقارباته الدلالية المتخفية، يكسيها بلغته بكل أنغامها وأصواتها، وبهويته بكل ما توحي بتوجهها العاطفي والفكري، فهو يحرك فضاءاته، ويفتت عليها ألوانه كأنه يفتت قطعة موسيقية إلى معانيها دون حصرها، ولا يعني له ذلك القيام بنقل تلك الفضاءات من محتوى إلى آخر، ومن أفق معرفي يتساءل هو مع متلقيه هل بإمكانهما أن يستوعبا مقولاتها، إلى أفق جمالي له الدور الحاسم في تشكيل الذوق البصري لذلك المتلقي، فهو هنا لا يخلط الأوراق مهما بدت له كلاسيكيتها، ولا يكتفي باستعاب الأشياء ومظاهرها، فهو يجمع بين الرؤى المختلفة، بين اللغة المحايدة واللغة الشعرية المتدفقة، دون أن يتورط في الوقوع بين هواجسهما، فهو في النتيجة ينشىء، وينمي، ويطور مشهده البصري التجريبي من بداية سردياته إلى منتهاها مركزاً على مفردات يسترعي انتباهه وانتباهنا أيضاً، إن كانت في ألوانها أو في أشكالها، أو في هندسة مساحاتها، أو في اختلاف تكويناتها، فالتجريب إذا كان بمعناه الواسع لا يخص فناناً بعينه، ولا مرحلة زمنية بعينها، فهو سعي دائم ومتواصل إلى/ نحو الكشف والابتكار، ويرسم صوراً مختلفة هي مقومات صارخة لمدوناته التجريبية التي يعتمدها، والتي تتبلور وهي تقدم نفسها ونستشف من ذلك، ومن توزيع أنفاس نصوصه وتقطعها إلى التساؤل التالي: ما أثر هذا التجريب عليه، وعلى التداخل الحاصل بين تصنيفاته، وما هو نظام القراءة الذي سيشفع لنصوصه ونحن نقترب منها، فالغاية هنا هي إيجاد حوار فيما بينها وبين الوسائط كلها، فكل نتيجة ستكون هي الوسيلة لايصال دلالاتها التي تستوجب بالضرورة تكثيفها بصرياً.

سبق قلتها كثيراً بأن أبناء الفرات لهم ما يميزهم، والمبدعون منهم على نحو خاص، والتشكيليون على نحو أخص، يلف المكان بهم، يساعدهم على إثارة الخيال، واستعادة الذكريات بتفاصيلها، والقبض على مساءات فيها يمشط القمر روحه على مرآة الفرات، حاملاً باقة ورد لعاشقة تفترش الضفة الثانية لهذا النهر العذب، المثير، الذي يختلس منه العشاق، والفنانون، والشعراء رقته، وزرقته، وصفاء قلبه، وحسن حمام ابن هذا النهر، يعوم فيه، يستنطقه قبل أن يمسكه من سريرته، قبل أن يتمكن منه ويتسلل إلى نفسيته، تلك النفسية النقية جداً، فينقل مشاعره، ويكشف عن تفاصيل صغيرة من حياته تعود به إلى الزمن الذي كان، إلى زمن الطفولة، وهذه اللحظات الاستذكارية تعد محاولة للتخلص من الواقع المؤلم الذي بات يطوق البلاد، فيلجأ حمام إلى ذاكرته تلك، البعيدة نوعاً ما، ليحتمي بدفئها حين يجد نفسه مع الآخرين من أبناء جلدته محاطين بالقهر والاضطهاد، والظلم، وأفعالها، فظلمة الحياة، والخراب الذي يلف المكان يساعد الفنان على إثارة خياله، واستنطاق اللحظات بلمسات جديدة تعيدها إلى حاضرها، وينزع الحجاب عنها، يحررها تماماً، فهو

على دراية مطلقة بأن الحرية مقدسة أينما كانت، وغالية جداً، وعند المبدعين على نحو أكثر، ينحاز إليها مبدعنا، وفناننا حسن حمام، حريصاً على مظاهرها، شاقاً الطريق نحو الآفاق الواسعة، متحدياً الصعوبات التي قد تطرح وتلد هنا وهناك، فهو يعمل على اقحام هويته الفنية في فعله الإبداعي، مدافعاً بها عن أوجاعه وأوجاع ناسه، وأوجاع المكان الذي ينتمي إليه، هي تغريبة سورية، تغريبة رقاوية يخلص لها، بألوانه وريشته، بأزميله وحجره، بمشاعره وأحاسيسه، يطرحها بقدرته العالية على الانفعال بالمتخيل، والمجنح، يطرحها في علاقتها بالتحديات التوصيفية التي يمكنه الوصول بها إلى أسئلة تبحث عن أجوبتها في تحليل أثرها الممزوج مزجاً ايقاعياً بامكاناته الإجرائية، التي ستوضح بدورها الأثر الذي سيخلفه منجزه الإبداعي في النفس الذواقة، والتائقة دوماً للاستمتاع بها وبقدراته الفنية المتجاوزة لذاتها، لأنها تتلمس من عدة أنظمة سيميائية تختلف في طرائق الوصول، وحمام يتتبع الحدث لا ليخاطب بها متلقيه فحسب، بل لتحويله إلى مشهد فني بلغته الخاصة التي تظهر في توأم متحيز ومتميز مع تصويراته المتلاحقة الشغوفة بالتخييل لديه.

زوم صغير:

من مواليد قرية كسرة مربيط بالرقة 1973، بدأت علاقته مع الفن مذ كان صغيراً، في المرحلة الإبتدائية.

درس في كلية الفنون الجميلة بدمشق، ونخرج منها عام 1998 / قسم النحت.

في عام 2000 سافر إلى السعودية، ليعمل في التعليم إلى الآن.

وهو عضو إتحاد الفنانين التشكيليين في سورية ، شارك في أول سيمبوزيوم للنحت في سورية عام 1998 ، له العديد من المعارض الفردية والمشتركة.

ونفذ الحمام الكثير من الأعمال النحتية والفنية في كل من سورية وسعودية.

وبعض أعماله منتقاة في كل من سورية والسعودية ولبنان والاردن وفرنسا...

أعمال الفنّان التَّشكيلي حسن حمام












18/10/2022 20:58



12 . ميسون علم الدين

شهد ميسون علم الدين تنزوي خلف شفاه الأسئلة



إذا كان الجمال لا يتحقق إلا بالخلق، فابنة الجبل الجنوبي الأشم تتقن عملية الخلق جيداً، فهي في متناول إدراك حواسها، ترصدها، وتراقبها، وتعيشها لتخرجها فيما بعد إلى منازلها، إلى مراعيها، إلى بياضها.

تحتمي بالطبيعة وأساطيرها

في مادة سابقة كتبت عن أعمالها، كان ذلك قبل عقد من الزمن أو ربما أكثر، قلت في ختامها بأن مستقبل مشروعها مبني على إكتشافات الذات، وغاباتها بمجمل تفاصيلها، وبأن هذا يتطلب منها أن تعيش حالة من التواصل، أي أن تكون في حالة بحث متواصل ودائم، فكانت أمينة لذلك، ورغم الخراب الذي لاحق ويلاحق الحياة من كل مفاصلها إلا أنها أرست لنفسها مستوى من الخطاب الجمالي كظاهرة تخصها هي فقط، وتمارس فيها وبها مجموعة متشابكة ومتداخلة من التداعيات التي ستقف وراء صعودها غير المفاجيء، بل المتوقع في ظل الآفاق التي رسمتها لنفسها لتمضي إليها، وكانت لا بد أن تكون حاضرة، ومثابرة على الدوام لتصل بالشكل الذي تبغيه هي، فالبناء بناؤها، وإمكانيات التجديد والتغيير فيه تخصها هي وحدها، وتشهد على دعمها له باندلاعها فيه كل مخزونها من الأفكار والقيم، وتذهب إلى أبعد الحدود في توظيف مفاهيمها، إن كان بعدم الانفصام الملحوظ بين الواقع وظله، أو بين المسميات القيمية بألوانها المختلفة، فهي تجد تفسيراً لذلك لا كعزاء لمشكلة اللحاق بحياة لا قلب لها، بل لما تتركه تلك الحياة خلفها من خيبات واسعة، وآمال مكسورة، فهي تلامس منظومة المعايير والعلاقات في معظم حركاتها التي تتمثل بلجوئها إلى التفاعل مع أسبابها الداخلية بالأساس، فتراجع نفوذ الفرح لا يجعلها تنشغل به كقضية، بل هي تركز على

نحو متزايد على التلاوين المختلفة فيها، في ظل غياب التنمية الثقافية، وترتبط بعلاقة عكسية مع النتائج التي قد تظهر لها كنقيض لوعي جمعي يمضي نحو إنهياراته.

فميسون علم الدين التي تمتد بجذورها إلى الجبل الجنوبي الأشم، والتي مازالت تعيش وتتنفس بين جوانحه، تحرص على الاحتفاظ بمنطقها، ومنطلقها، فهي تحمل مشروعاً فنياً، جمالياً معيناً، يتسم بالتغلغل في فهمها هي، وبالسعي في السيطرة على قراراتها هي، فهي منخرطة في برنامج غير محدد تعمل جاهدة على ضرورة تجاوزه، إذ لا يكفي أن يكون الوضع مهيأ للتغيير، بل لا بد من توفر أدوات بها تسند هذا التغيير دون أن يكون هناك ما يفقدها من نشوة إنجازاتها، فهي مدركة لمؤشراتها الأولية التي ستظهر نجاحاتها، كما أنها مدركة لمسارها الذي إتخذته فيما بعد كإتجاه مختلف تبرز حضورها فيه، فهي تستحوث على أدواتها التي ستحارب بها، أقصد التي ستشتغل بها وعليها، فهي تنتمي إلى المسار الذي يشي بالإنفجار في كل حين، وعلى مدار الإنجاز والصعود، وكما هو معروف فهذا ليس اختياراً، بل هي دعوة للمضي نحو ما يمكن تحقيقه، لا على شكل ما هو سائد، بل على شكل مغاير يحمل كل رسائله في ذاته، وفي السياق المعمق لإلتقاط حيثيات المشهد تنجح في تصويره وتبدع فيه بحكم ما تحمله من طموحات باتت مطلة على حالة إشعال الشموع، وبحكم تلك التداعيات الحسية التي منها ستنطلق لتفرض نشيدها الذي طالما غردته وهي تقترب من الخيال في هذا الزمن، زمن الحرب والقمع، في الزمن المغبر حتى من تلابيب روحه، فهي تنسج نصها البصري الذي لا ينتمي في الوصف إلا لشيء، لعالم الإحساس بأهمية وضرورة أن تختلط فيه الواقع بالخيال، الأسود بالأبيض، جدار الرسم بجدار الأرض، ففي الوقت التي تبحث فيه عن ثيمة تكون مفتاح صولها، تكون الإنسانية حالات من النوازع اعترتها صور وحالات تقوم ميسون بتعريتها وتجريدها مما عليها من أقنعة زائفة بلغة مكشوفة يتقبلها القارىء وكأنها تقص عليه تاريخ المكان وجماله من جهة، أو كأنها تسرد سيرته الذاتية التي هي سيرة الطبيعة أولاً وآخراً بغية هتك أسرارها .

ميسون علم الدين فنانة تشكيلية، تتوطد اللحظات، لحظة بعد أخرى بين أصابعها، تلك الأصابع التي تمدها نحو الفضاءات، وكأنها تبحث عن فراشات تلعب وحيدة، فتظهر وتغيب لتصافحها قبل أن تتيه بها الطريق، ووفقاً لهذا التصور فهي تمتلك الخبرة المتخصصة في تقييم أدائها، وذلك بوضع منهجية للمستوى التي تشتغل عليها، فتوضح المفاهيم وطرق مؤشراتها الرئيسية، مكرسة كل طاقاتها للمستوى الكلي للتأكد من دقة بياناتها وحداثتها، وذلك للتعرف إلى مدى أهدافها، ومحدداتها، وأولياتها، فأسلوب عملها ومستويات التنسيق فيما بين مفرداتها، إن كان عمودياً، أو أفقياً، والتخطيط السليم والمرن مع توفير المستلزمات الضرورية تمهد الطريق لمتابعة تنفيذ سليمة، والعكس بالعكس أيضا، فميسون لا تتجنب المخاطر الناشئة عن التقلبات المحتملة، فهي تعيش حالة اليقين لأسباب ليست خارجة عن العوامل المتعلقة بإسهاماتها المنتجة، وإن كان على المدى البعيد، وتعمل على صناعة الاحتمالات التي من الممكن أن تتسلح بها وهي تواجه أعمالها، فهي يقظة في تشكيل منظومة متكاملة، متوائمة إلى حد ما، تأخذ منها المؤثرات التي تجعل ألوانها لا تهدأ، ففيها من الحركة ما تدفعها للقيام بتنظيمها، ليبدأ المشهد منزوياً خلف شفاه الأسئلة، وهو يترقب في لهفة

بوابات الروح، وهي تفتح أنهارها لتسافر في الحكايات تاركة النعمة الكبرى فيها، من غناء وأشجار وضوء، ومن الشهقة وهي تبعث من جديد .

مرة أخرى نكون في حضرة أعمال ميسون علم الدين، وهي تحتمي بالطبيعة وأساطيرها، وما تحمله من جمال ودواء، وهي، وأقصد الطبيعة لا تخذل ريشة ميسون، ولا تخونها، بل تهيء لها الأرضية التي على أديمها ستفرش ألوانها، وستحملها لتنقلها من المعلوم والواقعي إلى الخيالي، فالخيالي حين يحضر ويتوسط حدث الانتقال ذاك يصبح دالاً على أنه يضعنا على عتبات النماء والوفرة والخصب، وميسون على وعي بالوسائل التي تستخدمها، والتي ستفي حاجاتها، وبالتالي حاجات المتلقي أيضاً وعلى نحو أخص في فهم مقاصدها ودلالاتها التي تتعاضد مع رغباتها في جعل نصها مشهداً يفتح مجراه على إتجهات كبيرة، ستكون في البداية نوعاً من الترحال في النص ذاته، والإصغاء إليه، وتلقف خطابه، سواء أكان ذلك الترحال وليد فعل إستدعاء لإغناء المجرى، أم وليد تجليات في شكل اتكاء على لحظات يقظة ونشطة.

قلت ستكون في البداية نوعاً من الترحال، ثم يمتثل للفتوحات وأسفارها حتى يرتاد آفاقاً لم تفكر بها ميسون، بل وجدت ذاتها تقتحمها وهي في أشد اللحظات أصالة، وإبداعاً، إذ حالما تبلغها حتى يفتتن أحدهما بأخرى، ليصبح الحدث اندفاعاً نحو الخلق، لا يكل، ولا يمل، ولا يتعب، وميسون لا تكتفي باستدعاء الطبيعة أو رسمها، بل تضعنا في حضرة ما تخفى في أصقاعها من صراع وجدل، من جمال وذهول، فتلتقط الظواهر والأحداث حتى تمكننا من المثول في تلك الأقاصي التي يبدو فيها كل شيء على حقيقته بإعتبارها جزءاً من حركة لا تكل، ولا تعرف الأناة ولا التوقف، فنصها حالما يبلغ هذه الرحاب، ويطال تلك الذرى حتى تصبح جزءاً منه، جزءاً من تلك الحركة، يحيل إليها ويسهم فيها، فالنتيجة فيها من الإغناء للروح ما يجعل هذه الروح تمتثل وتهتدي بمقرراتها، ولا بد من الإشارة هنا أيضاً بأن ميسون تعمد إلى إستخدام الوسائل التي تقي نصها من التلاشي، وأقصد التلاشي في الطبيعة، فهي تلجأ أحياناً إلى تقنية قسرية كالنفاذ إلى دواخل النص بكسر الحدث واحتوائه، للإفلات من سلطانها، وهذا ما يجعلها تدفع بمتلقيها إلى داخل ذلك الحيز الدقيق الممتد في الفلوات، ليحيط بمنجزاته ويرصد لحظاته، النشطة منها، والوهنه، وذلك عن طريق الإصغاء له، بكيفيات متفاوتة، منها ما يخص مقولة الجمال وحضوره في النص، ومدى استجابته لمتطلبات اللحظة وهي تتنزل في دائرة الخلق . ولهذا كل ما يورده نصها البصري من حديث وصور وتعابير ودلالات يمكن لملمة شظاياها المبعثرة لتحضر في شكل ومضات، فيها تتعالق وتتشابك تلك الصور، وتلك التعابير، وتلك الدلالات معاً، وكأنها على وشك أن تتجسد في عرس للطبيعة، فيها تتراقص العلاقات النصية جميعها من بناء، وألوان، وأشجار وأنهار، وموسيقا وأغان تحيلنا بدورها إلى علاقات من التجاور معها كإيقاع للمكونات التي تستدعي شروط الإنتاج والانتشار، وهكذا يتضح كيف يستعيد النص البصري رؤيته البيانية، وكيف يطال الذرى الجمالية، فعليه يعول الكثير من الكلام، والكثير من الإبانة والإفهام، إبانة الغامض وقياسه .

تنطلق ميسون علم الدين في رحاب مشروعها بدءاً من البؤر التي تتقاطع فيها البدايات مع النهايات ولكن دون تنابذات ،بل تتزامن على نحو معاصر، وكأنها تلغي التعاقبات، وتمسك بلحظات محددة في سلمه،

أقصد في سلّم النص الذي بوسعه أن يمارس سلطانه العاتي في صميمه وجوهره، وهذا ما يمكن أن نسميه زمن النص، الزمن الخاص الذي يبنيه النص لنفسه، الزمن الذي يتسم بالعودة إلى نفسه، إلى بداياته المفتوحة على نهاياته، ونهاياته المشرعة على بداياته، وثمة افتتان بذلك الخيط الرفيع الذي يكاد يضيع بين الحدود، وهي تتلو ألوان الصلوات، والممتد في النبوءات التي ترتقي بتلك اللحظات الملتقطة وتشكلها، وميسون تجزم أنها تقتفي أثر الأرض، والأشجار، والأنهار، والفراشات، وهي رموز نمطية عليها تنام بين ما خلقه الرب في محاور الفراغ، وما أنجزه الفكر البشري من أوجه صور متمردة، تبحث عن منشئها بين الذئاب، تقتفي ذلك الأثر لتلغي الزمن الميقاتي وتعود على نحو غير مشروط بزمنها هي، قلت تنطلق فنانتنا ميسون في رحاب مشروعها بدءاً من البؤر، وتقوم بعمليات التراتب بين مكونات النص وعناصره حتى ترتاد العتبات بصخب وعصف حيناً، وحيناً بغرس الحنين المحمل بالوجود أو ما تبقى من هذا الوجود ما لم ينحدر بعد، فالجسر يسري للمجهول، وإن كانت القصبات ترسم أسواراً تحيط بها، وما يهمنا هنا أساساً هو معرفة ماهية الأشياء التي تحقق ميسون إقترابها منها، وكذلك كيفيتها، وإذا اعتبرنا لغتها هي إحدى تلك الكيفيات فبها، وفيها تكشف الوجود عن ذاتها، أو قد تحجبها في الوقت ذاته، ويتحول ما كان شكلاً، ومظهراً في البداية إلى جوهر الذي يأخذ في العمل كماهية، فميسون تفطن بأن التصورات مهما كانت عميقة لا تستباح لها بطردها من دائرة عملية الخلق لديها، كي لا تمضي بها إلى حتفها، وههنا بالضبط من المفروض أن تلعب ميسون لعبتها الأجمل، اللعبة التي تكون في أشد أدواره خطورة، من جهة كونه فعل بصري وإصغائي في الوقت نفسه وفق أنساق بموجبها تحرر ميسون معانيها من لغتها التي قد تكبلها في بعض الأحيان، فكان منها لا بد أن تدعها تذهب في مهب الدلالات، زاخرة بها، طافحة بالحياة .

ميسون علم الدين تدرك بأن للعمل الفني تاريخه، وسجاله، ومداه، وبأنه من الطبيعي أن يقاد توجهه إلى إحياء أسئلة جديدة، وبأن الإجابة عليها هي طريقة من الطرق الجديدة التي وفقها يصمد الفنان طيلة فترة شروعه في عملية الخلق للمضي على درب تأسيس نمط من الإنجاز، وهذا يدفعه أن يكون مغايراً مع نفسه قبل أن يكون مغايراً مع منجزه الفني الذي هو نص سيلاحظ عليه التغيير بالضرورة طالما طرأ عليه التغيير اللازم، لا في نظام المعنى فحسب، بل بكيفيات إنتاجه، للجري لاحقاً وإنتشاله من الدروب المقفلة، فميسون منفتحة على ذلك كله، وتطالب منجزها دائماً ألا يطاله الضيم في الصميم، وألا يكون خادماً، ومطيعاً، لا لها، ولا لمتلقيها، فهي وفي لحظة حلولها في فضائه تلوذ بالصمت، ففي ذلك نوع من الهدنة الجميلة بينهما، لا تهريب، ولا مكائد، ولا هروب هنا، ولا مآزق بينهما، وحدها عملية الانفتاح تحتمي بالآفاق وبالطرق المؤدية، والمفتوحة إليها، تلوذ بالصمت، ليحتفظ منجزها بحرارته، فهو جزء من هذا العالم، علاقة وصيرورة، مأخوذاً بمقولات لا سلطان عليها، بمقولات يطالها التبدل والتحول ليفي بحاجات معاصرة تهفو إلى الإحياء واقتفاء الأثر، نعم تلوذ بالصمت لتكون حرة وهي تتحرك في مناطق الاستكشاف، فتفعل فعل التنامي لتذهب بكل أريحية إلى فعل الإبداع، وكأن لسان حالها، ولسان منجزها تقولان كلمتهما، بأن الفن إما أن يكون مختلفاً، ومغايراً، أو لا يكون، مؤكدة بذلك تصورها لمنجزها كنص إحيائي، وإيحائي، منعتقاً من طرائق

تصريف الألوان وإجراءاتها، بطاقة خلاقة تشعل المشاعر والأحاسيس كترنيمة البلابل، وخرير الجداول، وقصف الرعد، مستعملة رموزاً لعوالم باتت تنسحب إلى هوامش الحياة .

إذا كان الجمال لا يتحقق إلا بالخلق، فميسون علم الدين تتقن عملية الخلق جيداً، فهي في متناول إدراك حواسها، ترصدها، وتراقبها، وتعيشها لتخرجها فيما بعد إلى منازلها، إلى مراعيها، إلى بياضها، فهذا الإرتباط بينهما فيه من الذاتية الشيء الكثير، وبغض النظر عن النعمة والمتعة التي تمنحها، فهي مرتبطة بملكات نفسية يمكن وصفها بخاصية البحث عن الحقيقة المرتبطة بالباطن أولاً، وبالخارج ثانياً، وبناء على ذلك، وعلى ضوء مشهدياتها، والجهد المبذول في خلقها، يمكن تحديد تأويلاتها دون أن تفقد دلالاتها الحقيقية، فميسون تتلمس فيض من فيوضات منظومة جمالية شاملة تتأسس على عناصر الجمال الطبيعي كلها الموجودة في الطبيعة، ولهذا كانت الطبيعة ملاذها، رغم تجربتها الطويلة مع وجوه مسكونة بالحيرة، بالتيه، بالزمن المفرد، قد نأتي إلى قراءة تلك الوجوه، تلك التجربة في قراءة خاصة، نعم كانت الطبيعة ملاذها، مدركة أنها أكثر المحاضر الملكوتية التي تقربها من دوائر الجمال غير الخاضعة للقوانين المادية التي قد تخضع التجربة في حالة من الانكسار، فالوقوف هنا على إشكالية موقعها من مسألة الجمال الطبيعي تضع تجربتها بالضرورة على طاولة البحث، فهي تراعي تقاطع المسافات المعرفية، مع المسافات الجمالية بمعطيات واردة في عمليات خوضها لهذا المضمار، ففي أبعاد ألوانها كل الدلالات لجهة ربطها بالمواضيع الحسية، فكل مفاصل منجزها تبعث السرور في الأشجار، والأنهار، وفي الطبيعة كلها على نحو عام، وبالتالي تبعث السرور أيضاً كتفسير معياري إلى النفس، نفس القائم بالبحث عن عن مفهوم الجمال، وإستحضار كل المرادفات التي قد لا تصيب حقيقة المعنى المقصود، وقد تصيب صميمها .

زوم صغير:

ميسون علم الدين

من مواليد مدينة السويداء في سورية .

خريجة معهد متوسط، فنون نسوية .

عملت مدرسة لتصميم الأزياء لسنوات طويلة .

متفرغة للعمل الفني .

عضو إتحاد الفنانين التشكيليين منذ عام 2004 .

كان معرضها الفردي الأول في المركز الثقافي في (أبو رمان) عام 2003، ثم تتالت معارضها الفردية الأخرى في كل من دمشق وبيروت .

لها مشاركات ثنائية وجماعية كثيرة، داخل القطر وخارجه.

أعمال الفنَّانة التَّشكيليّة ميسون

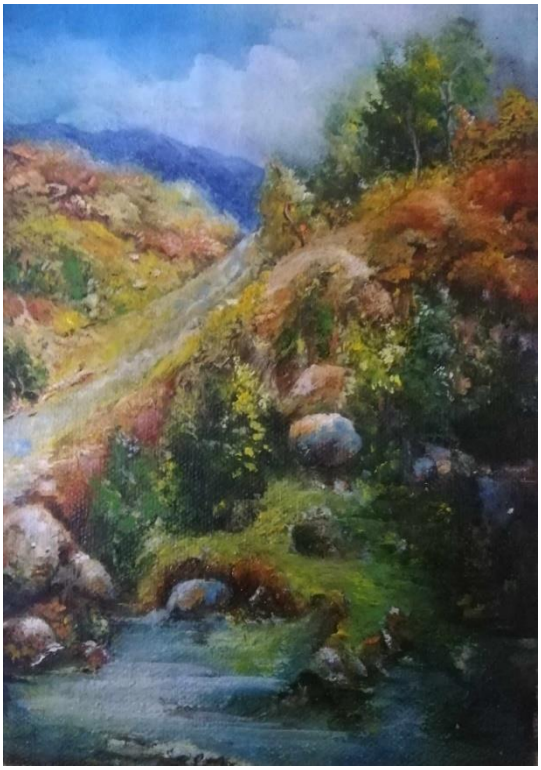

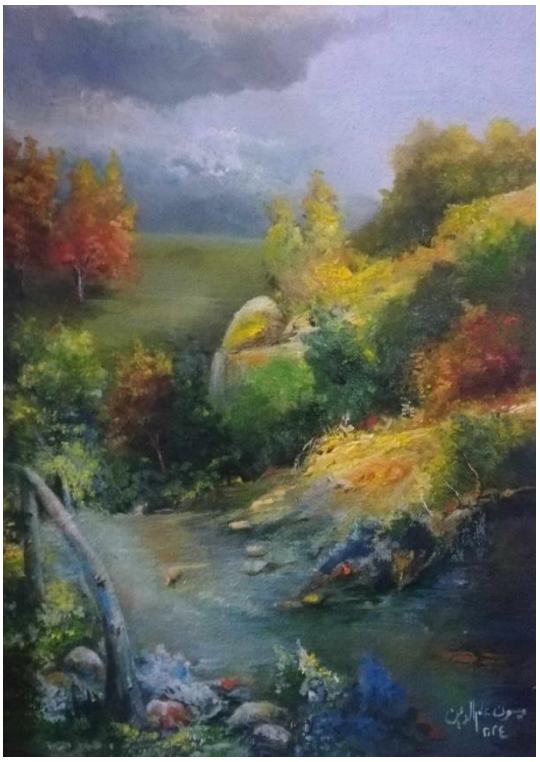

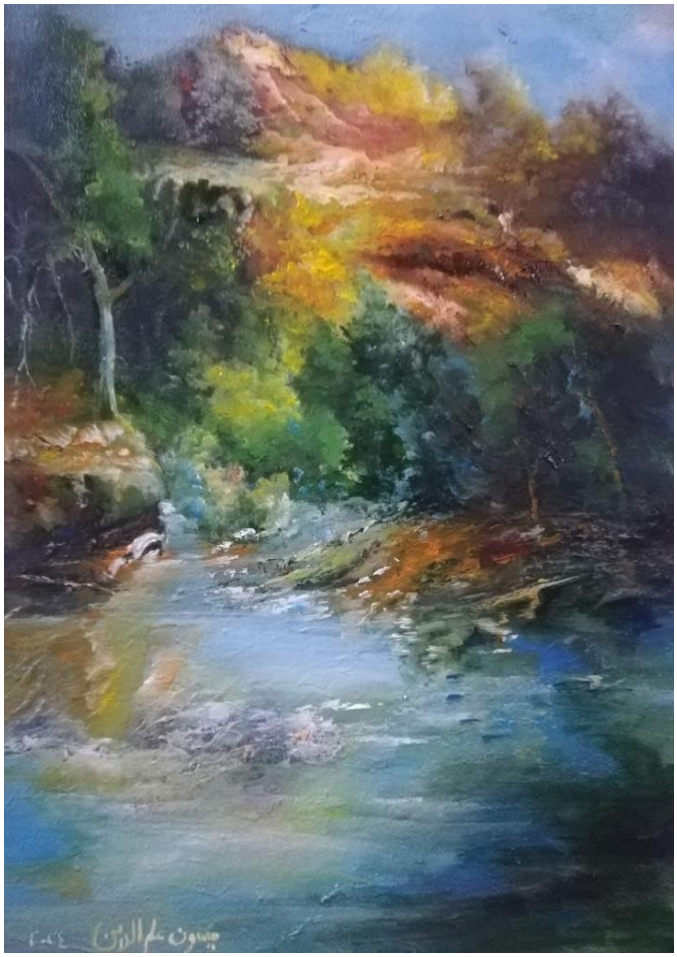





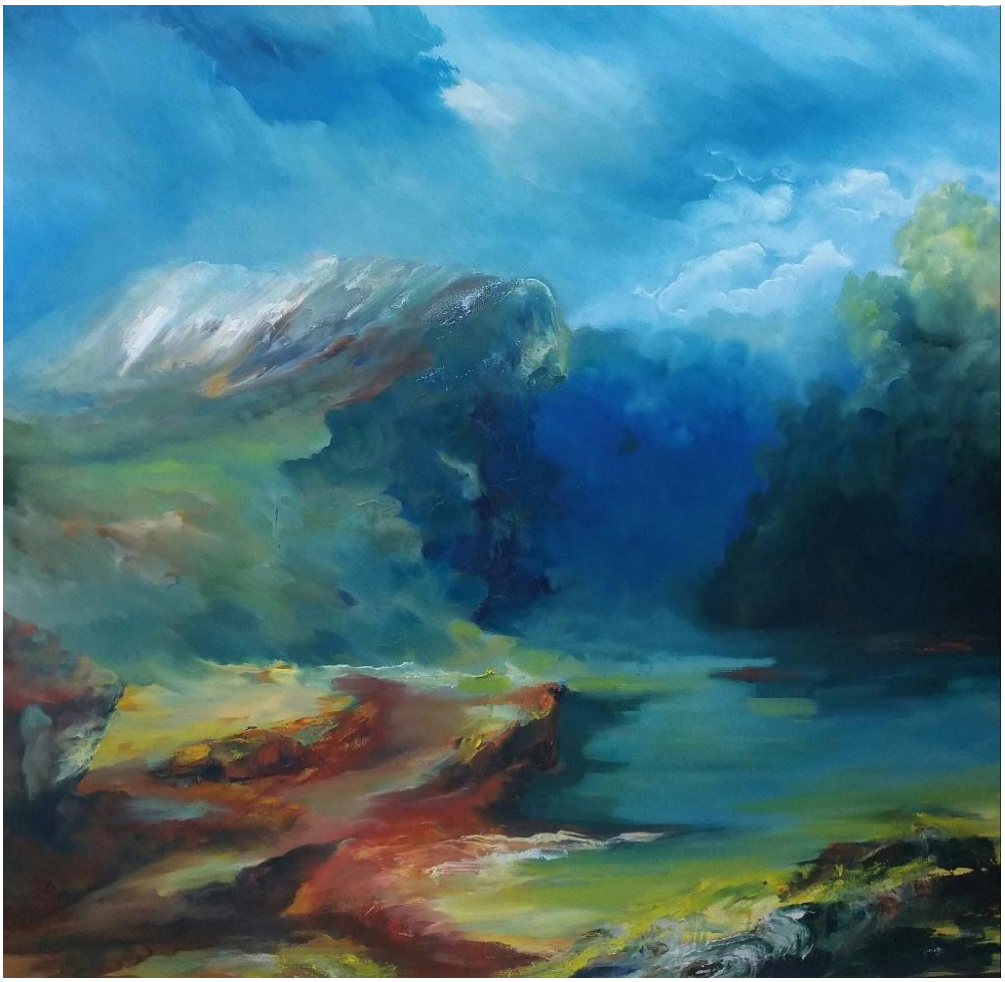



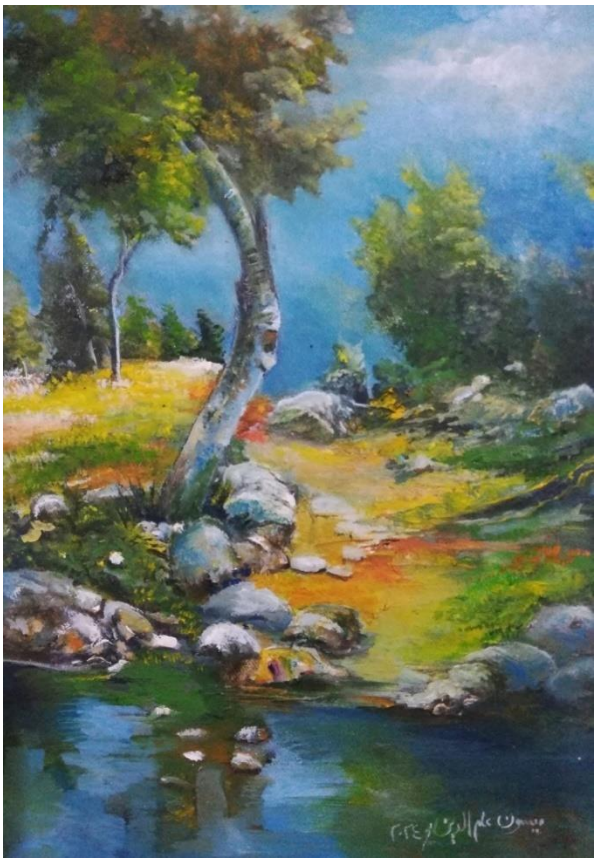



التشكيل الفردي



1. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري نزار صابور

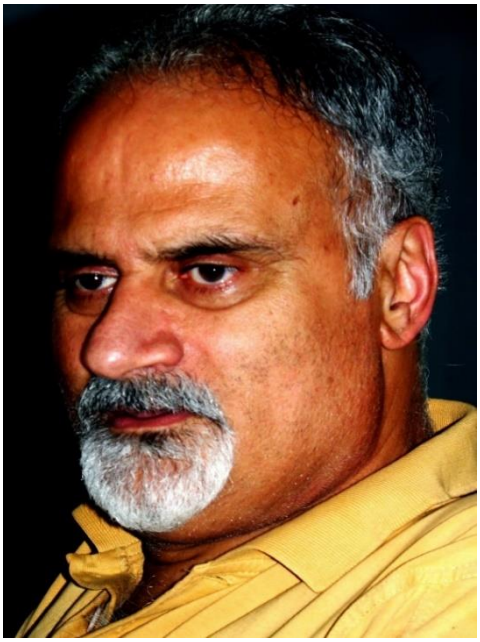

أعمال الفنَّان التَّشكيلي د. نزار صابور





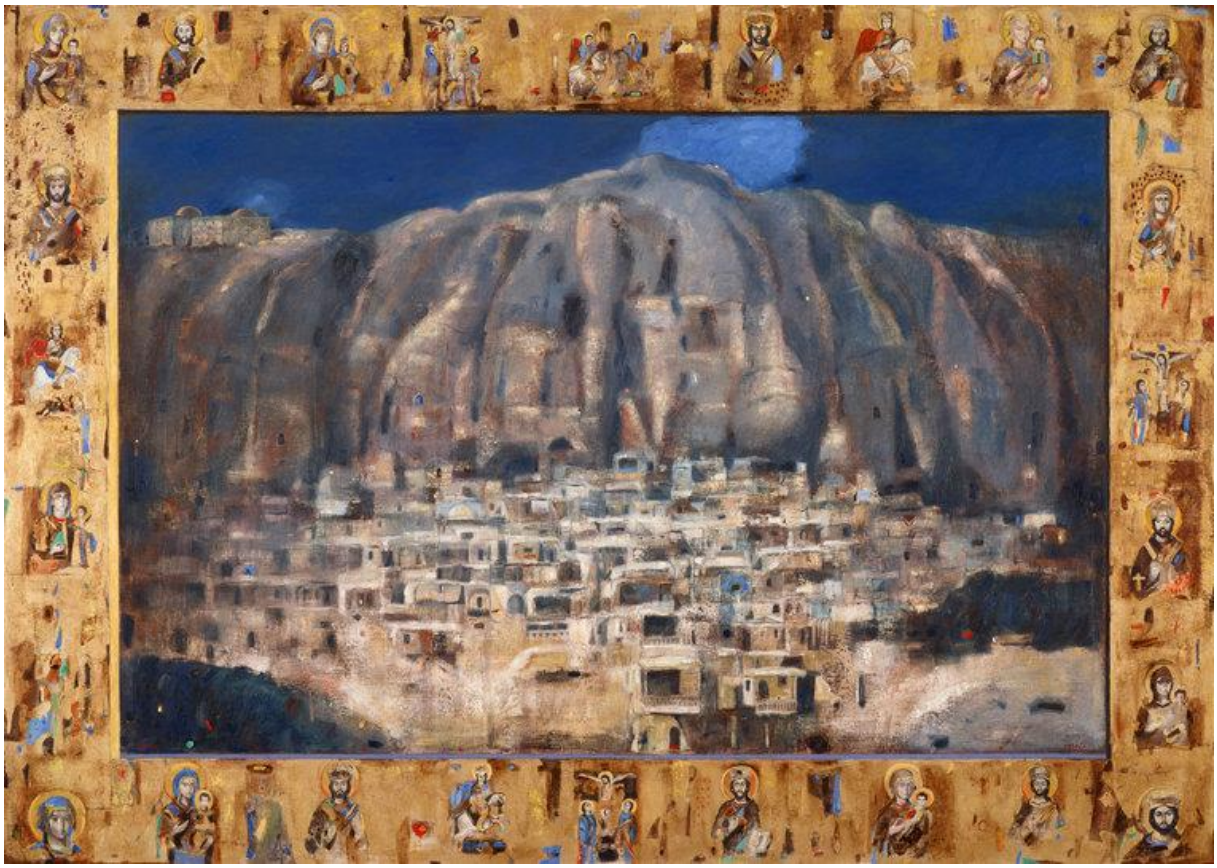


SABOUR











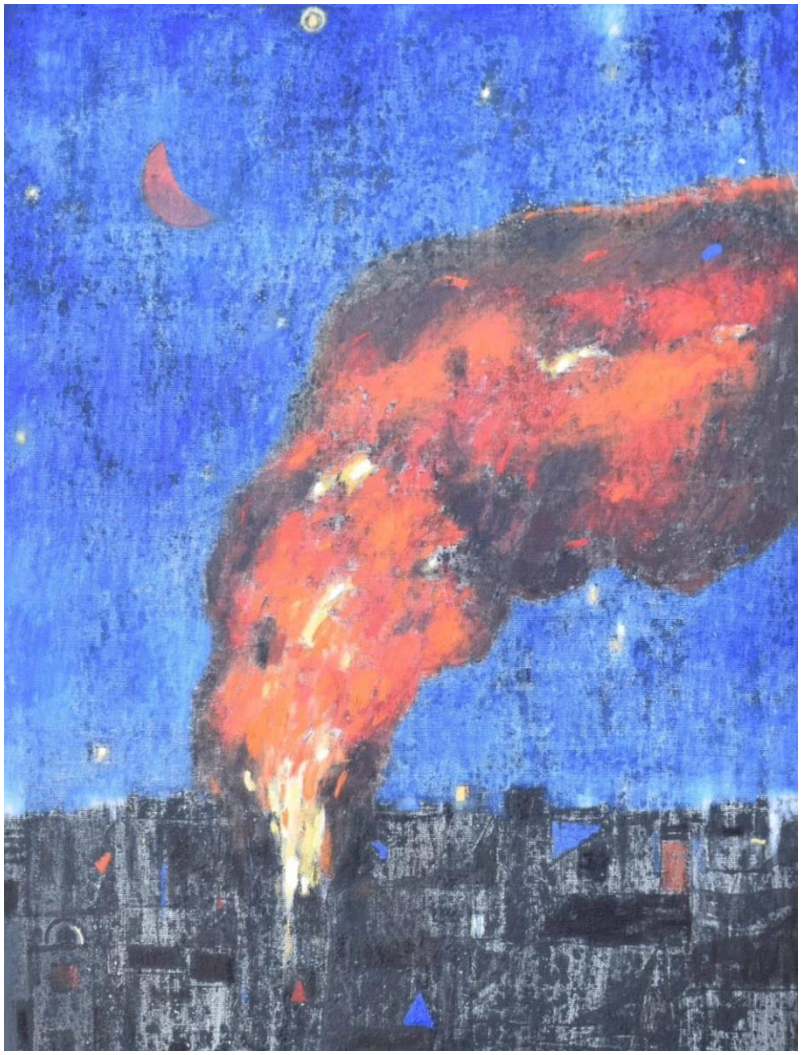





2. الفنّان التّشكيلي السُّوري يعقوب جوخدار



أعمال الفنّان التّشكيلي يعقوب جوخدار





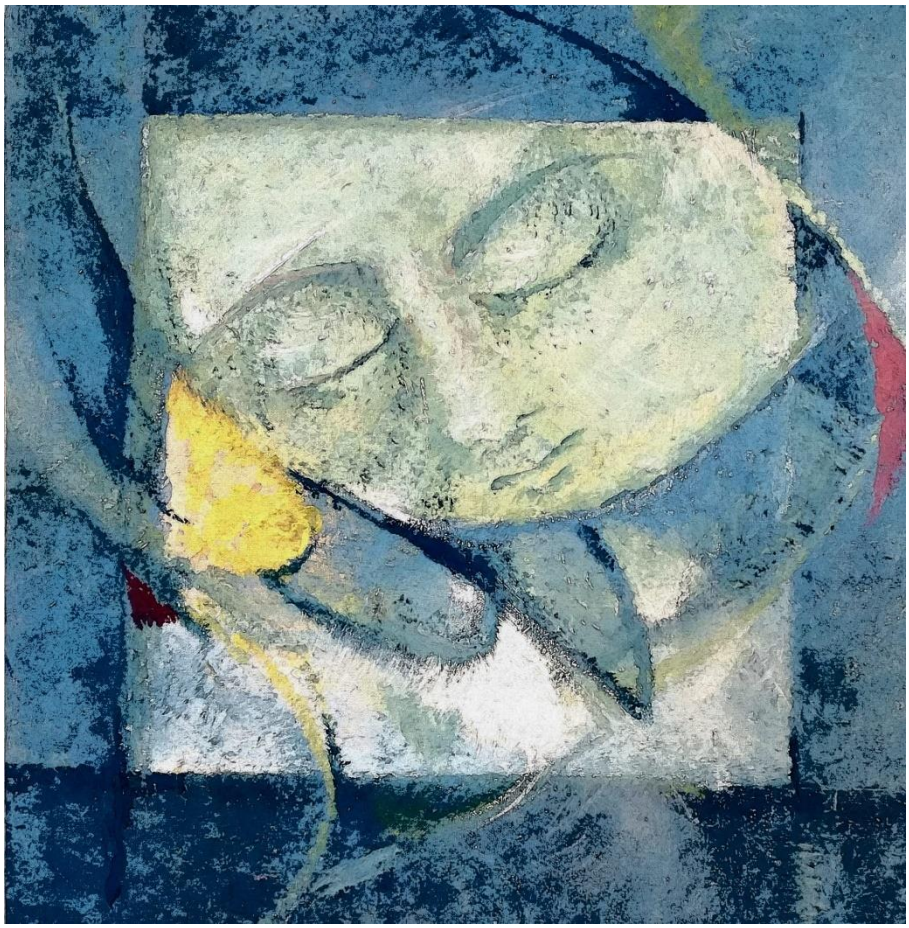

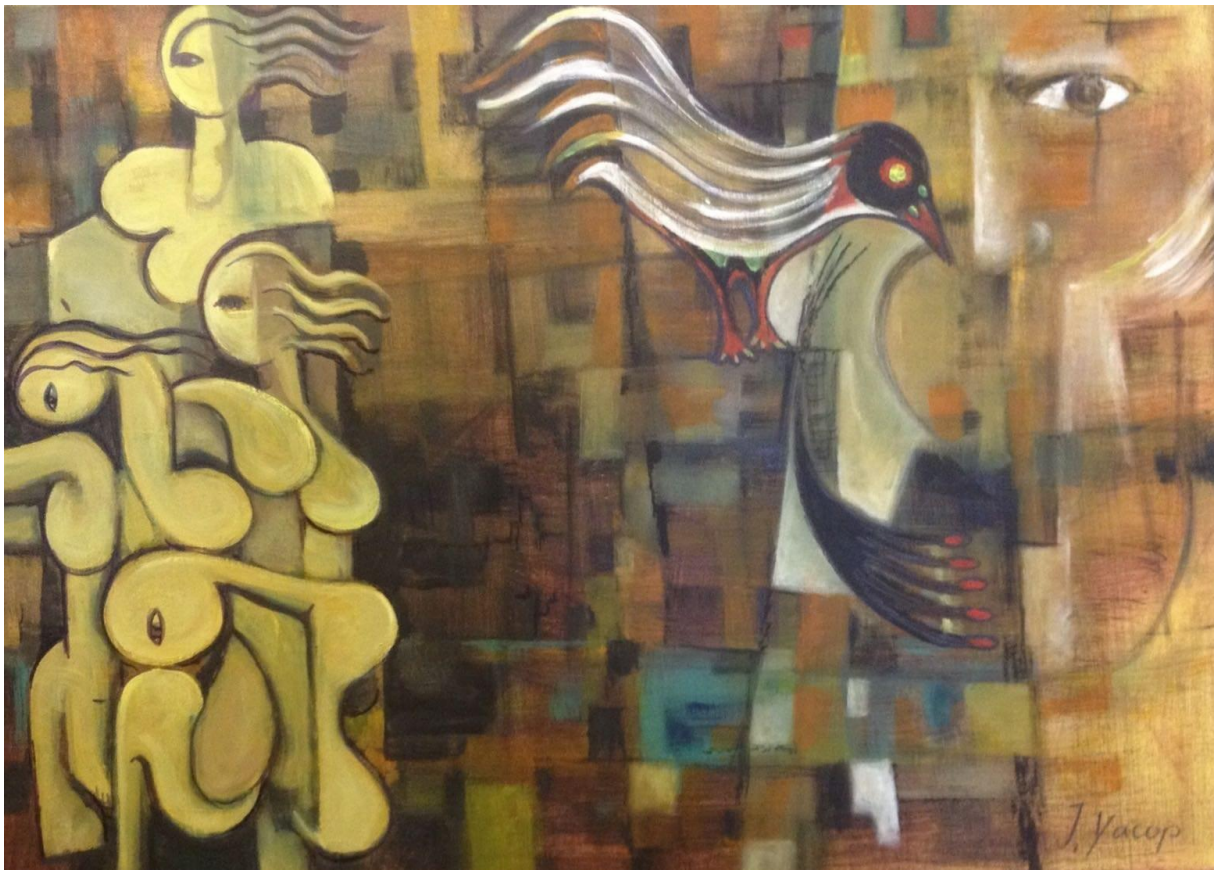
J. Yacop

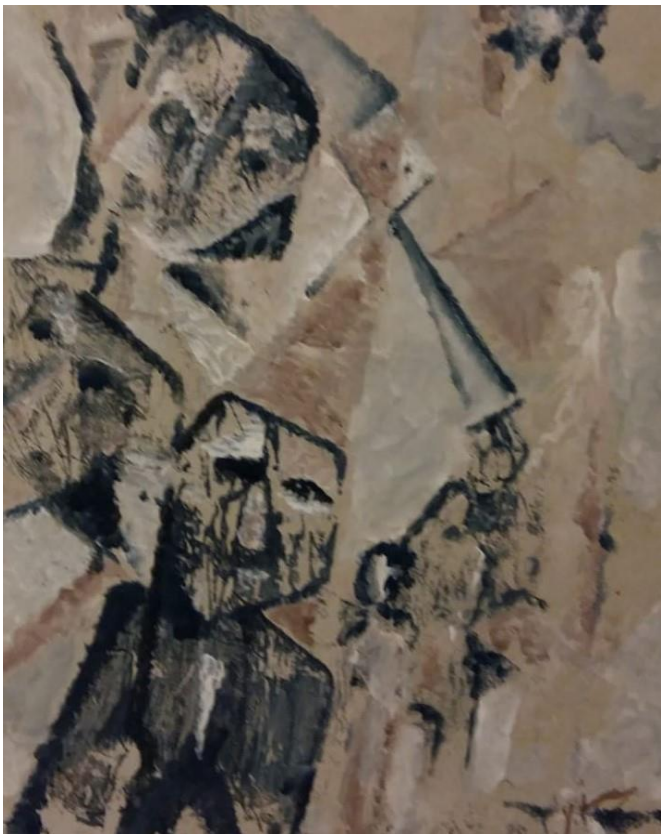



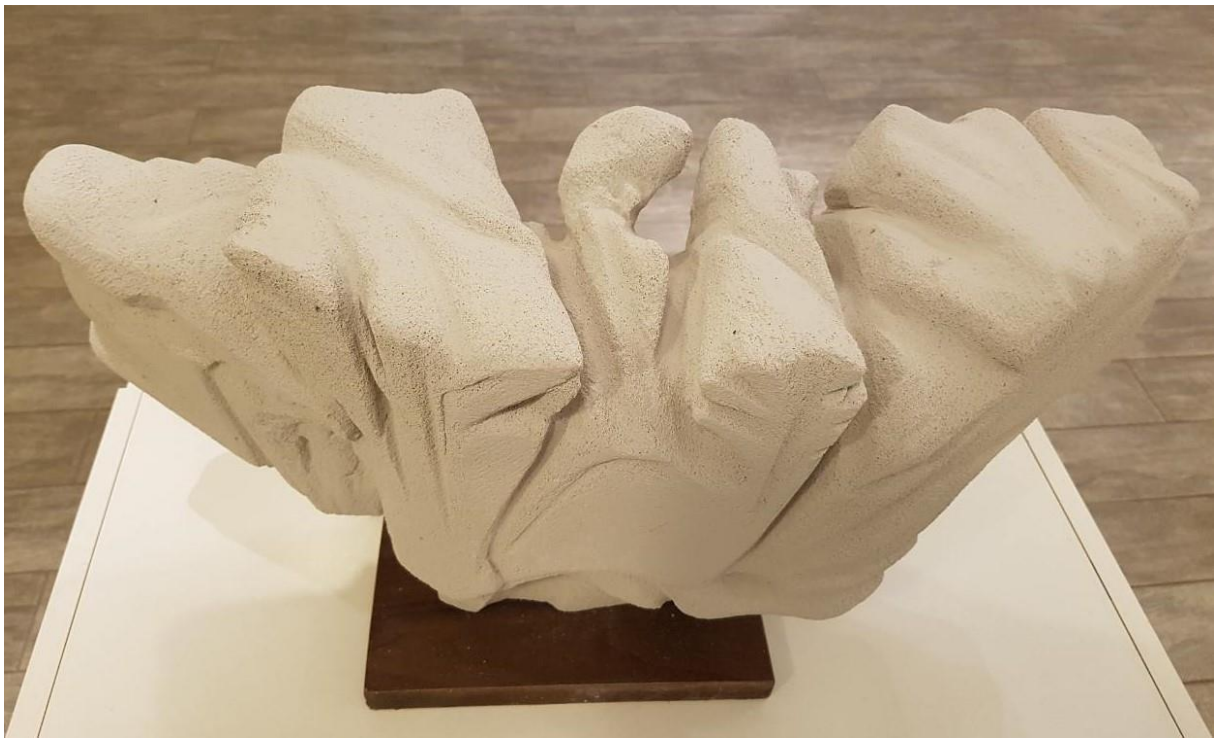















3. الفنّان التّشكيلي السّوري الكردي عبدالسّلام عبدالله



أعمال الفنّان التّشكيلي عبدالسّلام عبدالله









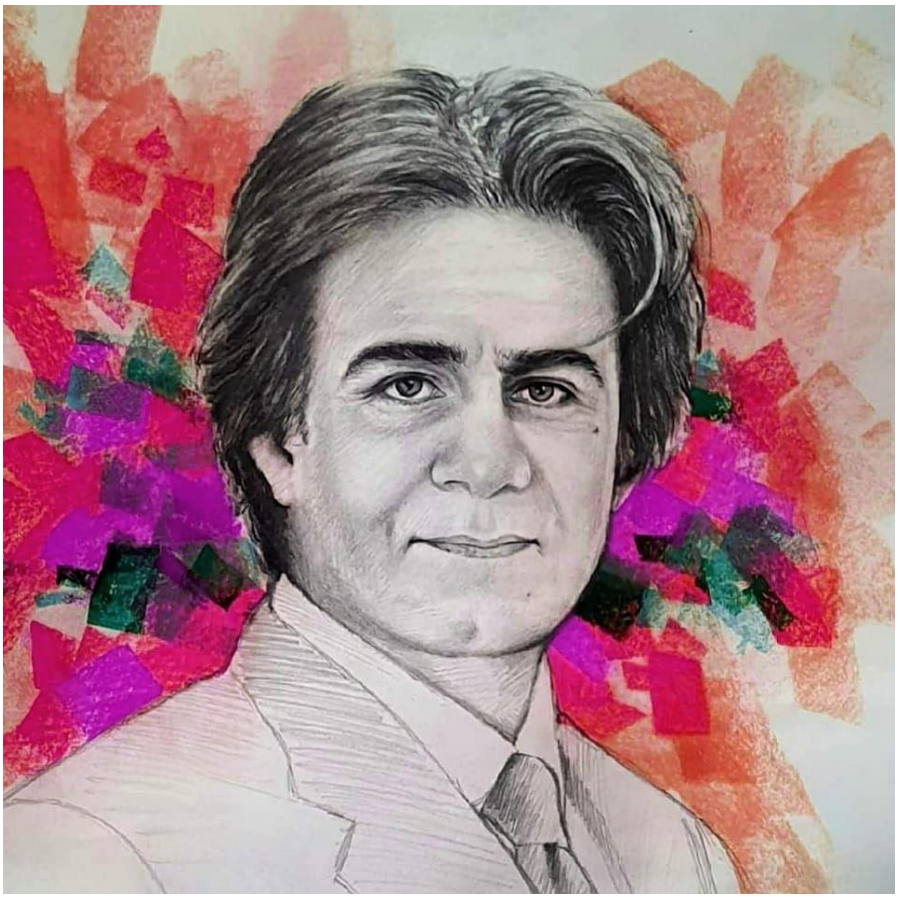









4. الفنّانة التَّشكيليّة السُّوريّة فاطمة إسبر



أعمال الفنّانة التَّشكيلية فاطمة إسبر

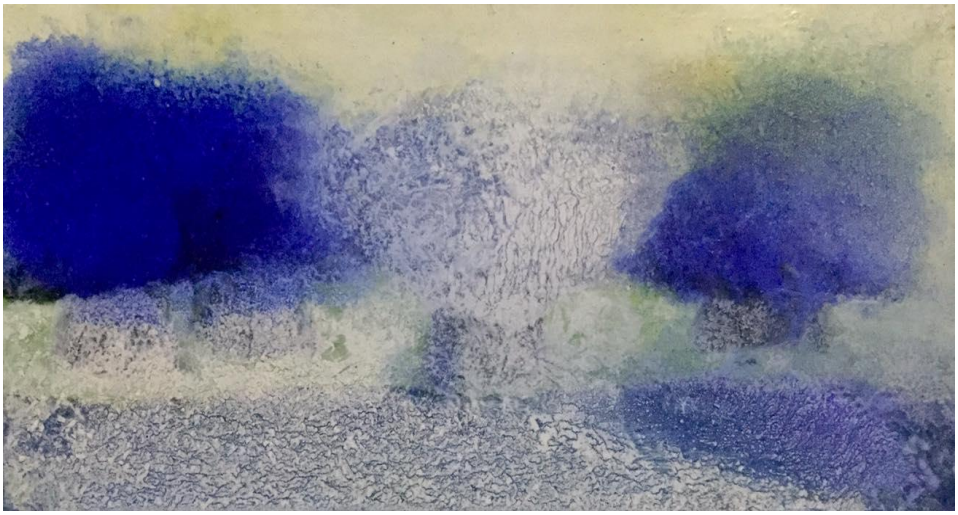



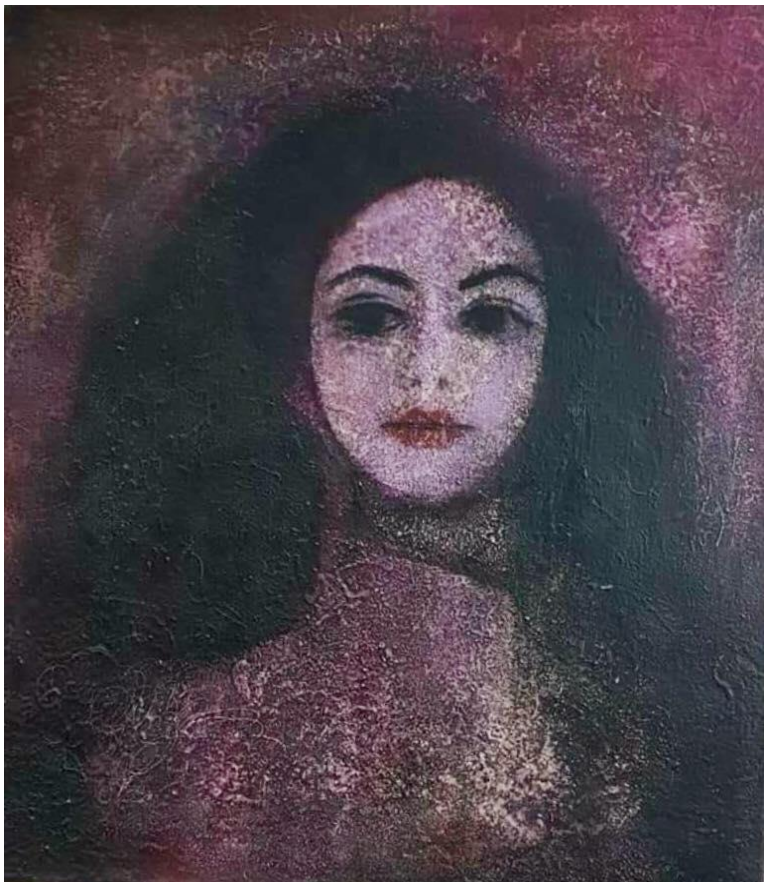

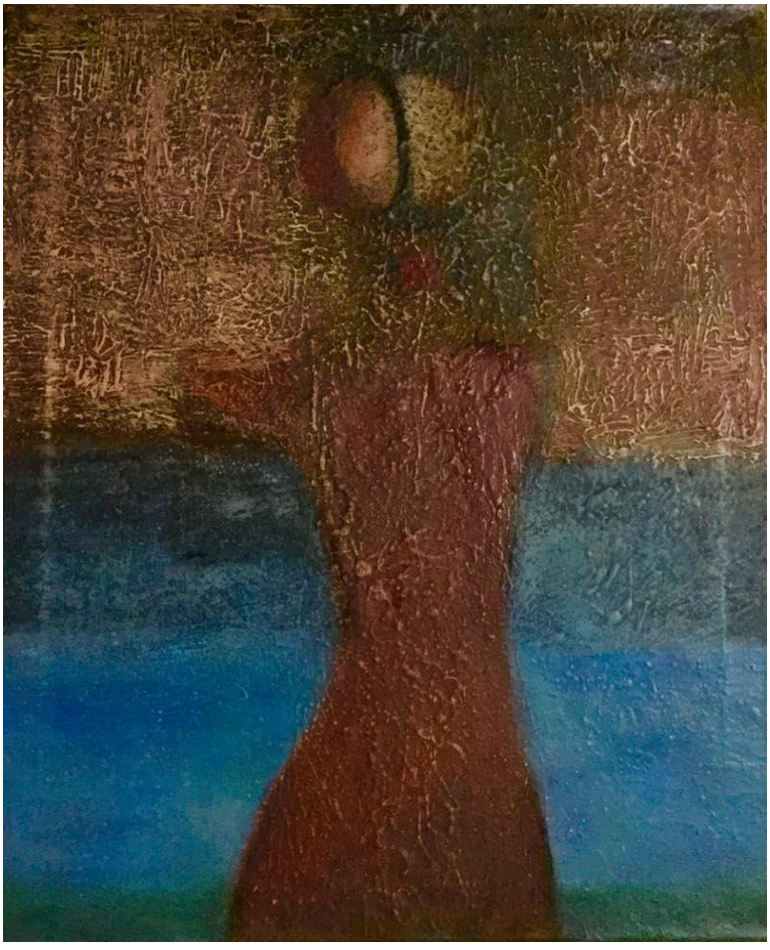





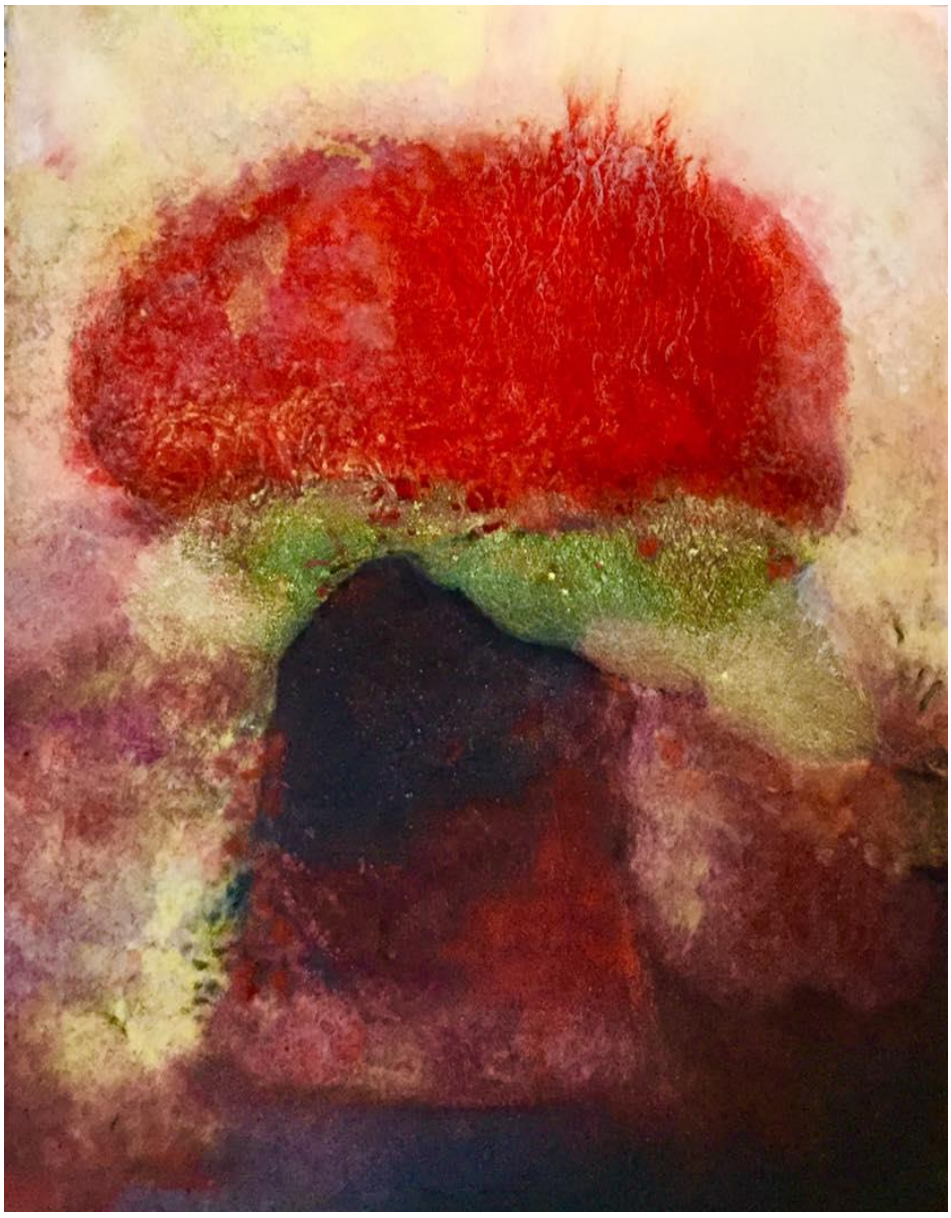

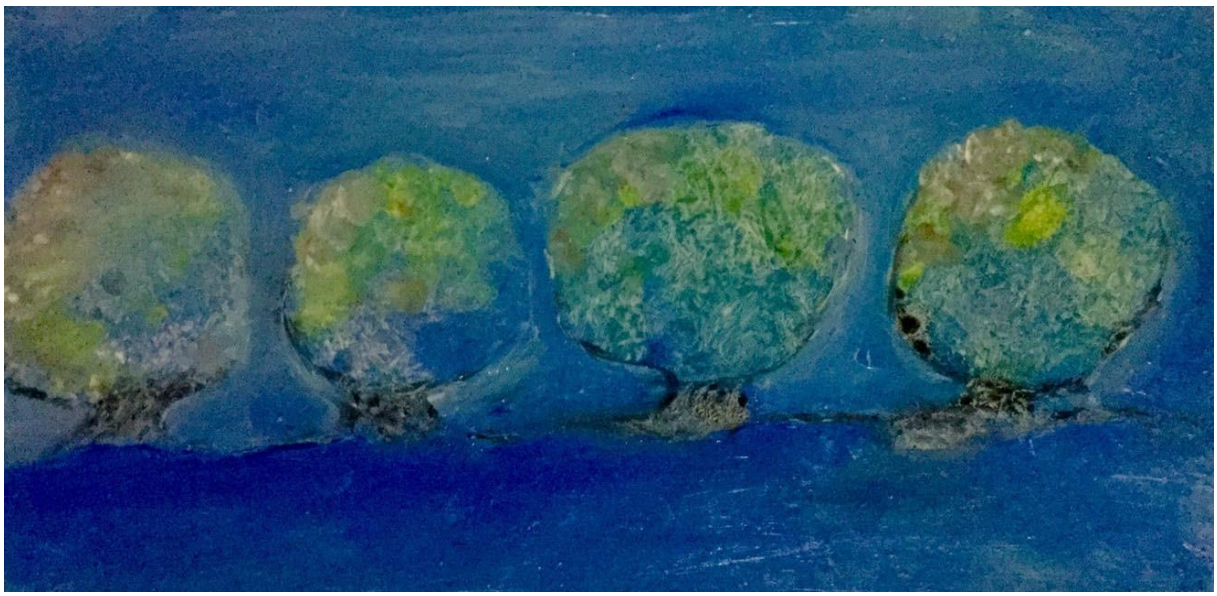

5. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري سرور علواني

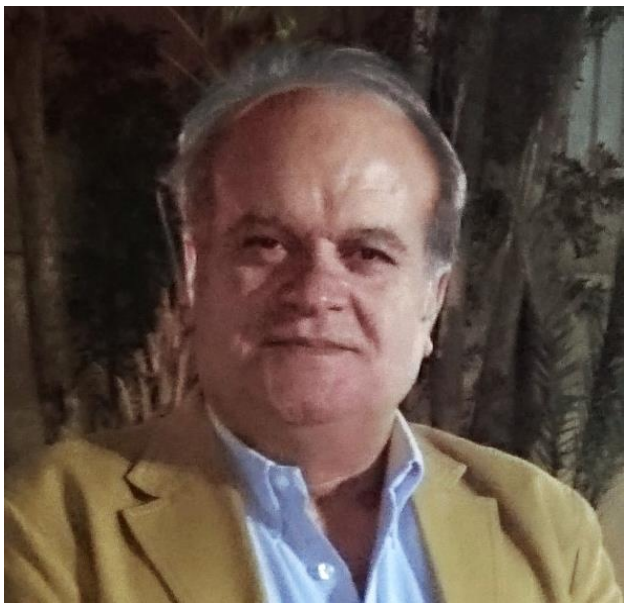

أعمال الفنَّان التَّشكيلي سرور علواني







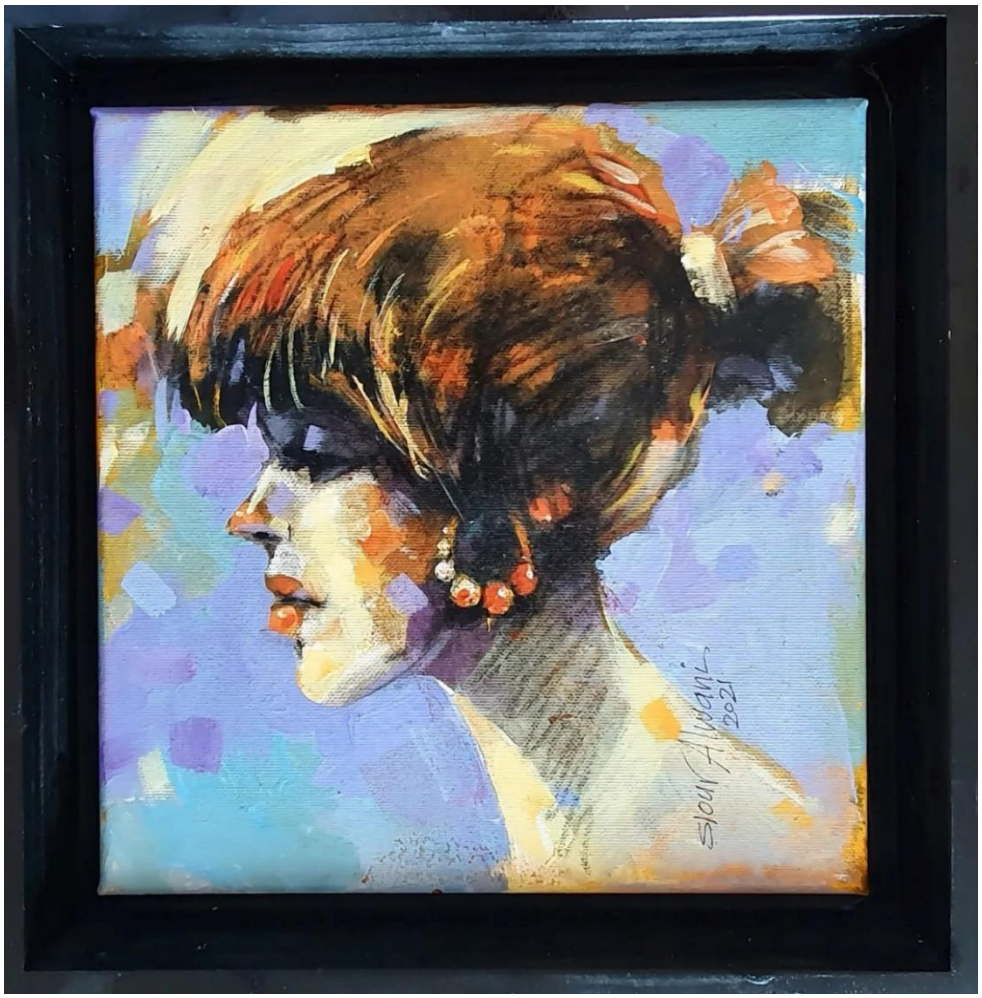
Sibtain Alwani
2021


Sibtain Alwani 2020


2023

6. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري كابي سارة



أعمال الفنّان التّشكيلي كابي سارة







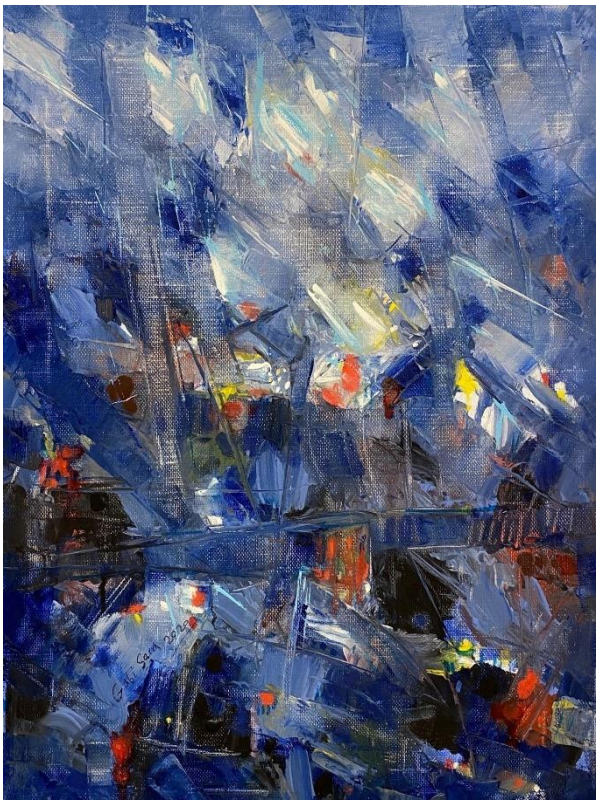


Gabi Sara 2020





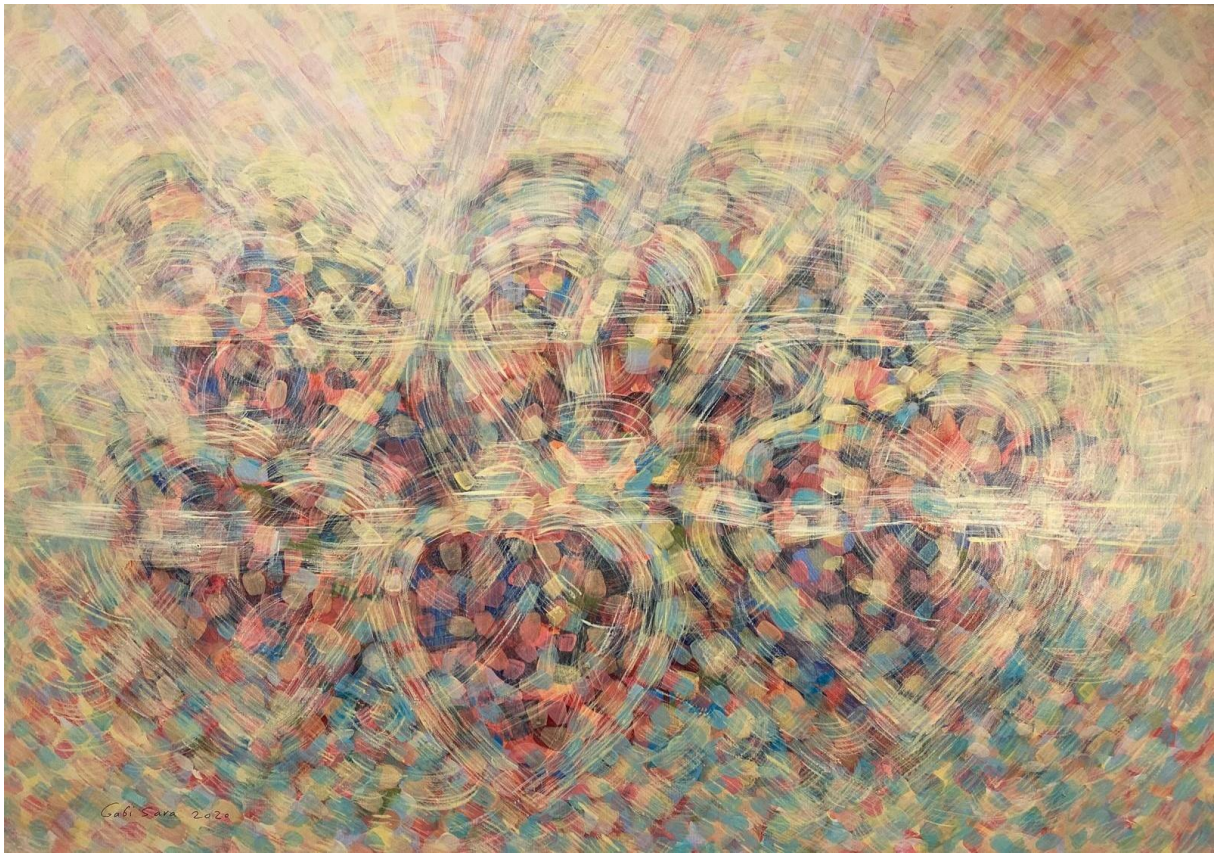




Gabi Sarai 2018


Gabi Sara 2022





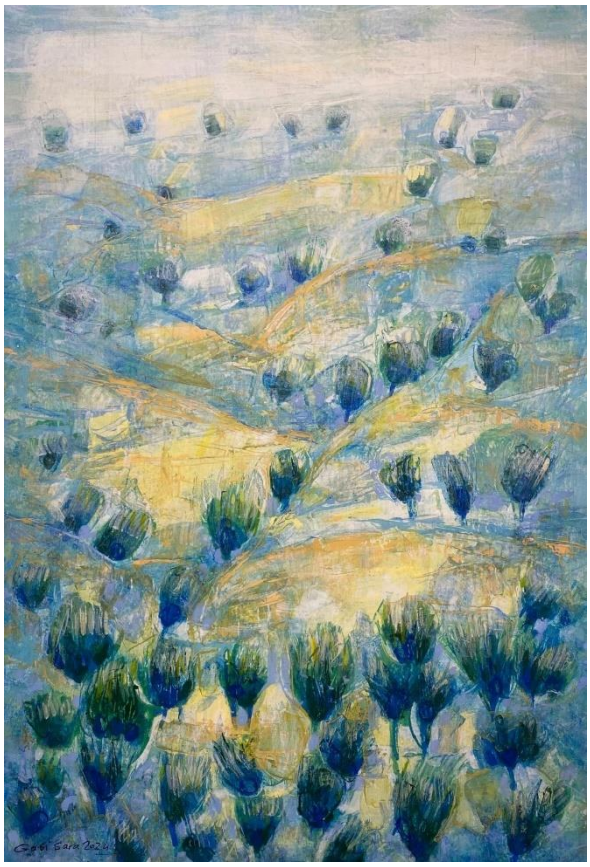






Gabi Sara 2022




Gabi Sara 2020


Gabi Silva 2020

7. الفنّانة التّشكيليّة السُوريّة أنديرا إيليّا



عملان للفنّانة التّشكيليّة أنديرا إيليّا





8. النّحات الهندي شارما غانيش

Sculptor Sharma Ganesh



أعمال النّحات الهندي الكشميري شارما غانيش

Sculptor Sharma Ganesh





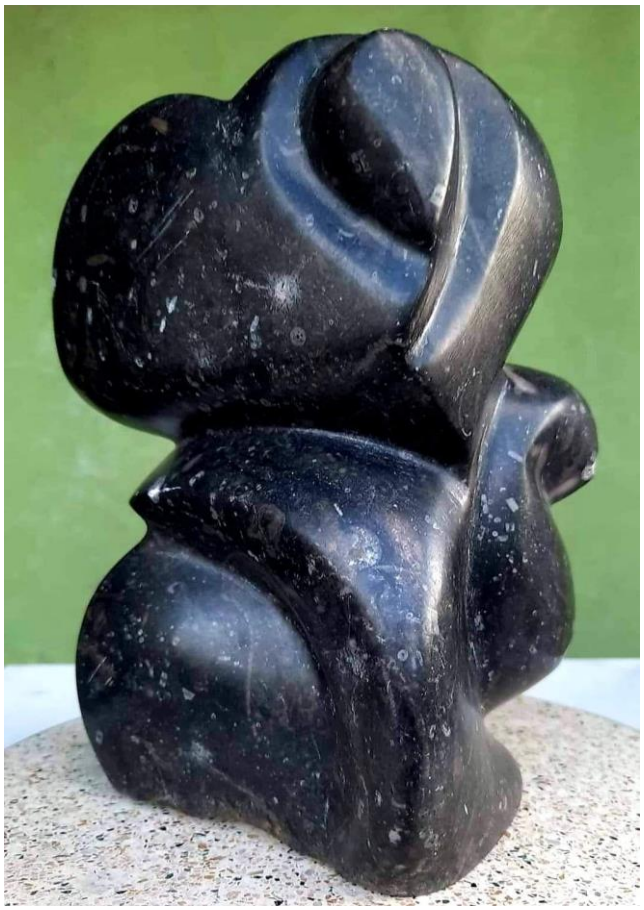

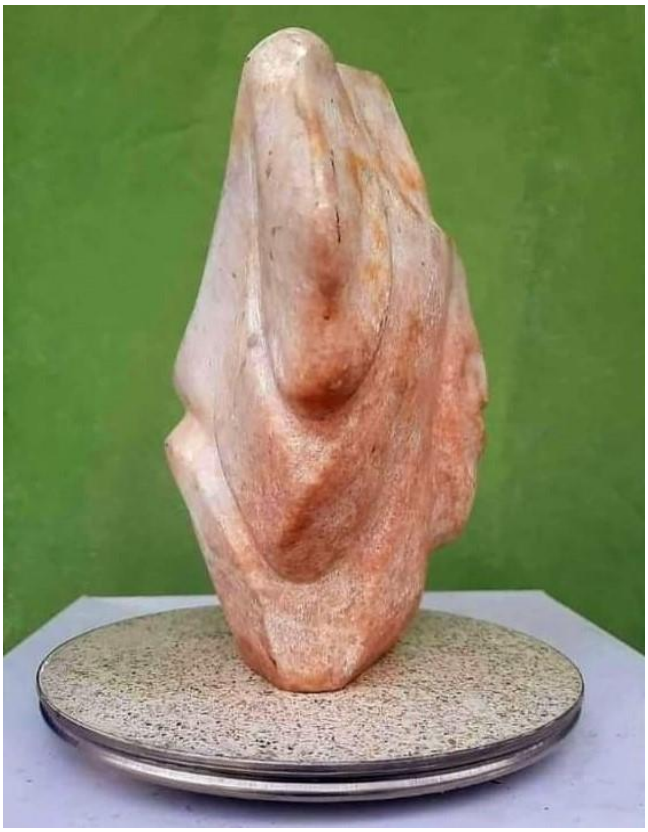





9. الفنّانة التَّشكيليّة السُّورية فيفيان الصّايغ



أعمال الفنّانة التَّشكيليّة فيفيان الصّايغ




VIVIAN.ALSAEGH2024

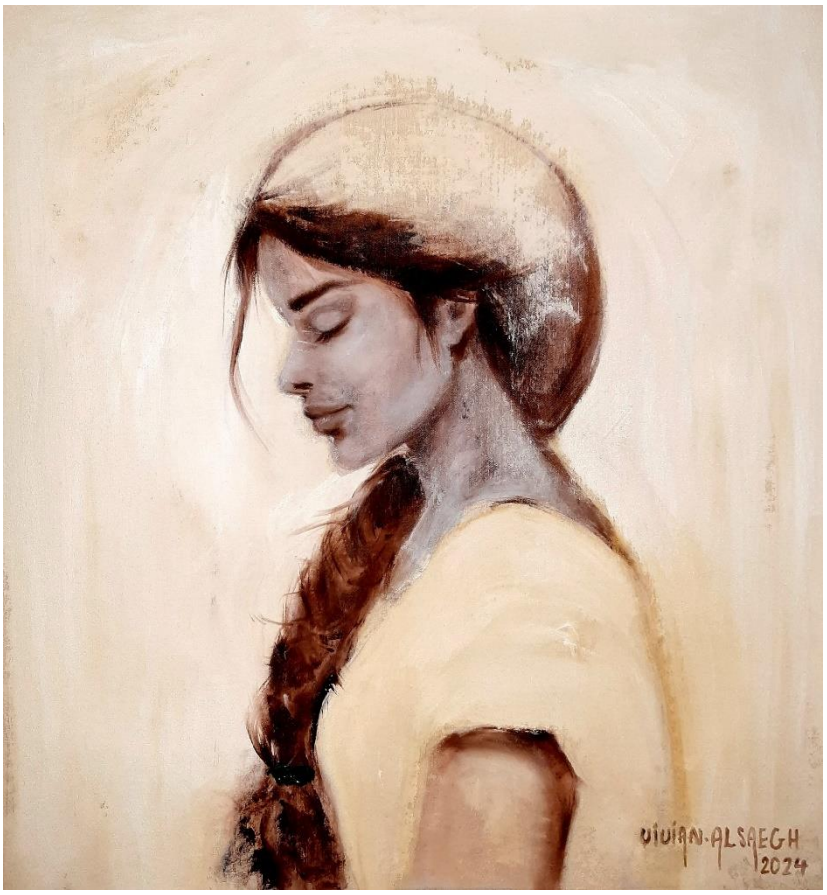
VIVIAN.ALSAEGH
2024


VIVIAN ALSAEGH 2024


VIVIAN ALSAEGH


VIVIAN.ALSAEG.H


VIVIAN.ALSAEG

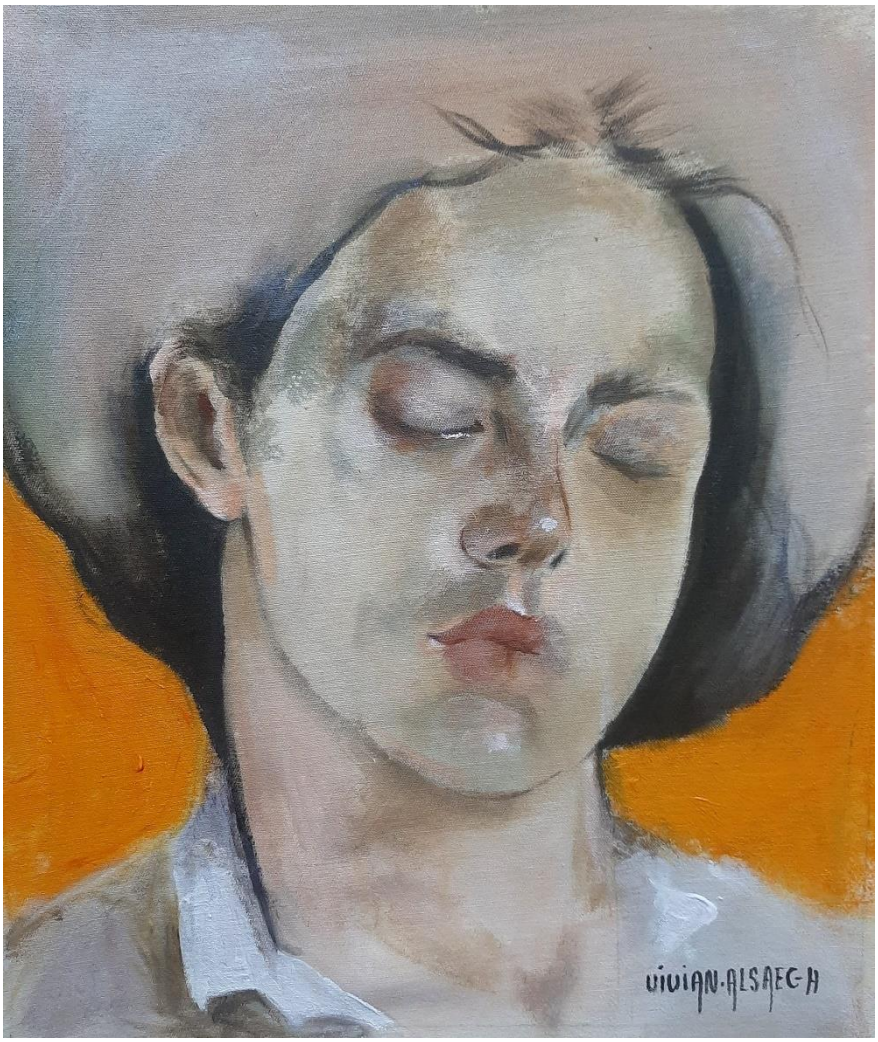
VIVIAN·ALSAEC·H



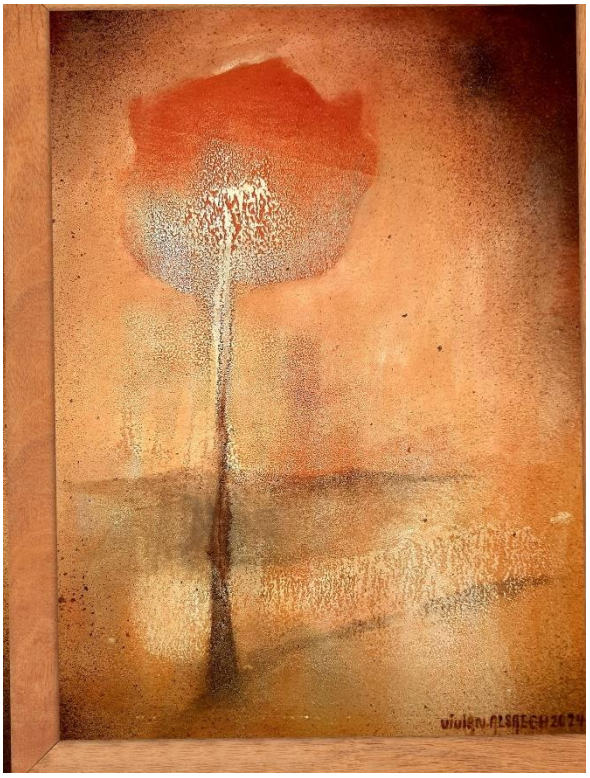




GIOVAN.ALSAEG 2024

10. النّحات السُّوري عبدالقادر منافيخي

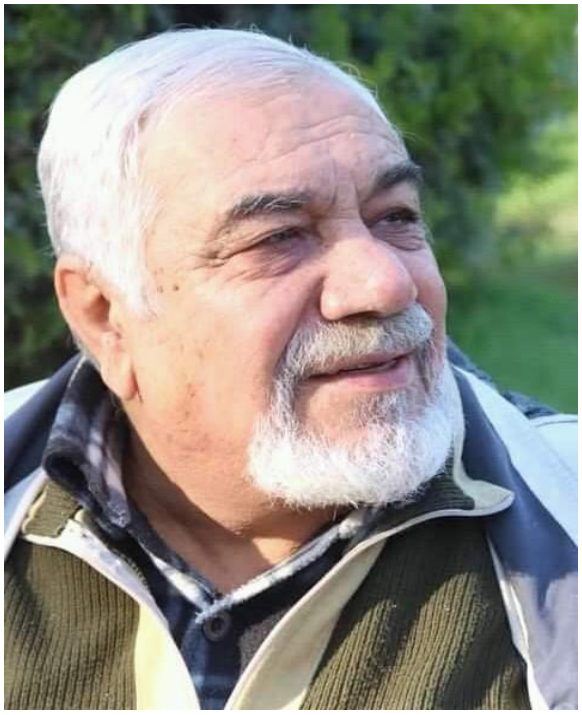

أعمال النّحات عبدالقادر منافيخي

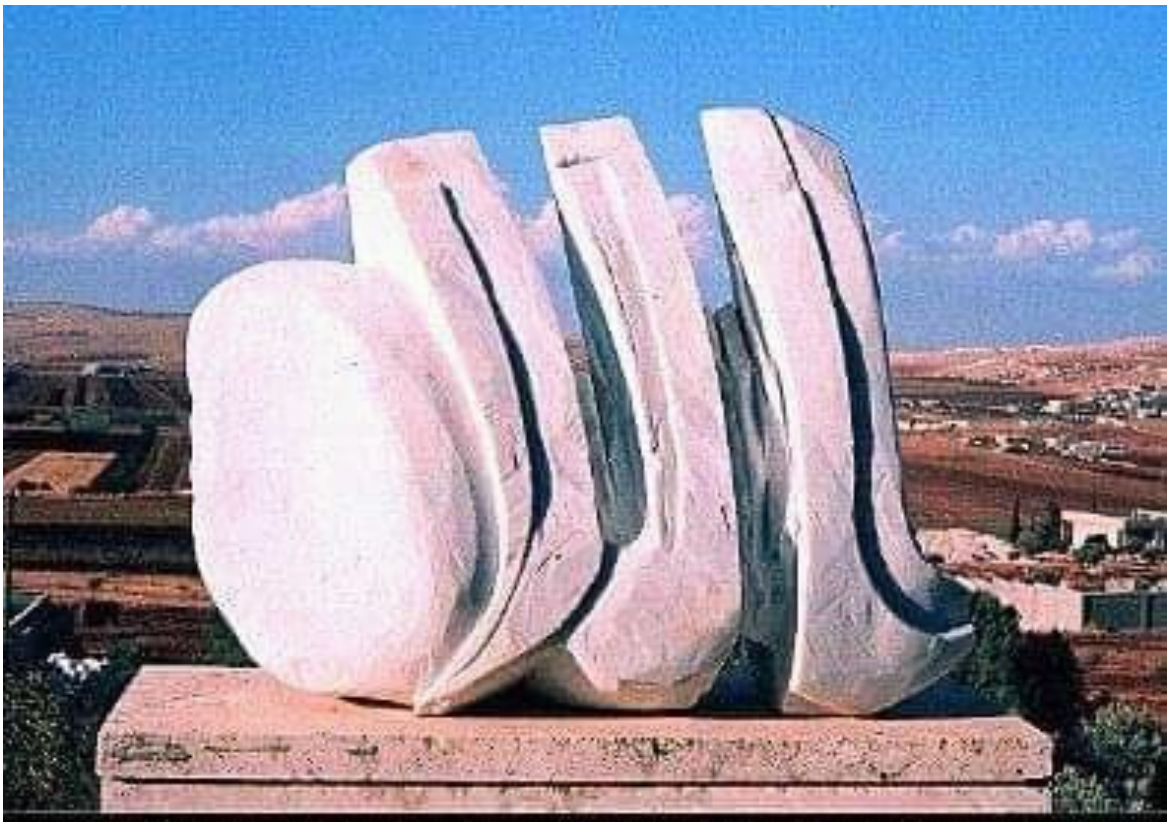










عبد القادر منالیخی

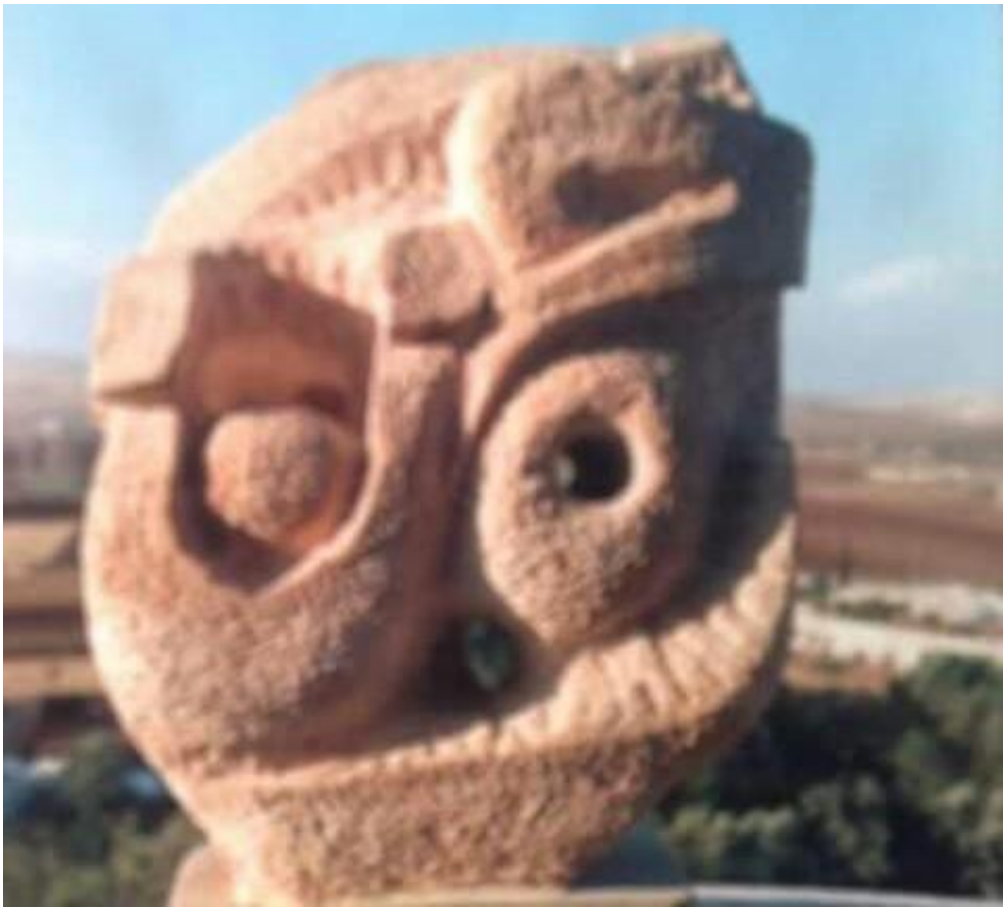













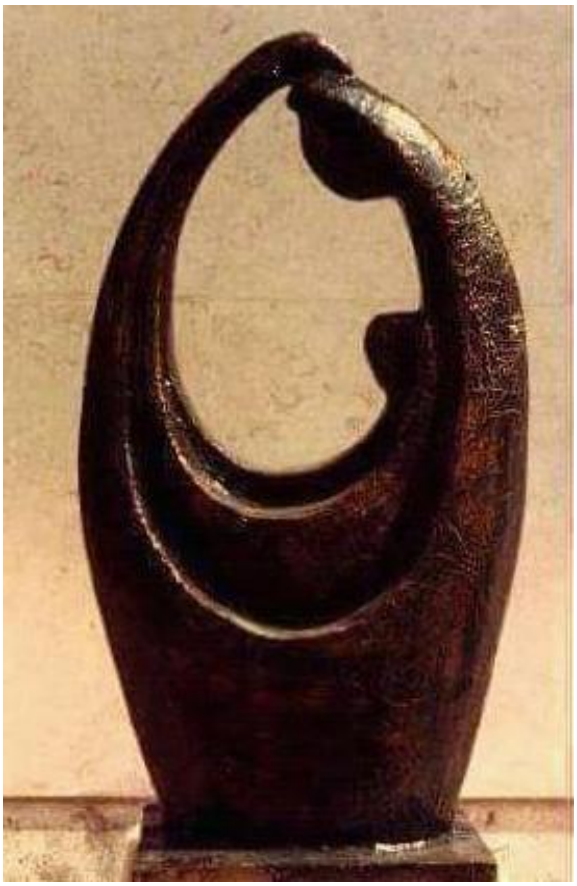



11. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري نعمت بدوي



أعمال الفنَّان التَّشكيلي نعمت بدوي

















12. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري بشير بدوي

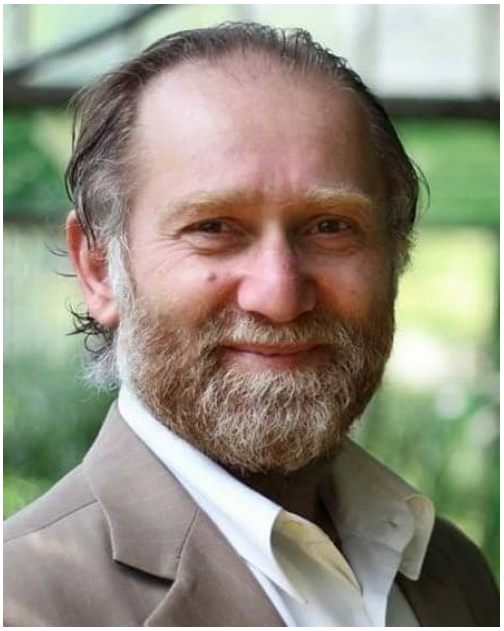



أعمال الفنَّان التَّشكيلي بشير بدوي







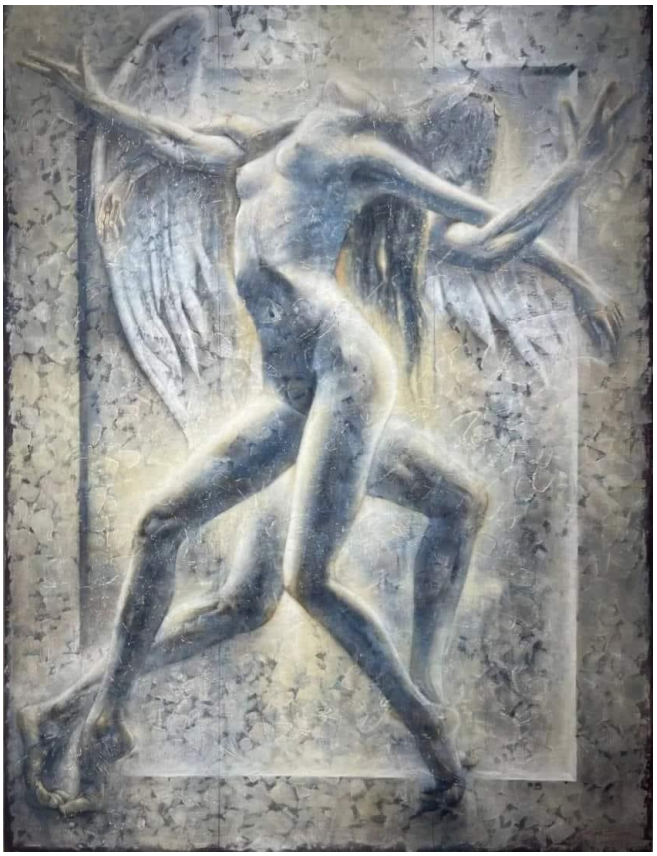







13. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري جان حنا



أعمال الفنَّان التَّشكيلي السُّوري جان حنا



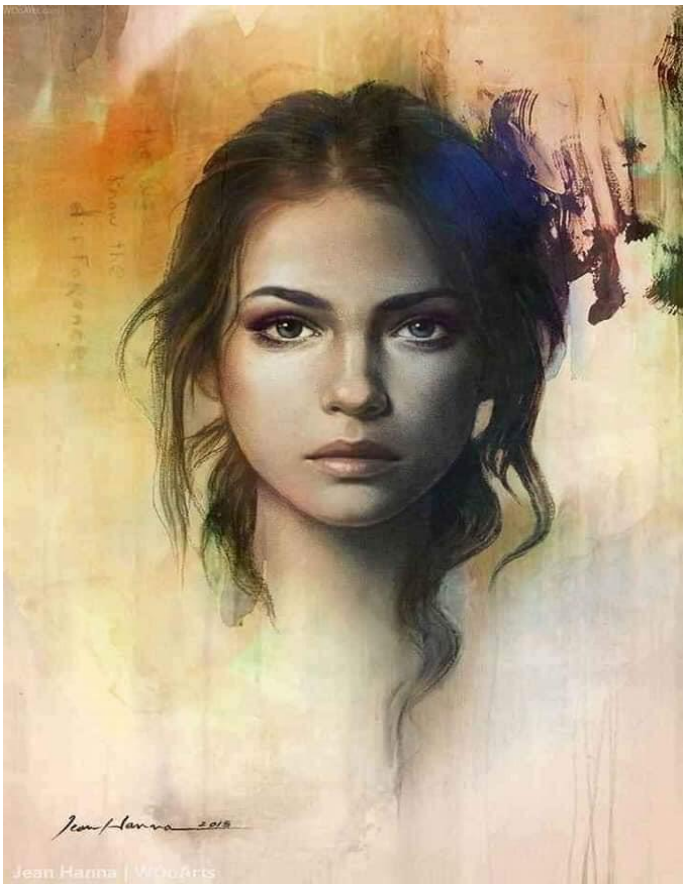
Jean Hanna | WOOArts










jean-hanna@hotmail.com





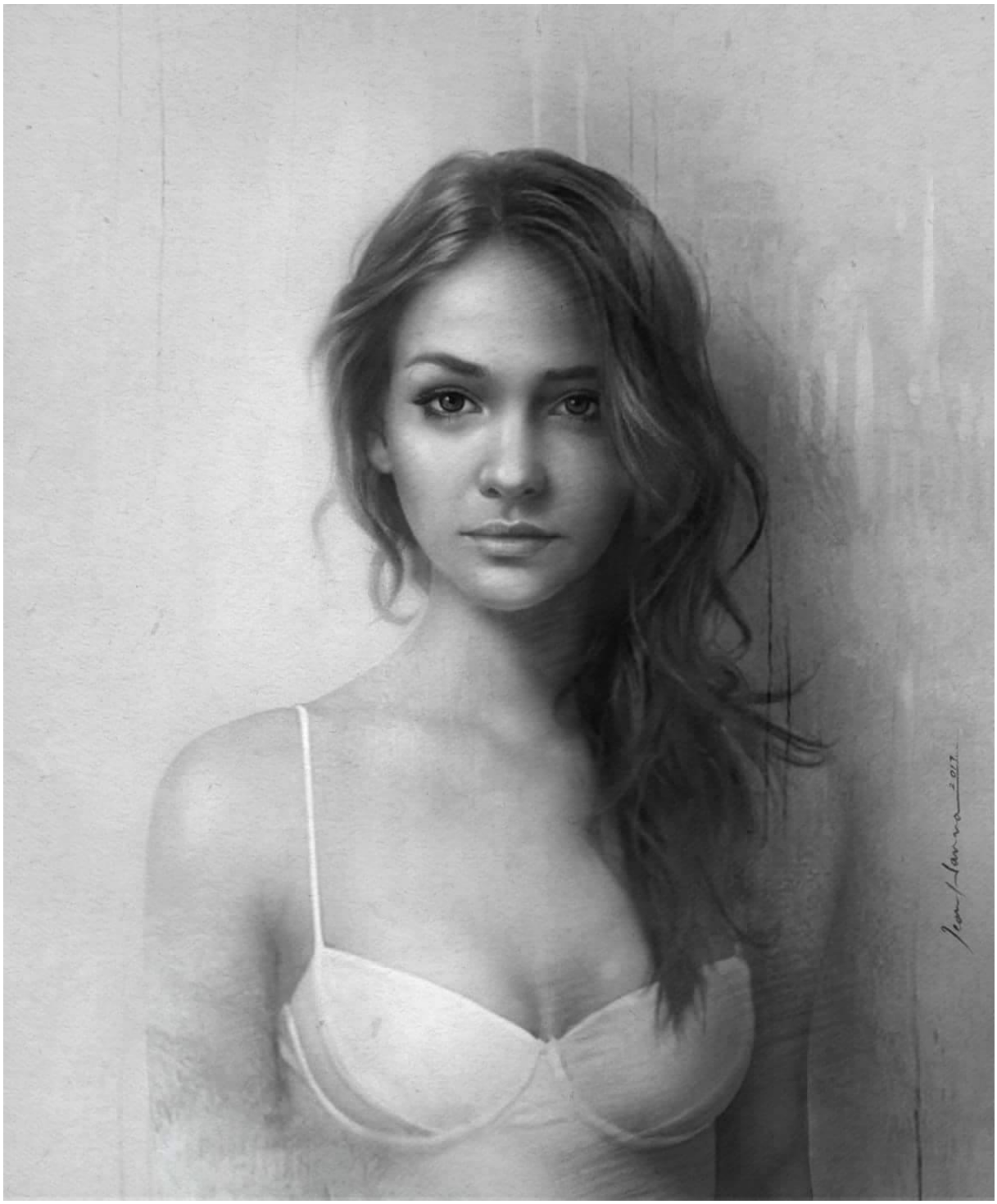

14. الفنّانة التّشكيليّة المكسيكيّة مارلين باسيني

Marlene Pasini



أعمال الفنّانة التّشكيليّة مارلين باسيني






Marlene
2021



15. الفنّان التَّشكيلي السُّوري راينر غرير



أعمال الفنَّان التَّشكيلي راينر غرير















16. الفنّان التَّشكيلي السُّوري جاك إيليّا



أعمال الفنّان التَّشكيلي جاك إيليّا








Jack Eliya
2023


Jack Eliya
2021

17. الفنّان التّشكيلي السّوري زافين بردقجي

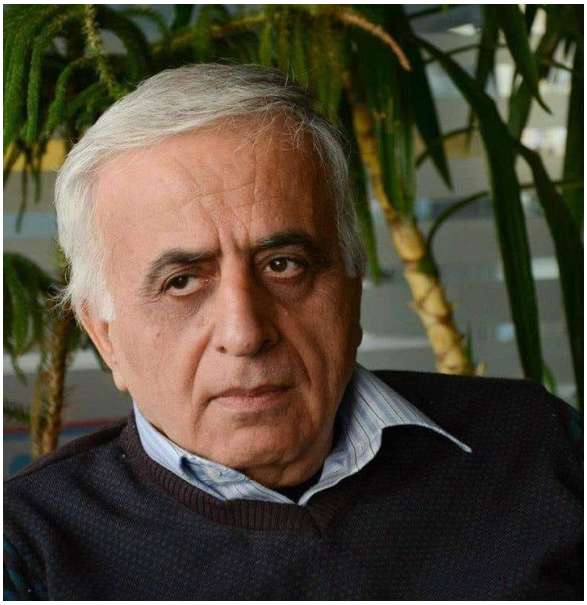

أعمال الفنّان التّشكيلي زافين بردقجي







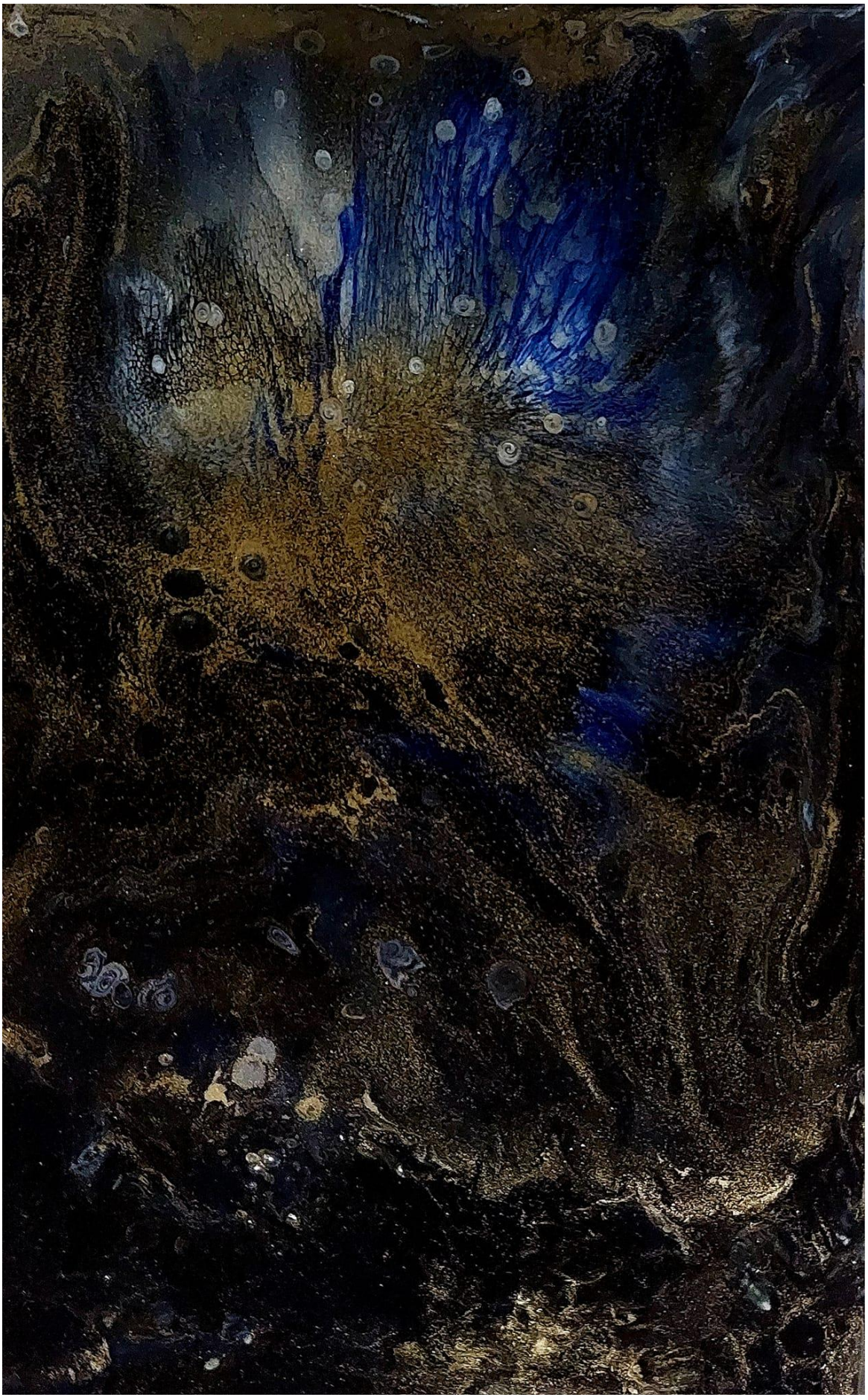



18. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري عبدالقادر الخليل



أعمال الفنَّان التَّشكيلي عبدالقادر الخليل












Abdul Kader

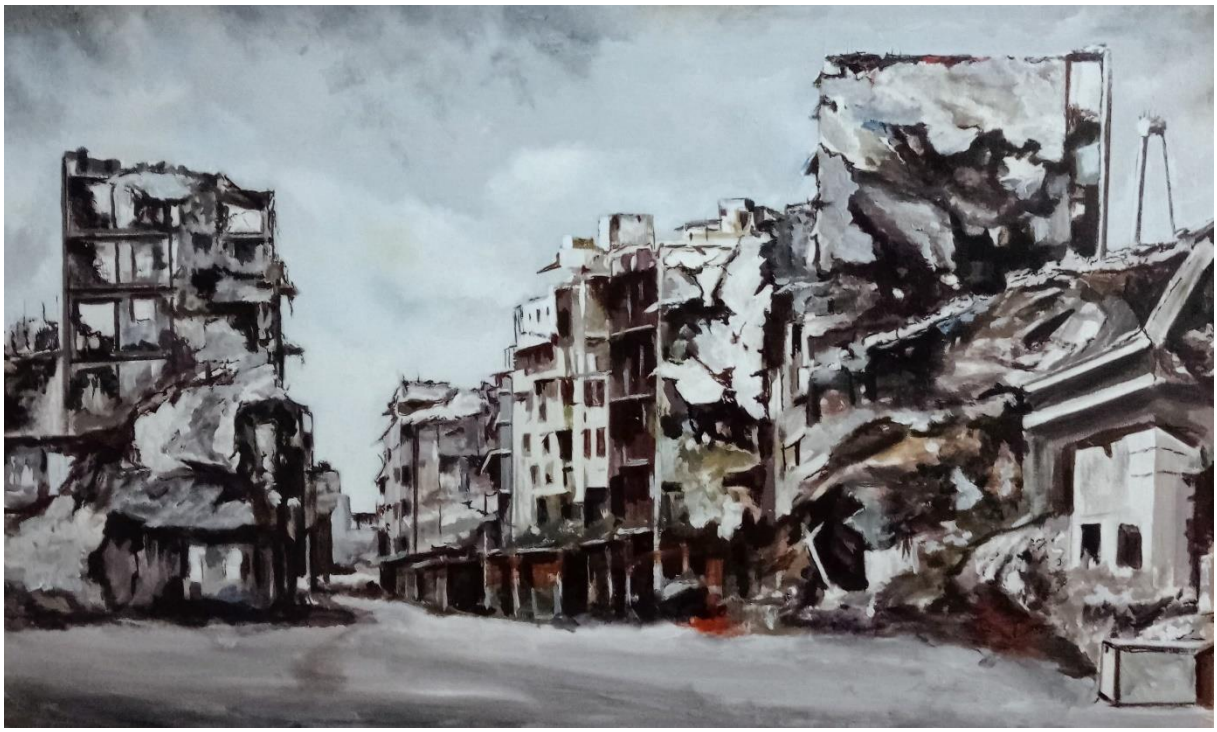

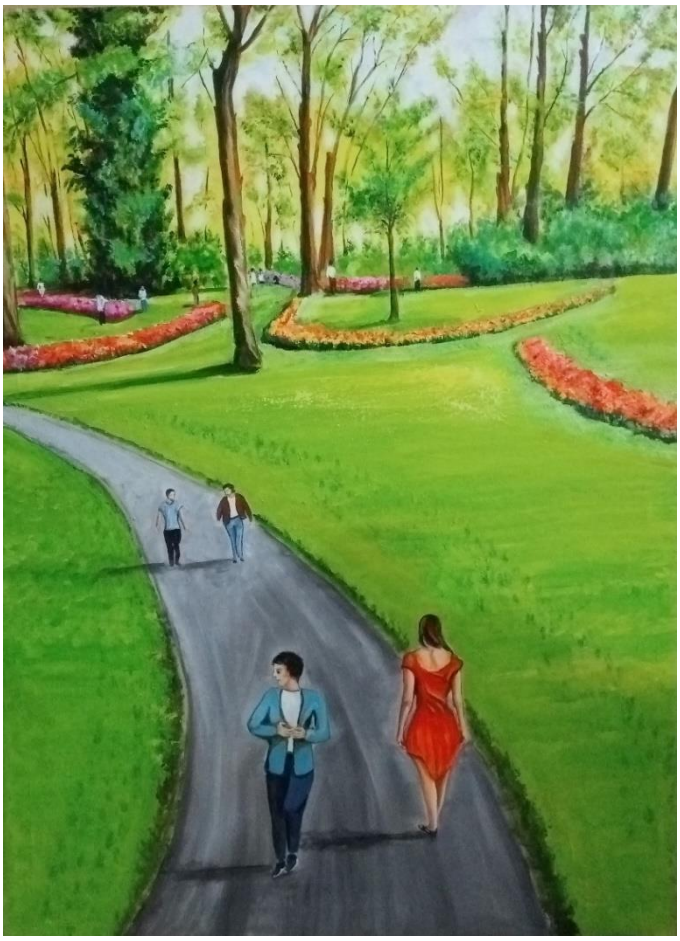





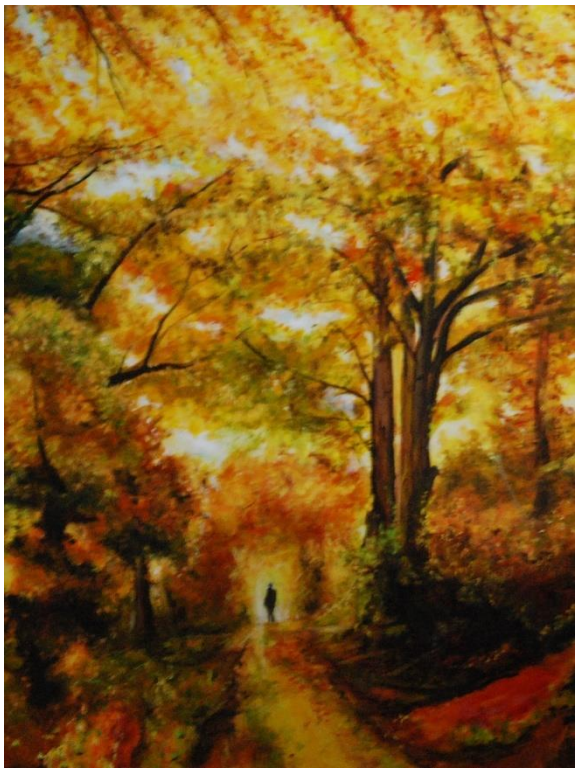

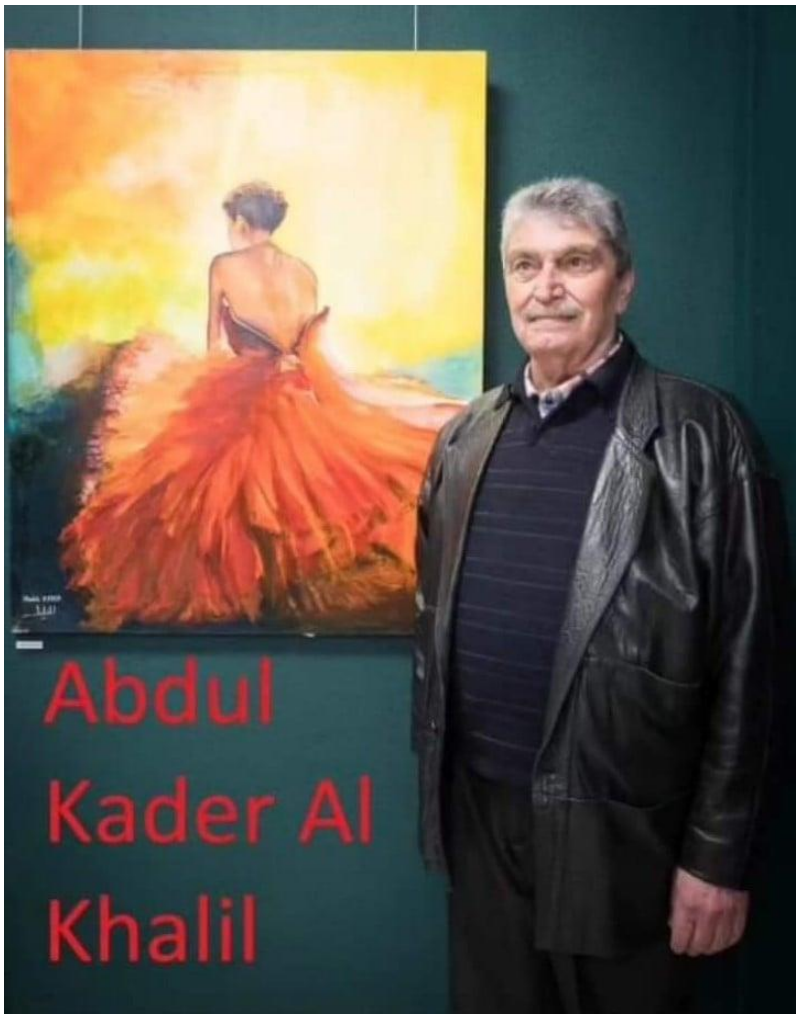
Abdul
Kader Al
Khalil

19. الفنّان التَّشكيلي الفلسطيني نضال عبدالهادي

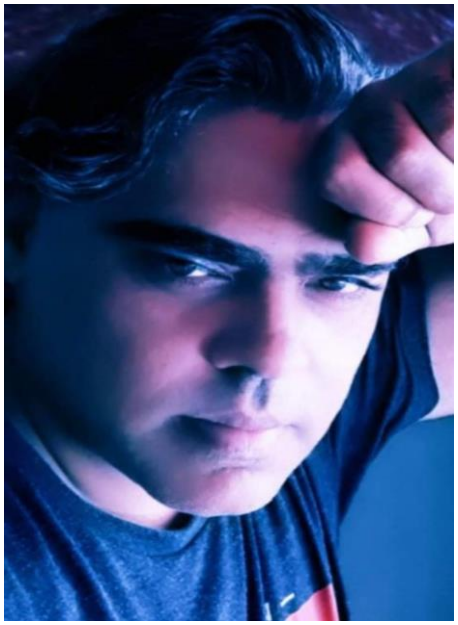

أعمال الفنّان التَّشكيلي نضال عبدالهادي

















20. الفنّان التّشكيلي الفلسطيني أديب خليل



أعمال الفنّان التّشكيلي أديب خليل

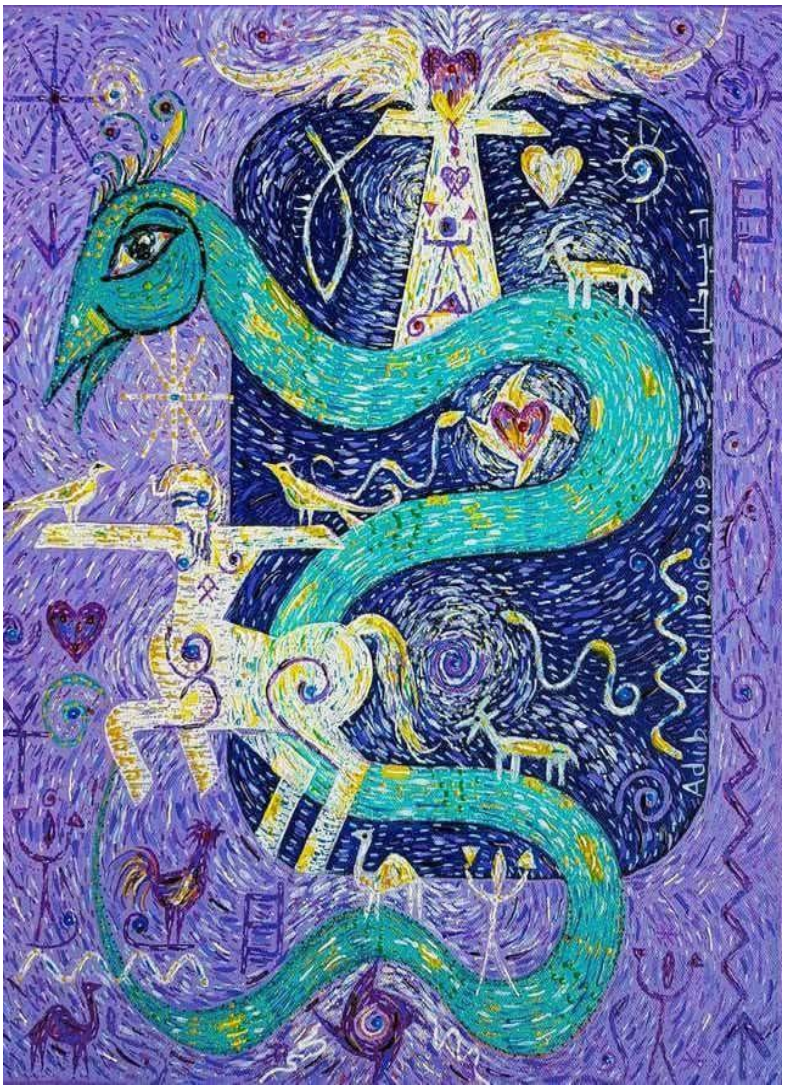






Adib Khalil 2023


Adib khalil

21. الفنّانة التّشكيلية السُوريّة سلوى الصَّغير



أعمال الفنّانة التّشكيليّة سلوى الصَّغير

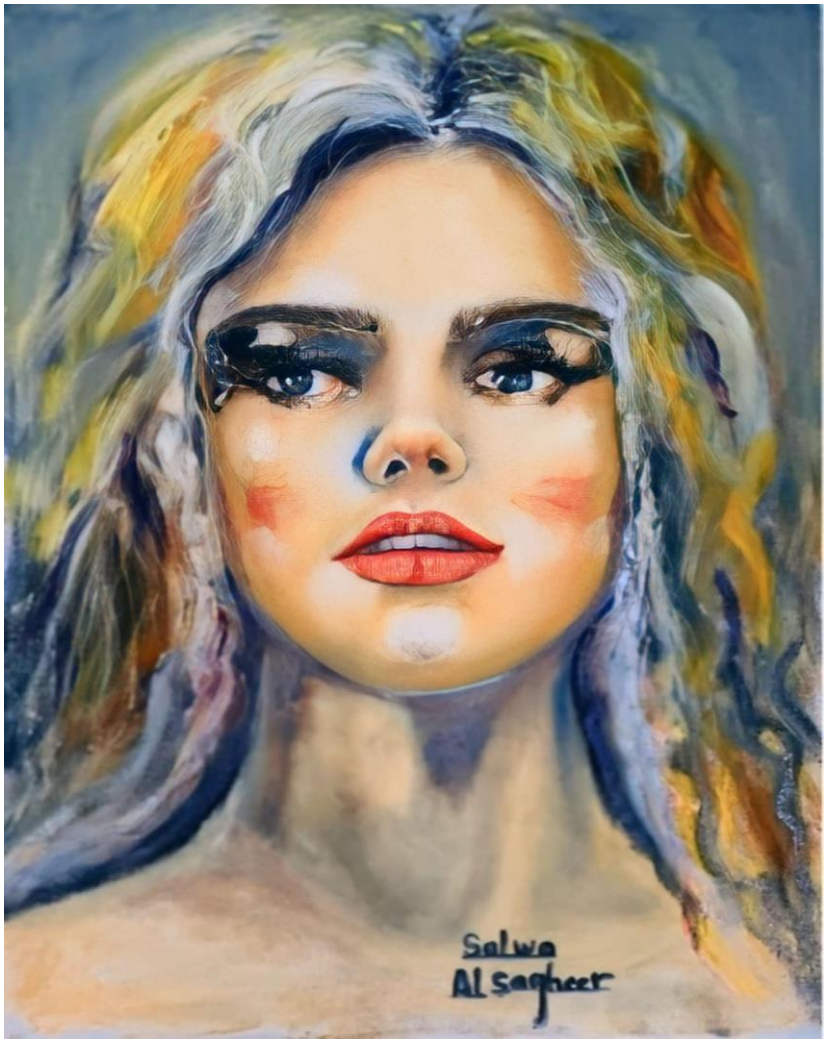

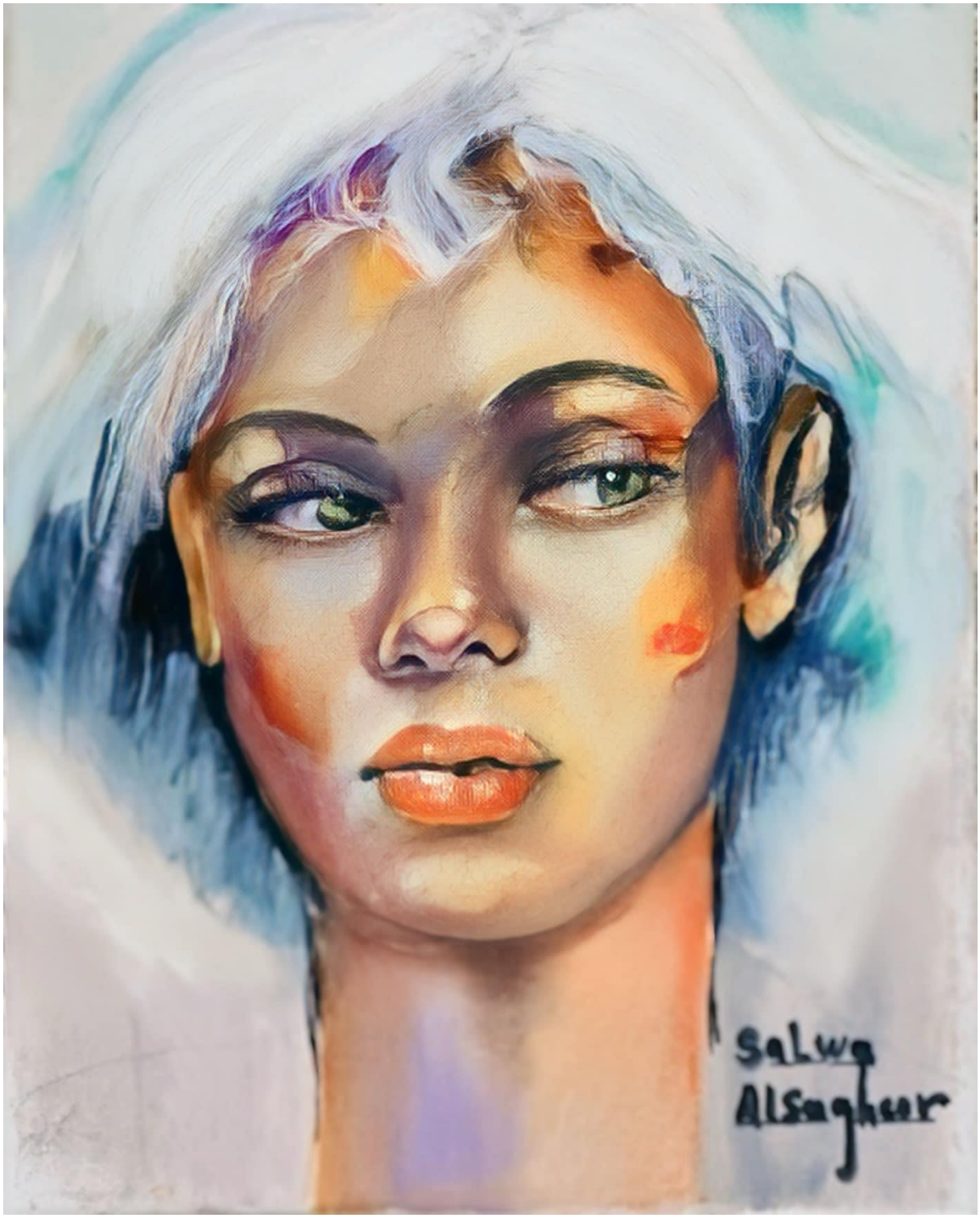
Salwa
Alsaghaer


Salwa
ALSagheer

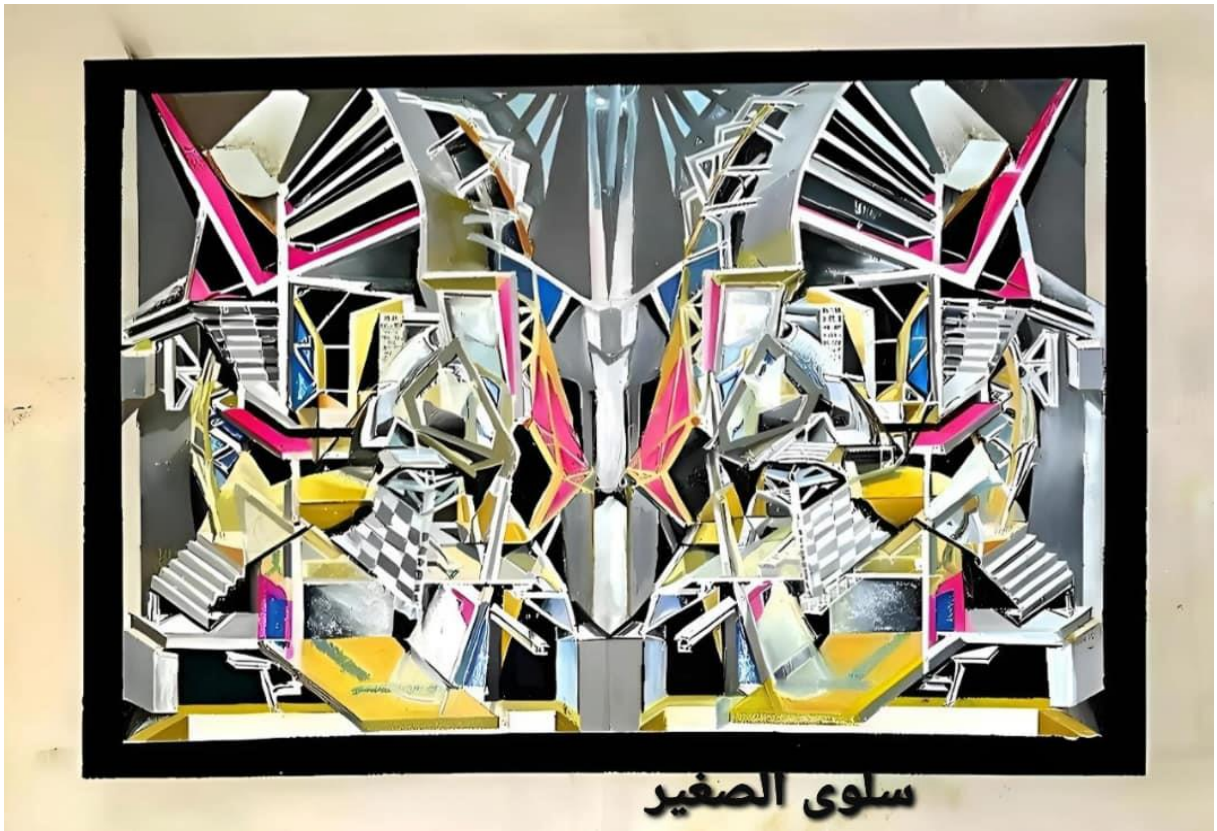
سلوى الصغير


سلوى



22. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري بهجت داهود



أعمال الفنَّان التَّشكيلي بهجت داهود




Bahjat.D




Ranjatin



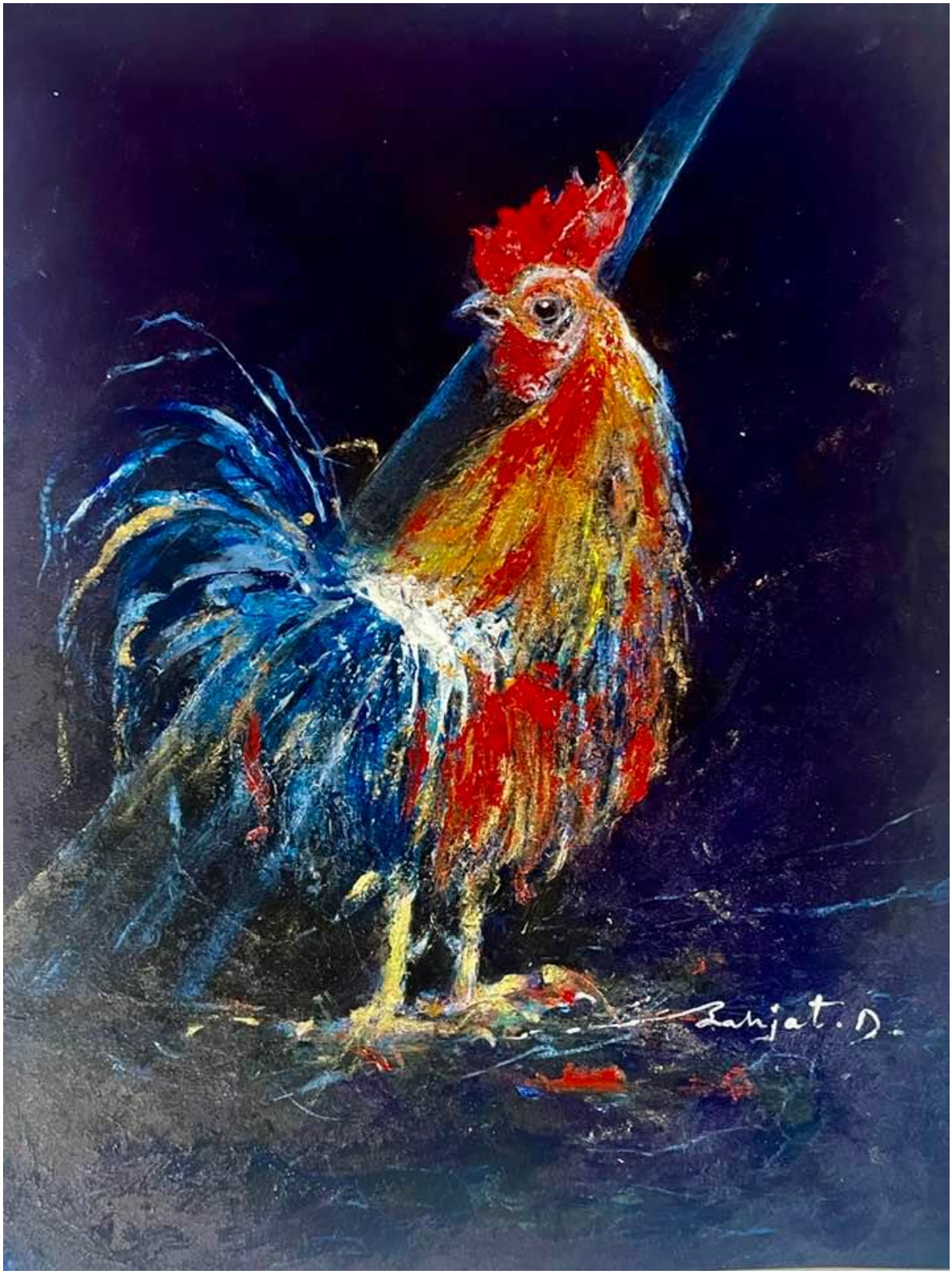

23. الفنّانة التشكيليّة السُوريّة ميمونة ديب



أعمال الفنّانة التشكيليّة ميمونة ديب

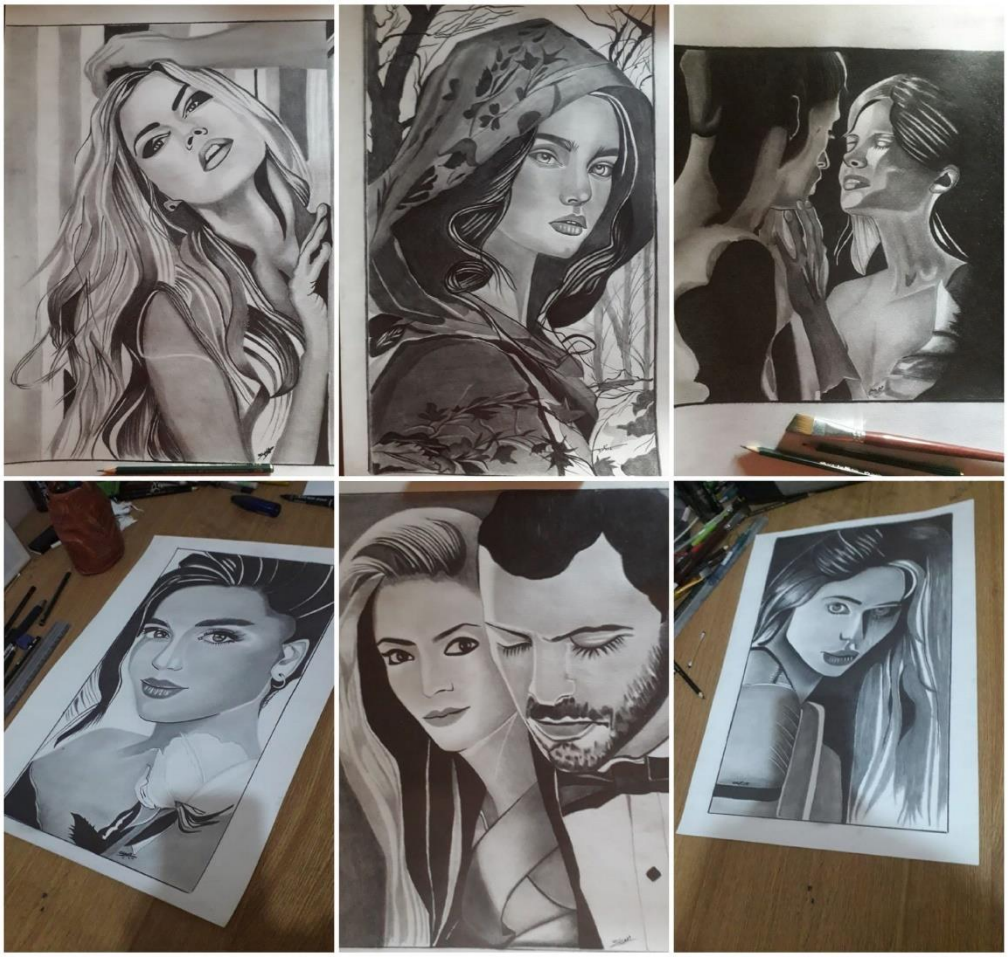

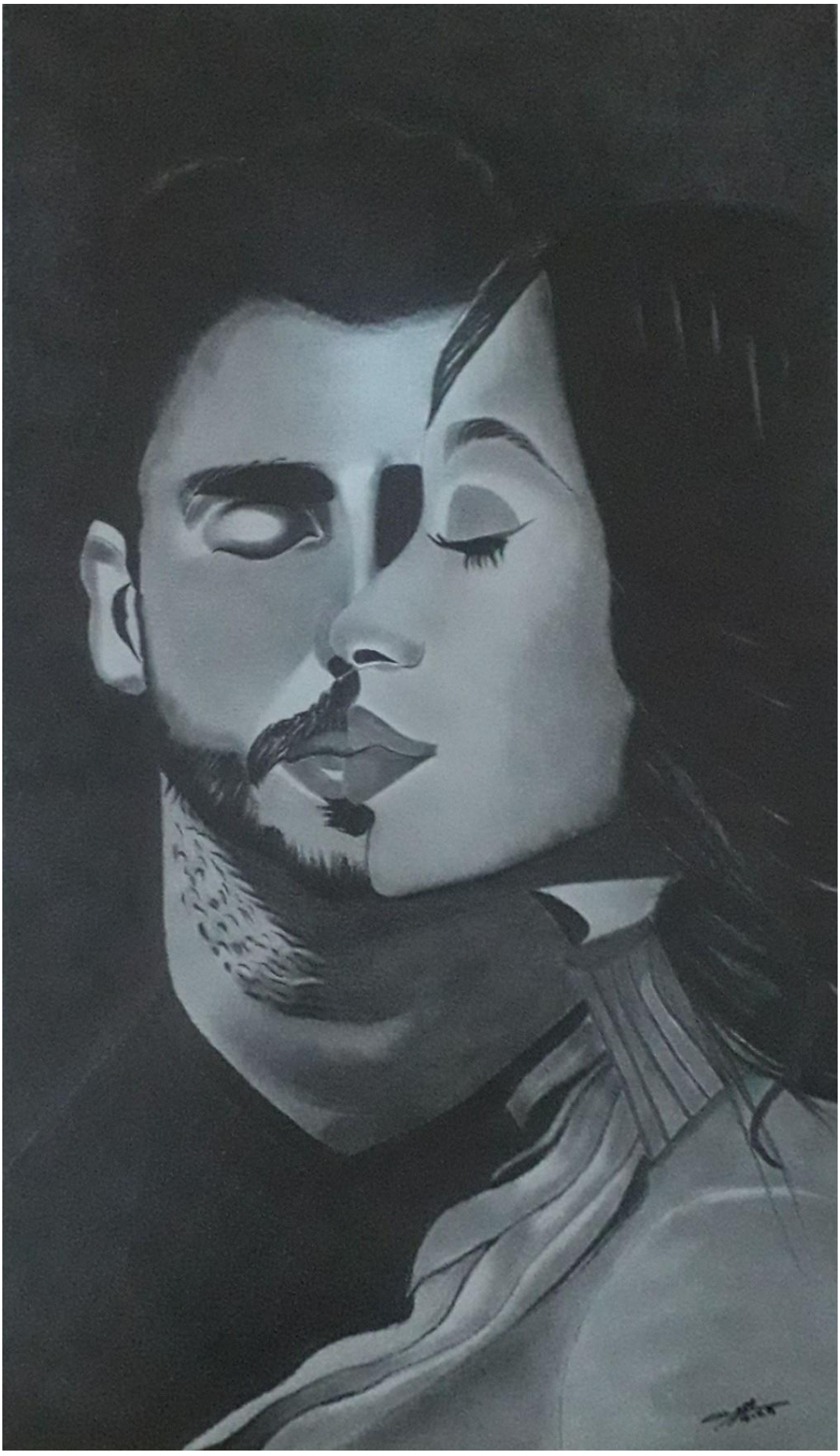







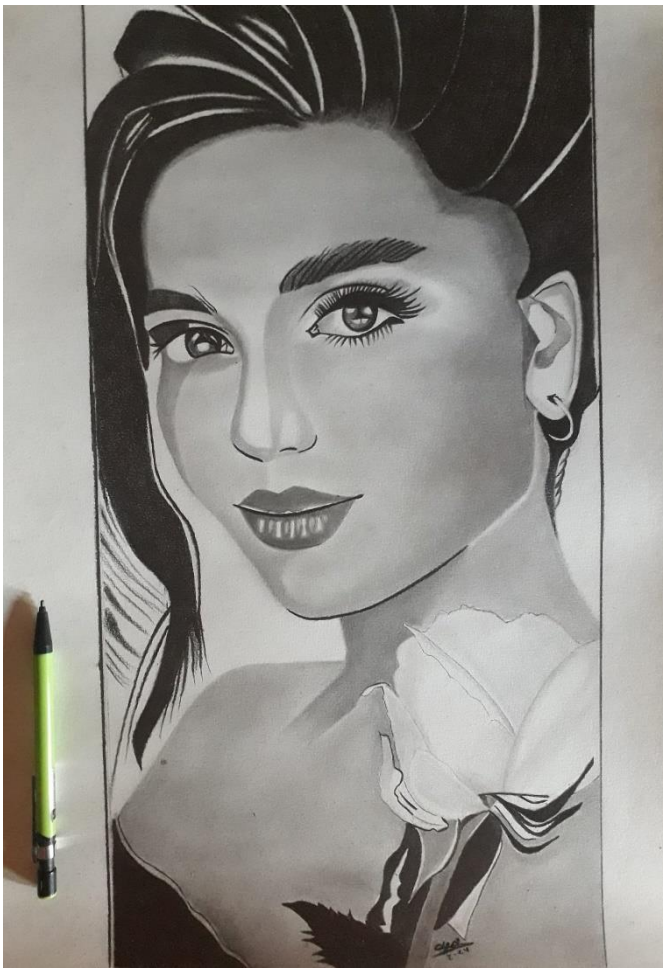



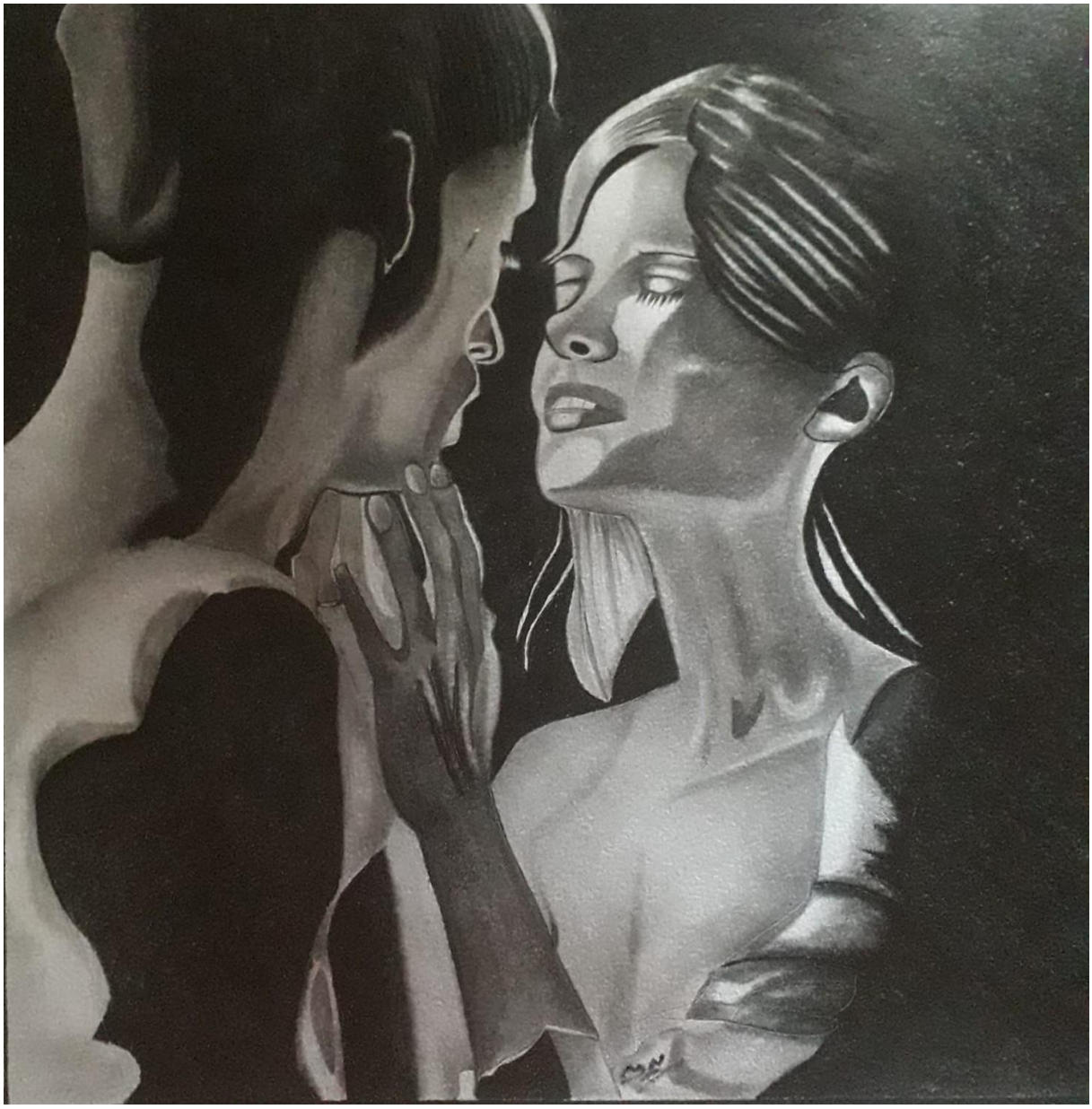

24. الفنَّانة التَّشكيليّة المصريّة هنا حلمي



أعمال الفنَّانة التَّشكيليّة هنا حلمي









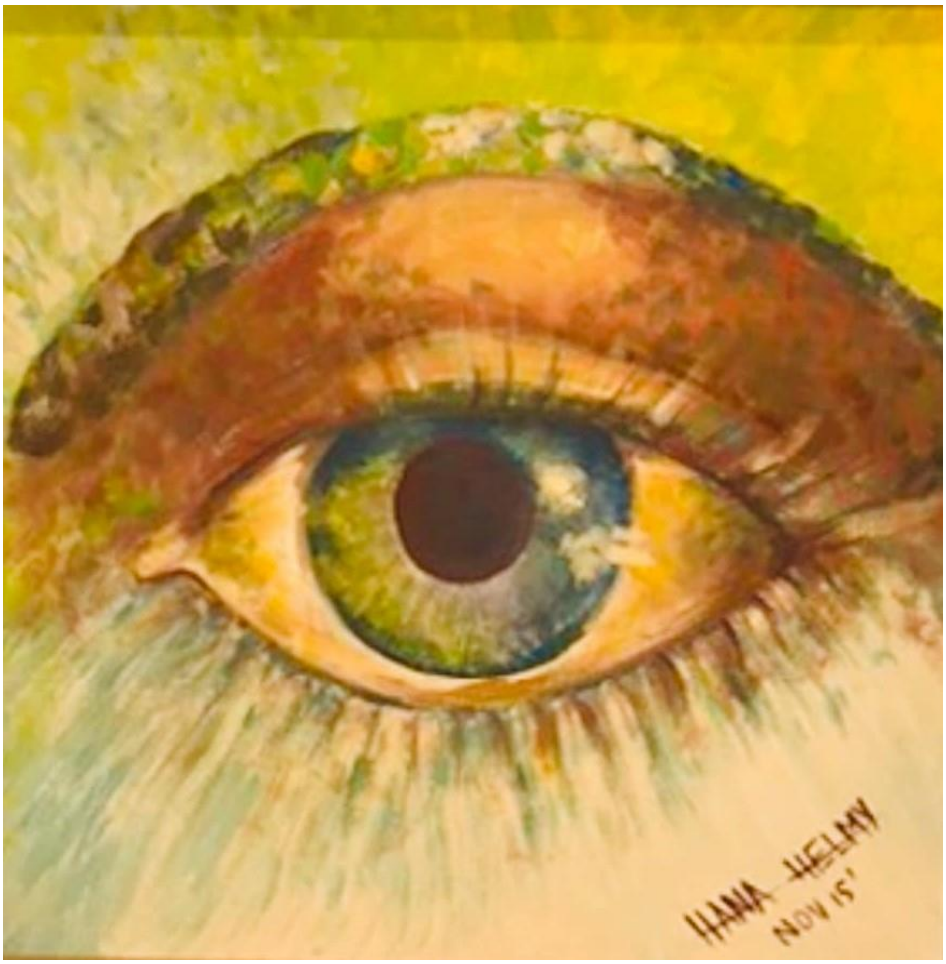
HANA HELMY
NOV 15'



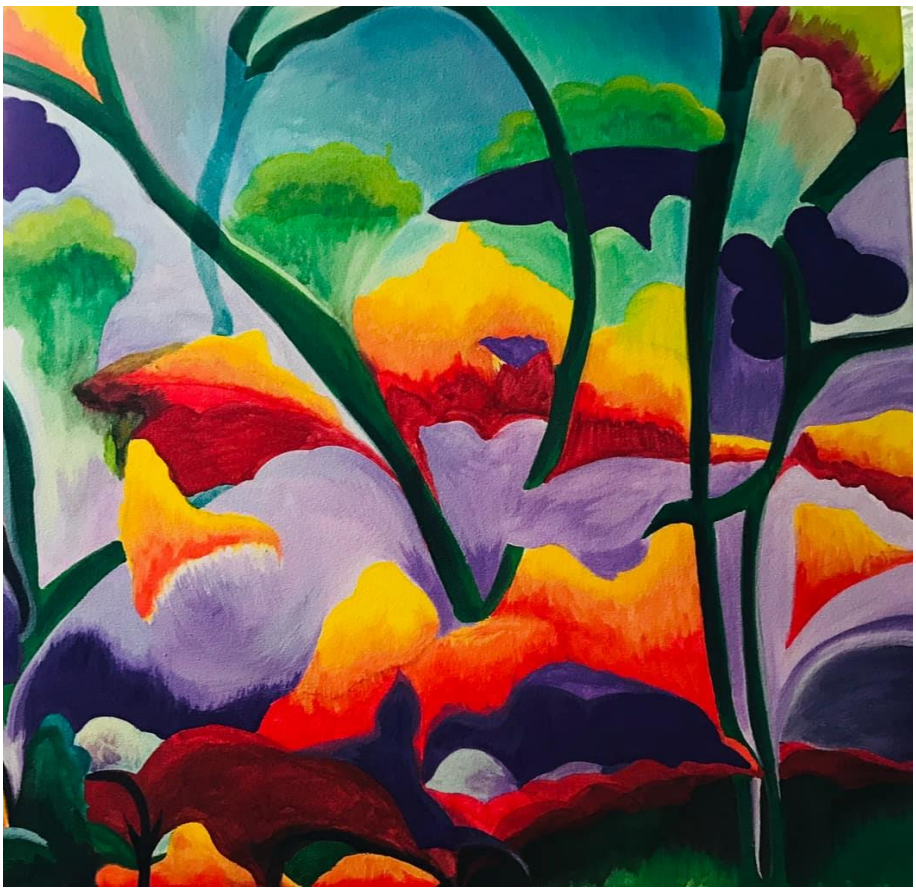













25. الفنَّان التَّشكيلي العراقي شاكر نوري



أعمال الفنَّان التَّشكيلي شاكر نوري




Shakir





26. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري الكردي بهزاد محمد إبراهيم



أعمال الفنّان التّشكيلي بهزاد محمد إبراهيم










Behzad 2023







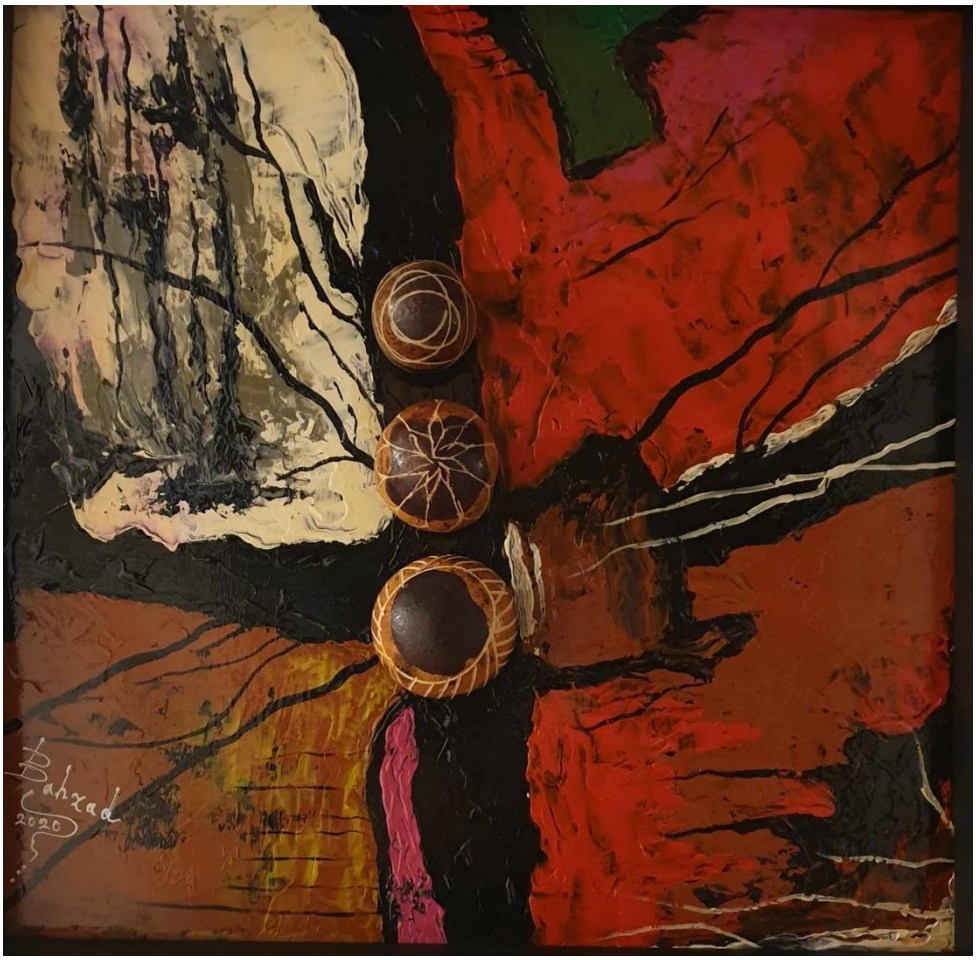
Bahzad
2020



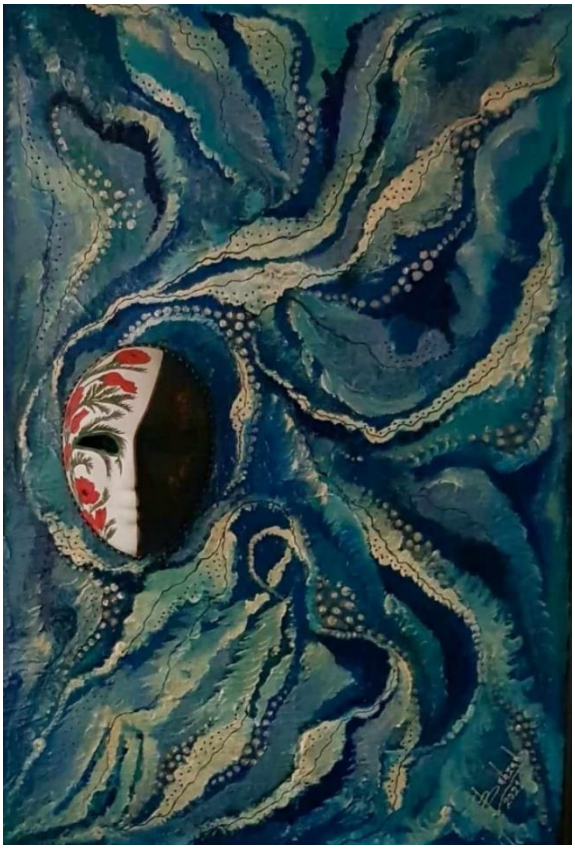





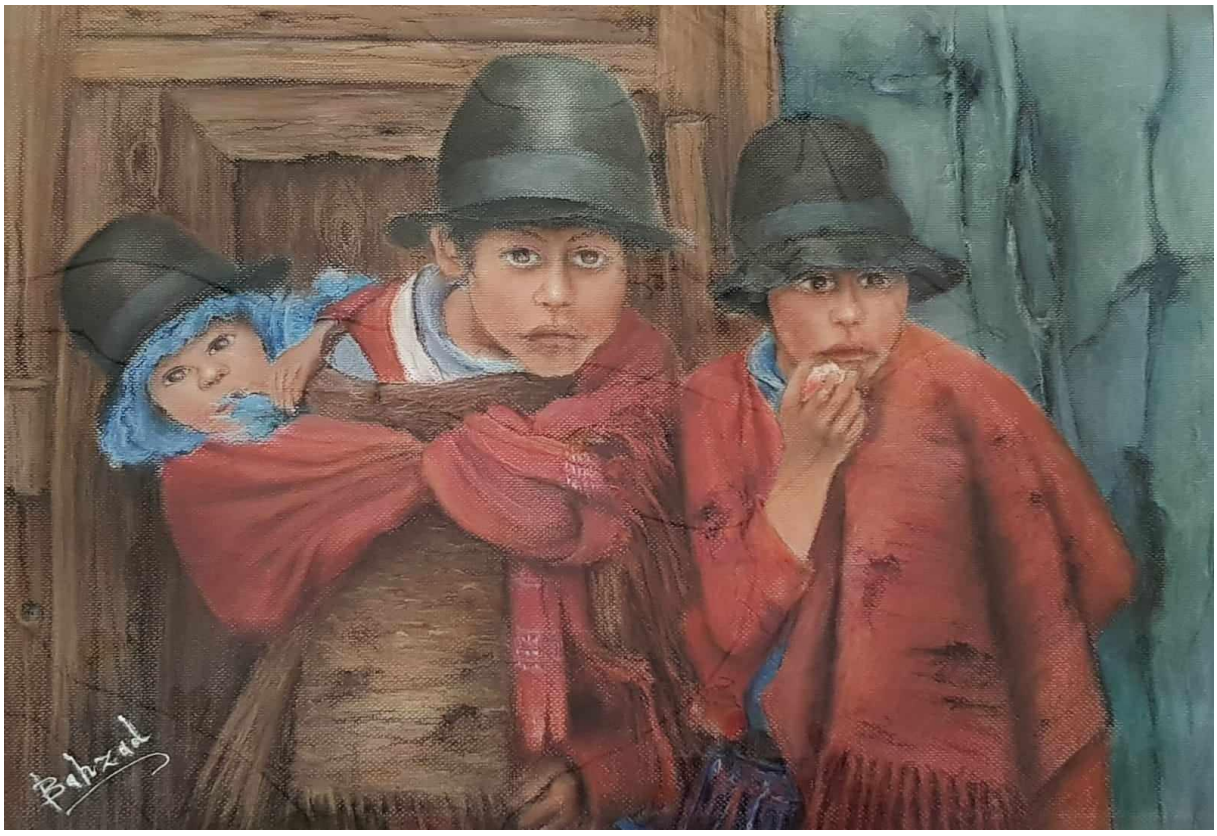
Behzad


Behzad






Behzad

27. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري عبدالرحمن مهنّا



أعمال الفنَّان التَّشكيلي عبدالرحمن مهنّا

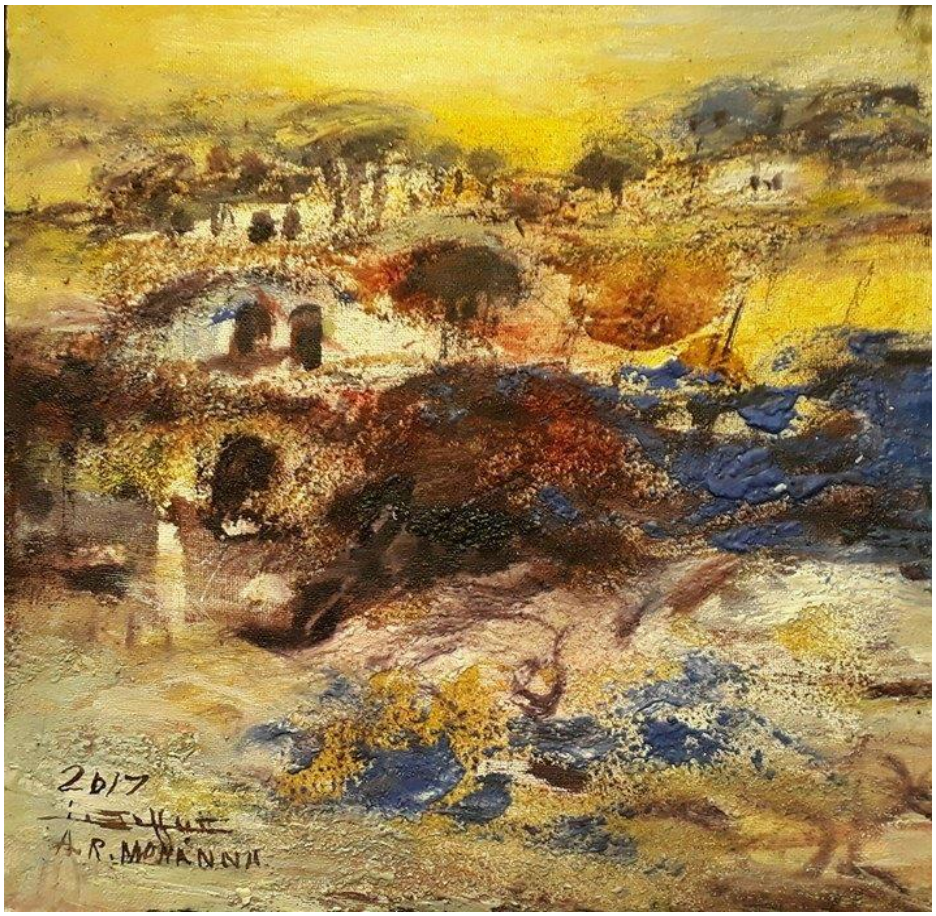


2019
A.R. MOHANNA







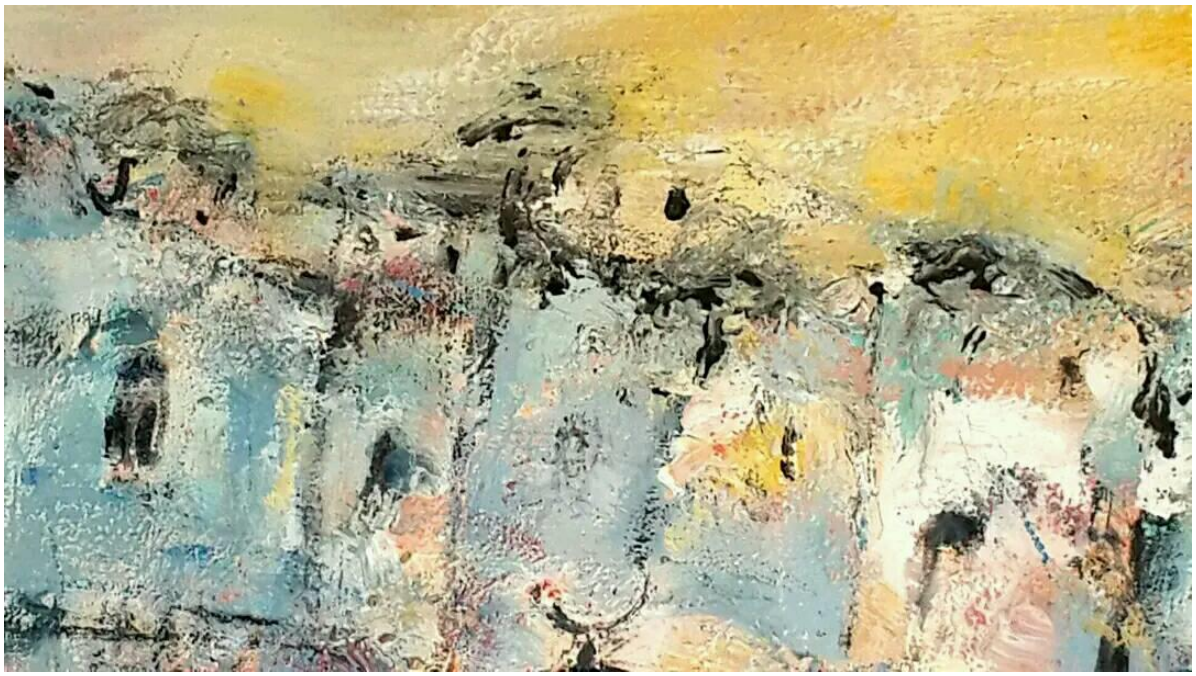



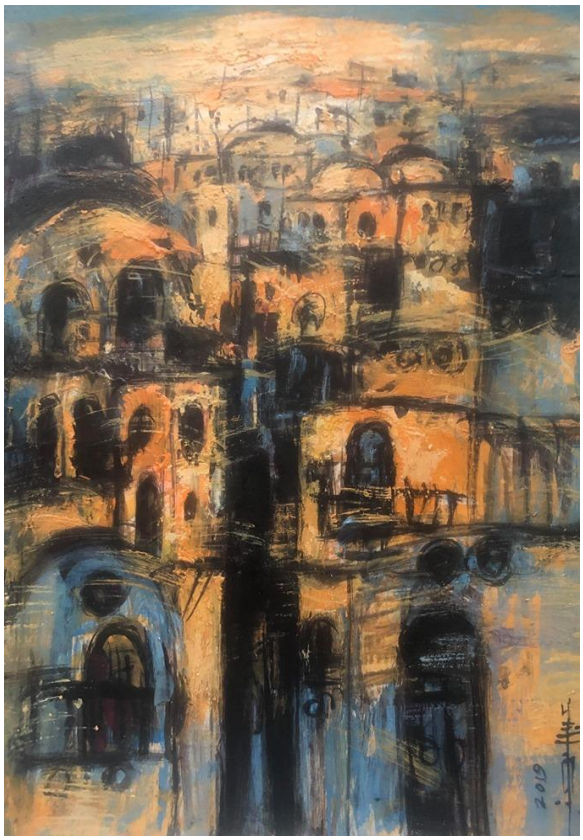
2019

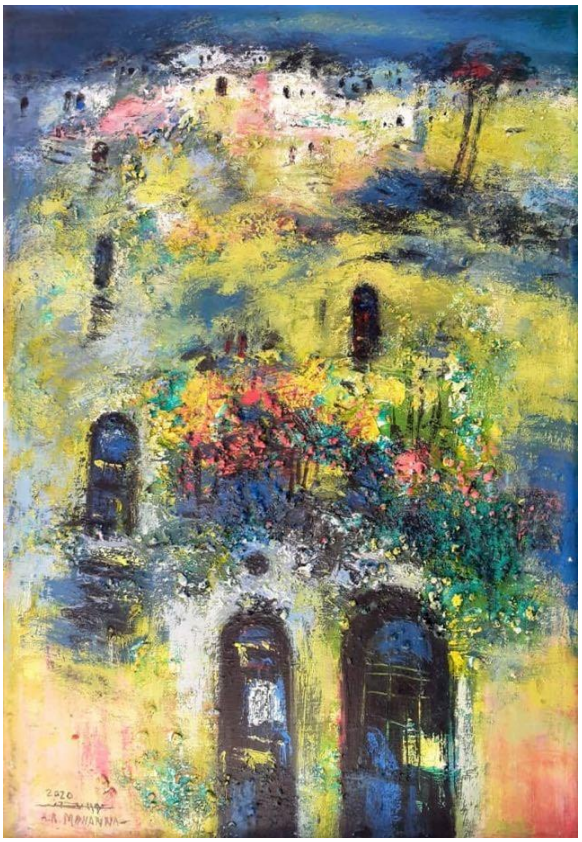
2020
A.R. MOHANNA


A.R. MOHANNA.



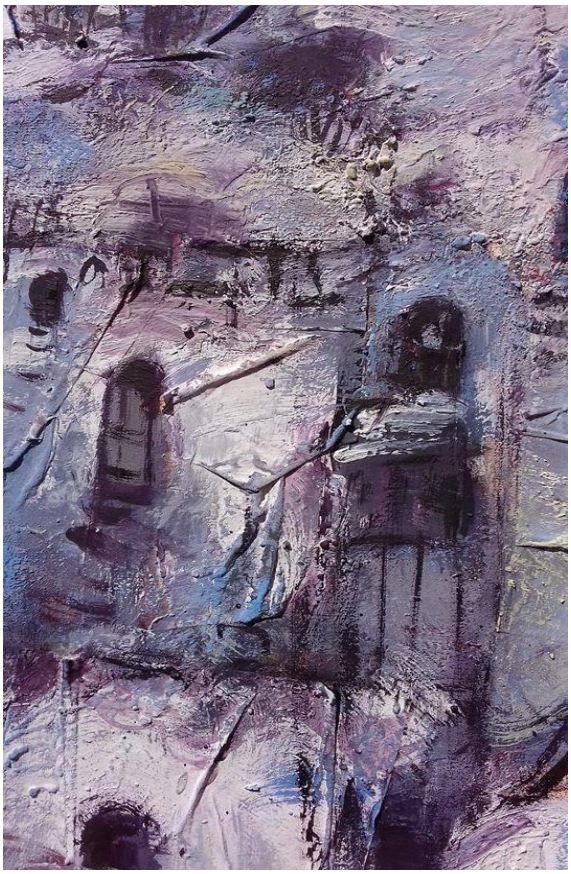

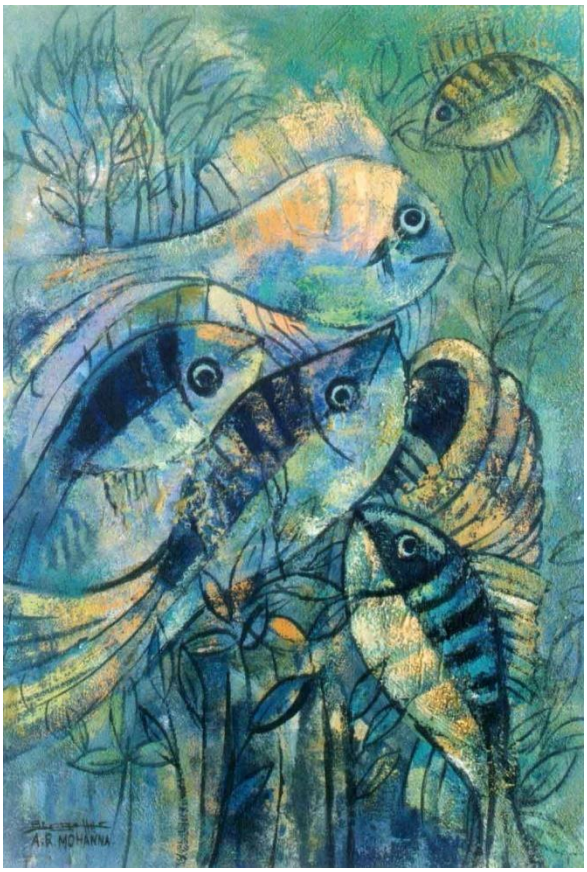

28. الفنَّان التّشكيلي السُّوري فؤاد نيسان



أعمال الفنّان التّشكيلي فؤاد نيسان



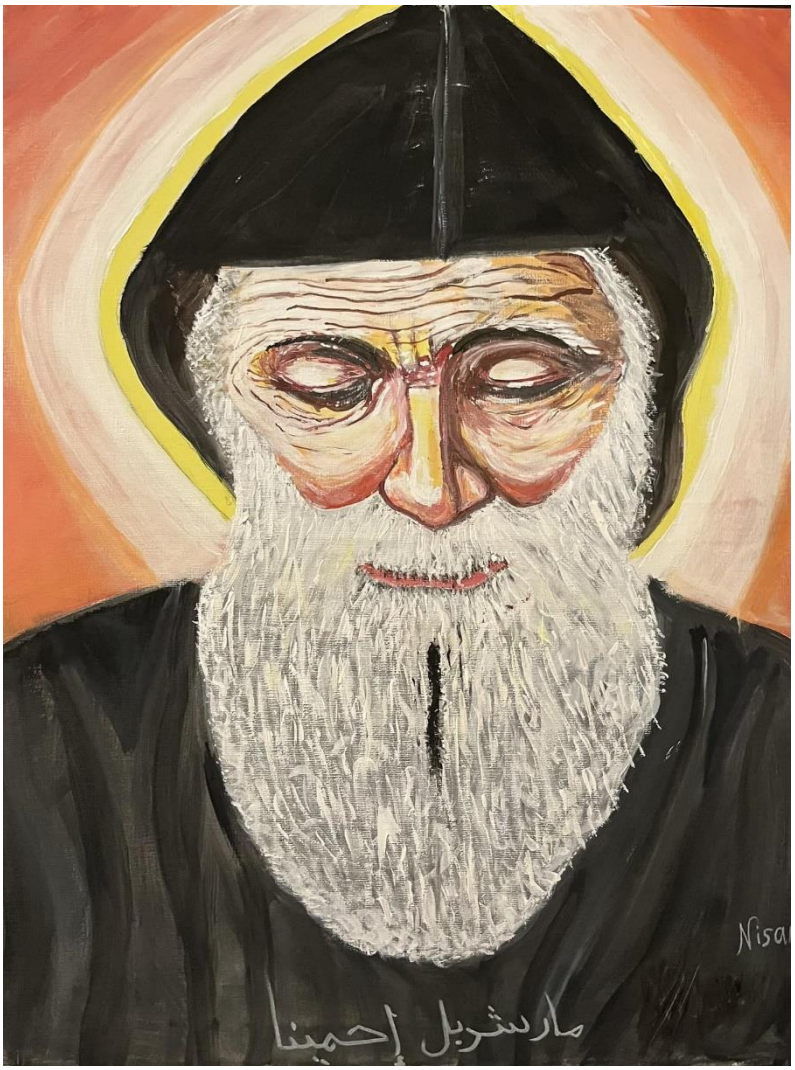
مارشربل إحمينا





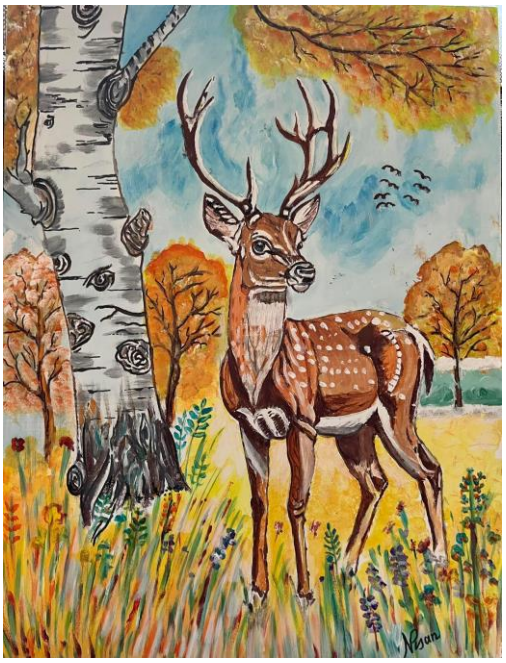

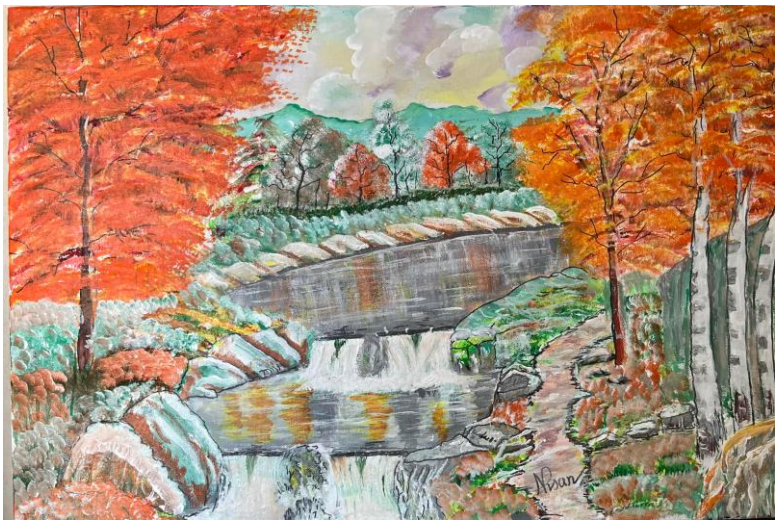






F.NISAN

29. الفنان التشكيلي السُّوري الكردي شيروان يوسف



أعمال الفنّان التّشكيلي السُّوري شيروان يوسف







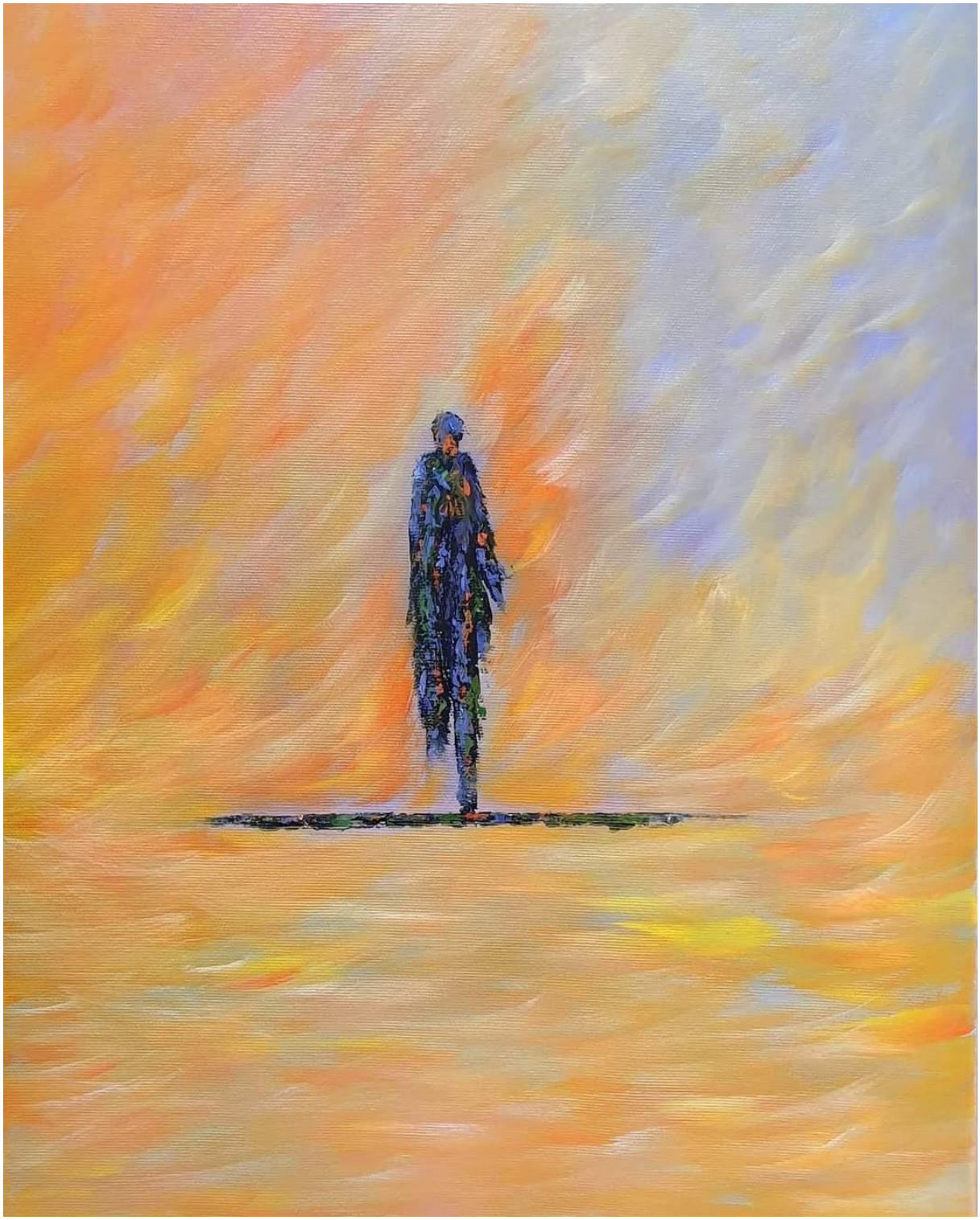





30. الفنان التشكيلي السُّوري مارسيلين إيليا



أعمال الفنان مارسيلين إيليا






Marcelin Elia
2024

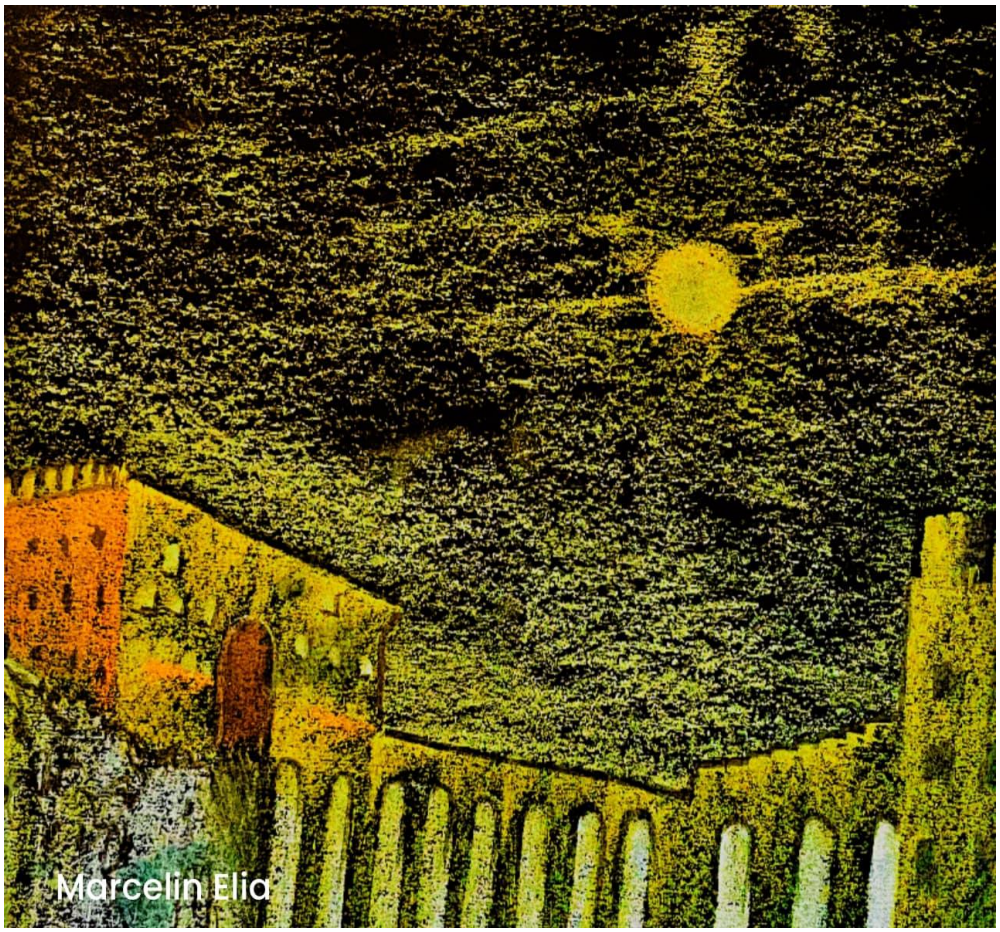
Marcelin Elia


Marcelin Elia


Marcelin Elia
2024


Marcelin Elia

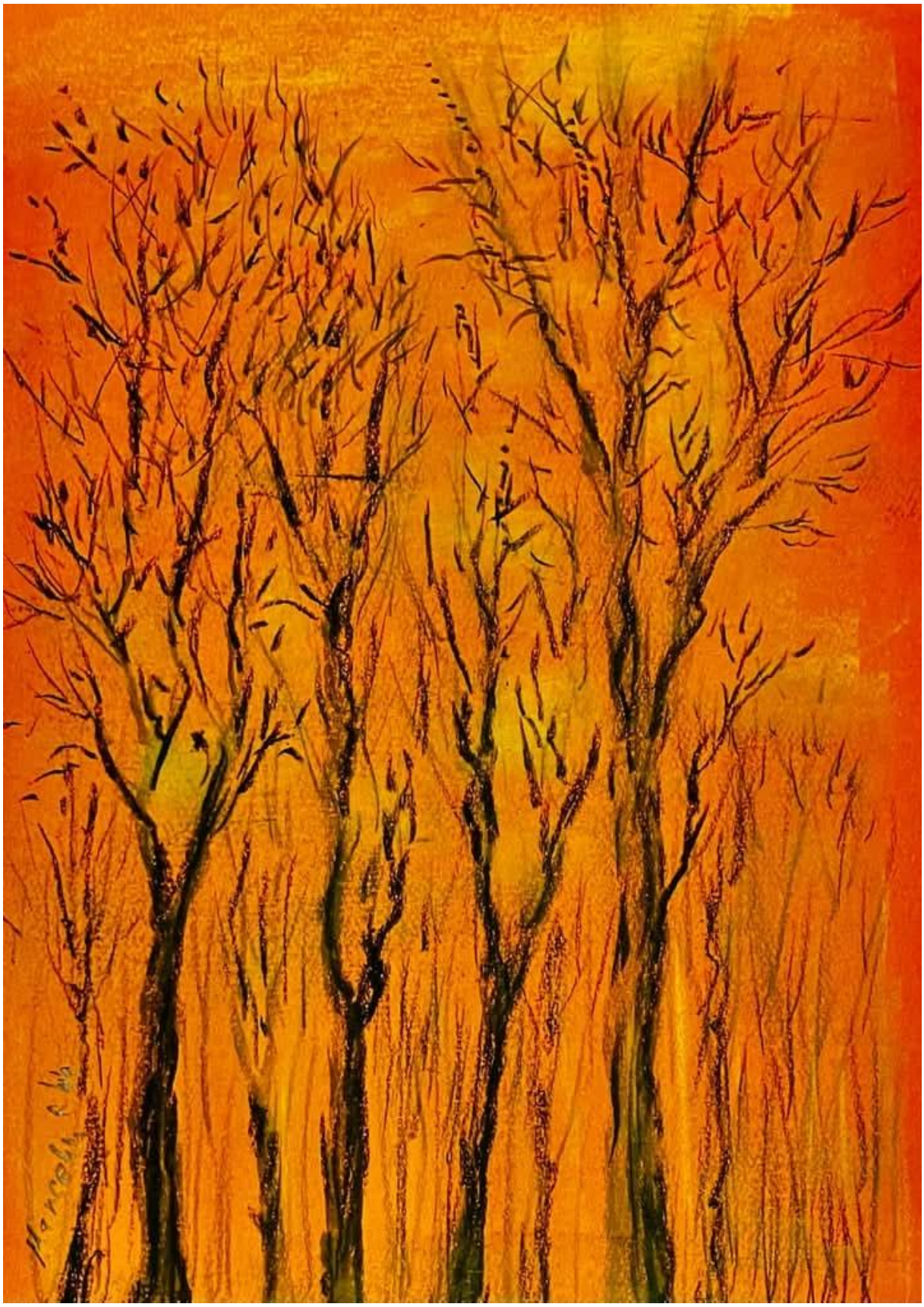

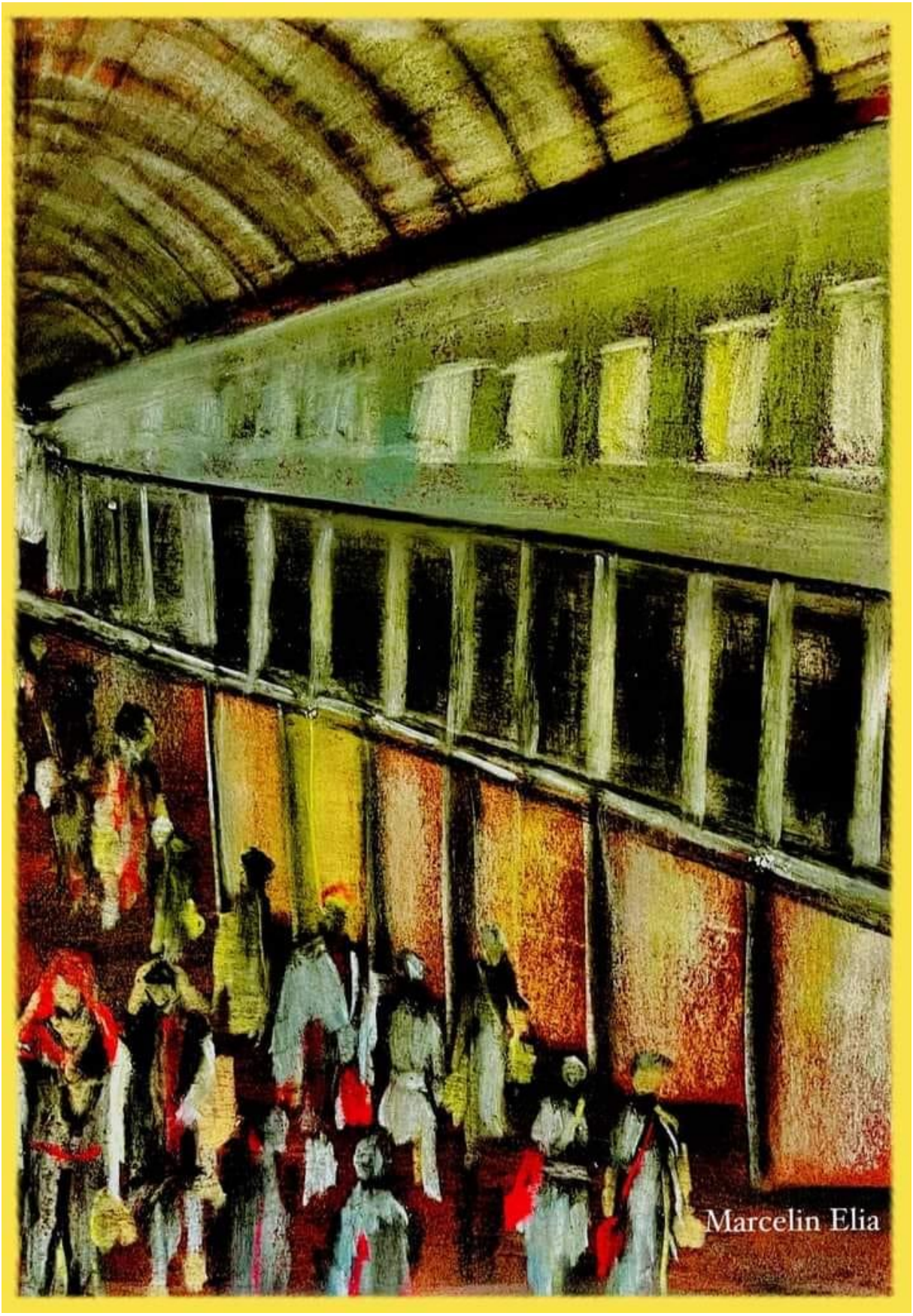
Marcelin Elia

31. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري سمير ظاظا



أعمال الفنَّان التَّشكيلي سمير ظاظا



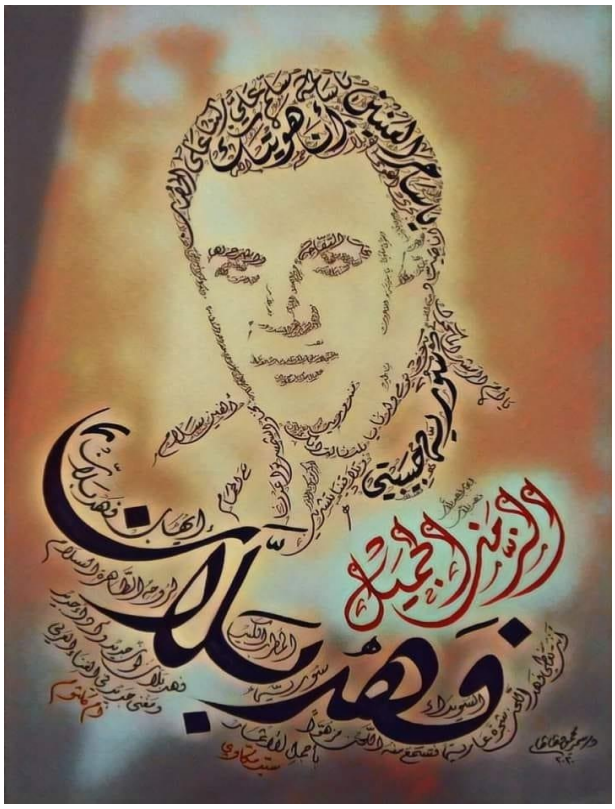

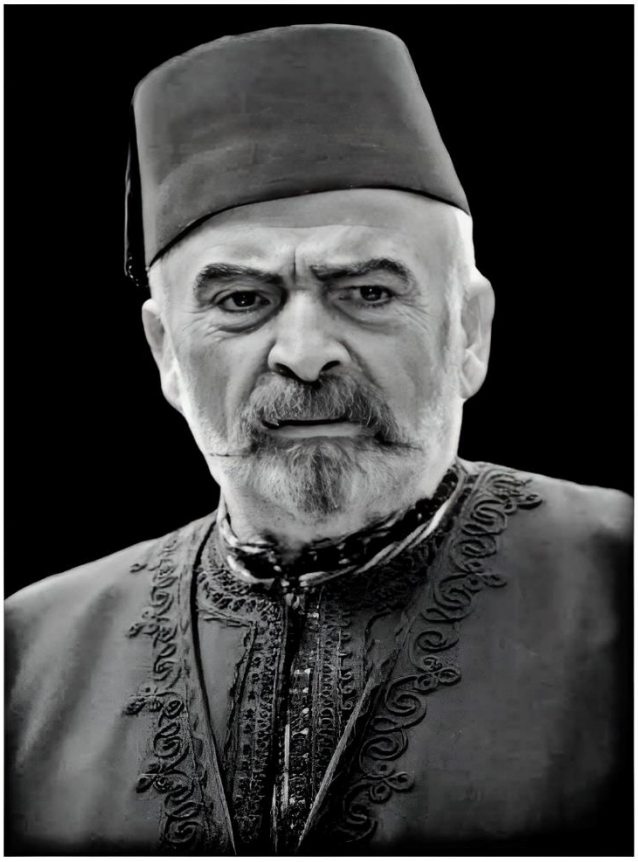



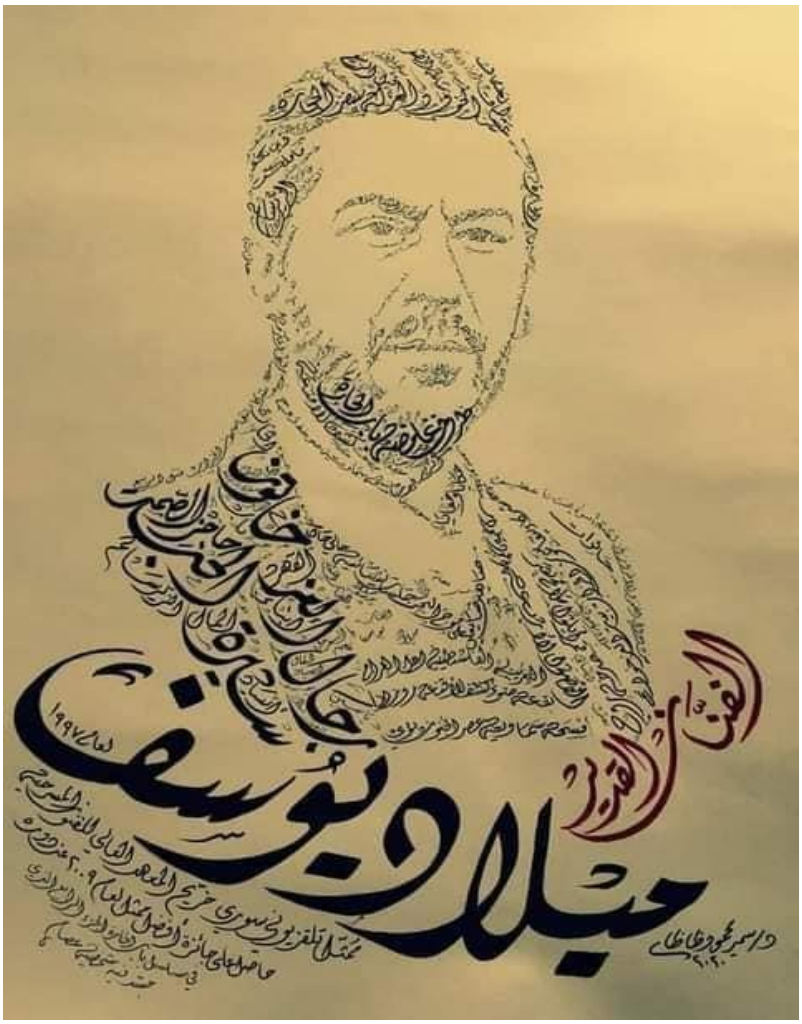
جيلاد يوسف






SOMMERAZA
2018

32. الفنّان التّشكيلي العراقي عماد زبير

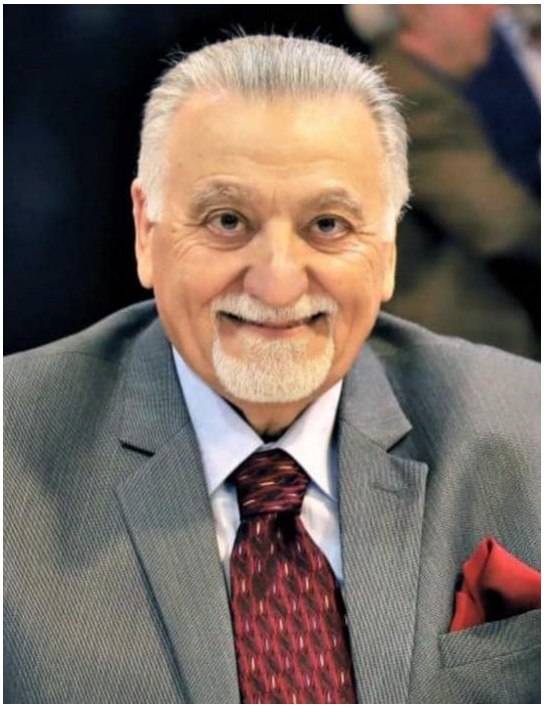

أعمال الفنّان التّشكيلي عماد زبير







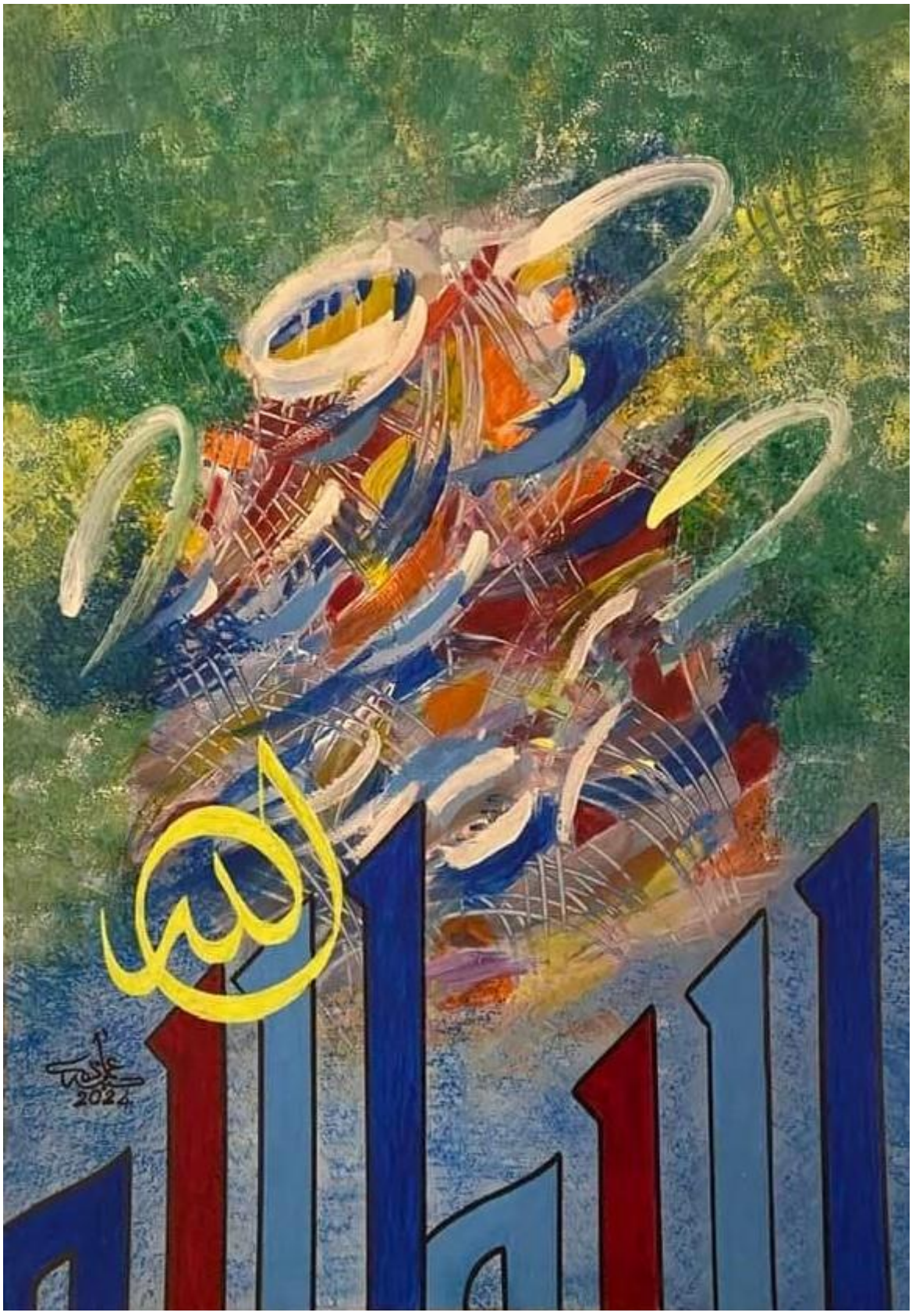
2024

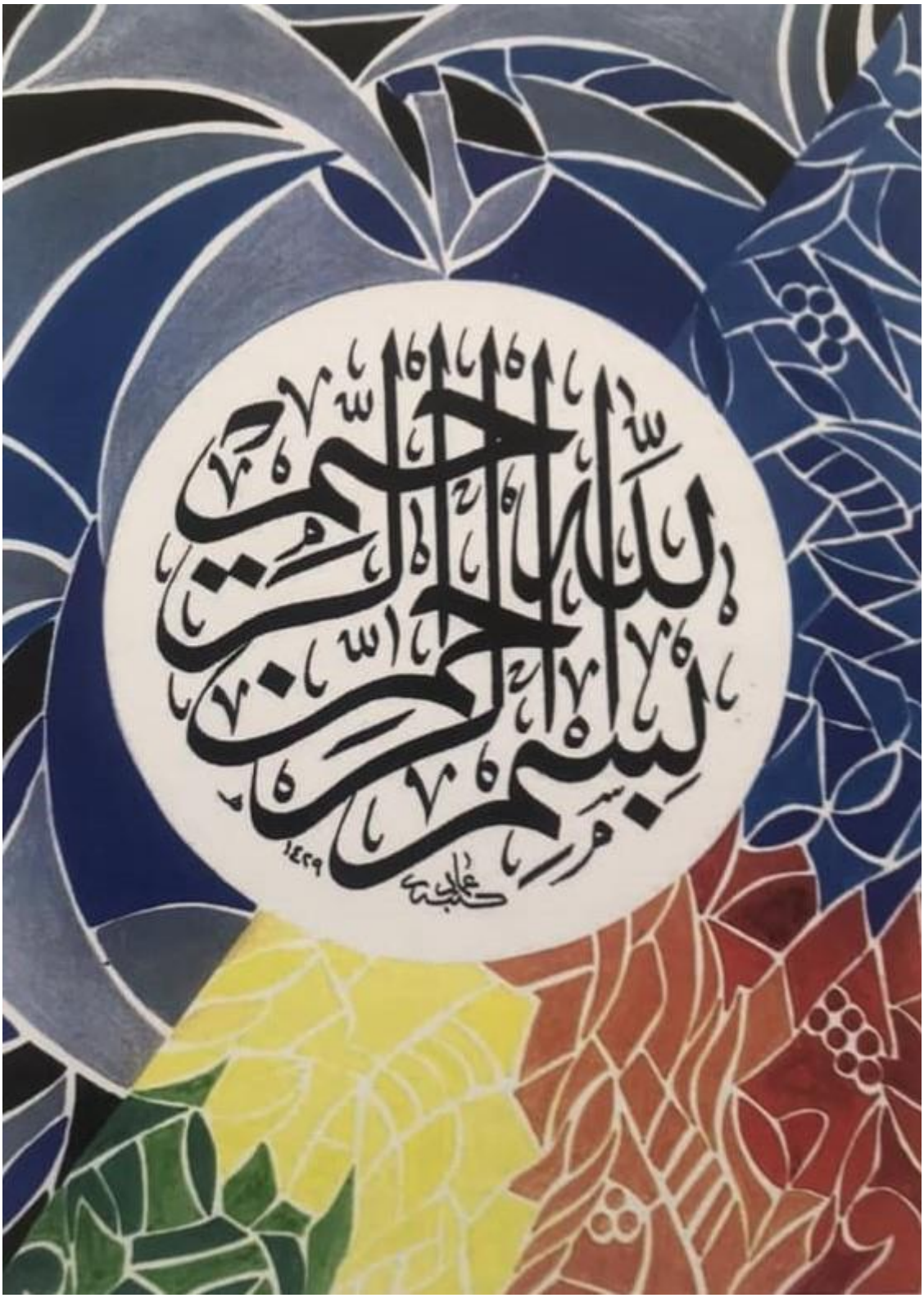
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٩
عبده

33. الفنان التشكيلي الفلسطيني جمال بدوان



أعمال الفنان التشكيلي جمال بدوان

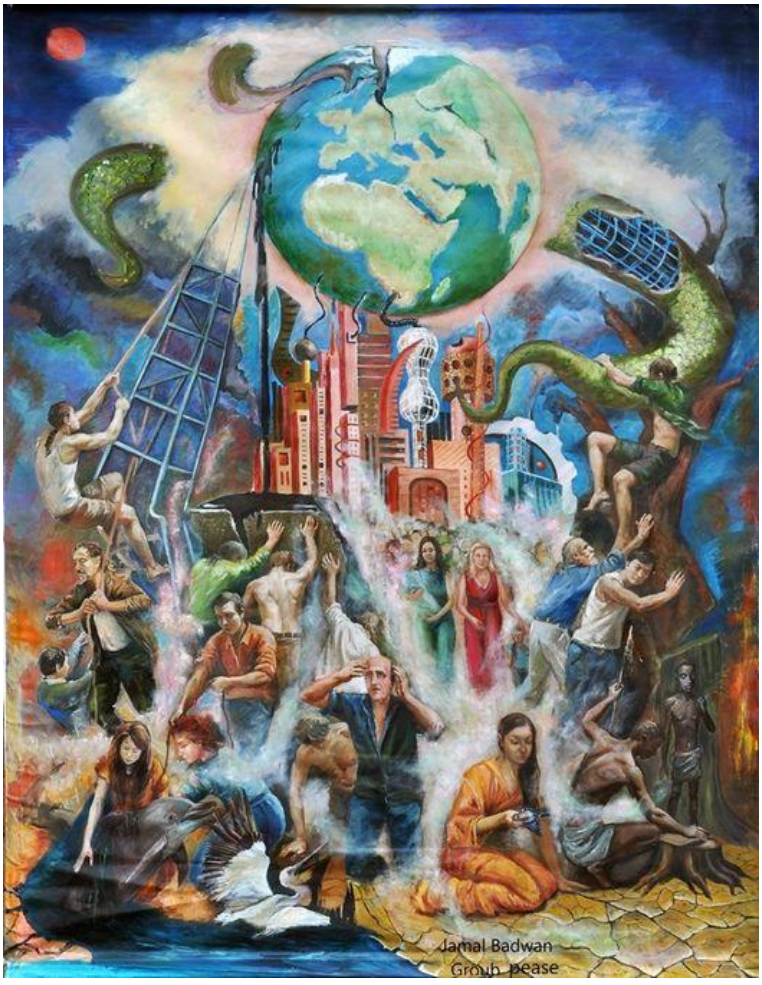


Badwan


Jamal Badwan


جمال بدوان


Jamal Badwan


Jamal Badwan

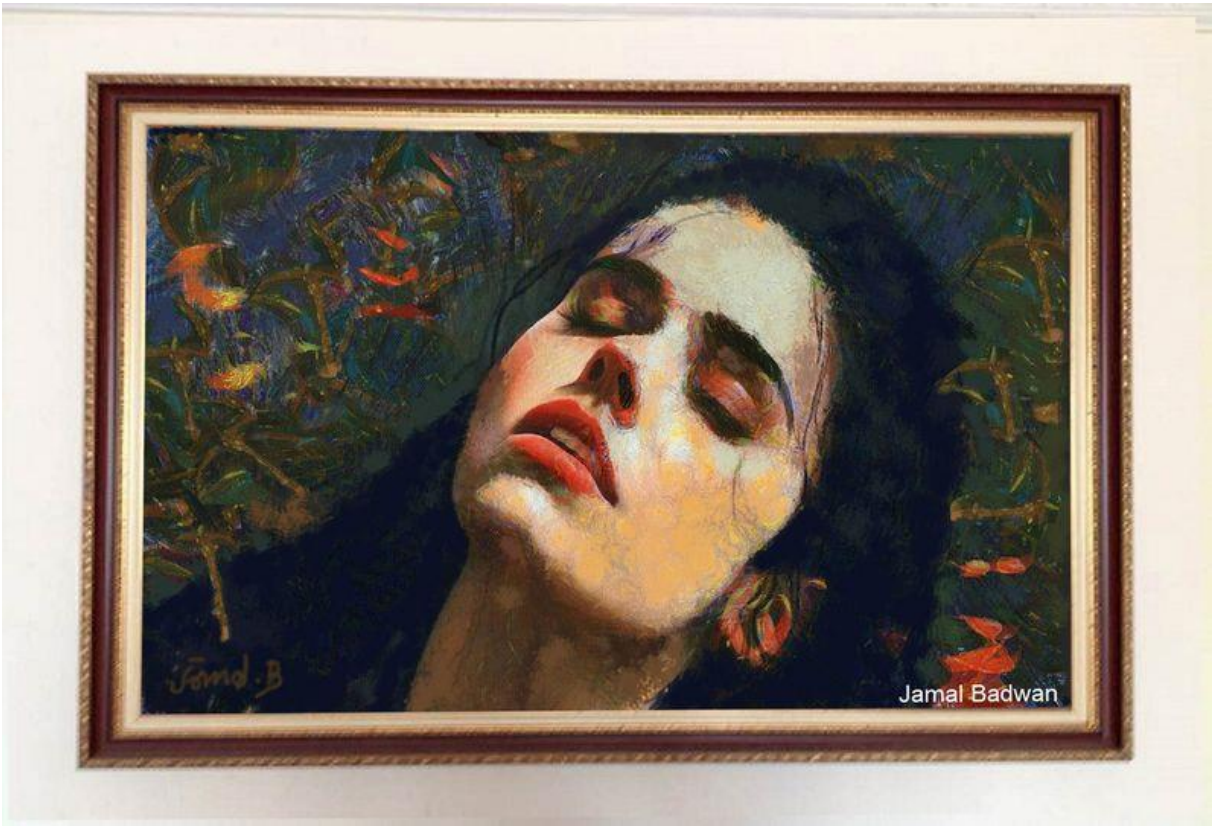
Jamal Badwan

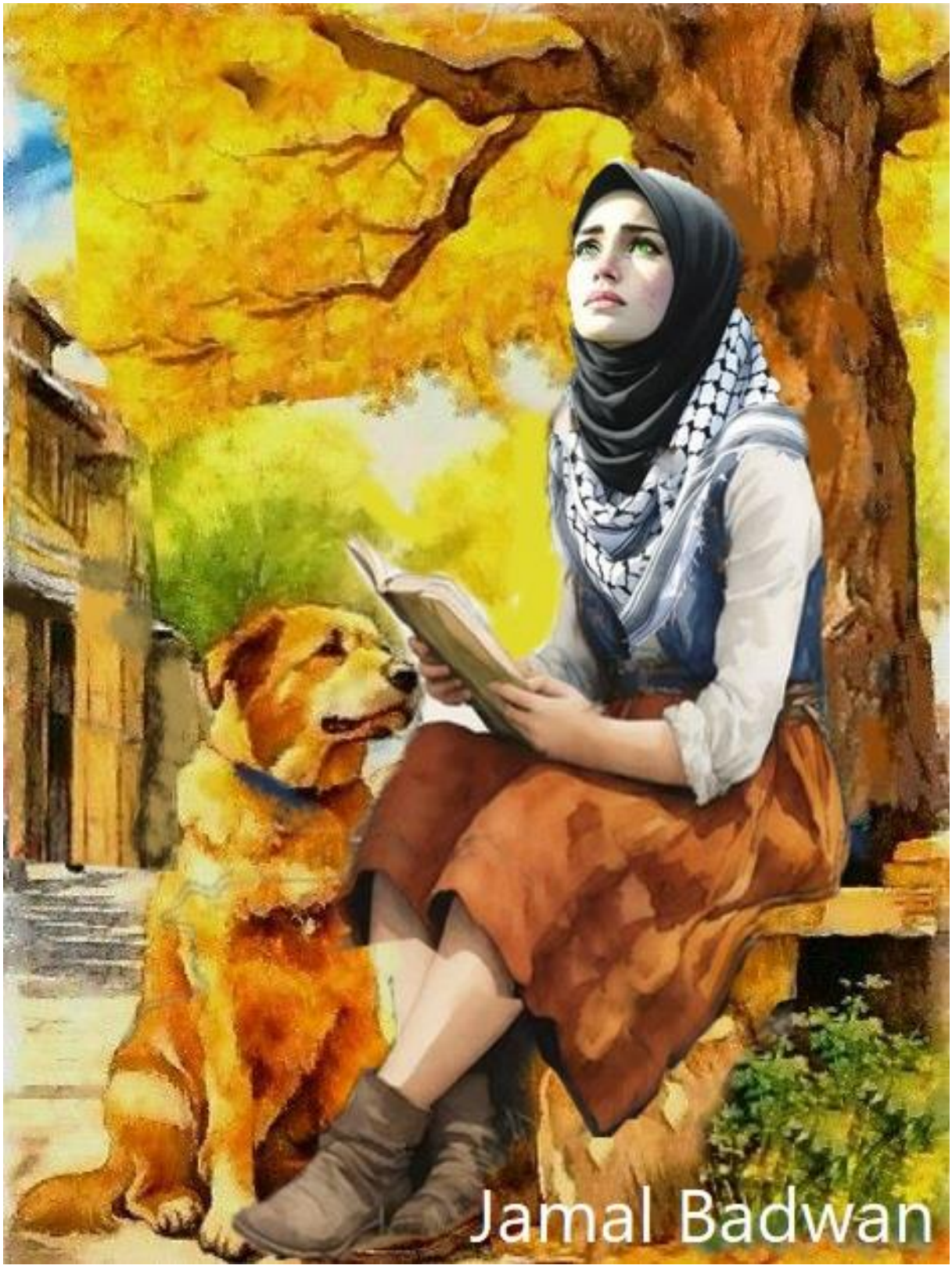
Jamal Badwan

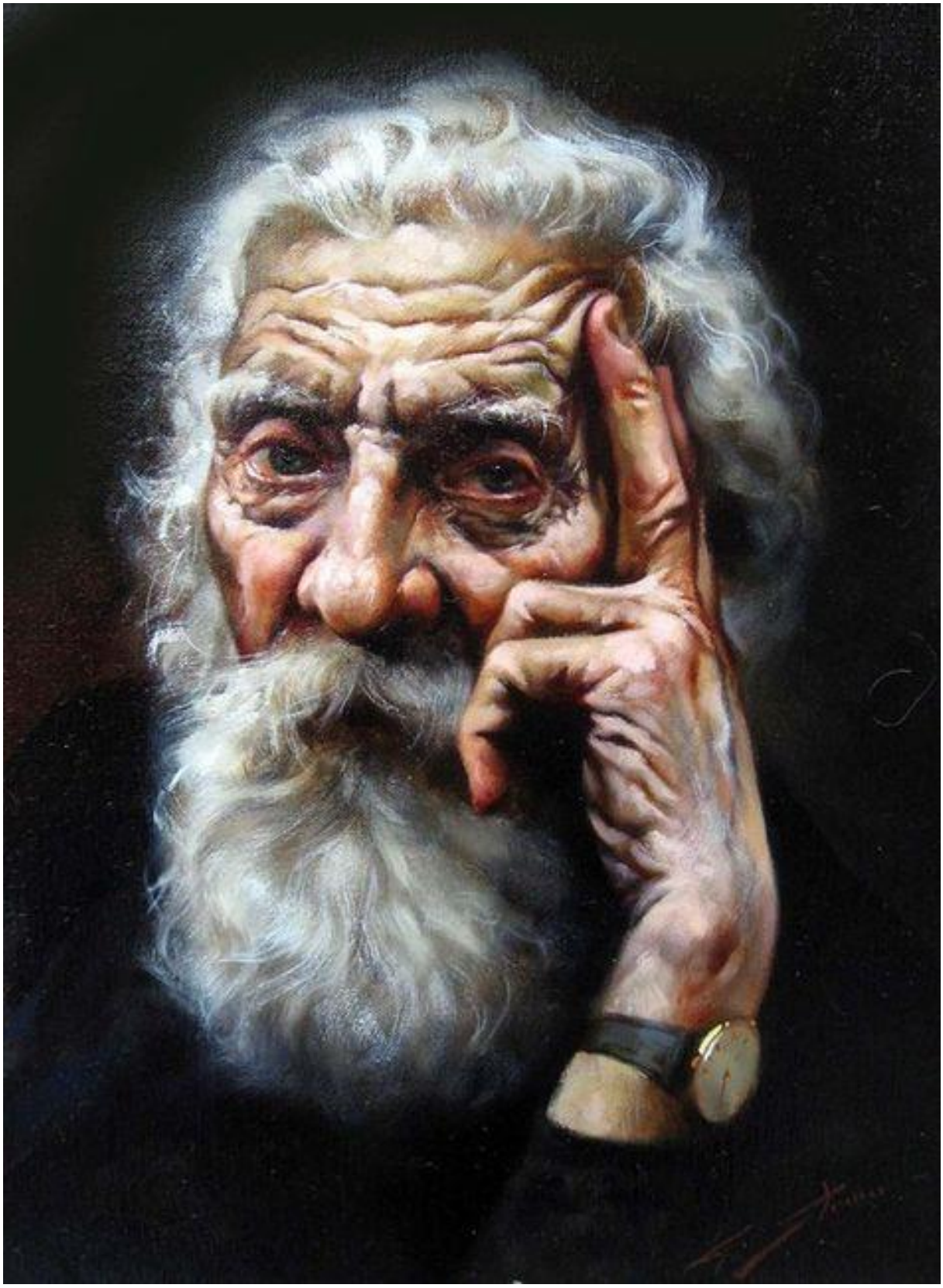

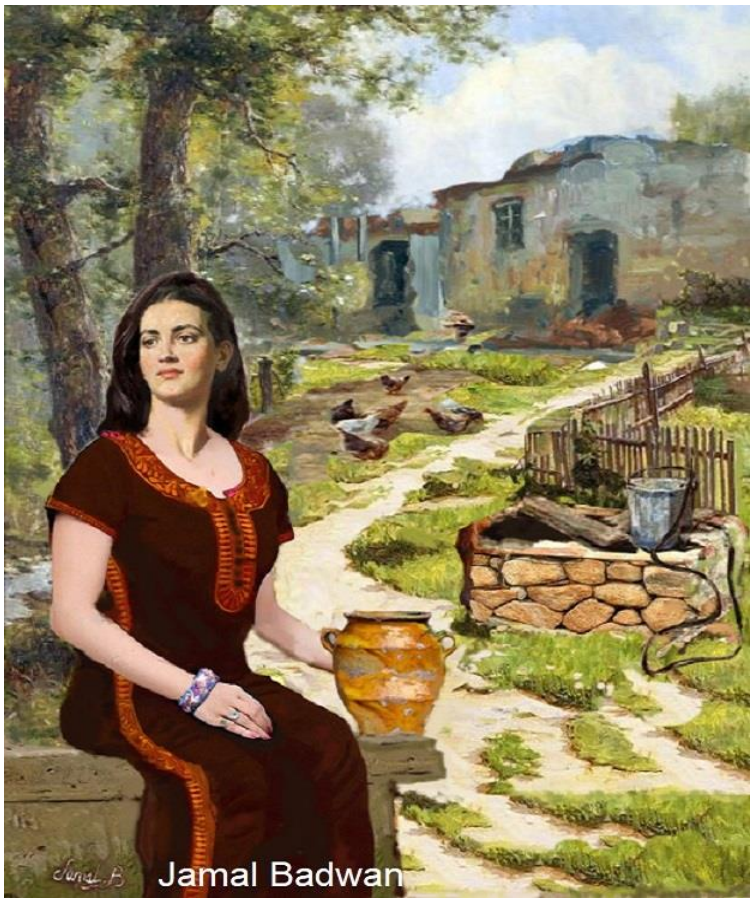
Jamal Badwan


Jamal Badwan


Jamal Badwan

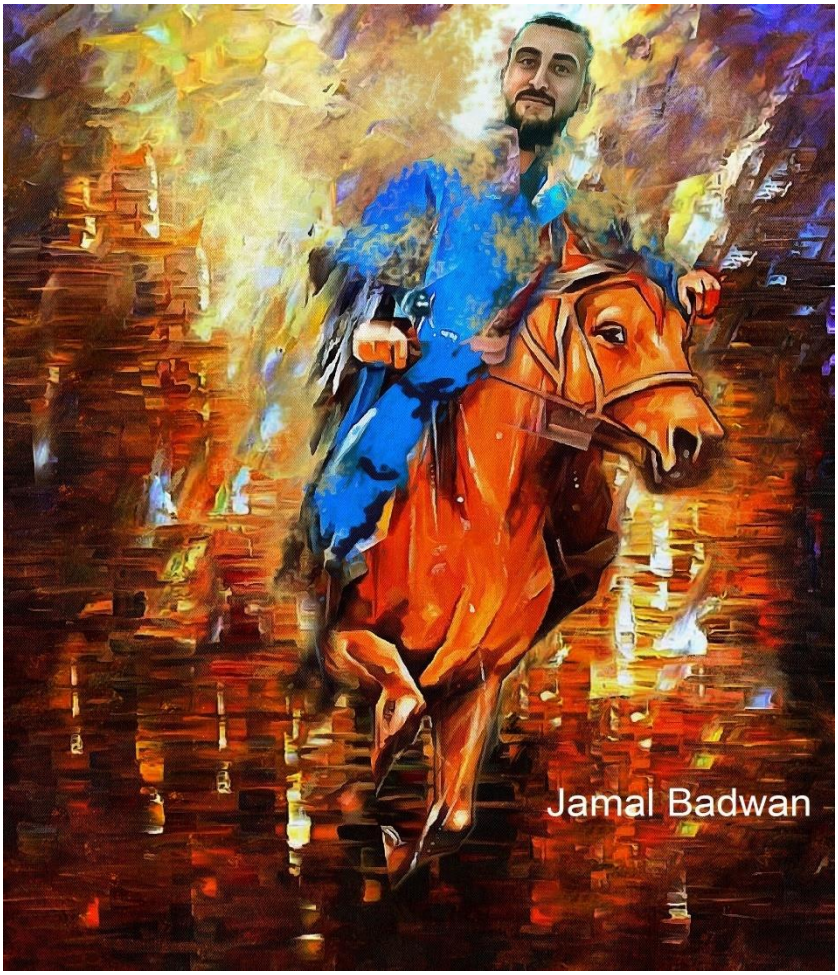
Jamal Badwan

عشرون قصيدة وعشرون لوحة للشاعر والفنّان التَّشكيلي صبري يوسف

فيما يلي بعض اللَّوحات والقصائد الشِّعريّة، المُستوحاة من اللّوحات!

34

أحلِّقُ عالياً في مآقي السَّماءِ

1



عندما أرسمُ أحلِّقُ عالياً في مآقي السَّماءِ
أودِّعُ الأرضَ وما فيها مِنْ غُبارٍ
أموجُ في زُرقةِ الأعالي
أناغي أجنحةَ اليمامِ
تحملُني الأحلامُ على أجنحةِ النَّسيمِ
لوني مِنْ مَذاقِ حليبِ الحنطةِ
مِنْ لونِ خُدودِ الأطفالِ
مِنْ طراوةِ العُشبِ
مِنْ شهقاتِ الحَنينِ إلى البيتِ الأوَّلِ

لوني مِنْ نكهةِ الذِّكرى المُعرِّشة في سَماءِ الرُّوحِ
مِنْ بهاءِ بسمةِ أمِّي
مِنْ لونِ غُربةِ الرُّوحِ في دُنيا مِنْ بُكاءٍ
أرسمُ كمَنْ يُحاكي الكونَ
حكايةَ عِشقٍ لا تنتهي

أكتبُ على أجنحةِ الفراشاتِ رهافةَ الطُّفولةِ
أرسمُ طفولتي فوقَ ندى الصَّباحِ
فوقَ أوتارِ الحنينِ إلى المَهدِ الأوَّلِ
أرسمُ لوني فوقَ أشواقِ الهِضابِ
تشتاقُ الجبالُ إلى كركراتِ الأطفالِ

أهدهدُ أزاهيرَ الشَّوقِ

2

أسمعُ دندناتِ موسيقى فيروز تعانقُ لوني
تغفو فوقَ بساتينِ الرُّوحِ
روحي في أوجِ تجلّياتِ الحنينِ
أرسمُ ما يموجُ في كياني
أهدهدُ أزاهيرَ الشَّوقِ
أنثرُ دموعَ الفَرحِ فوقَ بتْلاتِ الأزاهيرِ
عبقُها يتماهى مَعَ نسيمِ الصَّباحِ
يهبُّ فوقَ أراجيحِ الطُّفولةِ
تغمرُني ألوانُ فرحٍ لا حصرَ لها



سأكتبُ فوقَ أوراقِ الخريفِ حكاياتي
سأمحقُ برحيقِ الزُّهورِ أوجاعي
ينبثقُ لوني مِنْ بسمةِ السَّماءِ
مِنْ طنينِ نحلةٍ تحطُّ
فوقَ بتلةِ زهرةٍ
تمتصُّ النَّحلةُ رحيقَ الأزاهيرِ
يمتصُّ لوني أوجاعَ العُمرِ
أرسمُ عمراً جديداً
يرفرفُ كأجنحةِ العصافيرِ

نحنُ مَنْ نحنُ في عُمرِ الزَّمنِ؟!
شهقةُ فَرحٍ أو حُزنٍ في خِضمِّ الحياةِ
فلِمَ لا نرقصُ على أنغامِ هُبوبِ النَّسيمِ؟!

***

أموجُ فوقَ اهتياجِ البحارِ

3

أحلّقُ عالياً في رِحابِ الخيالِ
في أشهى جُموحاتِ الأحلامِ
أموجُ فوقَ اهتياجِ البحارِ
يُبهِرُني فضاءُ الكونِ

أسمعُ خشخشاتِ الأمواجِ
كأنَّها تروي لي قصّةَ الأزمانِ
مَنْ مرَّ عليهِ قصصٌ وحكاياتٌ
مثلما مَرَّ على أسرارِ وألغازِ البحارِ؟!



أهدهدُ غُيومَ الصَّباحِ
بسمةٌ وارفةٌ تُسربلُ خُيوطَ الشَّوقِ
إلى أشجارِ الحَوشِ البعيدِ
نوارسُ البحرِ جذلى
فوقَ أمَواجِ البَهاءِ
قلبي في ذروةِ ابتهالاتِهِ
يناجي بكلِّ انتعاشٍ مُهجةَ الشَّفَقِ

انبثقَتْ حوريّةُ البحرِ مِنْ شَهوةِ المَوجِ
كَمْ مِنَ الحنينِ
حتَّى رفرفَتْ أجنحةُ العِشقِ
شوقاً لأشهى مِحرابِ العِناقِ
حياتُنا لونٌ مندَّى بأنقى أهازيجِ العُمرِ!

***

تُحلِّقُ بعيداً عَنْ شوائبِ الحياةِ

4



خيالٌ مُجنَّحٌ في فَضاءَاتِ الحنينِ ينمو
لغةٌ مُرفرفةٌ كأجنحةِ الأحلامِ
تُحلِّقُ في سَماواتِ انبعاثِ الشِّعرِ
لوني يُعانقُ دَندناتِ حَرفي
عناقٌ مِنْ نكهةِ النَّارنجِ
أكتبُ كمَنْ يرقصُ في حُبورِ السَّماءِ
كَمَنْ يهدهدُ عاشقةً مِنْ جُموحِ الغَزالِ

لوني متطايرٌ مِنْ ضياءِ شَهوةِ البدرِ
مِنْ مَذاقِ عصافيرِ الجنَّةِ
يُرفرفُ عالياً بعيداً عَنْ طينِ الحياةِ
يمامتي مُنبعثةٌ مِنْ حَنينِ امرأةٍ
مِنْ كينونةِ عاشقةٍ
مُطرّزةٍ بأشهى اخضرارِ الوجودِ
جناحاها مَجدولانِ
مِنْ أبهى خمائلِ الأرضِ

تُحلِّقُ يمامتي بعيداً عَنْ شوائبِ الحياةِ
تحملُ فوقَ جناحيها وئامَ الأرضِ للسَّماءِ
ووئامَ السَّماءِ للأرضِ
يمامتي حُلُمٌ مُصفّى مِنْ جُنونِ الحُروبِ!

***

أرسمُ شمسي مِنْ شهيقِ الأحلامِ

5

تسطعُ شمسي مِنْ أزهى مُروجِ الخيالِ
مِنْ أعمالِ بهجةِ الرُّوحِ
تبتسمُ للوجودِ .. لكلِّ الكَائناتِ
أرسمُ شمسي مِنْ شهيقِ الأحلامِ
كي تُغدِقَ على الأرضِ رحيقَ الحياةِ



لوني مستقطرٌ مِنْ ضياءِ الشَّمسِ
مِنْ أرقى ما تَنامى في قُبَّةِ العُمرِ
دقَّاتُ القلبِ مُنبعثةٌ مِنْ وَهجِ الشَّمسِ
مِنْ جموحِ لونٍ مُندَّى بأريجِ العبيرِ!

حرفي ولوني جناحانِ مُتوَّجانِ بخيوطِ الوئامِ
أستوحي حرفي مِنْ رحيقِ الاخضرارِ
ولوني ينهالُ عليَّ مِنْ دندناتِ الأغاني
أنا وحرفي صديقانِ مُنذُ الأزلِ
ألواني قصائدُ شِعرٍ مِنْ أصفى الأنغامِ

تعانقُ السَّماءُ سُطوعَ الشَّمسِ
دِفـءُ الشَّمسِ هديةُ الأعالي
حياتُنا مرهونةٌ لمرامي السَّماءِ
كَمْ مِنَ الدِّفـءِ حتّى تبرعمَتْ خمائلُ الكونِ
أفهرسُ لوني فوقَ مآقي السَّماءِ!

***

حياتي مكتنزةٌ بأزهى الألوانِ

6

كلَّما نهضْتُ مِنْ نومي عانقَني لوني
عِناقاً مُضمَّخاً بأشهى حُبورِ التَّجلّي
أزاهيري حالةُ عِشقٍ مجنَّحةٌ
في دُنيا مَفروشةٍ فوقَ شفيرِ الغدرِ
أمحقُ أحزاني عبرَ إشراقةِ أزاهيري
يرفرفُ خيالي نحوَ ضياءِ الشَّرقِ
يريدُ أن يستعيدَ أبهجَ الأيَّامِ



تُهنا في غربةٍ مكثَّفةٍ
في ضراوةِ الانكسارِ
تنتشلُني تواشيحُ لوني
مِنْ غربةِ الأيّامِ
حرفي صديقُ يومي وأمسي
أملٌ مُبرعمٌ في سَماءِ الرُّوحِ
حياتي مكتنزةٌ بأزهى الألوانِ
أنبشُ ما يموجُ في أعماقي
مِمَّا يراودُني مِنْ جموحِ البوحِ
وأفرشُهُ فوقَ خميلةِ الحياةِ
أصوغُ لوني مِنْ بهاءِ الطَّبيعةِ
مِنْ نضارةِ النَّدى المُتناثرِ
فَوقَ رفرفاتِ أجنحةِ العُمرِ
حرفي ولوني مُنبعثانِ
مِنْ أشهى الأحلامِ!

***

قلوبٌ مُتعانقةٌ مَعَ روعةِ المروج

7



قلبي مخضوضرٌ بأبهى الأزاهيرِ
مبرعمٌ بالفرحِ وحُبورِ السَّنابلِ
تسطعُ ألواني شوقاً إلى سهولِ القمحِ
إلى ظِلالِ البيتِ العتيقِ
إلى أكوامِ الحنطةِ

قلوبٌ مُتعانقةٌ مَعَ روعةِ المروجِ
ترقصُ على إيقاعِ دورانِ النَّوارجِ
مِراراً هَدهَدَني أثناءَ الرُّكوبِ نورجي
ستبقى مُرفرِفاً في لُبِّ الخيالِ
ذاكرتني ثروةٌ مكتنزةٌ
بأشهى عناقيدِ العِنبِ

قلبانِ مُتعانقانِ بينَ أحضانِ الرَّبيعِ
تزهو حولنا سنابلُ المَحبَّةِ
نتوهُ بينَ سُهولِ الفرحِ
حقولُ النَّرجسِ البرّي في الانتظارِ
هناكَ عِندَ مُرتفعاتِ الحَنينِ

تنبعثُ لوحتي مِنْ خيالٍ مُجنَّحٍ
نحوَ منابعِ الطُّفولةِ
أرسمُ عوالمي مِنْ انبعاثِ هِلالاتِ الرُّوحِ!

***

اخضرارُ الرُّوح يُعانقُ بياضَ القلبِ

8



حالما أمسكُ ريشتي أو سِكّينَ الألوانِ
تتراءَى أمامي أبهى تماوجاتِ الاخضرارِ
أنجذبُ إلى مآقي العيونِ
إلى جنائنِ الأحلامِ البعيدةِ
أفرشُ ألواني على إيقاعِ أرقى الأنغامِ
تولدُ مِنْ مرامي الوئامِ
مِنْ حَميميَّاتِ الودادِ

أستوحي براءَةَ الألونِ مِنْ رهافةِ الفَراشاتِ
تنبعثُ تلاوينُ آفاقي
مِنْ وهجِ الابتهالِ
كأنَّها ترقصُ فرحاً لقدومِ الرَّبيعِ
نشوةٌ غامرةٌ تُسربلُ حُبورَ القلبِ
تُدغدغُ خيوطَ الشَّوقِ
إلى ألعابِ الطُّفولةِ
المُضمّخةِ بنورِ الحياةِ

اخضرارُ الرُّوح يُعانقُ بياضَ القلبِ
أسبحُ في رِحابِ التَّجلّي
كأنّي أُحلّقُ في جُموحاتِ حُلُمٍ
مَفتوحٍ على فضاءَاتِ المَدى
حياتُنا رحلةٌ في فضاءِ المَجهولِ
سؤالٌ مُخضوضرٌ بشهقةِ الاشتياقِ!

***

أسافرُ مَعَ ألواني إلى شَهقةِ الشَّفقِ

9

قلبٌ معرَّشُ في رحابِ البياضِ
مُستوحى مِنْ روحانيَّةِ الشَّاعرِ
الأب يوسف سعيد
شاعرٌ مُضمَّخُ بأجملِ الألوانِ
مُجنَّحٌ نحوَ أصفى مَنابعِ الاخضرارِ
أرسمُ شغفي فوقَ ضياءِ الشَّمسِ
فوقَ أصفى ابتهالاتِ الرُّوحِ



الشِّعرُ طريقُنا إلى ضياءِ السَّماءِ
لوحتي تُهدهدُ أرخبيلاتِ العُمرِ
انبعثَتْ لغةُ الأب يوسف سعيد
مِنْ سُطوعِ الشُّموعِ!

أُبلِّلُ حرفي بمذاقِ أبهى الألوانِ
أسافرُ مَعَ ألواني إلى شَهقةِ الشَّفقِ
أبكي فرحاً كأنّي أعانِقُ وجنةَ الصَّباحِ
حياتي مرهونةٌ لدندناتِ حرفٍ
مُندَّى برذاذاتِ ماءِ الحياةِ

أبحثُ عَنْ لونٍ مِنْ رضابِ العِشقِ
كي أوشِّحَ وجنةَ الحياةِ بتاجِ الضّياءِ
أنا حكايةُ فرحٍ محبوكةٌ بأصفى الألوانِ!

***

حياتُنا زهرةٌ مُضمَّخةٌ بطراوةِ الأرضِ

10

تنمو أزاهيرُ بيضاءُ في روابي العُمرِ
تُضيءُ بصيرةَ الرُّوحِ
تُنعشُ تجلِّياتِ بوحِ الحرفِ



حياتُنا زهرةٌ مُضمَّخةٌ بطراوةِ الأرضِ
سَنابلُ الأملِ تزهو شامخةً
بينَ خميلةِ الأزاهيرِ ..
تَناغُمُ الألوانِ يَسمو في سَماءِ البَهاءِ
تُتوَّجُ يمامةُ الوئامِ بتاجِ الصَّفاءِ

لوحةٌ مَمْهورةٌ بيخضورِ الخيرِ
جموحُ اللّونِ يهفو
إلى انبلاجِ إشراقِ الحرفِ
يتناغمُ انبعاثُ الشِّعرِ
مَعَ تراقصاتِ حُبورِ التَّشكيلِ
أعزفُ تلاويني على أنغامِ التَّجلّي

أرسمُ كمَنْ يكونُ في حالةِ سُكْرٍ
مِنْ توهُّجاتِ بهجةِ الابتهالِ
الطَّبيعةُ صديقةُ بوحي ولوني
يمنحُني الرَّسمُ أرقى حالاتِ انتعاشٍ
يمحو تراكُمَ نتوءَاتِ الأحزانِ!

***

أزاهيري مُنبعثةٌ مِنْ جُموحاتِ الرُّوحِ

11



ترقصُ ألواني فرحاً حُبَّاً شَوقاً
إلى عِناقِ واحاتِ الوئامِ
أُحلّقُ في سَماواتِ حَرفٍ مُتماهٍ
مَعَ أنقى الألوانِ
كأنّي في رحلةِ عِشقٍ
إلى أزهى جنائنِ الوفاءِ
يُقمّطُني اخضرارُ الحياةِ
يفتحُ لي بوّاباتُ العُبورِ
إلى مُروجِ الهناءِ

أرسمُ ما يموجُ في الخيالِ
فوقَ طينِ الحياةِ
أزاهيري مُنبعثةٌ مِنْ جُموحاتِ الرُّوحِ
تزهو فوقَ جفونِ الصَّباحِ
ترتّلُ ترتيلةَ حُبٍّ مَعَ تغاريدِ الطُّيورِ
تموجُ ألواني بأصفى تجلّياتِ القُبَلِ

هواجسي موشومةٌ بندى الحياةِ
تتناثرُ فوقَ خميلةِ العُمرِ
لوحتي مَغموسةٌ بأسرارِ ألغازِ الحنينِ!

***

سنبلةٌ شامخةٌ في آفاقِ الخيالِ

12

تُذكّرُني لوحاتي بسهولِ القمحِ
بأبي المُبرعمِ بينَ أحضانِ الرَّبيعِ
يحرسُ حُقولَ الحنطةِ الخضراءِ
مُنذُ نموّها على وجنةِ الأرضِ
حتَّى آخرِ مواسمِ الحصادِ



كَمْ كانَ مُنتعشاً بحراسةِ الحِنطةِ
كأنَّهُ يَحرسُ تُخومَ الجنَّةِ
مِنَ الغُربانِ .. ومِنْ جُرذانِ الأرضِ
والدي سنبلةٌ شامخةٌ في آفاقِ الخيالِ
قلبٌ مُجنَّحٌ نحوَ رِحابِ الاخضرارِ
مُجذَّرٌ في أرضٍ مُخضَّبةٍ برحيقِ الخيرِ

ترفرفُ قامةُ والدي في مروجِ الذَّاكرةِ
تزهو قامته مَعَ عقالهِ في روابي القلبِ
مراراً شقَّ طريقَهُ في الصَّباحاتِ الباكرةِ
نحوَ سهولِ القمحِ الممتدّةِ
على مدى حبورِ العمرِ
يحميها مِنَ الحيواناتِ الشّاردةِ في العراءِ
والدي حُلُمٌ مبهجٌ
بابتهالاتِ خيوطِ الحنينِ!

***

ينبعثُ لوني مِنْ وَهجِ الشَّوقِ

13

ترقصُ ألواني مِنْ شَهقاتِ الاشتياقِ
تُرفرِفُ كأزاهيرِ فَرحٍ مُضمّخةٍ بالبياضِ
تُحلّقُ بتلاتُ الأزاهيرِ كفَراشاتٍ لاهياتٍ
في أحضانِ النَّسيمِ عِندَ بزوغِ الفجرِ
توشيحاتٌ مَمْهورةٌ برهافةِ الاصفرارِ
تسترخي الألوانُ على بَهاءِ الازرقاقِ
كأنّي أرسمُ رايةَ السُّويدِ مُرفرفةً
فوقَ أزهى أهازيجِ الرُّوحِ ..



يُبهِرُني صفاءُ العِناقِ
عَبرَ تماهياتِ البوحِ
ينبعثُ لوني مِنْ وَهجِ الشَّوقِ
يتعانقُ مَعَ هَدهداتِ الحرفِ
يشكّلانِ جناحانِ مُبهرانِ
في أصفى مَساراتِ التَّجلّي

عندما أرسمُ في هُدوءِ اللَّيلِ
أشعرُ كأنّي في أوجِ تجلّياتِ العِشقِ
عِشقِ الحياةِ وعِشقِ جُموحاتِ الحرفِ
لوحتي صديقتي الأبهى
وحرفي مِحرابُ عُبوري
إلى هِلالاتِ زُرقةِ السَّماءِ!

***

أستوحي ألواني مِنْ خِضمِّ الحَياةِ

14

تزهرُ القصيدةُ مِنْ بسمةِ الطَّبيعةِ
مِنْ تناغُماتِ خُصوبةِ الحُلُمِ
أرسمُ توهُّجاتِ الشَّوقِ
إلى مدارجِ ألعابِ الطُّفولةِ
ينتعشُ قلبي طرباً
مِنْ رهافةِ الاخضرارِ
مِنْ غنى بيادرِ العُمرِ
أستوحي ألواني مِنْ خِضمِّ الحَياةِ
مِنْ حنينِ الرُّوحِ إلى رهافةِ الوجودِ



عانقَتِ الشَّمْسُ جُموحاتِ الخيالِ
تبرعمَتْ ألواني مِنْ خدودِ الكرومِ
مِنْ ينابيعِ الذِّكرياتِ
دقَّاتُ القلبِ تناغي بسمةَ الحرفِ
تزهو أزاهيرُ بوحي شامخةً
كأشهى جموحاتِ العناقِ

أمهرُ حرفي فوقَ حبيباتِ الطَّلعِ
يمتزجُ رحيقُ الحرفِ
مَع أريجِ الزُّهورِ
تزدادُ اللَّوحةُ سُطوعاً كأحلامِ الصَّباحِ
حياتُنا ألوانٌ وحروفٌ متهاطلةٌ
فوقَ دروبِ العُمرِ!

***

أطيرُ فرحاً بينَ بهاءِ الزُّهورِ

15

تنفرشُ أحلامي مُمْتدَّةً
على مِساحاتِ مُهجةِ العُمرِ
تتراقصُ أزاهيرُ الرُّوحِ في لُجينِ الخيالِ
أنثرُ حَبقَها فوقَ خمائلِ المُروجِ
قلبي في أوجِ الانتعاشِ
أطيرُ فرحاً بينَ بهاءِ الزُّهورِ
تُبهِرُني الطَّبيعةُ بتجلّياتِ الجَمالِ
كيفَ فاتَ البشرُ التَّمتُّعَ
في أحضانِ روعةِ الغاباتِ؟!



أناغي ألواني وهي تنسابُ ألقاً
فوقَ بياضِ القماشِ
أُحلّقُ عالياً مِنْ وهجِ الانبعاثِ
تُعانِقُ ألواني هِلالاتِ الأزاهيرِ

أبتهلُ للسماءِ .. لخُصوبةِ الأرضِ ..
أهدهدُ تراقُصاتِ انبعاثِ الفرحِ
تَناغُمُ الألوانِ تُلامِسُ سُفوحَ القلبِ
أُلملمُ أحلاميَ المُتناثرةَ
في خِضمِّ الحَياةِ
وأُغنّي بكلِّ ابتهالٍ
على إيقاعِ بَهجةِ الرُّوحِ!

***

لونٌ مُندَّى بخيراتِ الأرضِ

16

تُبلسمُ هذهِ الألوانُ صَباحي
تفتحُ شَهيَّتي على عِناقِ السَّماءِ
تُذكِّرُني بألعابِ الطُّفولةِ
في ظِلالِ بيتِنا العَتيقِ
نكبرُ وتكبَرُ ألوانُنا مَعَنا
تطفحُ عيناياَ دَمعاً
شوقاً إلى الدَّالياتِ الرَّاسخاتِ
في هِلالاتِ ذاكرتي



أرسمُ ألواني على أنغامِ الابتهالِ
قلبي مَكسوٌّ بأصفى أسرارِ الحَنينِ
لوحتي مِنْ نَكهةِ الخُبزِ المُقمَّرِ
مِنْ أبهى خيراتِ الحَصادِ
مِنْ أنقى طُفوحِ الدَّمْعِ

تموجُ بسمةُ أمِّي في إشراقةِ لوني
كَمْ كانَتْ تُجيدُ إعدادَ خُبزِ التَّنّورِ
أُمِّي قصيدةُ فَرحٍ في مَرامي عُمري
لونٌ مُندَّى بخيراتِ الأرضِ
توَّجْتُ اسمَكِ يا أمّي
بينَ أحضانِ الرُّوحِ!

***

تنبعُ لوحاتي مِنْ حنايا القلبِ

17



أنا صديقُ الأزاهيرِ مُنذُ بواكيرِ عُمري
مِراراً عانقَتْني مُروجُ النَّرجسِ البرّي
رسمْتُ النَّرجسَ بإضافةِ ثلاثِ بتْلاتٍ
بتلةُ الفرحِ وبتلةُ الحُبِّ وانبعاثِ الوئامِ
أنا والطَّبيعةُ صديقانِ مُنذُ الأزلِ
صديقُ الكونِ مُنذُ أنْ اندلقَ
مِنْ عَرشِ السَّماءِ!..

تنبعُ لوحاتي مِنْ حنايا القلبِ
أستوحيها مِنْ أنقى شَهقاتِ الخيالِ
أُحلّقُ مَعَ حُبورِ النَّسيمِ
في ذُروةِ انبعاثِ اللَّونِ

الكتابةُ صديقةُ بوحي
في أوجِ الحَنينِ
يُعانقُ حرفي جُموحَ ألواني
كأنَّهُ نُسْغُ الأزاهيرِ
حرفي إشراقةُ حبٍّ
مُنبعثةٌ مِنْ رَحيقِ الجَمالِ
بياضُ ألواني يتعانقُ
مَعَ صفاءِ الاصفرارِ!

***

تستقبلُ سنابلي إشراقةَ الشَّمسِ

18

أرسمُ دندناتِ بوحِ الرُّوحِ
فوقَ اخضرارِ مُروجِ العُمرِ
أرى العالمَ سُنبُلةً مَزهوَّةً بالشُّموخِ
تنمو سُنبُلتي رغمَ ضراوةِ الاحمرارِ
فوقَ مُنعرجاتِ الزَّمنِ
تُبَدِّدُ اندلاقَ الدَّمِ القاني
تزرعُ في لبِّ الفؤادِ
أملاً طافحاً بالبياضِ
يتعانقُ الاخضرارِ
مَعَ سُمُوِّ الخيالِ
مَعَ زَهوةِ حَبقِ الحياةِ!



جموحي يُسربلُ حفاوةَ لوني
يُحلّقُ عالياً في أهازيجِ السَّماءِ
أقتطفُ مِنْ خميلةِ الخيالِ بوحي
تستقبلُ سنابلي إشراقةَ الشَّمسِ
حياتُنا مرهونةٌ لتجلّياتِ شهوةِ الرُّوحِ

تتراقصُ أحلامي كأريجِ النّارنجِ
أهدهدُ رؤايَ المسربِلةَ بأزهى الأماني
ألواني منبثقةٌ مِنْ أنقى أنباضِ القلبِ!

***

قلبانِ متعانقانِ فوقَ شُموخِ الجبالِ

19



قلبانِ متعانقانِ فوقَ شُموخِ الجبالِ
يسطعانِ شوقاً إلى زرقةِ السَّماءِ
تربَّعَتْ جبالُ الحبِّ
فوقَ خميلةِ الأرضِ
تزهو السَّماءُ ألقاً في الأعالي
بسمةُ فرحٍ ارتسمَتْ
على وجنةِ الصَّباحِ

نحنُ شهقةُ وئامٍ فوقَ هضابِ الأرضِ
ألوانٌ مضمّخة بأصفى حبورِ العِناقِ
حوارُ الأرضِ مَعَ السَّماءِ
يتراقصُ بأزهى ألوانِ البهاءِ
أنقشُ لوني فوقَ خُصوبةِ الحياةِ

أصوغُ حرفي مِنْ رفرفاتِ أجنحةِ الخيالِ
حرفي ولوني مُنبعثانِ
مِنْ أصفى مرامي العُمرِ

أرقصُ فرحاً على إيقاعِ هفهفاتِ النَّسيمِ
كَمْ مِنَ الحنينِ حتّى هطلَتْ غيومُ السَّماءِ
على وجهِ الدُّنيا رذاذاتِ الهناءِ!

***

تنبعثُ ألواني مِنْ أعماقِ الرُّوحِ

20

مروجُ الدُّنيا هديَّةُ السَّماءِ للأرضِ
حياتُنا نسمةٌ نديّةٌ فوقَ وجنةِ الكونِ
تنبعثُ ألواني مِنْ أعماقِ الرُّوحِ
تهفو إلى خدودِ الأطفالِ
أرسمُ فرحي فوقَ جفونِ الحياةِ
مُهدهداً روعةَ الطَّبيعةِ



تنمو أزاهيري فوقَ مروجِ القلبِ
تغفو بينَ أجنحةِ حرفي
ما هذا الاخضرارُ المندّى
بأنقى رحيقِ الوجودِ؟
أُموسِقُ ألواني على انسيابِ
هبوبِ هفهفاتِ النَّسيمِ

الكتابةُ حُلُمي المُضرَّج بأشهى الألوانِ
جموحٌ في أبهى واحاتِ التَّجلّي
الرَّسمُ حكايةُ عِشقٍ مِنْ مَذاقِ العِناقِ
تنامى في خميلةِ الخيالِ
ينبعثُ حرفي مِنْ ابتهالاتِ
حبورِ الرَّبيعِ!

***

ستوكهولم: تشرين الثَّاني (نوفمبر) 2024

صبري يوسف
أديب وتشكيلي سوري مقيم في ستوكهولم

35. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري صبري يوسف



أعمال الفنّان التّشكيلي صبري يوسف

أنشر فيما يلي مشاركات صبري يوسف في العدد الأوّل والثَّاني والثَّالث والرّابع والخامس والسّادس والسّابع والثامن والتَّاسع والعاشر في العدد الحادي عشر من مجلّة السَّلام الدّوليّة كي يطّلع عليها مَن فاته مشاهدتها في الأعداد السّابقة!





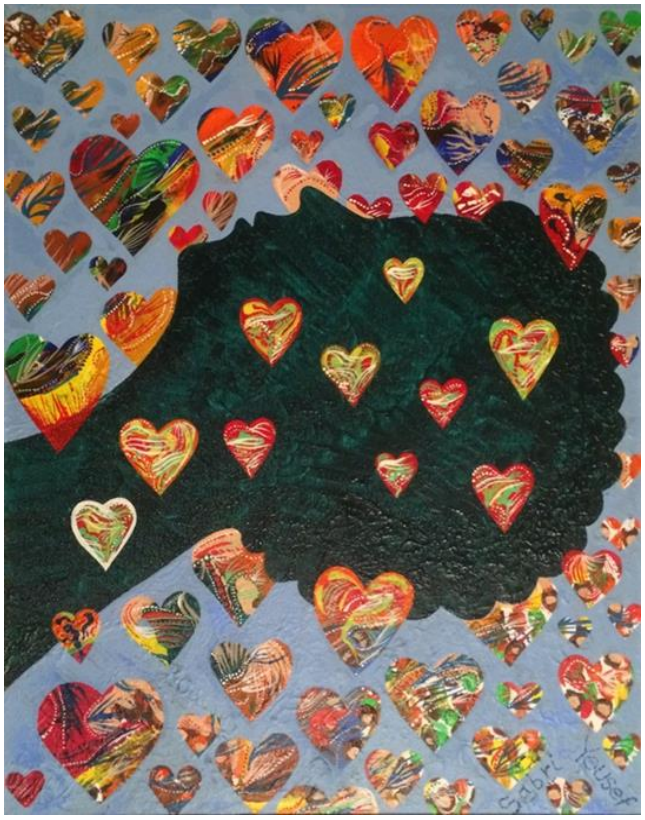






Sabri Youser
2012


Sabri Youser
2011


sabri Yousef
2011

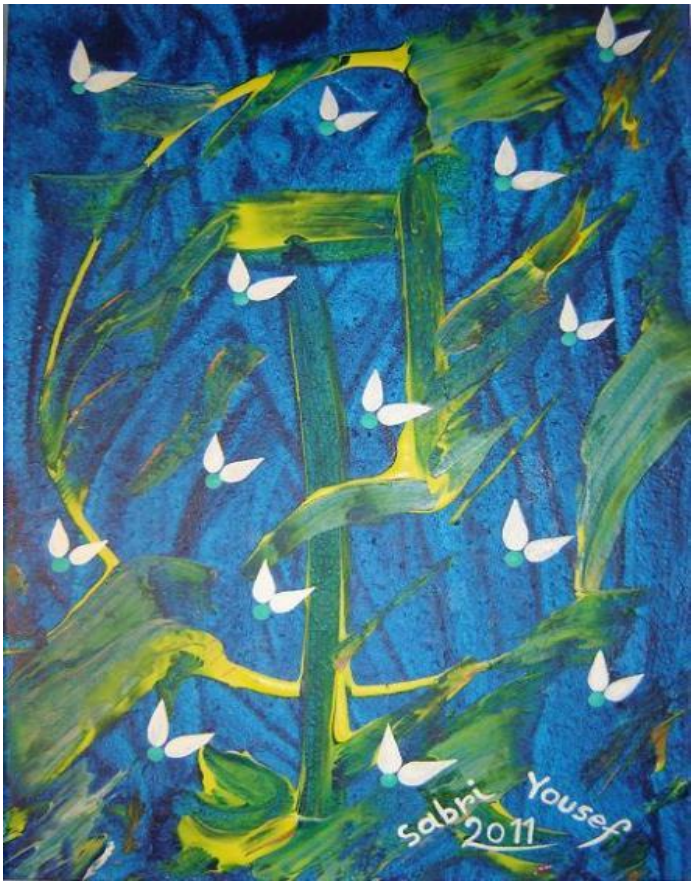
sabri Yousef
2011


Sabri Yousef
2011


Sabri Yousef
2011






Sabri Yousef


Sabri Yousef
2011




Sabri Yousef
2014


Sabri Yousef
2012


Sabri Yousef
2011


Sabri Yousef
2012


Sabri Yousef
2005




Sabri Yousef
2004




Sabri Yousef
2014






Sabri Yousef
2017


Sabri Yousef
2012
2017


Sabri Yousef
2005 2013


Sabri Yousef
2004 2013


Sabri Yousef
2006



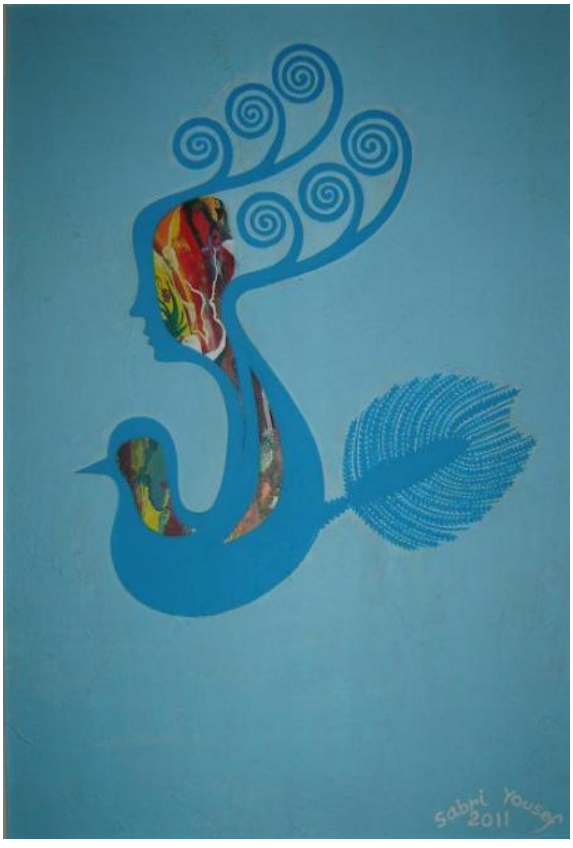
sabri Yousef
2011


Sabri Yousef
2010


2004

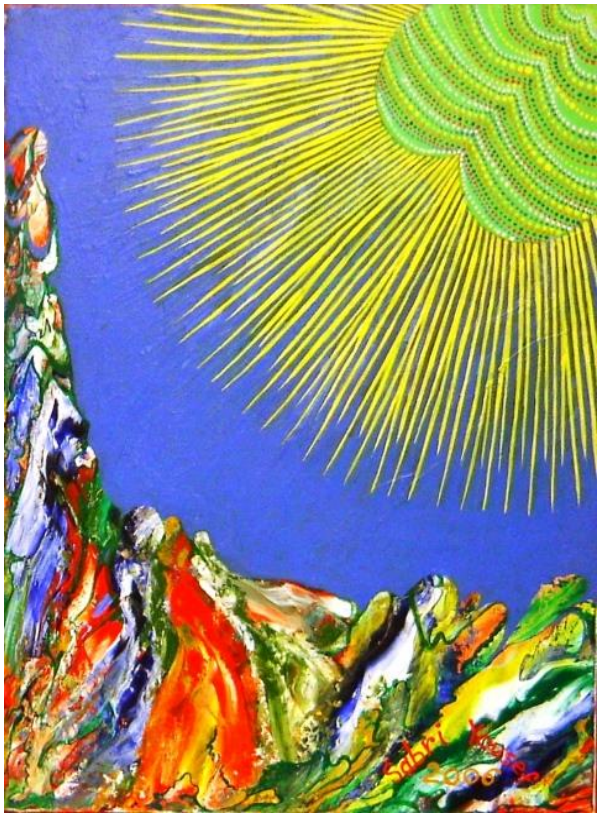


sabri Yousef
2012


sabri Yousef
2012


2004


2004

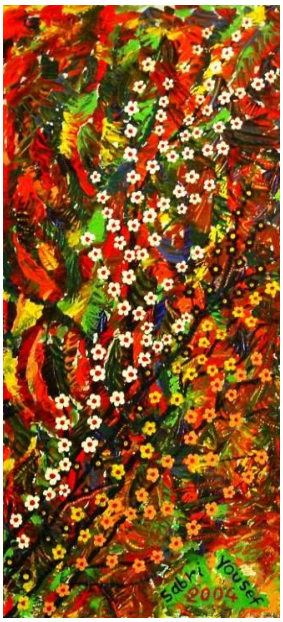
sabri Yousef
2004


Sabri Youssef
2011


Sabri Youssef
2004


Sabri Youssef
2013


Sabri Youssef
2013


Sabri Youssef
2011



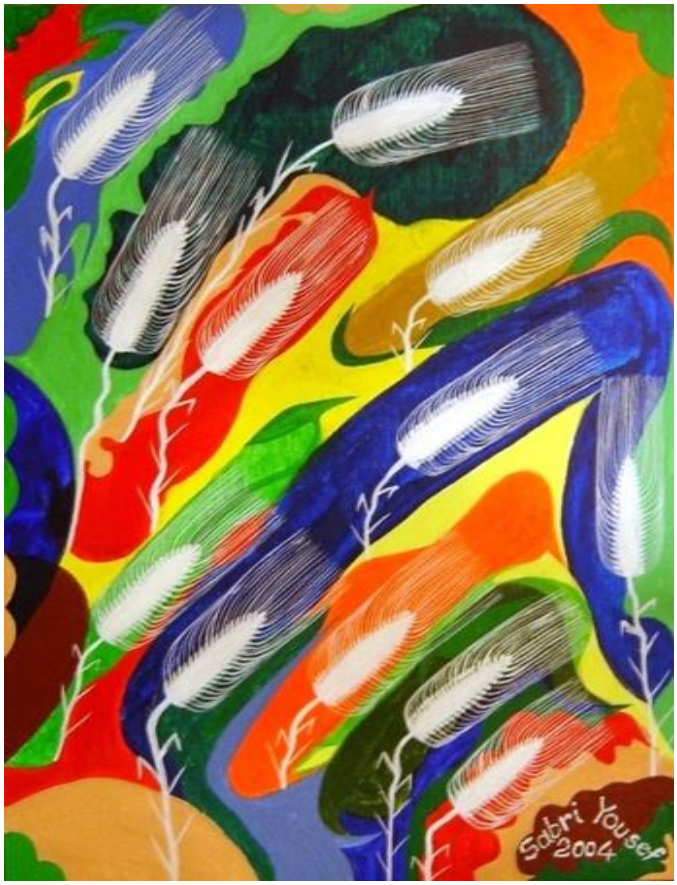
Sabri Yousef
2004

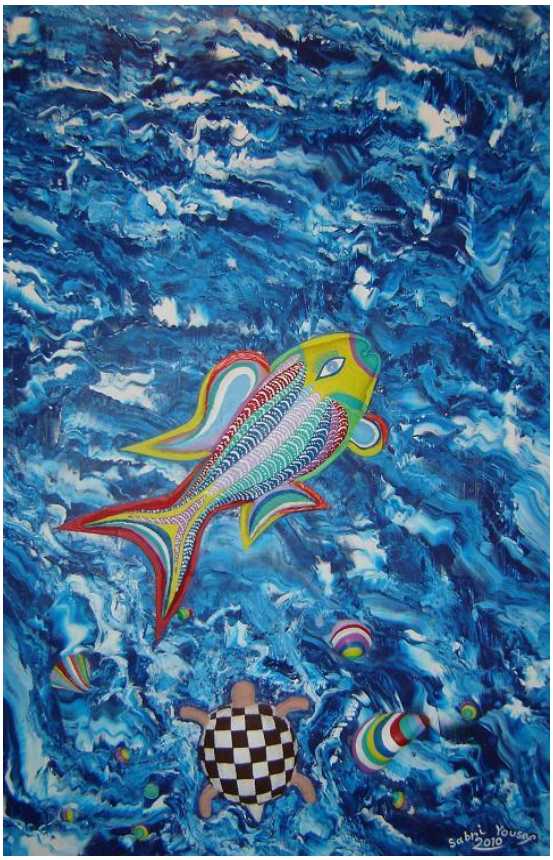
Sabri Yousef
2010




ar kärlek och
fredens stad
Sabri Yousef
2011
2016


Sabri Youser
2011


Sabri Youser
2011




Sabri Youssef
2012

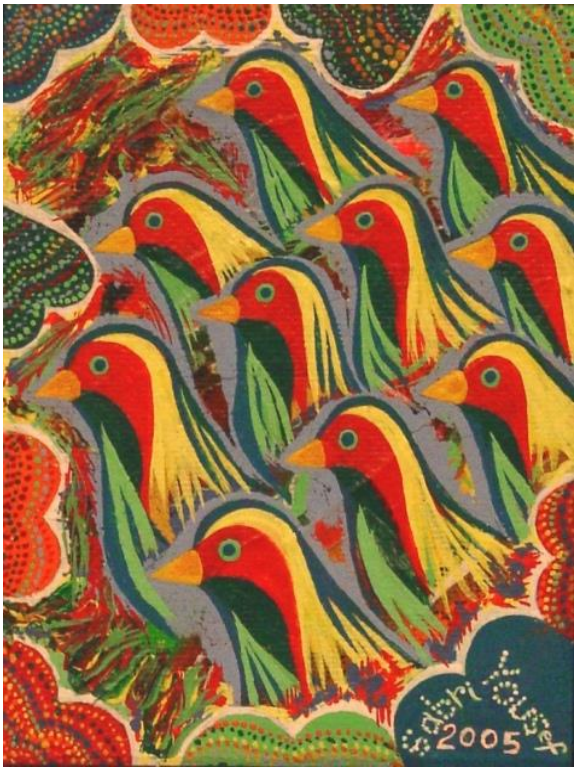
2005


Sabri Yousef
2004


Sabri Yousef


Sabri Youssef
2006


Sabri Youssef
2012


Sabri Youssef
2012

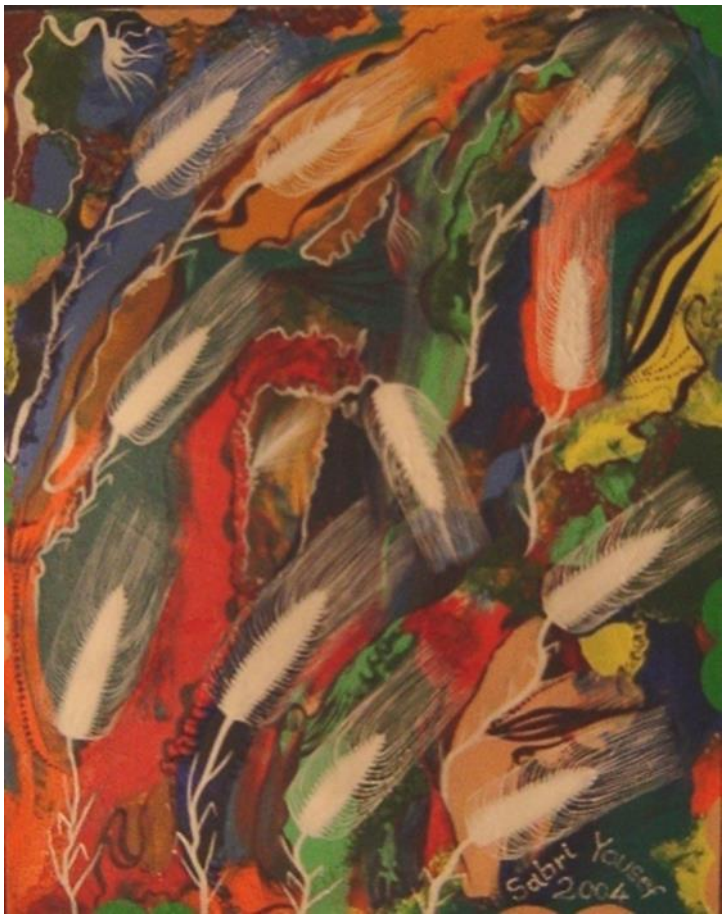
Sabri Yousef
2004

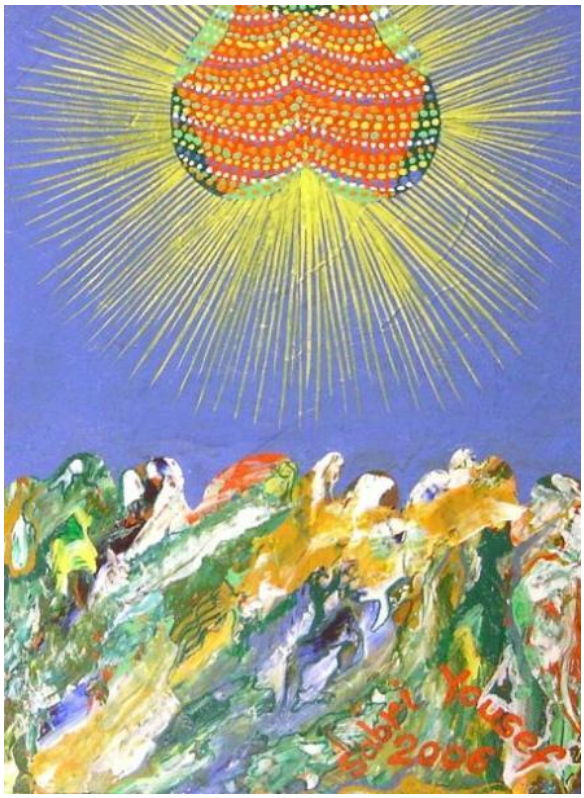
Sabri Yousef
2006

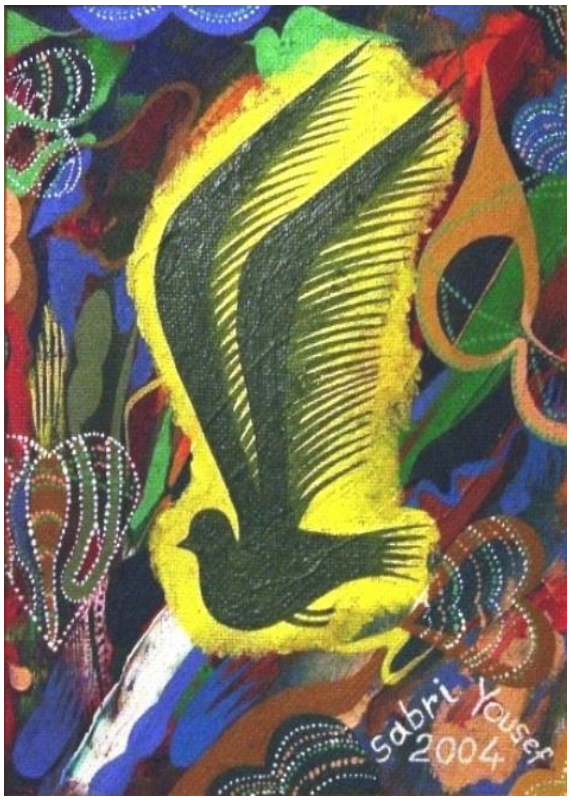
Sabri Yousef
2004


sabri Yousef
2011


sabri Yousef
2011


Sabri Yousef
2014


Sabri Yousef
2014


Sabri Yousef
2014


Sabri Yousef
2011


Sabri Yousef
2014


Sabri Yousef
2014


Sabri Yousef
2014

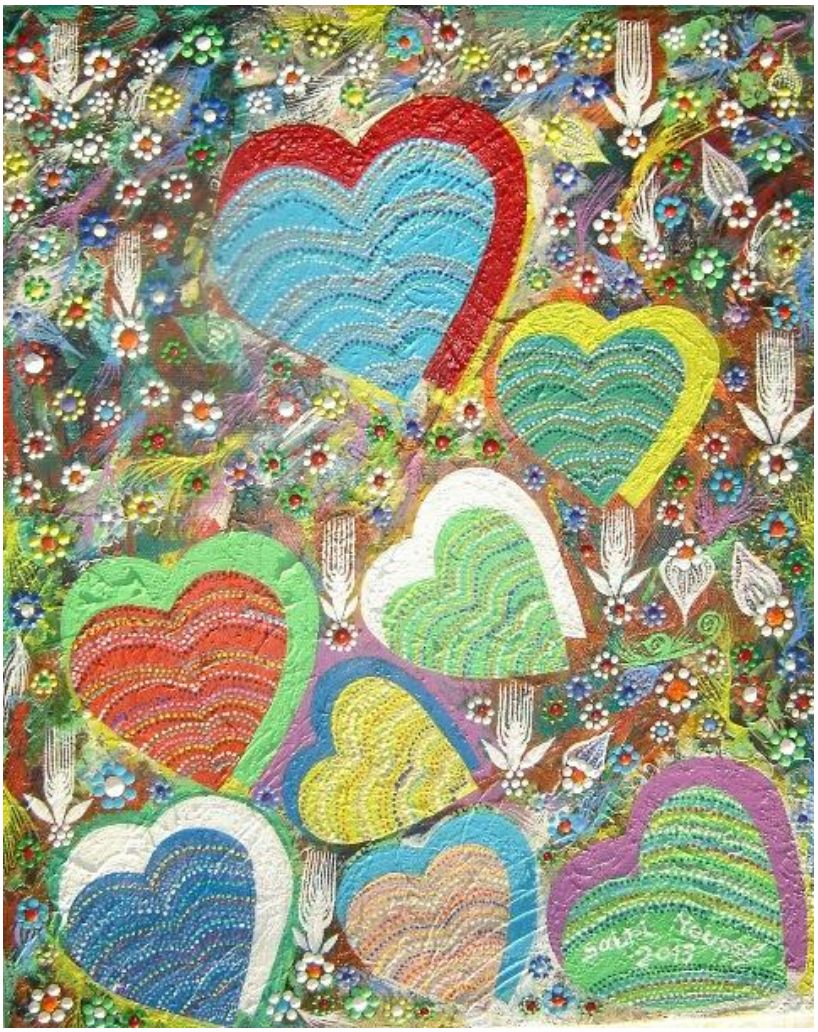
Sabri Yousef
2014




Sabri Youssef
2012


Sabri Youssef
2012


Sabri Yousef
2011


Sabri Yousef
2011

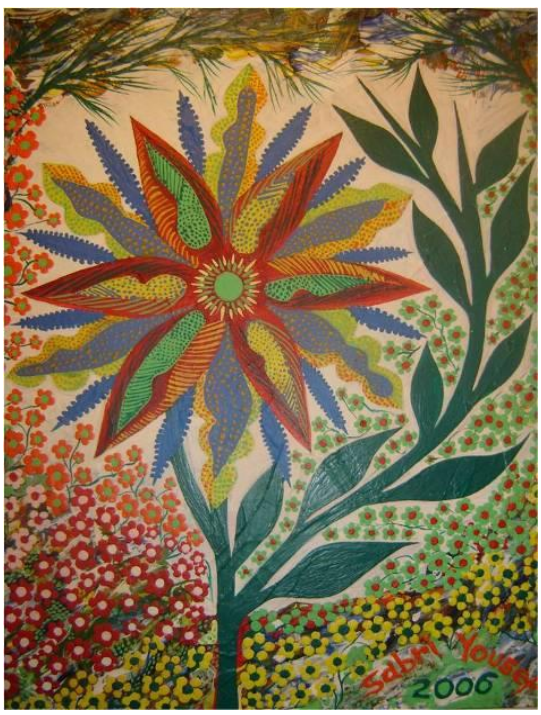
Sabri Yousef
2006


Sabri Yousef
2013

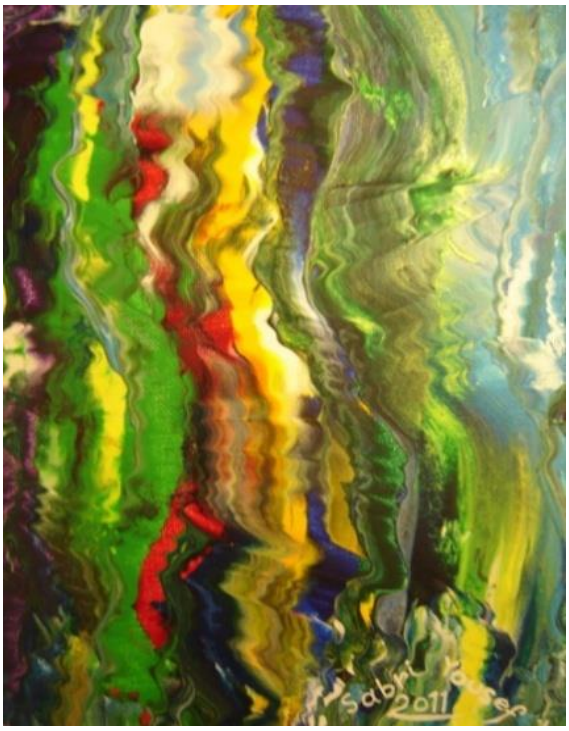
2011


Sabri Yousef
2011


Sabri Yousef
2011


Sabri Yousef
2012




Sabri Yousef
2011


Sabri Yousef
2006


Sabri Yousef
2011


Sabri Yousef
2011

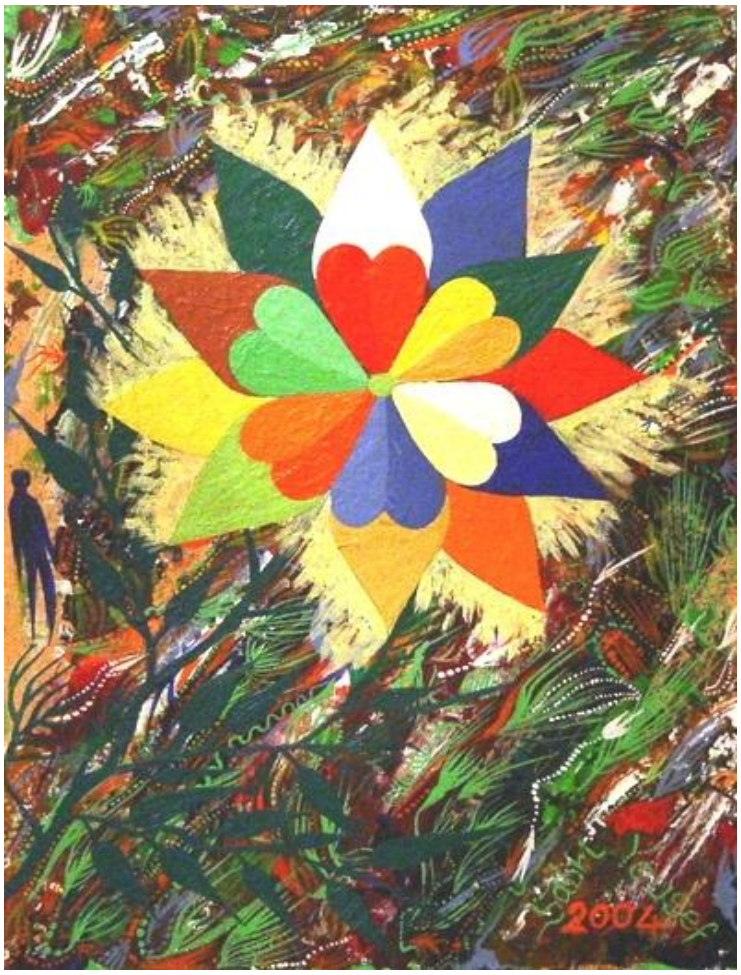
2004


Sabri Youssef
2011


Sabri Youssef
2011


Sabri Yousse
2011


Sabri Yousse
2004


Sabri Y
2010


Sabri Yousse
2009

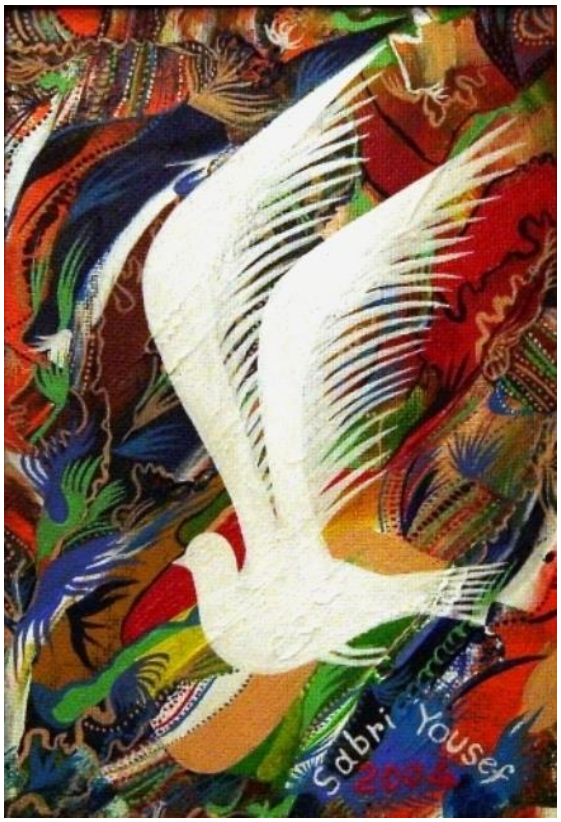
Sabri Yousef
2004


Sabri Yousef
2013

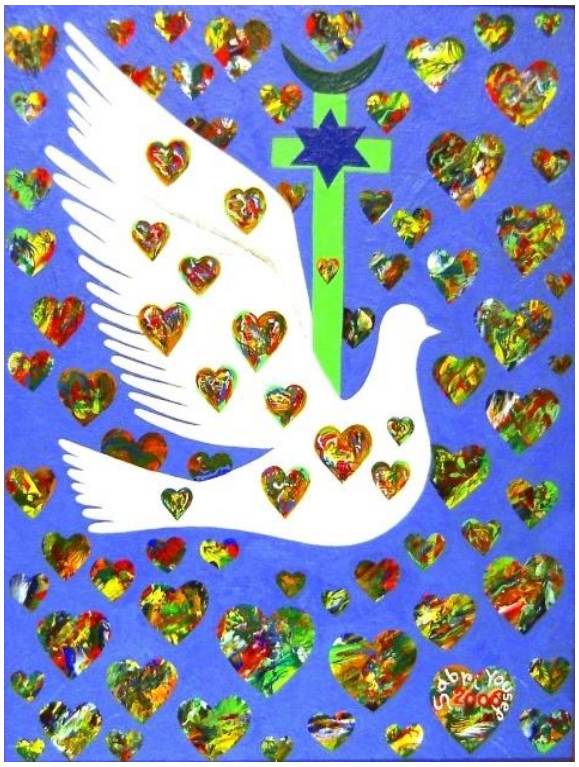
Sabri Yousef
2004

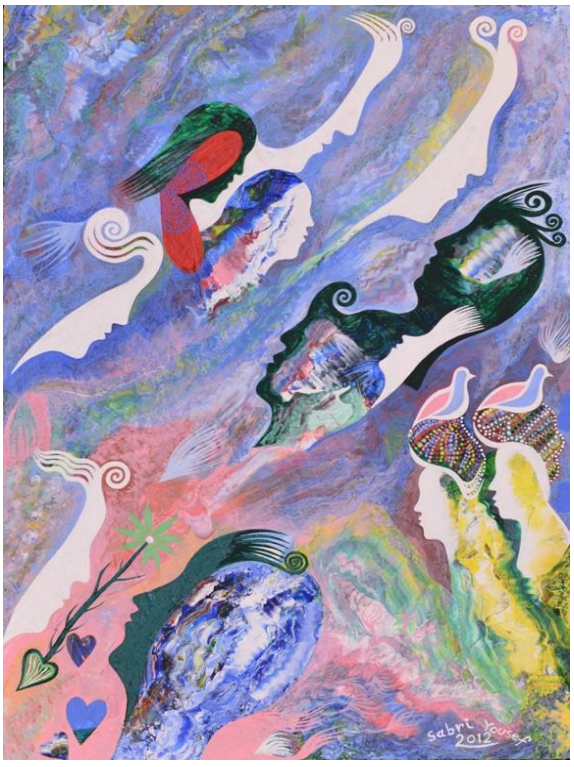
Sabri Yousef
2012

الفهرس

الإهداء: 3
كلمة المحرّر: فشلَتْ سياسات الرِّجال في قيادةِ الكونِ إلى برِّ الأمان! 5
بطاقة شكر وتقدير 9
أقسام المجلّة 11
باب الحوار 13
1. حوار "مجلّة مدارات الثّقافيّة" مع الأديب والتَّشكيلي السُّوري صبري يوسف 15
2. حوار صبري يوسف مع الفنَّانة التَّشكيليّة الكورديّة هيهات حاجو عبّاس 25
3. حوار صبري يوسف مع الكاتبة والشَّاعرة السُّوريّة وفاء الخطيب 37
4. حوار صبري يوسف مع الكاتبة السُّوريّة حوريّة الصَّفدي 45
5. حوار صبري يوسف مع الشّاعرة المصريّة شروق لطيف 55
6. حوار صبري يوسف مع الفنّانة التَّشكيليّة السُّوريّة نضال سوّاس 61
7. حوار صبري يوسف مع الفنّانة التَّشكيليّة العراقيّة ازدهار أسامة 67
8. حوار صبري يوسف مع الشّاعرة السُّوريّة مديحة باراوي 73
9. حوار صبري يوسف مَعَ الشَّاعر والكاتب السُّوري باسم سليمان 79
10. حوار نصر محمّد مع الفنّانة التّشكيليّة الكردية روجين حاج حسين 83
11. حوار صفاء الصالح مع الشّاعر العراقي جلال زنكابادي 89
12. حوار صبري يوسف مع الشّاعر والقاص السُّوري جان يونان حول السَّلام العالمي 111
13. حوار صبري يوسف مع الأديبة والصحفية الجزائريّة سليمة ملّيزي حول السَّلام العالمي 119
ألفيّة القس جوزيف إيليَّا صورٌ ومشاهدُ من حياتي 129
استهلال: مدخل إلى ألفيّة الشّاعر القس جوزيف إيليا 131
تمهيد 133
١- المقدّمة (قافية الألف) 133
٢- لا بإرادتي (قافية الباء) 135
٣ - أراه قائمًا (قافية الباء) 137
٤ - لا تبكِ أنا سأبكي عنكَ (قافية الباء) 139
٥- ما أجمل الأخوّة (قافية التّاء) 141
٦- عنكَ ثغرُها يحدِّثُ (قافية الثاء) 142
٧- دهرُهم لهم (قافية الجيم) 143

٨ – هكذا كانت طفولتي (قافية الحاء) 145
٩ – عشتُ في أجوائها (قافية الخاء) 147
١٠ – ليس بصخرٍ مجده (قافية الدّال) 148
١١ – ليتني بقيتُ فيها ولدًا (قافية الدّال) 150
١٢ – أيّها المعلِّمون (قافية الذّال) 152
١٣ – ما أجمل الأحلام (قافية الرّاء) 153
١٤– هديّةٌ لا تُنسى (قافية الرّاء) 155
١٥ – اقرأْ ولا تهمل كتابًا (قافية الرّاء) 156
١٦ – أجمِلْ بها من لغةٍ(قافية الرّاء) 158
١٧ – الحُبّ الأوّل (قافية الرّاء) 159
١٨ – من الشّكّ والإلحاد إلى اليقين والإيمان (قافية الرّاء) 161
١٩ – الصّداقة الحقيقيّة (قافية الزّاي) 163
٢٠ – يا بقعة الأقداس (قافية السّين) 164
٢١ – كاسمك كنت حانيًا (قافية السّين) 167
٢٢ – معركتي اللّفظيّة (قافية السّين) 168
٢٣ – هل سيعود أمسنا؟ (قافية السّين) 169
٢٤ – بالرّغم من هذا أبقى أحبّها (قافية السّين) 170
٢٥ – يومٌ لا يُنسى (قافية الشّين) 171
٢٦ – الصّراع الإنسانيّ (قافية الصّاد) 172
٢٧ – ابحث ولا تكن كسولًا (قافية الصّاد) 174
٢٨ – سحقًا (قافية الضّاد) 175
٢٩ – مع المرض وضحاياه (قافية الضّاد) 177
٣٠ – مع أسرار النّاس (قافية الضّاد) 178
٣١ – سكّين السّخط (قافية الطّاء) 189
٣٢ – جمال الخطّ (قافية الطّاء) 180
٣٣ – الاستظهار والحفظ (قافية الظّاء) 181
٣٤ – الرّسم (قافية العين) 182
٣٥ – الإنشاد (قافية العين) 183
٣٦ – من أعطاك عرشًا وعصًا؟ (قافية العين) 184
٣٧ – إلى جواره قفي (قافية العين) 186

٣٨ – ما أبشعك (قافية العين) 187
٣٩ – أمّك هذه (قافية العين) 188
٤٠ – ابنك سيفك (قافية العين) 190
٤١ – ابنتك الّتي تحبُّ (قافية العين) 191
٤٢ – لا تنخدع (قافية الغين) 193
٤٣ – بئس الذّكاء هذا (قافية الغين) 194
٤٤ – سنختفي إنْ لمْ (قافية الفاء) 195
٤٥ – ما أتعسها (قافية الفاء) 197
٤٦ – إنّك أقوى (قافية الفاء) 198
٤٧ – ربّي تلطّفْ شافيًا (قافية الفاء) 199
٤٨ – ما كنت أريدها (قافية القاف) 201
٤٩ – لمَ دستَ زنبقك؟ (قافية القاف) 203
٥٠ – لا تنهزمْ (قافية القاف) 205
٥١ – لا ما رحلتَ (قافية القاف) 206
٥٢ – أريد أن أنجو (قافية القاف) 208
٥٣ – أجائعًا كنتَ؟ (قافية الكاف) 210
٥٤ – اصغِ له (قافية الكاف) 211
٥٥ – خضها بكلّ جرأةٍ (قافية الكاف) 213
٥٦ – كيف لا تخجل؟ (قافية اللّام) 214
٥٧ – ليتك عشت (قافية اللّام) 215
٥٨ – لا كلامٌ ولا رسائلُ (قافية اللّام) 217
٥٩ – لا أحد يصغي إليّ (قافية اللّام) 219
٦٠ – هذا سيقتلكَ (قافية اللّام)..... 220
٦١ – إلى الإله رفعتُ شكوتي (قافية الميم) 221
٦٢ – من أيّ طينةٍ خُلقتَ؟ (قافية الميم) 223
٦٣ – تحيا ولا تحيا (قافية النّون) 224
٦٤ – ماذا جرى؟ (قافية النّون) 225
٦٥ – قلها : أنا أنا (قافية الهاء) 227
٦٦ – غدوتُ عبدًا (قافية الهاء) 228
٦٧ – يا بؤسه (قافية الواو) 229

٦٨ – مالَكَ لا تنظر؟ (قافية الياء) 230
٦٩ – كن رقيقًا (قافية الياء) 231
٧٠ – ويبقى وطني أهزوجتي (قافية الياء) 232
٧١ – الخاتمة (قافية الهمزة) 234
مقالات ودراسات وقصائد شعريّة مستوحاة من فضاءات تجربة النّاقد والشّاعر الأردني الرَّاحل الدُّكتور عاطف الدرابسة 237
الإهداء: إلى روح المبدع النّاقد والشَّاعر الأردني الرَّاحل الدُّكتور عاطف الدرابسة 239
استهلال 241
1. قراءة نقديّة في ديوان "ويقول لها" للشّاعر د. عاطف الدّرابسة النَّاقدة اللبنانيّة د. دورين نصر 243
2. قصيدة تأبينيّة للشَّاعر السُّوري والقس الفاضل جوزيف إيليا بعنوان: "نظرةٌ للوراء وأخرى للأمام" 251
3. الكاتب والرّوائي والمخرج اليمني حميد عقبي يرثي النّاقد والشّاعر الرّاحل د. عاطف الدرابسة 253
4. كلمة تأبينية من الشّاعرة والمترجمة التُّونسيّة فاطمة حافظي 255
5. الغيوم تمطر في كل الأوقات، الشّاعرة والكاتبة السُّعوديّة فايزة سعيد 257
6. لون اليأس وطعم الخيبة والخذلان في ديوان: "ويقول لها" للدكتور عاطف الدرابسة للشاعر جورج عازار
7. الدكتور عاطف الدرابسة حامل لواء الحداثة، الكاتبة السُّوريّة الهام غانم عيسى 267
8. بين الذَّاكرة والإبداع: قراءة في إرث الناقد د. عاطف الدرابسة، الشّاعرة السُّوريّة ريما آل كلزلي .. 271
9. ذكرياتي مع الدرابسة، الشّاعر والكاتب والمترجم البحريني عبدالحميد القائد 279
10. صورة المرأة في شعر عاطف الدرابسة، النّاقدة والكاتبة الفلسطينيّة مريم أبو بكر 283
11. عاطف الدرابسة: فيلسوف الأدب ومهندس التأويل، الكاتب والنَّاقد المصري د. علي زين العابدين الحسيني 293
12. تقنيات الحداثة في نصوص عاطف الدرابسة، النّاقدة والكاتبة العراقيّة د. رائدة العامري 297
13. النّاقد والباحث الأكاديمي والشاعر الأردني د. عاطف الدرابسة، الشّاعرة والكاتبة والمترجمة اللّبنانيّة تغريد بومرعي 303
14. الصَّادقون لا يموتون والمبدعون لا يغيبون، الكاتبة السُّورية جمانة عزّام 333
15. دراسة تحليليّة عن شعر الدُّكتور عاطف الدُّرابسة، الشّاعرة والكاتبة المغربيّة سعيدة الرّغيوي ... 339
16. ناقداً، جمعتَ حمائم تعجُّبي، الشّاعرة والكاتبة المصريّة هدى عزّالدين 351
17. عاطف الدّرابسة "مشاكس" حتى في رحيله، النّاقدة والكاتبة اللُّبنانية الدُّكتورة درية فرحات 353
18. من البنيويّة إلى التفكيك، النّاقد والكاتب العراقي د. رسول عدنان 357
19. وا خجلتاه!، الرّوائي والقاص والناقد محمد ياسين خليل الأقطعي 361
20. يغوصُ عميقاً فيما كانَ يُتوّجُ عمان في الماضي والحاضر، الأديب السُّوري صبري يوسف 363

السيرة الذاتية للدكتور عاطف الدرابسة 377
تجلّيات الخيال، الجزء الخامس، نصوص أدبيّة مستوحاة من فضاءَاتِ عشرينَ مبدعاً ومبدعة 383
1. المفكّر والنّاقد الفلسطيني إدوارد سعيد، يُعدُّ واحداً مِنْ أهمّ عشرةِ مفكّرينَ في القرنِ العشرينِ 387
2. الكاتبة والباحثة السُّوريّة البروفيسورة ريم شطيح، تحملُ آفاقاً شاهقةً في فضاءِ الحداثةِ والتَّنوير ... 391
3. الشَّاعر والمترجم العراقي د. هاتف جنابي، مُبدعٌ مُتميّزٌ في التَّرجمةِ وانبعاثِ بوحِ الحَرفِ 395
4. تستوحي الأديبة السُّوريّة نجاح إبراهيم، حرفَها مِن مذاقِ الحياةِ وأشهى تجلّياتِ انبعاثِ الخيال 399
5. يُعَدُّ الأديب اللُّبناني ميخائيل نعيمة، مِنْ أهمّ رُوَّادِ المدرسةِ الأدبيّةِ الحديثةِ في القرنِ العشرينِ 403
6. تكتبُ الشَّاعرةُ السُّوريّةُ رشا عمران القصيدةَ، مِنْ أعماقِ جوارحِ الرُّوحِ مُترجمةً اشتعالاتِ الأحلامِ .. 407
7. يمتلكُ الفنَّان التَّشكيلي السُّوري جاك جوخدار، طاقةً فنّيّةً خلّاقةً في فضاءِ النّحتِ والتَّشكيلِ الفنّي 411
8. الفنَّانة التَّشكيليّة السُّوريّة د. سلوى الصّغير، تزاوجُ بينَ آفاقِها العلميّةِ وتجلّياتِها الفنّيَّةِ 417
9. الشَّاعرُ العراقي عادل حمدي الشَّرقي، مِنْ لونِ الحُلُمِ المفتوحِ على أصفى مرامي الحياةِ 421
10. القاص والرّوائي نعيم إيليّا مهمازُ ألقٍ، نحوَ أصفى مرامي الإبداع 425
11. يكتبُ القاصُّ والرّوائيُّ السُّوري فريد مراد، قصصَهُ ورواياتِهِ كمَن يُناجي نفسَه وقرّاءَهُ مَعاً 429
12. يرحلُ المبدعُ سعدي المالح وتبقى أعمالُهُ، مُرفرفةً فوقَ أجنحةِ الحياةِ 433
13. تكتب الأديبة الجزائريّة نوميديا جروفي، نصّاً رهيفاً شفيفاً، بلُغةٍ رَشيقةٍ تمتاز بالصَّفاء والعمق! 437
14. الأديب الموسوعي والمربّي اللُّبناني المعلّم بطرس البستاني، ألَّفَ أوَّلَ موسوعةٍ عربيّةٍ، "دائرة المعارف": قاموس عام لكُلِّ فنٍّ ومَطلبٍ 441
15. سميحة التّميمي شاعرةٌ مجنّحةٌ نحوَ الماءِ الزُّلالِ وروائيّةٌ مسكونةٌ بوهجِ التّنويرِ وإنسانيّةِ الإنسان! 445
16. تشرَّبَ الفنَّان السُّوري فريد الباشا بالإنشادِ الدِّيني .. وحلَّقَ عالياً في فضاءِ الطَّربِ الأصيلِ 449
17. الأكاديميّة العراقيّة المتفوّقة مينا رغيد عسكر، طُموحُها شامخٌ شُموخَ الجِبالِ 453
18. أيقظَتْ أغاني الفنَّان آلان دريعي بي حنيناً عميقاً، تُبلسِمُ أغانيهِ جراحَنا الغائرةَ 457
19. تنتقدُ الرّوائيّةُ التُّركيّةُ إليف شافاق، الاعوجاجاتِ والأخطاءَ المستشريةَ في الأوساطِ التُّركيّةِ 461
20. الزّعيم الرّوحي للهند والسّياسي البارز المهاتما غاندي 465
باب الشِّعر 469
1. قصائد للشاعر السُّوري الكردي جميل داري 471
2. الشاعر العراقي عدنان الصائغ، سيرة ذاتيَّة لكاتم صوت 475
3. زهرةٌ فوق كفِّ امرأة، الشَّاعرة المصريّة فاطمة ناعوت 479
4. قصائد للشّاعرة التُّونسية ليلة عطاء الله 485
5. قصائد للشاعر العراقي صلاح فائق 489
6. قصيدة للشاعرة والأديبة العراقيّة وفاء عبدالرّزاق 491

7. قصائد للشاعرة اللّبنانيّة دورين نصر 493
8. قصيدتان للشاعرة اللّبنانيّة حياة قالوش 495
9. الشّاعرة اللّبنانيّة لورا مقدسي، بعد هذا الطوفان 497
10. قصائد للشَّاعرة والمترجمة التُّونسيّة فاطمة حافظي 499
11. قصائد للشاعرة المغربيّة زهرة الطَّاهري 503
12. الشاعرة السُّعوديّة فايزة سعيد، على جسد القصيدة 505
13. الشَّاعرة السُّوريّة ليلى غبرا، رغم المعاناة والوجع نعيش 507
14. قصائد للشاعرة السُّورية ريما آل كلزلي 511
15. قصيدة للشّاعر والنَّاقد السوري الكردي لقمان محمود 513
16. الشَّاعرة التُّونسيّة ريم القمري، قصائد ومقاطع شعريّة 515
17. الشاعرة اللّبنانيّة ندى الحاج، مقاطع شعريّة 519
18. الشاعر الكردي خضر سلفيج، مقاطع شعريّة 521
19. الشاعرة السُّورية الكرديّة نارين عمر ، مقاطع شعريّة 523
20. الشاعرة المصريّة فوزية شاهين، نساءٌ من نور 527
21. قصائد للشّاعرة الفلسطينية هتاف عريقات 529
22. قصائد للشاعرة السُّورية الكردية فدوى الكيلاني 533
23. قصائد للشاعر اللّبناني تيسير حيدر 537
24. قصائد للشاعر الفلسطيني نمر سعدي 541
25. قصائد للشاعرة المصريّة هدى عزَّالدين 547
26. قصائد للشّاعر العراقي عادل حمدي الشَّرقي 551
27. تشمُّ رائحة القسوة في الطين العتيق، الشاعرة السُّوريّة وداد سلوم 557
28. أنا ما كنتُ إلا فتاها...؟! الشّاعر السُّوري ألياس قومي 559
29. طيف أحلام للكاتبة والشَّاعرة السُّوريّة حوريّة الصَّفدي 560
30. الشَّاعرة السُّوريّة مديحة باراوي، على شاطئ الذكريات 561
31. أَنا امرأةٌ انتقاها الخالق، قصيدة بأربع لغات للشاعرة السُّوريّة أديبة عدبو عطيّة 563
32. أحلام مشروخة على قارعةِ المتاهاتِ، الأديب والتَّشكيلي السُّوري صبري يوسف 567
29. الشَّاعرة السُّوريّة مديحة باراوي، على شاطئ الذكريات 561
30. أَنا امرأةٌ انتقاها الخالق، قصيدة بأربع لغات للشاعرة السُّوريّة أديبة عدبو عطيّة 563
31. أحلام مشروخة على قارعةِ المتاهاتِ، الأديب والتَّشكيلي السُّوري صبري يوسف 567
باب القصَّة 633

1. قصّة قصيرة للقاص العراقي هيثم بهنام بردى، [الصورة الأخيرة] 635
2. قصّة قصيرة للقاص العراقي إبراهيم سليمان نادر، إطار لقلب في الظّل 641
3. الفصل الأول من رواية رحيل نحو المجهول: محطّات زمنيّة، للروائي والقاص السّوري فريد مراد 645
4. قصص قصيرة جداً للكاتب والناقد العراقي طالب زعيان 654
5. قصّة قصيرة للقاصة المغربية سعيدة الرغيوي، ضفيرةُ الثلْجِ 655
6. العطّار، الكاتب والقاص السُّوري باسم سليمان 657
7. دمعتان مِنْ وهجِ الحنين، إهداء: إلى أختي كريمة، الأديب والتشكيلي صبري يوسف 659
دراسات نقديّة ومقالات 665
1. قراءة في ديوان أحلام حيارى للشاعر عصمت شاهين الدوسكي، النَّاقدة السُّوريّة د. رويدة عباس.. 667
2. صوت الرُّوح في زمن الدمار: الشاعر اليمني أحمد الفلاحي نموذجًا، الأديب اليمني حميد عقبي 673
3. قراءات نقدية، بقلم: زينب خوجة، قراءة في رواية موسم النزوح إلى الغرب للأديبة نارين عمر 687
4. مقالات للكاتبة والباحثة السَّوريّة البروفيسور ريم شطيح، سوريا وضرورة الحراك 693
5. محنة التجارب الجديدة في الشِّعر الفلسطيني، الكاتب والشّاعر الفلسطيني نمر سعدي 701
6. هي الحياة، الناقدة اللبنانية د. هدى المعدراني 705
7. جبران خليل جبران .. الأديبة الجزائريّة نوميديا جروفي 713
8. قراءة في رواية جريمة على مسرح القباني للروائي باسم سليمان، الكاتبة السُّوريّة وداد سلوم 715
9. يا سادة .. نحن متخلفون بالفطرة، الكاتبة العراقيّة د. ناهدة محمّد علي 723
10. لغتنا تعيش في محنة من أهلها، عند د. قاسم حسين صالح الكاتب والناقد العراقي طالب زعيان 724
11. نظرة في لآلئ الشَّاعر أحمد محمود حسن، ومقالات أخرى، الكاتب والنّاقد السُّوري محمّد رستم 727
تقاسيم تشكيلية، إيقاعات .. إضاءات، (الجزء 14)، قراءة النَّاقد التَّشكيلي غريب ملّا زلال 735
1. بشار العيسى، يكشف عن الغرض الذي يمشي إليه ، وعن قيمته المعرفية و الجمالية 737
2. أحمد العوض، بين دهشة الفرح الأول و دهشة الحزن الأخير 745
3. سعد يكن، من ترويض الفضاءات إلى كشف أسرارها 751
4. عباس الزهاوي، يعمل بأدوات خاصة تخدمنا جداً في التفسير والتأويل 757
5. هل كشف الرسام بشير مسلم (آرمانج) ذاتيته في بورتريهاته 763
6. نساء في مرسم ابراهيم دندل وحوار يمتد في المسافات كلها 769
7. عمران شيخموس، يضبط متطلبات الحالة قبل خروجها عن حدودها 775
8. صالح النجار يقبض على الزمن مخافة أن يهرب منه 781
9. عدنان الأحمد يفتتح غاليري 'مرسمي' في الرياض برؤية تشكيلية سعودية شابة 787
10. مهدي الحسين لا يهرب من الواقع ولا يتوسل الرموز والألغاز 795

11. حسن حمام يحرك فضاءاته ويفتت عليها ألوانه كأنه يفتت قطعة موسيقية إلى معانيها 801
12. ميسون علم الدين، شهد ميسون علم الدين تنزوي خلف شفاه الأسئلة 807
التشكيل الفردي 815
1. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري نزار صابور 817
2. الفنّان التّشكيلي السُّوري يعقوب جوخدار 823
3. الفنّان التّشكيلي السُّوري الكردي عبدالسَّلام عبدالله 831
4. الفنّانة التَّشكيليّة السُّوريّة فاطمة إسبر 837
5. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري سرور علواني 841
6. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري كابي سارة 845
7. الفنّانة التّشكيليّة السُّوريّة أنديرا إيليّا 853
8. النّحات الهندي شارما غانيش ..... Sculptor Sharma Ganes 855
9. الفنّانة التَّشكيليّة السُّورية فيفيان الصّايغ 859
10. النّحات السُّوري عبدالقادر منافيخي 865
11. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري نعمت بدوي 871
12. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري بشير بدوي..... 875
13. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري جان حنا 879
14. الفنّانة التّشكيليّة المكسيكيّة مارلين باسيني 885
15. الفنّان التَّشكيلي السُّوري راينر غرير 889
16. الفنّان التَّشكيلي السُّوري جاك إيليّا 893
17. الفنّان التّشكيلي السّوري زافين بردقجي 897
18. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري عبدالقادر الخليل 901
19. الفنّان التَّشكيلي الفلسطيني نضال عبدالهادي 907
20. الفنّان التّشكيلي الفلسطيني أديب خليل 911
21. الفنّانة التّشكيلية السُوريّة سلوى الصَّغير 915
22. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري بهجت داهود 919
23. الفنّانة التشكيليّة السُّوريّة ميمونة ديب 925
24. الفنَّانة التَّشكيليّة المصريّة هنا حلمي 931
25. الفنَّان التَّشكيلي العراقي شاكر نوري 937
26. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري الكردي بهزاد محمد إبراهيم 941
27. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري عبدالرحمن مهنّا 949

28. الفنَّان التّشكيلي السُّوري فؤاد نيسان 955
29. الفنان التشكيلي السُّوري الكردي شيروان يوسف 959
30. الفنان التشكيلي السُّوري مارسيلين إيليا 963
31. الفنَّان التَّشكيلي السُّوري سمير ظاظا 969
32. الفنّان التّشكيلي العراقي عماد زبير 973
33. الفنان التشكيلي الفلسطيني جمال بدوان 977
34. عشرون قصيدة وعشرون لوحة للشاعر والفنّان التَّشكيلي صبري يوسف 985
1. أحلّقُ عالياً في مآقي السَّماءِ 985
2. أهدهدُ أزاهيرَ الشَّوقِ 986
3. أموجُ فوقَ اهتياجِ البحارِ 987
4. تُحلّقُ بعيداً عَنْ شوائبِ الحياةِ 988
5. أرسمُ شمسي مِنْ شهيقِ الأحلامِ 989
6. حياتي مكتنزةٌ بأزهى الألوانِ 990
7. قلوبٌ مُتعانقةٌ مَعَ روعةِ المروجِ 991
8. اخضرارُ الرُّوح يُعانقُ بياضَ القلبِ 992
9. أسافرُ مَعَ ألواني إلى شَهقةِ الشَّفقِ 993
10. حياتُنا زهرةٌ مُضمَّخةٌ بطراوةِ الأرضِ 994
11. أزاهيري مُنبعثةٌ مِنْ جُموحاتِ الرُّوحِ 995
12. سنبلةٌ شامخةٌ في آفاقِ الخيالِ 996
13. ينبعثُ لوني مِنْ وَهجِ الشَّوقِ 997
14. أستوحي ألواني مِنْ خِضمِّ الحَياةِ 998
15. أطيرُ فرحاً بينَ بهاءِ الزُّهورِ 999
16. لونٌ مُندَّى بخيراتِ الأرضِ 1000
17. تنبعُ لوحاتي مِنْ حنايا القلبِ 1001
18. تستقبلُ سنابلي إشراقةَ الشَّمسِ 1002
19. قلبانِ متعانقانِ فوقَ شُموخِ الجبالِ 1003
20. تنبعثُ ألواني مِنْ أعماقِ الرُّوحِ 104
35. الفنَّان التَّشكيلي صبري يوسف، مشاركاته في العدد الأوّل والثَّاني والثَّالث والرّابع والخامس والسّادس والسّابع والثامن والتَّاسع والعاشر والحادي عشر من مجلّة السَّلام الدّوليّة كي يطّلع عليها مَن فاته مشاهدتها في الأعداد السّابقة! 1005
الفهرس 1041

